ندوة
الإعلام الإسلامي
بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل

نظمتها

مؤسسة اقرأ الخيرية

بالتعاون مع

مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي - جامعة الأزهر

تحت رعاية

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

في المدة من ٣٠ شوال إلى ٢ ذى القعدة ١٤١٢هـ الموافق ٣ - ٥ مايو ١٩٩٢م

بمركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج الندوة

اليوم الأول

الأحد ٣٠ شوال ١٤١٢هـ - ٣ مايو ١٩٩٢م

التسجيل ٩,٣٠ - ١٠,٣٠

- الجلسة الافتتاحية ١٠,٣٠ - ١٢,٠٠ ظهراً
- القرآن الكريم
- كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق — شيخ الأزهر
- كلمة أ.د / عبدالفتاح الشيخ — رئيس جامعة الأزهر ورئيس الندوة.
- كلمة الشيخ صالح كامل — رئيس مجلس ادارة مؤسسة اقرأ الخيرية.
- كلمة أ.د/ محمد عبده يمانى — نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة اقرأ والرئيس الشرفى للندوة.
- كلمة الأستاذ السيد عبدالرءوف — عضو مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية ومقرر الندوة.
- كلمة الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام — مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ومقرر الندوة.

الساعة ١٢,٠٠ - ١,٣٠ ظهراً استراحة لتناول المرطبات وصلاة الظهر .

الجلسات العلمية

اليوم الأول

الأحد ٣٠ شوال ١٤١٢هـ ٣ مايو ١٩٩٢

الجلسة الأولى

الساعة ١,٣٠ - ٣,٣٠ عصراً

الرئيس أ.د / محمد عبده يمانى

المقرر : أ.د / محيى الدين عبدالحليم

البحث الأول : الدعوة الإسلامية بين الوجوب والتطوع — أ.د / عبد الغفار عزيز -رئيس قسم الدعوة الثقافية الإسلامية بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر- القاهرة

البحث الثانى : الرسول الداعية ورجل الإعلام الإسلامى — أ.د / محمد سيد أحمد المسيرأستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة جامعة الأزهر- القاهرة.

البحث الثالث : فلسفة الخطاب الإعلامى العربى بين التبرير والتغيير — أ.د / محمد إبراهيم الفيومى عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية الأسبق - جامعة الأزهر - القاهرة.

الساعة ٣,٣٠ - ٥ استراحة لتناول الغداء وصلاة العصر

الجلسة الثانية

الساعة ٥,٠٠ - ٧,٠٠ مساء

الرئيس أ.د/ محمد عمارة

المقرر : أ.د/ على عجوة

البحث الأول : الإعلام الإسلامى (الأصول القواعد - الأهداف) — أ.د/ محيى الدين عبدالحليم - رئيس قسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر.

البحث الثانى : ضوابط الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى — أ.د / محمد منير صابرحجاب - عميد آداب قنا ورئيس قسم الصحافة - آداب سوهاج - جامعة أسيوط

البحث الثالث : الرأى العام فى الإسلام — د/ عبدالوهاب كحيل - استاذ مساعد بقسم الصحافة - بآداب سوهاج

البحث الرابع : البحث العلمى فى مجال الإعلام، اشكالياته.. ودوره الوظيفى — د/ محمد عبدالحميد - مدرس الصحافة بالجامعات المصرية

اليوم الثانى

الاثنين ١ ذى القعدة ١٤١٢هـ ٤ مايو ١٩٩٢م

الجلسة الثالثة

الساعة ١٠,٣٠ – ١٢,٣٠ ظهراً

الرئيس أ. د. محمد حسين توفيق عويضة

المقـرر أ.د/ محمد سيد أحمد المسير

البحث الأول : الإعلام الإسلامى والتبشير	أ.د / أحمد سعد الدين البساطى عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط – جامعة الأزهر.
البحث الثانى : الإعلام الإسلامى فى مواجهة الاستشراق	أ.د / محمود حمدى زقزوق – عميد كلية أصول الدين – القاهرة – جامعة الأزهر.
البحث الثالث : مشكلات الصحافة الإسلامية	أ/ فهمى هويدى – الكاتب الإسلامى
البحث الرابع : الصحافة الإسلامية بين العمومية والتخصص «تجارب من الواقع»	أ/ عبداللطيف فايد – رئيس القسم الدينى بجريدة الجمهورية.

الساعة ١٢,٣٠ – ١,٣٠ ظهراً استراحة لصلاة الظهر وتناول المرطبات

الجلسة الرابعة

الساعة ١,٣٠ – ٣,٣٠ عصرا

الرئيس أ. د/ على عجـوة

المقرر أ.د/ أحمد البساطى

البحث الأول : الإعلام الإسلامى فى عصر الفضاء	أ.د. محمد عبده يمانى
البحث الثانى : الإعلام الإسلامى وتكنولوجيا الاتصال فى مجال التليفزيون	د/ انشراح الشال – استاذ مساعد بكلية الإعلام جامعة القاهرة.

البحث الثالث : نشر الدعوة الإسلامية وتكنولوجيا الاتصال — مهندس نبيل عباس – وكيل وزارة الإعلام– رئيس الإدارة المركزية للتدريب الهندسى باتحاد الإذاعة والتليفزيون

البحث الرابع : الإطار الشرعى للنشاط الإعلامى — أ.د/ جعفر عبد السلام رئيس قسم القانون بكلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر.

الساعة ٣,٣٠ – ٥ استراحة لتناول الغداء وصلاة العصر .

الجلسة الخامسة

الساعة ٥,٠٠ – ٧,٠٠ مساء

الرئيس أ.د / محمود حمدى زقزوق

المقرر : أ/ عبدالمجيد شكرى

البحث الأول : الإعلام الإسلامى والنظام العالمى الجديد — أ/ يحيى أبو بكر – الخبير الإعلامى الدولى.

البحث الثانى : الإعلام الإسلامى فى القرن الحادى والعشرين — أ.د/ على عجوة – الأستاذ بكلية الإعلام جامعة القاهرة .

البحث الثالث : التخطيط لإنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية. — أ/ عبد المنعم ثابت – مدير عام انجازات البرامج – اتحاد الإذاعة والتليفزيون.

البحث الرابع : الإعلام الإسلامى وزرع القيم فى نفوس الأطفال — أ/ عبد التواب يوسف

اليوم الثالث

الثلاثاء ٢ ذى القعدة ١٤١٢هـ ٥ مايو ١٩٩٢ م

الجلسة السادسة

الساعة١٠,٣٠ – ١٢,٣٠ ظهراً

الرئيس أ/ حافظ محمود

المقرر : أ.د / محمد ابراهيم الفيومى

البحث الأول : تأهيل الكوادر الإعلامية المسموعة والمرئية — أ.د / فوزية فهيم وكيل وزارة الإعلام – رئيس معهد الإذاعة والتليفزيون سابقاً

البحث الثانى : الإذاعة الإسلامية وطموحات المستقبل — أ / عبدالمجيد شكرى – خبير إعلامى أستاذ محاضر فى علوم الاتصال الجماهيرى بجامعتى الزقازيق والأزهر

البحث الثالث : الدراما رؤية إسلامية — د/ محمود أحمد حماد – المدرس بقسم الصحافة والإعلام كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر.

البحث الرابع: دور الإعلام فى تنمية المجتمعات الإسلامية — أ/ أحمد عبد اللاه – صحفى بالمساء.

الساعة ١٢,٣٠– ١,٣٠ ظهراً استراحة لصلاة الظهر وتناول المرطبات .

الجلسة الختامية

الساعة ١,٣٠ ظهراً

مناقشات عامة واعلان البيان الختامى والتوصيات

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شـــيخ الأزهـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .. فإن ماستمعنا إليه من كلمات طيبة ومنهج لهذه الندوة أمر يبشر بالخير إن شاء الله، وإذا تذكرنا أن ربنا سبحانه من عهده قال ﴿ وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وأوصانا القرآن أن نقول ﴿وقولوا للناس حسنا ﴾ إذا كان هذا هو عهد الله إلى الناس، فإن رسالات الأنبياء التى توالت على البشرية منذ أن كانت هى رسالات إعلام وإبلاغ ، وهى رسالات تثقيف وتهذيب وإصلاح، وإذا كان الإعلام قد تبلور فى أيامنا فى أجهزة وقنوات متنوعة وقربت صناعات الإنسان هذا الإعلام فى أنفس الناس فإن علينا فى هذه الندوة المباركة أن نضع توصيفا للإعلام وماينبغى أن يكون عليه .. وألا نمعن فى الكلام عن الإعلام الإسلامى وكأننا ننحاز به إلى مكان منعزل لا صلة له بالعالم .

إننا نريد أن نواجه ماسميناه بالغزو الفكرى بمضاداته ولا نهمل الأجهزة ولانغلق الكتب ولانغلق الصحف ولا المجلات وإنما علينا أن نتابع وأن نرد وأن نواجه ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾.

أيها السادة فى هذه الندوة وآمل وأدعو لكم بالنجاح أن تكونوا عمليين أكثر من قولانين.. إننا تكلمنا كثيراً ومازلنا نتكلم وكتبنا المقالات ومازلنا نكتب .. وتراشقنا بالسهام فى الصحف وفى قنوات الإذاعات وغيرها ولكننا لم نصب هدفاً .. إذا كانت لنا أهداف علينا أن نصوب لها مقترحاتنا وتوصياتنا حتى ننقى إعلامنا وحتى نلزمه بأخلاق الإسلام فيما يقول وفيما يحاور وفيما يشاور ويداور، علينا أن نسعى إلى تهذيب أمتنا فالإعلام أيسر الوسائل الآمنة إلى التثقيف وإلى التنقية وإلى التعليم فالثقافة العامة والتثقيف العام أصبح فى المقام الأول قبل محو الأمية التى نسعى ونتحدث عنها فوسائل الإعلام تكاد تغنى عن محو الأمية التى نحاول أن نتجاوزها فى مجتمعاتنا .. نريد إذن أن نعرض للناس أو نعرض عليهم إسلامنا فى كل ماحواه الإسلام من عبادة وعمل .. من عقيدة وشريعة .. نريد أن نعرض كل هذا ولا يكفى أن نتغنى بالماضى أو نفتش فى جحور لنستخرج منها ما قد يكون مواكباً لعصرنا أو يكون قد فات أوانه وإنما نريد أن نحدد قضايانا لنحكم عليها، وكما قال شيوخنا الحكم على الشئ فرع عن تصوره .. أتصور القضايا ثم أحدد المجال والأحداث ..

أرجو أن تنبثق الندوة عن توصيف صحيح وأهداف قابلة للتنفيذ لا مجرد بكاء على الحاضر دون مواجهة صحيحة للواقع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة سعادة الشيخ

صالح عبد الله كامل

رئيس مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الحمدلله القائل ﴿ ادعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحكمةِ والموعظة الحسنةِ وجادِلهُمْ بالتى هى أحسن إنَّ ربَّك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾

وصدقَ عزَّ من قائل :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفرْ لهم وشاورهُمْ فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إنَّ اللهَ يُحب المتوكلين ﴾ . صدق الله العظيم .

وأصلى وأسلم على سيدى وحبيبى رسول الله القائل وهو يوصى سيدنا معاذ بن جبل (ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه، قلت بلى يا رسول الله قال : " رأس الأمر الإسلام، وعموده وذروة سنامه الجهادُ " ثم قال : " ألا أخبرك بِملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله. قال : " كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه . قلت يا رسول وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال : " ثكلتك أمك، وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم " .

والقائل : (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إذا كلت عميت) .

وارحب بالسادة الحاضرين .

وأشكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ومعالى وزير الإعلام الأستاذ صفوت الشريف على تبنيهما لهذه الندوة . وذلك ليس بمستغرب من أشخاصهما ولا مناصبهما، فالأول مسئول بحكم علمه ومنصبه عن كل ما يصلح شأن المسلمين ويعيدهم إلى طريق الرشد والصواب ومسئوليته عن أقدم منار علمى مشع للإسلام فى العالم . والثانى بحكم خبرته الطويلة فى عالم الإعلام الذى أصبح أحد "اساطينه فى العالم العربى، وبحكم ديانته كمسلم وبحكم منصبه كوزير لإعلام مصر البلد الذى إذا صلح إعلامها واقتصادها وسلوكها صلح العالم الإسلامى كله بدون مجاملة أو مبالغة .

وإنى عندما أتكلم عن الإعلام العربى والإسلامى نجد أن الإعلام المصرى له القدح المعلَّى بل إن إعلامها ووسائلها تشارك فى صياغة وجدان وسلوك كل العرب وكثير من الدول الإسلامية.

ولذلك لا عجب أن يتبنيا جزاهما الله خيراً هذه الندوة. ولا عجب أن نختار نحن فى جمعية اقرأ الخيرية مصر لإقامة هذه الندوة لكل المواصفات السابقة التى ذكرت توفرها فى مصر وفى إعلامها .

وإنى لأرجو الله سبحانه وتعالى أن يبارك فى هذه الندوة لكى نخرج منها بتوصيات هادفة وواضحة توضع تحت أنظار المسئولين المسلمين عن الإعلام فى كل أنحاء العالم الإسلامى لكى

تساهم فى رسم معالم الطريق القويم إلى الله ولكى يقدر كل مسئول عن وسيلة إعلامية عظم المسئولية الملقاة على عاتقه فى المنصب الخطير الذى وضعه الله فيه وجعل فى يده وسيلة تؤثر فى الناس أكثر بكثير من المدارس والجامعات والمساجد والمواعظ .

أيها السادة : لا أود أن أدخل فى تعريفات مطولة أو مختلفة عن ما هو المقصود بالإعلام الإسلامى ولكنى أود أن أوضح وجهة نظر مسلم عادى ليس بإعلامى وليس بعالم شريعة وإنما شخص عادى ينبه لخطورة وسائل الإعلام الحديثة وإلى التباعد الذى حصل بين رجال الدين والدعوة وبين هذه الوسائل والقائمين عليها فى بداية دخولها لمنطقتنا، فاتجهت هذه الوسائل لتقليد الغرب فى ما يقدم منها تقليدا ضاراً قد لا يكون سببه سوء نية ولكن الرغبة فى التقليد والرغبة فى جذب المشاهدين والمستمعين والقراء بغض النظر عن ردود الفعل لما يقدم من هذه الوسائل بحيث قادتنا هذه الوسائل على مرالسنوات إلى الأوضاع التى نحن فيها الآن من ابتعاد عن قواعد ديننا وعاداتنا وتقاليدنا لأن كل أو معظم ما يقدم فيها كان لا يهتم بغرس الإيجابيات أو يحارب السلبيات بل أنه كان نقلا لأنماط غربية معربة حتى تغربنا عن فكرنا . وإذا قدمت إشياء عن الإسلام فإنها تقدم بصورة تقليدية أو تاريخية تظهر الإسلام وكأنه دين الماضى ولا يتلاءم مع الحاضر واعتبرنا أن كل ما يقدم عن العصر الحالى لا يمكن أن يكون له صلة بالإسلام مع أن الإسلام مفترض فيه أن يكون موجودا فى كل وسائلنا الإعلامية مهما اختلفت فيه من ناحية الحاسة المتلقية لها مشاهدة أو سماع، لكى نغرس السلوكيات الإيجابية ونحارب السلبية فقط فى العبادات وإنما بالمعاملات و بالتعامل مع الناس وإخلاقيات العمل والجيرة واحترام الكبير والعطف على الصغير ومحبة الناس كما نحب لأنفسنا واحترام المال العام وتقديم مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية والإيمان بالحياة الآخرة والعقاب والثواب الأخروى وإعمار الأرض واهميته فى الإسلام والتعاملات الاقتصادية الإسلامية . كل هذه أمور ابتعد عنها المسلمون فى حياتهم ومدارسهم ولا يمكن أن نعود ويعود الاهتمام بها إلا إذا أدخلناها فى كل ما يقدم من الوسائل الإعلامية بطريقة فنية مشوقة غير مباشرة ولا مصطنعة ولا مملة .

وحتى تصنيف الأشياء التى تقدم من الإذاعة أو التليفزيون أو الكتب التى تكتب نجد أننا نطلق لفظ إسلامى على أى منها إذا كان متعلقا بتاريخنا وأمجادنا السابقة، أما الأشياء التى فى حاضرنا والتى تشكل سلوكنا فى حياتنا اليومية فهذه لا نهتم بصفة الإسلامية فيها لا إطلاقا عليها ولا تطبيقا لمضمونها .

وبالرغم من كتابة عدة مواثيق شرف لبعض وسائل الإعلام الإسلامية فإنها كانت فضفاضة الثوب عامة الكلمات بحيث أن الكل يستطيع التنصل من تطبيق أو عدم تطبيق القواعد الإسلامية الصحيحة.

إلا أنى اطلعت فى عام ١٩٨٨م على المبادئ والقواعد العامة التى تحكم انتاج البرامج والدراما التى أصدرها اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصرى فهى تضع قواعد تحكم الإنتاج الإذاعى والتليفزيونى . لقد كانت من أحسن ما قرأت. وسعدت به فى توجهاتى وأمنياتى كمسلم وحمدت الله أن جعل أكبر مؤسسة إعلامية فى العالم العربى تضع مثل هذا ودون تدخل أو طلب من جهات متخصصة فى شئون الدين، وجاء ذلك العمل بمبادرة من القائمين على هذا الجهاز مما جعل لها وقعا أحسن. ولمعرفتهم بالأسلوب الإعلامى فقد حرصوا على أن لا يكون ذلك مباشرا أو من خلال مواعظ أو مقصوراً على البرامج التى يطلق عليها دينية وإنما جعلوها مطلبا عاما مطلقا لكل ما يقدم، واعتقد أن الدولة بذلك قد خطت خطوة كبيرة جدا نحو أسلمة سلوكيات مجتمعاتنا . وأعتبرها شخصيا أهم من تطبيق أحكام الحدود فى الشريعة الإسلامية لأننا من خلال وسائل الإعلام نقدم التعليم والعلاج الوقائى بينما فى الحدود نحن نقدم العلاج الرادع أو بعد حدوث المرض وهو وإن كان ضروريا إلا أن العلاج الواقى أهم .

وإذا كانت الدولة قد قامت بمسئوليتها فى تقنين ما يجب أن يقدم من خلال الوسائل المحكومة بالحكومة إلا أنه يظل عليها مسئولية تطبيق تلك القواعد تطبيقا حازما. ولقد ظهرت آثار ذلك فى كثير من المسلسلات التى تروى أحداث قضية عادية ولكن تظهر وتعمق سلوكيات إيجابية وتحارب سلوكياتسلبية وأذكر منها «المال والبنون» الذى أذيع فى رمضان ثم أقول إنه اذا قامت الدولة بذلك فتبقى مسئوليتنا نحن كأفراد من أدباء وصحفيين ومخرجين ومنتجين كيف نستهدى بما كتب ونجعله دليلا لكل ما نكتب ابتداء من الخبر الصحفى مرورا بالمقال الأدبى أو القصة أو الأغنية أو المسلسل الإذاعى أو البرامج المنوعة وحتى الحوارية . ويجب أن نراعى الله فى كل ما نكتب وما نقدم وأن نتذكر أن لنا أبناء و بنات لا نود لهم التردى فى الرذائل حتى لو مارسناها نحن شخصيا إلا أننا نعتبرها عورة وعيباً نداريه ولا نتمناه لأبنائنا وبناتنا ثم نأتى وبحجة الإبداع الفنى فنقدم فى شئ مكتوب أو مشاهد أو مسموع أشياء تؤثر فى سلوك ومستقبل أبنائنا وبناتنا ونحن لا نشعر بسوء ذلك حتى تدخل النار بيتنا وتمس أعز ناس لدينا، عندها قد يفتح الكاتب أو المبدع عينه ويتألم لما أصابه نتيجة لما قدمته يداه ولكن لا ينفعه ندمه عند ذلك فى الدنيا وإن لم يتب فلن ينفعه فى الآخرة أيضا .

ولذلك فإنى أقول أيها السادة إن الندوة قد وضعت لها خمسة أهداف هى :

١ – استكشاف مفهوم الإعلام الإسلامى ومبادئه وأصوله .

٢ – التعريف بالإعلام الإسلامى فى بداياته الأولى ودوره فى نشر الدعوة الإسلامية .

٣ – التعريف بالإطارات التى يعمل من خلالها العمل الإسلامى .

٤ – التعرف على واقع الإعلام الإسلامى ودوره والتحديات التى يواجهها .

٥ – وضع تصور للعمل الإعلامى الإسلامى فى المرحلة القادمة .

ثم جعلت ثلاثة محاور للندوة نأمل أن توصل جلساتها إلى توصيات تؤدى إلى تحقيق الأهداف المذكورة أعلاه وبالذات الهدف الخامس والذى هو حصيلة للأربعة أهداف التى سبقته لكى توصلنا إليه .

وأرجو الله أن يهيئ لتلك التوصيات بعد ذلك من يوصلها لكليات الإعلام والصحافة والآداب وكل جهة تعليمية تعد من يعملون بالإعلام، وأن يوصلها إلى الجهات المسئولة عن الإعلام والثقافة فى الدول الإسلامية وأسال الله تعالى أن يحقق لنا آمالنا إنه سميع مجيب. وإن انعقاد هذه الندوة بمصر وفى رحاب الأزهر وبرعاية شيخه امام المسلمين ووزير إعلام مصر قلعة العالم الإسلامى وقلبه والمؤثرة فيه كل ذلك مؤشرات لنجاح هذه الندوة بعون الله .

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور

عبدالفتاح الشيخ

رئيس جامعة الأزهر ورئيس الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ..... وبعد ....

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والمسلمين

الإخوة الحضور

أحييكم بتحية الإسلام ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... أما بعد

فيسعدنى أن أشارك فى هذه الندوة (ندوة الإعلام الإسلامى) التى تقام تحت مظلة جامعة الأزهر التى تعد هيئة من هيئات الأزهر الشريف صاحب الأمجاد والمآثر على هذا البلد الطيب الذى حباه الله بهذا الصرح يحفظ عليه دينه ودنياه ويعمق أسس الحضارة فيه. ويعم خيره على الدنيا فكرا رائدا بعيدا عن الانحراف والتبعية الا لكلمة الله وطهارة القلب وصدق النية وسمو الدين وعلوه .

الأزهر الذى حفظ العالم الإسلامى من دنس الفكر ودنو العقيدة فلم تؤثر فيه إباحية الغرب وانحلال الشرق وبعده عن كلمة الله وتحلل العقائد .

الأزهر الذى واكب متطلبات الزمن تحت راية العلم النافع والعمل المتحضر تحت لواء كلمة الشرع والإسلام .

أيها السادة: إن الإنسان منذ بدء الخليقة موضوع تحت راية الرحمن الهاما ونبوة ورسالات علمته كيف يحيى وكيف يعيش وكيف يتفاهم وكيف يتكلم وكيف يوصى كل ذلك لذ راريه وخلفائه وبنيه.. ولم يكن العلم منذ بدء الخليقة علم الدين وفلسفات الآخرة . وإنما كان علم الإنسان فى ذاته وتعامله مع نفسه وجسده وكينونته وانعكاس كل ذلك على غيره فى سمو يرتفع به إلى ملائكية تضعه فى النهاية فوق ربوة الحقيقة . وهى أنه خليفة الله على الأرض أوجزها الله فى آخر رسالته حيث قال: ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ﴾.

آيات قصيرات تضع الإنسان أمام هدفه وتوجه الرسول ﷺ فى أول لحظة من لحظات اتصاله بالملاء الأعلى إلى طريق الدعوة التى اختير لها وإلى تابعيه ومن تبعوا رسالات من قبله . توجههم جميعا إلى القلم الذى هو الركيزة الأولى فى الإعلام لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم والمعرفة أثرا فى حياة الإنسان . ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذى نلمسها لآن ونعرفه فى حياة البشرية . ولكن الله سبحانه وتعالى كان يعلم قيمة القلم .فيشير إليه هذه الإشارة فى أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية فى أول سورة من سور القرآن هذا مع أن الرسول الذى أنزلت عليه لم يكن كاتباً بالقلم.

فينبغى لأصحاب الأقلام بعد ما ذكرت من اهتمام الإسلام بها ألا يستخدموها لغرس بذور المنكر فى جميع جوانب الحياة . جدير بهم ألا يندفعوا وراء بريق يزين للناس المنكر بزينته المعروفة . فيستباح المنكر باسم الحرية والتقدم .. وما كان المنكر فى طبيعته إلا طغيانا تتحلل به معانى الحرية ، وحجر عثرة أمام التقدم ..

أيها السادة :

إن الإعلاميين بأنواعهم المختلفة يقع عليهم عبء تغيير المنكر بوسائلهم المختلفة إذ هم المقصودون من المرتبة الثانية فى تغيير المنكر الذى أوجبه الرسول إذ يقول " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " .

فالرسول الكريم جعل مكافحة المنكر على مراتب متفاوتة فأعلاها قوة سلطة الحاكم لأن الله قد وضع فى يده سلطان التأديب ووسائل الزجر بما شرع الله من عقوبات وبما فوضه فى دفعه من تقديرات . فالحاكم هو القادر على التغيير العملى .

أما المرتبة الثانية فهى مرتبة الوعظ من العلماء وآراء أصحاب الفكر والرأى ورجال الصحافة والإذاعة وغيرها من وسائل الإعلام .

فهؤلاء جميعا مسئولون أمام الله والمجتمع عن موقفهم من تغيير المنكر . وكلهم أرباب القول .

فعليهم اذا أرادوا أن يكونوا أداة توجيه للأئمة أن يتحلوا بالحكمة ووسائل التوجيه القيمة التى يكون لها أثرها الطيب فى تطهير المجتمع من المنكرات . والتى ينوء بحملها كاهل المجتمع .

فهل لنا بعد هذا إلا أن يعرف كل مسئول . وكل داعية وكل إعلامى وكاتب ومفكر واجبه نحو قومه. وأن يقوموا جميعا بتعبئة شاملة ليطهروا المجتمع من كل ذلك ويزيلوا عنه عوامل التحلل والفناء ..﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

كلمة معالى الدكتور

محمد عبده يمانى

نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية

ورئيس شرف الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

لحمد لله الذى علم بالقلم .... علم الإنسان ما لم يعلم صلى الله وسلم على سيدنا محمد خير من تعلم وأصدق من أعلم عن الله .... أيها الأخوة الأحباب ... سعادة الدكتور عبد الفتاح الشيخ - رئيس الجامعة - أخى الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام باسم جمعية اقرأ الخيرية وباسم أخى معالى الشيخ صالح عبد الله كامل الذى يحضر معى الندوة اليوم . يسرنى أن أعرب عن شكرى وتقديرى لحضوركم الندوة اليوم . فى رحاب جامعة الأزهر الشريف وأحمد الله عز وجل أن نلتقى اليوم ونلقى الضوء على قضية من أخطر القضايا التى تواجه العالم الإسلامى ... وبكل أسف طرحت هذه القضية فى أكثر من مؤتمر ونوقشت فى أكثر من ندوة ولكن رجال الإعلام ظلوا يسألون .. أين الطريق فى خضم هذه الأبحاث والندوات المختلفة ؟

نريد خطة عمل واضحة .. ونريد خطوات عمل سهلة نتبعها حتى نستطيع أن نخرج من هذه الظلماء ... لا شك أن العالم من حولنا يتفاعل ويعمل ويحاول أن ينشر كلمته هنا وهناك وانبثقت التكنولوچيا الحديثة ولكن الفاعل والقائم شئ آخر .. ولو لم تكن لدينا القابلية ولو لم يكن لدينا الاسترخاء ولو لم تغب عنا الجدية والفاعلية ما أثر فينا كل هذا التأثير ولما أصبح بهذه الدرجة من الخطورة التى أصبحنا نحس بها .. أصبحنا نجبر الأفراد والجماعات على شراء التكنولوچيا لنحصل على أقرب بث ممكن وأمتع بث ممكن دون أن نحس بأبعاد هذا الخطر ودون أن نحرص أن نتعامل مع التكنولوچيا الحديثة بجدية ذهبنا نحن واليابانيون إلى أمريكا وإلى أوروبا لنستخدم نفس التكنولوچيا واشترينا نحن التكنولوچيا وتعلم اليابانيون التكنولوچيا واستخدموها ونحن استأجرناها واستعملناها ثم نحن لم نتعامل مع الهدف بفاعلية وجدية وكل من يتجول فى العالم اليوم يحس بهذا الخطر ويحس بسلبيتنا المتناهيه فى التعامل معه .

إن القضية لم تعد قضية إعلام يركز على الخطة . وإنما أصبح برامج هامة وأصبح قضية إعلامية دعوية ثقافية تعليمية ولا يمكن أن نعتبر كل هذا البث الذى يأتى ويتحدى العالم كله عبر الأقمار كله شر ففيه الكثير من الخير لو أحسنا التعامل معه لوظفناه للأهداف التعليمية والثقافية التى نسعى إليها ولكننا نفرنا إلى التكنولوچيا نشتريها ونوظفها لخدمة أهداف إقليمية أو سياسية عابرة دون أن نحس إلى أهمية وأبعاد التعاون وأن القضية قادمة ويوم كنا نتحدث قبل عشر سنوات فى مؤتمرات الإعلام أن البث المباشر قادم كانت تقول الناس إن القضية سهلة وميسرة.

تجول فى أى بلد عربى .. لقد تجولت اليوم فى القاهرة لأرى كم عدد أجهزة الالتقاط على أسطح المنازل لأفاجأ أنها عدد لا يستهان به وأنها سوف تقبل على هذه التكنولوچيا سواء قبلنا أو لم نقبل ... ماذا أعددنا لحماية هذه الأجيال ؟! هل يكفى أن نشجب هل يكفى أن ننفعل .. هل يكفى أن نقول أنه استعمار قادم كل هذا لا يغير فى الواقع شيئاً التكنولوچيا مستمرة وسوف تصبح فى متناول ابنى وابنتى وابنك سوف تفتح التليفزيون على أى محطة سوف تشاهد آلاف المحطات حسب القدرة التى تصل إليها بكل الألوان ... وبكل هجماتها وبكل غزوها .. هل يمكن أن نعتبر مجرد اجتماعنا لمناقشة المخاطر يكفى أم أننا يجب أن نعين رجال الإعلام ونضع أيديهم على القضايا .. ونعينهم على خطة عمل يخرجون بها ويساعدون على بلوغ هذه الأهداف ثم ما هو دور رجال التربية ليؤهلوا أبناءنا لمواجهة هذا الغزو القادم ؟ ... ثم ما هو دورنا فى منازلنا لنستشعر هذا الخطر لقد حمدت الله أن نجتمع اليوم لنلقى الضوء على هذه القضية وأسأل الله أن يعيننا للخروج من هذه الندوة بقرارات وتوصيات تصلح لأن تكون خطه عمل لأنفسنا تعيننا لبلوغ الأهداف التى نسعى لها جميعا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور

جعفر عبد السلام

مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى

ومقرر الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر

فى إطار موجة عاتية من المشكلات التى تتصل بالرأى والصحافة يأتى هذا المؤتمر الذى وضعت فكرته مؤسسة اقرأ الخيرية واتفقنا معها على أن نشارك بالتنظيم والرأى والبحث والدراسة فى جامعة الأزهر وفى هذا المركز الذى تعود أن يقدم لحضراتكم العلم المرتبط بالعمل، والفكر المقترن بالتطبيق

إننى لآمل لهذه الندوة النجاح الذى يليق بقيمة الموضوع الذى تعالجه، ألا وهو الإعلام الإسلامى بين تحديات الواقع وآمال المستقبل، فالإعلام صار أكثر الوسائل التى تؤثر فى تكوين عقولنا، وتشكيل وجداننا، وعندما تعددت الوسائل الحديثة فيه ووصلت بمجتمعاتنا إلى البث الإذاعى المباشر عن طريق الأقمار الصناعية فإننا بالفعل بدأنا عصراً جديداً كما قال السكرتير العام للأمم المتحدة عنه إن عالمنا صار أشبه ما يكون بالمدينة الواحدة يرى ويسمع ما يجرى فى أحد جانبيه، فى الجانب الآخر بوضوح .

لقد غيرت تكنولوجيا الاتصال على وجه الخصوص شكل الحياة على كوكبنا، وألقت بظلالها على كل ضروب الحياة فيه، ولعلى لا أبالغ إن قلت إن حيازة القوة فى هذا المجال صارت الشكل الجديد الذى يمارس به القوى نفوذه على الضعيف، أقول إنها أهم وسائل الاستعمار والهيمنة فى العصر الحديث. إن رجال الإعلام يتحدثون عن النظام الإعلامى العالمى الجديد، وأهم مايريدون له أن يتحقق فيه هو أن يكون العالم النامى مصدرا ومستقبلا للرسالة الإعلامية فى نفس الوقت لا أن يظل على حالته التى هو عليها الآن، مجرد مستقبل، مما يتيح للغير أن يتحكم – هذه المرة – فى عقله وتفكيره وأسلوب حياته، فيستسلم له دون مقاومة ودون استخدام الأسلحة العسكرية .

وكما تعودنا فى هذا المركز فى ندواتنا ومؤتمراتنا جئنا إلى شريعتنا ندعو كعادتنا ونستخرج ما بها من كنوز ونستخلص من آراء علمائها ومن مصادر التشريع فيها ما يمكننا من مواجهة هذه

المشكلات وهذه المخاطر التى تحيط بنا، واستعنا بعلمائنا المتخصصين لكى يبسطوا لنا الرأى والفكر والنصيحة. وكانت محصلة ذلك كله تلك البحوث والدراسات والأوراق الموضوعة أمام حضراتكم والتى ستسمع فى الندوة وتناقش بعون الله ونأمل أن نخرج منها بما ينير الطريق أمام الباحث وأمام مصدرى القرار وأمام مجتمعنا الإسلامى ككل .

حضرات السادة :

إنه من المؤكد أهمية الكلمة فى الإسلام ولكن الإسلام يجعل الكلام فيه مسئولا عن هداية الناس، وإخراجهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة كما يقول الرسول ﷺ .

الإسلام يدعو المسلم إلى التعبير عن رأيه بكل قوة وبأن لا يكون إمعة، يتبع الناس إن ضلوا أو اهتدوا وإنما يكون له قوة اتباعهم على الحق ومخالفتهم على الباطل والقرآن يحدد لهم السبيل فى تكوين الرأى والتعبير عنه قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ، ويدعو الرسول ﷺ إلى الدعوة بالحق ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾ .

الجانب الإيجابى فى دعوة الإسلام، فى التعبير عن الرأى هو أن تكون الرسالة الإعلامية دعوة إلى الخير أو أمرا بمعروف أو نهياً عن منكر، أو أمراً بصدقة أو إحسان، القرآن الكريم يعرف منهج صاحب الرسالة الإعلامية فى الإسلام بقوله : ﴿ يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾ .

والإسلام إلى جانب ذلك، يحيط الكلمة والتعبير بأكبر الضمانات التى تكفل عم التردى إلى الوهدة التى تعيش فيها مجتمعاتنا حاليا نتيجة اقتراف الكبائر والاستهانة بالكلمة والخوض فى أعراض الناس، على تفاصيل كثيرة ستجدونها حضراتكم فى الأوراق التى بأيديكم .

إننى أدعو الله أن ننجح فى إخراج توصيات مناسبة تلهم أمتنا ومجتمعاتنا طريق الصواب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ

السيد عبد الرءوف

عضو مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية

ومقرر الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر :

سيداتى .. سادتى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله الذى وفقنا لأن ننقل هذه الندوة من فكرة خيرة تشغل الذهن إلى حقيقة خيرة نابضة بالحياة، واعدة بعطاء يمثل إضافة تخدم أوطاننا وعقيدتنا ..

وما كان عقد هذه الندوة ممكنا بغير توفيق الله سبحانه وتعالى .. ثم ماكان ممكنا بغير الرعاية الكريمة من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الذى لايبخل علينا بكرمه ورعايته وتوجيهه ولا بغير توجيه فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر الذى أضاف بفكره الثاقب الكثير لأفكار الندوة .. ولا بغير الموافقة المتحمسة والداعمة من سعادة الشيخ صالح كامل رئيس مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية ومعالى الدكتور محمد عبده يمانى نائب رئيس مجلس الإدارة.. وما كان ممكنا أيضا بغير الجهد المتصل للسادة أعضاء اللجنة التحضيرية للندوة على مدى بضعة أشهر .. وختاما.. ماكان انعقاد هذه الندوة ممكنا بغير استجابة هذه النخبة الممتازة والمتميزة من أساتذة الدعوة وأساتذة الإعلام وخبرائه وإخصائييه الذى رحبوا بالفكرة وتجاوبوا معها وقدموا من فكرهم وخبرتهم الأبحاث القيمة التى بين أيدينا.

فللجميع الشكر جزيلا وموصولا .. ولهم الامتنان والتقدير بغير حدود.

ولكم جميعا الشكر لحضوركم ومشاركتكم فى أعمال هذه الندوة . فهذه المشاركة فى الواقع هى الأساس للنجاح الذى نأمله ونرجوه ونسعى إليه.

إن هذه المشاركة الجادة هى تأكيد لصحة ماقدَّرناه حين خططنا لهذه الندوة من أننا نتعامل مع واحدة من أهم وأخطر القضايا فى المجتمعات الإسلامية .. تلك هى قضية الإعلام ودوره الحيوى فى تشكيل الرأى العام وتكوين المفاهيم وإرساء القيم الايجابية ومقاومة القيم السلبية وتعديل أنماط السلوك البشرى ووضعها فى الاتجاه الصحيح مكملا ومتمما بذلك دور التعليم والتربية.

وهذه الندوة ليست بادئة من فراغ ولا هى متجهة إلى المجهول .. فهى امتداد وإضافة لجهود بذلت ومازالت تبذل لإرساء قواعد الإعلام الإسلامى وتحديد مساره والنهوض به لكى يحقق دوره فى تنمية المجتمعات الإسلامية والحفاظ على قيمها وربطها فى نفس الوقت بمستجدات العالم المعاصر بما يشهده من تغيرات جذرية وسريعة فى العلوم والتكنولوجيا وفى النظم السياسية والاقتصادية والمفاهيم الاجتماعية والعلاقات الدولية.

لكن ندوتكم هذه تختلف فى الظروف التى تنعقد فيها .. فهى تنعقد فى ظل صحوة إسلامية تسعى لكى تكون هناك شخصية إسلامية متميزة فى شتى المجالات ومنها مجال الإعلام .. تقابل هذه الصحوة مخاطر جمة يتعرض لها العالم الإسلامى من داخله وخارجه .. وهى تنعقد فى ظل التبشير بنظام عالمى جديد توضع أسسه وتقام توازناته وترسم خرائطه .. وهذا النظام العالمى الجديد ليس ترتيبات سياسية وموازنات عسكرية واتفاقات اقتصادية فحسب .. ولكن هذه وتلك هى ترجمة لفكر وعقيدة ورؤية للعالم ولأدوار الدول والقوى والمذاهب المختلفة فيه .. وختاما تأتى هذه الندوة فى ظل تقدم تكنولوچى هائل حول العالم إلى قرية بلا حدود .. قرية يستحيل فيها الانكفاء على الذات.

فى ظل هذه الظروف التى بعضها مُواتٍ والكثير منها معاكس يتعين على الإعلام الإسلامى أن يؤدى دوره ويحقق رسالته فى خدمة قضايا الأمة الإسلامية .. وعلى العاملين به أن يحققوا المعادلة الصعبة .. معادلة الأصالة والمعاصرة .. وأن يعالجوا مايعانى منه الإعلام الإسلامى من أوجه القصور والخلل سواء أكانت نابعة من داخله أو كانت من الظروف المحيطة به محلية كانت أم خارجية.

وهذا كله يكشف ضخامة المسئولية التى نتحملها وقد قررنا أن نلتقى فى هذه الندوة لنناقش الأبحاث المقدمة والتى تتمازج فيها الخبرة العلمية بالتجربة العملية لتصل بالحوار البناء والنقاش الهادف إلى أفكار ومقترحات قابلة للتنفيذ . ولست أريد أن أستبق الأحداث وأقفز إلى النتائج فمازال لدينا الوقت للنظر فى الأبحاث المقدمة وتبادل الرأى حولها.

سيداتى .. سادتى

إن هذه الندوة هى الأولى فى سلسلة ندوات نأمل أن يوفقنا الله لعقدها بالتنسيق مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر وغيره من المؤسسات العلمية والتعليمية والتربوية .. وهى جزء من نشاط مؤسسة اقرأ الخيرية التى تنطلق من مفهوم بسيط يقول إن الفكر الدينى المستنير والفهم الصحيح للدين وانتشار الثقافة الدينية الصحيحة .. كل ذلك هو الأساس فى تمكين مجتمعاتنا من الحفاظ على قيمها الأصيلة مع الأخذ من معطيات ومنجزات المدنية الحديثة بما يناسب ظروف هذه المجتمعات وينهض بها .. وفى تكوين سياج يحمى مجتمعاتنا بصفة عامة وشبابها بصفة خاصة من تيارات التطرف أو الانحراف فى أى اتجاه . ونحن نتوجه بالشكر الجزيل لمن يشاركوننا بفهم وإخلاص ونلتمس العذر لمن يتصورون العمل الخيرى مجرد إقامة مسجد أو مستوصف خيرى أو مشغل للحياكة..

سيداتى .. سادتى

أشكركم شكراً جزيلا .. وأعتذر عن الإطالة .. وأرجو لكم جميعا كل خير وتوفيق..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

البيان الختامى

الحمد لله القائل : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ . والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذى أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

أما بعد ...

فقد عقدت ندوة " الإعلام الإسلامى بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل " بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى جامعة الأزهر فى الفترة من الأحد ٣٠ شوال إلى الثلاثاء ٢ ذى القعدة ١٤١٢ هـ الموافق : ٣ - ٥ مايو ١٩٩٢ م .

وقد نظمت الندوة بالتنسيق بين مؤسسة اقرأ الخيرية بالقاهرة ومركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر .

وقد تفضل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مشكوراً برعاية الندوة وافتتاحها . وحضر جلسة الافتتاح فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ورئيس الندوة وسعادة الشيخ صالح عبد الله كامل رئيس مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية، ومعالى الدكتور محمد عبده يمانى نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية . وتم اختيار الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام مدير مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامى والأستاذ السيد عبد الرءوف عضو مجلس إدارة مؤسسة اقرأ مقررين للندوة.

أهداف الندوة :

١ - استكشاف مفهوم الإعلام الإسلامى ومبادئه وأصوله .

٢ - التعريف بالإعلام الإسلامى فى بداياته الأولى ودوره فى نشر الدعوة الإسلامية .

٣ - التعريف بالأطر التى يعمل من خلالها الإعلام الإسلامى .

٤ - التعرف على واقع الإعلام الإسلامى ودوره والتحديات التى تواجهه .

٥ - وضع تصور للعمل الإعلامى الإسلامى فى المرحلة القادمة .

وحددت محاور الندوة على النحو التالى:

المحور الأول: الإعلام الإسلامى والدعوة

المحور الثانى: الإعلام الإسلامى وتحديات العصر.

المحور الثالث: الإعلام الإسلامى وطموحات المستقبل

المحور الأول: الإعلام الإسلامى والدعوة :

١- الإعلام الإسلامى (الأصول - القواعد - الأهداف)	أ.د/ محيى الدين عبد الحليم- رئيس قسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر
٢- ضوابط الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى	أ. د/ محمد منير صابر حجاب - عميد آداب قنا ورئيس قسم الصحافة - آداب سوهاج - جامعة أسيوط
٣- الرأى العام فى الإسلام	د/ عبدالوهاب كحيل - أستاذ مساعد بقسم الصحافة بآداب سوهاج
٤- الدعوة الإسلامية بين الوجوب والتطوع	أ.د/ عبدالغفار عزيز رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - بكلية أصول الدين- جامعة الأزهر - القاهرة
٥- الرسول الداعية ورجل الإعلام الإسلامى	أ.د/ محمد سيد أحمد المسير أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر- القاهرة
٦- فلسفة الخطاب الإعلامى العربى بين التبرير والتغيير	أ.د/ محمد إبراهيم الفيومى عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية الأسبق
٧- البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى اشكالياته ودوره الوظيفى	د/ محمد عبد الحميد مدرس الصحافة بالجامعات المصرية

المحور الثانى : الإعلام الإسلامى وتحديات العصر

١- الإعلام الإسلامى فى عصر الفضاء	أ. د. محمد عبده يمانى
٢- الإعلام الإسلامى وتكنولوچيا الاتصال	د/ انشراح الشال - استاذ بإعلام القاهرة
٣- الإعلام الإسلامى والتبشير	أ. د/ أحمد سعد الدين البساطى - عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط - جامعة الأزهر- القاهرة
٤- الإعلام الإسلامى فى مواجهة الاستشراق	أ. د/ محمود حمدى زقزوق- عميد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر- القاهرة
٥- نشر الدعوة الإسلامية وتكنولوچيا الاتصال	مهندس نبيل عباس- وكيل وزارة الإعلام ورئيس الإدارة المركزية للتدريب الهندسى باتحاد الإذاعة والتليفزيون
٦- الإطار الشرعى للنشاط الإعلامى	أ. د/ جعفر عبدالسلام - رئيس قسم القانون بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر
٧- مشكلات الصحافة الإسلامية	أ/ فهمى هويدى - الكاتب الإسلامى
٨-الصحافة الإسلامية بين العمومية والتخصص «تجارب من الواقع»	أ/ عبد اللطيف فايد - رئيس القسم الدينى بجريدة الجمهورية

المحور الثالث : الإعلام الإسلامى وطموحات المستقبل

١- الإعلام الإسلامى والنظام العالمى الجديد	أ/ يحيى أبو بكر- الخبير الإعلامى الدولى
٢- تأهيل الكوادر الإعلامية	أ.د/ فوزية فهيم- وكيل وزارة الإعلام- رئيس معهد الإذاعة والتليفزيون سابقاً
٣- الإعلام الإسلامى فى القرن الحادى والعشرين	أ. د/ على عجوة - الأستاذ بكلية الإعلام جامعة القاهرة
٤- الإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية وطموحات المستقبل	أ. عبدالمجيد شكرى - خبير إعلامى أستاذ محاضر فى علوم الاتصال الجماهيرى بجامعتى الزقازيق والأزهر

٥- الدراما .. رؤية إسلامية — د. محمود أحمد حماد المدرس بقسم الصحافة والإعلام - كلية اللغة العربية جامعة الأزهر

٦- التخطيط لإنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية — أ. عبدالمنعم ثابت - مدير عام إنجازات البرامج - اتحاد الإذاعة والتليفزيون

٧- الإعلام الإسلام وزرع القيم فى نفوس الأطفال — أ/ عبدالتواب يوسف

٨- دور الإعلام فى تنمية المجتمعات الإسلامية — أ/ أحمد عبد اللاه - صحفى بالمساء

وعقدت الندوة ٦ جلسات علمية فضلا عن جلسة الافتتاح التى جرت على النحو التالى :

القرآن الكريم .

كلمة الأستاذ الدكتور / جعفر عبد السلام - مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ومقرر الندوة .

كلمة الأستاذ / السيد عبد الرءوف عضو مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية ومقرر الندوة .

كلمة معالى الأستاذ الدكتور / محمد عبده يمانى نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة اقرأ والرئيس الشرفى للندوة .

كلمة الشيخ صالح عبد الله كامل / رئيس مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية .

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ورئيس الندوة .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

وجلسة الختام التى جرت فيها مناقشات عامة وأعلنت توصيات الندوة المرفقة بهذا البيان .

التوصيـــات

- تؤكد الندوة ضرورة توفير الحرية الكاملة لوسائل الإعلام فى الدول الإسلامية على أن يقابل هذه الحرية التزام الإعلاميين بالقيم الإسلامية. كما تدعو إلى التزام أجهزة الإعلام باتاحة الفرصة للرأى والرأى الآخر احتراما لحق الإنسان فى المعرفة .
- تدعو الندوة المفكرين والمثقفين الإسلاميين أن يتبنوا العمل على تثبيت ودعم فكرة استلهام القيم الإسلامية فى مختلف المجالات وإثبات قدرتها على استيعاب مختلف أشكال المعرفة والعلوم الحديثة وقدرتها على تحقيق تنمية وتقدم المجتمع والرقى بأفراده .
- تدعو الندوة إلى التحرك السريع والواعى بأبعاد المرحلة الحالية بكل تحدياتها وخطورتها لمواجهة الخطر القادم من خلال الغزو السافر للبث المباشر بمحطاته الإذاعية (راديو - وتليفزيون) والذى يهدف إلى تشويه عقائد الأمة والتشكيك فى قيمها، وذلك بإنتاج برامج متطورة على مستوى علمى متقدم تواجه البرامج الموجهة إلينا فى إطار خطة منظمة وهادفة لتثقيف الفرد المسلم وتحصينه ضد الثقافات الوافدة والغربية على مجتمعنا الإسلامى .
- تدعو الندوة وزراء الإعلام فى الدول الإسلامية لتبنى مواثيق شرف للإعلام الإسلامى الصادرة عن المؤتمرات والندوات السابقة وتحويلها إلى دساتير ومناهج عمل يلتزم بها العاملون فى قطاعات الإعلام الرسمية .
- كما تدعو المسئولين عن أجهزة الإعلام غير الرسمية لتبنى نفس المواثيق والتعريف بها وتحويلها كذلك إلى دساتير ومناهج عمل للعاملين فى هذه الأجهزة .
- تدعو الندوة إلى العمل على إنتاج مواد وبرامج خاصة للأطفال ذات بعد إسلامى يمكن استخدامها فى مختلف محطات وقنوات الإذاعة والتليفزيون للدول الإسلامية مع مراعاة عمومية الفكرة واستخدام الأفكار والمفردات المشتركة بين الدول الإسلامية .

- تدعو الندوة إلى اعتبار قرار مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون رقم ١١٢ لسنة ١٩٨٨ الخاص بضوابط البرامج والأعمال الدرامية دستور عمل يسترشد به معدو البرامج وكتاب المواد الدرامية كما تدعو إلى التوسع فى التعريف بهذا القرار وما يحويه من توجيهات هامة .
- تدعو الندوة إلى تبنى ميثاق شرف للإعلان فى المؤسسات العاملة فى هذا المجال فى البلاد الإسلامية يكون ملتزما بالقيم والأخلاقيات الإسلامية فى التأليف والتصميم والتنفيذ . وألا تتضمن الإعلانات أية إشارات أو تلميحات مثيرة للغرائز .

- تؤكد الندوة على ضرورة اختيار الوقت المناسب لبث البرامج الدينية وتوفير الإمكانات اللازمة لتنفيذ هذه البرامج بشكل يجعلها قادرة على جذب الجماهير .
- تدعو الندوة العاملين فى مجال البرامج الدينية إلى تغيير مفهوم البرامج الدينية فى الأشكال التقليدية التى تقدم بها، وتقديمها فى صورة جديدة تتناسب ومعطيات العصر .
- تدعو الندوة أقسام وكليات الإعلام فى البلاد الإسلامية إلى دراسة العلوم الإسلامية ضمن دراساتها بحيث يمكن تخريج إعلاميين دارسين لعلوم الإعلام والعلوم الشرعية فى نفس الوقت .
- تدعو الندوة أجهزة الإعلام فى البلاد الإسلامية إلى إتاحة الفرصة لخريجى أقسام وكليات الإعلام الدارسين للعلوم الشرعية للالتحاق بها .
- تدعو الندوة رجال الإعلام للالتزام فى نشر أخبار الجريمة بتحرى الحقيقة وصيانة الأعراض والحفاظ على الصورة العامة للمجتمع المسلم وتوخى الحذر فى نشر تفاصيل وأساليب ارتكاب الجريمة .
- تدعو الندوة وكالات الأنباء فى الدول الإسلامية إلى إقامة تعاون حقيقى يتمثل فى تبادل الخدمات الإعلامية والمصورة والتغطية المشتركة للأحداث فى الدول الإسلامية فى العالم .
- تدعو الندوة أجهزةالإعلام إلى أن تولى تدريب وتأهيل الكوادر الإعلامية العناية الكافية، وأن توضع برامج متنوعة لإعداد هذه الكوادر منذ بداية التحاقها بالعمل لربطها بالتطورات الحديثة فى مجالات أساليب العمل والأداء المهنى والتطورات التنكنولوجية فى مجالات الاتصال المختلفة . وتزويدها بالثقافة الإسلامية التى تمكنها من الاستفاد بتحصيلها العلمى والتدريبى فى خدمة قضايا المجتمعات الإسلامية .
- تدعو الندوة أجهزة الإعلام فى الدول الإسلامية إلى توجيه عناية خاصة بمسلمى جمهوريات آسيا الوسطى فضلا عن الأقليات المسلمة فى الدول المختلفة .

وفى هذا المجال ترى الندوة

أ : الاهتمام بقضايا هذه الأقليات والتعريف بها تعريفاً كافيا لدى أبناء الدول الإسلامية لتهيئة جو متعاطف .

ب : النظر فى توجيه خدمة إذاعية خاصة لتبليغ المفاهيم الإسلامية الصحيحة لهذه البلاد والأقليات .

- تدعو الندوة أجهزة الإعلام بالدول الاسلامية إلى توجيه عناية خاصة لنشر الأخبار والتحقيقات والتحليلات عن الدول الإسلامية لتحقيق تواصل معرفى بين أبناء المسلمين فى دول العالم .

- تدعو الندوة إلى الإفادة من إمكانات القمر الصناعى العربى لتحقيق الترابط بين الدول الإسلامية وخدمة أهداف التنمية الشاملة فيها من خلال البرامج المشتركة وتبادل بث الخدمات الإذاعية والتليفزيونية بين هذه الدول .
- تدعو الندوة إلى الالتزام بالمظهر الإسلامى عند الظهور على شاشة التليفزيون فى الشكل والملبس والأداء .

والله من وراء القصد .. وهو سبحانه الهادى إلى سواء السبيل.

الأبحاث والأوراق الخلفية

المحور الأول
الإعلام الإسلامى والدعوة

١- الإعلام الإسلامى (الأصول - القواعد - الأهداف)	أ.د/ محيى الدين عبد الحليم- رئيس قسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر
٢- ضوابط الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى	أ. د/ محمد منير صابر حجاب - عميد آداب قنا ورئيس قسم الصحافة - آداب سوهاج - جامعة أسيوط
٣- الرأى العام فى الإسلام	د/ عبدالوهاب كحيل - أستاذ مساعد بقسم الصحافة بآداب سوهاج
٤- الدعوة الإسلامية بين الوجوب والتطوع	أ.د/ عبدالغفار عزيز رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - بكلية أصول الدين- جامعة الأزهر - القاهرة
٥- الرسول الداعية ورجل الإعلام الإسلامى	أ.د/ محمد سيد أحمد المسير أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر- القاهرة
٦- فلسفة الخطاب الإعلامى العربى بين التبرير والتغيير	أ.د/ محمد إبراهيم الفيومى عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية الأسبق
٧- البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى اشكالياته ودوره الوظيفى	د/ محمد عبد الحميد مدرس الصحافة بالجامعات المصرية

الإعـــلام الإســـلامى
الأصول والقواعد والأهداف

أ. د. محيى الدين عبدالحليم
أستاذ ورئيس قسم الصحافة والإعلام
جامعـــة الأزهـــر

مقـــــدمة

تشهد الساحة العالمية المعاصرة مجموعة لا بأس بها من الأعمال العلمية والفكرية تناولت الإسلام من مختلف جوانبه، فخرجت إلى النور العديد من الدراسات حول الاقتصاد الإسلامى، والفلسفة الإسلامية وعلم الاجتماع الإسلامى والطب الإسلامى .. إلخ.

ولكن الإعلام الإسلامى على الرغم من بعض المحاولات الجادة التى تناولته فى الآونة الأخيرة إلا أنها لا تزال محاولات متواضعة. وظل هذا الفرع الهام من فروع العلم والمعرفة حقلاً بكراً لم يقترب منه أو تتناوله بحوث جادة ومخلصة حتى الآن إلا القليل النادر.

وذلك على الرغم من الأهمية البالغة لدراسة الإسلام من الزاوية الإعلامية لأنها تكاد تكون أهم الزوايا وأدقها. ذلك أن الإعلام هو - بحق - قوام هذا الدين وقاعدته الصلبة، فهو بمثابة الجسور التى تعبر منها هذه الرسالة الخالدة إلى الناس، ويرجع إليه فضل انتشاره على هذه الرقعة الفسيحة من كوكب الأرض فى المشرق والمغرب، وفى الشمال والجنوب .

ولم لا وقد عرف الإسلام بأنه دين دعوة أو دين إعلامى ، وحين أقول الإعلام فلا أخالنى أبتعد عن معنى الدعوة فى شىء، فالإعلام والدعوة يحملان نفس المعنى على الصعيدين النظرى والعملى.

وإذا كان يحلو للبعض التفريق بينهما حين يعنون بالدعوة نشر الإسلام بالوسائل القديمة ويعنون بالإعلام استخدام وسائل الاتصال الجماهيرى الحديثة فإن هذا يعتبر تجنياً على الدعوة كما هو تجنٍ على الإعلام. فإن الإعلام يعنى تزويد الجماهير بالحقائق مستخدماً فى ذلك الوسائل القديمة والحديثة على السواء بما فى ذلك وسيلة الاتصال الشخصى المباشر، والدعوة تحمل هذا المعنى أيضاً.

بهذا نرى أن الدعوة والإعلام يحملان معنى واحداً والفارق فقط هو فيما تحمله كلمة إعلام من معان تضفى عليها الحداثة، وما تحمله كلمة الدعوة من معان تضفى عليها القدم والعراقة.

وفى تصورى أنه إذا أغفلت الكليات والمعاهد والمراكز التى تأخذ على عاتقها تخريج دعاة الإسلام عن تزويد الدارسين فيها بمعطيات العصر من علوم الإعلام والاتصال بالجماهير فإنها بذلك تكون قد قصرت فى حق دارسيها عن تطويع أساليب العصر الحديثة لخدمة الدعوة الإسلامية، وفى نفس الوقت فإن إغفال كليات وأقسام الإعلام والصحافة والاتصال عن تزويد الدارسين فيها بفنون الدعوة فإنها بذلك تكون كالنعامة التى تدفن رأسها فى الرمال ، لأن الإعلام لن يحدث تأثيره المرجو فى الجماهير المسلمة إلا من خلال عامل الدين، ذلك العامل

الذى يسهم بشكل فعال فى تشكيل اتجاهات الرأى العام فى المجتمعات الإسلامية بصفة عامة وفى المجتمع المصرى بصفة خاصة، وإذا كنا نعمل جاهدين على دراسة اكتشافات المفكرين المحدثين فى حقل الإعلام والاتصال بالجماهير، فإنه يجب أن نشحذ الهمم لدراسة واستكشاف الرؤى الإسلامية للنشاط الإعلامى، ذلك أننا إذا أعطينا هذه الدراسات حقها فإننا سوف نخلص بحقائق تتضاءل إلى جانبها اكتشافات هؤلاء العلماء والخبراء المحدثين وسوف نستطيع وضع نظام إسلامى للنشاط الإعلامى يغنينا عن البحث عن نظم الاتصال الوضعية ويحقق لنا السيادة والسيطرة على وسائلنا وأنماط الاتصال لدينا، كما يحقق لنا الالتزام والارتباط بتراثنا وأصولنا والعمل وفق ما أراده الله لنا.

وهذه الدراسة التى نحن بصددها الآن ماهى إلا محاولة علمية لاستكشاف المنهج الإعلامى للدين الإسلامى، وفلسفة هذا المنهج، والأسس التى يقوم عليها، وأصوله وقواعده وأهدافه كما جاء فى القرآن الكريم وفى سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

بين الدعوة والدعاية والإعلام

إذا كان صحيحاً أن تكنولوجيا الإعلام ونظريات الاتصال وبحوث الرأى العام وغير ذلك من المصطلحات العلمية والمهنية كانت غير معروفة مع بزوغ نور الدعوة الإسلامية ، وفى الصدر الأول للإسلام ، إلا أنه بتطبيق المقاييس العلمية الحالية على مضمون الدعوة الإسلامية وأهدافها وتقنياتها يمكن أن نؤكد أن الإعلام كان ولا يزال وسيظل الدعامة الرئيسية لهذا الدين وأداة انتشاره.

وإذا كان العلماء والخبراء يتفقون على أن الإسلام دين دعوة، فإن الدعوة ماهى إلا نشاط إعلامى بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى معاصر يخاطب العقل ويستند إلى المنطق ويجادل بالحجة ويعمل على الكشف عن الحقيقة.

وإذا استعرضنا التعريف العلمى للإعلام نجد أنه يتطابق مع مفهوم الدعوة بمعناها الأصيل، فالإعلام هو تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة بهدف تكوين رأى عام صائب فى واقعة من الوقائع أو حادثة من الحوادث أو مشكلة من المشكلات، والدعوة تحمل هذا المعنى.

والدعوة بهذا تختلف عن الدعاية بمعناها الحديث على الرغم من أن الأصل اللغوى لكل منهما واحد، ذلك أن الدعاية تخاطب العواطف والمشاعر فى جل نشاطها، وكثيراً ماتستند إلى الخيال وتعمل على فرض وجهة نظرها على الجماهير حتى وإن أخفت وجهة النظر الأخرى وتستغل سلبية الناس وتعمل على تخديرهم ولا تحفل بإيقاظ عقولهم أو إشراكهم فى الأمر، وقد تشوه الحقائق، وليست الدعوة هكذا بل إنها تنأى بنفسها عن أن تنهج هذا النهج. وقد اكتسبت الدعاية هذه المعانى والأوصاف السيئة بعد الحرب العالمية الثانية فشوه أدولف هتلر معناها فى حربه الدعائية ضد الحلفاء على يد وزير دعايته جوبلز، ونحت الدعاية بعد ذلك منحى آخر خرج بها عن معناها الأصيل وأهدافها النبيلة .

مفهوم الإعلام الإسلامى

الإعلام الإسلامى شأنه فى ذلك شأن المفاهيم العلمية الحديثة اختلفت الآراء والاجتهادات حوله الإعلام الإسلامى، حتى أن البعض أنكر هذا المصطلح من أساسه سواء بحسن نية أو سوء طوية وخلصوا بأنه لايوجد مايسمى بإعلام إسلامى.

ولن أستطرد فى سرد التعريفات المختلفة للإعلام والملامح المميزة التى تميز الإعلام الإسلامى بين هذه التعريفات من واقع العناصر التى تشكل هذا المفهوم بصورة تفصيلية.

فلهذه العناصر حين تأخذ البعد الإسلامى فإنها تشكل أساسيات هذا المفهوم، كالقائم بالاتصال والرسالة الإعلامية والوسيلة التى تحملها والهدف من التأثير.

ولا يصبح تعريف الإعلام الإسلامى قاصراً على تناول أى نوع من القضايا لتكوين رأى عام مؤيد أو معارض فقط .

ولكن يصبح الإعلام الإسلامى هو تزويد الجماهير بحقائق الدين الإسلامى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية إسلامية أو وسيلة إعلامية عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها وذلك بغية تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينية ويترجمها إلى واقع فى سلوكه ومعاملاته.

والإعلام الإسلامى بهذا له فلسفة خاصة به وله تقنياته التى قد تختلف عن فلسفة الإعلام الليبرالى الغربى أو فلسفة الإعلام الماركسى أو الإعلام السلطوى الاستبدادى.

وإذا كنا نخصص مواد وبرامج بعينها لنظم ونظريات وأنماط النشاط الإعلامى فى مختلف الفلسفات والأيديولوجيات فى مناهج الدراسة بكليات وأقسام الإعلام، أفلا يستحق الإعلام الإسلامى أن تكون له فلسفة خاصة به ومنهج يسير على منواله وتقنيات وأدوات يوظفها لخدمة أغراضه.

لعل الإعلام الإسلامى يشترك مع الفلسفات والأيديولوجيات الأخرى فى الجوانب الفنية وفى استخدام نفس الوسائل وفى توظيف التكنولوجيا المعاصرة والقوالب الفنية الحديثة فى كثير من الأحوال، ولكن تظل منطلقاته وتوجهاته وتقنياته متميزة سواء اتفقت أو معها النظم والنظريات الأخرى أو اختلفت .

مكانة الإعلام فى الإسلام

حقـــائق وبراهـــــين

لم نعد بحاجة إلى أن نؤكد على المنزلة التى يتبؤها الإعلام فى الدين الإسلامى، ولن نبتعد عن الحقيقة أو نتجاوز المعنى المقصود إذا قلنا إن الإسلام هو دين إعلامى، فالإعلام هو قوام هذا الدين وقاعدته الصلبة، وهو الجسور التى تعبر منها هذه الرسالة إلى الناس ويرجع إليه فضل انتشاره على هذه الرقعة الفسيحة من كوكب الأرض والمسئولية الإعلامية فى الإسلام ماهى إلا عبادة، وهذه المسئولية لاتقل عن سائر العبادات الإسلامية الأخرى ولكى تتضح لنا مكانة الإعلام فى الدين الإسلامى فإننا لن نذهب بعيداً لكى نثبت هذه الحقيقة، ذلك أن هذه المكانة تبرزها المعطيات الإعلامية الحديثة والحقائق الدينية الثابتة.

ويكفى أن نذكر هنا أنه باستعراض آيات القرآن الكريم فإننا لن نجد فيه من الحث على الصيام الذى هو ركن أساسى من أركان الإسلام مثلما نجد من الحث على الدعوة إلى الله والتذكير والعظة والإنذار بسوء العاقبة لمن يقعد عن القيام بهذا الواجب الذى من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

والذى يقرأ القرآن بتدبر يقف حتماً عند الآيات الكثيرة التى تحدثت عن الأنباء والبلاغ والإنذار والتبشير والعلم والتعليم، ويكفى أن نعلم أن الآيات التى اشتملت على كلمة أعلم وعلم وما يشتق منها تجاوزت السبعمائة آية، وقد تكررت بقية الكلمات مرات عديدة.

ومن هذه الآيات على سبيل المثال :

﴿أبلغكم رسالات ربى، وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون﴾[1].

﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾[2].

﴿هذا بلاغ للناس، ولينذروا به، وليعلموا أنما هو إله واحد﴾[3].

والقرآن الكريم هو الرسالة الإعلامية المقدسة، معجزة الإسلام الخالدة، والمصدر الأول للتشريع، وأهم عوامل نجاح الدعوة الإسلامية فهو ينظم للدعاة أساليب الدعوة، أو للإعلام الإسلامى مجالاته وجماهيره .

ولسنا هنا فى معرض ذكر الميادين التى تناولها القرآن الكريم ، ولكن رجال الإعلام الإسلامى سيجدون فيه بغيتهم إذا أرادوا تناول أى أمر من أمور المسلمين، فإذا كانوا يتناولون قضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية فسيجدون هذا الكتاب المقدس قد تعرض لها بصورة أو بأخرى، فيستطيع القائم بالاتصال أن ينهل منه ما يدعم وجهة نظره ، ويعالج مختلف قضايا المجتمع المعاصرة معالجة إسلامية صحيحة لأن القرآن هو الدستور الشامل الجامع المنظم

---

(١) سورة الأعراف : آية (٦٢).

(٢) سورة الجن: آية (٢٨).

(٣) سورة إبراهيم : آية (٥٢).

لشئون المسلمين فى الدنيا والآخرة مصداقا لقول الحق عز وجل فى سورة الأنعام :

﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾[1].

وكذلك فإن الحياة الحافلة التى عاشها رسول الإسلام، والداعى الأول لهذا الدين وحقق فى غضونها منجزات مذهلة فى حقل الدعوة الإسلامية تؤكد مكانة الإعلام فى هذا الدين ولن نكون مبالغين فى القول إذا اعتبرنا أن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم كان إلى جانب القوى الروحية التى اختصه الله بها عبقرياً إعلامياً ، اكتشف أهمية الإعلام ومارس فنونه المختلفة وأعد له الخطط الدقيقة بصورة استلفتت نظر الخبراء والضاربين فى حقل الاتصال بالجماهير.

فقد نهج فى دعوته نهجاً إعلامياً خاصاً، ووضع لهذه الدعوة أصولاً هى بمثابة كنوز لم يكشف النقاب عنها بالقدر الكافى حتى الآن، وفى الحقيقة إن الحياة الإعلامية لصاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه تعوزها جهود الباحثين المخلصين القادرين على عرض الحقائق من خلال البحوث العلمية والمنهجية الموضوعية المتجردة.

ويكفى أن نعرف أن الحق تبارك وتعالى قد كلفه بمهمة إعلامية بالدرجة الأولى، وحدد له هذه المهمة فى كلمات دقيقة واضحة لا تحتمل لبساً أو غموضاً فى العديد من الآيات الكريمة، فقال تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا ﴾[2].

وقد حدد الله عز وجل مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل:

﴿ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[3] .

وتوضح هذه الآيات أن مهمة الرسول تكاد تقتصر على إعلام الناس بالرسالة التى كلفه بها ربه، ثم هو بعد ذلك غير مكلف بشىء أكثر من ذلك، وغير مسئول عن هداية الناس، فهذه الأمور من شئون الخالق سبحانه وتعالى:

﴿ليس عليك هداهم، ولكن الله يهدى من يشاء﴾[4].

﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾[5].

وهكذا يتضح لنا أن المهمة التى حملها الرسول على عاتقه كانت مهمة إعلامية بالدرجة الأولى.

وهذا يؤكد المكانة السامية والأهمية البالغة التى يحتلها الإعلام كأداة رئيسية لنشر دعوة الحق، من خلال المهمة التى كلف الله بها نبيه، ومن خلال الإنجاز الهائل الذى حققه الرسول فى هذا الصدد.

وفى الحقيقة إن الأحاديث النبوية تقوم بدور بارز فى نشر الدعوة الإسلامية، وتتضح أهميتها الإعلامية فى أنها جاءت فى مجملها تأكيداً وتفسيراً للمعانى التى وردت فى القرآن الكريم.

---

(١) سورة الأنعام: آية (٣٨).
(٢) سورة الأحزاب آية (٤٥، ٤٦).
(٣) سورة المائدة : آية (٦٧) .
(٤) سورة البقرة : آية (٢٧٢).
(٥) سورة الرعد: آية (٤٠).

كما تتضح المكانة والقيمة الإعلامية الكبيرة للحديث النبوى فى أنه جاء تبياناً أو تخصيصاً لكثير من آيات القرآن الكريم التى جاءت مطلقة أو عامة.

وتحوى كتب الأحاديث كل ما يسعى المسلم لمعرفته ويرغب فى التزود به ، وهو ما لانستطيع حصره ولا مجال لذكره هنا.

وتتضح لنا مكانة الإعلام فى الدين الإسلامى إذا أدركنا أن المكلف بالدعوة هو كل مسلم ومسلمة، فلا يختص العلماء أو رجال الدين وحدهم بهذا الدور، لأنه واجب على الجميع، أما العلماء فيختصون بتبليغ تفاصيل الدين وأحكامه ومعانيه لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته، ومعنى ذلك أنه من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله، فإذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا عن وجود نقص أو خلل فى إيمانه.

﴿الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾[1].

ذلك أنه إذا كانت معرفة أصول الإسلام ومبادئه تعد حقاً ثابتاً للبشرية جمعاء، فإن هذا الحق يجب أن يقتسمه ويشارك فيه الناس جميعهم على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم، وانطلاقاً من هذه الحقيقة فقد وعد الله كل من يعمل على نشر وتعميم المعرفة الإسلامية بالثواب، وكل من يقصر فيها بالجزاء والعقاب[2].

فلا أهمية للمبادئ والقيم إذا لم تأخذ فرصتها للنشر والإذاعة، لأنها لا تعدو أن تكون حينئذ آثاراً محنطة وأفكاراً مهملة لا ينتفع الناس بها، ولا يكشفون عن جوهرها، ولا يستفيدون فى سلوكهم من النماذج التى تهديهم إليها، ولذلك كان نشر الإسلام والتبصير به لباً من لباب الدعوة وجزءاً هاماً من أجزائها ، وعاملاً أساسياً للكشف عن جوهرها.

فلم يكن التبشير أو الإعلام بالإسلام وقفاً على رسول الله وحده، بل تعداه إلى أمته، ووصل التكليف به حدّ الوجوب، بل وصل الأمر أن جعل الله الأمة آثمة إذا تراجعت عن حمل أمانة الدعوة وإبلاغها للعالم كله.

وفى الحقيقة أن المهمة الإعلامية هى السمة التى ميز الله بها أمة الإسلام على سائر الأمم الأخرى وذلك انطلاقاً من قوله عز وجل فى سورة آل عمران:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[3].

ولن يتأتى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا حينما يأخذ كل مسلم على عاتقه أداء المهمة الإعلامية التى كلفه بها ربه والتى فضل الله الذين يتصدون لها، وجزاهم وقربهم إليه عمن سواهم، وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى فى سورة فصلت:

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾[4].

---

(١) سورة الحج: آية (٤١).

(2) ALLahbukhshik. Brohi. Universal Islamic Declartion in Islam and Contemporary Society. London d Longman group Limited. 1982.P253.P

(٣) سورة آل عمران: آية (١١٠).

(٤) سورة فصلت: آية (٣٣).

ومما يبرز مكانة الإعلام فى الدين الإسلامى أن الحق تبارك وتعالى قد حذر من مغبة التقصير والتقاعس عن الاضطلاع بالمسئولية الإعلامية الإسلامية.

وتؤكد الحقائق القرآنية والممارسات الإعلامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن التقصير فى الدعوة إلى الله، وبعبارة أخرى التقصير فى تحمل المسئولية الإعلامية الإسلامية يعنى عدم الامتثال لأوامر الله تبارك وتعالى، وهذا ينذر بغضب من الله عز وجل وبسوء العاقبة وفى ذلك يقول عز وجل :

﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾.

وإذا كان على كل مسلم أن يدعو فى حدود ما يعرف وبقدر ما تسمح له بذلك قدراته ومعارفه فإن عليه أن يوسع ويعمق دائرة معارفه بكافة السبل الممكنة حتى لا يقع فى منزلق التصدى لقول الباطل بحسن نية وبذلك يضلل الناس بدلاً من أن يهديهم.

وكذلك فإنه من الحقائق الثابتة التى تؤكد مكانة الإعلام وأهميته فى الدين الإسلامى ما تضمنه القرآن الكريم من تكريم للعلماء ووضعهم فى منزلة رفيعة لا لأنهم يختزنون العلم فى صدورهم ولكن لأنهم ورثة الأنبياء فى الدعوة إلى دين الله وهداية الجماهير إلى طريق الحق والخير، فهم بمثابة شموع تضىء الطريق لأقوامهم وهم الأكثر علماً والأوسع أفقاً والأرحب فكراً والأقرب إلى الله، وفى ذلك يقول الحق جل وعلا فى سورة فاطر:

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1].

وجعل طلب العلم فريضة على كل المسلمين ليكونوا كما أراد الله لهم.

وتتأكد لنا أيضاً مكانة الإعلام فى الدين الإسلامى إذا أدركنا أن النبى قد استثمر وسائل الاتصال الموجودة وأضاف وسائل جديدة إليها فقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم بفطرته وثاقب نظره أهمية الاستفادة بوسائل الإعلام المتاحة آنذاك بين عرب الجزيرة، ولم يسقط هذه الوسائل من حسابه ، ولكنه قام بتعديل مسارها وتطوير أهدافها لخدمة الإسلام بعد أن كانت تتوجه لبث الخلافات وإثارة القلاقل وإشعال الفتن وتعميق الشرور المنتشرة فى الجاهلية، ومن أبرز هذه الوسائل القصيدة الشعرية، والخطابة، والمناواة، والأسواق.

أما الوسائل التى أضافها ولعبت دوراً بارزاً فى الإعلام بحقائق هذا الدين فمن أبرزها خطبة الجمعة ، ودروس الوعظ والإرشاد، والأذان وإقامة الصلاة، والمكتبة الإسلامية، والقدوة الحسنة وتتضاعف مكانة الإعلام فى الدين الإسلامى بعد أن حملت لنا الاكتشافات الحديثة والبحوث

---

(١) سورة فاطر: آية (٢٨).

المعاصرة معطيات تقنية ووسائل ألكترونية وإمكانات إعلامية لم تتح للأجيال التى سبقتنا، وهذه الفنون والطرق الحديثة تمكن لرسالة الإسلام من الانتشار والوصول إلى كل أرجاء هذا الكوكب بسهولة وسرعة دون عناء أو مشقة لتعريف شعوب الأرض جميعها بالإسلام وتصحيح صورته لديهم وبعد ذلك:

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[1].

فالوسائل السمعية والبصرية والأقمار الصناعية وأجهزة الاتصال الألكترونية الحديثة يسرت ذلك، ومكنت للتدفق الإعلامى من أن ينساب بتلقائية ويسر إلى أى مكان فى العالم، حتى أن مايدور فى أقصى الشرق أصبح يسمعه ويراه القاطنون فى أقصى الغرب فى نفس اللحظة.

وليس للمسلمين بعد ذلك عذر إذا قصروا فى حمل أمانة الدعوة، وتقاعسوا عن مسئولية البلاغ التى كلفهم الله باه لأنها فرض عين سيحاسبون إذا تقاعسوا عن أدائه كما يجب، وذلك فى مختلف مجالات الحياة التى يمارسون فيها نشاطهم وتحركهم وعملهم .

وهكذا نرى أن الدعوة أو -الإعلام عن الإسلام - ليست من نافلة القول ، وإنما هى أساس من أسس الرسالة وركن رئيسى من أركانها، وهى القطب الأعظم فى الدين والمهمة التى بعث بها الله نبى هذه الأمة وخاتم الرسل، ولولاها لذهب مقصود الرسالة وضاع هدف البعثة وفشا الفساد وعم الضلال ومنع الهدى والخير[2] .

لهذا جاء وجوب الدعوة أو البلاغ أو الإعلام أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والواجب هو ما أوجبه الله على عباده، وعليه انعقد الإجماع. ويصبح على المسلمين بعد ذلك حكومات وهيئات وأفرادا ألا يفرطوا فى دعوة الحق ، وألا يتقاعسوا عن تحمل هذه المسئولية الإعلامية والاضطلاع بهذه الأمانة حتى لا يفقدوا منزلتهم عند خالقهم وبالتالى فإنه يجب عليهم الاهتمام بالعمل الإعلامى وتعميمه كما يصبح كل مسلم ملزما بتقويم كل خطأ يقابله، وتصحيح أى اعوجاج يواجهه[3].

---

(١) سورة الكهف : آية (٢٩).

(٢) توفيق يوسف الواعى: الدعوة إلى الله. الكويت . مكتبة الفلاح ١٩٨٧٠ - ص ٤٧.

(٣) محيى الدين عبدالحليم : الدعوة الإسلامية والإعلام الدولى - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٨٩ ص ٢١.

غياب استراتيجية إعلامية إسلامية دولية

تدل الشواهد والدراسات الإحصائية على ازدهار أجهزة الاتصال الدولية التى تدعو إلى الرذيلة، وتحمل دعاوى الشر، وتثير العنصرية وتشعل الأحقاد بين الأمم والشعوب، وتسهم فى تدمير العلاقات بين الإنسان بفعل ماتزرعه من بذور الفتن وما تبثه من الحقد والكراهية منطلقة فى ذلك من مفاهيم وعقائد ومذاهب منحرفة، مستهدفة من وراء ذلك تحقيق مصالح اقتصادية أو مكاسب سياسية. معتمدة على ما تملكه من أجهزة حديثة ووسائل الكترونية وتكنولوجيا متقدمة، وما تضعه من خطط علمية، مستثمرة فى ذلك أحدث معطيات العصر فى علوم الاتصال وفنونه للسيطرة على الرأى العام وغسل الأدمغة وتكوين الاتجاهات المتوافقة مع فكرها وأيديولوجياتها مستندة فى ذلك إلى انعدام العدالة فى ملكية مصادر المعلومات وفقدان السيطرة عليها وعدم التوازن فى توزيعها مما يؤدى إلى نقص المعلومات اللازمة عن الإسلام والمسلمين، أو تقديمها مبتورة أو مشوهة لتحقيق الأغراض التى تستهدفها أجهزة الاتصال المعادية التى تمارس نشاطها الدعائى منتهجة الأساليب غير الأخلاقية المعروفة فى هذا الصدد كالكذب والمبالغة والتجاهل المتعمد للحقائق، وتقديم الرأى على أنه حقيقة.

وفى ضوء هذا المناخ المفتقد للعدالة فى نظم الاتصال العالمية فإن خطط الإعلام الدولى التى تحمل رسالة الحق والعدل بين البشر وتتوجه إلى الفكر الواعى فى الإنسان، وتنشر السلام والمحبة بين الناس تنزوى وتتوارى مفتقدة الاستراتيجية العلمية والأسس المنهجية والإمكانات المادية والوسائل التقنية الحديثة والكوادر البشرية المؤهلة والمخلصة والقادرة على حمل دعوة الخير ونشرها فى مشارق الأرض ومغاربها، وإبلاغ الإنسان فى كل مكان بتلك الرسالة الخالدة التى حملها إليهم رسل الله جميعاً دون تشويه أو تدليس أو مبالغة، متوجهة لكل من يريد أن يتزود بالمعلومات الصحيحة عن هذا الدين ذلك أن مهمة دعاة الإسلام ليست اغتصاب العقول أو تشويه الحقائق أو المبالغة فى القول اقتداء بالداعى الأول الذى نزهه الله وحذره قائلاً: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين)[1]. وتكشف هذه الحقائق عن أهمية بذل الجهود الجادة والمخلصة لوضع نظام دولى للإعلام الإسلامى يأخذ فى اعتباره دائماً الاستفادة من كل معطيات العصر واستثمار متغيرات الحياة الحديثة، ويقوم فى منهجه على قواعد علمية سليمة، ويعتمد فى ممارساته على الطاقات البشرية المؤمنة والجادة والقادرة على استخدام الوسائل والأدوات المناسبة فى الوقت المناسب للشرائح الجماهيرية التى تتوافق معها.

---

(١) سورة الحاقة: الآيات (٤٤، ٤٥، ٤٦).

وقد دلت الأبحاث العلمية أن لكل وسيلة اتصال مقدرة معينة على الإقناع تزيد أو تقل عن غيرها من الوسائل الأخرى، وأن الإمكانات الفعلية لمختلف الوسائل الإعلامية تختلف بشكل واضح حسب الموضوع والظرف الاتصالي والجمهور الذى تتوجه إليه.

وفى الحقيقة أنه إذا تم وضع خطة علمية سليمة، وتم إعداد حملات إعلامية متكاملة الأبعاد ومتناسقة التخطيط تستهدف عقل الإنسان فى أى منطقة من العالم فإن استراتيجية الدعوة والإعلام الإسلامى سوف تتمكن من خلق رأى عام عالمى مناصر للإسلام ومؤيد له، كما ستتمكن من تحييد العناصر التى تناصبه العداء.

وهذه العملية فى حاجة إلى إعادة نظر فى كل ما يكتب أو يذاع عن الإسلام، وإعداد الردود المناسبة لتوضيح الحقائق أو تصحيحها.

كما أنها فى حاجة إلى ترجمة الإصدارات المتميزة من المطبوعات المختلفة والبرامج والفقرات الصحيحة التى تتناول الإسلام بصورة موضوعية وأمينة وإعداد الأعمال الجيدة لتكون جاهزة لكل الناس فى كل مكان بمختلف اللغات لأن كثيراً من الناس لا يعرفون عن الإسلام سوى محمد، ولا يعرفون عن القرآن شيئاً ولا عن النظام الإسلامى سوى معلومات محدودة أو مشوهة أو غير صحيحة.

ولتحقيق هذه الأهداف لابد من التوسع فى إقامة أجهزة دولية قوية للإعلام والدعوة الإسلامية تأخذ على عاتقها وضع الخطط العلمية، وإعداد البرامج، وتهيئة المناخ الصحى لتنفيذها ومتابعتها فى مختلف المراحل لجذب اهتمام الجمهور وكسب تأييده والحصول على تعاطف الرأى العام وإنشاء جسور من الثقة والتعاون المتبادل مع مختلف المؤسسات والقوى الضاغطة فى مختلف المجتمعات وبين مختلف الأمم والشعوب.

لا سيما أن كافة الظروف الدولية مهيأة الآن لتمكين هذه الأجهزة وإعطائها الفرصة لممارسة دورها بنجاح وفاعلية.

وفى الحقيقة إن الإعلام الدولى الإسلامى يتحمل مسئولية كبرى فى حقل الدعوة وذلك من خلال الاضطلاع بالمهام الآتية :

١- مواجهة الحملات الإعلامية المضادة للإسلام.

٢- تصحيح صورة الإسلام فى أذهان العالم.

٣- جمع شمل الأقليات المسلمة فى خارج ديار الإسلام وتوحيد صفوفهم وتصفية الخلافات بينهم.

٤- تأهيل كوادر من القيادات المسلمة فى الخارج وتكليفهم بمهمة الدعوة بين غير المسلمين.

٥- تصحيح الأخطاء وتقويم السلوك الذى قد يصدر عن بعض المسلمين ممن يسيئون إلى الإسلام فى الخارج سواء عن جهل أو عن علم.

٦- تزويد الرأى العام العالمى بالرؤية الإسلامية للقضايا المعاصرة.

٧- تعريف العالم بموقف الإسلام من العقائد والأديان والمذاهب الأخرى.

٨- تقديم البديل الإسلامى للقضايا المعاصرة التى استعصت على الحل فى المجتمعات المتقدمة.

٩- خلق جسور من التعاون مع أجهزة الإعلام والدعاية والتربية والتعليم وقادة الفكر فى دول العالم المتقدم.

١٠- إرساء نظام إسلامى قوى للاتصال الدولى.

١١- إقامة مراكز للدعوة الإسلامية فى الخارج تقوم بمهمة الإعلام عن الإسلام بمختلف الطرق والأساليب المتاحة.

الإسلام والإعلام الدولى

الإسلام هو الدعوة العالمية الكبرى التى بعث الله بها محمداً لتكون نظام الإنسانية الكامل فى حياتها الروحية والمادية فى كل زمان وكل مكان، وهذه مسألة بديهية وضرورة فطرية لازمة للدعوة لزوم الماء والهواء لكل كائن حى، بل إن هذه الحقيقة واضحة كالشمس لا تحتاج إلى دليل أو برهان ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

وتؤكد الحقائق الموضوعية صحة هذا الكلام بعد ما أخفقت كافة النظم الأخرى فى إسعاد الإنسان ، أو تحقيق الحد الأدنى من الراحة النفسية والسلام الاجتماعى له.

وبالتالى فإن دعوة الإسلام لا تقتصر على صنف من الناس دون غيرهم أو قطاع معين من الجماهير دون سواهم، ولكنها دعوة عالمية موجهة إلى الناس كافة، فليست خاصة بجنس دون آخر أو طبقة دون أخرى ، ولم تنفرد بها جماعة أو شعب معين أياً كانت انتماءاتهم العرقية أو المذهبية أو الدينية أو السياسية أو الاقتصادية ، فهى لكل الأمم ، ولكل الشعوب مهما اختلفت ألوانهم ومشاربهم، فالإنسان حيث يوجد وكيفما يكون يجب أن تصله دعوة الإسلام.

وبهذا تصبح خطط الإعلام الإسلامى مطالبة بأن تضع فى اعتبارها التوجه إلى كل الشرائح الجماهيرية وكل فئات الرأى العام فى العالم كله، كما هى مطالبة بأن تتعامل مع كل فئة بما يلائمها ويتفق مع اتجاهاتها ومدى قربها أو بعدها عن العقيدة الإسلامية ، ثم تختار الوسيلة الفعالة، وتعد الرسالة الملائمة لكل صنف من الناس.

وهكذا نرى أن من أبرز العلامات المضيئة فى دعوة الإسلام، ومن أهم السمات التى تميزها عن غيرها من الدعوات هو الطابع العالمى، فهى تتسع لتخاطب الرأى العام فى كل زمان وكل مكان.

ويرفض الإسلام رفضاً باتاً أن يكون للعرق ، أو اللون، أو القوة أو الثروة أى رجحان فى موازين الكرامة الإنسانية لأن المحور الذى دار عليه الإسلام هو التوحيد فى العبادة والتشريع والوجهة والولاء[1].

وحين جاءت دعوة الإسلام فإنها حملت إلى الناس.. كل الناس، وأصبح النداء ﴿ياأيها الناس.. ياأيها الإنسان﴾، حيث أمر الله رسوله بمخاطبة جميع البشر على اختلاف مجتمعاتهم وأجناسهم

(١) محمد الغزالى: الدعوة الإسلامية تستقبل عامها الخامس عشر . بيروت . ذات السلاسل ١٩٨٠.

وأصنافهم وألوانهم ومكانتهم الاجتماعية أو المادية ، وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً﴾[٢].

وفى الإسلام نقاط التقاء وجوانب اتفاق كثيرة مع الإنسان مهما كانت العقيدة التى يؤمن بها أو المذهب الذى يعتنقه، وهذا يشكل أساساً صالحاً لحوار متبادل وتفاهم مشترك بين المسلمين وغيرهم، وتكمن هذه الجوانب والنقاط فيما يلى:

أولاً: الأخوة الإنسانية :

تقوم دعوة الإسلام على مبدأ أساسى قوامه الأخوة بين بنى البشر فالجميع تجمعهم الوحدة الإنسانية.

والإسلام بهذا هو الدعوة العالمية التى بعث الله بها محمداً لتكون نظام الإنسانية الكامل فى حياتها الروحية والمادية، كما وضع أصولاً دائمة لإصلاح جميع نواحى النشاط الإنسانى، ولم يضع للمعرفة الإنسانية حداً.

وقد قرر الإسلام أن يعامل الناس جميعاً على قدم المساواة بدون التفرقة بين صعلوك وأمير، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين غنى وفقير، ولا بين محبوب ومكروه، ولا بين قريب وبعيد ، فالعدالة الإسلامية لها ميزان واحد وهنا يجد غير المسلمين فى دعوة الإسلام، ما يحقق أغراضهم ، ويلبى احتياجاتهم ويحقق طموحاتهم فى حياة حرة كريمة تسودها المحبة والمساواة بين بنى الإنسان .

ثانياً: احترام الإنسان من حيث هو إنسان :

ركز الإسلام على احترام الإنسان وتكريمه مهما كان أصله أو لونه رجلاً كان أو امرأة مسلماً أو غير مسلم أبيض أو أسود.

وقد دل تاريخ المسلمين على أن تشريعهم يسمح لغير المسلم أى يقاضى أرفع إنسان من المسلمين وينتصف منه، وقد نشأ المسلمون نشأتهم الأولى والدين أقوى حاكم على شعورهم، ولما انتشر العلم فيهم ، ونبغ منهم المؤلفون والباحثون ، لم تصب هذه النزعة فيهم أدنى انحراف بل زادوها رونقاً بما قاموا به من حماية الملل الأخرى ومكافأتهم[٢].

وهكذا فإن الإسلام حرص كل الحرص على احترام الإنسان والحفاظ على حقوقه ودرء الخطر عنه لا لشىء إلا لكونه إنساناً كرمه الله ورفع قدره على سائر المخلوقات.

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٥٨.

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة: روح الدين الإسلامى ،ط١٦ – بيروت – دار العلم للملايين – ١٩٧٧ ص ٢٨٥.

وهذه هى أهم الإيجابيات التى تسمح بلغة مشتركة ، وتشكل ركيزة أساسية للالتقاء بين الدعوة الإسلامية والجنس البشرى كله حتى وإن كانوا ملاحدة أو مشركين.

﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾[1].

ثالثاً: الإسلام امتداد لكل الأديان واحتواء لها:

تؤكد كل الحقائق والشواهد العلمية أن الإسلام هو الدين المكمل لكل الديانات التى سبقته والمرتبط بدين إبراهيم، وإبراهيم هو أبو الأنبياء.

والعقيدة الإسلامية تؤكد على الإيمان بكل الرسل الذين بعث بهم الله لا تفرق بينهم، ولذلك طلب الله الإيمان بجميع الرسل وبما أنزل إليهم.

﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم، وأولئك هم المفلحون﴾[2].

بل ويعتبر الإسلام أن الإيمان ببعض الرسل دون البعض الآخر خروج عن دين الله وهديه.

ثم بين القرآن منهاج الدعوة إلى وجوب الوحدة الجامعة فى العقيدة والدين

﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾[3].

وفي هذا يقول كارل بروكلمان Brockelman إن الله حمل أمانة الرسالة إلى هذا النبى الخاتم ليبلغها إلى البشرية جمعاء، وقد استشعر محمد هذه المسئولية وحمل هذا النداء وبلغه لكل الناس[4].

---

(١) سورة التوبة: آية (٦).

(٢) سورة البقرة: آية (٤ – ٥).

(٣) سورة آل عمران: آية (٦٤).

(4) Brockelman, Carl. History of the Islamic People. London. Henley Lowe and Brydone Printes Ltd . 1980.P37

الإعلام الإسلامى بين الخطط العلمية والداعية الحصيف

يعد توافر الكوادر المتميزة والمهارات المتمكنة من رجال الإعلام ودعاة الإسلام من أهم العوامل التى تكفل النجاح لخطط الدعوة الإسلامية ، فهم الركيزة الرئيسية لهذه الخطط وجنود الدعوة المجاهدون بالكلمة، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وفى غياب عناصر مؤمنة برسالتها، متفهمة لطبيعة عملها، مسيطرة على الوسائل والأدوات، عارفة بلغة الحوار والنقاش مع الجماهير، يتوافر لها من الذكاء والحذق والحنكة، لديها الخلفية الثقافية ، والمقدرة العلمية، والموهبة الفطرية، والدراسة الإعلامية الشاملة المتعمقة، والملكات الضرورية اللازمة لطبيعة هذا العمل كالصبر والموضوعية والتواضع.

أقول فى غيبة دعاة وإعلاميين تتوافر فيهم هذه الصفات سالفة الذكر. فإن خطط الدعوة الإسلامية لن يكتب لها النجاح حتى لو توافرت لها الوسائل الفنية والإمكانات المادية، وحتى لو كانت الرسالة تعالج قضايا حيوية وجذابة تشغل اهتمام هذه الجماهير وتعالج قضاياهم ، وتتناول موضوعات على درجة كبيرة من الأهمية[1].

وإذا كانت أجهزة الإعلام العامة تضع شروطاً صعبة ومواصفات دقيقة للكوادر اللازمة لها، فإن الدعاة ورجال الإعلام الإسلامى لابد أن يتصفوا بمواصفات أخرى جوهرية يتفردون بها فهم المثل الأعلى وهم أصحاب رسالة لايضيرهم الفناء من أجلها دون مأرب يستهويهم أو عائد دنيوى يغريهم.

إن رجل الإعلام الإسلامى يجب أن يكون على مستوى المسئولية التى يتصدى لها، فعليه أن يعرف كيف يقرأ أو يسمع ويشاهد ما يدور حوله بعين ناقدة، وفكر نافذ حتى يستطيع أن يؤدى دوره بكفاءة وفاعلية، ويجب أن يكتشف الطريقة الصحيحة للتعبير عن الفكرة التى لديه، والتى يستطيع أن يؤثر عن طريقها فى أكبر عدد ممكن من الناس، والإعلام الناجح يشعر مستقبل الرسالة أن رجل الإعلام أو الداعية يتحدث إليه حديثاً شخصياً خاصاً، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان قادراً على فهم عقلية جمهوره قريباً منهم.

وتأسيساً على ذلك فإن الداعية المسلم أو رجل الإعلام الحصيف يجب أن يركز اهتمامه فى نقطتين أساسيتين هما[2].

---

(١) محيى الدين عبد الحليم : الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية. القاهرة مكتبة الخانجى ١٩٨٤٠. ص ١٧٤.

(2) Emery, Edwin, Ault Philip and Agee Warren . Introduction to mass Communication 3 rded Newyork. Dodd Medd and Company. P6.

[١] أن يعرف ماذا يريد بعملية الاتصال.

[٢] أن يعرف كيف يوجه رسالته بما يمنحها أكبر قوة تأثير ممكنة فى عقلية الجماهير ونفوسهم.

وهذا يتطلب تأهيلاً علمياً وعملياً صحيحاً وجاداً يمكنهم من الأداء الفعال والتأثير القوى دون الخوض إلا فيما هم به أدرى وأعلم وذلك تأكيداً لقوله تعالى:

﴿ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[١].

والرسالة التى تتضمن مضموناً ضعيفاً والتى تخاطب ملايين الناس بأسلوب ضعيف، سوف يكون أثرها أقل بكثير من الرسالة المعدة إعداداً جيداً والتى تخاطب عدداً قليلاً من الناس.

ومن هنا فإن على رجل الإعلام الإسلامى أن يفهم دوره فهماً جيداً، وأن يعرف طبيعة الوسيلة التى يستخدمها فى نقل فكرته للجمهور، ويدرس الاهتمامات المتغيرة للناس، والمستويات المختلفة للجماعات التى تشكل جمهور المستقبلين لرسالته بوجه عام، ثم يقوم بتكييف هذه الرسالة حسب متطلبات كل وسيلة من الوسائل التى يستخدمها ، ثم يراعى القدرات المختلفة للجماهير التى يحاول الوصول إليها، وأن يستوعب كل شىء عن المشاكل والقضايا المطروحة فى مختلف مجالات الحياة.

ويأتى القائم بالاتصال المتمثل هنا فى رجال الإعلام أو دعاة الإسلام فى مقدمة العناصر التى يتوقف عليها نجاح الرسالة الإعلامية، فإذا كان المضمون قوياً، وإذا كانت وسيلة الإعلام المستخدمة تتمتع بفاعلية كبيرة فى قوة تأثيرها ، ثم تفتقد الخطط الإعلامية إلى دعاة أو إعلاميين على المستوى المطلوب فى نقل الرسالة وقدرة على إحداث الأثر المطلوب لدى الجمهور فإن هذا سيقضى حتماً على كل احتمالات نجاح العمل الإعلامى حتى لو كان الموضوع يعالج جوانب هامة ويتناول قضايا حيوية.

وعلى من يتصدون للدعوة والإعلام عن الإسلام بصفة خاصة أن يعرفوا ما وراء الألفاظ وأسرار الرموز التى تحمل مختلف المعانى حتى يتمكنوا من توجيه هذه الرموز وتوظيفها التوظيف الأمثل لتحقيق الأغراض المستهدفة، ومواجهة آثارها المحتملة لأن هذه الرموز لا تستخدم فقط للشرح والتوضيح، بل قد تستخدم للخداع والإثارة والتعمية والتضليل وإثارة الغرائز وإحداث الصراع والخصومات والحض على القتال، كما أنها قد لا تستخدم فى خلق روح التعاون والمحبة والسلام كما هو الحال فى الكلمات والعبارات التى حملت رسالات السماء[٢].

---

(١) سورة الإسراء: آية (٣٦).

(2) Alan H. Monroe and Doglas: Principles of Speech Sixth ed. U.S.A. Scott Forseman and Company . 1969. P37

ومن أهم الصفات التى يجب أن يختص بها الدعاة ورجال الإعلام الإسلامى الاحترام والأمانة والصدق والتجرد والموضوعية والفهم الدقيق للرسالة، والوسيلة، والجماهير التى يتوجهون إليها، وأن يكونوا متخصصين فى مادتهم بالعلم والتجربة، ذلك أنه مهما تكن عظمة الفكرة أو قدسيتها فإن رجال الإعلام لهم الأهمية الكبرى فى توصيلها والإقناع بها[1].

وبالتال فإنه على الدعاة ورجال الإعلام الإسلامى الالتزام الكامل بالمنهج الإسلامى فكرا وقولاً وسلوكاً، ذلك أن أخلاق الداعية يجب أن تأتى فى مقدمة العوامل اللازمة لنجاح خطط الدعوة فلابد أن يكون الداعية قدوة حسنة فى العقيدة والعبادة والمعاملة، صادقاً فى رغبته مستغفراً لمن لايستجيب له، متخلقاً بأخلاق الرسول يأكد هذا المنهج فى قوله صلوات الله وسلامه عليه :

«اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون».

وأن يكون قلبه مفعما بالحب وتمنى الخير والهداية للجميع ، وألا يسىء الظن بأحد ظلماً وشكاً وأن يتجنب الإثارة والإهاجة وأن يعالج قضاياه فى هدوء واتزان وروية، وألا يدعو إلى القنوط ويبتعد عن العنف والمشقة امتثالاً لقول الله تعالى:

﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾[2].

وبالتالى فإن اختيار رجال الإعلام يجب ألا يتم قبل اجتيازهم عدة اختبارات عملية وعلمية وشخصية حيث أن وظيفتهم من الأهمية والخطورة لأنها تترك أثراً طيباً على الفكرة التى يدعون إليها والجهة التى يمثلونها حتى لايؤدى ذلك إلى خسارة معنوية ومادية كبيرة ينتج عنها فقدان هذه الفكرة أو الرسالة فاعليتها بعد أن يكون قد تم الإنفاق عليها كثيراً[3].

وإذا كانت العناصر التى تعادى الدعوة الإسلامية تحرص على تملك وسائل الاتصال ، والسيطرة على الأجهزة التى تنفذ الخطط المعادية للإسلام ، فإن أجهزة الإعلام والدعوة الإسلامية إذا لم تباشر العمل والإدارة والتخطيط من خلال كوادر على المستوى العلمى والخلقى الرفيع فإن المردود سوف يكون سلبياً، ولن تستطيع رسالة الإعلام والدعوة مواجهة القوى المعادية.

وإذا كانت النظم الإسلامية تدقق كثيراً فى اختيار الكوادر اللازمة فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، فإن الفحص والتدقيق يجب أن يكون مضاعفاً فى اختيار الكوادر الإعلامية وتأهيلها التأهيل العلمى والعملى الذى يتفق مع خطورة دورهم ودقة مهامهم وحساسية أوضاعهم وقوة تأثيرهم، فهؤلاء هم الأمة الذين قال الله فيهم:

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[4].

---

(١) محمد عبد القادر حاتم الإعلام والدعاية – نظريات وتجارب القاهرة – مكتبة الأنجلو ١٩٧٢، ص ١٠٢.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(3) Brown Charles: Informing the Peaple . Newyork. Pennsylvania. State university. 1957.P22

(٤) سورة آل عمران : آية (١٠٤).

إن الدعاة إلى الله هم ممثلو الرسل وورثة الأنبياء، والمعلوم أن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا الحكمة والعلم، وهم سفراء الأمة إلى الناس يحملون أمانتها ويبلغون رسالتها، والناس لهم تبع، فلابد أن يكونوا مؤمنين بالدعوة، لأن الإيمان هو الدافع المحرك للقوى الكامنة فى نفس الإنسان.

الإعلام الإسلامى بين الاتصال الجماهيرى والاتصال المواجهى

إذا كانت وسائل الاتصال الجماهيرى الحديثة قد حققت تقدماً هائلاً واستطاعت توظيف تكنولوجيا الاتصال لغزو العالم وإثراء الحياة المعاصرة مما لفت أنظار الهيئات والحكومات لاستثمارها والاستفادة من الإمكانات المتوافرة لديها فوضعوها فى بؤرة اهتماماتهم وخصصوا لها أماكن بارزة فى أجهزتهم وأنظمتهم وخصصوا لها مراكز ومعاهد ومقاعد فى وزاراتهم ومصالحهم ليتمكنوا من السيطرة على فكر الجماهير وعقولهم والتحكم فى آرائهم وزرع الاتجاهات العقلية التى تستهدف نظمهم وعقائدهم.

إلا أن الدراسات العلمية أثبتت أن هذه الوسائل لاتستطيع وحدها أن تحقق التأثير المستهدف بتعديل الاتجاهات وتوجيه السلوك وتشكيل الآراء والرؤى المغايرة لأن الراديو والتليفزيون والمطبوعات تضطلع أساساً بمهمة البلاغ أو الإعلام.

أما التغيير وتبنى الأفكار الجديدة فهو فى حاجة إلى استراتيجية علمية خاصة وإن كانت تبدأ بالاتصال الجماهيرى كمرحلة أولى من مراحل الخطة الإعلامية، ولكنها لا تسقط من حسابها الاتصال المواجهى المباشر كعامل أساسى لتكوين الاتجاهات وزرع الأفكار وبث المفاهيم التى يشتمل عليها أى مذهب أو دين.

وينطبق هذا على الدعوة الإسلامية حيث يجب أن تقوم استراتيجيتها الإعلامية على مراحل تحقق كل مرحلة منها الأغراض التى وضعت من أجلها وذلك على النحو التالى:

المرحلة الأولى:

تقوم أساساً على دراسة واستكشاف طبيعة المجتمع الذى ستتوجه إليه، ونوعيات الجماهير، ومستوياتهم الفكرية وحالاتهم الاقتصادية وأوضاعهم الاجتماعية، وآمالهم وآلامهم، وما يسود بينهم من أفكار ومفاهيم، وطبيعة النظام الذى يحكم حياتهم ونوعية المعارف السائدة بينهم، وتقوم هذه الدراسة على المنهج العلمى السليم مستخدمة أدوات البحث اللازمة من خلال كوادر مدربة على هذا العمل العلمى.

المرحلة الثانية :

يتم فيها وضع الخطة العلمية التى تأخذ فى اعتبارها كافة المتغيرات الضرورية التى تكفل الوصول للجماهير لتزويدها بحقائق الإسلام، ثم التأثير فيها ، ومتابعة كل جديد يطرأ على هذه الجماهير، وتوظيف مختلف وسائل الاتصال التى تصلح لكل شريحة من الشرائح الجماهيرية المستهدفة لتحقيق التعرض، ثم الإدراك، فالتأثير وتبنى الفكرة والسلوك الذى يتفق مع المبادىء والقيم الإسلامية .

وفى الخطة يوضع فى الاعتبار تهيئة الكوادر البشرية والإمكانات المالية والالتزام ببرنامج عمل جاد .

المرحلة الثالثة:

ويتم فيها تقويم ما تم إنجازه من أهداف الخطة ، واستكشاف الإيجابيات والسلبيات التى نجمت أثناء التنفيذ، ووضع النقاط على الحروف لدعم الإيجابيات وتلافى السلبيات للاستفادة منها فى المراحل اللاحقة، وتقديم المقترحات التى تعالج مختلف جوانب الخلل ودفع عجلة العمل وتحقيق استمرارية النشاط والأداء المتميز.

أى أن وسائل الاتصال المختلفة سواء كانت وسائل مباشرة أو غير مباشرة يجب أن تتناغم وتتوافق لكى تؤدى كل واحدة منها دورها اللازم فى المرحلة التى تناسبها ، فلا يمكن الاستغناء بالوسائل الالكترونية الحديثة عن الوسائل التقليدية القديمة، فلكل منها دور محدد ومجال مميز ووقت معلوم.

الاتصال المواجهى والدعوة الإسلامية

يتبوأ الاتصال المواجهى Face to Face Communication مكانة مميزة فى خطط الدعوة الإسلامية التى لا يجوز لها أن تقصر نشاطها على وسائل الاتصال الجماهيرى ، فلا يكفى أن يستمع غير المسلمين إلى حقائق الإسلام عبر الإذاعة أو يشاهدونها على الشاشة الصغيرة أو الكبيرة، أو يقرءون ما تنشره الصحف وغيرها من الوسائل المقروءة لأن مرحلة التعرض لابد وأن تلحقها مرحلة الاقتناع والتبنى فقد يستمع الجمهور إلى الفكرة أو يقرؤها ولكنه يدركها بالصورة التى تتفق مع إطاره الدلالى Frame of reference وتنسجم مع نظرته للحياة ومع ثقافته وفكره السابق الذى قد يكون فكراً مشوهاً بفعل معاول الهدم وعوامل التشويه، والقوى المعادية للإسلام.

فلا بديل إذن من تحقيق مواجهة مباشرة بين الداعية المسلم والجماهير غير المسلمة يتم فيها تبادل الرأى والنقاش وإقامة المناظرات واللقاءات الفكرية والمؤتمرات الثقافية ، وعقد الندوات وإلقاء المحاضرات.. الخ لإقناع هذه الجماهير بالعقل والمنطق عن طريق وسائل الاتصال الشخصى والجمعى إلى جانب وسائل الاتصال الجماهيرى.

ذلك أن لكل واحدة من هذه الوسائل سماتها المميزة ومجالات استخدامها وجماهيرها ومنهجها العلمى فى التأثير والاستمالة والإقناع.

وهنا يجب أن يعرف دعاة الإسلام متى وكيف ولمن توجه كل واحدة من هذه الوسائل لإحداث الأثر وتحقيق الغرض المستهدف.

أى أن الاتصال الجماهيرى لا يمكن أن يغنى عن الاتصال المواجهى المباشر لإقناع غير المسلمين بالدين الإسلامى أو يستطيع التأثير على العصاة من المسلمين لردهم إلى دين الله أو حتى توجيه المسلمين المؤمنين وتعليمهم أصول دينهم لأن وسائل الاتصال الجماهيرى تتميز فقط بالسرعة الفائقة فى نقل الخبر أو المعلومة وفى نشرها على أكبر عدد ممكن من الناس.

أما المرحلة الثانية ، وهى مرحلة الإقناع بهذه المعلومة فإنها تتطلب مواجهة مباشرة مع الجمهور لمجادلتهم وعرض الحجج المنطقية والبراهين العقلية لإقناعهم.

وهنا تبرز مكانة مؤسسات الدعوة والإعلام التى يقوم عملها على الاتصال المباشر مع مختلف الشرائح الجماهيرية خارج ديار الإسلام المؤمنين منهم أو العصاة أو أهل الكتاب أو المشركين أو الملاحدة أو غيرهم من أصحاب المذاهب والأيديولوچيات الأخرى.

المنهج المميز للإعلام الإسلامى

يقوم الإعلام الإسلامى على أسس وقواعد ثابتة، ويستقى منهجه فى الدعوة من القرآن الكريم ومن سنة النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

ووفقاً لهذه الأسس والقواعد حقق الإعلام عن الإسلام إنجازات هائلة ، واستطاعت رسالته الانتشار على مساحة واسعة من كوكب الأرض، وتمكنت من التأثير فى الجماهير التى تقطن كل هذه الأجزاء من العالم شرقاً وغرباً، وبسطت الدعوة الإسلامية بالتالى نفوذها فى الأماكن وبين الجماهير الذين دخلوا الإسلام لمجرد احتكاكهم برجاله وتعرضهم لمبادئه ومعرفتهم بأصوله كما هو الحال فى أندونيسيا وباكستان وأفغانستان وبنجلاديش والهند وماليزيا وغيرها .

وهذا يدل دلالة واضحة على القوة الذاتية الكامنة فى هذا الدين الذى يستهوى كل من يقترب منه ويفهمه فهماً صحيحاً ويفتح قلبه وعقله لمعرفته وإدراكه ، والدعوة الإسلامية فى حد ذاتها تعطى رجالها القدرة والثقة وتهيىء لهم المجال الذى يمكنهم من التأثير والإقناع إذا عرفوا المنهج الذى سار عليه دعاة الإسلام، وتزودوا فى الوقت ذاته بأحدث النظريات العلمية والتقنيات الحديثة التى تحكم العمل الإعلامى.

ذلك أن الإسلام قد وضع أصولاً وقواعد تقوم عليها دعوته وتستند إليها خططه، وهذه الأصول والقواعد لا تنفصل عن النبع الأصيل الذى حددها وهو القرآن الكريم وسنة رسول الإسلام، وتقوم هذه الأسس على ما يلى :

أولاً : بساطة الدعوة ووضوحها شكلاً ومضموناً:

يقوم الإسلام – كما يقول المستشرق الإنجليزى توماس أرنولد[1] – على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وهذه العقيدة البسيطة لا تتطلب خبرة طويلة أو تجربة عميقة ولا تثير أية مصاعب عقلية للفهم والاستيعاب بل أنها تخاطب أدنى المستويات العقلية والإدراكية فى الإنسان نظراً لأن هذه العقيدة خالية من التداخلات والحيل النظرية أو اللاهوتية فإن أى فرد يستطيع أن يستوعبها ويشرحها حتى أقل الناس خبرة بالأصول النظرية لهذا الدين، بل إن بساطة تعاليم الإسلام ووضوحها تعد من أبرز العوامل الفعالة فى مجال الإعلام والدعوة الإسلامية[2].

---

(١) أرنولدتوماس: الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين – القاهرة مكتبة النهضة المصرية – ١٩٧١– ص٢٥٤.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى – حـ ١ . ط٤ مكتبة النهضة المصرية – ١٩٧٣. ص٢١٦.

وقد تميزت دعوة رسول الإسلام بوضوح فى اللفظ والمعنى ويسر فى الدين، ولهذا لم يعهد التاريخ مصطلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قياسى كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن الدعوة الإسلامية لا يحتاج فهمها إلى مقدرة عقلية خاصة، وملكات ذهنية كبيرة.

ويرجع ذلك إلى أن هذا الدين يخاطب فطرة الإنسان ويتعامل مع ظروفه ويلبى رغباته ، ويعالج قضاياه، ويرد على تساؤلاته ، ذلك أن الإسلام يربط فى تناسق وانسجام بين ما يتضمنه من حقائق وبين واقع الناس، فمشكلات الناس وقضاياهم يجدها الإنسان معروضة بصورة مبسطة وسهلة الفهم والاستيعاب فى القرآن وفى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: دعوة عقلية تقوم على المنطق والبرهان :

الدعوة الإسلامية تحترم العقل الإنسانى، وتقدر الفكر البشرى، وتضع الحجج العقلية والأساليب المنطقية على رأس طرق التفاهم والنقاش والجدل المفيد، كما تجعل النظر فيما خلق الله أهم مداخل الإيمان بالله والتصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

وما أكثر الآيات القرآنية التى تطلب من الإنسان أن يفكر ويتدبر ، ويطلق سراح عقله ليستنبط ويعتبر من خلال النظر إلى ما حوله من ظواهر طبيعية وحقائق علمية، يؤكد ذلك ما قاله الله تعالى:

﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾[1].

وقوله عز وجل :

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾[2].

وهذا هو الفارق بين الدعوة الإسلامية والدعاية التبشيرية أو غيرها من الدعاوى لأن عظمة الإسلام وبساطته وأخذه بحكم العقل مما لايجعل لآية دعاية أخرى قدرة على مواجهتها .

وقد جعل الإسلام العقل حكماً فى كل شىء، حكماً فى الدين وفى الإيمان نفسه، بدليل قوله تعالى:

﴿مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون﴾[3].

---

(١) سورة الزمر : آية (١٧، ١٨).
(٢) سورة الروم: آية (٢٨).
(٣) سورة البقرة: آية (١٧١).

ثالثاً: دعوة علم ورسالة حضارة:

تشير أول آية ، بل أول كلمة نزلت فى القرآن الكريم إلى الطبيعة الحضارية والعلمية التى ترتبط بهذه الرسالة منذ نزولها ، وكان ذلك أثناء رحلة التعبد التى كان يقوم بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى غار حراء، حيث جاء صوت يناديه «اقرأ» فكانت الكلمة الأولى التى تحمل المعانى التى تعكس هذه الرسالة ، وكانت علامة لهذا الكتاب.

والإسلام لم يحث فقط على طلب العلم والمعرفة، ولكنه جعل العلم أساساً لكل سلوك قويم حتى فى الانتفاع بالقرآن الكريم ذلك أن القرآن الكريم لم ينزل فقط للحفظ ولكن آياته جاءت تعالج مواقف دنيوية للمجتمع البشرى ليهدى بها الناس إلى الصراط المستقيم.

ويطالب القرآن المسلمين بالسعى لطلب العلم ليهديهم الله إلى الحقيقة العلوية والكونية فقال تعالى فى سورة طه :

﴿وقل رب زدنى علماً﴾[1].

ولم يكتف الإسلام بهذا فى الدعوة إلى العلم، بل قرر أصولاً تمنع الجمود العقلى، وتحمى من التحجر الفكرى باعتباره دينا يقوم على الحجة والبرهان، يؤكد ذلك قوله تعالى:

﴿أمَّن يبدأ الخلق ثم يعيده، ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[2].

وهذا الثراء العلمى الذى احتوته رسالة الإسلام يجذب العالم المتحضر إلى تمحيص هذه الرسالة والتمعن فيها والنظر فى مضامينها ومعانيها ويغريهم للتعرف على الحقائق العلمية التى تشتمل عليها، ذلك أن هذه الرسالة وإن كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحضارة والثقافة الإسلامية إلا أنها استطاعت أن تتعامل مع الحضارات البارزة التى احتكت بها على مدى التاريخ الإنسانى أخذاً وعطاء فاستوعبتها واستطاعت أن تحتويها بطريقة أو بأخرى، ولم تحاول اعتزالها أو عزلها أو القضاء عليها، ومن خلال ذلك أمد الإسلام هذه الحضارات بمعطياته حول الله والإنسان والعالم المحيط به[3].

ويعترف علماء الغرب المنصفون بفضل حضارة الإسلام، فقال جوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب» إن فلاسفة المسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين، ويؤكد كلامه قائلاً : إننا لا نرى أمة فى التاريخ ذات تأثير علمى وفنى ولغوى ودينى بارز مثل أمة العرب فجميع الأمم التى كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضاراتهم[4].

---

(١) سورة طه: آية (١١٤).

(٢) سورة النمل: آية (٦٤).

. (3) J. Von grunebaum. the Source of Islamic Civilization Vol 2. London . Cambridge University Press 1970. P17..

(٤) عبد الفتاح مقلد الغنيمى : الإسلام والثقافة العربية فى أوربا – القاهرة – عالم الكتب – ١٩٧٩. ص ١٩.

رابعاً: الدعوة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن :

تقوم الدعوة الإسلامية على أساس ثابت ومبدأ راسخ فى إعلام الجماهير بها، ويعتمد هذا المبدأ على الكلمة الطيبة والحكمة البالغة والدعوة بالحسنى من غير عصبية أو عنف، والحكمة تجعل الداعى إلى الله يقدر الأمور حق قدرها، وتجعله ينظر ببصيرة المؤمن ليرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال ، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب تنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ لهم الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم ومستقبلهم.

والموعظة الحسنة هى الكلمة الطيبة تخرج من فم الداعية لتصل إلى عقول الناس وقلوبهم فيجدون فيها الخير والسعادة، وهى التى تحمل للناس البشرى. وتأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب، ولا تسىء إلى أحد ، ولا تعنف أحداً، وهى الكلمة الطيبة الرقيقة التى تلمس القلوب فترق بها ، وتخالط النفوس فتهش لها وتفرح بها، وهى البلسم الشافى يداوى الجروح ويخفف الآلام ويشفى النفوس[1].

وقد نهج محمد صلى الله عليه وسلم هذا المنهج مجسداً كل معانيه سواء مع المؤمنين أم مع الطغاة والمتجبرين من قريش، ومع أهل الكتاب ، وحتى مع المنافقين ملتزماً فى ذلك بأوامر الله جل وعلا الذى حثه على اللين والرقة فى معاملته الجميع حتى المشركين منهم.

«خذ العفو، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين»[2].

وهكذا تكشف الدعوة الإسلامية عن سمو فى منهجها ، ورقى فى خططها، ورفعة فى أسلوبها، وسماحة ودقة فى إعلامها.

خامساً: دعوة أساسها التسامح والرحمة:

تقرر الدعوة الإسلامية ابتداء أنه لا إكراه فى الدين، وبالتالى فهى تؤكد على مبدأ حرية التدين.

وإمعاناً فى التسامح والرفق والرحمة والصبر حث الإسلام على التحلى بحسن الخلق واللين حتى مع الجهلاء والإعراض عن اللغو فى الحديث والتجاوز فى القول، وفى ذلك يقول تعالى:

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[3].

وحث على الكلمة الطيبة والأداء الحسن:

﴿وقولوا للناس حسناً، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[4].

---

(١) محمد على الصابونى: من كنوز السنة – الإسكندرية – دار الفتح الإسلامى – ١٩٧٠ – ص ١٢٩.
(٢) سورة الأعراف: آية (١٩٩).
(٣) سورة الفرقان: آية (٦٣).
(٤) سورة البقرة: آية (٨٣).

وهكذا نرى أن سماحة الإسلام ورحمته تمتد لتشمل بنى البشر جميعهم، وهى الطريق الذى قرره القرآن الكريم حتى يشعر الجميع أنهم فى ظل الإسلام فى أمان لا خوف عليهم ولا افتئات على حقوقهم ، ولا جور على حقوق الآخرين.

ويعد هذا المبدأ الإسلامى جسراً قوياً لإيجاد تفاهم مشترك وحوار موضوعى بين المسلمين وغير المسلمين يسمح لهم بأن يعرضوا أنفسهم على الرسالة التى يوجهها دعاة الإسلام فى أول الأمر كمدخل للخوض بعد ذلك فيما تضمنه هذا الدين من حقائق ومفاهيم.

سادساً : دعوة تلزم تابعها باحترام العهود والمواثيق:

ويأتى ذلك تحقيقاً للأهداف التى يعمل الإسلام على تحقيقها والتى من أهمها أن يعيش العالم كله فى سلام ومحبة وتعاون – أممه وجماعاته وأفراده – ولذلك فهو يحرص على الوفاء بالعهود والمواثيق التى يبرمها المسلمون مع غيرهم حتى لو كانوا فى حالة عداء أو حرب، وحتى لو كان نقض العهد فى مصلحة المسلمين وهذا يجعل الوفاء يأتى فى مقدمة العوامل التى تقوم عليها العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم :

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾[1].

وهذه قيمة إسلامية رضيعة يلتقى عندها البشر – كل البشر، مهما اختلفت مشاربهم وعقائدهم ومذاهبهم .

---

(١) سورة المؤمنون: آية (٧، ٨).

الخاتمـــــة

من خلال استعراضنا للأسس والقواعد والأهداف التى يقوم عليها الإعلام الإسلامى يمكن أن نستشعر المكانة والأهمية البالغة التى تقع على عاتق أجهزة الدعوة والإعلام لاسيما بعد المتغيرات الدولية والمحلية التى فرضت نفسها على الساحة ، والتى تفرض عليه الاضطلاع بمسئوليات ومهام دقيقة من أبرزها :

١- تحصين الجماهير المسلمة بحقائق الدين الإسلامى لحماية المجتمع المسلم من أخطار الجهل بحقائق هذا الدين.

٢- تعديل سلوك الجماهير ليتلاءم مع جوهر هذا الدين والإسهام فى التقويم الخلقى للناس ولا سيما بين الشباب لخلق أجيال مؤمنة بربها وأوطانها وإرساء قواعد الحق والخير والفضيلة.

٣- الوقوف أمام الطغيان المادى الذى أصبح سمة من سمات العصر يسيطر على تفكير الناس، ويدفعهم إلى اتخاذ المواقف نحو مختلف الأمور.

٤- القضاء على المعتقدات الخاطئة المنتشرة بين البعض من خلال التفسير العلمى الصحيح لحقائق الدين الإسلامى.

٥- استخدام المفاهيم الدينية الصحيحة فى الإقناع بالأفكار المستحدثة والقضايا العصرية التى لا تتنافى مع جوهر الإسلام.

٦- دعم وتقوية الاتجاه إلى أداء العبادات الإسلامية بصورة صحيحة، والعمل على خلق روح التعاون والمحبة والألفة بين المسلمين وبعضهم بدلاً من الفرقة والشقاق والصراع الذى لايستفيد منه إلا أعداء الإسلام.

وهذا يتطلب الإخلاص والتفانى فى الإعلام الصحيح بحقائق هذا الدين والتنسيق بين مختلف الأجهزة التى تتحمل مسئولية الدعوة والإعلام عن الإسلام فى خطة علمية متوازنة تحقق الانسجام والتوافق بين مختلف هذه الأجهزة لتحقيق الهدف المشترك وتوضيح الحقائق الإسلامية والإقناع بها والقضاء على الازدواج أو التضارب بين مختلف أجهزة الدعوة والإعلام الإسلامى.

وهنا يصبح من الأهمية بمكان استثمار معطيات الاتصال الحديثة فى العلم والتكنولوجيا والاستعانة بكافة الوسائل المتاحة، وتأهيل وتدريب الكوادر الإعلامية الصالحة لحمل المسئولية الدقيقة الملقاة على عواتقها.

وإجراء الدراسات المستمرة لاتجاهات الرأى العام حتى يمكن وضع الخطط العلمية التى تترجم هموم الجماهير وتعالجها وتلبى احتياجاتهم وتحل مشاكلهم وتتناول قضاياهم.

وإقناع جميع المسلمين لكى يتحملوا مسئولية العمل الإعلامى الذى يتفق مع إمكاناتهم وقدراتهم وثقافاتهم، ذلك أنه إذا صدق كل مسلم مع نفسه ومع ربه، وكان الإنسان الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلن يجد الفقر والمرض والجهل والحقد مكاناً له بين صفوف المسلمين وفى المجتمعات الإسلامية.

والعمل على تحقيق أوسع انتشار للدعوة الإسلامية من خلال وسائل الإعلام الحديثة والتقنيات المعاصرة فى فنون الاتصال ليعطى هذا النشاط أكبر مساحة ممكنة من هذا الكوكب.

وإيجاد جسور من العلاقات بين المراكز والمساجد والتجمعات الإسلامية فى الخارج لتنسيق العمل الإعلامى الإسلامى الدولى والاتفاق على استراتيجية علمية سليمة للدعوة والإعلام.

والله ولى التوفيق

ضوابط الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى

أ.د. / محمد منير صابر حجاب
عميد كلية الآداب بقنا
ورئيس قسم الصحافة بآداب سوهاج
جامعة أسيوط

تمهيد

الشخص الذى يبدأ الحوار بصياغة أفكاره فى رموز تعبر عن المعنى الذى يقصده يسمى القائم بالاتصال وأهميته فى إطار عملية الاتصال لا تقل بأى حال من الأحوال عن الرسالة أو الوسيلة فى فهم أو التنبؤ بتأثير الاتصال فى مختلف ميادين الحياة سواء فى مجال السلم أو الحرب .. وتزيد هذه الأهمية مع التقدم الكبير للإعلام ووسائله فى العصر الحاضر .. والذى حوله إلى صناعة وتجارة . وقد كان لعجز عدد كبير من رجال الإعلام عن فهم رسالته ما حولهم إلى صناع وتجار .

والإعلامى هو العنصر الفعال فى عملية الاتصال .. ولا تستقر دعوة أو فكرة إلا بالقائم بالاتصال الذى يؤمن بها ويحسن عرضها ولهذا كان تكوين الإعلاميين يعنى تكوين الأمة.. فالأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال .

ومقدرة هؤلاء الرجال على الإقناع والتأثير تتوقف على عوامل كثيرة متعلقة بعناصر عملية الاتصال.. يهمنا منها هنا العناصر المتعلقة بالقائم بالاتصال نفسه .

وإعداد هؤلاء الرجال وتدريبهم وتأهيلهم تأهيلا سليما ينبغى أن يتسع ليشمل كافة هذه الجوانب وأهمها : -

أ - مجموعة الصفات الإقناعية والمواصفات التى تجعل القائم بالاتصال أكثر قدرة على الإقناع والتأثير مثل العدالة فى الحكم على الأشياء وحسن التصرف والموضوعية والاتزان الانفعالى والقدرة على التذكر والإحساس بالحياة والمصداقية والقدرة على الاتصال بالآخرين .. وتشمل المقدرة على القراءة الواعية والاستماع والكتابة والحديث والتفكير السليم .

ومجموعة الصفات البدنية كالصحة النفسية والبدنية والبشاشة وحسن الهيئة والنظافة .

والصفات النفسية وتشمل الإحساس بالمسئولية والمقدرة المؤدية على الاختيار وعلى المواجهة مع النفس وحسابها .

والصفات الجماعية والتنظيمية كالإحساس بالأخوة والتضامن مع الآخرين والجود والشهامة والصبر والوفاء بالعهد والاعتزاز بالنفس والاستقلال وعدم البغى والعدوان والطاعة والصبر والإيثار والتضحية والإخلاص، والقدرة على العمل الجماعى واليقظة الكاملة والإيجابية .

ب - جانب الثقافة العامة للقائم بالاتصال .. ويتسع ليشمل مجموعة الثقافات الآتية

الثقافة الإسلامية والتاريخية والأدبية واللغوية والإنسانية والعلمية والواقعية والإعلامية إلى جانب الخبرة العملية الميدانية بمجال تخصصه فضلا عن الإدراك الواعى للجوانب المختلفة الخاصة به نفسه والموضوع الذى يتناوله والجمهور الذى يتوجه إليه والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والحضارية للمجتمع الذى يتعامل من خلاله والجوانب الخاصة بالظرف والاتصالى المناسب .

جـ - الجانب المتصل بالاتجاهات النفسية للقائم بالاتصال نظرا لتأثيرها المباشر على سلوكه الاتصالى وتشمل اتجاهه نحو نفسه ونحو الجمهور ونحو الموضوع الذى يقدمه ونحو وسائل وأساليب الاتصال التى يستعملها لعرض وتقديم أفكاره .

هذا بالإضافة إلى إدراكه ووعيه لطبيعة عملية الاتصال .. وأهدافه هو من الاتصال وأهداف الجمهور الذى يتوجه إليه .. ومركزه الاجتماعى .. والصورة التى يرغب فى أن تكون لدى الجمهور عنه وصورته هو عن نفسه .

وكيف تجذب كافة العوامل السابقة الجمهور إليه وتنفره منه .. وكيف يجعله يتقبل الرسالة أو يرفضها .. والخصائص التى يحتمل أن يدركها الجمهور ويستجيب لها مثل مركزه أو إمكانته وحيويته أو ديناميكيته ودوافعه وكيف يؤثر مرور الوقت على استجابات المتلقى للرسالة التى تأتى من مصدر موثوق به .. والمستويات المختلفة للجماعات التى تشكل جمهور المستقبلين لرسالته . وكيفية تكييف الرسالة حسب متطلبات الوسيلة المستخدمة لأنماط الاتصال المناسبة والأساليب الإقناعية التى تحقق التأثير المطلوب .

وإذا أضفنا إلى ذلك الالتزامات القانونية والقيود الإدارية أو الإجرائية والقيود الاجتماعية والاقتصادية والعوائق التى تحول دون حرية ممارسة النشاط الاتصالى للقائم بالاتصال وأهدافه ولوسائل النظام الاتصالى وظروف العمل وطبيعته وأخلاقيات ومعايير السلوك المهنى والالتزامات والمسئوليات القانونية والأخلاقية والاجتماعية والمهنية وحقوق القائمين بالاتصال فى مجال الضمانات الاقتصادية وضمانات ممارسة المهنة .. الخ .

فى إطار كل هذه المؤثرات تتحدد أهمية دراسة القائم بالاتصال وأبعاد هذه الدراسات . خاصة وأن دراسة القائم بالاتصال من الدراسات الحديثة والتى مازالت تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين لاستكمال جوانب النقص المتعددة .

وتزيد المشكلة صعوبة بالنسبة لدراسات القائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى لعدم تحديد طبيعة نشاط القائم بالاتصال الإسلامى . خاصة وأن الإسلام جعل الدعوة حق مكتسب للجميع بدليل قوله تعالى ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾[1]

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٨ .

﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾ (١) .

وقوله تعالى ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر .إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (٢) .

هذا فى الوقت الذى يوجد فيه متخصصون فى أمور الدعوة والاتصال الإسلامى قال تعالى ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ (٣) .

وعلى هذا فهل القائم بالاتصال الإسلامى هو الشخص المحترف المؤهل تأهيلا علميا لممارسة هذا الاتصال أم كل إنسان يتوجة بالدعوة والوعظ والنصيحة لغيره ؟

وعلى مستوى الواقع العملى فهل القائمون بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى هم خطباء وأئمة المساجد وعلماء الأزهر ومحررو الصفحات الدينية بالصحف والمجلات العامة الإسلامية المتخصصة ومؤلفو الكتب والكتيبات الدينية ومعدو البرامج الدينية بالإذاعة والتليفزيون والمتحدثون فيها ومذيعو الإذاعات الدينية مثل إذاعة القرآن الكريم ..... والمسئولون عن المواد الإعلامية التى تعكس صورة الثقافة الإسلامية والمواد الإعلامية لشهر رمضان والأعياد والمواسم والمناسبات الدينية والأفلام الروائية والتسجيلية ذات الطبيعة الإسلامية .

وهناك إضافة إلى ذلك القائمون بالاتصال فى مجال الدروس الدينية بالمساجد والقوافل والندوات الدينية والخطباء بالمساجد الأهلية .. والجمعيات الدينية الأهلية .. والمتصوفة والعاملون فى حقول التوعية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأنشطة ذات الطابع الدينى ..... ويضاف إلى هؤلاء قادة الرأى . وهم الأشخاص الذين يمارسون تأثيرا غير رسميا على اتجاهات وسلوكيات الآخرين من غير من سبق ذكرهم .

فكل من هؤلاء يتصل بالآخرين ويتصل ليؤثر .. يتصل لكى يشعر بأن له دورا وأن له كيانا .. مستقلا .. وأنه قادر على ممارسة إراداته والتأثير فى الظروف المحيطة به وفى الآخرين . الاختلاف فقط هو فى استخدام الوسائل الحديثة من عدمه وفى قدر النجاح الذى تحققه عملية الاتصال نتيجة لتوافر العوامل المسببة لهذا النجاح أم عدم توافرها .

ورغم أهمية التربية الإعلامية للجمهور .. وحرص الإسلام على توفير مكونات ومستلزمات هذا الإعداد الإعلامى الواعى من خلال ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية من دروس

---

(١) سورة فصلت آية ٣٣ .

(٢) سورة العصر آية ١ – ٣ .

(٣) سورة التوبة آية ١٢٢ .

إعلامية للمسلمين بصفة عامة. إلا أننا نميل مرحليا ونظرا لضعف كثير من القائمين بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى وعجزهم عن استيعاب مستلزمات ممارسة النشاط الإعلامى .. نميل إلى قصر مفهوم القائم بالاتصال على العاملين المتهنين لهذه المهنة .

وعلى هذا فإن القائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى هو الشخص المحترف الذى يستهدف التأثير فى الناس بأفكار لديه خلفية واسعة عنها يؤمن بها ويعبر عنها فى سلوكه وتصرفاته ويستخدم لذلك كافة إمكانيات وسائل وأشكال الاتصال المتاحة ومختلف الأساليب الإقناعية من أجل تكوين رأى عام صائب يعى حقائق الدين الإسلامى ويدركها ويتأثر بها فى معتقداته وعباداته ومعاملاته وذلك وفق منهج علمي مدروس ومخطط ومستمر ودون أن يبغى بذلك منصبا أو جاها .

وفى إطار هذا المفهوم سوف نعرض للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى من خلال زاوية واحدة فقط وهى زاوية ضوابط الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى والعوامل المحددة لطبيعة مناخ هذة الممارسة .

"ضوابط الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال في حقل الإعلام الإسلامي"

الضوابط الخاصة بالممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى عديدة ومتنوعة .. وتتكامل فيما بينها لتحديد خصائص الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال المسلم ... وتتعدد أهمية هذه الضوابط وقيمتها فى إطار المناخ العام لهذه الممارسة والذى تتضح طبيعته من خلال الأبعاد الآتية :

١ - الارتباط الوثيق بين الضوابط الخاصة بالممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال المسلم وبين الإطار العام للإعلام الإسلامى والذى يمكن تحديد أبعاده على ضوء شمولية الفكر الإسلامى وواقعيته .. فالإسلام كما أنزله الله استهدف تصحيح مسارات المجتمعات البشرية وتقنين قيمها وأخلاقها وتشريع قوانينها ودساتيرها .. ولهذا فقد وضع الله سبحانه وتعالى أسس هذا الدين ومعالمه ومفاهيمه من خلال محك رئيسى هو مدى قدرة هذا الدين على التطبيق فى النظم الاجتماعية والسياسية والقانونية والاقتصادية ولهذا فهو يجمع فى إطار متسق جميع مشتملاته من عقيدة وعبادات ومعاملات. وتشريعات وتوجيهات للأخلاق والآداب العامة.. وهذا الكل المتكامل يتكامل بتناسقه وارتباطه المنطقى والفكرى وإعطائه الأهمية المتوازنة بين العبادات والتشريعات الاجتماعية والاقتصادية والبشرية .. ويربط الإنسان بالمجتمع وإيجاد الصلات القوية بين العبادة والسلوك وبين العقيدة والعمل بين الدنيا والآخرة.

٢ - إن للدين دور كبير فى توجيه الرأى العام فى معظم بلاد العالم فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية والشعوب العربية بوجه عام والشعب المصرى بوجه خاص متمسك بدينه .. ولا يقبل التفريط فيه ولذلك فإن أى محاولة للتأثير والتغيير ينبغى أن يكون المدخل دينيا . فليس ثمة عاطفة إنسانية أبعد غورا وأكثر تأثيرا فى مشاعر الفرد والمجتمع من العاطفة الدينية. وهنا يبرز دور القائم بالاتصال أو الواعظ فى الضرب على هذا الوتر الحساس من أجل إحداث التغيير والتطور المطلوب . فى المجتمع .. وهذا يقتضى بطبيعة الحال أن يكون هو نفسه مقتنعا بما يقدمه من أفكار ومعلومات .

٣ - الطبيعة العلمية والثقافية الخاصة للإسلام :

فقد بدأ أول ما بدأ بالقراءة والتعليم والقلم وذلك فى قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾(١) . وتكرار كلمة اقرأ تحمل الحرص على العلم والمعرفة والابتكار والتجديد والحياة

(١) سورة العلق: آية ١ - ٥.

العقلية والعملية الكاملة – وكذلك قول الله عز وجل لرسوله ﷺ فى كتابه الكريم ﴿ وقل ربى زدنى علما ﴾ (١) . ولقد حرص الإسلام على أن يتزود أبناؤه بعلمى الدين والدنيا وحث عليه – قال رسول الله ﷺ " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " كما نوه القرآن بفضل العلماء قال تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٢) . وقال رسول الله ﷺ " العلماء ورثة الأنبياء " .

٤ – الطبيعة الإعلامية للإسلام باعتباره ديناً موجهاً للبشرية جمعاء . فى كل عصورها .. ولذلك استهدف الإعلام الإسلامى نشر كلمة الدين وإعلائه ومعالجة القضايا الدينية والعمل على إعداد رأى عام إسلامى يعى الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها فى جميع تصرفاته . ولذلك كان مجال الممارسة الإعلامية حق المسلمين وقال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾(٣) – وقال عز وجل ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾(٤) ويعكس هذا الحق الأهمية الكبيرة التى أولاها الإسلام لمعارك الكلمة .. ذلك أنها حرب دائمة ومستمرة من أجل الوصول إلى الحقيقة وإعلاء كلمة الحق والصدق والعدل . ويتحول بذلك كل أفراد المجتمع الإسلامى إلى رجال دعوة وإعلام يقومون بواجب الدعوة من ناحية وبالتواصى على الخير والتناهى عن الشر أى بواجب الرقابة الذاتية وهو الأمر الذى يساعد على انتقال الأخبار داخل المجتمع الإسلامى وانتشار المعرفة .. كما يساعد على سرعة انتشار الأخبار والمعلومات داخل المجتمع الإسلامى وخارجه بالصورة التى تتفق، والطبيعة العالمية للدين الإسلامى . وهذا الانتقال السريع للمعلومات ومايصاحبها من مناقشات يجعل الدعوة حية متجددة دائما فى نفوس الأفراد ومثار اهتمامهم ومحور حديثهم .

٥ – وحدة التجربة الإعلامية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى .. فالقائم بالاتصال هنا يمثل تجارب دعوات الوحدانية من آدم إلى سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، وذلك لأهمية وضرورة الاستفادة من التجارب التاريخية فى الدعوات السابقة – فالمسلم مطالب بالإيمان بكل الرسل والأنبياء الذين سبقوا محمدا عليه الصلاة والسلام – وقد انعكس هذا على تاريخ الدعوة من عهد محمد ﷺ وحتى وقتنا الحاضر – حيث الوحدة الموضوعية فى

---

(١) سورة طه آية ١١٤ .
(٢) سورة فاطر آية ٢٨ .
(٣) سورة النحل آية ١٢٥ .
(٤) سورة يوسف آية ١٠٨ .

عدم التناقض بين أقوال الدعاة رغم اختلاف الأماكن، فما يدعو إليه القائم بالاتصال فى الصين واليابان وامريكا يتطابق مع مايدعو إليه آخر فى جنوب أفريقيا ومصر وفرنسا . لأن هناك مبادئ واحدة تتطابق مع بعضها ويؤكد بعضها البعض الآخر . لدرجة اعتبرت هذه الوحدة الموضوعية فى حد ذاتها إعجازا قال تعالى ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ (١) – أى تناقضا كبيرا كما هو الحال فى المضامين المختلفة التى تقدمها وسائل الإعلام المعاصرة .. وأيضا تختلف فى عدم التناقض بين القرآن الكريم والسنة النبوية قال تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾ (٢) – كما أن ما يدعو إليه القائم بالاتصال الإسلامى اليوم لايختلف عما كان يدعو إليه زميله منذ ألف سنة وبعد ألف سنة .. من حيث المبادئ الأساسية – دون أى تغيير أو تعديل . وهذه الوحدة العالمية تجعل من الدعاة مؤسسة عالمية للدعوة تربطها وحدة هى رابطة الإسلام . الأمر الذى يعطى فرصة الاستفادة من الأثر التراكمى عبر عشرات ومئات السنين . ويجعل الدعوة فى تقدم مضطرد، ويوفر لها صفة الرسوخ وبذلك يتحقيق قول الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (٣) .

أما الضوابط الخاصة بالممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى فيمكن حصرها على النحو التالى :

أولا : ولاء القائم بالاتصال .

ثانيا : القابلية للتغيير والتطور .

ثالثا : المواجهة الفكرية .

رابعا : القدوة الحسنة .

خامسا : الالتزام بالصدق .

سادسا : الإحساس بالمسئولية .

سابعا : الإخلاص والتجرد .

ثامنا : الإحاطة بمكونات الظرف الاتصالى .

تاسعا : الحرية الإعلامية .

عاشرا : التوازن الإعلامى .

---

(١) سورة النساء آية ٨٣ .

(٢) سورة النجم آية ٣، ٤ .

(٣) سورة الحجرات آية ١٠ .

أولا : ولاء القائم بالاتصال :

حسمت النظرية الإعلامية الإسلامية قضية من أهم القضايا التى تشغل بال الإعلاميين، وتؤثر على مايتعرضون له من قضايا وموضوعات، وهى قضية الولاء أو الانتماء . فقد أثبتت الأبحاث والتجارب العلمية أن الإنسان أيا كانت ثقافته وجنسيته فى حاجة إلى الشعور بالانتماء إلى شئ، والعمل من أجله، ليشعر بالاطمئنان والأمان .

والولاء فى جوهره نوع من الرقابة الذاتية للفرد على سلوكه وتصرفاته وأقواله، بحيث تعكس الخضوع والانقياد للجهة التى يشعر الفرد بالانتماء إليها وبصورة لايمكن أن تحققها حتى أقصى القوانين وأصرمها، لأنه يختص بمنطقة القلب، حيث الحب والكره، ولايستطيع سوى صاحبه أن يمنحه عن طيب خاطر وطواعية . فلا يؤدى إلا إلى تظاهر فقط من الشخص بالحب والولاء .

والنظرية الإعلامية الإسلامية وقد استهدفت إعداد الدعاة المخلصين للدعوة، كان لابد لها وأن تتعرض لقضية الولاء . فالولاء فيها محسوم من البداية لله سبحانه وتعالى . فهو أغنى الأغنياء عن الشرك قال تعالى ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾[1] ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [2] فالله سبحانه وتعالى يريد عبادا يشعرون نحوه بالحب ويتنازلون باختيارهم عن كل مايغضب الله. ولذلك ﴿ لاإكراه فى الدين ﴾[3] وإذا كان الله تعالى يريد أن يخضع أعناقا بالقهر فما أسهل أن يفعله . قال تعالى ﴿ إ ن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ [4] إنما يريد سبحانه عبادا يدينون بالحب ويشعرون بالولاء، وينقلبون فى كل روحاتهم وسكناتهم فى رضوان الله كما قال تعالى ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾ [5] .

ويعنى الولاء لله الولاء لكتابه الكريم، ولرسوله ﷺ فيما صح عنه من قول أو عمل . وبذلك يكون ولاء القيم والمبادئ الخالدة وليس ولاء مرتبطا بأشخاص أو هيئات أو جهات قال تعالى ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾[6] .

ومن خلال الولاء لله يتحقق هدف النظرية الإعلامية الإسلامية فى إيجاد رجال إعلام

---

(١) سورة الزمر آية ٣٠ .
(٢) سورة الفاتحة آية ٥ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦ .
(٤) سورة الشعراء آية ٤ .
(٥) سورة الأنعام آية ١٦٢ .
(٦) سورة آل عمران آية ١٣٢ .

يقولون الحق، ولايخشون فى الله لومة لائم ، وفى كل موقف أو قضية يبرزون جوانب الخير والحق والصدق والأمانة، ولايرضون الغش والتدليس، يواصلون ليلهم ونهارهم من أجل إغاثة الملهوف، وإعانة المنكوب وخدمة الآخرين، دون نفاق أو خداع أو رياء .

وهدف النظرية الإعلامية الإسلامية من إقرار مبدأ الولاء القلبى لله هو تحويل الكثرة المؤمنة إلى كل واحد متماسك، فكما يقفون جميعا صفا واحدا أمام الله فى الصلاة، فى مختلف بقاع الأرض يقفون عندما يصبح الولاء لله وكل شغلهم الشاغل هو الصدق والإخلاص وقول الحق والعمل من أجل الآخرين .

ثانيا : القابلية للتغيير والتطور :

هناك حقيقة مؤداها : أن القائم بالاتصال مهما بلغت قوته وتأثيره فلن يستطيع أن يحقق أدنى تغيير فى الفرد، مالم يكن الفرد نفسه مهيئا للتغيير . وهذا ماعبرت عنه الآية الكريمة ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ (١) .

فالإنسان خلقه الله مزودا بقوى واستعدادات يمكن أن توجه للخير، كما يمكن أن توجه للشر، وإن كانت إرادة الخير فى بعض الناس أقوى، وإرادة الشر فى البعض الآخر أقوى، إلا أن الفرد أو القائم بالاتصال سواء فى تعامله مع نفسه أو مع الآخرين مهمته أن يعمل على تهيئة الظروف لإنماء القوى الموجودة فعلا لديه على أحسن وجه، وذلك بأن يعمل على تنمية القوى التى تدفع إلى الخير، ومحاولة تعديل القوى التى تدفع للشر . وهذا التعديل أو الإعلاء أمر واجب فى ظل النظرية الإعلامية الإسلامية . قال تعالى ﴿ ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ (٢) ﴿ ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ﴾ (٣) . ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ (٤) ﴿ هل لك إلى أن تزكى ﴾ (٥) .

والمتأمل لتراثنا الإسلامى يجد إرادة التغيير دائما إلى الأحسن، ويجد أن مقومات الشخصية الإسلامية تستمد قوتها من ترشيد إرادة الفرد وتعهدها قال تعالى ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾(٦) و﴿يايحيى خذ الكتاب بقوة﴾(٧) وحديث رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الرعد آية ١١ .
(٢) سورة الشمس آية ٧، ١٠.
(٣) سورة فاطر آية ١٨ .
(٤) سورة الأعلى آية ١٤ .
(٥) سورة النازعات آية ١٨ .
(٦) سورة الأنبياء آية ٥١ .
(٧) سورة مريم آية ١٢ .

-"مروا أولادكم بالصلاة لسبع" ويعنى أن تحملهم المسئولية خمس مرات يوميا حتى تتكون لديهم إرادة الصلاة .

ويتلخص سبيل النظرية الإعلامية الإسلامية إلى ذلك فى المجاهدة والصبر ولذلك فقد أولت اهتمامها لتدعيم الجانب الإرادى لدى الإنسان خاصة وأن الإرادة القوية هى التى تكبح جماح النفس، وتفطمها عن شهواتها، وتجعل الفرد أقوى على اتخاذ القرار السليم الذى يسمو بآدميته والمتأمل فعلا لحقيقة العقائد والعبادات والمعاملات يجد أنها فى النهاية تساعد على تقوية إرادة الفرد بالصورة التى تيسر له سبل التسامى والرقى .

وهناك ارتباط وثيق بين التزكية وبين التعليم، ولذلك حرصت النظرية الإعلامية الإسلامية على تأكيد هذا الارتباط الوثيق حيث يتعذر أن تقوم التزكية على الجهل . قال تعالى ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ (١) .

ولقد أطلقت النظرية الإعلامية الإسلامية على التزكية النفسية مصطلحا آخر هو الجهاد . وهو الذى قصده رسول الله ﷺ بعد عودته من إحدى غزواته بقوله، " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " أى جهاد النفس وحملها على الفضائل وأخذها بها .

وفى إطار هذا النوع من الجهاد أوصت بأن يأخذ المسلمون بيد بعضهم البعض فى سبيل محاربة الانحراف والشذوذ، والعادات السيئة والتقاليد الفاسدة، والأهواء الضعيفة والعقائد الزائفة وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال رسول الله ﷺ " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان " وقال "إن الله لايعذب العامة بعمل الخاصة، حتى تكون العامة تستطيع أن تغير على الخاصة، فإذا لم تغير العامة على الخاصة عذب الله العامة والخاصة .

وعلى هذا فإن القائمين بالاتصال مدعوون لدعوة الناس إلى التحاب والاحترام المتبادل وتعليمهم معانى الخير والعدل والجمال والتسامى بهم عن الغايات المادية المجردة والشهوات البهيمية التى تتجه بهم نحو هاوية سحيقة .

ولا يكون ذلك إلا بدعوتهم المستمرة إلى التسامى وإلى التزكية النفسية والأخذ بالفضائل وتحبيبهم فيها، ودفعهم إلى الإحساس بوطأة الانحراف عنها حتى تحيا فى نفوسهم دائما الرغبة فى التغيير، كما عبر عن ذلك سبحانه وتعالى ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾(٢) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

(٢) سورة الرعد آية ١١ .

ثالثا : المواجهة الفكرية :

يحدد هذا الضابط طبيعة عمل القائم بالاتصال على اعتبار أن الكلمة مناط التفاهم وطريق الوصول إلى الحقيقة ومدار الحوار ومجال النقاش .

وإن ميدان المنازلة والمعارضة هو الفكرة والعلم والعقل وإن القضية قضية الحوار والرأى والتفاهم والنقاش والبحث عن الحقيقة .

والهدف الأساسى للإعلام الإسلامى من ذلك هو تدعيم إرادة الإنسان باعتباره كيانا واعيا، ينشد بفطرته الإقناع المجرد القائم على العقل والفكر والمنطق . ولذلك فإن على القائم بالاتصال أن يتعامل معه فى بساطة ويسر وسهولة دون مجرد محاولة التأثير عليه بالخداع أو الضغط لأنه "لا اكراه فى الدين" .. ولأن الدين ليس أوامر يتحتم قبولها والرضا بها، وإنما قضية مطروحة للنظر والتفكير .

ووسيلة الإقناع هنا هى الكلمة الواضحة القائمة على أساس التدبير والتفكير . ولذلك قال رسول الله ﷺ " رحم الله امرأً قال خيرا فغنم أو سكت فسلم، وقال " وهل يكب الناس يوم القيامة إلا حصاد ألسنتهم " وقال " إن أبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون – المتفيهقون قال المتكبرون " كما ضرب الله مثلا للكلمة الطيبة بقوله ﴿ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ (١).

فالفرد يجب أن يكون سليم التفكير، قادرا على الحكم على الأشياء حكما قوامه الصدق والعدل، ولذلك تتدخل النظرية الإسلامية فى كل العمليات الفعلية التى تحدث داخل عقل الإنسان مابين تعرض الفرد للمنبه أو المعلومة وحتى اتخاذ قرار بشأنها وذلك كما أوضحنا فى كتابنا نظريات الإعلام الإسلامى .

وهدف النظرية الإعلامية الإسلامية من إقرار مبدأ المواجهة الفكرية هو أن تسمو بالفرد عن مرتبة الخضوع الكامل أو الاستسلام لكل مايملى عليه .

وعلى هذا فإن الأسلوب الإقناعى للقائمين بالاتصال يجب أن يكون قائما على أساس الإقناع المجرد القائم على العقل والفكر لا على مجرد الرغبة فى التأثير، لأن التأثير القائم على الإقناع لايكون مجرد تأثير عارض يزول بزوال السبب، وإنما يكون تأثيرا أصيلا يبقى إلى الأبد ونظرا لأهمية العلم والمعرفة للوصول إلى الحقيقة على أساس من الإقناع الصادق فقد

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٤ .

دفعت النظرية الإعلامية الإسلامية الفرد دفعا إلى تحصيل العلم والاستزادة منه .. وذلك كما أوضحنا سابقا .

رابعا : القدوة الحسنة :

فى مجال تغيير الأفكار والمعتقدات تحتاج إلى حقول إرشادية حية تتمثل فى مجموعة من الأفراد يعتنقون الدعوة ويؤمنون بها ويتمثلونها إلى درجة تمتلئ بها نفوسهم وعقولهم .

كما حدث مع رسول الله ﷺ عندما أصبحت حياته كلها من أجل الدعوة . قال تعالى ﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾(١) .

وعندما يصل القائم بالاتصال إلى مثل هذه الدرجة من الإيمان والاقتناع فإنه يتكلم حين يدعو بلسان حاله التى هو عليها، ويصبح مثلا أعلى لما يدعو إليه، أو بمعنى آخر يطابق كلامه مقتضى حاله، فلا يقول إلا مايعلمه . قال تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾(٢) .

وفكرة الدعوة بالمثل تتفق مع طبيعة الإنسان التى تميل إلى الاقتداء بالآخرين ومحاكاتهم . كما أنها تنقل الدعوة أو الفكرة الجديدة من واقع المثاليات المستحيلة للتحقيق التى تواجه أى دعوة جديدة، إلى أرض الواقع، وتعطى حافزا للآخرين وأملا فى الأخذ بها . كما يحدث تماما فى الحقول الإرشادية عندما نرعاها ونقيمها وسط المزارع ونجعلها فى متناول بصر المزارعين الآخرين حتى تشحذ عزائمهم إلى الاقتداء وتقليد الأساليب الزراعية الحديثة المطبقة فى هذه الحقول الإرشادية .

ولأهمية القدوة، فلم تخل دعوة أو رسالة سماوية منذ عهد آدم عليه السلام، وحتى عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ من تقديم هذه المثل ممثلة أولا فى أشخاص هؤلاء الأنبياء أنفسهم ثم فى أشخاص الأنصار والحواريين والمؤمنين بالرسالة أو الدعوة.

والمتتبع لتاريخ الدعوات يجد أن بناء النفوس وإعداد الشخصيات القويمة يستغرق وقتا طويلا عادة، فقد ظل رسول الله ﷺ فى مكة ثلاثة عشر عاما . يعد الدعاة ويقوم النفوس فى صبر وتدرج . وبقى نوح ألف سنة إلا خمسين عاما .

ويرجع اهتمام النظرية الإعلامية الإسلامية بالقدوة الحسنة إلى الطبيعة الخاصة للدين الإسلامى، الذى يعتمد على وسيلة الاتصال الشخصى . أى على جعل الداعية نموذجا حيا لمبادئها الأمر الذى يساعد على سرعة الاقتناع والتأثير .

ورغم ماانتهت إليه الدراسات الإعلامية الحديثة من تأكيد لأهمية الاتصال الشخصى فى

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٦٢ .

(٢) سورة الصف : الآية ٢ .

مجال الأفكار والمعتقدات والآراء إلا أنها جردته من عامل القدوة الحسنة، فلم ترتفع بالقائمين بالاتصال إلى مرتبة التمثل الحقيقى لهذه الآراء، الأمر الذى أفقدها تأثيرها وفاعليتها وهو ماتلافته النظرية الإعلامية الإسلامية بإقرارها لهذا المبدأ .

وتتسلسل مراتب القدوة أو المثل فى النظرية الإعلامية فتبدأ برسول الله ﷺ الذى وصل إلى درجة أن أصبح خلقه القرآن كما تقول السيدة عائشة رضوان الله عليها، وكما قال ﷺ عن نفسه " أدبنى ربى فأحسن تأديبى" وقال تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[1] و (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [2] .

ثم قدمت النظرية الإعلامية الإسلامية فى مجال القدوة الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن نهلوا من مدرسة النبوة وترعرعوا فى ظل رعايته ﷺ وتوجيهاته المستمرة، حتى أصبح كل منهم مثلا رائعا وقدوة حسنة وحتى قال عنهم عليه الصلاة والسلام : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتهم اهتديتهم .

وانطلاقا من هذا المبدأ فإن مسئولية القائمين بالإعلام تتحدد فى أن يتعهدوا أنفسهم بالرعاية وحسن الاقتداء حتى يصبحوا هم أنفسهم مضرب المثل والقدوة الحسنة .

فلا تقول اليوم مايتناقض مع مضمون الأمس، ولاترفع شعارا وتقدم مايتناقض مع هذا الشعار . خاصة وأن مثل هذه الأمور لاتغيب عن بال الجمهور، وتجعله يفقد الثقة فيهم، ويقلل من قدرتهم على التأثير والإقناع ومن أن يكونوا عاملا فعالا فى بناء المجتمع وتنميته وتطويره،.

خامسا : الالتزام بالصدق :

على الرغم من أن الصدق يعتبر من الصفات الأساسية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى إلا أنه من ناحية أخرى يعد أحد الضوابط الأساسية للممارسة الإعلامية فنقطة البداية هى الفرد، سواء كان مرسلا للرسالة الإعلامية أم مستقبلا لها . وهى لا تتعامل مع ظاهر هذا الفرد المتمثل فى أقواله، وسلوكه، وتصرفاته . البادية منه . وإنما يعنيها باطن هذا الفرد، ومدى اتساق هذا الباطن مع ظاهره .

وقد قدمت النظرية الإعلامية الإسلامية ثلاثة مستويات للصدق هى :

١ – صدق الأفعال : ويمثل الجانب الظاهرى للعمل .

٢ – صدق الأقوال : ويعنى أن القائم بالاتصال لايقول إلا صدقا، وهذا النوع من الصدق يهدى إلى البر كما يقول الحديث الشريف . والبر يهدى إلى الجنة . وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا .

---

(١) سورة القلم آية ٤ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣١ .

٣ – أما النوع الثالث من الصدق والذى يهمنا هنا . فهو الصدق الذاتى . أى الصدق فى النيات . وترجع أهميته إلى أنه يسبق العمل، ويجعل الفرد بقلبه وقالبه مع هذا العمل، وهذا يعنى طيب باطن الفرد، وأنه ليس لديه مايخفيه . كما أنه يعكس من ناحية أخرى أقصى درجات الاقتناع والإيمان بالعمل . فالإنسان قد ينافق فى قوله، فيقول مالا يقتنع به، وقد يعمل عملا على سبيل المجاملة أو الخوف، ولكنه لاينافق فى النية أبداً، لأنها شئ داخلى بين العبد وربه ولايطلع عليه سواهما . فالإنسان الذى يصدق فى قوله وعمله، ولا يتوافر له الصدق فى النية لا يعتبر صادقا، كما أنه لايصل أبداً إلى مرحلة الاقتناع الكامل والإخلاص للعمل، ولذلك فإن الصدق الذاتى فى مفهوم النظرية الإعلامية الإسلامية يعنى أن يطابق الإنسان بين نواياه وأقواله وتصرفاته وبالتالى يعنى ألا يقول إلا مايفعله فعلا .. وهذا ماعبرت عنه الآية الكريمة ﴿ ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾[١] .

على أن تحقيق هذا الصدق يحتاج إلى إيجابية من الإنسان فهو يجب أن يبدأ بنفسه، وأن يأخذها بما يدعو إليه قبل أن يدعو الآخرين إليه . قال تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾[٢] وبذلك ترتفع النظرية الإعلامية بالفرد المسلم إلى درجة التمثيل الحى للمبادئ الإسلامية . أى أن يصبح سلوكه مطابقا لقوله .

وبفضل هذا المبدأ يتأكد للقائمين بالاتصال المقدرة على الإقناع والتأثير حيث سيطمئن الجمهور إليهم ويثق بهم .

وهناك دراسات عديدة تبين أثر صدق القائم بالاتصال ومن الأبحاث التى أجريت حول هذه الصفة تبين أن مضمون الرسائل الموجهة من مصادر يقل تصديق الجمهور لها لا يعتد بها لأنها تعتبر فى نظره منحازة وغير موضوعية، كما أثبتت الأبحاث أيضا أن عدم تأثر آراء الجمهور فى حالة قلة تصديقه المرسل أو رجل الإعلام يرجع إلى أن تصديق المستقبل يؤثر على دوافعه نحو قبول ماينتهى إليه المرسل من استنتاجات[٣] . ولهذا عرف كافة أنبياء الله ورسله بالصدق، فلم يبعث الله نبيا إلا وشهد له قومه بالصدق قبل أن يبعث " مثلما حدث من مشركى مكة فقد شهدوا لمحمد ﷺ بذلك ونعتوه بالصادق الأمين .

ونظرا لأهمية هذا المبدأ فى مجال الإقناع والتأثير فقد حثت النظرية الإعلامية الإسلامية كافة القائمين بالاتصال على ضرورة الالتزام به .

فدعت أولا إلى صدق المواجهة مع النفس فلا يقدم شيئا لايقتنع هو نفسه به أو يضطر لإظهار اقتناعه به .. وثانيا إلى صدق العمل، أى أن يتحول اقتناعه بهذا الشئ أو الأسلوب إلى سلوك يصدر عنه فى تصرفاته وأفعاله، وثالثا إلى صدق القول بمعنى ألا يقول إلا صدقا .

وبذلك تحمى النظرية الإعلامية الإسلامية هؤلاء الإعلاميين من مختلف أنواع التناقض : بين قوله

---

(١) سورة الصف آية ٢، ٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٤ .

(٣) د .محمد محمد البادى : البنيان الاجتماعى للعلاقات العامة القاهرة – الأنجلو المصرية ١٩٧٨م ص ١٨٧ – ١٨٨ .

وعمله، وبين عمله ونيته، وأيضا من التناقض داخل إطار المضمون الذى يقدمه، فلا يقول اليوم مايتناقض مع ماقدمه بالأمس ...

سادسا : الإحساس بالمسئولية :

تخضع عملية الانتقاء والاختيار والتفضيل بين أنواع المضامين المختلفة لنوع من التصفية الذاتية من القائم بالاتصال فهو بحكم مراقبة الله له وخشيته الدائمة منه، وبحكم الضمير الحى الذى كونته لديه النظرية الإعلامية الإسلامية فإنه مطالب بأن يستعرض كل ما يقدمه على هذا الضمير فما استراح له قلبه واطمأن له ضميره قدمه لجماهيره، وما يعجز عن تقديمه، أو لا تعاونه الظروف المحيطة على أدائه فله ثواب النية الصادقة .

وبذلك جعلت النظرية الإعلامية الإسلامية للمسئولية الذاتية للقائمين بالاتصال إطارا محددا يحكمها وينظمها ويتألف هذا الإطار من عنصرين هما :

١ - الضمـــير ٢ - النيـــة .

ويعتبر الضمير من أهم مقومات النظرية الإعلامية الإسلامية فلقد نجحت فى تحويل القيم والأنماط الإسلامية إلى وازع داخلى وجعلته هاتفا للخير ومروضا للغرائز ومحدا للنزوات حتى يغالب جانب الشر الذى لا يمكننا أن نبرئ أية نفس بشرية منه . قال تعالى ﴿ وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم ﴾ (١) .

وهذا الوازع الداخلى هو الذى يذكرنا بوجود الله ويشعرنا بقربه فهو أقرب إلينا من حبل الوريد . قال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (٢) .

وهدف النظرية الإعلامية الإسلامية من تنمية الضمير هو تقوية مقاومة الإنسان للشر وتنمية دوافع الخير فى نفسه. وبذلك يقوم الفرد بدراسة متوازنة للاستجابة حتى تتفق مع القيم الإسلامية، أما إذا كانت الاستجابة لا تتمشى معها فلا شك أن الهدف النهائى للفرد من الاستجابة وهو تحقيق الاستقرار والتوازن لن يتحقق حيث سيظل هناك نوع من الإحساس بالذنب وعدم الاستقرار يلازمه كلما اتخذ استجابة لا تتمشى مع القيم الإسلامية. وبذلك تتكون لدى الإنسان عادة المحاسبة الداخلية وهى التى قصدها الحديث الشريف " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، أى أن كل إنسان يجب أن يراجع نفسه ويحاسبها حساباً عسيرا قبل أن يحاسب، وذلك على سبيل الوقفة التى قد تعيده إلى الطريق إذا كان قد تنكبه، قال تعالى ﴿ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه. ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾(٣). ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن

---

(١) سورة يوسف آية ٥٣ .
(٢) سورة ق آية ٥٠
(٣) سورة آل عمران آية ٢٥.

بينها وبينه أمدا بعيداً ﴾ (١).

ويستمد الحساب الذاتى للنفس مقوماته من مبدأ المسئولية الذى أقرته النظرية الإعلامية الإسلامية فى أكثر من موضع. قال تعالى ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (٢) ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ (٣) ﴿ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه﴾ (٤) .

أما النية فهى الرغبة أو الميل للاستجابة لمنبه ما، بصورة معينة، أو بمعنى آخر هى الاستجابة الداخلية غير الظاهرة لمنبه ما وترجع أهمية النية إلى أنها تساعد على تحديد الشكل النهائى للاستجابة كما أنها تهيئ الفرد لهذه الاستجابة، ولذلك فدورها هام فى عملية تنسيق المعلومات أى عندما يحتار الفرد بين المنبهات التى يتعرض لها .

وهذا هو السبب فى اهتمام النظرية الإعلامية الإسلامية بالنية إلى درجة جعلتها شرطا لأداء جميع العبادات والشرائع، وممارسة كل الأعمال قال رسول الله ﷺ " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى" فمجرد تحقق الاستجابة الداخلية حتى وإن لم تقترن بالاستجابة العلنية كان من وجهة نظر النظرية الإعلامية الإسلامية . حيث سيؤدى وجود هذه الاستجابة الخفية إلى استجابة أخرى علنية أى إلى السلوك المطلوب والمحدد وفقا للمنبه . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن التلازم بين الاستجابتين يعنى أن الفرد سوف يظل يسلك نفس السلوك مهما تعددت وتنوعت المنبهات التى يتعرض لها .

ومن خلال إحساس الفرد أو القائم بالاتصال بمسئوليته الذاتية حيال كل تصرفاته، وما يصدر عنه من أقوال، وحيال مايجول بنفسه من خواطر، وإحساسه بضرورة أن تواكب النية العمل أو القول، وعبر عمليات الحساب الذاتى أو الضمير الذى يعطى القوة الشرعية لهذه التصرفات والأقوال تتأكد لنا الأهمية الحقيقية لمبدأ المسئولية الذاتية التى أخذت به النظرية الإعلامية الإسلامية كضابط من الضوابط الأساسية التى تحكم الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال واستهدفت إيجاد الإنسان الواعى القادر على تحمل مسئولياته والسير فى أرض الله وتعميرها بمنهاج الله .

سابعا : الإخلاص والتجرد :

من الضوابط الأساسية للممارسة الإعلامية الإسلامية الإخلاص والتجرد. فالقائم بالاتصال يجب أن يجرد نفسه للدعوة بنفسه وماله وقلبه عقله وروحه، وأن يصبح فى كل أحواله وظروفه خالصا للدعوة أو الفكرة التى يدعو إليها .

ولذلك لا يصح فى مفهوم النظرية الإعلامية الإسلامية أن يمارس القائم بالاتصال الدعوة

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٠

(٢) سورة المدثر آية ٣٨ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٦٤ .

(٤) سورة النساء آية ١١١ .

وهو يطلب لنفسه منصبا أو مالا أو جاها أو أى شئ آخر يمكن أن يعد عوضا أو جزاء أو اجرا نظير القيام بعملية الدعوة. فلم نسمع عن نبى أو رسول طلب لنفسه أجرا على دعوته قال تعالى ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجرا، إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ (١) .

بل أنه عندما كان المعارضون للدعوات الجديدة يلوحون بالمنصب أو الجاه أو المال لم يحدث أن استجاب أحد من الأنبياء أو الرسل أو خضع لضغوطهم.. ومن ذلك مثلا مشركو مكة عندما عرضوا على محمد ﷺ المال والجاه والمنصب والعز فرفض ولم يزد على أن قال " والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه " .

ولهذا أيضا لم تجعل النظرية الإعلامية الإسلامية الدعوة عملا يحتكره أفراد قلائل، وإنما فتحت الباب للجميع، كل بقدر طاقته وجهده وإخلاصه. فكان الطبيب الداعية، والتاجر الداعية، ووجدنا الدعوة عملا يمارسه كل فرد بقدر جهده واستعداده .

وهدف النظرية الإعلامية الإسلامية من تحديد هذا الضابط هو أن تجعل التحمس للفكرة مرتبط بالإيمان الكامل بها، لا بما يجنيه الفرد من وراء دعوته من مال أو منصب أو جاه، فإذا قل الأجر أو فقد المنصب والجاه امتنع عن بث دعوته وإقناع الناس بها ولذلك قال رسول الله ﷺ "من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله فى شئ" بمعنى ألا يهتم الناس بصفة عامة، والقائمون بالاتصال بصفة خاصة بالدنيا اهتماما يصرفهم عن القيم الروحية من الإيمان والعبادات والفكر والذكر والخلق الفاضل والأدب الرفيع، ويدفعهم إلى الاهتمام بالشهوات والاستجابة للأهواء والتوسع فى لذائذ الجسد والافتتان بها . وهو ما يؤدى إلى الصراع بين الأفراد والأمم والشعوب. ولذلك قال رسول ﷺ "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء.فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء" وقال تعالى ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ﴾ (٢) .

ومسئولية القائمين بالاتصال فى نطاق هذا المبدأ تنحصر فى أن يكونوا هم أكثر إخلاصا لجماهيرهم وأكثر حرصا على ما فيه خيرهم ومصلحتهم، منزهين أنفسهم من التكالب على الدنيا أو الحرص على المنصب أو الجاه، وإنما أصحاب عواطف نبيلة ومشاعر حية تنفعل بالخير وتجعله أعلى هدف لها فى الحياة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن عليهم أن ينموا فى جماهيرهم الرغبة فى العمل الخالص لله والتواد والتحاب والحرص على الآخرين الأمر الذى يحرر المجتمع من عبودية المادة وسيطرة الشهوات ويخفف من حدة القلاقل والمشاحنات والحروب .

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٠ .

(٢) سورة الحديد آية ٥٧ .

ثامنا : الإحاطة بمكونات الظرف الاتصالى :

وتعنى أن تقوم الممارسة الإعلامية على التزام من قبل القائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى بتوفير كافة متطلبات النجاح لدعوته ويتضح هذا من حديث رسول الله ﷺ " المؤمن كيس فطن " ومن قول الله عز وجل ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى﴾(١) وأيضا ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (٢) .

والدعوة إلى الله على بصيرة، تعنى أن يحيط القائم بالاتصال بمتطلبات الظرف الاتصالى . فهو يجب أن يكون على بصيرة بما يدعو إليه، أى أن يحيط إحاطة تامة بالموضوع الذى يقدمه وأن يدعو وهو على بصيرة من نفسه، وعلى بصيرة بطرق الإقناع، وبأساليب الفن الإعلامى، وبأحوال من يدعوهم؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وأيضا بالتعرف على طبائع الناس واهتماماتهم وميولهم والجماعات التى ينتمون إليها والطريقة المثلى لتحقيق اتصال معهم، والعوامل التى تؤثر على كيفية استجابتهم للرسالة الإعلامية .

فالمؤمن كيس فطن، ومن الكياسة أن يوفر كافة متطلبات النجاح لدعوته. لأنه إنسان هادف إلى تحقيق الخير العام لنفسه وللآخرين، وعندما يتصل بالآخرين فلأجل هذا الهدف، وإذا كنا نعد التربة أولا لإلقاء البذور . ونحرص على دراسة نوع التربة وخصائصها والنباتات التى تجود فيها حتى نحصل على أعلى إنتاجية وذلك قبل القيام بعملية زراعة الأرض، كذلك ونحن نتصل بالآخرين، يجب أن نحيط بكافة مكونات الظرف الاتصالى، كما أوضحت ذلك النظرية الإعلامية الإسلامية .

وبهذا يتعامل القائم بالاتصال مع جمهوره وهو على أرض صلبة من الحقائق، تقربه منهم، وتجعله وهو يحدد أهدافه لا يتوقف عند رغباته وآماله. وإنما عند رغبات الجمهور وتطلعاته وأحلامه، فتصبح من ثم أهدافه تلبية لاهتمامات أغلب الناس الذين يعمل من أجلهم .

وهذا الشغف بالناس وبمشكلاتهم هو سر نجاح العمل الإعلامى ذلك أنه يهيئ النفوس ويفتح القلوب لتلقى الرسالة الإعلامية ويجعل الجمهور يشعر بشئ من الحب والتقدير للقائم بالاتصال. كما أن القائم بالاتصال من ناحيته عليه بعد أن يدرس جمهوره ويتفهم كل ما يتعلق بهم من عوامل يمكن أن تؤثر على دعوته لا يجلس فى قمقم، بل عليه أولا أن يشعر الجمهور بهذا الحب، وهذا الاهتمام والتقدير والحرص على كل ما فيه صالحهم وخيرهم، وشعاره من أجل إقناع الناس يجب أن نمد لهم يدا مخلصة نافعة مجردة من الأنانية والمصلحة الذاتية .

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .

وبذلك تتأكد فعالية القائم بالاتصال فى مجال بناء المجتمع الإسلامى، وإعداد الرأى العام، وتهيئة الجماهير لفهم مشاكلها ومساعدتها على حلها اعتمادا على الحقائق، والحقائق وحدها، لأنها وحدها هى التى تستطيع أن تصل إلى قلوب الأفراد وتتحصل على تأييدهم الفكرى والمعنوى والنفسى .

ولن يتيسر لها ذلك إلا إذا أنشئت هذه الوسائل مراكز الأبحاث التى تقوم بإعداد الدراسات والبحوث التى تساعد على حسن تفهم الجماهير .

ويدخل فى نطاق هذا المبدأ انتماء القائمين بالاتصال إلى من يتوجهون إليهم بالدعوة. فهذا مما يساعد على زيادة الإحساس بهم، وهو نفس ما أخذت به النظرية الإعلامية الإسلامية. يقول تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾(١) . وأيضا قوله تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

أى عليم بآمالهم وأحلامهم وأفكارهم وميولهم وتطلعاتهم، الأمر الذى يساعد على حسن إدارة شئون الدعوة وتوجيهها الوجهة التى تراعى كافة الجوانب النفسية للجماهير وتحقق للدعوة النجاح والانتشار .

تاسعا : الحرية الإعلامية :

قامت النظرية الإعلامية الإسلامية على أساس مبدأ الحرية الإعلامية، فالحرية حق وواجب لكل إنسان، سواء كان مرسلا للرسالة الإعلامية أو مستقبلا لها . وواجب على الآخرين رعاية هذا الحق الإنسانى، على أساس أن حق الفرد على المجتمع واجب ملزم للجماعة بأسرها .

وتعتبر الحرية الإعلامية تتويجا لمبدأين أخذ بهما الإسلام وهما :

١ – المسئولية : ٢ – الواجب .

والمسئولية كما يقول الدكتور : حسين فوزى النجار فى كتابه "الإسلام والسياسة " ليست مسئولية الضمير ، أو مسئولية القانون(٣) وإنما هى مسئولية الإنسان أمام الله مباشرة، وهى مسئولية لا تقف عند الحدود الظاهرة من الأقوال والأفعال فحسب بل تتناول النوايا وما تخفى الصدور ، فالله عليم بكل شئ، ولا تغيب عنه جل جلاله صغيرة ولا كبيرة فى السموات ولا فى الأرض ﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾ (٤) ﴿وهو بكل خلق عليم ﴾ (٥) .

---

(١) سورة إبراهيم آية ٤ .
(٢) سورة التوبة آية ١٢٨ .
(٣) د. حسين فوزى النجار " الإسلام والسياسة " دار الشعب القاهرة ١٩٧٧م ص٩٢ – ٩٥ .
(٤) سورة البقرة آية ١١٥ .
(٥) سورة يس آية ٧٩ .

فالإنسان مسئول عن نواياه، مسئول عن أعماله أمام الله مباشرة، ولكل عمل جزاؤه، ولكل حسنة ثوابها، والجماعة الإنسانية مسئولة عما تعمل مسئولية الفرد سواء بسواء، إن قصرت فى أدائها لقيت من جزاء الله ما يلقى الفرد من جزائه .

ومن هذه المسئولية يبرز الواجب، فما يعد حقا للفرد أو المجتمع، هو فرض واجب على الفرد للفرد وعلى المجتمع للفرد وعلى الفرد للمجتمع وعلى الدولة للفرد والجماعة معا، فالجماعة الإسلامية كل متكامل يلتقى فيها الفرد بالمجتمع فى نظام يحكمه الواجب الذى يرقى إلى درجة الإلزام.

ويفوق الواجب كل إرادة أخرى للفرد، وهو الذى يحدد معنى الحرية ومداها . وفى قوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (١) ما يفصح عن حكمة التشريع الإسلامى، وهى سعادة الإنسان وأمنه دون غلو أو إسراف . فالشريعة تحكم علاقات الإنسان كما تحكم عقيدته الدينية، وهى التى تحدد مضمون الحرية، فالحرية ليست مطلقة، ولكنها تحمل فى بذرتها القيود التى تحكمها، فالحرية المطلقة حرية مدمرة، فإن قيدت فلمصلحة الفرد والمجتمع.

وفى إطار هذا النطاق تتحرك الحرية الإعلامية، فهى تقوم على أساس من الثقة فى التزام الأفراد طواعية بمصلحة الفرد والمجتمع، ولا يتيسر ذلك دون التزام بتدعيم قيم الإسلام ومبادئه ومعانيه، وهى فى الوقت نفسه قيم الإنسانية ومبادئها ومعانيها فى كل زمان ومكان .

وبذلك لا يكون هناك فرض أو رقابة أو تدخل بأى شكل فى عمل القائمين بالاتصال سوى التدخل الذاتى أو المسئولية الذاتية لهم أمام أنفسهم وأمام الله مباشرة .

كما أنه لا يوجد أى تدخل على حرية المستقبلين للرسالة الإعلامية، فهم يتعرضون للمواد التى يختارون هم أنفسهم أن يتعرضوا لها . أما القيد الوحيد الذى جعلته النظرية الإعلامية الإسلامية على حرية العمل الإعلامى فهو فى جوهره قيد أخلاقى يستمد مقوماته من القيم الثابتة للدين الإسلامى .

وهدف النظرية الإعلامية الإسلامية من إقرار هذا المبدأ يتلخص فى حفز كافة القائمين بالاتصال على العطاء بلا حدود ، وتكريس إمكانياتهم ومواهبهم من أجل نشر وتدعيم القيم الدينية من ناحية ومن ناحية أخرى تهيئة الظروف التى تجعل جمهور المستقبلين للرسالة الإعلامية يتلقونها دون تحفظ.. الأمر الذى يدعم ثقة الأفراد فى أنفسهم وفى بعضهم البعض. ويجعلهم أقدر على الصلابة والصمود ومقاومة التحديات التى تواجه المجتمع الإسلامى فى كل عصر وأوان

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ .

عاشرا : التوازن الإعلامى :

يهتم الإعلام الإسلامى بتحقيق التوازن بين طرفى العملية التعليمية المرسل و مستقبل. فمن خلال هذا التوازن يتحقق احترام شعور الإنسان بذاته كعقل ووعى متميز. وتتحقق أيضا وظائف الإعلام فى المجتمع المسلم. فالقائم بالاتصال يزود الجمهور بالأخبار الصحيحة والمعلومات السامية لا وفق أهوائه وميوله ولا وفق سياسات المؤسسات الإعلامية التى يعمل بها وحسب وإنما وفقا للمبادئ السامية التى تأخذ بيده نحو الموضوعية فى الإعلام وخاصة الموضوعية الهادفة التى تحقق الاستقرار للمجتمع .

ومن ناحية أخرى فللجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية فى إطار هذا التوازن الإعلامى حق المراقبة وحق الضغط الاجتماعى على القائمين بالاتصال إن خرجوا عن الأهداف الأساسية المعلنة التى أقرها الإسلام، ولذلك فقد أعطى الإسلام الحصانة لإجماع الجمهور على موقف معين. قال رسول الله ﷺ " لا تجتمع أمتى على خطأ " فاجتماعها على أمر يدل على أنه صواب".

والجمهور فى مفهوم التوازن الإعلامى كيان واع وقادر على التفكير وعلى اتخاذ القرار. ليس ككيان متكامل وإنما كأفراد مستقلين. وبحكم وحدة الإطار الدلالى الإسلامى الذى يتحركون فى نطاقه فإن القرارات التى ينتهون إليها تكون متقاربة ولذلك حثت النظرية الإعلامية الإسلامية الأفراد على التفكير المستقل بحيث يفكر كل فرد على حدة – أو كل اثنين – لأن ذلك أدعى إلى إعمال الفكرة قال تعالى ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾ . (١)

وفى هذا الإطار يتخذ كل فرد قراره .. ومن مجموع هذه الآراء يتكون رأى الجماعة وهو هنا رأى واع لأنه ناتج عن إعمال فكر وليس ناتجا عن إحساس بالسلطة التى لا تقهر أو شعور القطيع والانقياد كما يقول علماء الاجتماع .

ففى مواجهة القائم بالاتصال تنشأ من ثم مسئوليات الجمهور، فعليه أن يتحقق من صحة وقيمة الأخبار والموضوعات المقدمة إليه قبل أن يتخذ أى موقف قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ (٢) وله أيضا أن يستعين بأهل الرأى والخبرة من المتخصصين وغيرهم لمساعدته على تفهم الأحداث

---

(١) سورة سبأ آية ٤٦.

(٢) سورة الحجرات آية ٦ .

وتفسيرها وحسن إدراكها قال تعالى ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ (١) .

ولا شك أن شعور القائمين بالاتصال برقابة الجمهور لهم من شأنه فى حالة افتقادهم للرقابة الذاتية أن يجعلهم يراجعون أنفسهم ألف مرة قبل أن يقدموا أخبارا أو معلومات أو حقائق كاذبة خاصة إذا ما عرفوا مقدما أنهم سيكونون مرفوضين من الجماهير التى ستقيم رسائلهم على ضوء إطار الدلالة الإسلامى .

ولهذا كان على القائم بالاتصال فى المجتمعات الإسلامية أن يتحرى الصدق والإخلاص وأن يبذل قصارى جهده لكلمة الحق .. قال رسول الله ﷺ « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا الله فيه مقال .. فلا يقول فيه .. فيلقى الله قد أضاع ذلك .. فيقول ما منعك أن تقول فيه .. فيقول يارب خشية الناس فيقول فإياى كنت أحق أن تخشى» .

أما إذا تعمد إشاعة الأخبار الكاذبة وفرط فى أمانة الكلمة ومسئوليتها فقد حدد له الإسلام ما ينتظره من عقاب يوضح ذلك حديث رسول الله ﷺ أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها برئ يشينه فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار حتى يأتى بإنفاذ ما قال "ومن يصحح مثل هذه الأخبار. قال رسول الله ﷺ " من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يقيه النار " .

وبهذا التوازن تتضح القيمة الحقيقية للجمهور .. فهو جمهور عاقل وواع وناضج وقادر على مراقبة القائمين بالاتصال وتحديد قيمتهم الفعلية ومقدرتهم على التأثير فى المجتمع .. وتتحدد مسئولية الإعلاميين فى الحرص على رفع مستوى ثقافته ووعيه والسمو بذوقه حتى يتمكن من أن يكون هو نفسه حكما على هؤلاء الإعلاميين يتقبل منهم ما يتفق والذوق الإسلامى والقيم الإسلامية ويرفض مالا يتفق معها .

---

(١) سورة النساء آية ٨٣ .

الرأى العام فى الإسلام

د . عبدالوهاب كحيل
أستاذ مساعد قسم الصحافة
آداب سوهاج

أولاً : مفهوم الرأى العام

١ – المفهوم اللغوى .

٢ – المفهوم الاصطلاحى .

ثانيا : اهتمام الإسلام بالرأى العام

١ – فى القرآن الكريم .

٢ – فى السنة النبوية .

ثالثا : المنهج الإسلامى فى تكوين الرأى العام

١ – تعليم الفرد تحمل المسئولية تجاه المجتمع .

٢ – مسئولية القادة إزاء المجتمع .

٣ – العلاقة الطيبة بين الأفراد وقادة المجتمع

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الكريم ﷺ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد :

فإن دراسات الرأى العام تعتبر من أهم الدراسات التى يجب أن تعنى بها مختلف العلوم الإنسانية فى هذا العصر، الذى سادت فيه النظرة المادية . كما أنها يجب العناية بها لدى الإعلاميين بصفة خاصة ،حيث هى معيار الحكم على مدى نجاح الرسالة الإعلامية وتأثيرها وبالتالى استمراريتها وقوتها .

وإن كانت تسمية "الرأى العام" أو مصطلح "الرأى العام" قد ظهر حديثا إلا أنه معروف منذ أن ظهرت المجتمعات على وجه الأرض . وإن كان لكل مجتمع ولكل زمان مصطلح يطلقه عليه .

وقد اهتم الإسلام بالرأى العام . وكان لهذا المصطلح فى الإسلام اسم آخر هو الشورى . حيث اهتم القرآن الكريم بالشورى فسميت باسمها سورة من سوره الكريمة .

وأمر الله عز وجل نبيه بها وأمر الناس جميعا بها فى كل أمور حياتهم العامة والخاصة، وكان النبى ﷺ منفذاً لأمر الله عز وجل . فكان يستشير أصحابه فى أدق الأمور وأعظمها كما سنرى من خلال هذه الدراسة . فاستشارهم فى الغزوات، فى بدر وأحد والخندق وغيرها، واستشارهم حتى فى أموره الخاصة يوم أن خاض الناس فى عرضه فى حديث الإفك، بل وأكثر من ذلك أنه كان يحسن توجيه الرأى العام لإطفاء نيران الفتن قبل أن تستعر . كما حدث مع الأنصار بعد غزوة حنين وعند تقسيم الغنائم .

وعلى هذا النهج سار الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم بعد النبى ﷺ حيث كان لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما باع طائل فى ذلك كما سنرى .

وقد رسم الإسلام منهجا فريدا بديعا لكيفية تكوين وظهور رأى عام صائب فى المجتمع الإسلامى الذى يلتزم أصحابه بهذا المنهج الإسلامى، بدأ هذا المنهج بكيفية تكوين الرأى لدى الفرد . ثم تعليمه الإعراب عن رأيه بحرية، وبصدق من خلال غرس القيم الإسلامية الفاضلة لديه حتى تكون بمثابة الحارس الأمين المسيطر على حسن توجيه هذا الرأى الوجهة النافعة للناس وللمجتمع، بعيدا عن الأنانية وحب الذات، وبالتالى تتكون الآراء المكونة للرأى العام المستنير الصائب النافع للمجتمع كله . كما اهتم المنهج الإسلامى فى ذات الوقت بقادة المجتمع وتدريبهم على تحمل المسئولية بأمانة . ومشاورة أهل الرأى من أفراد المجتمع . ثم بحسن العلاقة بين

القادة والأفراد . وبذلك رسم الإسلام منهجا فريدا لكيفية تكوين الرأى العام الصائب وظهوره فى صورة إيجابية بناءة حرة تهتم بالصالح العام للمجتمع . وتعمل على استقراره وأمنه ورفعته والنهوض به .

آمل أن تقدم هذه الدراسة شيئا أو تشير إلى فكرة جديدة فى مجال الإعلام الإسلامى .. وماقصدت إلا وجه الله عز وجل الذى رزقنى حفظ كتابه وأسأله أن يوفقنى للاستنارة به .

والله من وراء القصد وهو المستعان

عبدالوهاب كحيل

١ - المفهوم اللغوى للرأى العام

يتكون مصطلح الرأي العام من كلمتين هما كلمة رأى وكلمة عام . ولكل كلمة منهما معنى من حيث المفهوم اللغوى . فيقول صاحب لسان العرب " استرأيت الرجل فى الرأى " أى استشرته وراعيته. وهو يرائيه أى يشاوره[١]ويقول فى كلمة عام : "العامة خلاف الخاصة"[٢].

وقد جاء فى المعجم الوسيط فى معنى كلمة رأى "الرأى : الاعتقاد، والعقل والتدبير، والنظر والتأمل . ويقال : رأيته رأى العين حيث يقع عليه البصر . وارتأى الشئ : أبصره . ويقال ارتأى فى الأمر . وارتأى رأيا فى الأمر "[٣]. وجاء فى معنى كلمة عام : "جاء القوم عامة : جميعا والعامى المنسوب إلى العام . والعام من الكلام مانطق به العامة على غير سنن الكلام العربى، والعامية : لغة العامة وهى خلاف الفصحى"[٤] .

وأورد القاموس المحيط نفس المعنى تقريبا لكلمة رأى . حيث جاء فيه أن "الرؤية : النظر بالعين والقلب . واسترأيته : استشرته . وأريته شاورته . وأصحاب الرأى هم أصحاب القياس لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثا ولا أثرا "[٥]

وبناء على ماسبق يمكن القول إن كلمة "رأى" تعنى النظر فى أمر من الأمور والتأمل فيه لمعرفة وجه الصواب . فكلمة "رأى" معناها أشاهد وألاحظ واتمعن فى الأمر وأفكر فيه . ومن الملاحظة والتمعن والتفكير تتكون الفكرة التى يعبر الإنسان عنها .

أما كلمة عام فكما يتضح مما أوردته المعاجم العربية أنها تعنى الشمول الذى يعبر عن أغلبية أفراد المجتمع . أو عن الجماعة الكثيرة من الناس .

وإذا أضفنا كلمة رأى إلى كلمة عام فإنها بذلك تعطى معنى يمكن أن تفهمه على أنه تعبير معظم أفراد المجتمع عن وجهات نظرهم القائمة على التمعن والتفكير حول مشكلة أو قضية تواجههم بصفة عامة فى وقت أو زمن معين . ومايعنينا هنا أن الكلمتين معا قد كونتا مصطلحا تناوله أساتذة الاتصال بالتعريف ووضع المفاهيم له .

٢ - المفهوم الاصطلاحى للرأى العام

تناول أساتذة الاتصال هذا المصطلح "الرأى العام" بالتعريف غير أن هذه التعريفات التى وضعوها تعتبر فى جملتها تعريفات ليست نهائية أى أنها عرضة للنقد . ولا أدل على ذلك من أن بعض هؤلاء الذين وضعوا هذه التعريفات قد رجعوا فانتقدوا تعريفاتهم السابقة ووضعوا بدلا منها .

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن مفهوم هذا المصطلح يتعلق بالنواحى المعنوية للإنسان . ومن المسلم به بداهة أن ما يتعلق بهذه النواحى المعنوية يصعب أن يوضع له قوانين أو تعريفات عامة

ثابتة ومحددة، تصدق على الشئ ذاته وتكذب على ماسواه . فهذا شأن الماديات . وبذلك فإن وضع تعريف ثابت وعام ودائم لمصطلح الرأى العام غير ممكن . وكل ماحدث إنما هو محاولات لوضع مفاهيم تقترب من تفسير هذا المصطلح .

وقبل التعرف على بعض المفاهيم الواردة لمصطلح "الرأى العام" لابد من التفريق بين الرأى بصفة عامة والرأى العام .

فالرأى بصفة عامة ينقسم إلى رأى شخصى ورأى خاص " فالرأى الشخصى هو الذى يكونه الفرد لنفسه فى موضوع معين بعد تفكير فى هذا الموضوع . ويجاهر به دون أن يخشى شيئا . أما الرأى الخاص فهو هذا الجزء من الرأى الشخصى الذى لايجاهر به الشخص أمام الناس . ولكنه يحتفظ به لنفسه خشية أن يعرض نفسه للخطر . أو خشية فقدان صديق أو منصب، وقد يبوح به الشخص لبعض المقربين إليه الذين يكتمون سره"(٦).

أما الرأى العام فإنه يمثل تيارا يسرى عبر الجماهير، يعكس إقبالها أو نفورها ويعكس رضاها أو سخطها . ويظهر ذلك غالبا فى صورة مجموعة من الضغوط والأحكام التى تصدرها هذه الجماهير تجاه عمل من الأعمال أو حادثة من الأحداث . فهو يمثل قوة جارفة من الصعب التصدى لها . أو التأثير عليها، إلا بعد معرفة اتجاه هذا الرأى. والوقوف على المؤثرات المباشرة وغير المباشرة فى تنشيطه وتحريكه . وكذا الوقوف على عوامل تكوينه . ومعرفة طبيعته . ذلك أنه يعبر عن اجتماع رأى معظم الجماهير "ويتفق ذلك مع ما أوردته الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية الصادرة عام ١٩٦٨ . والتى ذكرت أنه لايوجد تعريف عام متفق عليه للرأى العام، ومع ذلك فيزداد استخدام هذا التعبير . ويتفق أيضا مع رأى العالم أونكن والذى يقول : إنه بالرغم من عدم وجود تعريف شامل للرأى العام إلا أنه يمكن لكل إنسان أن يفهم المقصود به إذا سئل عنه "(٧).

ومع ذلك فقد حاول مجموعة من العلماء العرب وغير العرب وضع ماأسموه بتعريفات للرأى العام .

فقد حدد العالم "جرهارد شمتسن" معالم الرأى العام بقوله : " إن الرأى العام يتكون من أنماط سلوكية يعبر عنها بالكلمة المكتوبة أو المنطوقة . وأنماط السلوك هذه عبارة عن ردود فعل لحدث ما، وبالتالى يعتبر الرأى العام تعبيرا جماعيا عن ردود فعل لحدث ما . وبالتالى يعتبر الرأى العام تعبيرا جماعيا عن آراء مجموعة من الأشخاص متحدة الآمال والأهداف والحاجيات حول شئ ما ويعبر الأفراد عادة عن الشئ الواحد تعبيرات مختلفة لاختلاف الشخصيات والخبرات والجنس والسن والنشأة، والمركز الاجتماعى والتربية والدخل والمستوى العقلى والعادات

والتقاليد . الأمر الذى يحدث فى الرأى العام اختلافات يمكن ملاحظتها كذلك بين جماعات المجتمع العديدة المختلفة الأهداف والمصالح . مما يؤدى إلى وجود آراء عامة بدلا من رأى عام واحد"(٨) .

أما العالم "برايس" فإنه يصف الرأى العام فى كتابه الديمقراطية العصرية بأنه " تعبير يستخدم عموما للتعبير عن مجموع الآراء التى يعتنقها الناس عن الشئون التى تؤثر فى المجتمع أو تهمه . إنه مجموعة من كل نوع من المعلومات المتناقضة والمعتقدات والأوهام والأفكار المبتسرة والتطلعات . إنه حائر ومفكك يعوزه التبلور من يوم إلى يوم . ومن أسبوع إلى أسبوع"(٩).

وهذا التعريف مع كونه فى بدايته يقترب من وصف الرأى العام وأهميته فى التأثير على المجتمع ، إلا أنه يعود ويوضح أن الرأى العام مجموعة متناقضة من المعلومات والمعتقدات بل والأوهام . والأكثر من ذلك أنه حائر ومفكك وغير واضح . وهذه أوصاف خاطئة للرأى العام .

"ويرى العالم الأمريكى "دوب" أن الرأى العام هو اتجاهات الناس إزاء قضية ما حينما يكونون أعضاء فى نفس الفصيلة الاجتماعية . أو الجماعة المحلية"(١٠) وقد أغفل دوب فى تعريفه هذا عنصر الزمن الذى يمثل أهمية كبرى فى تكوين واستمرارية الرأى العام . كما يلعب دورا هاما فى تغيير الأفكار والنظريات بالنسبة للأفراد . مما يؤثر بالتالى على الرأى العام .

"ويرى فلريد البورت أن الرأى العام هو تعبير جمع كثير من الأفراد عن آرائهم فى موقف معين . أو يمكن استدعاؤهم للتعبير عن أنفسهم كمؤيدين أو معارضين لمسألة نهائية معينة أو لشخص أو اقتراح ذى أهمية واسعة النطاق، بحيث تكون نسبتهم فى العدد مع الكثرة والاستمرار كافية للتأثير على أفعالهم بطريق مباشر أو غير مباشر تجاه الموضوع الذى هم بصدده"(١١).

ويؤيد ذلك مايراه "كلايدكنج" فى كتابه قراءات فى الرأى العام حيث يذكر أن الرأى العام هو الحكم الذى تصل إليه الجماعة فى مسألة ذات بال . وذلك بعد مناقشة علنية مستوفاه (١٢). ويزيد هذا التعريف على التعريف السابق الإشارة إلى المناقشات العلنية والمستوفاه .

ويذكر الدكتور أحمد أبوزيد أن الرأى العام " هو وجهة نظر أغلبية الجماعة الذى لايفوقه أو يجبُّه رأى آخر . وذلك فى وقت معين وإزاء مسألة تعنى الجماعة . تدور حولها المناقشة صراحة أو ضمنا فى إطار هذه الجماعة"(١٣).

ويعتبر هذا التعريف من أقرب التعريفات التى تقترب من المفهوم الصحيح لمصطلح الرأى العام . حيث يجعله يعتمد على الأغلبية الكيفية للجماعة . أى الواعية التى لايفوق رأيها رأى آخر . كما أنها عرض للعناصر الهامة المكونة للرأى العام الصحيح والمتمثلة فى المجتمع (الجماعة) والمناقشة والزمن والمشكلة .

ويرى الدكتور محمد عبدالقادر حاتم أن الرأى العام هو "ذلك الرأى الذى ينتج عن المؤثرات وردود الأفعال المتبادلة بين أفراد جماعة كبيرة من الناس"(١٤). وهذا التعريف رغم أهميته إلا أنه يقصر وجود الرأى العام على وجود المؤثرات . ويستنبطه من ردود الأفعال الخاصة بالجماعة إزاء تلك المؤثرات بينما قد يوجد الرأى العام دون مؤثرات ، فقد تكون مسألة من المسائل أو القضايا تهم شعبا آخر أو جماعة أخرى . ويتكون رأى عام حولها لدى كثير من الشعوب أو الجماعات .

ويقول الدكتور إبراهيم إمام إن الرأى العام هو "الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصالح مشتركة إزاء موقف من المواقف . أو تصرف من التصرفات أو مسألة من المسائل العامة التى تثير اهتمامهم . أو تتعلق بمصلحة من المصالح المشتركة بينهم"(١٥).

ومع أن هذا التعريف واضح إلا أنه يجعل الرأى العام فكرة ، والفكرة غالبا ماتكون مرحلة سابقة للرأى . فالرأى يأتى على أثرها أى بعد أن تتبلور هذه الفكرة . ويدور حولها النقاش . وتظهر وجهات النظر المؤيدة والمعارضة . حيث يمكن بعد ذلك الوصول إلى رأى عام .

أما أقرب التعاريف التى تمثل المفهوم الصحيح للرأى العام . فهو المفهوم الذى أورده الدكتور مختار التهامى . والذى يذكر أن الرأى العام هو "الرأى السائد بين أغلبية الشعب الواعية فى فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر يحتدم فيها النقاش والجدل . وتمس مصالح هذه الأغلبية أو قيمها مسًا مباشراً (١٦).

وهذا التعريف رغم بساطته إلا أنه يتلافى عيوب كل ماورد من تعريفات سابقة . حيث يتعرض للجوانب الكمية والكيفية لدى أفراد المجتمع . كما يتعرض لبناء الرأى العام على النقاش. وأخيراً يرى أن الرأى العام لابد أن يكون حول قضية تمس مصالح الأفراد أو قيمها مسا مباشراً

وترجع الدكتورة شاهيناز طلعت هذه الاختلافات فى تعريف الرأى العام إلى اختلاف نظرة الكتاب والمفكرين إلى الرأى العام . تلك النظرة التى حصرت معنى الرأى العام وحددته فى نطاق معين(١٧) وهو ماسبق أن أشرنا إليه بأنه يتعلق بالنواحى المعنوية للإنسان . سواء كانت هذه النواحى تتعلق بمن وضعوا تعاريف الرأى العام أو بأفراد المجتمع .

وبهذا يمكن القول أنه لايوجد تعريف واحد واضح ثابت للرأى العام لكنها مفاهيم لهذا المصطلح توضح معناه . وتقربه إلى الأذهان وتجعل عملية التعرض له على أسس علمية واضحة .

ثانيا : اهتمام الإسلام بالرأى العام :

إذا كانت معاجم اللغة العربية قد دلت على أن معنى كلمة الرأى هى الاستشارة كما ذكرنا من قبل . فهذا يدل على أن لفظ المشورة مرادف للفظ الرأى . وقد أشار إلى ذلك مختار الصحاح " أشار بمعنى أشار عليه بالرأى، والمشورى والشورى وكذا المشورة بضم الشين . تقول شاوره فى الأمر واستشاره، أى استخرج الرأى الصواب فيه"(١٨).

وإذا كانت المناقشة هى العامل الأساسى فى ظهور وبلورة الرأى العام فى أى مجتمع من

المجتمعات . فقد جعل الإسلام تلك المناقشات تقوم على مبدأ الشورى . وذلك بمعنى تشاور الناس حكاما ومحكومين فى شئونهم بحرية وأمان . وهى لاتعتمد على رأى شخص واحد . فلابد من الإيمان بأن رأيين خير من ثلاثة . وأن ثلاثة آراء خير من رأيين"(١٩).

١ - فى القرآن الكريم :

اهتم الإسلام بالشورى ومدح أهلها وأمر بها وجعل الله تعالى سورة من سور القرآن الكريم باسمها هى سورة "الشورى" وهذا يدل على علو وعظمة شأنها . وأنها الأساس المتين للرأى العام السليم فى المجتمع الإسلامى وأن الرأى العام مفهومه فى الإسلام إنما هو من هذا المنطلق ومن هذا المنظور وهذا المفهوم .

مدح الله عز وجل من عباده من يبتعدون عن كبائر المعاصى . ومن يتسامحون مع إخوانهم إذا غضبوا منهم . ومن أقاموا الصلاة . ومن تشاوروا فى أمورهم ومن أنفقوا من أموالهم . فقال تعالى : ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ماغضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾(٢٠) وبذلك نرى أن منزلة أهل الشورى تقع بين منزلة المستجيبين لله . المقيمين الصلاة . والمنفقين من أموالهم . وغيرهم ممن أشارت إليهم الآيات السابقة .

ويقول الإمام ابن كثير فى تفسيره لقول الله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أى لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم فى مثل الحروب وماجرى مجراها، ولهذا كان النبى ﷺ يشاورهم فى الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم، وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضى الله عنه الوفاة حين طعن ، جعل الأمر بعده شورى فى ستة نفر وهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف رضى الله عنهم . فاجتمع رأى الصحابة كلهم رضى الله عنهم على تقديم عثمان عليهم"(٢١).

ومن هذا يتبين لنا أن الشورى أدت إلى ظهور رأى عام موحد فى اختيار عثمان بن عفان رضى الله عنه لخلافة المسلمين بعد عمر بن الخطاب . الذى أتاح ذلك المبدأ . عملا بأمر الله عز وجل . وبسنة رسول الله ﷺ . كما أنها قضت على النزاع والفتنة قبل ظهورها فى عملية اختيار الخليفة .

وقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بمشاورة المسلمين فى أمورهم حتى يعلمهم كيفية تكوين الرأى العام الصحيح والسليم. فقال تعالى :﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن

الله يحب المتوكلين﴾(٢٢).

وإذا كان هذا الأمر بالشورى على المستوى العام . فإن الله تعالى قد بين أنه يجب أن يكون على المستوى الخاص فيما يتعلق بالأمور الأسرية . حيث أوضح ذلك فى شأن انفصال الزوج عن الزوجة. وبين أنه يجب أن يكون عن تراض من الطرفين وتشاور . قال تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لاتكلف نفس إلا وسعها، لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ماآتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾(٢٣).

وقد أورد القرآن الكريم مثالا للشورى التى أدت إلى الوصول إلى رأى عام صائب قاد المجتمع وقادته إلى الخير . وذلك فى قصة بلقيس ملكة سبأ . فقد سجل الله عز وجل فى القرآن الكريم مادار بين الملكة ومستشاريها من حوار دل على عرض القضية . ثم التشاور فيها . ثم الوصول إلى قرار أدى إلى الوصول إلى رأى عام صائب . فقرار الملكة لم يكن فرديا . وإنما كان بناء على التشاور مع مستشاريها وقومها . ولننظر إلى هذا الحوار الذى دار بعد أن أرسل سليمان عليه السلام كتابه إلى الملكة : "قالت : ﴿ ياأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا علىَّ وأتونى مسلمين﴾(٢٤) .

إلى هنا انتهى كتاب سليمان عليه السلام إلى الملكة ، ويتضح من عرضها للكتاب على قومها (الملأ) أنها تحترم هذا الكتاب وتميل إلى مافيه بدليل قولها : كتاب كريم، ثم تستشير قومها بعد ذلك ، فيقول الله تعالى على لسانها : ﴿قالت : ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى ماكنت قاطعة أمراً حتى تشهدون قالوا : نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون . وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾(٢٥).

وأرسلت الملكة الهدية إلى سليمان عليه السلام بناء على ذلك القرار . ورد سليمان الهدية إليها . فما كان يريد ذلك . ولكن يريد ردهم عن عبادة الشمس والسجود لها . إلى عبادة الله الواحد القهار والسجود له . لذلك أحضر عرشها وسألها لما جاءت "أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو" إلى أن التبس عليها أمر الصرح . وعند ذلك علمت وأيقنت أنها لم تبلغ هى ولا قومها مابلغه سليمان فقالت ﴿رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ .

وهكذا أدت المشورة إلى الرأى الصحيح ، فقد أدى ذلك أولا إلى إرسال الهدية التى كانت

تقصد منها معرفة هل هو نبى مرسل أم لا، حيث قالت﴿ وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ ورد سليمان الهدية وأنكرها حيث قال : ﴿أتمدونن بمال فما آتانى الله خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ وليس من شأن المرسلين بالطبع الفرح بالمال . فعلمت أنه مرسل من عند الله بالفعل . عند ذلك جمعت جندها وسارت إليه . وهناك حدث إسلامها وإيمانها هى وقومها .

وحيث إن القرآن الكريم قد ساق لنا هذه القصة، فإنما هى للاعتبار والاتعاظ بكل مافيها . وماجاء بها كما هو شأن كل قصص القرآن . وحيث اشتملت هذه القصة أيضا على المشورة فالقرآن إذن مؤيد لذلك . بل ويتفق هذا المبدأ مع ماأمر به فى قوله تعالى ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ فهذا يدل على مدى اهتمام الإسلام بالأسس والمبادئ التى ترس وتبلور الرأى العام الصحيح والسليم فى المجتمع .

وقد ضرب الله عز وجل مثلا آخر لملك تشاور مع قومه أيضا . لكنه كان محتالا على قومه فى مشورته، فلم تكن إذن مشورة . وإنما كانت إدعاءً للمشورة . لذلك كانت النتيجة أنه ضلّل قومه وضلل نفسه ووقع فى الهلاك . وذلك الملك هو فرعون لعنه الله .

اشتد الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة . حول دعوة الحق . ولما احتار فرعون وغضب قال لموسى :

﴿ قال : لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين قال : أولو جئتك بشئ مبين قال : فائت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين﴾(٢٦) .

عند ذلك الحد الذى أذهل فرعون لم يجد حيلة إلا أن يعلن للملأ حوله ويذيع أن موسى ساحر، وهذا هو ماأوقع قومه فيه من الضلال . فبعد أن قال فرعون عن موسى إنه ساحر من يجرؤ على مخالفة رأى فرعون الذى يتخذونه إلها لهم .وزاد فرعون فى اسقطابهم لرأيه وتأليبهم على موسى عليه السلام. إنه يريد أن يأخذ أرضهم وأموالهم بسحره . ودار الحوار التالى :

﴿قال : للملأ حوله إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾(٢٧).

بعد أن ضللهم فرعون واستقطب واستمال رأيهم إلى رأيه . يدعى المشورة ويطلب رأيهم . " فماذا تأمرون" ويتضح لنا الفارق هنا بين مشورة فرعون ومشورة بلقيس ملكة سبأ التى تلت الخطاب على قومها . ثم قالت لهم : أفتونى فى أمرى ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون . ولم يمنعها وصفها لكتاب سليمان بأنه كتاب كريم . أن تقول : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها

وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ ثم ترسل الهدية للاختبار هل هو ملك أم هو نبى مرسل. فهى إذن تتشاور لتصل إلى الحقيقة، لذا كانت مشورتها موضوعية. لم تتحيز بالسلب أو الإيجاب ضد الرسالة أو معها. لتؤثر على قومها لذلك هداها الله عز وجل هى وقومها .

أما فرعون فقد كان متحاملا ضد دعوة موسى لذلك أثر على قومه وأذاع أن موسى ساحر. وادعى المشورة " فماذا تأمرون " لذا وقع هو وقومه فى الضلال والهلاك. وما يدل على تأثيره على رأى قومه أنهم قالوا له :

﴿ قالوا : أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين. يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم. وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾(٢٨)

"ومرة أخرى يؤثر فرعون عن طريق أعوانه على الجماهير التى اجتمعت حينما قيل لتلك الجماهير﴿ لعلنا نتبع السحر إن كانوا هم الغالبين ﴾ ولم يقل لهم لعلنا نتبع موسى إن كان على الحق. لذلك ظل فرعون على عناده رغم وضوح الحق وقهر آية موسى لسحر السحرة ووقعت جماهير القبط تحت تأثير رأى فرعون أيضا لذا كان الإيمان من نصيب السحرة .

وهكذا نتبين من هذه الأمثلة الواردة فى القصص القرآنى أن المشورة الصحيحة الموضوعية تؤدى إلى الوصول إلى رأى عام صائب صحيح . أما التأثير على الجماهير ثم ادعاء المشورة بعد ذلك كما فعل فرعون – فهو طريق الضلال والهلاك. وهذا يبرز مدى اهتمام الإسلام ببناء الرأى العام على أسس قويمة تفوق كل أسس وكل مبادئ .

وقد بين القرآن أن المجتمع الإسلامى يجب أن يسوده الرأى العام السليم والذى يؤدى إلى ذلك إنما هو التناصح إلى جانب التشاور لذلك يقول تعالى ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (٢٩)

وحتى يفلت المجتمع بمن فيه وما فيه من الخسر لابد أن يكون أهله من المؤمنين، الذين يعملون الصالحات. وليس هذا فحسب بل لابد من أن يتواصوا بالحق، ويتواصوا بالصبر. وبذلك يسود الرأى العام الصائب السليم ويفلتوا من الخسران المبين فى الدنيا والآخرة .

٢ – فى السنة النبوية :

إذا كان للرأى العام وبنائه على أسس سليمة قويمة الأهمية التى رأينا فيما مضى من أوامر القرآن الكريم وأمثلته. فإن النبى ﷺ قد فعل ذلك فى حياته حيث كان يهتم بالمشورة ويحترم الرأى العام . وكذلك فعل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وسوف نتعرف هنا على بعض الأمثلة من ممارسة المشورة واحترام الرأى العام فى عهد النبى ﷺ ثم فى عهد أبى بكر ثم فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما.

كان النبى ﷺ يهتم بالرأى العام اهتماما كبيرا، ولا أدل على ذلك من كثرة استشارته لأصحابه فى الأمور الهامه " لما نزل عليه قول الله عزوجل ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾ كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه فى الأمر إذا حدث تطييبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه، كما شاورهم يوم بدر وشاورهم يوم أحد أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج إليهم. وشاورهم يوم الخندق. وشاورهم يوم الحديبية فى أن يميل على ذرارى المشركين، فقال له الصديق : إنا لم نجئ لقتال وإنما جئنا معتمرين. فأجابه إلى ما قال، وفى قصة الإفك قال : " اشيروا على معشر المسلمين فى قوم أبنو أهلى ورموهم، وايم الله ما علمت على أهلى من سوء، وأبنوهم بمن والله ما علمت إلا خيرا، فكان ﷺ يشاورهم فى الحروب ونحوها "، وسئل ﷺ عن العزم فقال (مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم)(٣٠)

ولو تأملنا كيفية مشاورة رسول الله ﷺ لأصحابه فى أهم و أدق الأمور، لوجدنا أنه كان يتيح حرية الحديث لكل صاحب رأى ويفسح صدره لكل متحدث ويستمع لكل من يريد أن يتكلم من غير أن يسفه رأيا ولا يحط من قيمة حديث. وهذا يتيح إمكانية تكوين رأى عام صائب سليم وصحيح يرتضيه أفراد المجتمع ويستريحون له .

ففى غزوة بدر لما أفلت أبو سفيان بعير قريش التى كانت مقصد المسلمين علم رسول الله ﷺ أن قريشا تسير إليهم، فطلب رأى أصحابه من المهاجرين والأنصار أيلقونهم أم يرجعون إلى المدينة طالما أن العير قد أفلتت وقد خرجوا يقصدونها، ولم يكتف برأى المهاجرين دون الأنصار وإنما أتاح لهم حرية التعبير عن رأيهم. "استشار النبى ﷺ الناس، وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ﷺ امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله ﷺ خيرا ودعا له بخير ثم قال ﷺ (اشيروا على أيها الناس) إنما يريد الأنصار وذلك أنهم عدد الناس وأنهم بايعوه بالعقبة، قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه. وأن ليس عليهم أن يسيروا إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ . قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال :(أجل) . قال : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت

فنحن معك. فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك. فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك. ثم قال سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم." (٣١) .

وقد نزل النبى ﷺ على رأى بعض أصحابه عين بدر. بعد أن كان قد نزل مكانا آخر ، وتشاور معهم أيضا فى أمر الأسرى وما يفعلون معهم وأخذ بآرائهم فى ذلك، وهذا يدل على مدى اهتمام النبى ﷺ بالرأى العام. مما يؤدى إلى اتخاذ قرار صحيح. ويجعل المجتمع متماسكا قويا مستقرا .

" فعندما نتأمل كيف يجلس رسول الله ﷺ إلى أصحابه ليشاورهم فى الأمر الذى فوجئوا به بعد أن أفلتت منهم العير. وطلع عليهم النفير العظيم المدجج بالسلاح الكامل. يدلنا هذا على التزامه ﷺ بمبدأ التشاور مع أصحابه ، وإذا استعرضنا حياته ﷺ وجدنا أنه كان يلتزم بهذا المبدأ فى كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية، ومن أجل هذا أجمع المسلمون على أن الشورى فى كل ما لم يثبت فيه نص ملزم من كتاب الله، أو سنة، أساس تشريعى دائم لا يجوز إهماله، أما ما ثبت فيه نص من الكتاب، أو حديث من السنة، أو أبرم به الرسول ﷺ حكمه . فلا شأن للشورى فيه . " (٣٢)

وعند حدوث غزوة أحد حينما علم رسول الله ﷺ بقدوم قريش للحرب تشاور مع أصحابه . أيخرجون لملاقاتهم أم ينتظرون فى المدينة ؟ فإن أقبلوا عليهم قاتلوهم فيها . ولما كان رأى الأغلبية الخروج لملاقاة العدو خارج المدينة، نزل على رأيهم.

" قال ابن اسحاق : فقال رسول الله ﷺ (فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام. وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها) وكان رأى عبدالله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله ﷺ ، فقال رجال من المسلمين : يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا. فقال عبدالله بن أبى بن سلول : يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم. فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا. ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺ بيته فلبس لامته، فلما خرج عليهم ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا

ذلك، فلما خرج عليهم قالوا يا رسول استكرهناك ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد فقال ﷺ"ماينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل " (٣٣) .

وهكذا احترم النبى ﷺ الرأى العام، ونزل عليه، واتبع من كان رأيهم الخروج لملاقاة العدو، ولو كان ذلك ضد رأيه هو ﷺ .

وقد تشاور النبى ﷺ مع أصحابه أيضا فى غزوة الأحزاب. لما سمع بتآمر المشركين واليهود لقتال المسلمين " ندب ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى الأمر . فأشار عليه سلمان الفارسى بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين(والخندق مما لم يكن يعلمه العرب من وسائل الحرب) فخرجوا من المدينة، وعسكر بهم رسول الله ﷺ فى سفح جبل سلع فجعلوه خلفهم. ثم هبوا يحفرون الخندق بينهم وبين العدو . " (٣٤)

وهكذا نزل النبى ﷺ على الرأى الذى أعجب المسلمين الذين يمثل اتفاقهم ورضاهم الرأى العام، وبدأ ينفذ من فوره ما اتفقوا عليه من حفر الخندق حول المدينة، وبذلك تحول الرأى إلى رأى عام فعلى.

وقد بلغ من اهتمام النبى ﷺ بالمحافظة على الرأى العام قويا متماسكا سليما، أنه ﷺ كان يسترضى من أخذوا موقفا ينم عن عدم الرضا، وسنأخذ مثالا لذلك مما حدث فى تقسيم الغنائم بعد غزوة حنين، حيث خص النبى ﷺ المؤلفة قلوبهم. وهم أهل مكة – بمزيد من الغنائم والأعطيات يتألف قلوبهم على الإسلام، فوجد – غضب – بعض الأنصار فى نفوسهم من ذلك وقالوا : يغفر الله لرسول الله، يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم .

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى الأنصار فى مكان أعد لهم، ولم يدع معهم أحدا غيرهم، ثم قام فيهم فحمدالله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

"يا معشر الأنصار مقالة بلغتنى عنكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى، وكنتم متفرقين فألفكم الله بى. وكنتم عالة فأغناكم الله بى " كلما قال لهم من ذلك شيئا قالوا بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل " ثم قال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟

قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل ، فقال ﷺ :

أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك . فصاحوا : بل المن علينا لله ورسوله .

ثم تابع رسول الله ﷺ قائلا : أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم من أجل لعاعة من الدنيا، تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير. وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما

ينقلبون به والذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، وإنكم ستلقون أثرة من بعدى . فاصبروا حتى تلقونى على الحوض ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم، وقالوا رضينا بالله ورسوله قسما و نصيبا . " (٣٥) .

وهكذا كان من حكمة رسول الله ﷺ أنه قام بتهدئة ثورة الرأى العام حينما علم أن الأنصار قد غضبوا وتكلموا مع بعضهم بذلك ، فجمعهم وأوضح لهم الأمر، ثم ذكرهم بالنعم التى لحقتهم والتى ستلحقهم، فأوضح لهم أنه إنما أعطى الذين أعطاهم أكثر منهم تأليفا لقلوبهم، ومازال بهم حتى عابوا على أنفسهم ورجعوا إلى رشدهم، وتغير رأيهم، واستقر الرأى العام الصحيح الذى يؤدى إلى تماسك المجتمع وقوته وصلابته .

وبذلك نرى أن النبى ﷺ كان حريصا على بناء الرأى العام الصحيح الصائب، عن طريق مشاورته لأصحابه كما رأينا فى الأمثلة السابقة. وذلك حتى يكون أفراد المجتمع راضين عن القرارات التى تتخذ وبالتالى يكونون راضين عما تسفر عنه من نتائج ، فلا يلوم بعضهم بعضا ولا يعيب بعضهم على بعض مما يؤدى إلى التمزق داخل المجتمع .

وقد تجلى ذلك فى غزوة أحد على سبيل المثال فقد كان رأى النبى ﷺ عدم الخروج لملاقاة العدو أما الرأى العام والمتمثل فى رأى الأغلبية من المقاتلين الذين سيخرجون بأنفسهم للقتال فقد أجمعوا على الخروج لملاقاة العدو خارج المدينة . وقد استقر الأمر بعد المعركة على نتيجة غير مرضية للمسلمين. ولأن الخروج لملاقاة العدو كان نزولا على رأى الأغلبية والتى مثلت الرأى العام فإن النتيجة التى حدثت لم تمثل سببا من أسباب التمزق داخل المجتمع، ولما تحدث بذلك زعيم المنافقين عبدالله بن أبى بن سلول لم يلتفت إليه أحد، ولم يكترث بحديثه أحد بل إنهم لما دعوا فى أعقاب غزوة أحد مباشرة إلى الخروج لتعقب جيش المشركين خرجوا بالفعل (فى غزوة حمراء الأسد) وجراحهم تقطر دما .

ولم يكن حرص النبى ﷺ على البناء السليم للرأى العام المتماسك السليم يتوقف عند حد المشوره فقط وإنما كان فى تهدئة ثورة الثائرين كما حدث فى صلح الحديبية وكما حدث فى غزوة بنى المصطلق حيث أطفأ ﷺ الفتنة التى كادت أن تنشب بين المهاجرين والأنصار، وكما حدث فى المثال الذى سقناه سابقا فى تقسيم غنائم غزوة حنين حين غضب الأنصار وقام ﷺ بتهدئتهم، وكان ﷺ يفعل ذلك دائما بحس خلقه مع أصحابه ومع كل القبائل التى يفتحها أو التى تدخل فى الإسلام مما جعل الرأى العام فى المجتمع الإسلامى فى حياة النبى ﷺ متماسكا قويا .

وقد سار الخلفاء الراشدون بعد رسول الله ﷺ على هذا النهج القويم فهذا هو أبو بكر

الصديق " كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأى وأهل الفقه ، دعا رجالا من المهاجرين والأنصار، ودعا عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعبد الرحمن ابن عوف ومعاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت رضى الله عنهم . " (٣٦)

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستشير الخاصة من كبار الصحابة فى أبسط الأمور وأكبرها ، كما كان له مجلس يسمى بأهل الحل والعقد يستشيرهم ويستمع إلى آرائهم قبل اتخاذ أى قرار، وقد كان يذكر ذلك للناس فقد قال فى إحدى خطبه " ومن قام بهذا الأمر فإنه تبع لأولى رأيهم وما رأوا لهم ورضوا به لهم " (٣٧) .

كما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقوم بالعس ليلا ليستمع إلى الأخبار حتى تكون قراراته من واقع ما يمس الرأى العام، وكان هذا أيضابمثابة قياس الرأى العام فى هذا العصر، وقد أدى به ذلك إلى اتخاذ قرارات كثيرة منها فرض راتب لكل مولود منذ ولادته بدلا من أنه كان منذ فطامه، وذلك لما سمع امرأة تغصب ابنها على الفطام وتقول لزوجها لما سألها إنها تفعل ذلك حتى يفرض له عمر من بيت المال .

ومن هذا كله نتبين مدى اهتمام الإسلام بالرأى العام وأسس تكوينه بصورة صحيحة سليمة، وأسس المحافظة عليه أيضا، حتى يكون المجتمع قويا متماسكا ويستمر كذلك .

ثالثا : المنهج الإسلامى فى تكوين الرأى العام :

حتى يكون المجتمع قويا متماسكا لابد من أن تسود فيه روح الحريه القائمة على احترام الآخرين، إلى جانب حب الأفراد لأخوانهم، وانتشار المبادئ الفاضلة التى تجعل كل فرد فى المجتمع آمنا على نفسه وعلى ماله، وبالتالى يمكنه التعبير عن آرائة بوضوح وفى طمائنية تامة. ومن خلال حديثنا عن اهتمام الإسلام بالرأى العام، رأينا كيف أن القرآن الكريم قد حث على المشورة وأمر بها، وضرب الأمثلة لها ، وكيف أن النبى ﷺ قد التزم بذلك وضرب المثل الأعلى فيه .

وإذا ما طبق المسلمون هذه المبادئ الإسلامية العظيمة التى رسمها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فإن الرأى العام الصائب والسديد يسود وينتشر فى المجتمع الإسلامى، وهذا يؤدى إلى قوة هذا المجتمع وتماسكه واستقراره .

وسوف نرى من خلال هذا المبحث أن المنهج الإسلامى فى تكوين الرأى العام يؤدى إلى بناء المجتمع الإسلامى القوى المتماسك، وذلك من خلال الاهتمام بالفرد باعتباره الوحدة الأساسية المكونة للمجتمع، ثم من خلال قيادات المجتمع سواء كانت قيادات سياسية أو اجتماعية أو دينية فالمقصود هنا إنما هى القيادات على اختلافها.

١ - تعليم الفرد تحمل المسئولية تجاه المجتمع.

يشكل الفرد فى أى مجتمع من المجتمعات الوحدة الأساسية لهذا المجتمع، وبالتالى فإن الأهتمام بالأفراد ، إنما هو الاهتمام بالمجتمع فى حد ذاته فإذا كان الفرد حرا فى التعبير عن رأيه. يعرف واجباته، ويعرف حقوقه تجاه الآخرين وتجاه وطنه وقادته، فإن هذا المجتمع يكون قويا متماسكا.

وقد حرص الإسلام على تعليم الفرد تحمل المسئولية تجاه المجتمع، وذلك من خلال اشتراكه فى المشورة وإبداء الرأى فى القضايا التى تهم هذا المجتمع، فإذا أحس الفرد أنه مسئول. وأن رأيه مطلوب وأنه قد يؤخذ به فى بعض القضايا فإن ذلك يجعل الفرد يشعر أنه مسئول تجاه هذا المجتمع، وأن عليه عبئا وله دور هام، وذلك بخلاف ما إذا شعر بإهماله وعدم إحساس المسئولين فى المجتمع به كفرد له تفكير وله كيان، فإذا ما شعر الفرد بإهماله فإنه يصبح لا علاقة له ولا اهتمام عنده بقضايا المجتمع، أنه يصبح غير مكترث بالمجتمع، ويصاب باللامبالاة .

وفى سبيل تعليم الفرد تحمل المسئولية تجاة المجتمع الإسلامى . حرص الإسلام على حسن إعداد هذا الفرد، حتى إذا ما تمت مشاورته وأخذ رأيه كان لديه الاستعداد لإبداء الرأى النافع فى حرية ووضوح، من واقع الإحساس بالمصلحة العامة للمجتمع. وقد تمثل هذا الإعداد الإسلامى للفرد فى دعوته إلى إعمال فكره، ثم إتاحة حرية التعبير له عن هذا الفكر كما تمثل فى غرس القيم لدى الأفراد مثل الإخلاص والصدق وحب الآخرين والانتماء للمجتمع، وذلك ليكون تفكيره فى القضايا التى تتعلق بالمجتمع منطلقة من هذه القيم التى هى بمثابة تربية الضمائر لدى الأفراد، والتى لن يستطيع أى قانون أو أى قيد من القيود أن يصل إليها.

أ - تدريب الأفراد على التفكير وحرية التعبير :

حرص المنهج الإسلامى فى تربية الأفراد على تدريبهم على إعمال الفكر عن طريق التأمل وإعادة النظر فى الأمور وصولا إلى الرأى الصائب السديد وقد حث القرآن الكريم على ذلك منذ بداية نزوله فى مكة ثم فى سائر سور القرآن الكريم كله . قال تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾(٣٨) فالآية تدعو الناس جميعا إلى يوم القيامة أن يتفكروا فى أمر القرآن العظيم وشأنه، حتى يستطيعوا إدراك الحقيقة التى لاشك ولا مراء ولا جدال فيها، وهى أنه من عند الله تعالى .

ولما تمادى كفار مكة فى تكذيب رسول الله ﷺ ودعوته ، دعاهم الله تعالى إلى التفكير فى أمر هذه الدعوة، فقال تعالى :﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا

ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ (٣٩) فهى دعوة إلى التفكر بصورة فردية ومع الآخرين أيضا مثنى وفرادى، فتفكير الفرد مع نفسه له مميزات وله عيوب، فيمزه أنه يتسم بالروية والتؤدة من غير تشويش عليه ويعيبه أنه قد يكون تفكيرا غير صحيح ولا يستطيع صاحبه إدراك ذلك، أما التفكير مع فرد آخر فإنه يتلافى هذا العيب الأخير لذلك دعا القرآن الكريم أفراد المجتمع إلى التفكير بصورة فردية وإلى التفكير مع الآخرين، لإمكان الوصول إلى الرأى الصحيح والفكرة السليمة .

وقد حث القرآن الكريم على التفكير أيضا فى قوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ (٤٠) وهو حث على التفكير بعد أن أوضح لهم طريق هذا التفكير السليم فى الآية ذاتها، حيث يأمر النبى ﷺ أن يقول لقومه إنه ليس عنده خزائن الله، ولا يعلم الغيب ولا يدعى أنه ملك، وإنما يتبع الوحي الذى يأتيه من عند الله، ثم يدعوهم إلى التفكير فى هذه الأمور التى وضحها لهم .

ودعا القرآن الكريم الناس إلى التفكير فى مخلوقات الله العظيمة، حتى يستطيعوا الوصول إلى الحق، فقال تعالى ﴿ أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾(٤١) .

كما حث القرآن الكريم الناس على التفكير عن طريق تأمل ما حدث للآخرين من الأقوام السابقة، والاتعاظ به فقال تعالى : ﴿ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴾(٤٢) .

وقد مدح الله عز وجل الذين يفكرون وسماهم أولى الألباب، فقال تعالى﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (٤٣) فقد جعل الله سبحانه وتعالى التفكير فى عظيم مخلوقاته تقع درجته بين ذكر الله عز وجل وبين الدعاء بالنجاة من النار ولا تخفى منزلة الدعاء .

وفى هذا المعرض وردت آيات كثيرة تدعو إلى التفكير فقال تعالى ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (٤٤) وقال تعالى﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (٤٥) وقال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾(٤٦) .

ولم تكن دعوة القرآن للناس إلي التفكير قاصرة على العقيدة، وإنما كانت دعوته إلى

التفكير إزاء كل مشكلة أو قضية تواجه المجتمع، فقد دعا القرآن الكريم إلى التفكير إزاء بعض القضايا الاجتماعية التى تواجه المجتمع مثل تحريم الخمر والإنفاق على الفقراء والمحتاجين، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (٤٧) . فهى قضايا اجتماعية تهدد استقرار المجتمع كله لذلك يوضح القرآن أن مافيها من الإثم أكبر مما فيها من النفع ثم يوضح أن الله تعالى قد بين الآيات للناس ، ويدعوهم بعدها إلى التفكير ، وليس الأمر هنا متعلقا بالخمر والميسر فقط وإنما بكل ما ورد فى الآية التى بعدها ﴿ لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ﴾ فهى قضايا الإحسان إلى اليتامى، وقضية الإفساد والإصلاح، وكلها قضايا اجتماعية تتعلق باستقرار المجتمع وتماسكه .

أما فيما يتعلق بالتكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع، فقد دعا الإسلام إلى التفكير فيها، بعد ضرب مثل يوضح حقيقة الأمر ونهاية الدنيا وعاقبة البخل فقال تعالى : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (٤٨)

وهكذا يحرص الإسلام على تدريب الأفراد على التفكير القائم على التأمل الصحيح لكل موقف من المواقف وكل قضية من القضايا .

ولا شك أن كل ما ورد فى القرآن الكريم إنما هو لكل مجتمع وكل زمان. ولكل الأفراد والجماعات ، وليس قاصرا على المواقف التى نزل فيها . وبالتالى فكل الناس فى المجتمعات على امتداد الأزمنة واختلاف الأماكن مطالبون بكل ماورد فيه .

وعملية تدريب وتعويد الأفراد على التفكير الصحيح تجعل لهم القدرة على المشاركة فى بناء الرأى العام الصحيح إزاء قضايا المجتمع، وتجعلهم يستطيعون أن يسلكوا السلوك السوى فى كل موقف وبالتالى يصبح المجتمع قويا متماسكا .

وإذا كان الإسلام قد حرص على تدريب وتعليم الأفراد التفكير الصحيح فإنه قد حرص أيضا على تعليمهم وتدريبهم على حرية التعبير عن هذا الفكر طالما أنه لا يتعارض مع عقيدة ولا مبدأ سليم، أى طالما كان التفكير صحيحا .

وقد تجلت دعوة الإسلام للناس إلى حرية التعبير عن الفكر الصحيح فى أمر الله عز وجل لهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقد مدح الله تعالى هذه الأمة لقيامها بذلك فقال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن

أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ (٤٩) ومدح الله تعالى طائفة من أهل الكتاب لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات فقال تعالى ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ (٥٠) وأمر الله عز وجل بذلك فقال ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ (٥١)

فبعد أن تعلم الأفراد التفكير الصحيح، وأصبحوا قادرين على تكوين رأى سليم، وفكرة صائبة، فإنهم عليهم أن يأمروا غيرهم بها من غير حجر على أفكارهم، ولا قيد على حرية التعبير لديهم طالما كان هذا فى إطار الشرعية لذا أمر الله تعالى فى سورة العصر بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر، ومدح النبى ﷺ معاذ بن جبل لما قال له أجتهد رأيى ولا آلوا، وهذا إن لم يجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ .

وقد أمر الإسلام الناس بتقويم المعوج من الأمور تاركا لهم الحرية فى ذلك حيث يقول رسول الله ﷺ " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان " (٥٢) فالتقويم باللسان إنما هو أوسط الأمور وذلك واجب على كل من رأى المنكر شريطة أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر القرآن الكريم .

فالحديث عن تغيير المنكر أو تقويم المعوج من الأمور هنا يجب ألا يؤخذ ذريعة لكل مسلك فاسد أو تصرف شاذ، وإنما الدعوة فى كل أمورها يجب أن تكون من منطلق أمر الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة . قال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾(٥٣) .

فالفرد فى الإسلام إذا مكفول له حرية التعبير عن رأيه طالما كان رأيا سليما فحرية الإنسان – فى الإسلام – حرية حقيقية، برغم ما يقوم حوله من حدود ومقاومات، والإنسان حر حرية مطلقة فى منطقة ضميره، فهو يستطيع أن يضمر ما يشاء، وحر حرية نسبية فى التنفيذ فى منطقة العقل والعمل، بحسب ما يقوم حوله من حدود ومقاومات، وبهذه الحرية التى قبلها الإنسان مختارا حقت عليه المسئولية والمحاسبة . " (٥٤)

وبذلك نرى أن الإسلام قد حرص على تعليم الأفراد وتدريبهم وتعويدهم على التفكير الصحيح ثم عن حرية التعبير عن هذا الفكر الصحيح سواء عن طريق الأمر بالنافع أو النهى

عن الضار أو التغيير والتقويم فيما يتعلق بالمنكرات من الأمور وهذا يجعل الفرد قادرا على المساهمة بالرأى الحر تجاه قضايا المجتمع مما يهيئ الفرصة لوجود رأى عام صائب وصحيح يؤدى إلى تماسك المجتمع واستقراره .

ب - غرس القيم لدى الأفراد :

حتى يكون الفرد فى المجتمع الإسلامى معبرا عن رأيه فى إطار ما يهم المصلحة العامة للمجتمع وليس فى إطار نظرته لنفسه أما مايهمه بصفة شخصية حرص الإسلام على تربية الضمائر لدى الأفراد ، حيث إن الضمير إنما هو الرادع الحقيقى للإنسان، وهو الذى ينبعث من داخل ذاته وينطلق من نفسه يمنعه عن الشر ويدفعه إلى الخير دون أن يشعر أو يحس بذلك أحد من الناس ومهما و ضعت القيود أو القوانين فإنها لا تستطيع أن توجد قيدا أو قانونا يدفع الإنسان إلى السلوك فى إطار المصلحة العامة للمجتمع مثل الضمير، ومن هنا كانت أهمية غرس القيم لدى الأفراد والتى اهتم بها الإسلام، حيث اهتم بتعليم الفرد الصدق ونهاه عن الكذب وحذره منه ودعاه إلى الإخلاص وبين فضله كما دعاه إلى الحياء وعدم إفشاء الأسرار، وترك الأنانية وحب الآخرين وهذا كله مع غيره من القيم التى يغرسها الإسلام لدى الأفراد تؤدى إلى الانتماء للمجتمع والعمل من أجل رفعته واستقرار وعلو شأنه، وسنعرض أمثلة لذلك .

حث الإسلام الناس على الصدق فى كل قول، وأمر بذلك، وبين جزاء من صدق فى قوله وتحرى الصدق، يقول النبى ﷺ إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " (٥٥) .

وأوضح القرآن الكريم جزاء الصادقين فقال تعالى ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ (٥٦) وأمر الله تعالى عباده بالصدق . فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (٥٧) .

وبين النبى ﷺ أن الصدق يجب أن يكون فى كل أمور الحياة فى القول والفعل والبيع والشراء، حيث قال ﷺ : " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما ".(٥٨) فالصدق إذا تترتب عليه البركة فى البيع وفى الشراء وهذا ترغيب للناس فى سلوك هذا المسلك القويم.

وعلم الإسلام الناس الإخلاص فى القول والعمل " أيضا حيث أوضح لهم أن العمل إنما مبعثه نيةُ الإنسان. وهذه النية يعلمها الله وحده وهو مطلع عليها. يقول النبى ﷺ فى الحديث " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله رسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه . " (٥٩)

فالعمل فى الإسلام متعلق بنية الفرد من هذا العمل، إن أخلص فيه وقصد وجه الله عز وجل فله الجزاء وإن قصد به بعض المآرب أو الأطماع الشخصية فله ما قصد ولا يجزيه الله شيئا عليه، وإن ظهر أمام المجتمع أنه يريد المصلحة العامة أو الخير للمجتمع، ومرجع ذلك كله إلى نيته والنية يعلمها الله تعالى الذى ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾ (٦٠) .

وحتى يكون الفرد فى المجتمع الإسلامى حريصا على ذلك وضح له القرآن الكريم أن الله عز وجل مطلع على أحوال عباده، سرهم وجهرهم، قال تعالى ﴿ إن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ﴾ (٦١) وقال تعالى : ﴿ هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ (٦٢)

وإذا آمن الإنسان بهذا فإن عليه أن يدرك أن إبداء الرأى فيما يتعلق بقضايا المجتمع إنما هو أمر هام وضرورى ، عليه أن يخلص فيه وأن يصدق فيه وإن لم يفعل فإن الله عز وجل مطلع عليه، وهو الذى يجازيه بذلك قال تعالى ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ (٦٣)

وكذلك علم الإسلام الناس قيم الصبر والحياء وعدم إفشاء الأسرار وغيرها من القيم الفاضلة، وكل ذلك ليكون رأى الفرد نابعا من هذه القيم الجميلة النبيلة، فإذا ما كان الإنسان صادقا مخلصا صابرا فإنه يبدى رأيه فى القضايا العامة بإخلاص وصدق مؤثرا المصلحة العامة على مصلحته الشخصية، حتى لو تعارضت تلك المصلحة العامة مع مصلحته الشخصية .

وبذلك فالإسلام قد علم الفرد طريقة التفكير ثم التعبير عن أفكاره فى حرية تامة دون حجر عليه طالما كانت أفكارا طيبة، ثم علمه القيم التى تجعله يجعل مصلحة المجتمع فوق مصلحته الشخصية، وبهذا فإن الرأى العام القائم على مجموع آراء أفراد تمت تربيتهم بهذة الطريقة يصبح رأيا صائبا يؤدى إلى استقرار المجتمع وسلامته .

٢ - مسئولية القادة إزاء المجتمع

إذا كان الإسلام قد حرص - كما رأينا - على تدريب أفراد المجتمع على تحمل المسئولية تجاه مجتمعهم . فإن المنهج الإسلامى فى تكوين الرأى العام، قد حرص أيضا على إلزام القادة فى المجتمع بمسئوليات إزاء مجتمعهم تجاه الأفراد من ناحية، وتجاة المصلحة العامة

للمجتمع من ناحية أخرى. وبذلك يكتمل هذا المنهج الإسلامى. فى إعداد رأى عام موجز وإيجابى فى المجتمع ذلك أنه يربط الأفراد بالمجتمع من ناحية كما يربط القادة بالمجتمع أيضا ومصالحه ومصالح الأفراد من ناحية أخرى .

والمقصود بالقادة هنا هو كل من كان فى موقع المسئولية ، بمعنى أنه يقود غيره من الأفراد فى موقع من المواقع سواء كان ذلك على المستوى السياسى أو الاجتماعى أو الدينى أو كان فى موقع المسئولية على مستوى مؤسسة من مؤسسات المجتمع أو هيئة من هيئاته مثل مصنع أو إدارة من الإدارات مثلا فهؤلاء هم من نقصدهم هنا بلفظ القادة حيث هم أصحاب القدرة على اتخاذ القرار وأصحاب القدرة على توجيه غيرهم من الأفراد ممن هم تحت قيادتهم .

وقد تجلت الأوامر الإلهية التى جسدت مسئولية الحكام تجاه المجتمع وأفراده، فى أمر الله عز وجل لنبيه ﷺ قال تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون ﴾ (٦٤) وقال تعالى ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ (٦٥) .

يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالقيام بجهد الدعوة لمن لم يؤمن بها . فى ذات الوقت الذى يأمره باللين والرحمة مع أفراد المجتمع الآخرين المؤمنين به وبدعوته، ثم يأمره باستعمال الرحمة مع العصاة أيضا لعلهم يعودون إلى التفكير فى أمر الدعوة، ولعل الله أن يهديهم إلى الإيمان بها، وذلك فى قوله ﴿ فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون ﴾ فلم يأمره بالقسوة على هؤلاء الذين عصوا وإنما فقط أن يتبرأ إلى الله منهم .

وقد مدح الله تعالى ما كان عليه نبيه ﷺ مع أفراد المجتمع، ومع المؤمنين بصفة عامة، فقال تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (٦٦) وقال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾(٦٧) .

فقد مدح الله تعالى نبيه ﷺ لأنه لين الجانب مع أفراد المجتمع كما فى الآية الثانية وأمره بأن يعفو عنهم وإن يستغفر لهم وأن يشاورهم فى الأمر وهكذا يجب أن يكون القائد مع أفراد مجتمعه والرئيس مع مرءوسيه ولو كان كذلك لأتيح للأفراد حرية التعبير عن آرائهم ولأمكنهم مناقشة قضاياهم فى جو من المودة والألفة وبذلك يصبح المجتمع قويا متماسكا مستقرا .

وقد حمل الإسلام القادة فى المجتمع المسئولية الكاملة تجاه مجتمعاتهم حيث يقول النبى ﷺ " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته. والمرأة راعية فى بيت

زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته " (٦٨) .

وهذا الحديث يوضح أن المسئولية ملقاة على عاتق كل قائد وكل مسئول وكل رئيس تجاه من هم تحت إمرته، ويضع تلك المسئولية أمانة فى عنقه والله تعالى محاسبه عليها . ويقول النبى ﷺ " ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"(٦٩) فالقائد مسئول عن رعيته وهو مطالب بالأمانة تجاهها وتجاه المجتمع كما أنه مطالب بالنصح لها والاجتهاد من أجل مصلحتها العامة حيث يقول النبى ﷺ " ما من أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة " (٧٠) .

وقد أمر النبى ﷺ القادة بالرفق بمجتمعاتهم ودعا على من شق على أفراد المجتمع فقال :"اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به " (٧١) .

وإذا التزم القادة فى أى مجتمع بهذا المنهج الإسلامى القويم تجاه أفراد المجتمع ومصالح وقضايا المجتمع فإنهم يهيئون الفرصة الكاملة وظهور الرأى العام الصائب المستنير الذى يتيح للأفراد المشاركة فيه مع الحكام والقادة ذلك أن القادة إذا التزموا بهذا المنهج الإسلامى فإنهم يستشيرون الأفراد ويعطونهم الحرية الكاملة للتعبير عن آرائهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأفراد يكونون قادرين على التفكير وعلى التعبير عن آرائهم فى حرية تامة كما أنهم يكونون حريصين على المصلحة العامة للمجتمع، وبذلك يتكون الرأى العام الصائب المستنير .

٣ - العلاقة الطيبة بين الأفراد وقادة المجتمع :

حرص الإسلام كذلك على أن تكون العلاقة بين الأفراد والقادة فى المجتمع علاقة طيبة، وذلك حتى يتفهم القادة مشكلات الأفراد ومشكلات المجتمع، ويعملون على حلها ويسهرون من أجلها كما أنهم بذلك يصبحون آمنين على حياتهم، مستقرين غير خائفين، وحتى يتفهم الأفراد أيضا أن هؤلاء القادة إنما يعملون من أجلهم وبالتالى فلابد من تهيئة الفرصة لهم لأداء دورهم تجاههم وتجاه مجتمعهم بصورة مرضية وفعالة .

لذلك يأمر الله تعالى الأفراد فى المجتمع بطاعة القادة، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾(٧٢) فالطاعة المطلقة لله عز وجل أولا، ثم لرسوله ﷺ ثم لأولى الأمر وهم قادة المجتمع وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة " (٧٣) وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول " من أهان السلطان أهانه الله " (٧٤) .

وبذلك نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية تأمر الأفراد فى المجتمع بأن يطيعوا قادتهم وألا يخرجوا عليهم حتى يعطوهم فرصة الإصلاح فى المجتمع فربما رأى الحاكم أو القائد أشياء من موقع مكانه ومسئوليته لا يستطيع الأفراد أن يروها أو يتعرفوا عليها وبالتالى فلابد من طاعتهم طالما لم يأمروا بمعصية الله عز وجل.

وقد أمر الإسلام القادة بالعدل بين الناس قال تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٧٥) ويقول النبى ﷺ " إن المقسطين على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا " ويقول أيضا " أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متخفف ذو عيال . " (٧٦)

وإذا كان الحاكم عادلا رحيما بأفراد مجتمعه وإذا كان كل مسئول وكل من هو فى موقع القيادة فى المجتمع كذلك فإن أفراد المجتمع يحبونه. كما أنه يحبهم، وبالتالى يتكاتف الجميع أفرادا وقادة ويتعاونون من أجل رفعة المجتمع. والعمل على مصلحته لذلك يبين النبى ﷺ أن القائد المحبوب فى المجتمع منزلته عند الله عالية وشأنه رفيع يقول ﷺ " خياركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشراركم أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم " قالوا : يا رسول الله أفلا ننابذهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاه لا ما أقاموا فيكم الصلاة " (٧٧) .

وحتى تسود المحبة بين القادة وأفراد المجتمع وحتى يعملوا من أجل الصالح العام لمجتمعهم أمر النبى ﷺ القادة باتخاذ البطانة الصالحة التى تعينهم على فعل الخير يقول ﷺ " ما بعث الله من بنى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه. والمعصوم من عصم الله. " ويقول ﷺ أيضا " إذا أراد الله بالأمير خيرا ، جعل له وزير صدق، إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه " (٧٨) .

من هذا يتضح لنا أن الحاكم أو القائد حتى يكون محبوباً فى مجتمعه ولدى سائر أفراده ، لابد أن يكون عادلا مقسطا كما أنه لابد أن يستعين بأهل الصلاح ليكونوا حوله فينصحونه إن حاد عن طريق الخير أو مال إلى أهل السوء أو التبس عليه أمر من الأمور فيشيرون عليه بما يفيده ويفيد مجتمعه ويجعله محبوبا فى المجتمع، وبما يحقق المصلحة العامة للمجتمع فى ذات الوقت. أما إذا مال الحاكم أو القائد إلى بطانة الشر وأهل السوء فإن قراراته تكون مجحفة بأفراد المجتمع ولا تهمه المصلحة العامة لمجتمعه وبذلك يصبح مبغوضا لدى أفراد المجتمع وبين

أهله فيلعنهم الناس ويلعنون الناس كما بين النبى ﷺ .

وإذا تحقق هذا المنهج الذى رسمه الإسلام كانت العلاقات التى تربط الحكام والقادة بأفراد المجتمع علاقات طيبة، وأصبح الفرد فى طاعة الحاكم طوعا من غير أدنى غضاضة فى نفسه كما أن الحاكم يكون راضيا عن أهل مجتمعه ومواطنيه مشغولا بما ينفعهم ، يشاورهم فى الأمور ويشركهم فى اتخاذ القرار وهذا كله يؤدى بالتالى إلى تكوين رأى عام صائب مستنير ويجعل المجتمع قويا متماسكا .

نخلص من ذلك إلى أن الإسلام قد رسم منهجا سليما قويما لتكوين الرأى العام، يقوم على تعليم الأفراد كيفية التفكير السليم ثم كيفية التعبير الحر عن أفكارهم، ثم يجعلهم مسئولين مسئولية كاملة تجاه قضايا المجتمع ومشكلاته فلابد أن يفكروا فيها بإخلاص وأن يعبروا عن آرائهم بصدق ولابد أن يحرصوا على ذلك من منطلق ما تمليه عليهم ضمائرهم التى رباها الإسلام بترسيخ القيم الإسلامية النبيلة الفاضلة لديهم، واستكمل المنهج الإسلامى عملية التكوين الصحيح للرأى العام عن طريق إلزام القادة فى المجتمع بالمسئولية الكاملة تجاه المجتمع وتجاه الأفراد وأيضا بتحسين العلاقة بين الحكام والمحكومين فى المجتمع .

وبذلك فإن القادة من منطلق حرصهم على المصلحة العامة للأفراد وللمجتمع كله، فإنهم يحرصون على مشاورة أهل الرأى ويحرصون على الاستماع لآراء الأفراد الذين لديهم القدرة على التفكير السليم الصحيح فى القضايا والمشكلات العامة، ويحرصون على التعرف على ما يحتاجه الأفراد وما يعانى منه المجتمع، ثم هم يعملون بإخلاص وعدل لتحقيق النفع العام، ويتخذون القرارات اللازمة لتحقيق ذلك .

وهذا المنهج الإسلامى بهذه الصورة إنما هو منهج متكامل لتكوين رأى عام مستنير وواع يشترك فيه الفرد مع قادته، أو الأفراد مع قادتهم يدفعهم إليه الحرص على مصلحة المجتمع وأفراده بإخلاص وصدق وولاء ويحوطهم إطار من العلاقات الطيبة المتبادلة بينهم وبين بعضهم فيجعل ذلك القائد من منطلق حبه لأفراد مجتمعه ومن موقع مسئوليته وبدافع عدالته التى كلف بها يستمع لآراء الأفراد ويجعل الأفراد بدورهم يعبرون فى حرية وصدق وإخلاص عن آرائهم مؤثرين مصلحة المجتمع على مصالحهم الفردية، ومع كل ذلك هم يحبون قادتهم ويحترمونهم ويطيعونهم .

يتحقق من هذا النقاش الحر البناء بين أفراد المجتمع وبعضهم. وبينهم وبين قادتهم فيؤدى هذا إلى ظهور رأى عام صائب مستنير قائم على أسس قويمة وثابتة ، تحقق الاستقرار للمجتمع وتدفعه قدما إلى الأمام .

هوامش الدراسة

- القرآن الكريم.

١ - أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (القاهرة : دار المعارف، مجهول السنة) ص١٥٤٤ .

٢ - المرجع السابق، ص٣١١٢.

٣ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. ط٢، حـ١ (القاهرة : مطبعة مصر، مجهول السنة) ص٣٢٠ .

٤ - المرجع السابق، ص٦٢٩.

٥ - مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى، القاموس المحيط، حـ٣ (مجهول البلد والناشر،١٩٥٢)ص٣٣٣.

٦ - - Kuppuswamy, B.An lntroduction to social Psychology, Lon don, Asia Publishing Company,1961, P.223.

٧ - عبدالعزيز الغنام، مدخل فى علم الصحافة (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٧٧) ص٢٥٥ .

٨ - المرجع السابق، ص٢٥٦ .

٩ - دانيل كاتز وآخرون، الإعلام والرأى العام، ترجمة محمود كامل المحامى (القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٢) ص٥٠ .

١٠ - حسنين عبدالقادر، الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٥٧) ص٦ .

١١ - محمد عبدالقادر حاتم، الرأى العام (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٧٢) ص٤٣.

١٢ - عبدالقادرحمزة، مدخل فى فن التحرير الصحفى (القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٥٨) ص١٩.

١٣ - أحمد محمد أبوزيد، سيكولوجية الرأى العام (القاهرة : عالم الكتب، ١٩٦٨) ص٣٨.

١٤ - محمد عبدالقادر حاتم، مرجع سابق، ص٤٩ .

١٥ - إبراهيم إمام ، العلاقات العامة والمجتمع (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٧٦) ص٢٠٢ .

١٦ - مختار التهامى، الرأى العام والحرب النفسية (القاهرة : دار المعارف،١٩٧٩) ص١٧ .

١٧ - شاهيناز طلعت، الرأى العام (القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٨٣) ص١٥٧.

١٨ - محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح (بيروت : دار مكتبة الهلال، ١٩٨١) ص٣٥٠ .

١٩ - عبدالهادى الجوهرى، دراسات فى التنمية الاجتماعية، مدخل إسلامى (القاهرة :مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٤) ص٢١٥ .

٢٠ - سورة الشورى (٣٧ - ٣٨) .

٢١ – أبوالفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، حـ٤ (القاهرة : دار التراث العربى، مجهول التاريخ) ص١١٨ .

٢٢ – سورة آل عمران (١٥٩) .

٢٣ – سورة البقرة (٢٣٣) .

٢٤ – سورة النمل (٢٩ – ٣١) .

٢٥ – سورة النمل (٣٢ – ٣٥).

٢٦ – سورة الشعراء (٢٩ – ٣٣) .

٢٧ – سورة الشعراء (٣٤ – ٣٥) .

٢٨ – سورة الشعراء (٣٦ – ٤٠) .

٢٩ – سورة العصر

٣٠ – ابن كثير، مرجع سابق، حـ١ ص٤٢٠ .

٣١ – أبومحمد عبدالملك بن هشام، سيرة النبى، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد (القاهرة: دار الهداية مجهول السنة) الجزء الثانى ، ص٢٥٣، ٢٥٤ .

٣٢ – محمد سعيد رمضان البوطى، فقه السيرة، ط٧ (مجهول البلد والناشر، ١٩٧٨) ص١٧١ .

٣٣ – ابن هشام، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص٧، ٨ .

٣٤ – محمد سعيد رمضان البوطى، مرجع سابق، ص٢٢٥ .

٣٥ – المرجع السابق، ص٣٠٠، ٣٠١ .

٣٦ – محمد يوسف الكاند هلوى، حياة الصحابة، الطبعة الثانية، الجزء الثانى (القاهرة : دار التراث العربى، ١٩٨٢) ص٣٨ .

٣٧ – محمد الخضر حسين، الحرية فى الإسلام (القاهرة :دار الاعتصام، ١٩٨٢) ص٢٢ .

٣٨ – سورة الحشر (٢١) .

٣٩ – سورة سبأ (٤٦) .

٤٠ – سورة الأنعام (٥٠) .

٤١ – سورة الروم (٨) .

٤٢ – سورة غافر (٢١) .

٤٣ – سورة آل عمران (١٩١) .

٤٤ – سورة الأعراف (١٧٦) .

٤٥ – سورة يونس (٣٤) .

٤٦ – سورة النحل (٤٤) .

٤٧ – سورة البقرة (٢١٩) .

٤٨ – سورة البقرة (٢٦٦) .

٤٩ – سورة آل عمران (١١٠) .

٥٠ – سورة آل عمران (١١٣ – ١١٥) .

٥١ – سورة آل عمران (١٠٤ – ١٠٥) .

٥٢ – صحيح مسلم، الجزء الأول (القاهرة : مطبعة عيسى البابى الحلبى ، مجهول السنة) ص٣٩

٥٣ – سورة النحل (١٢٥) .

٥٤ – مصطفى محمود، القرآن : محاولة لفهم عصرى، الطبعة الرابعة (القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٤) ص٣٠ .

٥٥ – أبو زكريا يحيى بن شرف النووى، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (دمشق، بيروت :مكتبة الغزالى، ١٩٥٥) ص٤٤ .

٥٦ – سورة آل عمران (١٥ – ١٧) .

٥٧ – سورة التوبة (١١٩) .

٥٨ – أبوزكريا يحيى بن شرف النووى، مرجع سابق، ص٤٦ .

٥٩ – المرجع السابق، ص١٢ .

٦٠ – سورة غافر (١٩) .

٦١ – سورة آل عمران (٥) .

٦٢ – سورة الحديد (٤) .

٦٣ – سورة الفجر (١٤) .

٦٤ – سورة الشعراء (٢١٤ – ٢١٦) .

٦٥ – سورة الحجر (٨٨) .

٦٦ – سورة التوبة (١٣٨) .

٦٧ – سورة آل عمران (١٥٩) .

٦٨ – أبوزكريا يحيى بن شرف النووى، مرجع سابق، ص ٢٩٠ .

٦٩ – صحيح مسلم، الجزء الأول، مرجع سابق ص٧١ .

٧٠ – المرجع السابق، ص٧١ .

٧١ – أبوزكريا يحيى بن شرف النووى، مرجع سابق، ص٢٩١ .

٧٢ – سورة النساء (٥٩) .

٧٣ – أبوزكريا يحيى بن شرف النووى مرجع سابق ص٢٩٥ .

٧٤ – المرجع السابق، ص٢٩٧ .

٧٥ – سورة النحل (٩٠) .

٧٦ – النووى، مرجع سابق ، ص٢٩٣، ٢٩٤ .

٧٧ – المرجع السابق، ص٢٩٣ .

٧٨ – المرجع السابق، ص٢٩٩، ٣٠٠ .

الدعوة الإسلامية بين الوجوب والتطوع

د. عبد الغفار عزيز
أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

ماقام دين من الأديان ولا نتشر مذهب من المذاهب ولا ثبت مبدأ من المبادىء إلا بالدعوة . فهى الدعامة القوية التى تعتمد عليها حياة كل دين ومذهب وهى ملاك أمرها ووسيلة دعمها – ولا يثبت دين أو مذهب أو مبدأ بغير الدعوة التى تشيد البنيان وتثبيت الأركان – وتمتد بما تدعو له على مدى العصور والأزمان– كما أن الدعوة هى التى تضمن للأديان والمذاهب والأفكار البقاء والاستمرار والانتشار.

وقد عرف أن الحق لا يمكن أن يقوم بنفسه وينتشر بذاته ولابد له من دعوة تكفل له الذيوع والانتشار وترسخ الاعتقاد فيه والاستمساك به وهداية الناس إليه.

ومن هنا كانت الدعوة للإسلام ضرورة من ضرورات بقاء هذا الدين وانتشاره وشرح تعاليمه وأحكامه، وحث الناس إلى الخير عن طريق الإيمان به والاعتقاد بما جاء فيه – ومن هنا أيضاً كان الأمر الإلهى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بضرورة إعداد جماعة من الناس الإعداد الجيد ليحملوا مسئولية حماية هذا الدين وتبليغه للعالمين – وتصحيح فكر المنحرفين والرد على مايثار حوله من أقوال أو دعاوى المرجفين – قال سبحانه : ﴿ولتكن منكم أمة (أى جماعة) يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[1] ثم دعا إلى ضرورة التخصص فى مجال الدعوة، وتفرغ عدد من المسلمين للقيام بهذا العمل العظيم ، حتى يرجع إليهم حين يختلف الناس فى قضية من قضايا هذا الدين، ويقدمون الرأى الصائب المبنى على قواعد وأسس علمية مدروسة تفرغوا هم لها ـ وعرفوا ما ظهر منها وما خفى واستطاعوا أن يستخلصوا منها مدلول الشريعة والمفهوم الصحيح الذى ترمى اليها الآيات، أو يمكن استخلاصه من أقوال وأفعال الرسول ﷺ فقال سبحانه ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[2].

وقد تكفل الله تبارك وتعالى بحفظ كتابه من التحريف أو التغيير والتبديل، ليبقى مع سنة النبى ﷺ الصحيحة المرجعين الأساسيين للاعتماد عليهما فى فهم أحكام الدين وتعاليمه .

ولاحتمال انحراف بعض الناس عن جادة الصواب وابتعادهم عن طريق الحق وإمكان ظهور من يفكر فى تشويه صورة الإسلام أو ظهور من يؤول أحكامه ويحرف نصوصه ، أو ينتحل فيه ماليس منه – تكفل المولى سبحانه باصطفاء عدد من الدعاة العدول الذين لايزيغون عن الحق، ويحملون مسئولية نفى التأويل وإثبات التحريف ، وكشف ما ينتحله أصحاب البدع والخرافات– ولذا يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا الدين فى كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين ، كما ينفى الكير خبث الحديد».

وإذا كان الله قد فرض على أمة محمد ﷺ ضرورة تخصيص جماعة منهم لحمل الدعوة وتولى

---

(١) آل عمران: ١٠٤.
(٢) التوبة: ١٢٢.

مسئوليتها، والعمل على حمايتها ونشرها ورد الشبهات عنها، فإن هذا يتطلب جهداً كبيراً وتخطيطاً جيداً وتمويلاً كافياً، لأن دعاة الإسلام هم ورثة النبى فى تبليغ الرسالة وتوصيلها للعالمين.

وإذا كان يتحتم على أمة المسلمين ضرورة إعداد الدعاة المؤهلين لنشر الإسلام وتعليم المسلمين أحكام الدين ، والنظر فى كل ما يجد للمسلمين ، ويحتاج إلى اجتهاد لاختيار ما يُصلح للناس أمور دينهم ودنياهم، وليقوم بعضهم بواجب دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وشرح مبادئه وأحكامه والغوص فى دقائقه وتفاصيله، فإن هذا لايعنى قصر الدعوة على هذه الجماعة الذين يطلق عليهم اسم (العلماء) حراس الدين، وإنما – وكما سنرى– سنجد أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو أساس الدعوة للإسلام واجب على كل مسلم قادر على شرح ما يعرفه من أمور الدين، وبخاصة . الحلال والحرام، على ألا يتخطى حدود معرفته ، وألا يتعرض لما لا يعرفه من دقائق وتفصيلات الأحكام.

وسنتعرض إن شاء الله لكل هذه الأمور حتى نعرف بالضبط :

على من تجب الدعوة وجوباً عينياً ؟

وعلى من تجب وجوباً كفائياً ؟

وهل دعوة غير العلماء هى من باب التطوع أو من باب الوجوب؟

كما سنتعرف إن شاء الله على مسئولية المجتمعات والأفراد تجاه الدعوة، والأمور التى تجب عليهم للقيام بها، والحدود التى يجب أن يتوقفوا عندها.

ونبدأ باسم الله وعونه بتعريف الدعوة حتى يتبين لنا حقيقة هذه الدعوة وأهميتها وضرورتها فى كل عصر وحين، والله الموفق والمعين.

د. عبدالغفار عزيز

تعـريف الدعـوة:

الدعوة من الدعاء إلى الشيء بمعنى الحث على قصده – والدعوة إلى الإسلام تعنى المحاولة العملية أو القولية لإمالة الناس إليه

– جاء فى المصباح المنير: دعوت الله ، أدعو دعاء ، ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيداً، ناديته وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعى الله ، والجمع دعاة وداعون ، والنبى داعى الخلق إلى التوحيد[1].

وجاء فى أساس البلاغة :دعوت فلانا ناديته ، والنبى داعى الله ، وهم دعاة الحق ودعاة الباطل ودعاة الضلالة.

نستطيع أن نتبين من التعريف اللغوى لكلمة «دعوة» أنها تفيد لغوياً : المحاولات القولية والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عمل ، ولا شك أن الأقوال لها ثقلها وصعوبتها لأن فيها المناداة والطلب والإلحاح– وفيها الجهد والعمل .

وقد لوحظ اختلاف العلماء فى تعريفهم للدعوة، وذلك تبعاً لاختلافهم فى تحديد معنى الدعوة من جهة. وتفاوت نظرتهم إليها من جهة أخرى .

فكلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام كدين وعلى عملية نشره بين الناس، إلا أننا نستطيع أن نعرف المراد منها من سياق الكلام. فمثلاً إذا قيل هذا من رجال الدعوة إلى الله، كان معنى الدعوة هنا محاولات النشر والتبليغ– وإن قيل اتبعوا دعوة الله – كان المراد بها الإسلام ، ومن هنا فإن التعريف الاصطلاحى للدعوة التى هى بمعنى النشر والبلاغ يغاير تماماً الدعوة التى يراد بها الدين لأن التعريف الأول يعرّفها كعلم من العلوم مثله مثل سائر العلوم الإنسانية. له موضوعه وخصائصه وأهدافه

– أما التعريف الثانى أى الذى يعنى الدين فهو يقصد الإسلام بجميع تعاليمه وأحكامه

– وإن كان هناك بعض من العلماء قد عرف الدعوة بتعريف يمزج بين مفهوم الدين ومفهوم الدعوة إليه– كما فعل الشيخ محمد الراوى فى كتابه الدعوة الإسلامية دعوة عالمية حيث قال :

(هى الضوابط الكاملة للسلوك الإنسانى وتقرير الحقوق والواجبات)[2] – ومن العلماء من قصر التعريف للدعوة على بعض جوانبها كما فعل الشيخ محمد الخضر حسين فى كتابه الدعوة إلى الإصلاح وكذلك الشيخ على محفوظ فى كتابه [هداية المرشدين]. وعدد آخر من العلماء .

ولا يزال هناك من يعرّف الدعوة الإسلامية بتعريفات جديدة يرى أنها أدق وأشمل – ويرى أنها تجمع بين مراحل الدعوة التبليغية والتكوينية والتنفيذية مستخلصاً المعنى الاصطلاحى للدعوة من معناها اللغوى السابق – وهو الحث على الشيء والسوق إليه – فيرى الدكتور محمد أبو الفتح البيانونى[3] أن التعريف الأدق للدعوة فى نظره [هو تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه فى واقع الحياة][4] ويرى الدكتور البيانونى – أن لفظ الدعوة إذا أطلق ينصرف عرفاً إلى

---

(١) انظر مادة دعا .

(٢) ص ١٢.

(٣) هو أحد العلماء السوريين الذين يعملون فى حقل الدعوة ويعمل حالياً بجامعة الإمام محمد بن سعود بكلية الدعوة بالمدينة المنورة.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة ص ٦٧.

الدعوة إلى الإسلام ، لأنه هو المعنى الذى تواردت عليه معظم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومن هنا يعرّف علم الدعوة الذى أصبح عَلَماً على علم معين بأنه :

مجموعة القواعد والأصول التى يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه[1].

ويعرفها آخر[2] بأنها (العلم الذى تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الإسلام للناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق.

هل الدعوة هى مجرد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟

إذا كان هناك من العلماء من ينظر إلى الدعوة على أنها هى مجرد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فهذا من وجهة نظرى فهم خاطىء لحقيقة هذه الدعوة، لأن الدعوة إلى الإسلام لو كانت موجهة إلى المؤمنين فقط. أو مقصورة على أتباع هذا الدين وحده لكان ذلك صحيحاً ولأمكن أن نقرر من أول وهلة وجوب الدعوة وجوباً عينيا على كل مسلم. كل على حسب قدرته وإمكاناته. وعدم سقوط الوجوب عن أحد من الناس إلا فى حالات الضرورة القصوى. كمرض أو جنون أو صغر سن لا يدرك الصغير معها شيئا من تعاليم الإسلام وأحكامه .

والذى يجب أن نعرفه جيدا . حتى نتمكن من تحديد موقف الناس من وجوب الدعوة عليهم أو عدم وجوبها . أن الدعوة للإسلام نوعان :-

١-النوع الأول :- دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم إلى الإسلام. وأن يشاركوهم فيما هم عليه من الهدى ودين الحق .

٢-النوع الثانى :-دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخير، وتآمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر

ويحتاج هذا التقسيم إلى شىء من التفصيل :-

أما النوع الأول وهو دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم إلى الإسلام فهذا هو واجب الأمة ككل. ومسئولية حكام المسلمين. والقادرين على القيام بهذا العمل من الدعاة المؤهلين المدربين على العمل فى مثل هذه المجالات- الدارسين لأصول وأساليب الدعوة الصحيحة لغير المسلمين، المستعدين للرد على كل مايثار حول الإسلام من شبهات، الذين يعرفون أولويات العمل الإسلامى فى مثل هذه المناطق، ويعرفون فن المناظرة والمحاورة، المسلحين بمعرفة أساليب التيارات المعادية للإسلام ،المستوعبين لأصول الفلسفات المادية والمذاهب الهدامة وأساليب ووسائل الرد عليها .

وقد قلنا : إن هذا النوع من الدعوة هو واجب الأمة ككل وهو فرض عين على الحكام والقادرين من الأفراد ، وفرض كفاية على باقى الناس[3] بمقتضى جعلها خير أمة أخرجت للناس مع تقييد هذه الخيرية (أى خير أمة) بكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وبحكم وصف

---

(١) المرجع السابق ص ٦٨.

(٢) الدكتور أحمد غلوش فى كتابه الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص ١٠.

(٣) بمعنى أنه لو أداها البعض سقطت عن الآخرين.

المؤمنين الذين أذن لهم بالقتال فى قوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾[1].

والذى يجعلنا نفرق بين الدعوة للإسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونجعل الأخير مجرد جزء من الأول. قول الله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[2].

فالآية فصلت بين قوله « يدعون إلى الخير» «ويأمرون بالمعروف» بواو العطف التى تقتضى المغايرة فلو كانت الدعوة إلى الإسلام هى بذاتها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ماجىء بواو العطف ولوجدنا الآية الكريمة تقول :

﴿ تدعون إلى الخير فتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾

وهذا التقسيم الذى ذكرناه سيفيدنا كثيراً فى معرفة نوع الوجوب بالنسبة للدعوة إلى الله والتى نرى أنها واجبة وجوباً عينياً مع المسلمين بعضهم بعضا. وإن اختلفت درجة هذا الوجوب بين الناس حسب قدراتهم وإمكاناتهم. وتحددت قضايا بعينها كان الوجوب العينى فيها لعامة الناس. وقضايا أخرى يكفى فيها الوجوب الكفائى، بل يتحتم أحياناً فى بعض الحالات قصر الوجوب العينى على أفراد بعينهم.

أما النوع الثانى: من أنواع الدعوة: فهو دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخير كما قلنا وتآمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر – وقد اختلف العلماء فى حكم هذا النوع من الدعوة. وهل هى واجبة وجوباً عينياً أم وجوباً كفائياً؟

العلماء جميعاً اتفقوا على كونها واجبة لأن النص القرآنى يدعوهم إلى هذا الوجوب حيث يأمرهم بذلك فيقول ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾.

من هنا انعقد الإجماع على هذا الوجوب استدلالاً بهذه الآية وآيات أخرى كثيرة. بالإضافة إلى ماثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعوة الناس – إلى ضرورة هذا التبليغ. ففى القرآن الكريم – بالإضافة إلى هذه الآية التى ذكرناها وردت آيات كثيرة تأمر بالدعوة صراحة. وتدل على فرضيتها مثل قوله سبحانه ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿فادع واستقم كما أمرت﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين﴾[5] وغير ذلك كثير يؤكد الفرضية ، لأنه

---

(١) سورة الحج الآية ٤١.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٤.
(٣) النحل ١٢٥.
(٤) الشورى ١٥.
(٥) القصص ٨٧.

جاء بلفظ الأمـر ولا يوجـد ما يصـرف هذا الأمـر بالإضافة إلى أن هذه الآيات لاتحتمل إلا معنى واحداً. ولذلك فهى قطعية الدلالة.

من أدلة السنة التى دلت على وجوب الدعوة إلى الله تعالى وفرضيتها على الناس قول النبى صلى الله عليه وسلم [ليبلغ الشاهد منكم الغائب][1] وقوله صلى الله عليه وسلم [جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم][2] وقوله: [والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم][3] – وهذه الأحاديث تدل على الوجوب لأنها جاءت بصيغة الأمر .

أما اختلاف العلماء فى نوع تبليغ الدعوة. وهل هو فرض عين أم فرض كفاية فإنما جاء من اختلاف تفسيرهم لقول الله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..﴾ الخ .

فالذين يرون أن الدعوة واجبة وجوباً كفائياً . أى أنه إذا قامت بها جماعة سقطت عن الآخرين يفسرون لفظة (من) فى الآية على أنها للتبعيض، أى وليكن منكم جماعة – أما الذين يرون أنها واجبة على كل المسلمين . وجوباً عينياً . فهم يرون أن (من) هنا بيانية فقط وليست تبعيضية وأن المعنى هو (ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير.. الخ).

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب محتم على الجميع، ويشبهونه بفريضة الحج التى تجب على كل أفراد الأمة لا تسقط عن أحد منهم إلا بعدم الاستطاعة– يقولون: إنها آكد من فريضة الحج التى تؤدى بطريقة واحدة وأسلوب واحد لا يختلف فيها مسلم عن آخر.

أما الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر فيمكنه أن يفعل شيئاً ما من الأمر والنهى. وأن هناك استطاعة دائمة وإن كانت على قدر كل واحد وإمكاناته المادية أو الجسمية أو الفكرية، فكل واحد يؤدى . ولو كان هناك من هو أقدر منه على التأدية. أو على استعداد للتأدية أو متفرغ لها . وذلك حفاظاً للأمة وحرزاً لها من الفساد والتحلل – كما أن الحاجة إلى الدعوة إلى الله تعالى شديدة، والأمر بالمعروف والنهى هو القطب الأعظم فى الدين . ولو أهمل أمره لاضمحل الدين وفشا الضلال وعم الفساد وهلك العباد.

وقد وصف الله سبحانه أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنها خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فقال سبحانه ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهـون عن المنكـر ﴾[4] ويتحـدث المولى سبحانه عن المؤمنين وكيف أنهم يأمرون بالمعروف وينهـون عن المنكر ويقيمـون الصـلاة ويؤتـون الزكـاة ويطيـعون اللـه ورسـوله ويقول :

---

(١) صحيح البخارى حـ ١ ص ٣٧ كتاب العلم باب ليبلغ الشاهد الغائب.

(٢) نيل الأوطار حـ ٧ ص ٢٣٩.

(٣) رواه البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة والترمذى من حديث حذيفة نحوه.

(٤) آل عمران : ١١٠.

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ [التوبة – ١٧١].

ولعلنا نلاحظ كيف قدم القرآن صفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للمؤمنين قبل إقامة الصلاة والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد كثيراً من الآيات القرآنية تصف المؤمنين بأنهم : الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر كما فى سورة التوبة ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ [التوبة – ١١٢].

والفريق الذى يرى أن تبليغ الدعوة فرض كفاية. وهى فرض عين على المستطيع فقط كالحج والزكاة يستدلون على ذلك بقوله سبحانه :﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[١].

ويقولون إن الآية تدل على أن التبليغ واجب على طائفة من كل فرقة ابتداء لأن معناها . لاينبغى للمؤمنين أن يخرجوا جميعاً للقتال ، بل على طائفة منهم البقاء للتفقه فى الدين وإنذار القوم بما تفقهوا[٢].

ويقولون أيضاً لو وجبت الدعوة على الجميع للزمت الشيخ الفانى والمريض والمرأة وهم لايقدرون عليها ومن القواعد المقررة فى الشريعة أنه ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ وهذا يدل على أنها واجبة[٣] على العلماء وحدهم.

ونقول: إنه مادمنا قد فرقنا بين دعوة المسلمين ودعوة غير المسلمين. فإنه لا محل لهذا الاعتراض، وأن دعوة غير المسلمين إن كان يتحتم فيها ضرورة وجود العلماء المتميزين القادرين على تبليغ الإسلام بجميع دقائقه وتفاصيله، فإن ذلك غير مطلوب بالنسبة لدعوة المسلمين التى تتمثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتوجيه الناس بعضهم بعضا إلى عمل الخير والابتعاد عن الشر. وكل الناس بلا استثناء يمكنهم القيام بهذا الأمر حتى الأطفال الصغار الذين يعرفون قليلاً من الدين ، مما يدخل تحت الحلال والحرام بإمكانهم أن يفعلوا ذلك حتى مع أهليهم وذويهم.

ثم ألا يستطيع الشيخ الفانى أن يعلم أولاده أحكام الإسلام ويوجههم إلى طريق الهدى والرشاد حتى ولو لم يتحرك من فراشه؟ ألا تستطيع المرأة أن تعلم أولادها وجيرانها وأبناء جيرانها فتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر؟ ألا يستطيع الطفل أو الطفلة الصغيران أن ينبها والديهما إلى أن ما يقومان به منكر يتعارض مع ما عرفوه أو تعلموه من أحكام الإسلام؟

---

(١) التوبة : ١٢٢.

(٢) أحمد غلوش ٢٣٧ الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها.

(٣) المرجع السابق .

ألا يستطيعا دفع الوالدين أو أحدهما إلى زيارة الأقارب أو التعامل معهم إن كان بينهم خصام أو تذكيرهم بضرورة عيادة مريض أو كسوة عريان أو إطعام جائع ؟

أليست هذه دعوة ؟

إن الدعوة للإسلام ليست مجرد كلام يقال؟ أو خطبة تلقى فى المسجد أو فى مكان عام إنها أعم من ذلك وأوسع من ذلك. لكن كثيراً من الناس لايعرفون .

شبه واعتراضات :

الشبهة الأولى :

هناك من يرون قصر الدعوة على العلماء وحدهم بحجة أن العلماء يتميزون بالعلم والإخلاص ومحبة الدعوة، وأن أمرهم بأشياء ونهيهم عن أشياء يستلزم سبق العلم بما يدعى الناس إليه وبالوسيلة المناسبة للدعوة ، ويقولون إن الجهل فى هذا المقام ربما يضر أكثر لأن الجاهل لا يفرق بين المعروف والمنكر .

ونقول لهم: لو كان الإسلام شيئاً واحداً أو محدوداً بقضايا محددة معينة لكان لكم الحق فيما تقولون ، فالدعوة للإسلام لا تتعلق بقضايا محددة معينة لا يمكن الابتعاد عنها . أو التعرض لغيرها وإنما الإسلام (هو الحياة بكل دقائقها وتفاصيلها) .. وكل المسلمين بلا استثناء لابد لهم وأن يعرفوا بعض قضايا الدين. أو على الأقل الحلال والحرام من هذا الدين ،الأمر الذى يمكن أن ينفى عنهم كلمة الجهل بالدعوة، لأن العلم يتعلق بتعلم جزئية بسيطة فى الدين فمن تعلمها صار عالماً بها، ووجب عليه حينئذ أن يبلغها ، كل مافى الأمر أنه لابد لكل إنسان أن يعرف قدره وألا يتخطى حدود معرفته فلا يتعرض إلى ما لايعرفه من أمور الدين ، أو للقضايا التى تحتاج إلى المتخصصين ممن لهم قدرة على فهم أحكام الإسلام واستنباط الأدلة . ومعرفة مصادرها ولذا فإنه لامحل للقول بأن الجهل فى هذا المقام ربما يضر أكثر مما يفيد، لأن الجاهل لايفرق بين المعروف والمنكر كما يقولون ، وحتى على فرض أن بعض المسلمين من غير العلماء قد يدعو إلى المنكر وهو لايدرى ولا يعرف الوسيلة المناسبة للدعوة فيغلظ فى موضع اللين – ويلين فى موضع الشدة ، وينكر على من لايزيده إنكاره إلا تمادياً ، فإنه بالإمكان تعليم هؤلاء وتدريبهم على استعمال الأساليب والوسائل المناسبة للدعوة ومنع غير المؤهلين من التصدر للدعوة الرسمية أو التعرض لقضايا أكبر من إمكاناتهم وقدراتهم – بالإضافة إلى أن ما يطلق عليهم اسم العلماء ليسوا جميعاً أبناء مدرسة واحدة ولا فكر واحد . وأحياناً تكون تخصصاتهم مختلفة . ولهذا فإن بعضهم ينبغ فى قضايا معينة. وقد لايجيد شرح أو عرض قضايا أخرى يجيدها من هم أقل منه علماً أو سناً أو ممن لايطلق عليهم اسم (علماء).

ومن هنا نكرر مرة أخرى أن من علم أى جزئية ولو بسيطة فى الدين يصير بها عالماً ووجب عليه تبليغها ، الأمر الذى يجعلنا نقرر بأن الدعوة للمسلمين واجبة على كل مسلم قادر عليها وجوباً عينياً كل على قدر طاقته واستطاعته. مع ضرورة الالتزام بالأسلوب الإسلامى الصحيح

المتمثل فى قول المولى سبحانه ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾

الشبهة الثانية :

هناك من يقولون إن أمر الدعوة شاق وأنه فوق الطاقة – والله يقول ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ . حتى يكون فى هذا مندوحة لترك واجب تبليغ الدعوة.

نحن نرد عليهم بأن هذه علة واهية ولا يصح الاحتجاج بهذا . لأن أى عمل من الأعمال يتطلب جهداً ومشقة ويبذل الإنسان النفس والنفيس فى سبيل الحصول على مال أو جاه أو سلطان. فلم لايبذل جهدا فى الدعوة. التى هى أفضل عند الله من كل شىء؟؟.

ثم أى جهد ومشقة ينالان المسلمين الآن وهم يدعون المسلمين ويوجهونهم فقط إلى عمل الطاعات والابتعاد عن المنكرات؟ فقد كان تبليغ الدعوة فى عصر النبى وفى عصور غيره من الأنبياء السابقين أشق من كل مانرى . ومع ذلك تحمله المسلمون وصحابة النبى وأتباع الأنبياء السابقين ولقوا فى سبيله العنت والأذى والموت وكان شعارهم جميعاً:

ولست أبالى حين أقتل مسلماً .. على أى جنب كان فى الله مصرعى

كيف يكون هذا عذر المسلمين فى الوقت الذى يشاهدون فيه المبشرين بالمسيحية رجالاً ونساء يتركون بلادهم الغنية المتقدمة إلى أواسط أفريقيا فى الأحراش والأدغال من أجل نشر الباطل.

كيف لا يكافح المسلمون وهم أصحاب حق وحملة الرسالة الصحيحة؟

الشبهة الثالثة :-

وبعض المعارضين لوجوب الدعوة يقولون لا تكليف بتبليغ الدعوة، وليست الدعوة واجبة على أحد، وإنما هى مجرد عمل تطوعى لا يأثم المسلم بتركه– ويستدلون على قولهم هذا بقول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ [1] والحقيقة أنهم فهموا هذه الآية فهما خاطئا فمعنى الآية أنكم إذا فعلتم ما وجب عليكم فلا يضركم تقصير غيركم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[2] وقد عرف أن الله أوجب علينا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعليه فلا يكون المرء مهتديا مع تركه لهذه الفريضة، فإذا قام بها ولم يمتثل المخاطب فلا جناح عليه بعد ذلك لأنه أدى ما عليه، وعليه فقط مجرد القول لا القبول. ولذلك يقول ابن تيمية :[3] إن الآيه تدل على وجوب تبليغ الدعوة ،لأن الاهتداء يتم بأداء الواجب فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلال ، وهذه شبهة قديمة العهد عرضت للناس فى الصد الأول، فقد روى الإمام أحمد والترمذى وغيرهم من حديث قيس بن حازم قال [فقام أبو بكر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم

---

(١) أى يتوهمون منها أن الإنسان مادام قد فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه فلا شىء عليه حتى وإن رأى غيره يخالف ذلك ولا حرج عليه إن لم ينهه – وليس كذلك .راجع أحكام القرآن للجصاص حـ٢ ص٣١.

(٢) سورة الزمر٧.

لا يضركم من ضل إذا أهتديتم ﴾ وأنكم تضعونها علي غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :- [إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه][1] .

وقد شدد الله بالإنكار على قوم أغفلوا هذه الفريضة وأهل دين أهملوها- فقال جل ثناؤه ﴿لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[2] وواضح هنا أن سبب لعن بنى إسرائيل. لأنهم كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر مهما اشتد قبحه وعظم ضرره ،والنهى عن المنكر حفاظ الدين وسياج الآداب والكمالات، وإذا أهمل تجرأ الفساق على إظهار الفسوق والفجور بلا مبالاة، وإذا تعود العامة على رؤية المنكرات بأعينهم والا ستماع إليها بآذانهم زالت عنهم وحشتها وقبحها من نفوسهم. ويتجرأ الكثيرون بعد ذلك على ارتكابها، وقد كان ذلك شأن بنى إسرائيل الذين اعتادوا على المنكر وأصروا عليه فلعنهم الله أى حرمهم من لطفه وعنايته. وطردهم من باب رأفته ورحمته، وذكر الله ذلك للمؤمنين ليكون عبرة لهم حتى لا يفعلوا فعلهم فيكونوا مثلهم ويحل بهم من لعنة الله وغضبه ما حل بهم، وقد روى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجة وغيرهم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :[إن أول ما دخل النقص عن بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك- ثم يلقاه من الغد وهو على حاله- فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده- فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال :[لُعن الذين كفروا- إلى قوله فاسقون] ثم قال ﷺ [كلا والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر، ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه[3] على الحق أطراً ولتقصُرُنه[4] على الحق قصراً- أو ليضربن الله على قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما يلعنهم -] ومعنى هذا أنه لا يسقط وجوب الدعوة وتكليف الأمة بالقيام بها استنادا على هذا الفهم الخاطىء لمعنى قول المولى سبحانه ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وقد ذكرنا قبل ذلك الأدلة الصريحة الواضحة التى تؤكد فرضية القيام بهذا الواجب، ومجىء كثير من هذه النصوص القرآنية وأحاديث النبى ﷺ بصيغة الأمر الموجهة إلى كل أفراد الأمة.

الشبهة الرابعة :-

وهناك من يقول : إن الباطل قد انتشر والفساد قد عم وأنه لا حيلة ولا قدرة لهم على إصلاح هذا الفساد، وبخاصة إذا كان ما شاع بين الناس من فساد وانحراف بسبب حماية ولاة الأمر أو الذين افترض فيهم مقاومة هذا الفساد، أو بسبب منع الحكام للدعاة من أداء واجبهم نحو إنكار المنكرات أو تقييد عملهم مما يعطل استجابة المدعوين أو يقلل من النتائج المرجوة منها ولو حاولنا أن نقيس هذا العصر بعصور الأنبياء والمرسلين وعصور أخرى عم فيها الفساد

---

(١) أحكام القرآن للجصاص جـ٢ ٣١ .

(٢) المائدة ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) تأطرنه :بكسر الطاء وضم الراء أى تردنه

(٤) تقصرنه بضم الصاد والراء أى تمنعنه من مجاوزته .

وانتشرت المنكرات لوجدنا أن عصرنا أفضل من عصورهم وإمكانية الدعوة ووسائلها تتوفر عندنا ولم تكن كذلك عندهم ، وتوقع استجابة المدعوين الآن أكثر من هذه العصور التى خلت وهذه الأزمان التى أوذى الدعاة فيها أذى كبيراً ومع ذلك كانت النتائج عظيمة باهرة .

والمفروض فى الدعاة أن يقوموا بواجب التبليغ وأن يبينوا للناس حقيقة هذا الدين ثم يتركوا نتيجة أعمالهم لله سبحانه ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[1] وقد ظل نوح عليه السلام يدعو إلى ربه ألف سنة إلا خمسين عاما. وما آمن به إلا قليل، ومع ذلك لم يتوقف عن الدعوة واستمر يدعو حتى قال الله له ﴿ يا نوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾[2] وظل محمد ﷺ يدعو قومه فى مكة ثلاثة عشر عاماً كاملة ذاق فيها من العنت والقسوة الكثير، وكان عدد الذين هاجروا إلى المدينة بعد دعوة استمرت ثلاثة عشر عاماً. ثمانين وبضعة نفر. ومع ذلك تغير الوضع كثيرا بعد أن أصبح للمسلمين دولة. وصاروا مجتمعًا بعد أن كانوا مجرد جماعة، وتولوا هم بأنفسهم مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمحافظة على تعاليم وشرائع الإسلام .

فالتوهين من أمر الدعوة فى هذا العصر وادعاء أنه لا جدوى منها بعد أن عم الفساد وامتلأت الحياة بالأوزار والآثام هو سبيل الفساد والإفساد، وسبيل هلاك الأنسان والمجتمعات، وهو مخالف للدين الحنيف الذي أمر بالدعوة حتى قيام الساعة، مخالف للواقع والتاريخ ولن يخلو العالم من احتياجه إلى الدعوتين دعوة الإسلام والدعوة إلى الإسلام، أى معرفة مبادىء الإسلام ومحتوياته من العقيدة والشريعة والعبادات والمعاملات والنظم الخ – ومعرفة كيفية الدعوة إلى هذه المبادىء والعقائد والنظم والشرائع التى أسسها الإسلام وجاءت على ألسنة الدعاة من الرسل.

فالأولى : [دعوة الإسلام] هى شرح وبيان وتفصيل للإسلام نفسه.

والثانية : [الدعوة إلى الإسلام] هى دعوة الناس إلى هذه المبادئ.

وإذا قارنا بين أحوال العالم قبل دعوة الإسلام وبين أحواله الآن فى عالمنا الذى نعيش فيه وجدنا تقارباً كبيراً بين حالنا وحالهم.

وإذا كان قد عرف عن العالم قبل الدعوة الإسلامية شيوع الفساد والانحلال والاضطرابات والتقليد الأعمى والتباغض والتحاسد والاختلاف فى النزعات الدينية وفساد الذمم، والأخلاق فإن ذلك كله موجود الآن فى مجتمعنا المعاصر، مما يؤكد شدة حاجة الناس إلى الدعوة إلى الله، لأن العالم اليوم ينقسم إلى أربعة أقسام – شيوعيين ملحدين، وأهل كتاب ووثنيين ومسلمين ، وكلهم بلا استثناء يحتاجون إلى دعاة علماء. يبيّنون لهم حقائق معتقداتهم ، وحاجتهم الماسة إلى

---

(١) الكهف ٢٩.

(٢) هود ٣٦.

معرفة دين الإسلام . وضرورة الإيمان به ، وإن كان المسلمون فى أشد الحاجة إلى الدعوة فى هذا العصر حتى يمكنهم بعد ذلك التأثير فى الآخرين عن طريق الدعوة بالقول أو بالقدوة. لأن أكثر المسلمين وللأسف قد انحرف عن طريق الإسلام وابتعد عن التخلق بأخلاقه والتعلم بتعاليمه وأصبح غالبية المسلمين جهلاء بالإسلام لا يعرفون منه إلا اسمه . ولا يفهمون منه إلا بعض أشكاله وصوره، فهم بين عبدة لأضرحة أو عبدة لأشخاص، موزعين بين طوائف شتا، وحالهم وللأسف جهل وضلالة وضعف وتأخر ، أما مثقفوهم فإن علموا شيئاً فعن غير الإسلام ، وإن ابتغوا شيئاً فهو مايأتى به أعداء الإسلام من الصهاينة أو الصليبيين.

ولا شك أن أحوال الناس تختلف بعد الدعوات الإصلاحية عما كانت عليه قبلها . كما أنه لايشك أحد فى ضعف العرب وشيوع المنكرات فيهم وتحولهم عن عبادة الأوثان قبل الإسلام بعد دعوتهم إلى دين الله. وترك ماهم فيه من ضلال فصاروا بعد ذلك أمة قوية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

ثم ألم نسمع عن تحول كثير من الناس عن عقائدهم أو أفكارهم بسبب نجاح الآخرين فى إقناعهم واستمالتهم؟

ألم يتحول كثير من الناس عن دياناتهم التى كانوا عليها إلى ديانات أخرى؟ وانسلخ كثير من الناس من مذاهبهم التى نشأوا عليها إلى مذاهب أخرى كانوا يرفضونها أو يتعاونون مع أهلها؟

إن دولاً بأسرها كانت تدين بالمسيحية انتقل أهلها إلى الشيوعية بسبب غزو الإلحاد الشيوعى لها؟ بل بعضاً من المسلمين تركوا دينهم واعتنقوا المسيحية فى آسيا وأفريقيا بسبب نجاح التبشير والمبشرين فى دعوتهم.

ومرة أخرى نقول: لو ترك الإنسان على ماهو عليه من الشر والفساد لعم هذا الفساد والشر حتى يتحول العالم إلى غابات محترقة.

كل مافى الأمر أن هناك أموراً لابد للدعاة أن يلاحظوها حتى تنجح دعوتهم وتتحقق أهدافهم فما هى هذه الأمور؟

عرفنا أن دعوة المسلمين للمسلمين هى أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وأن المسلمين جميعاً مطالبون بها كلٌ على قدر طاقته واستطاعته بهذا الأمر وهذا النهى. وأنه مادام الإنسان قادراً على ذلك فله أن ينكر المنكر على الأقل ، خاصة إن ظهر فعله وكان قادراً على منع هذا المنكر حتى ولو لم يكن مأذوناً بذلك ، ولا يسقط احتساب المحتسب أى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا عن المجنون والصبى والكافر والعاجز ، ولا يسقط عن الفاجر أو المرأة والرقيق

وإذا كان العلماء قد شرطوا التكليف فلا يعنى هذا عدم جواز فعله للصبى المراهق الذى بلغ حد التمييز – لأن الشروط السابقة هى شروط الوجوب، لكن مادام هناك إمكان للفعل فللقادر عليه إنكار المنكر وإن لم يكن مكلفاً لأنه ينال بذلك ثواباً ، وليس لأحد أن يمنعه من الاحتساب على أساس أنه غير مكلف. لأن إنكار المنكر قربة. وهو من أهلها كالصلاة والإمامة . وسائر القربات ، وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ، ولذلك أجيز عمله للعبد وآحاد الرعية.

ومع أن الاحتساب وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب كما عرفنا وأن إنكار المنكر جائز لكل الناس حتى الصبى المميز، إلا أن هذا الاحتساب له شروط لابد من توفرها حتى يسمح للمسلم بهذا الاحتساب. وربما كان عدم معرفة كثير من المسلمين لهذه الشروط هو السبب فى ظهور ظاهرة تشدد بعض الشباب فى الدين فى هذا العصر حيث أنهم يأخذون بظاهر نص الحديث الذى يدعو المسلمين إلى إزالة المنكر حيث أن النص يقول (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) وفسروه على أن الاقتصار على اللسان أو القلب لايجوز لغير القادرين على التغيير باليد لأن هذا هو أضعف الإيمان ، وهم يرون أن إيمانهم ليس ضعيفاً باعتبارهم من الشباب المؤمن القادر على التغيير باليد.

ولا شك أن هذا التفكير يتناقض تماماً مع ما اتفق عليه علماء الأمة أنه لايجوز التغيير باليد إلا لمن يملكه ، وبشرط ألا يؤدى إلى مفسدة ومنكر أكبر.

رأى ابن تيمية فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

والغريب أن كثيرين من هؤلاء الشباب يدعون أنهم استخلصوا هذه الأحكام من كتاب الفتاوى لابن تيمية ، وقد أولوا كثيراً من النصوص فى هذا الكتاب لتتفق مع فكرهم وفهموا نصوصاً أخرى على ظاهرها، وأخرى على غير ما قيلت بسببها. مع أن للإمام ابن تيمية الذى تؤمن بفكره معظم الجماعات الإسلامية خاصة المتشددين منهم كلاماً جميلاً فى موضوع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهى القضية التى يدور حولها الخلاف ويستند عليها فكر هذه الجماعات والتى لم تتمكن من فهم كثير من النصوص التى ذكرها الإمام ابن تيمية الرجل المفترى عليه والذى اضطر كثير من الناس أن يلصقوا به تهمة التشدد، وهو منها براء، بل استطاع بعض ذوى الميول والأهواء من الجماعات الإسلامية أن يغيروا فى بعض ما قاله الرجل ليستخلصوا من ذلك آراء وأفكاراً نسبوها إلى الرجل المظلوم بعد أن فبركوها، وأولوا بعضها إلى غير ماتحمله النصوص .هذا الإمام المظلوم والمفترى عليه فى عصره وعصرنا يحتاج إلى بعض المنصفين لتوضيح حقيقة فكره للناس ، وإنصافه منهم بعد أن شوّه الآخرون صورته.

فى كتاب (مجموع الفتاوى) ، وفى الجزء الخاص بالجهاد، وهو الكتاب الذى اعتمد عليه المتشددون من الجماعات الإسلامية يقول الرجل فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، بعد أن ذكر أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما يندرج تحت هذا الأمر: (أنه لابد فيه من الرفق)، ويستدل بحديث النبى صلى الله عليه وسلم : «ماكان الرفق فى شىء إلا زانه ، ولا كان العنف فى شىء إلا شانه». وقوله صلى الله عليه وسلم أيضاً: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ويعطى عليه مالا يعطى على العنف»، ولهذا قيل: «ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر»، ويوضح ابن تيمية بأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا كان من أعظم الواجبات والمستحبات، فإن الواجبات والمستحبات لابد أن تكون فيها راجحة على المفسدة، ويعلل ذلك بأنه بهذه المصلحة بعثت الرسل ونزلت الكتب، و ﴿الله لا يحب الفساد﴾، ويقول فحيث كانت مفسدة

الأمر والنهى أعظم من مصلحته، لم تكن مما أمر الله به، حتى وإن كان ترك واجب أو فعل محرم ويقول: «إن المؤمن عليه أن يتقى الله فى عباده وليس عليه هداهم».

ويرى الإمام ابن تيمية بأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب أن تتوافر فيه ثلاثة أشياء (العلم – والرفق– والصبر) – العلم قبل الأمر والنهى ، والرفق معه، والصبر بعده. واستدل على ذلك بما ذكره القاضى أبو يعلى فى المعتمد حيث قال: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به ، فقهياً فيما ينهى عنه رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به. حليماً فيما ينهى عنه»[1].

يقول ابن تيمية[2] يجب أن يفرق بين ما يفعله الإنسان ويأمر به ويبيحه وبين مايسكت عن نهى غيره عنه وتحريمه عليه فإذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ماهو أشد تحريماً منه، لم ينه عنه ولم يبحه أيضاً ، ثم يقول : (ولهذا لايجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه) ويقول– (ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف لأجل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن مايحصل بذلك من فعل المحرمات وترك للواجبات أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب) – ثم يقول (وإذا كان قوم على بدعة أو فجور ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك، ولم يمكن منعهم منه– ولم يحصل للنهى مصلحة راجحة لم ينهوا عنها).

ويقول[3]: (فالمنهى عنه إذا زاد شره بالنهى وكان النهى مصلحة راجحة كان حسناً– وأما إذا زاد شره وعظم وليس فى مقابلته خير يفوته لم يُشرع إلا أن يكون فى مقابلته مصلحة زائدة، فإن أدى ذلك إلى شر أعظم منه لم يُشرع. مثل أن يكون الآمر لا صبر له فيؤذى فيجزع جزعاً شديداً يصير به مذنباً وينتقص به إيمانه ودينه ، فهذا لم يحصل به خير لا له ولا لأولئك ، بخلاف ما إذا صبر واتقى الله وجاهد ، ولم يتعد حدود الله بل استعمل التقوى والصبر، فإن هذا تكون عاقبته حميدة ، وأولئك قد يتوبون فيتوب الله عليهم ببركته ، وقد يهلكهم ببغيهم ويكون ذلك مصلحة كما قال تعالى: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾.

وإذا كان مجرد إنكار المنكر حتى باللسان يجوز تركه إن أدى ذلك إلى منكر آخر أو أصاب الإنسان بسببه ضرراً كبيراً لا يستطيع تحمله فإن تغيير المنكر باليد عند عدم القدرة. أو وقوع الضرر المؤكد له أو لغيره يصبح ممنوعاً ولذا يقول الإمام ابن تيمية : (فإذا قوى أهل الفجور حتى لايبقى لهم إصغاء إلى البرّ ، بل يؤذون الناهى لغلبة الشح والهوى والعُجب، سقط التغيير باللسان فى هذه الحالة وبقى بالقلب) [4].

وقد أخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : «إذا رأيت شُحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك» ، ويفسر هذا الحديث الشهير الذى رواه مسلم فى

---

(١) راجع مجموع الفتاوى مجلد ٢٨ ص ١٣٦، ص ١٣٧.

(٢) راجع مجموع الفتاوى مجلد ١٤ ص ٤٧٢ ، ومجلد ٢٨ ص ١٢٦– ١٢٨.

(٣) راجع مجموع الفتاوى مجلد ١٤ ص ٤٧٣.

(٤) السابق ص ٤٧٩، ٤٨٠.

صحيحه وهو قوله صلى الله عيه وسلم «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان».

ولذلك يؤكد ابن تيمية دائماً على ضرورة ألا يعتدى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر على أهل المعاصى بزيادة على المشروع فى بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم ، أو عقوباتهم ، بل يقال لمن اعتدى عليهم عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت- ثم يقول: «فإن كثيراً من الآمرين الناهين ، قد يتعدى حدود الله إما بجهل وإما بظلم وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء فى ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين، لأنه يرى - كما قلنا - ضرورة أن يقوم بالأمر والنهى على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل الصحيح، فإن ذلك داخل فى قوله سبحانه ﴿عليكم أنفسكم﴾ وفى قوله: ﴿إذا اهتديتم﴾ [1].

لقد ثبت أن إنكار المنكرات عن طريق الإتلاف مثل تحريق المكان الذى يباع فيه الخمر أو أخذ جزء من مال مانع الزكاة، أو أى عقوبات بدنية كالقتل والقطع وجلد السارق وقتل الكفار، وأخذ أموالهم، لايكون إلا لولى الأمر ، ولم يثبت أبداً أن عوام الناس فى أى عصر من العصور قد فعلوا ذلك ، وما كان شيء منه يحدث إلا بناء على قرار أو أمر الحاكم أو من يفوضه من القضاة والمحتسبين ، فالنبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أمر بهدم مسجد الضرار- وهو الذى أمر عبدالله بن عمر بحرق الثوبين المعصفرين وكسر الأوعية التى فيها لحوم الحُمر وذلك فى يوم خيبر، وإن كان قد وافق من استأذنه لإراقة ما فيها وعدم تكسيرها للانتفاع بها بعد غسلها كذلك فإن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب هما اللذان أمرا بتحريق المكان الذى يباع فيه الخمر يوم أن كان كل واحد منهم يتولى الحكم ، كذلك فإن عثمان رضى الله عنه هو الذى أمر بحرق المصاحف المخالفة لمصحفه ، وهكذا كان إتلاف المنكرات حقاً لولى الأمر وحده أو من يصرح له بذلك، ومع جواز اتلاف المغشوشات فيما يباع ويشترى فى المطعومات أو الصناعات كما فعل بعض الخلفاء فإن كثيراً من الفقهاء يرون أن إتلاف ذلك ليس واجباً على الإطلاق، وإنما يمكن أن يستفاد به لمصلحة المسلمين بدلاً من إتلافه لأن مصادرته أو التصدق به يحصل به العقوبة التى يراد توقيعها على من غش، وفيها أيضاً زجر له عن أن يعود إلى ذلك مرة أخرى ويكون انتفاع الناس أو الفقراء بذلك أنفع من إتلافه[2].

ولا شك أن هناك من المنكرات التى يترتب على منع وقوعها عن طريق عامة الناس مشاكل كثيرة وعواقب وخيمة، فلا نتصور أبداً ترك إقامة الحدود التى فيها إتلاف كقطع يد السارق وعقوبة المحارب لكل إنسان ، وإذا كان للمحتسب أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم ، فإن لهذا المحتسب حدوداً يجب ألا يتخطاها أو يتعداها، وإذا كان المحتسب المفوض من السلطان والمعين فى وظيفة الاحتساب يعطى حق معاقبة المخالفين بالضرب أو الحبس ، ومحاسبة الأئمة والمؤذنين فيما فرطوا فيه من

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية المجلد حـ ١٤ ص ٤٨١، ص ٤٨٢.
(٢) راجع: مجموع فتاوى ابن تيمية المجلد ٢٨ ص ١١٠ : ١١٥.

حقوق الإمامة أو الخروج على الأذان المشروع، فإن القتل وقطع اليد وغير ذلك إنما هو خاص بولى الأمر فقط[1]، ولو نظرنا إلى مراتب الحسبة[2] لوجدنا أن لها خمس مراتب أولى هذه المراتب التعريف والثانية الوعظ بالكلام اللطيف، والثالثة السب والتعنيف، وذلك من غير مفحش كأن يقول لفاعل المنكر ياجاهل ياأحمق ، ألا تخاف الله أو شيئاً مثل ذلك .

المرتبة الرابعة: المنع بالقهر مثل كسر الملاهى وإراقة الخمر واسترداد ثوب مغصوب أو نحو ذلك :

أما **المرتبة الخامسة** : فهى التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب لمن يفعل المنكر حتى يتوقف عما يفعله من منكرات – وذلك كالذى تعود على اغتياب الناس أو قذفهم.

وإذا كنا قد أثبتنا أن كل الناس يجوز لهم إنكار المنكر باليد إلا أن الفقهاء قد شرطوا أن يكون هذا الإنكار لمن يملك ذلك ، كالرجل فى بيته – أو الوزير فى وزارته، وعند كل من يرعى رعية هو مسئول عنها ، ولا يصح أن يفهم أحد من ذلك أنه إن ثبت أن لآحاد الرعية أى غير المؤذنين من الإمام أو الوالى أن يحتسبوا على مايرونه من منكر ومنع هذا المنكر حال وقوعه، فإن ذلك مشروط بشرط عدم وقوع منكر آخر ، أو قيام فتنة أو غير ذلك مما يؤدى إلى منكر أكبر.

ولذلك فإن جمهور العلماء لايشترط ضرورة إذن الإمام أو الوالى لكل من ينكر منكراً أياً كان هذا المنكر ، وإنما يشترطون ذلك فقط لمن تتوفر فيهم شروط معينة ويمنحونهم سلطة منع المنكر بالقوة باعتبارهم ممثلين لولى الأمر.

ولذلك فإن المرتبة الأولى من مراتب الحسبة والثانية وهما التعريف والوعظ لايحتاجان إلى إذن الإمام ولا موافقته لأن الفاعل للمنكر لا يدرى أن ما يفعله منكراً فوجب تعريفه بلطف، ومن غير استثارة أو عنف ، حتى يقبل منه ويستمع إليه – كذلك فإن النصح أيضاً يقبله كل إنسان، مادام صاحبه يؤديه بأدب، فيلتزم فيه قواعد هذا النصح الذى يجب ألا يؤدى إلى إحراج المنصوح أو إشعاره بالجهل وعدم الفهم .

ولذلك يقول الإمام الشافعى [من وعظ أخاه سراً فقد زانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه].

ومادام منكر المنكر يعرّف فاعله بلطف وينصحه ويذكره بالله، فيخوفه من عذابه وأليم عقابه ويرغبه فى ثوابه ، فلا بأس فى ذلك ولا حرج عليه، بل هو مطالب بذلك باعتبار أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو واجب على كل مسلم ومسلمة ، أما مراتب الحسبة الثلاث الباقية فقد توقف العلماء عندها ، وكانت لهم شروط يجب أن تتوفر فيمن يستعملها .

---

(١) ابن تيمية ص ٦٧، ص ٦٨، ص ٦٩ مجلد ١٤.

(٢) المعروف أن الحسبة هى أيضاً (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)، وإن كان الاحتساب لايكون إلا حين يظهر المنكر ويترك المعروف. فالدعوة التى هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أيضاً أعم من الحسبة حيث أن الأمر والنهى يكون فى كل الحالات سواء كان المعروف موجوداً أو غير موجود ، والمنكر قائماً أو لم يظهر فعله بعد، ولذلك عرّف العلماء الحسبة بأنها: (قول بمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن منكر إذا أُظهِر فعله) . راجع الحسبة لابن تيمية ، والأحكام السلطانية للماوردى وغيرهما من كتب الحسبة والدعوة.

بعضهم يرى أن السب والتعنيف يمكن أن يقوم به آحاد الناس على أساس أنه كلام صدق والصدق مطلوب من المسلم ، كما أن أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر كما ورد فى الحديث[1].

ويقول من يرى ذلك: إذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه.

وأما المرتبة الرابعة والخامسة وهما المنع بالقوة بطريق المباشرة ككسر الملاهى وإراقة الخمر والتخويف والتهديد بالضرب أو مباشرة الضرب، فإن جمهور العلماء على منع فعله لآحاد الناس، ويكون هذا من حق ولى الأمر وحده لأنه قد يؤدى إلى جمع أعوان من الجانبين، ويجر ذلك إلى قتال ولو حاولنا أن نعرف أسباب منع جمهور العلماء لاستعمال المراتب الثلاث الأخيرة التى هى السب والمنع بالقوة والتهديد بالضرب أو مباشرته لعرفنا أنه لو سمح لكل الناس باستعمال هذه المراتب لأدى إلى فتنة عظيمة وفساد كبير.

فمن يتخيل أن الولد يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك مع والده؟

أو أن عبداً يفعله مع مولاه أو زوجة مع زوجها أو تلميذاً مع أستاذه ، أو تفعله الرعية مع الوالى ؟ فإن جاز أن نقول إنه بإمكان هؤلاء أن يستعملوا المرتبتين الأوليين، وهما التعريف بالحسنى والوعظ بالكلام اللطيف- فكيف نتخيل أن يسب الولد والده أو يزجره أو يعنفه أو الزوجة زوجها أو التلميذ أستاذه أو يجرؤ واحد أياً كان أن يفعل ذلك مع الوالى، ناهيك عن منعه بالقوة أو مباشرة الضرب له، أو حتى كسر الملاهى وإراقة خمر يشربه ، وإذا قيل إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ورد فى الكتاب والسنة من غير تخصيص، نقول إن هناك أدلة أخرى من الكتاب والسنة يمكن أن تكون دليلاً على تخصيص ذلك وعدم الأخذ بظاهر العمومية التى تفهم من النص.

فقد أمر الله تعالى الأبناء بالبر بالآباء وعدم تعنيفهم أو التعرض لهم بأى أذى حتى ولو بالتأفيف، فقال سبحانه ﴿ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما﴾ ، كيف يتفق هذا مع الاحتساب عليهما بالسب أو التعنيف أو التهديد أو مباشرة الضرب، هذا بالإضافة إلى ماورد فى السنة من عدم السماح للولد بجلد أبيه فى الزنا ولا مباشرة قتل أبيه الكافر؟ كذلك هل يتفق استعمال هذه المراتب الثلاث للزوجة على زوجها أو نحوها وقد ورد فى الحديث الصحيح أنه لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ؟ وإذا كان قد ورد فى الأخبار التى ثبت بعضها بالإجماع أنه لايجوز للولد أن يؤذى أباه بعقوبة هى حق على جناية سابقة، فلا يجوز له من باب أولى إيذاؤه بعقوبة عن جناية مستقبلة متوقعة.

كذلك فإذا كان استعمال المراتب الثلاث للاحتساب مع الوالد أو مع الزوج لايصح حتى لاتسقط الهيمنة - فكيف يجوز ذلك للرعية مع السلطان.

---

(١) حديث (أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر) رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى.

(٢) راجع إحياء علوم الدين ص ١٢٠٨ أو ص ٢٠ من كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - حـ ٧.

وقد ثبت النهى عن الإنكار على السلطان جهرة، لأنه يؤدى إلى خرق هيبته، فقد روى الحاكم فى المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعرى: (من كانت عنده نصيحة لذى سلطان ، فلا يكلمه بها علانية ، وليأخذه بيده ، فليخل به، فإن قبلها قبلها ، وإلا كان أدى الذى عليه والذى له) وهو حديث صحيح الإسناد.

وقد روى الترمذى رواية أخرى من حديث أبى بكرة: (من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله فى الأرض) وهو حديث صححه الترمذى وحسّنه[1].

ولا يُتصَور أبداً سكوت حاكم على كسر آنية خمر فى بيته ، أو الهجوم على خزانته وأخذ الأموال التى اغتصبها، وردها إلى أصحابها عن طريق القوة، أو تمزيق ثيابه الحرير على أساس أن هذه منكرات يجب إزالتها باليد، فلا شك أن مثل هذه الأعمال تؤدى إلى خرق هيبته، وإسقاط حشمته، وذلك ولا شك محظور، وقد رأينا كيف ورد النهى عن ذلك كما ورد النهى عن السكوت عن المنكر.

وقد قلنا قبل ذلك يجب التوقف عن إزالة المنكر التى تؤدى إلى منكر أكبر، وقد رُوى أن الحسن سئل عن الولد: كيف يحتسب على والده؟ فقال: يعظه مالم يغضب، فإن غضب سكت عنه[2].

ولا شك أن الحاكم لن يكتفى بمجرد الغضب حين يُمنع بالقوة عن ارتكاب المنكر ، بل قد يؤدى ذلك إلى قتل من يأمره بذلك أو يمنعه عن ذلك ، بل قد يصل الأمر إلى أذى غيره بسبب تجرئه عليه أمام الآخرين، ومحاولة إسقاط هيبته أمام رعيته.

وهذا لا يتعارض أبداً مع قوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، فنص الحديث هنا يوضح أن الاحتساب على الحاكم هو مجرد قول ، وليس منع منكر بالقوة أو بأسلوب خشن فيه سب أو شتم أو إهانة ، وقد ذكرنا قبل ذلك ما قاله الإمام الشافعى:

(ومن وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه).

ومعنى هذا أن المطلوب من المسلم بالنسبة للحاكم هو مجرد النصح والوعظ، وبشروطه التى عرفناها من كلام الشافعى السابق ومن الحديث الذى رواه الحاكم فى مستدركه وذكرناه قبل قليل. ولعل هذا يؤكده لفظة «عند» و«عند» ظرف مكان ، أى أن كلمة الحق المطلوبة تقال عند السلطان. وبينه وبينه، حتى يبقى على هيبة السلطان ومكانته أمام الآخرين ويقول الإمام الغزالى فى كتابه: «إحياء علوم الدين»[3]: (واعلم أنه لايقف سقوط الوجوب على العجز الحسى بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروهاً يناله فذلك فى معنى العجز، وكذلك إن لم يخف مكروهاً ولكن علم أن إنكاره لاينفع، فليلتفت إلى معنيين: عدم إفادة الإنكار امتناعاً ، والآخر خوف مكروه. ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال).

---

(١) إحياء علوم الدين حـ ٧ ص ٢٥.
(٢) إحياء علوم الدين حـ ٧ ص ٢٦.
(٣) المرجع السابق.

ويُفصِّل الإمام الغزالى هذه الأحوال الأربعة، ويذكر الحال الأول وهو اجتماع أمرين أولهما: علم الإنسان بأن كلامه فى إنكار المنكر لن ينفع ولن يأتى بثمرة، وثانيهما: أنه إن تكلم ضرب، ويقول أنه فى هذه الحالة يجب أن يتوقف عن إنكار المنكر، لأنه لا تجب عليه الحسبة فى مثل هذه الأحوال بل ربما تحرم فى بعض المواضع. ويرى الإمام الغزالى أنه يلزمه فقط : ألا يحضر مواضع المنكرات ويعتزل[1] فى بيته حتى لا يشاهدها. ولا يخرج إلا للضرورة، على أن ينتظر فى بلده لا يهاجر منها إلا إذا كان يرهق إلى الفساد، أو يساعد الحكام فى الظلم والمنكرات، حينذاك تلزمه الهجرة إن قدر عليها .

أما الحالة الثانية: فهو تأكد المسلم من زوال المنكر بقوله وفعله، وعدم إصابته بمكروه، وفى هذه الحالة يجب عليه الإنكار، ويأثم إن سكت .

أما الحالة الثالثة : فهى تأكده من أن إنكاره لن يفيد لكنه يصاب بأذى، وفى هذه الحالة يرى الإمام الغزالى أن الحسبة لا تجب عليه لعدم فائدتها، وإنما تستحب فقط لإظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين .

وإن كنت أرى أنه فى هذه الحالة يجب عليه أن ينكر مادام لا يخاف المكروه، باعتبار أن الدعوة واجبة على كل قادر عليها، وأنه مطالب بذلك دون انتظار نتيجة ما يؤدى إليه قوله، وعلى أساس أننا قد أثبتنا قبل ذلك وجوب الدعوة على كل قادر عليها على قدر طاقته واستطاعته، وبالشروط التى قررها العلماء .

أما الحالة الرابعة : فهى عكس الحالة الثالثة، وهو أن يعلم أن إنكاره يؤدى إلى إصابته بمكروه، إلا أن المنكر يزال بفعله، وذلك كأن يريق الخمر، أو يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويعلم أن من فعل معه ذلك سيرجع إليه ليضربه أو يؤذيه .

والإمام الغزالى يرى أن الاحتساب فى مثل هذه الحالة ليس بواجب وليس بحرام، وإنما هو مستحب فقط، مادام يؤدى إلى منع هذا المنكر .

وإذا كان الإمام الغزالى يرى إن فعل ذلك مستحب فلأنه يرى أن منع المنكر أهم بكثير من إصابة المسلم بأذى فى نفسه على أساس أنه غالبا ما يصيب الدعاة الأذى، ولعل ذلك يتضح من قول الله تعالى على لسان لقمان كما يحكى القرآن ﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك﴾[2] بالإضافة إلى أن إمتناع المسلم عن إنكار المنكر لمجرد الخوف من الأذى قد يؤدى إلى إحجام الناس جميعاً عن إنكار المنكرات. وهو حين يضحى بنفسه لاشك أنه يخدم أمة بأسرها قد يؤدى ترك المنكر فيها إلى انتشاره وإضلال كثير من الناس. وإذا جاز

---

(١) لا يقصد من اعتزاله التوقف عن العمل، وإنما يقصد عدم مشاركة أصحاب المنكرات ما لم يتسبب ذلك فى الإضرار به إن كان كسبه متوقفاً على الاتصال بهم والعمل تحت امرتهم.

(٢) لقمان ١٧.

للإنسان أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز له أيضاً أن يضحى بنفسه فى الحسبة ، ولا يمكن اعتبار ذلك إلقاء بنفسه إلى التهلكة التى نهى الله عنها فى قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[1]. فقد يؤدى إنكار المسلم للمنكر ، وجرأته فى ذلك إلى كسر قلوب أصحاب هذه المنكرات، والحد من شوكتهم تماماً، كما يقاتل المسلم إلى أن يقتل وهو يعلم أنه بذلك يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرأته واعتقادهم فى سائر المسلمين قلة المبالاة بالموت، وحبهم الشهادة فى سبيل الله[2].

ومادام المسلم قد تأكد أن لحسبته تأثيراً فى رفع المنكر، أو فى كسر جاه الفاسق، أو فى تقوية قلوب أهل الدين، فلا بأس من أن يضحى بنفسه إن أراد مصلحة الإسلام والمسلمين، مالم يتأكد أن ذلك سيؤدى إلى الإضرار بأحد غيره من أهله أو إخوانه أو أقاربه أو أى إنسان آخر يتأكد لديه وقوع الضرر عليه بسبب ما يرتكبه هو من إنكار للمنكر.

والإمام الغزالى يؤكد على أنه إن كان الفاسق متغلباً ، وعنده سيف (أى سلاح)[3] وبيده قدح، وعلم أنه لو أنكر عليه الشرب ضرب رقبته، يقول الغزالى: (فهذا مما لاأرى للحسبة فيه وجهاً، وهو عين الهلاك فإن المطلوب أن يؤثر فى الدين أثراً، ويفديه بنفسه، فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر، فلا وجه له، بل ينبغى أن يكون حراماً)[4].

ويؤكد الغزالى أن استحباب الإنكار إذا قدر فقط على إبطال المنكر، أو ظهر لفعله فائدة، ويعود فيكرر ويقول: (وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه. فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه، فلا تجوز له الحسبة بل تحرم)[5].

ويمكن أن يُستَدل من هذا على أن أولئكم الذين ينكرون المنكرات، فيزيلونها بأيديهم، كحرق الملاهى أو محلات الفيديو أو منع إقامة الحفلات الموسيقية والغنائية أو غير ذلك مما سمعنا أو قرأنا عنه فى هذه الأيام ليس لمن يفعله الحق فى ذلك، لأنه قد تأكد لهم ولغيرهم أن هذا لايؤدى إلى منع المنكر أو إزالته ، وإنما يؤدى إلى العكس تماماً، حيث يقع الضرر على عائلات وأسر، وجماعات وفرق، يصابون بأذى شديد، وتؤدى أفعالهم هذه إلى حرمانهم حتى من مجرد النصح والتذكير، لأن الدولة ترى أن الاعتداء الذى يقع على هذه الأماكن إنما هو اعتداء على هيبتها وكرامتها، وأنه إن تُرِك يؤدى إلى زوال هذه الهيبة، وهيمنتها على النظام ، ولذلك يكون العقاب شديداً، بل قد يصل الأمر إلى حد تلفيق التهم لكثيرين من الأبرياء ، وتضاف تهم أخرى لمن يرتكبون مثل هذه الأعمال ، التى تبين أنها لم تؤد إلا إلى إضعاف قوة الجماعة الإسلامية ،

---

(١) سورة البقرة ١٩٥.

(٢) ويختلف هذا باختلاف الأشخاص فلا شك أن تضحية عالم كبير بنفسه فى سبيل منع المنكر أو عدم انتشاره قد يصل إلى حد الوجوب وبخاصة إذا تأكد أن عدم إنكاره قد يحل حراماً أو يحرم حلالاً فلا يصح مثلاً أن يسكت المفتى أو من كانت له مكانة خاصة عند الناس أن يوافق على إباحة الفطر فى رمضان مثلاً أو يحرم الزواج بأكثر من واحدة كما حدث فى بعض البلاد الإسلامية.

(٣) يقاس على ذلك أصحاب السلطة وما يملكونه من قوة يقفون بها فى وجه من يحاول إزالة المنكرات التى يفعلونها أو يقرونها.

(٤) إحياء علوم الدين حـ ٧ ص ٢٧.

(٥) المرجع السابق.

واستغلال السلطة وأعداء النظام الإسلامى لهذه الأعمال لإثبات عدم إمكانية تطبيق النظام الإسلامى الذى لايتعامل إلا بالعنف والإرهاب.

وإذا كنا قد قلنا بأنه لايصح لمنكِر المنكر أن ينكر على الحاكم ما يفعله من منكرات بمجرد القول فكيف، لمن يريد إهانة الحاكم وإسقاط هيبته؟؟ ولذلك ، فإن الذين يتصورون أنه باغتيالهم لبعض حراس البنوك أنهم بذلك يزيلون المنكر، فإنهم ولا شك مخطئون، فهذه البنوك ليست ملكاً لأفراد، ولا علاقة لحراسها بما تفعله هذه البنوك، وإنما الاعتداء عليها أو على غيرها من أماكن المنكرات يمثل اعتداء على النظام ككل الذى يحمى هذه المنكرات، والذى يحتاج إلى وسائل أخرى وأساليب مختلفة لإزالة هذه المنكرات، ليس منها ولا شك هذا الأسلوب الذى ثبت أنه يضر ولا يفيد ويتسع ضرره على الأمة ككل، وعلى الصحوة الإسلامية وأصحابها وهم كثيرون بصفة عامة.

ولا يعنى السكوت عن المنكر عند التأكد من توقع الأذى الاعتراف بهذا المنكر أو إقراره، وإنما هو مجرد سكوت مؤقت، وهو مايعرف (بالمداراة) . وعليه أن ينكر المنكر بقلبه، وعليه أن يراقب الله فى تحديد موقفه، ويستفتى قلبه، ليزن أحد المحظورين بالآخر، هل المصلحة فى الإنكار أم فى عدم الإنكار؟ ويرجح مايراه بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع، فإن رجح السكوت بموجب الدين سمى سكوته «مداراة» ، وإن رجحه بموجب الهوى سمى سكوته «مداهنة»، وهذا أمر باطن لايطلع عليه إلا بنظر دقيق. ولذا فحقٌ على كل متدين أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعثه ، وصارفه هل هو الدين أم الهوى ؟

وأعود مرة أخرى لأكرر بأن على المسلم أن يمتنع على الفور عن عمل ما يؤدى إلى الإضرار بأولاده وأقاربه ، لأنه إن جاز له أن يسامح فى حقوق نفسه، وقبول الأذى لشخصه فليس له أن يسامح فى حق غيره، لأنه فى هذه الحالة يصبح دفع منكر يفضى إلى منكر آخر، ولا يصح أن يؤذى غيره، ولا أن يفعل شيئاً يؤدى إلى الإضرار بهم إلا برضاهم. وإيذاء المسلمين محذور، كما أن السكوت على المنكر محذور، وإن كان بعض العلماء[1] يرى أنه إن لم ينلهم أذى فى مال أو نفس وإنما ينالهم مجرد سب أو شتم ففى هذا نظر، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات فى تفاحشها، ودرجات الكلام المحذور فى نكايته فى القلب، وقدحه فى العرض ، أى إن كان السب أو الشتم فيه فحش كبير، وقدح فى عرض المسلم أو جرح لكبريائه وكرامته، فعليه أيضاً أن يتوقف حتى لايؤذى غيره.

نخلص من هذا إلى أنه وإن كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو دعوة المسلمين للمسلمين، واجباً على كل مسلم، فإنه لامناص من ضرورة الالتزام بالأسلوب الذى حدده المولى سبحانه فى قوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ وبخاصة حين يختلط الصالحون بغيرهم، والمسلمون بغيرهم، لأن استخدام القوة يؤدى إلى حظر كبير على الدعوة والدعاة معاً للأسباب التالية :

(١) راجع إحياء علوم الدين حـ ٧ ص ٣٢.

١- ستتعرض فئات المجتمع جميعها دون تفرقة بينها لألوان البطش والإرهاب، وسيذهب البرىء مع غيره، والصالح مع الطالح، وسيعامل كل أصحاب الاتجاه الإسلامى بنفس المعاملة التى تعامل بها الدولة من يقاومون المنكرات فيها بأسلوب القوة والعنف.

٢- ستغيب الدعوة بالحكمة والموعظة والكلمة، ولن يكون هناك وسيلة للتفاهم سوى القوة.

٣- سيترك الدعاة أماكن التأثير فى المجتمع، وسيبعدون أو يبتعدون، ويحاربون بدعوى الخوف منهم ومن أفكارهم التى قد يتصورها كثير من الناس على غير حقيقتها، ويتأثرون بما تذيعه وسائل الإعلام الحكومية عنهم، واتهامهم بما ليس فيهم.

٤- ستنفرد الأفكار المعادية بتربية المجتمع وتوجيهه، وتضطر الدولة إلى ترك أصحاب الفكر العلمانى ، وإن لم تقتنع به ليساعدها فى منع هذا التيار الدينى الذى ستخشى بعض الأنظمة على نفسها من هيمنة أفكاره التى ستؤدى بالتالى إلى تغيير النظام، ولن تقبل دولة تعتمد على نظام معين ترك من يحاول إسقاط هذا النظام وإبعادهم عن السلطة والحكم.

٥- سيواجه الإسلام بالدعاية المضادة ، وسيقال بأن رجاله لايفهمون سوى لغة القوة والبطش.

٦- ستخسر الدعوة من رجالها من يصعب تعويضه، وسد العجز الناشىء عن فقده.

٧- سيقف هذا الأمر من لحاق كثير من الناس بركب الدعوة، لأن الناس سيفهمون بسبب طيش وتصرفات بعض أبناء المسلمين أن الدعوة ليس لها هدف عميق صبور طموح، يعمل - بإذن الله- على إيصال المجتمع إلى قبول الإسلام، وسيتصور الناس، بأنه لاتوجد خطة واعية ناشطة. للوقوف فى وجه الفتن التى ستبقى تلاحق أبناءه وجيرانه وأتباعه. وليس مطلوباً أن يعرف الناس أن المسلم لايريد سوى الموت فى سبيل الله، وإنما على المسلم أن يضع فى اعتباره وحسبانه مقارنة قوته بقوة أعدائه، وإلا فإنه يحول العمل للإسلام إلى ضرب من الانتحار.

الفرق بين الجماعة والمجتمع :

هناك خلط كبير بين طبيعة الجماعة وطبيعة المجتمع، والذين يطالبون الجماعة بما يطالب به المجتمع إنما يفعلون ذلك لأنهم لايفرقون بين الجماعة والمجتمع، ويظنون بأن الجماعة مجتمع.

ولا شك أن الجماعة هى مجرد أفراد من الناس التقوا على فكر معين وولاء معين وخطة معينة ، ولهم تنظيم وقيادة. وهؤلاء الأفراد يتناثرون بين فئات المجتمع لايشكلون أكثرية عددية ولا يملكون القوة الفاعلة فى أجهزة المجتمع ومؤسساته.

أما المجتمع فهو قطاع عريض من الناس يحكمهم نظام ويخضعون لسلطان ، وهذا القطاع له مؤسساته وأجهزته، وهو يستيطر على هذه المؤسسات والأجهزة ، ويضع لها السياسات، ويقوم هذا المجتمع على أرض لا ينازعه فيها أحد . وهذا القطاع العريض يعمل على صياغة الأفراد وفق قيمه وتطلعاته.

ونستطيع أن نتصور المسلمين فى مكة قبل الهجرة ووضعهم فى المجتمع المكى، فهم يمثلون حالة الجماعة، أما فى المدينة المنورة بعد الهجرة، وبعد أن تأسست الدولة، وسيطرت هذه الدولة على أفراد المجتمع ووضعت لهم من المؤسسات والأجهزة والسياسات ما يمكنها من إدارة هذا المجتمع وتوجيهه، فيمكن لنا تخيل الفرق الكبير بين جماعة المسلمين فى مكة والمجتمع الإسلامى فى المدينة بعد الهجرة. وإذا فهمنا الفرق جيداً نستطيع أن نتبين الفرق بين مواجهة مجتمع لمجتمع آخر، وبين مواجهة جماعة لمجتمع. فالجماعة لا يمكن أبداً ، ولا تستطيع أن تواجه المجتمع، وذلك لأن المجتمع نسيج كامل، وأجهزة فاعلة ناشطة لاتتوقف عن العطاء والتنمية والتكاثر، ففى المجتمع تبقى المؤسسات التعليمية تعمل، وتبقى المؤسسات الاقتصادية تنتج، وتظل الدوائر التربوية تربى، ويحمى هذا النظام قوة منظمة قوية، عندها من الإمكانات البشرية والمادية والمساعدات الدولية مالا يمكن أن يوجد عند جماعة لاتملك شيئاً من ذلك، حتى وإن ملكت سلاحاً، لأنه سيكون سلاحاً محدوداً لايمكن له أن يجابه سلاح أو قوة المجتمع الممثل فى الدولة التى تحكم وتملك وتتحكم. بالإضافة إلى أن الجماعة – أى جماعة – إن كانت وسيلتها هى استعمال العنف والتغيير عن طريق القوة. فستكون مرصودة رصداً كاملاً من السلطة الحاكمة التى ستعمل بشتى الطرق والوسائل ليس على مجرد إضعافها ، وإنما على القضاء عليها ، واصطياد أفرادها، بسبب المواجهة ورصد القوة الحقيقية لها عن طريق هذه المواجهة.

كما أن الجماعة إذا دخلت محنة القتال ، فإن دوائرها التربوية والاقتصادية والعلمية وسائر وسائلها إن كانت عندها هذه الدوائر ستتوقف عن العمل، وفى النهاية ، فإنها ستضمر وستنزوى، وإلى جانب ذلك فإن المجتمع لا يهتز بخسارته فرداً من أفراده، وأما الجماعة فستتأثر كثيراً بفقد فرد من أفرادها، وبخاصة إذا كان أميراً أو زعيماً.

ولم يثبت أبداً فى تاريخ أى دولة من الدول، ولا فى أى دين من الأديان أن انتصرت جماعة على مجتمع عن طريق القتال أو العنف ، وإنما انتصرت الجماعات الإصلاحية حين استعملت وسائل التربية والتعليم . والتغيير بالنصح والإرشاد، أو بالمساعدة والإغراء المادى أو غير ذلك من الوسائل السلمية التى تؤدى – غالباً– بل دائماً – إلى النتائج المرجوة، وإن كانت على المدي البعيد.

لم يفكر النبى صلى الله عليه وسلم لحظة واحدة فى محاربة المشركين فى مكة. أو استعمال أى أسلوب عنيف مع أهلها قبل الهجرة إلى المدينة، ويوم أن كان يشكل مع أصحابه مجرد جماعة فى مجتمع قوى متماسك يملك من المال والسلاح مالا تملكه جماعة المسلمين. لم يفكر النبى فى اغتيال زعماء مكة وقادتها . بل لم يتعرض للأصنام والأوثان التى كان يراها صباح مساء منصوبة حول الكعبة التى كان يتوجه إليها فى صلاته ، ويطوف حولها والأصنام تحيط بها من كل جانب.

وعلى الرغم من مرور أكثر من عشر سنوات على دعوة النبى، وإسلام عدد لابأس به من أهل مكة، وبيعة عدد آخر من الأنصار فى العقبة ، إلا أنه رفض أن يوافق الأنصار حين استأذنوه فى أن يميلو على أهل منى بأسيافهم ، وذلك بعد أن فهموا أن البيعة على حرب الأحمر والأسود من الناس[1].

لم يفعل النبى ذلك لأن الهدف من الدعوة، لم يكن مجرد الانتقام من رؤوس الشرك، وإلا لأمر النبى أتباعه بقتلهم، ولو كان الهدف من الدعوة أن يصل المؤمنون إلى مرتبة الشهادة لعملوا ذلك فى بداية أمرهم عند البيعة وهم فى طور الجماعة. وهذا عمل لا ينسجم مع الأهداف والمصالح الكبيرة التى راعاها هذا الدين.

حتى فى المدينة المنورة، وبعد أن أصبحت مجتمعاً استعاض الرسول صلى الله عليه وسلم عن حرب التصفية الجسدية بحرب الدعوة والجدل والإحسان للخصوم، لأن أهل المدينة لم يدخلوا فى الإسلام مرة واحدة بل بقيت طوائف النفاق تعيث فساداً وتتآمر على المسلمين، ومع ذلك، سكت النبى صلى الله عليه وسلم على المنافقين مع أنهم أخطر على الإسلام والدولة الإسلامية من المشركين واليهود على حد سواء.

يقول ابن تيمية فى مجموع الفتاوى عن ضرورة ترك إزالة المنكر إن أدى إلى منكر[2].

(ومن هذا الباب : إقرار النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبى . وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان. فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك، بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه).

ومما لاشك فيه أن الواقع الذى يعيشه المسلمون له تأثير كبير على فكرهم وممارساتهم ولا يصح أن يصل ضغط هذا الواقع إلى درجة يفقد المسلم معها قدرته على تصور الخط المنهجى، فيندفع المتحمسون إلى المواجهة والانتقام ولو على حساب الدعوة، يقول الشهيد سيد قطب فى (فى ظلال القرآن)[3]: (إن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً، قد يكونون هم أشد الناس جزعاً وانهياراً وهزيمة، عندما يجد الجد، وتقع الواقعة. بل إن هذه قد تكون القاعدة. وذلك لأن الاندفاع والتهور، والحماسة الفائقة غالباً ماتكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف، لا عن شجاعة واحتمال وإصرار، كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال – قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة – فتدفعهم قلة الاحتمال إلى طلب الحركة والدفع، والانتصار بأى شكل ، دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار ، حتى إذا وجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا ، وأشق مما تصوروا ، فكانوا أول الصف جزعاً ونكولاً وانهياراً. على حين يثبت أولئك الذين كانوا يمسكون أنفسهم ويحتملون الضيق والأذى بعض الوقت ويعدون للأمر عدته) .

---

(١) راجع قصة البيعة فى إمتاع الأسماع. ص ٣٦، وسيرة ابن هشام وغيرها من كتب السنة والسيرة.
(٢) جـ ٢٨ ص ١٣١.
(٣) جـ ٢ ص ٧١٢.

وعليه ، فإن الحل الصحيح هو أن يعرف دعاة الحق أن ضغط الواقع ينبغى ألا يسوقهم إلى الحل الخطأ، ومهما طال انتظار الحل الصحيح، فإن هذا هو الصواب، فطول الزمن لايفقد الحق أحقيته ، وقصر الزمن لا يعطى الخطأ صفة الصواب.

وأخيراً ، فإن من يريدون إقامة شرع الله، وتطبيق النظام الإسلامى الصحيح يجب أن يركزوا على تكوين القاعدة، وإقامة المجتمع الإسلامى الذى يمكن أن يقف فى وجه أى مجتمع يحارب الإسلام أو يمنع وصوله إلى الناس. والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، هى الوسيلة إلى تكوين مجتمع الإسلام وقاعدته.

الرسول الداعية
ورجل الإعلام الإسلامى

أ. د. محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين
جامعة الأزهر

بين الدعوة والإعلام

إن رسالة الإسلام عالمية الزمان والمكان ، فلا تقف عند زمن معين ، ولا يحدها مكان خاص، ولا تخاطب جنسا دون جنس ، فهى رسالة موجهة إلى العالمين .. وقد أكد القرآن المجيد مرارا أن دعوة الإسلام موجهة إلى العرب بخصوصهم ، وإلى غير العرب بعمومهم ، فقال الله تعالى ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ (١)

فالأميون هم العرب لأنهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ، ولم ينزل عليهم كتاب من قبل ، ولا بعث إليهم رسول منذ إسماعيل عليه السلام والآخرون هم غير العرب من أى جنس كان .. وقال الله تعالى :﴿ وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ .. ﴾ (٢) فالخطاب لأهل مكة فى قوله "لأنذركم به " والمراد بقوله " ومن بلغ " كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة . وقيل فى معنى "من بلغ " أى احتلم وبلغ سن التكليف ، وهو دليل أيضا على عموم الدعوة ، فكل من وصل إلى سن التكليف من العرب والعجم فهو مطالب شرعا بعقيدة الإسلام وشريعة القرآن . وجاءت آية من كتاب الله تعالى تصف القرآن بأنه عربى وتؤكد فى الوقت ذاته أنه رسالة عالمية موجهة إلى الناس فى أم القرى وما حولها .. قال الله تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾(٣) فالوصف بأم القرى يعنى العموم من حيث إن مكة المكرمة هى قبلة أهل الأرض بالكعبة المشرفة حجا وصلاة ، وقوله تعالى " ومن حولها " لا يقتصر على بقعة أو بيئة بل تمتد الحولية حتى نهاية العالم .. وعندما يوصف القرآن بأنه حكم عربى لا يعنى أكثر من أن أمة العرب تتحمل أمانة الدعوة إلى هذا الدين القيم وتأتى فى المقدمة وتتلوها أمم الأرض .. قال تعالى ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو وإليه مآب، وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ماجاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق ﴾(٤) وعربية اللسان لا تمنع عالمية الدعوة والرسالة ، وليس معقولاً أن ينزل القرآن بجميع اللغات ، وقد جرت سنة الله أن ينزل الوحى بلسان واحد هو لسان البيئة التى نشأ فيها الرسول ، قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا

---

١ - سورة الجمعة - ٢ ، ٣

٢ - سورة الأنعام - ١٩

٣ - سورة الشورى - ٧

٤ - سورة الرعد - ٣٦ ، ٣٧

بلسان قومه ﴾(١)

وقد جاءت آيات من القرآن المجيد تتخطى تحديد طوائف المكلفين بأوصافهم الخاصة كعربى وعجمى ، ويهودى ونصرانى، وإنس وجن - إلى التعبير العام الشامل الذى لا يند عنه أحد..

ففى سورة القلم وهى الثانية نزولا بعد سورة العلق جاء ختامها قوله تعالى ﴿ وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾

وفى سورة التكوير وهى مكية أيضا جاء قوله تعالى ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ وفى مفتتح سورة الفرقان جاء قوله تعالى ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ .

وجاء فى سورة الأنبياء نمط آخر للتعبير عن هذه العالمية بوصف الرسالة المحمدية بأنها رحمة عامة فقال ﴿ وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ولعل الوصف بالذكر فى سورتى القلم والتكوير، ثم الإنذار فى سورة الفرقان، ثم الرحمة فى سورة الأنبياء له دلالته، فالإسلام شرف لمن اعتقده وصدق به، ثم إذا لم يستجب البعض فلابد من ملاحقة العدل الإلهى لهؤلاء المكذبين، وعلى كل فالرحمة لاتنفك عن الدعوة فى حال التصديق بها أو التكذيب، كما قال تعالى ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾(٢)

وفى سورة الأعراف توجهت الآيات إلى مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وألزمتهم ضرورة التصديق بالنبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل، ثم جاء الخطاب عاما شاملا فى قوله تعالى : ﴿ قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض، لا إله إلا هو، يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾(٣)

هذه العقيدة الإسلامية وتلك الدعوة العالمية تحتاج إلى بلاغ وتبليغ وإعلام، فالإنسان يعيش مع بنى جنسه، ويتعامل مع ماضيه ومستقبله باللغة ولاتنفك حياة الإنسان عن لغة ..

وقد جعل الله تعالى اللغة من مظاهر قدرته وقرنها بإبداع السموات والأرض فقال ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾ (٤)

---

١ سورة إبراهيم - ٤
٢ سورة الممتحنة - ٨
٣ - سورة الأعراف - ١٥٨
٤ - سورة الروم - ٢٢

وقد اهتم القرآن كثيرا بالشهادة اللغوية النابعة من صدق اليقين والمعلنة عن جوهر الإيمان فقال﴿ قل أى شئ أكبر شهادة، قل الله شهيد بينى وبينكم، وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى، قل لا أشهد، قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون﴾(١)

ولنلاحظ التعبير القرآنى "قل" فقد تكرر فى هذه الآية أربع مرات، كما تكررت كلمة الشهادة نفس العدد – مما يؤكد الاتصال الوثيق بين الشهادة اللغوية واليقين القلبى ..

وقد ربط الله تعالى تكليف البشر ببعثه الرسل وتبليغهم الرسالة فقال ﴿ وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾(٢)

فالثواب والعقاب الإلهيان موقوفان على بلوغ الدعوة على وجهها الصحيح، ومن لم تبلغه الدعوة لا يسأل عنها ..

وكل هذا يؤكد الرباط المقدس بين الدعوة والإعلام.

* * *

١ – سورة الأنعام – ١٩
٢ – سورة الإسراء – ١٥

الرسول الداعية

أ - شخصية الداعية :

إن الإسلام يوم دعا الناس فى مكة إلى عقائده لم يكن لديه مغريات مادية يقدمها للناس، فالحق وحده له سناؤه وصولته، وشخصية الداعية هى محور الدائرة فى نجاح الدعوة ..

وشخصية سيدنا محمد ﷺ أعمق من أن تصفها كلمات أو عبارات، وحسبك أن يجد فيها كل إنسان مناط قدوة حسنة فى كافة الأحوال، سرائها وضرائها، يسرها وعسرها ..

وأهم مايميز شخصية الداعية هو الثبات على المبدأ والاعتزاز به مهما كانت العوائق والمثبطات ..

وتحدثنا كتب السيرة أن وفداً من قريش ذهب إلى أبى طالب وقال له : ياأبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنه، وإنا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ..

فلما عرض أبوطالب الأمر على رسول الله ﷺ حلق ببصره إلى السماء ثم قال - كما أخرج الطبرانى والبخارى فى التاريخ :-

والله ماأنا بأقدر أن أدع مابعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار .

ومرة أخرى انحنى التاريخ وهو يسجل هذه العبارة لرسول الله ﷺ ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته ..

وشأن الداعية أن يبدأ بأهله وعشيرته وأقربائه ليكونوا سندا له، أو ليكونوا حجة له، وهذا ماحدث من رسول الله ﷺ، فعندما نزل قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾(١) - خرج حتى علا المروة ونادى على بطون قريش، فلما حضروا قال لهم :

إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين، وأنتم الأقربون من قريش، ، وإنى لا أملك لكم من الله حظاً، ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، فأشهد بها لكم عند ربكم وتدين لكم العرب وتذل لكم بها العجم .. وفى رواية أنه ﷺ صعد الصفا ثم نادى : ياصباحاه - وهى كلمة استغاثة، فاجتمع الناس إليه، فقال عليه الصلاة والسلام : يابنى عبدالمطلب، يابنى فهر، يابنى كعب .. أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ قالوا :

---

١ - سورة الشعراء - ٢١٤

نعم، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فقال أبولهب : تبا لك سائراليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟! فأنزل الله عز وجل ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ والحق لايقاس بالأعداد ولايعرف بالرجال، وإنمايعلمنا المنهج الإسلامى أن الرجال يعرفون بالحق ويوزنون به، ولهذا لايضير الداعية قلة الأتباع أو انصراف الناس عنه فى لحظة من اللحظات، وحسبه أن يقف معه من آمن على بصيرة، وصدق ماعاهد الله عليه، وفى صحيح الحديث أن الرسول ﷺ قال لعلى بن أبى طالب يوم خيبر : فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم .

وحمر النعم هى الإبل حمراء اللون، وكان العرب يعدونها من أنفس الأموال .

وداعية الحق والصدق يعرف دائما أن العاقبة للمتقين وأن فجر النصر حليف المؤمنين مهما طال الليل، وهذا مايجب أن يشعر به الدعاة من تفاؤل كبير وثقة بوعد الله فى مثل قوله تعالى﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ﴾(١)

وأخرج أحمد والطبرانى عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار" أى سينتشر فى الآفاق ويعيش المسلمون أوفياء لدينهم فى مشارق الأرض ومغاربها ..

وقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده، وقامت حضارة الإسلام وحققت فى نيا الناس الفردوس الأرضى فى ظلال المنهج الإلهى الأسمى ..

ب – أدب الدعوة :

جاء فى صحيح البخارى عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت للرسول الكريم : هل أتى عليك يوم كان أشد من أحد ؟!

فقال عليه الصلاة والسلام : لقد لقيت من قومك مالقيت، وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة (يوم الطائف) إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبدكلال، فلم يجبنى إلى ماأردت، فانطلقت وأنا مهموم – على وجهى فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال :

إن الله قد سمع قول قومك لك ومارددوا به عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

---

١ – سورة النور – ٥٥

فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال :

يامحمد الأمر ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ (وهما جبلان محيطان بمكة) ماذا كان رد الرسول الداعية في هذا الموقف الذى دميت فيه قدماه الشريفتان من الحجارة التى رضخه بها السفهاء والصبيان من أهل الطائف ؟!

لقد قال عليه الصلاة والسلام : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ..!!

إن الدعوة إلى الله تعالى ليست تسلطا على رقاب الناس، وليست لعنات تصب عليهم، وإنما هى حكمة وموعظة حسنة، وشعور من الأخوة فياض يسعى إلى أن يكون الناس سعداء بدين الله..

ويعبر عن هذا المعنى قول الله تعالى على لسان نبى الله شعيب : ﴿ إن أريد إلا الإصلاح مااستطعت، وماتوفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ .(١)

لقد كان من عادة سيدنا محمد ﷺ أن يعمم النصيحة ولا يجابه أحدا بما يكره مادام هذا كافيا للإصلاح، فشعاره الدائم :

مابال أقوام يفعلون كذا وكذا ..!!

حتى فى أصعب المواقف وأشدها على النفس، وآلمها على القلب، مثل حادثة الإفك التى روج لها عبدالله بن أبى زعيم المنافقين ورأس الفتنة، وقف الرسول ﷺ على المنبر وقال : يامعشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى، فوالله ماعلمت على أهلى إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه إلا خيرا، وماكان يدخل على أهلى إلا معى ..

هذا ومن واجب الداعية وأدب الدعوة معاً أن يبادر المرء إلى تصحيح الخطأ ولفت الأنظار إلى الحق، مع عدم استغلال الأحداث فى اصطناع مجد زائف أو بطولة متهافتة ..

وذات يوم انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، وصادف ذلك يوم مات ابنه إبراهيم فقال الناس : انكسفت الشمس لموت إبراهيم ..

لقد ظن الناس يومئذ أن كسوف الشمس لون من ألوان الحداد الكونى على موت إبراهيم ابن المصطفى الكريم ..

ولكن الرسول الإنسان – وهو فى موقفه العصيب – لم ينس واجب الدعوة وضرورة تصحيح مفاهيم الناس، فقام مسرعا يجر رداءه حتى دخل المسجد وجمع الناس لصلاة جامعة

---

١ – سورة هود – ٨٨

ثم قال:إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا الله حتى ينكشف مابكم ..

ومن أدب الدعوة أيضا الرفق بالجاهل وتعليمه فى أناة وصبر من غير تعنيف وتسفيه، وأسوق هنا واقعة لو رآها أحد اليوم ماسلمت من جلبة وعنف وشحناء ..

ففى الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما نحن فى المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه .. مه قال عليه الصلاة والسلام : لاتزرموه (لاتقطعوا عليه بوله)، دعوه، فتركوه حتى بال ..

ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له :

إن هذه المساجد لاتصلح لشئ من هذا البول ولا القذر، وإنما هى لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن ..

ثم أمر الرسول رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه (أى صبه على موضع النجاسة)

وهكذا أمرهم الرسول الداعية بالكف عن الأعرابى الجافى ارتكابا لأخف الضررين، لأنه إن قطع بوله أضر بنفسه وإن استمر ربما نفر فنجس مواضع أخرى من المسجد، وقد ينجس بدنه فيزداد الأمر اتساعا وتزداد النجاسة انتشارا، ولهذا تركه الرسول الداعية حتى انتهى فدعاه وعلمه فى رفق ناصح وليس فى عنف معير ..

جـ - بأساء الدعوة :

الصراع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان، عميق عمق التاريخ، باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. قال الله تعالى :﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾(١)

والشدائد محك الرجولة ومجال تربية العزائم، ومن الخير أن تظهر النفسيات على حقيقتها، وصدق الله حيث يقول : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾(٢)

وعلى هذه السنة كان سير الدعوة الإسلامية، فقد أذن سيدنا محمد ﷺ فى قومه بالتوحيد والفضيلة وعز الدارين، فما كان من قومه إلا النفور والاستكبار وقلب الحقائق، وقالوا - كما حكى القرآن - ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب ﴾(٣)

---

١ - سورة البقرة - ٢٥١

٢ - سورة محمد - ٣١

٣ - سورة ص - ٥

وفى رفضهم للدعوة وعنادهم للحق سلكوا مسالك شتى :

بدأوا مرحلة من الإيذاء الفردى فأطلقوا أيديهم وألسنتهم بالسوء على الرسول والمسلمين .. وقد أخرج البخارى عن عروة رضى الله عنه قال : سألت ابن العاص رضى الله عنه، فقلت: أخبرنى بأشد شئ صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال : بينما النبى ﷺ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبوبكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ وقال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) .

وقد سجل القرآن ماوصف به المشركون رسول الله ﷺ من السحر والشعر والكهانة والجنون والكذب فى أكثر من آية وفى أكثر من سورة .. قال الله تعالى :﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا إلا إفك مفترى، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾(١)

ولما فشل المشركون فى هذا الجانب لجأوا إلى المساومة والإغراء، فجاء أشراف قريش وعرضوا عرضا سخياً على رسول الله ﷺ وقالوا : إن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك – وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا – فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ..

فقال عليه الصلاة والسلام :

«مابى ماتقولون، ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل على كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغت رسالات ربى ونصحت لكم، فإن تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم »(٢)

حينئذ تابع المشركون وسائل العنف والإكراه وتحولوا إلى سياسة التجويع والمقاطعة فتركوا بنى هاشم وبنى المطلب جميعا فى شعب بالجبل فى عزلة تامة ومنعوا عنهم كل أسباب الحياة مدة ثلاث سنين أكل المسلمون خلالها أوراق الأشجار ..

ووسط هذه المحن وقف الرسول الداعية وأصحابه كالطود الشامخ، فمازلزل أقدامهم وعيد

---

١ – سورة سبأ – ٤٣

٢ – راجع سيرة ابن هشام حـ١ ص٢٩٥ ط الحلبى سنة ١٩٥٥م

ولانال من عقيدتهم تعذيب، واطمأنوا إلى وعد الله تعالى فى مثل قوله ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾(١)

وعندما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة بعدما ائتمر به المشركون ليقتلوه – خرج وهو يتلفت إلى موطنه مولدا ونشأة وأهلا، ويقول : والله إنك لأحب أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إلىّ، ولولا أن قومك أخرجونى ماخرجت .. !!

ولما أذن الله تعالى لنبيه والمسلمين بالقتال ردا للعدوان ودفعا للظلم وتأمينا للعقيدة، وقعت شدة شديدة وبأساء مؤلمة، فقد كسرت رباعية رسول الله يوم أحد، وشج فى رأسه، وقتل عمه حمزة، وكثر الشهداء من المسلمين على مدى عشر سنوات، هى مدة إقامته بالمدينة بعد الهجرة ..

ومع ذلك فقد جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا .. فالإيمان ليس شهوة نفس ومتعة حياة، ولكنه قيم فاضلة ومثل رائدة فى حياة المجتمع المثالى ..

والإسلام لايقدم للناس إغراء ماديا أو جنسيا ولكنه الدين القيم والرسالة الخاتمة والحق الذى يهدى للتى هى أقوم ..

وسائل الدعوة النبوية

استخدم الرسول الداعية فى دعوته وسائل متعددة وأساليب مختلفة خاطبت الناس على قدر عقولهم وواجهت كل موقف بما يناسبه ..

لقد واجه الرسول ﷺ رجالا ونساء وصبية، وخاطب عربا وعجما، وناقش مسلمين ويهودا ونصارى، وتعاهد مع المشركين وأهل الكتاب، واستقبل أعداء وأصدقاء ..

ويصعب علينا استقصاء تلك الأساليب والوسائل، ويكفى أن نوجزها ونشير إليها فيما يلى، على أن نعود إليها مرة أخرى بتوسع فى كتاب مستقل ..

١ – الخطبة :

للخطابة دور مهم على مدار التاريخ الإنسانى عامة والتاريخ الإسلامى خاصة، وقد استخدمها الرسول ﷺ فى اللقاءات العامة والجمع والأعياد، وفى مناسبات شتى كالجهاد والنكاح والموت والكسوف والخسوف وغير ذلك ..

وجاء فى صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ويقول: صبحكم ومساكم، ويقول: بعثت أنا

---

١ – سورة يوسف ١١٠

والساعة كهاتين، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول : أما بعد - فإن خير الحديث كتاب الله، وحير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، ومن ترك مالا فلأهله، ومن ترك دينا أو ضياعا[1] فإلىّ وعلىّ .

يبين لنا هذا الحديث الشريف حرص سيدنا رسول الله على أمته، فعند الخطبة المتعلقة بأمر جلل ينفعل انفعالا يتناسب مع الموقف، وقد سجل القرآن المجيد هذا المعنى فى قوله تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾[2]

لكن هذا الانفعال لايخرج عن حدوده المعقولة، ولا ينقلب إلى حركة هوجاء، وقد أخرج مسلم فى صحيحه أن عمارة بن رؤيبة رأى بشر بن مروان على المنبر رافعا يديه فقال " قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ مايزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بأصبعه المسبحة " ولم تكن خطبة رسول الله طويلة مملة، بل كانت صلاته قصدا وخطبته قصدا، وليست القضية متعلقة بالكم الذى يقال، وإنما هى أساسا متعلقة بصدق العبارة وإخلاص القصد وحكمة التوجيه ومراعاة مقتضى الحال .

وفى أول خطبة وجهها الرسول ﷺ إلى قومه بمكة يدعوهم فيها إلى الإيمان قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ماكذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ماغررتكم، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة .

والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا ، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا ..

٢ - الحوار :

الحوار مجال واسع لنقل العقائد والآراء، ومناقشتها وتقديمها للآخرين بما يقنعهم وييسر لهم فهمها وإدراك مقاصدها ..

ولقد حاور الرسول ﷺ كثيرا من الناس حوارا فرديا وجماعيا، فى السلم والحرب، فى الحضر والسفر، وفى كافة شئون الحياة ..

وهذه بعض النماذج :

حول أركان الإسلام :

أخرج مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شئ، فكان

---

١ - أولادا صغارا

٢ - سورة التوبة - ١٢٨

يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يامحمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ..

قال صدق.. قال (الرجل) : فمن خلق السماء ؟ قال (الرسول) : الله، قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله، قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل ؟ قال : الله

قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال : نعم

قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال : صدق

قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال (الرجل) : وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا، قال : صدق

قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم

قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا، قال : صدق

قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال (الرسول) : نعم

قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا

قال : نعم

ثم ولى وقال : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن فقال النبى ﷺ : لئن صدق ليدخلن الجنة ..

حول الحج :

أخرج مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

خطبنا رسول الله ﷺ فقال : ياأيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال : ذرونى ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه مااستطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه ..

حول مكارم الأخلاق :

أخرج الإمام أحمد باسناد جيد عن أبى أمامة رضى الله عنه أن غلاما شابا أتى النبى ﷺ فقال : يانبى الله أتأذن لى فى الزنا ؟ ! فصاح الناس فقال النبى ﷺ قربوه، ادن، فدنا حتى جلس بين يديه فقال له النبى ﷺ : أتحبه لأمك ؟ ! فقال: لا جعلنى الله فداك، قال كذلك الناس لايحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟ ! قال : لا جعلنى الله فداك ..

قال (الرسول) : كذلك الناس لايحبونه لبناتهم.. أتحبه لأختك ؟! وزاد ابن عوف:

حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة : لا، جعلنى الله فداك، وهو ﷺ يقول : كذلك الناس لايحبونه

فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه وحصن فرجه، فلم يكن شئ أبغض إليه منه، يعنى الزنا .

مع اليهود :

أخرج مسلم بسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال :

كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يامحمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال : لم تدفعنى ؟ فقلت : ألا تقول يارسول الله ؟ !

فقال اليهودى : إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله

فقال رسول الله ﷺ : إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى .

فقال اليهودى : جئت أسألك

فقال له رسول الله ﷺ : أينفعك شئ إن حدثتك ؟ !

قال : أسمع بأذنىّ

فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال : سل

فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟

فقال رسول الله ﷺ : هم فى الظلمة دون الجسر

قال : فمن أول الناس إجازة ؟

قال : فقراء المهاجرين ..

قال اليهودى : فما تحفتهم[1] حين يدخلون الجنة ؟

قال : زيادة كبد النون[2]

قال : فما شرابهم عليه ؟

قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا

قال اليهودى : صدقت، وجئت أسألك عن شئ لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان .

قال : الرسول ﷺ : ينفعك إن حدثتك ؟

قال : أسمع بأذنىّ، جئت أسالك عن الولد ؟

---

١ – التحفة مايهدى للرجل ويلاطف به .

٢ – النون هو الحوت، وزيادة الكبد طرفة وهو أطيبها .

قال الرسول ﷺ : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منىّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا منى المرأة منى الرجل آنثا بإذن الله

قال اليهودى : لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ : لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشئ حتى أتانى الله به .

مع النصارى :

روى الإمام أحمد والترمذى وابن جرير عن عدى بن حاتم رضى الله عنه : أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرّ إلى الشام وكان قد تنصر فى الجاهلية ..

فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم مَنّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها ..

فرجعت إلى أخيها فرغبته فى الإسلام وفى القدوم على رسول الله، فتقدم عدى إلى المدينة، وكان رئيسا فى قومه طيء، وأبوه حاتم الطائى المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه ..

فدخل على رسول الله ﷺ وفى عنق عدى صليب من فضة، ورسول الله يقرأ هذه الآية " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله .."

فقال عدى : إنهم لم يعبدوهم

فقال الرسول : بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم

وقال رسول الله ﷺ : ياعدى ماتقول ؟ أيضرك أن يقال الله أكبر ؟ فهل تعلم شيئا أكبر من الله مايضرك ؟ أيضرك أن يقال لا إله إلا الله ؟ فهل تعلم إلها غير الله ؟

ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة حق ..

قال عدى : فلقد رأيت وجهه استبشر

ثم قال رسول الله : إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون ..

٣ - البيعة :

البيعة والمبايعة عهد على الولاء والوفاء، وإطلاق هذا اللفظ من باب التشبيه بالمعاوضات المالية ..

وقد كان للبيعة دور مهم فى تاريخ الدعوة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ ..

ومن المشهور فى السيرة النبوية بيعة العقبة الأولى والثانية، لقد حرص رسول الله على أن يلقى الناس فى أماكن تجمعاتهم ومواسم حجهم وأسواق تجارتهم، وبينما الرسول الكريم عند العقبة- لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فأدرك هؤلاء الرهط صدق الرسول ﷺ وتذكروا أن هذا هو النبى الذى ينتظره أهل الكتاب، لأن اليهود فى يثرب كانوا يتوعدون أهلها ويقولون : إن نبياً مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه

قتل عاد وإرم ..

فحاول هؤلاء الرهط من الخزرج أن يسبقوا إلى الإسلام ويفوزوا بشرف النصرة لرسول الله فأسلموا ثم انصرفوا راجعين إلى يثرب ..

فلما كان العام المقبل قدم من الأنصار اثنا عشر رجلا، فلقيهم الرسول ﷺ عند العقبة وبايعوه على :

أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولانعصيه فى معروف ..

وقال لهم عليه الصلاة والسلام :

فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر ..

وتسمى هذه البيعة بيعة العقبة الأولى، فلما انصرف القوم بعث الرسول ﷺ معهم مصعب ابن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين ..

فلما مضى العام وحان موسم الحج عاد مصعب إلى مكة ومعه وفد من الأنصار المسلمين وواعدوا رسول الله بالعقبة فى ليلة من أوسط أيام التشريق .

وحين مضى ثلث الليل خرجوا من رحالهم يتسللون تسلل القطا، مستخفين حتى اجتمعوا فى الشعب وهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرآتان هما نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو بن عدى ..

وبينما هم مجتمعون إذ حضر الرسول الكريم ومعه عمه العباس وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له .

فتكلم الرسول ﷺ وتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ثم قال : تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، والنفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن تقولوا فى الله لاتخافوا فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مماتمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة ..

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال :

نعم والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[1]، فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة[2] ورثناها كابرا عن كابر .

---

١ - أرز كحمر : جمع إزار، ويكنى به عن المرأة

٢ - الحلقة : السلاح

وقد نوقشت هذه البيعة قبل إتمامها مناقشة موضوعية هادئة، وقلبت فيها الأمور على كافة وجوهها، حتى قال أسعد بن زرارة، وهو من أصغرهم – :

رويدا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة، وقتل خياركم، وتعضكم السيوف ..

فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله .

لقد أراد أسعد أن يستوثق من قومه ويضعهم أمام مسئولياتهم، وساء لهم سؤالا مؤداه : هل أنتم على استعداد لتحمل البأساء فى سبيل حماية الرسول ﷺ ؟ !

فقالوا : أمط عنا ياأسعد، أى أبعد عنها، فوالله لاندع هذه البيعة ولانسلبها أبدا ..

وكما استوثق أسعد من قومه فقد استوثق بعضهم من رسول الله فقام أبو الهيثم بن التيهان وقال: يارسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها – يعنى اليهود – فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ !

فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم ..

والمعنى أن طالب دمكم طالب دمى، ومن أهدر دمكم فقد أهدر دمى لاستحكام الألفة والمودة بيننا كأننا جسد واحد ..

وتسمى هذه البيعة بيعة العقبة الثانية ..

ومن المبايعات التى سجلها القرآن المجيد بيعة الرضوان فى قوله تعالى: ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ﴾(١)

وقد وقعت عند الحديبية قرب مكة فى العام السادس للهجرة، وقد دعا الرسول الناس إلى البيعة على الثبات وعدم الفرار حتى يقضى الله أمرا كان مفعولاً بعدما بعث الرسول ﷺ عثمان ابن عفان ليفاوض قريشا بشأن دخول المسلمين مكة فاحتبسوه بعض الوقت ونقل الخبر إلى المسلمين على أن عثمان قتل ..

وكان عدد المسلمين يومئذ ألفا وأربعمائة، وقد وصفهم رسول الله بأنهم خير أهل الأرض ..

وحين أصبحت مكة فى حمى المسلمين بعد فتحها فى العام الثامن للهجرة استفتى الناس رسول الله عن الهجرة والبيعة بشأنها، وفى صحيح البخارى بسنده عن مجاشع بن مسعود قال :

---

١ – سورة الفتح – ١٨ ، ١٩

انطلقت بأبى معبد إلى النبى ﷺ ليبايعه على الهجرة فقال : مضت الهجرة لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد ..

وللنساء مبايعات لرسول الله ﷺ، وكانت أحيانا جماعية وأحيانا فردية، وتولاها الرسول بنفسه وأناب عنه عمر بن الخطاب فى بعضها ..

ونصوص البيعة هى قوله تعالى : ﴿ ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولايقتلن أولادهن ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾[1]

ووقعت هذه البيعة لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فجمع نساء الأنصار فى بيت ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب، كما كان يتعاهدها الرسول مع النساء يوم العيد عقب الخطبة، فيشق صفوف الرجال حتى يأتى النساء ويأخذ عليهن البيعة ، كما تولاها الرسول مع النساء المهاجرات عقب صلح الحديبية ليتبين إيمانهن فيمنعن من العودة للمشركين، فكان الرسول يمتحن المهاجرة بالله ماخرجت من بغض زوج، وبالله ماخرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ماخرجت التماس دنيا، وبالله ماخرجت إلا حبا لله ولرسوله ..

٤ - البعوث :

أدت البعوث النبوية دورا عظيما فى نشر الدعوة الإسلامية وبيان حقيقة ذلك الدين القيم وتعليم الناس معالم إسلامهم ..

ومن أوائل البعوث فى ذلك بعث مصعب بن عمير إلى يثرب مع وفد بيعة العقبة الأولى قبيل الهجرة، وقد أمره رسول الله ﷺ أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى المقرئ بالمدينة وكان يصلى بهم ..

وقد تحمل مصعب فى سبيل دينه البأساء والشدة ..

قال سعد بن أبى وقاص : كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبويه ثم لقد رأيته جهد فى الإسلام جهدا شديدا حتى لقد رأيت جلده يتحشف كما يتحشف جلد الحية .

وقال الواقدى : كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وسبيبا[2] ، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول : ما رأيت بمكة أحسن لمة [3] ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير .

---

١ - سورة الممتحنة - ١٢

٢ - السبيبة : الثياب الرقيقة .

٣ - اللمة - بكسر اللام - شعر الرأس إذا ألم بالمنكبين .

ولقد مضى شهيدا يوم أحد ويقال فيه نزلت وفى أصحابه الآية الكريمة ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا ﴾ لقد مات لا يترك إلا ثوبا، إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا به رجليه خرج رأسه فقال رسول الله ﷺ: غطوا رأسه واجعلوا على رجليه الإذخر(١) .

ومن بعوث رسول الله ﷺ أبو موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل وقد بعث بهما إلى اليمن مع توجيهات حكيمة .. وفى صحيح البخارى قال لهما : يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا، فقال أبو موسى : يانبى الله إن أرضنا بها شراب من الشعير : المِزْر، وشراب من العسل: البتع، فقال: كل مسكر حرام . فانطلقا فقال معاذ لأبى موسى : كيف تقرأ القرآن ؟

قال : قائما وقاعدا وعلى راحلتى وأتفوقه تفوقا(٢)

قال معاذ : أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى ..(٣)

ومن المواقف المشهودة فى هذا المجال ماحدث فى بئر معونة عندما بعث الرسول ﷺ سبعين من القراء ليفقهوا الناس فى الدين فغدروا بهم وقتلوهم فظل رسول الله يدعو على هذه القبائل شهرا ..

٥ - الوفود :

لقد توالت الوفود على رسول الله ﷺ تعلن ولاءها للدين القيم أو تعقد معاهدات مع المسلمين أو تتعرف على الإسلام .. ومع أن الوفود كانت على أيام الدعوة الإسلامية كلها فى مكة والمدينة إلا أن العام التاسع للهجرة يعرف فى السيرة النبوية بعام الوفود ..

وكانت الوفود فرادى وجماعات، وتدور مناقشات ومساجلات وتحدث مواقف وأحداث ..

ومن أوائل الوفود فى العهد المكى ماجاء فى صحيح البخارى بسنده عن ابن عباس قال :

لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه :

اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتنى .. فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من كلامه ثم رجع إلى أبى ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاما ماهو بالشعر ..

---

١ - الإذخر - بكسر الهمزة - حشيش طيب الرائحة، وراجع الترجمة فى أسد الغابة حـ٤ ص٤٠٥ ط دار الفكر .

٢ - ألازم قراءته ليلا ونهارا شيئا بعد شئ، من فواق الفاقة وهو أن تحلب ثم تترك ساعة ثم تحلب وهكذا .

٣ - معنى ذلك أنه يطلب الثواب فى الراحة كما يطلبه فى التعب لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب .

فقال : ماشفيتنى مما أردت

فتزود وحمل شنة[1] له فيها ماء، حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل ..

فرآه على بن أبى طالب فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد.

وظل ذلك اليوم ولا يراه النبى ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه، فمرّ به على، فقال : أما آن للرجل أن يعلم منزله فأقامه فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى إذا كان اليوم الثالث فعاد على بن أبى طالب على مثل ذلك فأقام معه، فقال : ألا تحدثنى بالذى أقدمك ؟

قال : إن أعطيتنى عهدا وميثاقا لترشدننى فعلت، ففعل، فأخبره

قال : فإنه حق وإنه رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإنى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء، وإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى .

ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه .

فقال له النبى ﷺ : ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى، فقال: والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم.

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فأكب عليه فقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه طريق تجارتكم إلى الشام ؟ ! فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا عليه فأكب العباس عليه ..

ومن الوفود المشهورة وفد نصارى نجران وفى شأنه نزل صدر سورة آل عمران ودعاهم الله فيها إلى الحق فى المسيح عليه السلام ورسالة التوحيد التى جاء بها فإن أبوا دعاهم إلى المباهلة فى قوله تعالى :﴿ فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾[2]

كما نزلت سورة الحجرات بشأن وفد تميم الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات : أن اخرج إلينا يامحمد .

---

١ – الشنة – بفتح الشين – القربة الخلق .

٢ – سورة آل عمران – ٦١ .

٦ - الرسائل :

حين استقر الأمر للمسلمين فى المدينة المنورة بصلح الحديبية فى العام السادس للهجرة اتجه الرسول ﷺ إلى مخاطبة ملوك العالم وأمراء الجزيرة العربية، وبعث رسائل شخصية إلى هرقل عظيم الروم، وكسرى عظيم فارس، والنجاشى فى الحبشة والمقوقس فى مصر، وملوك عمان واليمامة والبحرين واليمن ..

ومن نماذج الرسائل النبوية رسالة هرقل، ونصها كما فى صحيح البخارى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد -

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين[1] ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباب من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ..

وقد أمر الرسول زيد بن ثابت أن يتعلم العبرانية ليترجم له الرسائل التى ترد إليه فتعلمها زيد فى سبع عشرة ليلة ..

ومن أواخر الرسائل النبوية الرسالة إلى مسيلمة الكذاب، فقد بعث مسيلمة رسالة يقول فيها:

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله

سلام عليك أما بعد -

فإنى قد أشركت فى الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون ..

وقدم بهذا الكتاب رسولان لمسيلمة، وحين قرأ الرسول ﷺ كتاب مسيلمة قال لهما : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال، فقال رسول الله ﷺ أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ..

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب

السلام على من اتبع الهدى أما بعد -

فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ..

---

١ - الأتباع والرعايا .

رجل الإعلام الإسلامى

إن مناط القدوة فى الرسول الداعية تجعل رجل الإعلام الإسلامى على مستوى رفيع فكرا وعقيدة وسلوكا ومنهجا ..

ومن خلال القدوة برسول الله ﷺ نرى مايلى :

١ - إننا فى حاجة ماسه إلى رجل إعلام يؤمن بقضيته ويقتنع بها وتملك عليه مشاعره ويعيش بها ولها .

ومن هنا فالمسئولون عن الإعلام فى أرض الإسلام اليوم يجب أن يراجع اختيارهم، فهم يتحكمون فى أخطر وسائل بناء الشخصية الإنسانية، فمالم يكونوا على مستوى الأمانة والمسئولية ضاعت الأمة وشقيت بهم وتفككت أواصرها ..

٢ - إن رجل الإعلام الإسلامى قدوة فى نفسه وأهله، ولا يفترق عن رجل الدعوة فكلاهما أمين على نفسه وأهله قبل أن يؤتمن على أخلاق الناس وسلوكياتهم ..

ولسنا فى حاجة إلى أدعياء الكلمة وتجار المواقف ومنافقى كل راية .. فهؤلاء أخطر على الأمة من أعدائها المعلنين بعداوتهم ..

٣ - إن الأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية كثيرة ومتعددة الوسائل، وتحتاج إلى خبرة وكفاءة ممتازة تستطيع المواجهة وتملك المقدرة، وتستوعب تكنولوجيا الإعلام وتحسن السيطرة عليها وتوجيهها الوجهة الإسلامية الصحيحة ..

٤ - إن اتفاقيات التعاون الإعلامى بين الدول الإسلامية يجب أن تضع فى مقام الصدارة خدمة الإسلام كعقيدة وشريعة، وتقديم المنهج الإسلامى لبناء الحياة المثلى وصياغة الفكر الإنسانى صياغة علمية أمينة ..

٥ - إن إبراز الواقع الإسلامى الصحيح من واجبات الإعلام الإسلامى التى يسعى فيها إلى تجسيد الواقع السليم وتقديمه كنماذج واقعية لأمة الإسلام تؤكد الانسجام بين النظرية والتطبيق ..

وإن الجهود الجبارة التى تقوم بها الجمعيات الخيرية على مستوى العالم الإسلامى لجدير بالمتابعة الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة وكذلك مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى أى موقع من بلاد المسلمين ..

٦ - إن التبادل الإعلامى بين الدول الإسلامية ودول العالم الأخرى يحتاج إلى انتقاء فى الاستقبال والإرسال، بحيث تقدم لهم شعائر الإسلام ومناهج العبادة والحياة الإسلامية فى نماذجها الصحيحة بصورة شائقة تجذب المتلقى غير المسلم وتستحوذ على مشاعره .

ونأخذ من إعلامهم مايتعلق بالبحث العلمى ومظاهر الطبيعة وتطور العمران ونبتعد عن

ونأخذ من إعلامهم ما يتعلق بالبحث العلمى ومظاهر الطبيعة وتطور العمران ونبتعد عن سلوكياتهم الشائنة واجتماعياتهم المستقبحة وأخلاقياتهم الذميمة ..

٧ – الإعلام الإسلامى مطالب بشدة كى يركز على الأقليات الإسلامية فى دول العالم الأخرى حماية لحقوقهم وتربية لسلوكهم وحفاظا على عقيدتهم حتى لا يشعروا بالغربة وحتى يظل الشعور مرتبطا بالوطن الإسلامى الكبير ..

٨ – إن للإعلام الإسلامى دورا فى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد يكون أشد أثرا .. ولهذا فنحن نرفض المقولة الهزيلة " المستمع يريد ذلك " لتبرير مايسىء إلى القيم والأخلاق .. وننادى بمقولة " المستمع ينهض بذلك ويسعد " حتى نأخذ بيد المتلقى المسلم إلى آفاق المجد والحضارة والرقى ..

"ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم "

أ.د. محمد سيد أحمد المسير

فلسفة خطاب الإعلام العربى
بين التبرير والتغيير

أ . د. محمد إبراهيم الفيومى
عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية الأسبق
جامعة الأزهر

يلعب الإعلام المعاصر – من خلال وسائل الحضارة التكنولوجية المتعددة – دورا مهما ، أكثر من أى عصر مضى، فى تكوين أفكار الناس، وتحريك عواطفهم، وتوجيه حياتهم ، وتشكيل عقائدهم ولقوته العظمى يؤثر على أسلوب حياتنا، ومعيشتنا، وعلى أفكارنا السياسية، وعلى أخلاقنا بل وعلى مصيرنا .

من هنا : يقع الإنسان المعاصر، تحت وطأة وسائل الإعلام وشراستها، فأينما يكون توجيهها تكون وسيلته، فهى التى تحرره إن كانت حرة فى اتجاهاتها، وهى التى تستعبده وتسخره إن كانت استبدادية النزعة. لذلك كانت وسائل الإعلام هى عنوان الأمم وعنوان رقيها وتحضرها، وهى السفير المعتمد الذى يرسم وسائل الاتصال بين الشعوب.. وبين الدول ومواطنيها.. ويقيم علاقاتها برباط شديد أواصره، من الوطنية والأخلاق والدين . ولا نجد وسيلة أقوى وأشد فعالية فى وحدة الأمة من الإعلام، فبه تلتقى الإنسانية على صعيد الحكمة، لذلك يجب أن تكون الكلمة مؤسسة على أشرف المبادئ وأسماها، تلتقى لقاء إنسانيا، لا يعكره ما صنعته الظروف من الحواجز المصطنعة، تذوب فيه الإقليمية، والجغرافية، والعنصرية، والمذهبية، وبه أيضا تتعرف الشعوب على مجريات الأحداث أينما كانت ، وعلى ثقافاتها ، وخصائصها، ومتطلباتها، ومشاكلها وتغيراتها.

لذلك تدرك الأمم الحية الراقية أن نهضتها، وبعثها الحضارى، ورفعة شأنها بين الأمم تتوقف على وسائلها الإعلامية، وعلى نوع ما تقدمه للأمة، وأفرادها، فهناك نوعان من الإعلام :

نوع من الإعلام؛ يساعد الأمة على بناء شخصيتها حضاريا وثقافيا – من خلال ما يقدمه لها من نماذج حضارية، وتاريخية، فيربى فيها القيم الفاضلة، والعادات الحسنة، فيزودها بعظيم القيم الأخلاقية من الوفاء والصدق والإخاء، والأمانة فى المعاملات، والانضباط فى العمل ، وتقديس الوقت واحترامه، ويعينها على التفتح الذهنى الذى يعى المتغيرات الحضارية والثقافية، وينمى فيها حاسة التذوق الجمالى.

و نوع من الإعلام؛ يعمل على صنع جيل، بمايقدمه من نماذج سيئة يشوبها التبعية، والانتهازية فيصنع جيلا متكاسلا، لا يبالى بالحياة، ولا بالقيم، مهزوزا متوترا غير واثق من نفسه، يفضل أن يكون تابعا لغيره، عالة على مجتمعه؛ اقتصاديا، وسياسيا، غير واع لظروفه الحضارية ولا متغيراتها، لا يحسن إنتاج شىء ، يتقلب مع الهوى، لا يثبت على رأى، يجرى وراء كل ناعق .

من هنا : أطرح قضية خطاب الإعلام العربى الإسلامى، إذا أردنا تحضرا وحضورا للإنسان العربى على الساحة العربية والدولية، وأردنا الخروج مما وقعنا فيه، تحت وطأة ظروف

استثنائية فرضت علينا لونا من ثقافة، ونمطا من سلوك، تخدم أهدافا غير أهداف الأمة وتصنع مجتمعا تعلوه الذلة، والاستكانة، يسلم قيادة نفسه لغيره حتي تروضه لقابلية الوصاية والتبعية .. ويصبح أداة طيعة تلعب به نزوات الحكام. من هنا وقفنا بين فلسفتين :

فلسفة الذين يستمدون تزييفهم من قراءات مشوهة للتاريخ؛ إنه لا سبيل إلى التحضر والنهضة الإصلاحية، ومن تلافى الظروف الاستثنائية التى وقعت فيها الأمة العربية إلا إذا خف ضغط القوى العالمية التى تريد لشعوب العالم الثالث أن تكون كذلك، وقادهم تأويلهم المتعسف لأحداث الخمسينيات والستينيات .. حين بدأت الثورة فى بداياتها الأولى بالميل نحو الاعتماد على النفس، حين أعلنت مبادئها الإصلاحية.. ومن أهمها ضرب الاستعمار.. وإقامة حكم وطنى ديمقراطى .. الخ

أدت تلك المحاولات الاستقلالية كما يذهب أصحاب فلسفات التبعية إلى الاصطدام بالقوى الخارجية صاحبة المصلحة فى المنطقة العربية التى خشيت على مصالحها وبسبب ذلك تعرضت الأمة لتلك النكسات المتكررة والخطيرة، فأحدثت شرخا فى كيان الوطن والأمة والشخصية .. واتخذ تيار التبعية الجارف الذى أخذ يشيد بفلسفة التبعية متخذا من ذلك الاصطدام وزعزعة الثقة فى الاعتماد على النفس ، وعدم جدوى التحدى ، والميل إلى المهادنة .. لذلك أرفض مثل تلك الفلسفات التى تربى فى الأمة العجز، وتغيب الأمة عن وعيها وتعفيها عن تحمل مسئولياتها أمام الله والوطن والتاريخ .. وبدلا من تدعيم فلسفة الاعتماد على الذات لمواجهة قصورها وتقصيرها.. تشيع بين الأمة، زعزعة إيمانها بالتحدى مفضلة عليه الميل إلى المهادنة .

وإذا تفشى هذا الشعور فى جسد الأمة المناقض للشعور بتحمل المسئولية، تنشأ علتان خطيرتان فى جسد الأمة إحداهما : العجز وضعف النفس... وثانيهما : عدم الوعى وسوء الإدراك ولا شك أن التهرب من المسئولية الذاتية والتمادى فى إلقاء التبعة على الآخرين من أسوأ الأمراض الاجتماعية .. فما أكثر ما نجد أبناء المجتمع العاجز يشتكون من كل شىء إلا من أنفسهم، ويحملون على الشعوب الخارجية، والنظام والحكومة والطبيعة وكل ما عداهم ناسين، أو متناسين قسطهم من المسئولية ونصيبهم من التبعة وهذه النزعة إذا استفحلت استفحل معها قصر النظر، وخداع النفس والجبن، والتخاذل وعملت على ترسيخ العجز ومضاعفة شروره، فى حين أن الحاجة الماسة هى النهوض منه والتغلب عليه.

فمصدر العلتين : هو : " اللامسئولية " ومعالجتها تكون بالجهد الدائب لتنمية روح الانضباط والعدالة فى النظر والفكر والسلوك، والتروض على استقصاء التبعية الذاتية وتحمل أعبائها، وهو ضيق شاق ولكنه الضيق الواجب اتباعه إذا أراد الفرد أن يحقق قابلياته

التحررية، وأراد المجتمع أن يحرز القوة والقدرة والكرامة حتى لا يكون ملهاة للعبث به، على الساحة الدولية فلا سبيل أمامه سوى أن يتحمل مسئوليته أمام التاريخ نتيجة غفوته. وتلك قوانين التاريخ التى لا يوجد فيها عطاء دون جزاء أبدا .

لذلك أرى أن إعلامنا العربى مطالب باجتياز هذه العقبات وتلك الفلسفات وقبول التحدى التى أفرزتها التحديات والأحداث التاريخية والتغييرات الدولية حتى تأخذ الأمة العربية مكانتها القومية والدولية فى إطار صبغة من صبغ التوحد إذا أردنا أن نحتل مكانتنا الدولية فى إطار النظام العالمى الجديد .. وإلا سوف نغدو أمة مشتتة موزعة لا نملك من أمر أنفسنا شيئا تتحكم فينا وفى مصيرنا ومصير أجيالنا قوى التحكم فى توجهنا وتوجهاتنا فلا خلاص لنا إلا إذا قمنا بترتيب بيتنا العربى وتفهم همومه وتحديد مهامه وتمسكنا بفلسفة التحدى فبها نكون أو لا نكون.

وإننى أضع أمام الخطاب الإعلامى العربى تلك المهام القومية والإسلامية لفلسفة التحدى الحضارى إذا أردنا أن نمهد لإحياء التضامن العربى على شكل إيجابى فعال :

الأولى : الدعوة إلى إلغاء التميزات الإقليمية :

ظهرت التميزات الإقليمية، التى هى فى الأصل مناطق نفوذ للاستعمار، فى الوقت التى كانت الساحة الإسلامية تزخر بالدعوات الإصلاحية لوضع تخطيط جديد يجمع شمل العرب يتفق ومقتضياته المعاصرة، فدعا بعضهم إلى فكرة الجامعة الإسلامية، وبعضهم إلى فكرة الجامعة العربية.. ولم تذهب تلك الدعوات أدراج الرياح، وإنما تمت تلك الأفكار تحت فكرة التضامن العربى التى تمخضت فى الأربعينيات عن مؤسسة الجامعة العربية وميثاقها، وكان ذلك قبل أن تتخذ الأمم المتحدة طريقها إلى الوجود.

وكنا نتوقع من الجامعة العربية أن تسمو بمفهوم التضامن العربى من الشكل إلى المضمون السياسى، والثقافى والاجتماعى، الذى يبين عن أمة عربية تتحدث عن تاريخ مشترك، وجامعة إسلامية واحدة، وتاريخ ثقافى واحد لكن التميزات الجغرافية التى رسمتها السياسة الاستعمارية إبان تصارعها حول توزيع " تركة الرجل المريض " ثم تصالحت على توزيعها فيما بينها تحت اسم استعمارى كريه " مناطق نفوذ" من ذلك اليوم أصبح لكل دولة استعمارية منطقة نفوذها فى الشرق الأوسط، قضت هذه التميزات على وظيفة الجامعة العربية، وعلى نمو فكرة التضامن العربى وعاقتها عن أن تتطور إلى وعى كامل بها، وأتاحت الفرص لكل دولة على تنمية الفروق بين النزعات القبلية، والخصائص المحلية للظهور، كاللهجات اللغوية، والعادات والتقاليد حتى المذهبية البيئية تمت على حساب وحدة الكيان العربى الإسلامى الفكرى والعقلى. فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب الإعلامى العربى بأن يذيب فوارق تلك الإقليمية ؟

الثانية : تطويع المزاج العربى لقابلية المؤثرات الحضارية :

كان من الطبيعى أن ينتج من التميزات الإقليمية عدم وحدة الميول إلى التقبل الحضارى وعدم قابلية صبغة عامة للفكر، فهذا يحب لونا من الفكر، وذاك يفضل لونا آخر، وثالث ينظر إلى الإعلام من حيث بيئته المذهبية.. ولا شك أن ذلك التعدد وذاك التباين فى الفكر أدى إلى سريان موجة الاندفاع إلى الدفاع عن الأوضاع الثقافية وفقا لتمايزات الإقليمية وميولها، ومذهبيتها الدينية، ويرافق الدفاع عادة هجوم شرس من جانب آخر ، على الحرية الثقافية، وعلى الرؤية الحضارية الإسلامية الواسعة التى لا تلتزم بالمذهبية الدينية البيئية، وقد يوهم تعدد ألوان الفكر على الساحة الثقافية بوجود حرية ثقافية لأنه فكر يحمل طابع التميزات الإقليمية، يضل ولا يهدى، يشتت ولا يجمع، واشتغل بقضايا التجزئة الإقليمية ومحسناتها المحلية، ولم يستطع أن يؤهل ذاته لحمل رسالة الأهداف القومية والإسلامية التى نكن لها أعظم التقدير وأجل الأمانى .. والتى إذا ما ظهرت على الساحة لا تلقى إلا صمتا يحمل معنى السلبية الأليمة والانسحاب فى هدوء، وحسبنا أن نغطيها بأغطية التكافل وكأنها دعوة تائهة فى أرض الغربة، لتظل الساحة الفكرية غاصة بالأنماط الثقافية الإقليمية مع أنماط النظم المحلية، وتظل الساحة تزخر بلغو فكر محلى جدا غير قابل للتطور، وغير قابل للتفاهم معه أو حتى تفهمه، وكأنه عملة أهل الكهف، غير قابل للتعامل.. تسوده نزوات انفعالية ملىء بالفحش والتنابز.. صيغته العامة : الصراع مع كل فكر له أهداف قومية عليا، إقليمى يحمل عصبيات إقليمية .

... تلك هى مهمات الفكر العربى، تقع بين قيم إقليمية متناقضة .فإذا ما أرادت الأمة العربية أن تنهض نهضة حقيقية وترفع من شأنها بين الأمم، ويكون لها خطرها، فلا سبيل إلا بصحوة الخطاب العربى الإعلامى لينبهها إلى سبيل التوحد الحقيقى بأى شكل من أشكال التوحد المعروف فى النظم السياسية، ولتكن صيغة التوحد كما تكون حتى تعمل على تدارك الأزمات كما حدث فى أزمة الخليج، ويقى الأمة من النزعات الفردية، ونزعات التسلط، ونزعات التآمر الغادر .. ولا يتم ذلك إلا بالمصالحة بينها وبين صيغ العصر الحضارية، والمفهوم الإسلامى للأمة الإسلامية. فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب العربى الإعلامى تلك الرسالة فى تنمية وحدة الميول لتقبل التوجهات الحضارية ؟

الثالثة : الإسلام والعروبة وجهان لحضارة واحدة :

يشيع على الساحة الفكرية نوع من الضلال الثقافى الذى تشيع أنماطه فى عصرنا بين طائفة من المثقفين، كثيرا ما يفتعلون نقاشا غير مجد سوى قضايا أساسية صاغت تاريخنا

وحضارتنا، وليس ذلك فحسب، بل هى التى صنعت هوية الإنسان العربى وصاغت سلوكه وقيمه وما تزال، ومن لغوهم ما يثيرونه من جدل مفتعل، حول :" قضية الخيار بين الإسلام والعروبة ".. وكنا نرى فى ذلك الجدل لغوا وتزييفا لا طائل من ورائه سوى العبث فى شئون الثقافة وشئون الفكر والتاريخ .. فمتى كان الإسلام ضد العروبة ؟ ومتى كانت العروبة ضد الإسلام ؟ ومتى كان التوحد الإسلامى يعمل ضد العروبة ؟ . ومتى كانت الوحدة العربية تعمل ضد الإسلام ؟.

فمن الضلال الثقافى أن ترى أمر الإسلام بيننا بات محل نقاش فى تأصيل الوحدة العربية. ومن العجب أن تلقى الثقافات الوافدة استقبالا عظيما وتوقيرا لدى دعاتها الذين يدعون إليها ولا يرضون لأنفسهم وصفا إلا وصف أنفسهم براود التنوير، وهم فى حقيقة الأمر ليسوا إلا مقلدين، فاتخذوا معيبات التبعية مزية ثقافية.. ومن مزيتنا الحضارية، معيبات ثقافية، يجوز حولها النقاش والجدل، فلا إسلام من غير عروبة، ولا عروبة من غير إسلام، كيف تحدث جدلا حول مزية العربى الثقافية والحضارية فأين كان العربى قبل الإسلام ؟ وأين العرب الآن ، بعد ما غابوا أو غيبهم الاستعمار عن الإسلام .

لا شك أن الفصل بينهما لعبة استعمارية بغيضة، تريد أن تضرب الوحدة الروحية فى صميمها، فيبوء قوم باسم الإسلام، ويبوء أخرون باسم العروبة. وتقسمنا الطائفية من جديد . ولكن بشكل مر وأليم، وهذا بلا شك تآمر على الإسلام قبل أن يكون على العروبة وعدم وعى بهويتنا وتاريخنا، فليس من المعقول أن نضع الإسلام أمام خيار العروبة، وليس من المعقول أن نضع العروبة أمام خيار الإسلام .

إننا فى حيرة شديدة من تفجير قضية العروبة والإسلام وانقسام المفكرين حولها .. إنها غربة عانى منها المجتمع وعانت منها الوحدة الثقافية حين عصفت بها تيارات الأعاصير .. فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب الإعلامى العربى برفع تلك الغشاوة عن أعين المثقفين ليعيد إلى الأذهان عوامل انصهار الوحدة العربية ويقيم شأن التضامن الإسلامى ؟

الرابعة : الإسلام .. لا العلمانية :

لا شك أن ما نعيشه على الساحة الثقافية ليس جدلا فى جدل كما يبدو للبعض أن يصوره ليس الأمر كذلك، إنما هم يبغونها عوجا، يبغون من ورائها تمهيدا يهيىء المضمون الثقافى ليتقبل النشاط العلمانى، الذى يضع الدين موضع الجدل والنقاش، وتلك صورة تكونت لدى الداعين إليها منذ عصر التنوير وموقفهم من الدين والدولة.. ففصلوا بين الدين والدولة وقالوا : مقولة السيد المسيح : ما لقيصر لقيصر، وما لله لله .. بينما الدين الإسلامى ليس فيه مثل هذا النص،

وليس هو ذاته سمح لوضع شأنه كوضع كهنة أوروبا فالبون بينهما شاسع لقد استبد الكهنة بشئون المجتمع الأوروبى باسم الدين فصادروا المعرفة التى تؤدى إلى البحث عن الحقيقة، وحجرت على العقل من أن يفكر إلا فيما أباحته الكنيسة وصادرت حرية العلماء فيما أرادوا التفكير فيه حتى النظر فى الكتاب المقدس حرمت تداوله فيما بينهم .. وغير ذلك كثير مكنها من هيمنتها على المجتمع وارتكبت ألوانا من المخالفات التى لا يرضى عنها الدين ولا القوانين الوضعية العادلة فكم أذلت وأحرقت وشردت أناسا لم يرتكبوا جرما سوى أنهم أرادوا أن يمارسوا حرية التفكير.

من هنا كانت سيطرة الكهنة واستبدادهم بشئون المجتمع من أهم أسباب قيام الثورة عليها فى أوروبا .

من هنا تبنت أوروبا الحديثة العلمانية نظاماً لها إلى التنوير وأقامتها على أسس ليس الدين منها وهى :

- النظرة المادية القائمة على منهج التجربة فى دراسة العالم الطبيعى.
- استبعاد المعرفه غير المادية .. وعزو القيمة الحقيقية فى المعرفة إلى الرؤية العلمية القائمة على المنهج الحديث .
- تعميم النظرة المادية والتفكير المادى على كل شئون المجتمع حتى القيم الأخلاقية ..

أن تخضع العلاقات الإنسانية لمجموعة مبادئ الفلسفة المادية ..

وكان من أكبر جنايات العلمانية : أن سيطرت السيادة المادية على الإنسان والفكر، تحول مفهوم الإنسان من مفهوم له أبعاده الدينية والأخلاقية إلى كتلة مادية قابلة لعمليات التغيير والتشكيل، ومن إنسان له عقله وروحه ووجدانه إلى كتلة مادية صماء عمياء تعبث به الفلسفات .

إن العلمانية هى سيادة المادية على المجتمع البشرى، وإقصاء كل ما هو إلهى لتحل محله الفلسفة المادية بكل مذاهبها بدلا من سيطرة الدين .

وليس معنى مكافحتنا العلمانية، أننا نكافح العلم أو النظرة العلمية، وليس الأمر كذلك لأن العلم هو التجريب فى مجال الطبيعة وذلك يدخل فى نطاق التفكير البشرى، وتلك نظرة عادلة ومستقيمة وناضجة بل وضرورية، ما دامت محصورة فى مجالها التطبيقى الطبيعى فهذا ملحظ مهم ويجب التنبيه عليه، ولا نختلف فيه ولا عليه ولا نقبل التشويش به على دعاة الإصلاح ، وعلى كل من يحارب العلمانية .

ومعنى أن تسيطر العلمانية على المجتمع الإسلامى أن تقوم الدولة على غير أساس من الدين، لا شك أنها اتجاهات تنم عن حالة صراع فى الفهم عميقة، تفصم الإنسان العربى عن إسلامه فهو يود أن يوازن بين معتقده الإسلامى الذى يود أن يعيش به حضارته وبين

صبغه بالحياة ذات النمط الغربى فهو بين ضياع تاريخى .

فهل من الممكن أن يتكفل الإعلام بحمل مسئولية التأكيد على خصائص الأمة . وأن الإسلام هو أهمها وفيه حياتنا ؟

الخامسة : التصالح بين الرأى السياسى والرأى الفكرى :

مازال الفكر العربى يعانى حالة الانفصام التى بينه وبين المؤسسة السياسة . فالرأى السياسى فى جانب وهو المسيطر .

. والرأى الفكرى فى مقابله وهو المنبوذ، وليس منبوذا فقط بل يعتبر فى نظر الرأى السياسى خارجا على حدود الشرعية، وقابلا لوصفه بالتطرف، وقت الضرورة، فهو أحق بالمنازعة، والرفض، والتتبع بالتشنيع عليه وعلى صاحبه.

مازال الرأى السياسى فى الوطن العربى، يهاب تعدد الآراء، مع أن تعدد الآراء يعبر عن رؤى ثقافية متعددة تصنع مساحة ثقافية مشتركة تتلاقى حولها الآراء والأفكار التى تساعد على صنع القرار الذى يخدم الوطن والمواطن، وتهيئ الأذهان لتقبله بحرية وقابلية .

تعمل قابلية القرار المبنى على المشورة والشورى، على توجيه المواطن إلى تبنيه الدعوة إليه والقناعة به، وتلك هى المساحة الثقافية المشتركة بين صانعى القرار، وأطراف الأمة المشتركة فى المصالح القومية، فضلا عن أنه يصنع جوا من الحرية التى تصنع المصالحة بين الرأى السياسى والرأى الفكرى القومى .

من هنا : كانت أزمتنا أننا نهاب الآراء المتعددة خوفا من صراعها، مع أنه من الممكن أن تصنع المؤسسة السياسية الإطار العلمى النزيه الذى يضمن لها تفاعلها الحر النزيه، إذ ليس ميثاق وصاية على الحقيقة.فالله وحده هو مالكها، فكل إرهاب يقع على كل رأى غير السياسى فهو يصنع تمزقا وتمزيقا بين وحدة الفكر ويصيب الولاء القومى بالازدواج .

ولقد شاهدنا من خلال أحداث الخليج، أن الغرب يحرص دائما أن ينطلق الفكر العربى من الفكر السياسى قد يتآزران وقد لا يلتقيان.. ومن خلال ذلك الجدل الفكرى والحوار السياسى تتهيأ الأذهان لأبعاد القضية من حيث زواياها وجدواها ونتائجها . وتخرج القرار وله سنده الفكرى وشرعيته السياسية والقومية.. ولم تكن شرعية القرار السياسى مسوغا لإعلان الوصايا على الرأى المخالف، أو إرهاق المخالفين بتهم الخروج على الشرعية أو مدعاة لوصفهم بالتطرف الفكرى.

ولن تتأثر الوحدة الحقيقية بين القرار السياسى والرأى الفكرى فى دارنا العربية إلا بإتاحة الحرية التى تصنع نفسها وتصوغ المواطن فى قالب الانتماء القومى وتطبيق مبدأ الشورى

الإسلامى الذى يصنع إطار الوحدة القومية .

لقد أدى الانفصام بين القرار السياسى، والرأى الفكرى إلى علاقة متوترة قائمة على الخوف والحذر المفرط إلى تفاقم مشكلات الاغتراب لدى المثقفين المخلصين لثقافتهم لاستبعادهم عن صنع القرار، وعزلهم عن المشاكل الفعالة فى توجيه الحياة الفكرية ما لم يكن الفكر تبريرا لمتطلبات السلطة الحاكمة .

من هنا أحس أهل الفكر بمشاعر الاغتراب تحتويهم من فرط إحساسهم، بأن قمع السلطة جعلهم يعيشون على هامش مجتمعهم، وليس من ذنب اقترفوه فى حق مجتمعهم سوى أنهم أخلصوا لفكرهم والوطن والوطنية. كذلك أدى الانفصام بين الرأى السياسى، والرأى الفكرى، إلى شيوع قضية التطرف ..

فهل من الممكن أن يتكفل خطاب الإعلام العربى بالتصالح بين الرأى الفكرى والقرار السياسى ؟

السادس : التضليل الثقافى والإعلام الغربى

يعزى الإعلام الغربى انتصاراته فى الميادين السياسية، والعسكرية، والثقافية، والحضارية إلى العلمنة؛ لذلك جند أجهزته الإعلامية للدعوة إليها بما ألبسها لبوس العلم، وصبغها بمظهره، فى الوقت الذى صور فيه الدين على أنه أمر شخصى، لا شأن له بالحياة والمجتمع ابتغاء فصله عن توجيه الحياة .

وكان هدفه من وراء ذلك هو : إذابة الشخصية الإسلامية، وإلغاء خصائصها الذاتية. ولا يبقى سوى أمة ممسوخة الهوية، مشوهة التاريخ، ولقد لعب الإعلام الغربى دوره فى إقامة صراع محتدم كما رأينا؛ بين العروبة والإسلام .. ولا شك أن ذلك هو الضلال الثقافى بعينه وذلك حين قابلنا بين المسألة الدينية والمسألة الثقافية .. فهل هى مساومة ثقافية، أو مساومة دينية . أم هو عين التآمر على الإسلام والعروبة وعلى التاريخ ....

ولقد استمد الإعلام الغربى رسالته تلك من صورتين :

صورة وضع ملامحها أكاديمية الاستشراق الأولى حين كانت فى مواكبة الاستعمار .

وصورة رسمتها العلمانية المناهضة للإسلام .

وكان من أثر تغلغلها أن أيقن المجتمع الإسلامى أن الصراع ليس بين العلمانية والإسلام إنما هو بالدرجه الأولى صراع من أجل السيطرة الغربية على شخصيات الشعوب صراع بين تحقيق الذات الإسلامية والعربية وبين إلغائها ولقد استطاع الإعلام الغربى من خلال حملاته الإعلامية أن ينفذ مخططاته بين مستويات الأمة الثلاث :

. مستوى الأمة .

. مستوى القادة .

. مستوى مفكريه .

أما بالنسبة للأمة فلقد استطاع من خلال حملاته الإعلامية المنظمة أن يشوه الإسلام وأن يباعد بينه وبين الأمة وإسلامها حتى أصبحت لا تعى منه إلا رسمه .

وأما القادة : فهم فى صراع بين ما يتوجهون إليه من أيدلوجيات ذات انتماءات مختلفة وبين أمانى شعوبها فى تطبيق الإسلام وهو مطلب نكن له أطيب المنى .

وأما المفكرون : فلقد تقطع أمرهم بينهم شيعا تقاسمتهم الفلسفات ، وتنازعوا أمرهم بينهم وكل منهم يطلب مذهبا يخالف ما عليه قومه .. ويضيف به صراعا جديدا إلى صراعات الأمة المتعددة بينما توحيد الأمة لا ينبع إلا من وحدة الفكر .

وبعد :

فلقد استحضر الرسول ﷺ تلك الصورة التى تردى إليها المجتمع الإسلامى حين قال :

يوشك أن تتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها .

قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟

قال : لا ، بل أنتم أكثر ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن .

قيل : وما الوهن يا رسول الله .

قال : حب الدنيا وكراهية الموت .

تركز حديث الرسول ﷺ على أن فلسفة التغيير تنبع أساسا من إرادة الإنسان أو هى إرادة إنسانية قبل كل شىء مهما تقدمت وسائل الحضارة .. فدائما يبقى العنصر البشرى هو الأساس فى عملية التغيير والبناء .. قال تعالى :

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾

وتلك هى مسئولية الإعلام فى توحيد توجهات الأمة فى مرحلته الجديدة وذلك هو الشرط الأساسى لنهضة الأمة العربية والإسلامية والخروج مما وقعت فيه الأمة من أمراض اجتماعية وتكاسل وتدهور وتفئ إلى إسلامها الصحيح، وفهمه فهما رشيدا واعيا ، ويترابط إيمانها بسلوكها وقولها وبعملها .

البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى
إشكالياته، ودوره الوظيفى

دكتور/ محمد عبد الحميد

من الحقائق المسلم بها أن الدين الإسلامى الحنيف جاء ليستوعب حضارة كل عصر وثقافتة إلى يوم الدين، ويحدد للانسانية أسلوب حياة يحقق لها الخير والرخاء. ويرسم للنشاط الإنسانى إتجاه الحركة وأهدافها، بما ينشر المودة والرحمة بين البشر جميعا فى إطار التعاون الصادق البناء لرفعة الأمة الإسلامية وعلو شأنها .

ونزل القرآن الكريم على محمد ﷺ ليبلغه إلى العالمين، جامعا لكل الأسس والقواعد والمبادئ التى ترسم للإنسانية طريق حياتها، فى علاقتها ببعضها وفى علاقاتها بكل المخلوقات، وكل ما سخره الله تعالى لخدمة الإنسانية ورقيها .

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ سورة النحل آية ٧٩ ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شئ﴾ الآية ٣٨ سورة الإنعام . ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ الآية ٢٧ سورة الزمر" وهذا ما دعا الكثير من علماء المسلمين إلى البحث والتقصى فى الإعجاز القرآنى الذى لم يفته صغيرة أو كبيرة إلا وأحصاها الله فى كتابه المبين . ومن الحقائق المسلم بها أيضا فى عصرنا هذا أن الإنسان فى العصر الحديث يعيش ثورة الاتصالات، وتحاصره من كل ناحية رسائل اتصالية من مختلف الجهات، بمختلف اللغات، ومختلف الأهداف، يتعرض لها نهارا وليلا، تحاول أن ترسم للإنسان المعاصر طريقا جديدا لحياته، وأسلوبا معاصرا لنشاطه وعلاقاته، يتفق مع ما تهدف إليه هذه الرسائل الاتصالية ومصادرها، ووصل الأمر إلى ذروته فى استخدام فنون الجذب والإثارة، التى اعتمدت على التقنيات الحديثة فى وسائل الاتصال الجماهيرى المتعددة.

ومن هنا كانت غيرة علماء المسلمين على الدين الحنيف، والإنسان المسلم. من أن يتعرض إلى هذا الحشد من الرسائل الاتصالية التى تستهدف عقل المسلم وفكره ووعيه فى محاولة للتزييف والتحريف والتشويه للحقائق الإيمانية الراسخة. فكانت المحاولات الجادة لإرساء معالم نظام إعلامى يدفع عن الإنسان المسلم هذه المحاولات، ويعمق عقيدته الدينية وإيمانه الراسخ .

وخلال عقدين من الزمان شهدا صحوة دينية فى المجتمعات الإسلامية، تعددت الكتب والمؤلفات التى أعدها الخبراء والباحثون فى مجال الإعلام، يرسمون من خلالها السياسات والأهداف والوسائل والأساليب الخاصة بتوظيف وسائل الإعلام الحديثة فى خدمة الدعوة وترسيخ العقيدة الإسلامية. وأصبحت هذه الكتب والمؤلفات والبحوث نواة لعلوم مستقلة تربط الواقع الإعلامى بالدين الإسلامى، وتهدى القائمين بالإعلام إلى الطرق الصحيحة للممارسة المهنية فى هذا المجال.

ولذلك تأتى هذه الورقة البحثية محاولة لرسم الخطوط العامة لتوظيف المنهج العلمى فى

البحث والدراسة، وإرساء قواعده، لدعم الاتجاه العلمى فى دراسة الإعلام الإسلامى فى جوانبه النظرية والتطبيقية .

وتهدف هذه الورقة البحثية إلى الآتى : -

١ - مناقشة إشكاليات البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى .

٢ - تحديد وظائف البحث العلمى فى هذا المجال .

٣ - تحديد اتجاهات البحث العلمى بما يتفق مع المحددات الأساسية للتعريف بالإعلام الإسلامى.

واعتمد البحث فى هذه الورقة على مسح التراث العلمى الخاص بالإعلام الإسلامى، ومراجعة ما كتب فى هذا الموضوع، مراجعة نقدية موضوعية. تهدف إلى الإسهام المتواضع فى هذا المجال بما يدفع حركة البحث العلمى لتأصيل المعرفة النظرية والتطبيقية فى مجال الإعلام الإسلامى. والتى تعتبر البداية المنهجية لإرساء قواعد العلم ومناهجه .

أولا : إشكاليات البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى

يعتبر الإعلام بصفة عامة من العلوم الحديثة نسبيا، والذى لم يمر على إرساء قواعده أكثر من خمسة عقود تقريبا، مرت خلالها هذه القواعد بمراحل من البحث والتجريب واختبار العلاقات الخاصة به وبعناصره. حتى تمكن الخبراء والباحثون من إرساء نظرياته ومبادئه فى إطار العلوم الإنسانية والاجتماعية .

ولذلك تتميز أيضا التطبيقات الخاصة به فى مجال من المجالات بنفس هذا القدر من الحداثة النسبية. والإعلام الإسلامى يعتبر أيضا من العلوم الحديثة التى مازالت فى المرحلة الارتيادية، التى تتطلب توفير الحقائق والمعلومات التى تفيد فى صياغة العلاقات الفرضية كمدخل إلى تطوير المعرفة فى هذا العلم والارتقاء بأسسه ومبادئه. ويصبح النقد الذاتى فى مثل هذه المرحلة مطلبا أساسيا لتحقيق أكبر قدر من الاتفاق حول حدود المعرفة وتطبيقاتها فى هذا المجال وإذا ما استعرضنا الإطار العلمى الخاص بالإعلام الإسلامى يمكننا أن نقف على عدد من الصعوبات التى تمثل إشكاليات البحث العلمى فى هذا المجال وتتطلب دراستها والوصول إلى اتفاق أو حلول علمية بشأنها .

ومن هذه الإشكاليات ما يلى :

١ - عدم الاتفاق على تعريف موحد لمفهوم الإعلام الإسلامى .

وكان من الطبيعى أن يكون استخدام المصطلح فى إطار علاقته بالاتصال الجماهيرى، حيث ساد العرف الآن على استخدام مصطلح الإعلام بديلا عن مصطلح الاتصال Mass Communication أو الاتصال بالجماهير فى المنطقة العربية بأسرها .إلا أن هناك من التعريفات

ما تقف به عند حدود الوظيفة وتعرفه فى إطار وظيفة الإخبار والتبليغ " هذا بلاغ للناس ولينذروا به " الآية ٥٢ سورة إبراهيم، ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ الآية ٦٧ سورة المائدة . وذلك خلال المرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإسلامية [١] وكذلك يظهر مفهوم الوظيفة فى تعريفه بأنه بيان الحق وتزيينه للناس، بكل الطرق والأساليب والوسائل العلمية المشروعة مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة ... [٢] وقام آخرون بتعريفه فى إطار الوظيفة أيضا، وهى وظيفة الإعلام إحدى وظائف الاتصال بالجماهير، وتكييف التعريف العام : وهو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، أو هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت[٣] فالإعلام الإسلامى بناء على هذا التكييف : هو تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها، وذلك بغية تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينية ويدركها و يتأثر بها فى معتقداته وعباداته ومعاملاته [٤] . ويتجاوز التعريف من خلال الوظيفة، إلى اعتباره جهدا فنيا وعلميا مدروسا ومخططا ومستمرا وصادقا من قبل قائم بالاتصال ..... وذلك بغرض تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها فى معتقداته وعباداته ومعاملاته [٥] ويفصل تحديد آخر للإعلام بين هذا المفهوم ومفهوم الدعوة والدعاية على أساس الأطوار التى مر بها الاتصال فى الإسلام، فكان المفهوم فى صدر الإسلام يرتبط بمفهوم الدعوة، ثم الجهود التى بذلها الخلفاء الراشدون بعد ذلك وهو طور الإعلام، ثم كانت الدعاية أيام الخلافة الإسلامية والممالك والإمارات منذ بداية العصر الأموى إلى يومنا هذا [٦] .

ومن جانب آخر هناك تعريفات تجاوزت مفهوم الوظيفة الواحدة إلى تحديد الأدوار الوظيفية التى يقوم بها الإعلام الإسلامى باعتبارها من المهام الأساسية مثل الدعوة إلى التوحيد وتحرير العقيدة وتأكيد معنى الحرية والوحدة الإسلامية ودعم اللغة العربية الفصحى والتمسك بها فى الأداء الإعلامى أسلوبا ومضمونا، وبعث الفكر الإسلامى الأصيل التماسا لمنابعه الأصيلة فى القرآن والسنة، وبناء الثقافة العربية والحضارة الإسلامية من خلال وسائل الاتصال الشخصى والجمعى والجماهيرى [٧] .

وتعرض تعريف آخر إلى عناصر الاتصال الجماهيرى، من حيث كونه منهجا إسلاميا، يقوم به مسلمون عالمون عاملون بدينهم، ومتفهمون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره

المتباينة، مستخدمون تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المتحضرة والأخبار الحديثة، والقيم الأخلاقية والمبادئ والمثل، للمسلمين وغير المسلمين فى كل زمان ومكان فى إطار الموضوعية التامة، بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد، لإحداث التأثير المطلوب (٨) .

وهذه التعريفات التى ذكرناها على سبيل المثال، تعتبر اجتهادات مشكورة للإسهام فى وضع الإطار النظرى لمفهوم الإعلام الإسلامى، ولكنها تؤكد عدم الاتفاق – وليس الخلاف – على محددات واضحة للتعريف بهذا المفهوم .

ومما لاشك فيه أن الخطوة الأولى فى ارتياد البحث العلمى تحتاج بالدرجة الأولى إلى تأكيد المعالم والمحددات الخاصة بالتعريفات، لتهدى الباحثين إلى الأطر الخاصة بالمشكلات العلمية فى هذا المجال، وكذلك إلى القواعد الأصيلة للحقائق والمعلومات، والتى تسهم فى تحديد إطار النتائج التى تفيد فى تأهيل المعرفة العلمية فى هذا المجال .

ومن خلال النظر إلى التعريفات المعاصرة للاتصال بالجماهير، والإعلام بوصفه مرادفا لها فى النظرية والتطبيق – كما سبق أن أوضحنا، يمكن أن نحدد اتجاهين للتعريف يحددان المعالم الخاصة بتعريف الإعلام الإسلامى .

الأول : اعتبار الإعلام الإسلامى عملية اجتماعية تمس الحاجة إليها فى المجتمع المسلم لتلبية الحاجات الاجتماعية والفردية والتى تتمثل فى الوظائف التى يقوم بها الإعلام الإسلامى، من خلال التفاعل المستمر بين عناصر هذه العملية .

الثانى : اعتبار الإعلام الإسلامى نظاما اجتماعيا يضم عناصر متعددة تحدد معالم هذا النظام وتتفاعل مع بعضها فى سبيل إرساء مبادئه وقواعده ويتفاعل أيضا مع النظم الاجتماعية الأخرى فى المجتمع الإسلامى، يؤثر فيها ويتأثر بها .

والتقرير بأى من الاتجاهين أو أحدهما يعتبر المدخل السليم للنظرة العلمية إلى الإعلام الإسلامى وتطبيقاته فى المجتمعات الإسلامية .

٢ – الاتجاه إلى البحوث النظرية وندرة البحوث التطبيقية والميدانية :

وإذا كانت البحوث النظرية يمكن أن تسهم فى صياغة المعارف العلمية، وتوفر على الباحثين جهدا كبيراً فى استعادة التراث، والاقتراب منه. فإنها لا تفى فى توفير الحقائق العلمية التى تصل إليها التطبيقات العلمية وخصوصا فى مجال الممارسة، والتى ترسم العلاقات المؤكدة بين حركة عناصر العملية الإعلامية والعلاقات بينها، وكذلك حركة العملية كلها فى إطار السياق الاجتماعى الكلى .

ولعل الاتجاه إلى البحوث النظرية يرتبط إلى حد بعيد بجدة البحث العلمى فى هذا المجال، الذى يعتبر نسبيا فى المرحلة الارتيادية. إلاَّ أن تطوير المعرفة يعتمد بالدرجة الأولى على نتائج البحوث التطبيقية التى تتفق وخصائص النظم والمجتمعات التى تعمل فيها و تتأثر بها وكذلك يرتبط أيضا بجدة أقسام الإعلام الإسلامى فى المجتمعات الإسلامية، وما يمكن أن تقوم به من أدوار فى دعم اتجاهات البحث العلمى فى هذا المجال، سواء لإعداد الباحثين أو الممارسين فى مجال الإعلام الإسلامى (٩) .

كما أن إسهامات كليات وأقسام الإعلام القائمة فى هذا المجال تعتبر محدودة جدا من خلال رسائل الماجستير والدكتوراه التى نوقشت فيها أو لم تناقش (١٠) بالإضافة إلى ندرة البحوث التى يمكن أن تقوم بدعمها الهيئات أو الجهات الرسمية أو غير الرسمية ذات الاهتمام بأمور الدعوة الإسلامية وانتشارها .

٣ - إغفال النظرة الكلية فى دراسة عملية الإعلام الإسلامى :

ذلك أن الكثير من البحوث والكتابات التى نشرت فى هذا المجال، اهتمت بعنصر واحد أو أكثر من خلال النظرة الجزئية، مثل تحليل المحتوى، أو دراسة القائم بالاتصال، لكنها لم تصل إلى الأهداف الكلية الخاصة برسم العلاقة بين هذه العناصر وبعضها، أو بين الإعلام الإسلامى كعملية أو ظاهرة اجتماعية وغيرها من الظاهرات الاجتماعية .

والنظرة الكلية المستهدفة فى مثل هذه الدراسات هى التى تفيد فى تخطيط السياسات الإعلامية وتحديد الأهداف بما يتفق مع خصائص وسمات عناصر العملية أو الظاهرة، وعناصر أو سمات المجتمعات التى تعمل فى إطارها أو تدور فى فلكها .

وبجانب ذلك تساعد النظرة الكلية فى تعدد المداخل العلمية للدراسات والبحوث، التى تتكامل مع بعضها لإرساء قواعد العلم والمعرفة فى هذا المجال .

خاصة وأنه لا يمكن أن نغفل عمق العلاقة بين الإعلام كعلم إنسانى، والعلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، مثل علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعى، وعلم النفس، والتاريخ والجغرافيا، وعلم اللغة .... وغيرها من العلوم. بالإضافة إلى علوم التفسير والحديث والفقه ... وغيرها من العلوم الدينية. التى تكون فى مجموعها منظومة متكاملة من المعرفة تتكامل مع بعضها فى صياغة السلوك الإنسانى القويم فى إطار العملية الاتصالية كعملية اجتماعية فى المجتمع المسلم .

وما يفرضه ذلك من الضرورات الخاصة بعمق البحث والدراسة فى هذه العلوم الدينية والإنسانية والاجتماعية، حتى يمتلك الباحث القدرة على سبر أغوار المشكلات العملية فى مجال

الإعلام الإسلامى ودراستها، والخروج بنتائج أو دلالات تتميز بالأصالة والجدة فى نفس الوقت وتثرى المعرفة العامة والمتخصصة فى هذا المجال .

٤ - المطابقة أو المشابهة بين المصطلحات والمفاهيم الحديثة، ومصادرها فى القرآن الكريم والحديث الشريف :

ولعل هذه السمة من السمات التى اهتمت بها العديد من الكتابات فى هذا المجال، باعتبارها مدخلا لتأكيد سبق القرآن الكريم والحديث الشريف فى استخدام هذه المصطلحات، مثل مفهوم الخبر والأخبار ومايقابله فى الآيات القرآنية مثل النبأ وتعدد الآيات التى ذكرت ذلك(١١) . أو تأكيد المعانى الاتصالية فى نزول القرآن وتحديد العناصر الخاصة بنشر الدعوة، وكذلك مفهوم الدعاية فى صدر الإسلام وما يقابلها فى العصور الحديثة ... إلى آخره .

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المجال ما هى القيمة التى يمكن أن تضاف إلى الدين الإسلامى الحنيف بتقرير سبقه إلى استخدام هذه المصطلحات .

إن المحاذير التى ترتبط بهذه المحاولات متعددة، منها على سبيل المثال .

- إن تأكيد وجود هذه المصطلحات فى القرآن الكريم والحديث الشريف، يعنى غياب غيرها فيه. وهذا يمكن أن يؤخذ على الدين الإسلامى ولا يضيف إليه .

- تشويه المصطلحات المستخدمة فى العصر الحديث، مثل مفهوم الدعاية propaganda والتى ارتبطت بالجهود التى تستهدف التأثير فى أفكار الغير بأى الوسائل، واستخدامها فى المجالات السياسية التى شوهت المصطلح وربطته بالأعمال غير المشروعة أكثر من المشروعة، وكذلك مفهوم العلاقات العامة Public Relations وربطه بالمصالح المادية، وما يمكن أن يؤثر على صورة المصطلح وتطبيقاته فى المجتمع المسلم .

- تأكيد تخلف العالم الإسلامى فى هذا المجال، حيث لم ينتبه إلى الإعجاز القرآنى إلا من خلال منبهات قدمها الغرب بعد أربعة عشر قرنا من الزمان .

الاقتراب الحذر لكثير من الباحثين إلى هذه المفاهيم وتطبيقاتها المعاصرة، عند ربطها بمصادرها بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وذلك نظرا للتشويه والتحريف الذى يصيبها فى مجالات الممارسة العملية. ويؤدى إلى التشكيك فى قيمتها العلمية .

والحديث فى هذا المجال يطول عندما يتم الخلط بين الممارسة المهنية وما يتطلبه من مهارات شخصية ورؤيا ذاتية تضعها فى مجال الفنون بأنواعها، مثل الكتابة الصحفية ومقدمات وعناوين الأخبار ومحاولة استلهامها من السياق القرآنى الكريم الذى تظهر قدرته وعظمته فى

عرض الحقائق الكونية بالدرجة الأولى دون النزول إلى مستوى مهارات البشر التى تحتمل الاتفاق أو الاختلاف .

بل إن الباحث قد يؤكد تقدم الغرب فى ذلك عندما يؤكد بعض المعانى والأفكار التى ساقها الباحثون والخبراء فى مجالات الاتصال من قبل، من خلال آيات القرآن الكريم . مثل تقرير خصائص الصدق والموضوعية فى كتابة الأخبار أو الأنباء ، وهى أمور لم يغفلها الفكر الغربى على سبيل المثال فى تأكيد خصائص الأخبار وسماتها فى الممارسة المهنية. على سبيل المثال.

إن هذه الجهود تثير الحاجة إلى توجيهها نحو بناء النظم بالدرجة الأولى و التى تتمثل فى قيام الفكرة والمبدأ ، والتنظيم وعلاقاته والاتفاق على المصطلحات والمفاهيم التى تتفق وطبيعة المجتمع الإسلامى، وكذلك الاجتهاد فى وضع الأسس والقواعد والضوابط التى تنظم الممارسة والسلوك فى إطار التعاليم الدينية الصحيحة. والتى تعتبر مدخلا للعديد من البحوث العلمية، التى يمكن توجيه نتائجها فى دعم نظام متكامل للإعلام فى المجتمعات المسلمة، بما يتفق مع الأطر المعاصرة التى لا يمكن تجاهلها ، مثل تأثير التبادل الثقافى، وتأثيرالتقنيات المتقدمة فى مجال الإعلام ووسائله .

٥ - عدم كفاية المناهج الحالية فى دراسة الإعلام الإسلامى :

وعلى الرغم من تعدد المناهج وأدوات البحث العلمى المستخدمة فى العلوم الاجتماعية والإنسانية، إلا أنه لا يمكن التقرير بقابليتها للتطبيق فى دراسة الإعلام الإسلامى وعناصره. وعلى سبيل المثال فإن تحليل المحتوى content analysis على الرغم من انتشاره وتطبيقه فى دراسة المحتوى الإعلامى. إلا أنه لا يصلح فى دراسة الخطاب الإسلامى الذى يعتمد على التواصل فى تقديم الفكرة والإقناع بها بينما يعتمد تحليل المحتوى مثلا على التجزئ والتشريح للمعالم الخاصة بالمحتوى وخصائصه للخروج باستدلالات عن بنائه وعلاقاته .

وكذلك أسلوب العينات Sanaples فى دراسة وثائق المحتوى، أو مفردات المتلقين، حيث لا يمكن أن تعطى صورة صادقة لعمق الفكرة وعرضها ، أو عمق الإيمان لدى الأفراد الذى يمثل السمة الأساسية فى الفرد المسلم أحد عناصر العملية الإعلامية فى المجتمعات الإسلامية .

بالإضافة إلى تعارض مبدأ التجربة فى البحوث التجريبية expremental مع القيمة التى اختص الله الإنسان بها - " لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم " الآية (٤) سورة التين - وما يمكن أن يتعرض له من تأثير على قيمه ومبادئه لأغراض التجربة على سبيل المثال .

وهذا ما يدعو إلى ضرورة تضافرالجهود لتكييف المناهج الحالية أو استحداث مناهج وأدوات بحثية جديدة تتفق وخصائص العلم - الإعلام الإسلامى - الذى يتفق أيضا مع تعاليم

الدين الإسلامى وتطبيقاته فى المجتمعات المسلمة .

٦ - تأثير المناهج الدراسية على تطور البحث العلمى فى هذا المجال :

وإذا ما استثنينا قسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر الذى يقبل طلابا من خريجى الثانوية الأزهرية، والذين اكتسبوا قدرا كبيرا من المعرفة فى العلوم الدينية . فإننا نجد هذا التأثير فى الأقسام الأخرى فى العالم العربى التى تقبل طلاب الثانوية العامة فى صفوفها، ثم تقدم له نفس عدد الساعات الدراسية التى تقدمها أقسام الإعلام فى غير الجامعات الإسلامية . وتقسم عدد هذه الساعات بين المتطلبات الخاصة بالعلوم الدينية، والمتطلبات الخاصة بعلوم الاتصال والإعلام. وعلى سبيل المثال فإن الطالب فى قسم الإعلام الإسلامى بكلية الدعوة جامعة أم القرى يدرس نفس عدد الساعات التى يدرسها الطالب بقسم الإعلام بجامعة الرياض أو جامعة الملك عبد العزيز ، فى الوقت الذى تمثل العلوم الدينية فى الأولى ٣٦ ٪ وعلوم الاتصال والإعلام ٣٦ ٪، بينما يدرس الطالب أكثر من ٧٥ ٪ من الساعات الدراسية فى علوم الاتصال والإعلام فى الجامعات الأخرى(١٢) .

وتكون النتيجة أن خريج أقسام الإعلام الإسلامى لا يصل بمستواه إلى مستوى الطالب فى الأقسام الأخرى . ولا يصل أيضا إلى مستوى طالب أقسام الدعوة، وتكون النتيجة هبوط المستوى فى هذا وذاك . وبالتالى لا يمتلك القدرات المطلوبة للممارسة العملية أو البحث العلمى. فيؤثر ذلك على تطور البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى الذى يجب أن يقوم على جهود خريجى أقسام الإعلام الإسلامى بالدرجة الأولى دون غيرهم .

وهذا ما يدعو إلى إعادة النظر فى المناهج الدراسية ومتطلباتها فى أقسام الإعلام الإسلامى فى الجامعات العربية، والاهتمام بإنشاء دراسات عليا فى الإعلام الإسلامى يكون طلابها من خريجى كليات العلوم الدينية وأقسامها فنطمئن بذلك إلى القدرات والمهارات الخاصة بالبحث العلمى نظرا لاكتساب الخريجين القدر المقبول من العلوم الدينية وعلوم الاتصال والإعلام، التى تساعده على دراسة الإعلام الإسلامى وتطبيقاته وبحوثه دراسة متكاملة .

وظائف البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى :

يرتبط بجدة المفهوم وحداثة تطبيقاته النسبية، ضرورة البحث عن الوظائف التى يمكن أن يقوم بها البحث العلمى فى هذا المجال، خارج دائرة الوظائف والأهداف التقليدية للبحث العلمى بصفة عامة - التى تتلخص فى التفسير والتعميم والتنبؤ - وذلك لطبيعة الأهداف المنتظرة من إقرار هذا المفهوم وتطبيقاته، والأخذ بأساليبه ووسائله لخدمة المجتمعات الإسلامية بصفة عامة، والدين الإسلامى بصفة خاصة .

ولذلك فإن البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى يجب أن تقترن أدواره ووظائفه – بداية – بطبيعة الأهداف العامة للإعلام الإسلامى فى المجتمع، وطبيعة هذه المجتمعات ذاتها، ومراحل تطورها .

وإذا كان تجاوز إشكاليات البحث العلمى فى هذا المجال يعتبر مطلبا ضروريا، فإن تطوير البحوث الإعلامية يمكن أن تقوم بدور رئيسى فى هذا المجال عند توجيهها لخدمة هذا الهدف العام. بحيث يمكن أن ترسى مناخا علميا سليما لحركة البحث والدراسة التى ترتقى بالمفهوم وتطبيقاته .

وبجانب ذلك فإن طبيعة المفهوم وجدته، وطبيعة المجتمعات الإسلامية ودرجة نموها، يمكن أن يشير إلى أدوار عديدة للبحث العلمى فى هذا المجال يتصدرها الآتى : –

١ – توفير قاعدة معرفية واسعة، يمكن أن توجه الباحثين إلى الظاهرات البحثية، واتجاهات البحث فيها، وطبيعة المناهج والأدوات التى تتفق مع طبيعة الإعلام الإسلامى وأهدافه . وإذا كان عدم الاتفاق على المفاهيم والمصطلحات يؤدى إلى غموض البيانات الخاصة بها، فإن هذا المجال من جانب آخر، نجده يفتقد فى التأصيل النظرى والممارسة العملية إلى قدر كبير من المعرفة الخاصة بالأصول النظرية ونتائج الممارسة العملية .

وحتى مع التسليم بوجود عدد محدود من البحوث الميدانية والتطبقية، فإنها لم تستطع أن تتجاوز وصف الواقع الراهن، الذى يتسم بالدرجة الأولى بعدم كفاية البيانات والمعلومات المتاحة، بل أكثر من ذلك عدم وجود القواعد المعرفية التى يمكن أن تكون مصدرا لهذه البيانات والمعلومات، التى تعتبر المنهل الأساسى للبحث العلمى بصفة عامة .

وتقسيم البيانات المستهدفة فى هذا الإطار يمكن أن يرتبط بطبيعة النموذج الخاص بالإعلام الإسلامى، والذى يشمل البيئة والمجتمع الذى يعمل فيه، وخصائصه وسماته الاجتماعية والثقافية التى تميزه عن غيره من المجتمعات . وكذلك النظم السائدة فى هذه المجتمعات التى يمكن أن تؤثر وتتأثر بحركة عملية الإعلام الإسلامى، مثل النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتى يتأثر بها بناء النظام الإعلامى العام ، أو الإعلام الإسلامى بصفة خاصة .

بالإضافة إلى البيانات والمعلومات الخاصة بعناصر القائمين بالإعلام ومهاراتهم وثقافاتهم واتجاهاتهم والتغير فى هذه الاتجاهات أو الثقافات . وكذلك خصائص جمهور المتلقين المستهدف بالعمل الإعلامى الإسلامى، الخصائص العامة والسكانية، وكذلك الخصائص الاجتماعية والثقافية، التى تقوم بدور كبير فى دعم الاتصال وتحقيق أهدافه، من خلال تأثيراتها فى الإطار

معرفى والإدراكى لهذا الجمهور .

ولذلك فإن البحوث التى تستهدف جمع المعلومات أو البيانات عن هذه العناصر، التى تمثل الحد الأدنى لعناصر النموذج الإعلامى الإسلامى، تعتبر من خصائص البحوث فى المراحل الارتيادية أو المبكرة للعلوم بصفة عامة . التى يجب أن تستهدف مبدئيا توفير قاعدة معرفية لإطار حركة العلم وتطبيقاته فى المجتمع .

٢ – الكشف عن الظاهرات العلمية فى مجال الإعلام الإسلامى، بوصفه نموذجا حديث التطبيق فى المجتمعات الإسلامية، وبوصفه أيضا نظاما من نظم هذه المجتمعات .

ولعل أبرز هذه الظاهرات قبول أو عدم قبول النظام والصعوبات التى تعترض تطبيقه فى المجتمع، أو تعميمه على المجتمعات الإسلامية، وظاهرة الإقبال أو العزوف عن التعرض إلى مفردات الإعلام الإسلامى وأسبابه ومشكلاته . ويدخل فى هذا الإطار التأثيرات الخاصة بالنظم السائدة فى المجتمعات الإسلامية وعلاقاتها بالفكرة أو المبدأ أو المفهوم . باعتبار هذه الدراسات مدخلا لتهيئة المناخ الاجتماعى للتطبيق والتعميم .

٣ – الكشف عن الأنساق الاتصالية فى المجتمع، واتجاهاتها، وأنماطها، ووصف هذه الأنساق والاتجاهات والأنماط . بحيث يمكن رسم خريطة الاتصال فى المجتمع، وتحديد موقع الاتصال الجماهيرى ووسائله وتأثيراته .

وفى هذا المجال لا يمكن أن نغفل دور بحوث علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعى فى المشاركة فى هذا الهدف. والتى يمكن أن تعتبر نتائجها مصدرا هاما من مصادر البيانات والمعلومات فى هذا المجال .

والأدوار الثلاثة السابقة تمثل مطلبا هاما فى رسم السياسات والتخطيط للإعلام الإسلامى، بناء على أسس علمية سليمة، تساعد على وضع عناصر النموذج الإعلامى فى موقعه الصحيح فى علاقتها ببعضها، وعلاقتها بالبناء الكلى للنموذج لتدفع حركته فى اتجاه تحقيق الأهداف المرسومة له فى المجتمعات المسلمة .

٤ – رصد التجارب والممارسات السابقة فى هذا المجال وتوصيفها و تقويمها، سواء فى المجتمع نفسه أو المجتمعات المشابهة . وتأصيل هذه النتائج ومهارات الممارسة وربطها بالنظريات والأفكار القائمة فى العلوم الدينية والعلوم الإنسانية والاجتماعية . بحيث تعتبر نهجا علميا سليما يسير عليه الإنسان المسلم معتمدا على الحقائق الإيمانية والعلمية فى تخطيط العمل الإعلامى وتقويم نتائجه .

بجانب التوثيق العلمى للمهارات والتجارب السابقة، وتصنيفها فى اتجاه من اتجاهات المعرفة

الإعلامية بأشكالها وفنونها . وذلك بعد مرور هذه المهارات والممارسات بمراحل الاختبار المختلفة التى تثبت صلاحيتها للتوثيق والتأهيل العلمى . وقبولها باعتبارها أنماطا للممارسة تقدم للدارسين أو الباحثين فى هذا المجال . وتعتبر التجارب السابقة تراثا لا يمكن إغفاله بأى دعوى . بل إن الاتجاه الصحيح فى هذه الحالة هو تناولها بالتقويم للاستفادة من إيجابياتها وتجاوز سلبياتها . خاصة وأن الإعلام الإسلامى مازال فى المرحلة الارتيادية التى تفرض الاستفادة من التجارب والدراسات السابقة .

ولعل الاتجاه إلى اعتبار الإعلام الإسلامى نمطا متخصصا من أنماط الإعلام العام(١٣) ، يدعو إلى الأخذ بالمبادئ والأسس العامة وتكييفها بما يتفق مع طبيعة التخصص واتجاهاته وأهدافه .

ويدخل فى مجال رصد التجارب والممارسات السابقة، الدراسات الفرعية الخاصة بحركة عناصر النموذج الإعلامى الإسلامى خلال هذه التجارب والممارسات السابقة وهى على سبيل المثال لا الحصر .

– رصد الأهداف الخاصة بالإعلام الإسلامى وسياساته فى المجتمعات ، أو المجتمع وتقويمها فى إطار الأهداف العامة للمجتمع، التى ترتبط بطبيعة النظام الاجتماعى الكلى أو النظم الفرعية السائدة .

– رصد اتجاهات الممارسة للقائمين بالإعلام فى هذا المجال، وتقويمها فى إطار الأسس العلمية والفنية السائدة، واتفاقها أو اختلافها مع الأسس والمعايير التى تؤكدها التعاليم الدينية، والنظريات العلمية القائمة فى مجالات العلوم المختلفة ذات العلاقة بالإعلام الإسلامى .

– وصف المواد الإعلامية الإسلامية المنشورة أو المذاعة فى الوسائل الإعلامية العامة أو المتخصصة، وتقويم علاقاتها بالأهداف أو السياسات أو عناصر النموذج الإعلامى .

– وصف استجابات جمهور المتلقين للأفكار والموضوعات المنشورة أو المذاعة وقياس الأثر التراكمى للخطط والسياسات الإعلامية الإسلامية فى المجتمع . وتقرير العلاقات بين هذه الاستجابات والآثار ودرجاتها . وبين خصائص وسمات جمهور المتلقين.

– تقويم الخطط والسياسات والبرامج الإعلامية الإسلامية فى إطار ماتكشف عنه الدراسات الخاصة بالعناصر السابقة فى علاقتها ببعضها .

٥ – تأصيل الأدوار التى يمكن أن يقوم بها الإعلام الإسلامى فى المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية . بالإضافة إلى الدور الرئيسى فى نشر الدعوة الإسلامية وتعميق الإيمان بالإسلام وتعاليمه، ودعم السلوك الإسلامى القويم .

فالمجتمعات الإسلامية فى مجموعها تنتمى إلى مجموعة الدول النامية، أو الآخذة فى النمو،

ويعتبر الإعلام أداة من أدوات التغيير فى هذه المجتمعات سواء بأدواره المستغلة فى هذا المجال. أو بأدواره المتعاونة مع غيره من الأدوات الأخرى فى مجالات التنمية المختلفة، مثل الاقتصاد والسياسة والتعليم والثقافة ... إلى آخره .

وإذا كان الإعلام يقوم بدوره فى دعم القيم والاتجاهات السائدة فى المجتمعات أكثر من قيامه فى المساعدة على التغيير أو التغيير . فإن المجتمعات الإسلامية تتميز باعتمادها الراسخ على تعاليم الدين الإسلامى الحنيف وقيمه ومبادئه، التى يتمسك بها الإنسان المسلم فى تنظيم حياته وتوجيه سلوكه. ولذلك فإن استلهام هذه القيم والمبادئ ودعمها يعتبر الإطار العام فى توجيه حركة التنمية فى المجتمعات الإسلامية. والتى يمكن أن تسير فى اتجاهين أساسيين :

الأول : بناء الإنسان المسلم الواعى بحقائق دينه وتعاليمه ونظمه.

الثانى : تنظيم السلوك الإنسانى بما يتفق مع هذه الحقائق، وأهداف التنمية فيجد الإنسان المسلم فى هذه الحقائق سندا للسلوك السليم الذى يحقق أهداف التنمية فى المجتمع. وذلك فى إطار علاقته مع الغير، ومع المجتمع وأهدافه .

والاتجاهان يعتبران أساس عملية التنمية فى المجتمعات فى مجالاتها المختلفة .

ويقوم البحث العلمى فى هذا المجال بتحديد الأهداف، وتوجيه حركة الباحثين إلى دراسة الظاهرات والمشكلات المرتبطة بهذه الأهداف. ابتداء من توفير المعلومات والبيانات، إلى رصد حركة الظاهرات العلمية، وتفسيرها فى إطار الأهداف العامة للمجتمع المسلم النامى .

ويرتبط هذا الدور الوظيفى بالدور السابق الخاص برصد التجارب والممارسات السابقة وتوصيفها، حيث لا يتم نقل هذه التجارب دون اختبارها فى علاقتها بخصائص المجتمعات التى تمت فيها من خلال البحوث العلمية ومناهجها وأدواتها لتقرير الحقائق العلمية التى يمكن الأخذ بها، وتلك التى يمكن تجنبها أو أغفالها .

ويتأكد دور البحث العلمى فى هذا المجال فى تحديد المداخل المختلفة للإقناع والتأثير وتوجيه السلوك بما يتفق وخصائص المجتمعات وخصائص جمهور المتلقين. حيث أن الأمر فى الإطار العلمى – يتجاوز حدود النشر أو الإذاعة المجردة، ولكن الأمر يجب أن يكون بناء على تخطيط واع بالأسس الاجتماعية والنفسية للتأثير والإقناع فى إطار حركة الاتصال فى المجتمع. وهذه الأسس الاجتماعية والنفسية ومايرتبط بها من اتجاهات متعددة لاختيار الاستمالات والرموز الاتصالية، يتم تحديدها والكشف عنها واختبارها من خلال البحوث العلمية فى مجال الإعلام الإسلامى الذى يتسم بخصائصه وسماته المتميزة .

ونشير فى هذا المجال إلى أن هدف البحث العلمى فى مجال التنمية ليس تحديد الأدوار – أو الأهداف التنموية التى يقوم بها الإعلام الإسلامى مستقلا أو متعاونا مع أوجه النشاط الأخرى فى المجتمع. ولكن الهدف من البحث العلمى يتمثل أساسا فى تحديد أسس وعوامل نجاح الإعلام الإسلامى فى قيامه بهذه الأدوار . الذى يجب أن يقوم على الدراسات العلمية المسبقة لخصائص المجتمعات وخصائص المتلقين، واختيار الرموز الاتصالية، وتخطيط النشر أو الإذاعة .... إلى آخره . التى تعتبر أساسا لتخطيط الحملات الإعلامية، وضمانا لنجاحها فى تحقيق أهدافها .

٦ – ويضاف إلى الوظائف المذكورة، وظيفة اختبار مناهج وأدوات وأساليب البحث العلمى ووسائل جمع البيانات، وتقرير صلاحيتها للتعامل مع الظاهرات العلمية فى مجال الإعلام الإسلامى بوصفه مجالا علميا ينفرد بعدد من الخصائص والسمات التى تميزه عن الإعلام العام فى إطاره العلمى، أو فى إطار الممارسة المهنية. وقد سبق أن أوضحنا أن بعضا من المناهج والأدوات البحثية لا يمكن توظيفها بوضعها الراهن، دون النظر إليها من خلال طبيعة عملية الإعلام الإسلامى وخصوصية الخطاب الإسلامى، مثل تحليل محتوى مفردات النشر والإذاعة على سبيل المثال. كما أن دقة البحث وصدق الاستدلال تعتبر من العوامل التى يجب أن تتوفر فى الإجراءات المنهجية، دون اعتماد على إجراءات خاصة لتقريرها . مما يستدعى تطوير هذه الأدوات لتصبح ضمن الإجراءات الجبرية للمنهج العلمى، الذى يضمن دقة وصدق تعامل الباحثين مع الظاهرات العلمية وحقائقها، خاصة إذا ما تعرض الفرد إلى الحقائق الإيمانية، والنصوص القرآنية، التى لا تحتمل انتظارا للتأكد من صدق العمل أو ثبات إجراءاته ونتائجه.

كما أن اتجاهات التفسير لنصوص القرآن والحديث الشريف بين العلماء، تتطلب من الباحثين اقترابا حذرا إلى هذه المواقع. حتى لا يتم الخلط بين اتجاهات التفسير واجتهادات العلماء فى هذا الشأن خلال العصور المختلفة، واجتهادات الباحثين الذين قد لايكونون ارتفعوا إلى امتلاك القدرة العلمية على الاختيار والترجيح فى هذا المجال بشكل يوجه نتائج البحوث والدراسات العلمية منحى معينا يتفق مع اتجاه من اتجاهات التفسير. مما يؤدى إلى تحيز البحث والباحث فى دراسته فتؤثر فى الاعتماد على النتائج وتعميمها فى المجال العلمى للإعلام الإسلامى .

ولذلك تعتبر وظيفة اختبار مناهج وأدوات البحث العلمى وتقرير صلاحيتها للتطبيق فى البحث العلمى للإعلام الإسلامى مطلبا أوليا، للوصول بعد ذلك إلى اتفاق حول المناهج والأدوات الأكثر ملاءمة للتطبيق فى هذا المجال، أو اقتراح واستثارة مناهج وأدوات بحثية جديدة، أو تطويع المناهج والأدوات الحالية لتتفق وخصوصية البحث العلمى فى مجال الإعلام

الإسلامى وأهدافه .

اتجاهات البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى :

وبناء على الأدوار والوظائف السابقة للبحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى وهى ليست على سبيل الحصر - يمكننا أن نحدد عددا من الاتجاهات للبحث العلمى، توجه الباحثين إلى دراسة الظاهرات الخاصة بالإعلام الإسلامى فى اتجاه منها .

وهذه الاتجاهات - أو مداخل البحث العلمى - تمثل الخيارات المطروحة أمام الباحثين لدراسة المشكلات أو الظاهرات العلمية، وتجيب على السؤال الذى يطرحه الباحث منذ البداية، وهو . ماذا يدرس .. ؟

والإجابة على هذا السؤال لاتحددها الاتجاهات العلمية والفكرية للباحث بالدرجة الأولى، ولكن يضاف إلى ذلك أيضا حاجة مجال الإعلام الإسلامى إلى طرق أبواب جديدة للبحث والدراسة تفيد فى إثراء المعرفة العلمية ومناهجها فى هذا المجال . والتى تعتبر الوظيفة الأولى للبحث العلمى بصفة عامة .

ويحدد اتجاهات البحث الاتفاق أولا على عدد من الحقائق . وهى : -

١ - إنه لا يجب أن ينظر إلى الإعلام الإسلامى فى حدود الوظيفة المحدودة التى ارتبطت بالعديد من التعريفات، وهى نشر الدعوة الإسلامية وتعميق الإيمان بالعقيدة الدينية فقط، ولكن يجب النظر إليه فى إطار منظور أوسع من البدائل التى تؤدى إلى نفس الهدف من خلال بناء الإنسان المسلم وتقرير سلوكه القويم فى علاقته بالمجتمع .

ولذلك يجب أن ينظر إلى الإعلام الإسلامى على أنه عملية اجتماعية متفاعلة ومستمرة، قبلها المجتمع لتحقيق حاجات اجتماعية وفردية فى إطار تعاليم الدين الإسلامى الحنيف ومبادئه .

٢ - إن هذه العملية هى عملية ديناميكية دافعة تعمل بتأثير حركة عناصرها، وتأثير العناصر الأخرى فى المجتمع، التى تتأثر بها أيضا .

وفى إطار هذه الحقائق يمكن أن نحدد عددا من الاتجاهات العلمية للبحث والدراسة فى هذا المجال، توجه الباحثين إلى الحقائق المستهدفة من البحث العلمى (١٤) .

أولا : الاتجاه الوظيفى :

وهو الاتجاه الخاص بدراسة وظائف الإعلام الإسلامى - بوصفة عملية اجتماعية - فى المجتمع - فى إطار الوظائف التقليدية للإعلام من جانب، وما يستهدفه من وظائف ترتبط بأهداف الدعوة ونشر العقيدة الإسلامية من جانب آخر . ولا يقف الأمر بالبحث العلمى

عند رصد هذه الوظائف وتسجيلها، أو تطويع الوظائف التقليدية لتتفق مع طبيعة وحدود الدراسات الخاصة بالإعلام الإسلامى . ولكن يدخل فى هذا المجال أيضا .

– دراسة التوازن أو الاختلال فى تحقيق هذه الوظائف فى علاقتها ببعضها،أو فى علاقتها بالأهداف العامة أو السياسات العامة للإعلام الإسلامى .

– دراسة هذه الوظائف فى علاقتها بالحاجات الاجتماعية، والأدوار الخاصة بالإعلام الإسلامى فى المجتمعات الإسلامية تبعا لتطورها أو درجة نموها.

– دراسة هذه الوظائف فى علاقتها بالحاجات الفردية لجمهور المتلقين، المستهدف لعملية الإعلام الإسلامية .

وتعتبر عملية التقويم مطلبا هاما فى إطار هذا الاتجاه، لتقرير مدى إيجابية الإعلام الإسلامى وقيامه بدوره الوظيفى فى المجتمع .

ثانيا : الاتجاه الاجتماعى :

بجانب ما تفرضه الحقيقة الخاصة باعتبار الإعلام الإسلامى عملية اجتماعية، بجانب ما تفرضه هذه الحقيقة من ضرورة البحث فى الوظائف والأدوار الخاصة بالإعلام الإسلامى لتلبية الحاجات الاجتماعية والفردية. فإن هذه الحقيقة تفرض إيضا ضرورة الاتجاه إلى دراسة جمهور المتلقين بوصفهم أعضاء فى شبكات من الجماعات الأولية والثانوية التى تسهم فى بناء ثقافة المجتمع وتحديد اتجاهاته. ولذلك تعتبر دراسة الخصائص والسمات الاجتماعية لجمهور المتلقين مطلبا أيضا من مطالب الدراسة والبحث العلمى لاتفاقها مع مفهوم العملية الاجتماعية من جانب، واتفاقها مع الضرورات الخاصة ببناء الرسائل الاتصالية والإقناعية من جانب آخر .

وبالإضافة إلى ذلك تفرض حقيقة أخرى وجودها فى هذا المجال، وهى اعتبار الإعلام الإسلامى فى المجتمعات المسلمة نظاما اجتماعيا ذا بناءات وأفكار تتفق مع طبيعة هذه المجتمعات وعقيدتها. وبالتالى يتأثر هذا النظام ويؤثر فى النظم الاجتماعية الأخرى التى تدور فى إطار السياق الاجتماعى العام للمجتمع. مما يحتم دراسة محددات النظام الإعلامى فى المجتمعات الإسلامية المختلفة لأغراض الوصف والمقارنة . وكذلك دراسة هذا النظام فى علاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى .

ثالثا : اتجاه الممارسة المهنية :

يعتبر العنصر الإنسانى أساس البناء المادى فى المفهوم المؤسسى instintutional concept الذى يقوم بنشر الفكرة أو العقيدة أو الفلسفة الكامنة وراء قيام المؤسسات فى المجتمعات

المختلفة. وقيام الإعلام الإسلامى بوظائفه فى المجتمع يقتضى توافر العنصر الإنسانى الذى يقوم بتحقيق التواصل مع الآخرين فى العملية الإعلامية لتحقيق أهدافها . من خلال المهارات والممارسات المهنية المختلفة التى تتفق مع طبيعة الوسيلة الإعلامية .

وهذه الممارسات المهنية للقائمين بالإعلام بجانب أنها تتأثر بمستوى التعليم والتدريب، فإنها تتأثر أيضا بعوامل أخرى مضافة ذات علاقة بالمؤسسة الإعلامية مثل العوامل المادية والمعنوية التى تؤثر فى آراء هؤلاء الأفراد وعطائهم فى إطار العملية الإعلامية ولذلك فإن الإجابة على الأسئلة الخاصة بالقائم بالإعلام فى هذا المجال، وكيفية قيامه بدوره، والعوامل المؤثرة على قيامه بهذا الدور. تعتبر من الإجابات المستهدفة فى هذا الاتجاه ، سواء لأغراض الوصف أو المقارنة أو التقويم. وسواء كانت لدراسة هذه العناصر فى إطار العلاقات والتنظيم الداخلى للمؤسسات الإعلامية ، أو فى إطار العلاقات مع البيئة والمجتمع ككل .

تكامل اتجاهات البحث العلمى :

والتصنيف السابق لاتجاهات البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى، لا يعنى صياغة حدود مانعة بينها، ولكن لأغراض التعريف بهذه الاتجاهات وعناصر الدراسة فيها. ولكن التطبيق العملى فى البحث والدراسة يتطلب تكاملا بين هذه الاتجاهات وبعضها فى دراسة الظاهرة العلمية فى مجال الإعلام الإسلامى. التى تفرض طبيعة الدراسة، دراستها فى حالتها الديناميكية وعلاقاتها فى السياق الذى تعمل فيه لتحقيق الأهداف الكلية .

الخاتمة والتوصيات :

يعتبر البحث العلمى بصفة عامة هو الأداة العلمية لتأصيل الحقائق الخاصة بالعلوم وتفسير حركتها وعلاقاتها، تمهيدا لصياغة النظريات الخاصة بهذه العلوم التى تحدد هذه العلاقات تحديدا نهائيا يتم تعميمه فى مجالات الدراسة والتطبيق .

ولذلك تظهر ضرورة الاهتمام بالبحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى، بعد أن تزايد الاتجاه إلى تدريسه فى أقسام الإعلام بالمجتمعات الإسلامية باعتباره إطارا لعدد من العلوم التى تدخل فى دائرته، وتطبيقا لعدد من النظريات الخاصة. والتى تحتاج إلى تأصيل علمى للمعرفة العلمية الخاصة بهذا المجال .

ولذلك توصى هذه الدراسة بالآتى : -

١ - الاتفاق على محددات أساسية لتعريف الإعلام الإسلامى من خلال الاتجاهات المتعددة للتعريف، والجمع بينها فى تعريف شامل. يحدد إطار المعرفة العلمية، واتجاهات البحث العلمى

وأدواته فى هذا الإطار .

٢ – الاتجاه إلى التوسع فى البحوث التطبيقية التى تستهدف المعرفة المضافة إلى هذا المجال، وتأصيل الحقائق العلمية فى هذا المجال، وردها إلى المعايير والأسس العلمية السائدة فى مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، بالإضافة إلى العلوم الدينية المنهل الأساسى لها .

٣ – دعم حركة البحث العلمى وتنشيطها، فى هذا المجال. باعتباره هدفا من أهداف المؤسسات العلمية والمهنية فى مجالات الإعلام الإسلامى . لتأكيد دوره الوظيفى فى المجتمع المسلم .

٤ – الدراسة المتعمقة لمناهج البحث العلمى وأدواته. لتقرير صلاحيتها للتطبيق فى مجال دراسات الإعلام الإسلامى، واستثارة الحافز إلى استحداث مناهج وأدوات جديدة تتفق مع طبيعة هذا المجال وخصائصه .

وهذه التوصيات فى مجموعها تعتبر مطلبا ضروريا للنهوض بالعلم، والارتقاء بالمعرفة العلمية فى هذا المجال وتطبيقاتها .

والله الموفق

هوامش الدراسة

(١) محمد عبدالقادر حاتم : الإعلام فى القرآن الكريم، القاهرة : مطابع الأهرام التجارية ١٩٨٥ ص ١٩٥ – ١٩٨ .

(٢) عمارة نجيب : الإعلام فى ضوء الإسلام، الرياض : مكتبة المعارف ١٩٨٠ ص ١٧ .

(٣) إبراهيم إمام : أصول الإعلام الإسلامى، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٨٥ ص ١٤ .

(٤) محيى الدين عبدالحليم : الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية، القاهرة : مكتبة الخانجى ١٩٨٠ ص١٤٠ .

(٥) منير حجاب : مبادئ الإعلام الإسلامى، الإسكندرية : المطبعة العصرية ١٩٨٢ ص١٣٥ .

(٦) عبداللطيف حمزة : الإعلام فى صدر الإسلام ط٢، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٧٨، ١٠٦–١٠٨ .

(٧) إبراهيم إمام : الإعلام الإسلامى – المرحلة الشفهية، القاهرة : الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ص٤٨ .

(٨) عبدالوهاب كحيل : الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامى، الرياض: عالم الكتب – مكتبة القدس ١٩٨٥ ص٢٩ .

(٩) يعتبر قسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر من أول الأقسام التى أنشأت لهذا الغرض فى العالم الإسلامى وتم القبول به اعتبارا من عام ١٩٧٦، وبالتالى لم يزد عمر أقدم هذه الأقسام عن ستة عشر عاما .

(١٠) على سبيل المثال لم تزد عدد الرسائل المسجلة فى الماجستير والدكتوراه بقسم الصحافة كلية الإعلام – جامعة القاهرة، والتى تتعرض لموضوعات الإعلام الإسلامى أو عناصره وبصفة خاصة المحتوى أو المضمون، لم تزد عن ٦٪ من مجموع الرسائل المسجلة حتى تاريخ إعداد هذا البحث .

(١١) راجع بالتفصيل :

– سيد محمد ساداتى : أصول الإعلام الإسلامى وأسسه، الرياض : دار عالم الكتب ١٤٠٦ .

– محمد فريد عزت : دراسات فى فن التحرير الصحفى فى ضوء معالم قرآنية جدة : دار الشروق١٩٨٤ .

(١٢) لائحة الدراسة بأقسام الإعلام بكل من جامعات أم القرى، والرياض، وجامعة الملك عبدالعزيز.

(١٣) يرى الدكتور/ محمد سيد محمد أن الأصل فى الإعلام الإسلامى أنه الإعلام العام غير المتخصص لمجتمع مسلم أو دولة مسلمة أو حكومة مسلمة .. ولكن الواقع المعاصر لمجتماعتنا الإسلامية يحتم علينا القول بأن الإعلام الإسلامى فى ظروفنا المعاصرة هو صورة من صور الإعلام المتخصص وهو الإعلام الدينى،

راجـــع :

محمد سيد محمد : المسئولية الإعلامية فى الإسلام، القاهرة : مكتبة الخانجى ١٩٨٣، ص٣٦

(١٤) للاستزادة فى موضوع المداخل الأساسية للبحث العلمى، راجع بالتفصيل :

محمد عبدالحميد :بحوث الصحافة، القاهرة : عالم الكتب ١٩٩٢ .ص ٢٩ – ٥٦ .

الباحـــــث

- عمل رئيسا لتحرير مجلة القوات المسلحة "النصر" خلال السبعينات .
- حصل على درجة الدكتوراه فى الإعلام من قسم الصحافة والنشر بكلية الإعلام - جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٩ .
- عمل عضوا بهيئة التدريس بقسم الإعلام بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبدالعزيز، بجدة خلال الثمانينات.
- له أكثر من خمسة عشر مؤلفا وبحثا علميا منشورا فى المجلات العلمية العربية .
- يقوم الآن بتدريس مواد الصحافة والإعلام - كأستاذ زائر - بكل من جامعتى القاهرة والأزهر وعدد آخر من الكليات والمعاهد العلمية فى مصر .

المحور الثانى
الإعلام الإسلامى وتحديات العصر

١- الإعلام الإسلامى فى عصر الفضاء	أ. د. محمد عبده يمانى
٢- الإعلام الإسلامى وتكنولوچيا الاتصال	د/ انشراح الشال - استاذ بإعلام القاهرة
٣- الإعلام الإسلامى والتبشير	أ. د/ أحمد سعد الدين البساطى - عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط - جامعة الأزهر- القاهرة
٤- الإعلام الإسلامى فى مواجهة الاستشراق	أ. د/ محمود حمدى زقزوق- عميد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر- القاهرة
٥- نشر الدعوة الإسلامية وتكنولوچيا الاتصال	مهندس نبيل عباس- وكيل وزارة الإعلام ورئيس الإدارة المركزية للتدريب الهندسى باتحاد الإذاعة والتليفزيون
٦- الإطار الشرعى للنشاط الإعلامى	أ. د/ جعفر عبدالسلام - رئيس قسم القانون بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر
٧- مشكلات الصحافة الإسلامية	أ/ عبد اللطيف فايد - رئيس القسم الدينى بجريدة الجمهورية
٨-الصحافة الإسلامية بين العمومية والتخصص «تجارب من الواقع»	

الإعلام الإسلامى فى عصر الفضاء

أ.د محمد عبده يمانى

إن عنوان حديثى إليكم اليوم هو الإعلام والناشئة فى عصر الفضاء، أى أجيالنا الجديدة التى تعيش الآن ، والتى ستنشأ فى ظل هذا التطور الكبير فى وسائل الإعلام المختلفة المكتوبة والمسموعة والمرئية، وأثر هذا الإعلام فى نفوسهم وفى تشكيل وجدانهم وعقائدهم ومثلهم العليا .

ولا شك أن هذه القضية تعد من أخطر القضايا وأهمها فى حياة أبنائنا وأجيالنا الجديدة، وأن لم تكن أهمها على الإطلاق، فلا يخفى على كل حصيف الأثر الهائل لوسائل الإعلام فى توجيه الأمم والشعوب إلى الوجهة المرغوبة والمطلوبة، لذا سعت المجتمعات المتقدمة إلى التطوير المستمر لوسائل الإعلام المختلفة والهيمنة عليها لتكون فى خدمة مصالحها وتحقيق أهدافها، واتخذت هذه الهيمنة أساليب ووسائل مختلفة تؤدى إلى تحقيق الهدف، فنجد أن شبكات الاتصال العالمية تتمركز فى الدول المتقدمة والاشتراك والانتساب لها يقتضى رسوما وتكاليف باهضة ليست فى متناول الدول النامية ويعجز معظمها عن الوفاء بها، مما يشجع استمرار قبضة البلدان الغنية على خناق تدفق المعلومات، فعلى سبيل المثال إن تكلفة الإرسال عبر مسافة معينة بين نقطتين داخل البلاد النامية أكثر من تكلفة الإرسال لنفس المسافة فى البلاد المتقدمة، بل إن تكلفة نقل الرسالة من بلد متقدم إلى بلد نام أكبر من قيمتها إذا نقلت فى الاتجاه المضاد مما يحافظ على اتجاه تدفق المعلومات التى تتحكم فيها مجموعة من وكالات الأنباء العالمية الكبرى عن طريق التحكم فى قنوات الإرسال والهيمنة على الحركة الإعلامية .

ومع بدء الاستخدام المكثف للأقمار الصناعية حاول المجتمع الدولى فى مؤتمر جنيف عام ١٩٧٧م وضع المقومات الرئيسية لمنع الاستخدام غير الرشيد للتوابع الصناعية، ومع ذلك فما زال الاستخدام الفوضوى للفضاء الخارجى مستمرا مما يزيد من عملية اختلال التوازن الإعلامى بين الدول المتقدمة والدول النامية، وفى ظل هذه الهيمنة الإعلامية نجد أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية قد فشلت حتى الآن فى وضع سياسة إعلامية وثقافية عربية إسلامية تترجم هويتنا الثقافية ومعطياتنا الحضارية وتوجهاتنا التربوية على أسس من عقيدتنا وقيمنا وآمالنا فى مواجهة هذه الهيمنة. وهكذا فشلنا فى أن نحدد موقفنا من العالم الذى أصبح يؤثر فينا، وكان المفروض أن نؤثر نحن فيه بسمو عقائدنا ونبل أهدافنا .

إن الواقع العربى والإسلامى من الناحية الإعلامية الآن يعد أمرا يدعو للأسف، فنحن نعتمد على وكالات الأنباء العالمية فى نقل المعلومات بين أجزاء وطننا العربى والإسلامى، ونقبل تعريفاتهم وتصنيفاتهم وننقلها حرفيا دون تبصر، ولم ننجح حتى الآن فى صناعة الرجال القادرين على الأداء الإعلامى الصحيح والمتطور، لقد أقبلنا على شراء التكنولوجيا، ولم نسع إلى تعلمها، فكان موقفنا من التقدم التكنولوجى الإعلامى موقف الزبائن، بينما وقف غيرنا

كاليابانيين من هذا التقدم موقف التلاميذ، فتقدموا وتطوروا، ونافسوا، وفرضوا إنتاجهم وحافظوا على تراثهم وتقاليدهم فى إعلامهم، بينما نحن نراوح مكاننا واستمر إعلامنا العربى الإسلامى فى الوقوع فى الأخطاء نفسها وممارسة دور يبعد عن الواقع وحركة الأشياء بمسافات بعيدة، واتسم تعاملنا فيما بيننا بالانفعال والضوضاء وممارسة دور الرقابة والمنع، فأسأنا إلى أنفسنا أكثر مما أساء لنا الآخرون، فما أن تنشأ خصومة أو خلاف بين دولتين عربيتين أو إسلاميتين، حتى ننتقل فجأة من تبادل القبلات والعناقات وعبارات المديح والثناء إلى الشتائم والقذف والتعرية، بل وفى بعض الأحيان إلى الصدام المسلح، فكنا كالذى إذا خاصم فجر .

كذلك اتسم إعلامنا العربى بالإفراط فى الدعاية لأنفسنا، ففقد فى كثير من الأحيان مصداقيته، وبذلك فقدنا ثقة المجتمعات الإسلامية فى إعلامنا وأصبحت هذه المجتمعات تعتمد على المصادر الأجنبية فى الحصول على المعلومات، وتثق فيها إلى حد كبير .

وفقدان المصداقية فى إعلامنا العربى وغياب الحرية أضعف من قدرتنا على التأثير فى الناشئة، فدور الرقابة والمنع الآن أصبح دورا سلبيا يأتى بنتائج عكسية، فأبناؤنا حتى إذا منحناهم الحرية الكاملة لن يستطيعوا استخدامها لأنهم لن يحسنوا التعامل معها، وهذا ببساطة يرجع إلى أنهم لم يتعلموها أو يمارسوها ممارسة عملية، ففشل الناس فى تربية أولادهم وهكذا تلقفتهم أجهزة الإعلام الأجنبية وأصبحوا يأخذون عنها القدوة والمثل وهنا نصل إلى السؤال الهام وهو إلى أى مدى أصبح الإعلام يصوغ أخلاقياتنا ويؤثر فيها وفى تربية أجيالنا الجديدة ؟ قال أحد الأطباء الأمريكيين فى جامعة " كولومبيا " : " إذا صح أن السجن هو جامعة الجريمة، فان التليفزيون هو المدرسة الإعدادية لانحراف الشباب "، وهذا قول صحيح إلى درجة كبيرة فكثير من المجرمين تعلموا الجريمة من التليفزيون فقد أظهرت بعض الدراسات الجادة فى أسبانيا أن ٠/٠٣٩ من الشباب المنحرفين تلقوا معلوماتهم التى استخدموها فى تنفيذ جرائمهم من التليفزيون، وقد تطابقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج كثير من الدراسات التى أجريت فى العديد من بلدان العالم وأثبتت هذه الدراسات حقيقة مهمة هى أن غياب البديل السليم هو أهم العوامل المؤثرة فى اندفاع الشباب نحو أفلام الجنس والجريمة ونحو ذلك، فالشباب لا يبحث عن البرامج التافهة والخليعة إلا حينما يفقد البديل الصحيح، وأنه إذا تعود على هذه النوعية السيئة من البرامج يصبح من الصعب بعد ذلك تحويله عنها فقد ظهر حديثا ما يمكن تسميته بالإدمان التليفزيونى، وبدأ مجتمعنا العربى يتحول نحو هذا الإدمان إن صح التعبير، وخطورة هذا التحول هو عدم شعورنا بغياب البديل بالإضافة إلى أننا مقبلون على مرحلة تعميم البث التليفزيونى عبر الأقمار الصناعية الذى سيصبح عما قريب فى متناول الجميع ويشكل غزوا

جديدا لن تفلح الرقابة والمنع فى مواجهته ومقاومته وسوف تؤثر برامج هذا البث المتسمة بالعنف والجريمة والعقائد الفاسدة دون شك على نفسية أطفالنا وشخصياتهم من خلال تنشئة خاطئة ومفاهيم اجتماعية وسلوكية غريبة عن مجتمعنا، وسيكون هذا التأثير كبيرا عليهم خاصة فى مراحل الطفولة الأولى فالإنسان يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " كما قال المربى الأعظم والنبى الأكرم ﷺ .

إن تعرض عقول أطفالنا إلى سيل من مشاهد العنف والقسوة والإجرام بصورة مستمرة سوف يترك بصماته على سلوك أبنائنا سواء رضينا أو لم نرض، وقد يدفعهم إلى التصرفات غير المسؤولة والعدوانية، وهذا بدوره يقودنا إلى الحديث عن الإعلام ومفهوم الأمن فالأمن فى المجتمعات الحديثة لم يعد قضية بوليسية فى المقام الأول، ولكنه أصبح مفهوما سياسيا وثقافيا وإعلاميا وتربويا، وكل هذه المفاهيم مجتمعة أصبحت تشكل معنى الأمن والاستقرار السياسى والوعى الثقافى وسهولة تدفق المعلومات بحرية عبر وسائل الإعلام المختلفة أصبحت الإطار الحديث لمعنى الأمن .

إن الإعلام أصبح المظلة السياسية الواعية التى تحقق الأمن والسلام الاجتماعى ولم يعد أخبارا وتثقيفا وترفيها فحسب، وإنما تحول إلى أداة مسئولة تعمل بوعى من أجل التنمية والعدل والتثقيف وحل الصراعات الاجتماعية بأسلوب سلمى وحضارى وتربية المجتمع على الإيمان لفضائل الأعمال وإعلاء القيم الدينية وواجبنا الآن أن ننبه إلى أهمية هذا الدور وضرورة الإسراع فى وضع الخطط المدروسة لإنتاج البرامج التى تجذب أجيالنا الجديدة ونوجههم التوجيه السليم ولا تحرمهم فى الوقت نفسه من الاستمتاع بالفنون الراقية فى جميع المجالات على أن تتميز هذه البرامج بالإعداد الجيد والتنوع والمصداقية حتى تكون وسيلتنا الأساسية وخط الدفاع الأول ضد الغزو القادم عبر الفضاء، وهذا يقتضى إعطاء أهمية كبيرة لتدريب الكوادر الإعلامية والفنية لتواكب معلوماتهم أساليبهم أحدث ما فى العصر من وسائل الجذب والإبهار والسعى إلى امتلاك وإنشاء الشبكات الخاصة بعالمنا العربى وإمدادها بهذه الكوادر المدربة لتستطيع المنافسة بين الشبكات العالمية والتأثير الإيجابى على مجتمعاتنا العربية والإسلامية وهكذا نحصن أجيالنا الجديدة بعدم ترك الساحة خالية لوسائل الإعلام الأجنبية وحينئذ يستطيع المتلقى أن يقارن بين الغث والسمين من البرامج وتفتح أمام أجيالنا الجديدة أبوابا جديدة للمعرفة والثقافة فالبث عبر الأقمار الصناعية فى هذه الحالة لن يكون شرا كله، بل يمكن أن يكون مفيدا إذا ما لفظ المشاهد بإرداته ما يخدش الحياء وما لا يتفق مع عاداته وتقاليده وعقائده ويقبل على ما يراه مفيدا ونافعا ويجد البديل المناسب والمنافس، ودعونا ننظر قليلا فى موضوع وضعنا الإعلامى اليوم من خلال

قضية النظام الإعلامى العالمى .

من المؤسف حقا أن نظام الإعلام العالمى الحالى، بل وحتى المستقبلى القريب، يتسم باختلال ظاهر بسبب عدم التوزان الذى فرضته الدول الكبرى على عملية تبادل المعلومات، حتى أصبح معظم البلاد النامية – وبصورة خاصة فى عالمنا الإسلامى – مجرد بلاد مستهلكة للمعلومات التى تصدر إليها، ولعل الصورة تكون أشد خطورة، والهوة أكثر اتساعا إذا أخذنا فى الاعتبار عصر الفضاء واستخدام الأقمار الصناعية، وقد نتج عن هذا الأختلال وعدم التوزان بسبب الهيمنة التى تفرضها الدول المتقدمة من خلال السيطرة التى تملكها وخصوصا عن طريق تملكها للتكنولوجيا الفنية العالية، وسبقها فى هذه المجالات وبسبب تملك الدول المتقدمة وسيطرتها على هذه الأجهزة عن طريق الاستثمار المباشر فيها واحتكار الإعلان بطريقة أو أخرى فى أنحاء متفرقة من العالم، وعن طريق سيطرتها على وكالات الأنباء والإعلان، حتى أصبحت عملية الإعلان فى الصحف والمجلات والتليفزيون والإذاعة وعملية التمويل للأجهزة الفنية أدوات للسيطرة الثقافية بل غدت تسىء فى بعض الأحيان إلى ثقافة البلد المستقبل وتشوه تاريخه وحضارته، ومع ذلك فهو يستقبل برامجها وبثها دون حول ولا قوة، وحتى فى الحالات التى تتعارض مع قيمه وتضر بجهود البلاد النامية ومخططاتها الاقتصادية .

ولعله من الواجب الإشارة إلى أن الدول المتقدمة تفرض عبر قنواتها الخاصة رؤية محددة على الدول النامية وذلك بأن ترسل إليها عبر القنوات المتحركة للاتصال أنباء معينة تكون قد عولجت بطرق تناسب أفكار الدول المرسلة وقد تشوه صور الدول النامية وتكون مشوهة أو مبتورة، وقد تصور هذه الدول بصورة مجحفة، وتركز على المشاكل والأزمات والاضطربات، والمظاهرات، وقد تعرضها بصورة تدعو للسخرية أحيانا، وحتى فى الوقت الذى تسعى دول العالم الثالث إلى إظهار جهودها فلا يكون ذلك إلا عن طريق ملاحق صحفية مدفوعة الثمن .

وهكذا رسخ الوضع العالمى والنظام الإعلامى العالى بقاء نوع ردىء من الاستعمار السياسى والثقافى والاقتصادى عن طريق قنوات الاتصال والإعلام نراه يركز على أحداث تافهة أو بسيطة فى الدول النامية ويضخمها ويكبرها ويهولها، ويصوغها بطرق تخدم الصورة التى يريد تقديمها عن هذه الدول النامية، وفى بعض الأحيان يلزمون الصمت عن أحداث معينة، لأنها لا تخدم مصالحهم، وهكذا لا تغطى أخبار الدول إلا بالقدر الذى يخدم مصالح هذه الدول الكبرى ومجتمعاتها .

ثم يأتى موضوع توزيع مصدر الطيف[1]، وهنا تبدو مشكلة حقيقية لأن الدول المتقدمة حصلت على نصيب الأسد فى مجال توزيع الذبذبات، وعمدت إلى ترسيخ هذا الحق، أو الباطل الذى

سمى حقا وذلك عن طريق مادة تنص فى نظام الإذاعات على بقاء المصالح المكتسبة فيما يتعلق بتوزيع الطيف، ولهذا فإن الدول النامية أصبحت فى ورطة وأخذت تعانى من معضلات حقيقية وهى تبنى محطاتها الإذاعية الجديدة لأن جميع الذبذبات محتكرة، ولن تحصل هذه الدول الضعيفة إلا على ذبذبات رديئة لا تفى حتى بالحد الأدنى اللازم لبث إذاعى جيد، وكأن هذه الدول الكبرى تسيطر على التراب الوطنى لهذه البلاد النامية إذاعيا وتحرمها من حقها فى الانتشار داخل مجموعاتها القومية، أو السياسية فضلا من الانتشار فى العالم .

فلابد والحالة هذه أن يتم تغير جذرى فى النظام الحالى الذى يحكم العلاقات الإعلامية، وعملية الاتصال بين الدول المتقدمة والدول النامية بحيث تكون علاقة محترمة وعادلة ولو إلى الحد الأدنى لاحترام حقوق الإنسان فى العالم الثالث وحقه فى الاتصال وفى الإعلام بنفسه بدلا من هذه العلاقات القائمة والتى تجعل فئة مسيطرة وفئة خاضعة مغلوبة على أمرها .

ولا شك أن مثل هذا النظام سيجد له فى ميثاق الأمم المتحدة والأعراف الدولية المحترمة لحقوق الإنسان ما يدعمه ويبرره ويبرر منطقيته، ولكن هذا النظام الجديد لن يكون من السهل الوصول إليه فدونه مادونه من صعوبات وكما يقولون دونه قطع الرقاب، أو خرط القتاد .

"إذا كان من الطبيعى فى أيامنا أن نسعى إلى تحقيق نظام عالمى جديد تقوم على أساسه وبمقتضاه علاقات الدول فى شتى المجالات فقد بات من الطبيعى أن يحاذى هذا النظام لتدعيمه وتثبت أقدامه نظام عالمى جديد يتصل بالإعلام كفيل بالاستجابة لرغبتنا . إن هذه الفقرة المقتبسة تعبر تماما عن السؤال عما ينبغى أن ينطوى عليه هذا النظام العالمى الجديد للإعلام، فرغم أن الرأى العام يزداد تقبلا لمبدئه إلا أن مضمونه مازال غير محدد .

ينبغى التأكيد على أن هذا النظام الجديد يتطلب إعادة تكييف كاملة فهو ليس وصفة جاهزة قادرة على تحويل الوضع الجائر بين ليلة وضحاها إلى وضع أقل جورا . فالوضع الراهن نتاج تاريخ طويل لا يمكن إصلاحه سريعا، والأحرى أن يكون الهدف هو البدء فى عملية تجرى فى هذا الصدد على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية لأن الأمر يحتاج إلى تدابير محددة فعالة فى مناقشات أكاديمية "(٢) .

ولعل من أهم ركائز هذا النظام هو أن تسير الدول النامية بصورة جادة نحو الاستقلال الثقافى والإعلامى الأمثل، حتى تصبح دولا منتجة فى هذه القطاعات لامجرد دولة مستهلكة تعيش عالة على الدول الكبرى، ولابد أن يسمع صوتها دوليا حتى تدخل هذه الحقيقة إلى عقل الدول الكبرى ووجدانها لتقتنع بأن هذه الدول مظلومة ومهدورة الحقوق، وتساعدها بعد أن تساعد الدول النامية نفسها بالعمل وباستشعار المشكلة، فما لم تشعر الدول بطبيعة هذه المشكلة فإن

أحداً لن يتقدم لنجدتها ولهذا فلابد أن ندرك جميعا أبعاد الوضع الراهن وخطورته، ثم نعمل كما ذكرت على إيضاح الأمر للرأى العام العالمى، وإثارته واستنفار المؤسسات والهيئات الدولية حتى يدرك الجميع طبيعة وضعنا وحقيقة مشكلتنا .

ولاشك أن هناك أهمية كبرى تقع على عاتق القادة .. والمنظرين للأمة .. والمفكرين فيها لكى نتخذ الخطوات المناسبة فى الطريق الصحيح .. وأهمها أن يكون لدينا تعريف واضح .. وسياسة محددة .. تترجم هويتنا الإعلامية والثقافية. ومعطياتنا الحضارية وتوجهاتنا التربوية على أسس واضحة من عقيدتنا وقيمنا و مقوماتنا .. وأن نربط ذلك كله .. بالسياسة الإعلامية وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لبلادنا جميعا .. ثم نعرف موقفنا من هذا العالم الذى يؤثر فينا .. ومن المفروض أن نؤثر فيه ولا شك أن عملية الترابط داخل التراب الوطنى مهمة جدا .. ثم داخل مجموعاتنا السياسية والإقليمية .. وهكذا وإلا فكيف نريد من العالم أن يفهمنا إذا لم يفهم بعضنا بعضا .. وأن يقدرنا إذا لم يقدر بعضنا بعضا .. ؟

" أليس من المفارقة المحزنة أن لا نعرف معلومة أو خبرا عن دولة عربية إلا عن طريق وكالة أنباء رويتر ؟؟ .. وأن لا تعرف عن بنجلاديش إلا أنها دولة تكثر فيها الاضطرابات والقلاقل والفيضانات والفقر لأن وكالات الأنباء لا تنقل إلينا إلا هذه الصورة القاتمة السوداء عن هذا البلد المسلم الشقيق ؟؟ .. إن هذه المفارقات المحزنة ما هى الا صورة من صور المعاناة التى نعيشها فى عالمنا الإسلامى بسبب اعتماد وسائل الإعلام لدينا على وكالات الأنباء الأجنبية فى معرفة أخبار بعضنا بعضا بالإضافة إلى محدودية حجم هذه الأخبار فإنها لا تعكس الواقع إذ لا تقدم منه إلا ما يتعلق بالكوارث والقلاقل والسلبيات، أما غير ذلك من الأخبار الإيجابية فهى غير ذات قيمة حقيقية لوكالات الأنباء الغربية لأن مفهوم الخبر الغربى يقوم على الإثارة الصارخة جريا على مبدأ (إذا عض كلب رجلا) فهو ليس بخبر ولكن (إذا عض رجل كلبا) فذلك هو الخبر .

ولهذه المعاناة صورة أكثر إيلاما وأبشع تأثيرا فوكالات الأنباء الأجنبية هى التى تصنع الرأى العام العالمى وتشكل رؤيته عنا نحن العرب والمسلمين ولا عجب أن ينظر العالم إلينا نظرة الازدراء لأننا قوم همجيون قساة القلوب نعبد المال والجنس ونحتقر المرأة ونحب الحرب ونكره السلام ولا عجب أن ينظر العالم إلى ديننا تلك النظرة وأن تتكون لديه هذه الصورة الذهنية عنا، لأن وكالات الانباء ووسائل الإعلام الغربية الأخرى تمد تلك النظرة بأسباب البقاء والنماء، كما أنها تشحن أذهان الناس بكل ما يرسخ معالم الصورة الذهنية البشعة عنا والتى تتكون لديهم عبر الأيام "(٣). وعلينا أن ندرك أهمية بناء الرجال الذين يقومون على تنفيذ هذه السياسة .. وحمل أعباء تسيير

مثل هذه المشروعات التى تحتاج إلى همم .. وعمل .. وعزم .. ومتابعة وجدية .. ورؤى واضحة . ومن المهم أن تكون نظراتنا واقعية .. وتحركاتنا محسوبة بدقة .. وخططنا بعيدة عن الخيال والوهم .. وأن تتعاون جهات التعليم والثقافة والإعلام لصناعة الرجال القادرين حتى لا يحدث الخلل الذى أشرت إليه سابقا .. وينتج عنه بطالات بشهادات عالية .. فى وقت نحن أحوج مانكون فيه إلى أيد مدربة .. تحمل أعباء التنمية فى البلاد .

ولابد من جهاز ربط .. يسمح للدول النامية بأن تتعاون فيما بينها عبر قنوات علمية ومنطقية تقوم على أسس من الاحترام المتبادل الذى يجعل المعلومات .. والإنتاج ينتقل فيما بينها بطرق تسعد الجميع وتحترم حقوق الجميع .. بعقول متفتحة .. وأفكار واضحة فى مناخ من العدل والمساواة وأن لا يستغل بعضنا بعضا ونرتكب الأخطاء نفسها التى نشكو منها عند التعامل مع الدول المتقدمة .. وعلينا ونحن نحاول أن نسمع صوتنا للعالم أن نسير على بصيرة ووعى لتصل احتجاجاتنا ومطالبنا بأسلوب تفهمه شعوب هذه الدول .. ويلفت نظرها إلى طبيعة الاختلال فى التوازن الحاصل وأن الهوة تتسع .. والفجوة تزداد عمقا وهذا لا يخدم المجتمع الدولى على المدى الطويل .. وبهذا نكسب تعاطف هذه الشعوب معنا ونتدرج فى تصحيح المعادلة الإعلامية والثقافية .. ومن ثم الاقتصادية .. والاجتماعية .. حتى نزيل الطابع الاستعمارى عن إعلامنا وثقافتنا ونتخلص من استعمار تخلصت منه الدول بطرده من الباب فدخل من النوافذ .

ولابد أيضا من صحوة .. لإبعاد الغزو الجديد .. والهيمنة الجديدة .. وبخاصة فى مجال الصحافة ووكالات الأنباء ... وعلينا أن ننتبه إلى ما يفد إلينا من غش أو دس أو تشويه ،وأن لانصبح مجرد وسائل تردد ما يبث إليها دون تثبت أو تدقيق فى صحة أبعاد هذه المعلومات .. وعلينا أن نثق فى مصادر أخبارنا وأن يعتمد بعضنا على بعض .. ونطور التبادل بصورة أوسع .. وأن نطور أنفسنا وإمكاناتنا وأن ننفتح على العالم ونقدم إليه ما يثق به لنفرض احترامنا عليه صحيحا وصادقا بجوانبه الفنية والإعلامية كافة .

وعلينا أن نكافح بكل جهد هذا الغزو السافر لنا والذى يتمثل بشكل محطات إذاعية تقوم بتشويه عقائد الأمة وتشككها فى قيما .. وموروثاتها الإنسانية وهذا لون خبيث ومباشر .. تعانى منه كثير من الدول النامية .

إن عملية تغيير النظام الإعلامى العالمى .. عملية مهمة وشاقة ودقيقة .. ومعقدة .. ولكنها ضرورية وجوهر هذه العملية كما يقول الأخ الدكتور احمد امبو مدير عام اليونسكو السابق .. هو العمل على إقناع الرأى العام العالمى بأن المشكلات عالمية وبأن العالم بكل ما يحويه من تنوع إن

هو إلا كون واحد يتألف من عوامل متداخلة متكاملة وأن هناك تضامنا أساسيا بين البشر . وبأن الحلول القائمة على التوفيق تخدم مصالح الجميع .

ولكن .. وهذا هو السؤال المهم فى رأيى .. هل نحن مقتنعون بهذا الأمر .. قبل أن نتحرك لإقناع الآخرين ؟؟ .

إن التحرك السريع لوسائل إعلامنا ووعيها بأبعاد المرحلة الحاضرة وخطورتها ومتطلباتها بكل ما فيها من تحديات وما تحتاجه من إعداد وتفهم أصبح واجبا يجب أن يلقى كل الاهتمام والعناية لحماية أبنائنا ومجتمعاتنا قبل فوات الأوان .

والله الهادى إلى سواء السبيل ..

المراجـــع

(١) الذبذبات والترددات الخاصة .

(٢) النظام العالمى الجديد للإعلام –وثيقة مقدمة من السيد مصطفى المصمودى كاتب الدولة للإعلام بتونس للجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام .

(٣) واس وهذا الحلم – مقالة للدكتور عبد القادر طاش نشرت بمجلة اليمامة العدد ٩٣٧ بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٤٠٧ .

الإعلام الإسلامى
وتكنولوجيا الاتصال فى مجال التليفزيون

الدكتورة انشراح الشال
كلية الإعلام - جامعة القاهرة

فهرست المحتويات

-تحديد المفاهيم
-الأقمار الصناعية وحرب المعلومات
-الشبكات الفضائية فى المنطقة العربية
-تكنولوجيا البث المباشر
-الإعلام الإسلامى وتكنولوجيا البث المباشر
-حق البث وحدوده
-التعرض لبرامج البث المباشر
-تأثير البث الوافد
-الحد من تأثير البث الوافد
- تكنولوجيا الاتصال لخدمة الدعوة والثقافة الإسلامية
-تكنولوجيا الكابل والبث التليفزيونى
-نشأة التليفزيون الكابلى
-التزاوج بين الكابل والتليفزيون
-قناة المعلومات (أو نظام التليتكست .(teletext)

مراجع ومصادر

ملاحـــــــق

ملحق رقم (١) هوائيات قصعية فى القاهرة
ملحق رقم (٢) القمر الإسرائيلى فى المنطقة العربية
ملحق رقم (٣) أقمار الاتصال والأرصاد الجوية فى المدار الأستوائى
ملحق رقم (٤) قناة المعلومات المرئية فى مصر.

﴿ ولولا فضل اللّه عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل اللّه عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل اللّه عليك عظيماً ﴾ صدق اللّه العظيم (النساء :١١٣) .

حضرات السيدات والسادة السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

مضمون هذه الورقة، والذى يأتى تحت عنوان الإعلام الإسلامى وتكنولوچيا الاتصال فى مجال التليفزيون سوف نقتصر فيه بالحديث عن الجزئية الخاصة بتكنولوچيا الاتصال حيث يتحدث أساتذة أجلاء فى هذا اللقاء نفسه عن الإعلام الإسلامي وفلسفته وأصوله وقواعده وأهدافه وخصائص القائم به إلى غير ذلك من محاور تلتقى تحت هدف واحد يتلخص فى تساؤل نؤكد عليه هو :أين نحن فى عالم الغد ؟

والورقة المقدمة هنا ليست دراسة استشرافية لتكنولوچيا الإتصال ، بل مجرد وصف لما هو كائن فى هذا المجال لنعرف أين نحن من هذا التطور، ولكى نحدد من أين نبدأ .

تحديد المفاهيم

ارتبط مفهوم « تكنولوجيا » بالتطور فى مجال الإلكترونيات بوجه خاص، أى أنه من المفاهيم الحديثة والتى حاول زملاؤنا فى بلاد الشام تعريبها فأخذت لفظ تقنية واختلفنا فى كسر بعض حروفها أو فتح بعضها الآخر أو حتى تسكينها أو تشديدها ونعتقد أن اللفظ الأعجمى «تكنولوجيا» بعد ذوبعه يمكن استخدامه بلا حرج، مثله فى ذلك مثل كلمة تليفزيون وغيرها، مادامت اللغة «كائن حى» تتفاعل بالظاهرات، ومادامت الحدود قد فتحت بين لغات العالم عبر موجات الراديو وشقيقه التليفزيون .

والحديث عن التكنولوجيا هنا يثير الشجون عندما نتفكر فيما قاله الدكتور محمد عبده يمانى بأن من يمتلك التكنولوچيا هو الذى يحكم وهو الذى ستكون له السيادة، وبناء على ذلك فإن تكنولوجيا الاتصال تمكن صاحبها من السيادة فى موضوع هذه التكنولوچيا، أو ما يطلق عليه أهل الغرب مصطلح «السوفت وير» (soft ware). التى هى هنا مادة الفكر ووعاؤه مما جعل كثيرين من أبناء العالم الثالث بوجه خاص يتخوفون من الغزو الفكرى الوافد مع أصحاب هذه التكنولوجيا التى هبطت فجأة على بعض الدول بلا نقلات مرحلية منطقية تمهد لها وتؤدى إليها .

وتكنولوچيا الاتصال، أو بأسلوب أدق ، الجانب المادى لهذه التكنولوچيا والذى يطلق عليه مصطلح «الهارد وير » (hard wire) تتمثل فى الأقمار الصناعية والحاسبات الآلية الشهيرة بالكمبيوتر وأجهزة التليفزيون وما شابهها من «منتجات» تنتسب لدول غير إسلامية لديها مفردات

إنتاجها وبالتالى صيانتها وتطويرها وتطويعها بهدف خدمة أغراضهم على وجه الخصوص، وإن كان هناك من يرى بأن التكنولوچيا فى عمومها ليست حكراً على مجتمع دون آخر .

وفى الآونة الأخيرة، قفزت تكنولوچيا الاتصال قفزة هائلة فاقت توقعات الخبراء وبخاصة بما يتعلق بالبث التليفزيونى والمعلومات عندما نجح «الإنسان » فى تحقيق التوافق بين الكمبيوتر والوسائل التكنولوجية الأخرى فى مجال الاتصال وتوفير التكامل بينها بصورة أدت إلى حدوث ثورة فى مجال المعلومات، وبالتالى، أصبحت سعة المعلومات ودقتها من أسباب النجاح وسمة من سمات التطور والتقدم على كافة المستويات. وبناء عليه، فإن قوة الدول فى المستقبل ستكون رهناً بجودة المعلومات المتاحة لها بعد أن تحول محور الاهتمام من الطاقة إلى المعلومات؛ فكما يقول الكاتب أحمد بهجت «لم تعد المواد الطبيعية هى أساس الصناعة والثروة وأصبح الفكر والعلم هما الأساس » وإذا كنا نسلم بأن البترول كان السلاح فى الحرب العالمية الثانية فإنه يجب التسليم بأن التليفزيون كان السلاح فى حرب الخليج .

فأين نحن فى عصر ثورة المعلومات ؟

اسمحوا لى هنا باقتباس بعض كلمات مما قالها الرئيس مبارك فى المؤتمر الإسلامى الثانى لوزراء الإعلام والذى عقد بالقاهرة فى يناير من هذا العام حيث قال «لا يستطيع العالم الإسلامى أن يقف مكتوف الأيدى أو يأخذ موقف المتفرج من هذه التحولات الهائلة، بل يتعين أن يكون له دورة فى المشاركة النشطة مع الأسرة الدولية فى إقامة ذلك النظام الدولى بما يعزز مصالحه وقضاياه ...»

وما قاله الرئيس فى كلمته تلك يؤكد على حقيقة يجب التسليم بها وهى إلا وجود للدول الهامشية فى الصيغة الدولية الراهنة، بل المستقبل -والحاضر يؤكد ذلك -للدول الفاعلة التى تتوافر لها المعلومات؛ التى تتطلب بطبيعة الحال حيازة الوسائط أو الوسائل التى تعين هذه الدول على الحصول على المعلومات لدراستها .

وما دمنا نأخذ بأن تكنولوچيا الاتصال هى المحك الحقيقى لقياس قوة الدول، وبأن الشق الأساسى لهذه التكنولوچيا « الهارد وير » لا نملكه بل نستورده، فلا أقل من أن نطوعه وأن نتحكم فى المضمون (soft wane) ونسيطر على مفرادته، أو بأسلوب آخر، أسلمة هذا المضمون وتحقيق مفهوم الإعلام الإسلامى فى ضوء حقيقة نرجو ألا تكون غائبة عن الأذهان بعد ما جاء ذكره وهى أن الإعلام الإسلامى من أهم مقومات القوة لعالمنا فى عصر ثورة المعلومات. ولعل من أهم الأسباب التى تختفى وراء «تخلف» بعض الدول (والأفراد) هذه الغيبة عن المعلومات -لسبب أو لآخر-والأمثلة عديدة تلك التى يمكن ذكرها للتأكيد على أن توافر

المعلومات أو غيبتها يمكن أن تكون سبباً فى الإيجابيات أو السلبيات من موقفنا إزاء الأحداث ، كبرت هذه الأحداث أم صغرت .

والإعلام الإسلامى مطالب إذن بتزويد المسلم بكل ما يهمه من معلومات وما يفيده على كافة المستويات، ولنا فى القرآن نور وهداية لتحديد الجوانب التى يجب أن يتناولها إعلامنا الإسلامى والتى تتلخص فى قول الحق سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ صدق الله العظيم (الأنعام :٣٨) .

من هنا يتحدد مفهومنا للإعلام الإسلامى وأغراضه لكى يشمل حياة الإنسان من كافة أبعادها، أى أنه لا يجب أن يقتصر فقط على البعد الدينى، بل والاقتصادى والاجتماعى والنفسى بتفريعاتها وغيرها ...،وكذلك التعريف بأعداء الإنسان المسلم وتحصينه ضد كل ما هو دخيل على مقوماته الرئيسية ...أى أننا نختلف مع من يرى بأن «الإعلام الإسلامى يقتصر على تزويد الجماهير بحقائق الدين الإسلامى ».

من هذا المنظور ننطلق فى ورقتنا هذه متخذين مما قاله رسول الإنسانية صلوات الله وسلامه عليه «**ألا هل بلغت اللهم فاشهد** » شعارا لنا، فنحاول هنا إلقاء بعض الضوء على جوانب فى الإعلام يمكن أن تفيد معرفتنا لها للمرحلة التالية والتى ينبغى أن نتبصر للتخطيط لها، وسوف نحاول قدر الإمكان أن نركز الحديث هنا على وسائل الإعلام الالكترونية فى عصر ثورة المعلومات، وبخاصة على ما يحدث فى مجال التليفزيون .

الأقمار الصناعية وحرب المعلومات .

والحديث هنا قد يتعرض لحرب الخليج التى أجمعت بعض وسائل الإعلام على أنها كانت حرباً جديدة سلاحها التليفزيون، ونضيف بأن ذخيرتها كانت المعلومات ،بل نتفق هنا أيضاً بأن هذه الحرب قد أكدت إمكانية الاحتلال التكنولوچى لموجات البث الإذاعى والتليفزيونى العراقى ببث البرامج والبيانات الأمريكية والبريطانية والفرنسية للشعب العراقى باللغة العربية، ولم يحدث هذا بعد احتلال الأرض كما هو معروف فى الثورات التى تسرع بوضع يدها على مبنى الإذاعة لإعلان البيان الأول للثورة بل جرت عملية الإحتلال للإذاعة والتليفزيون فى العراق -كما نشرت وسائل الإعلام الأجنبية -باستخدام الطائرات حيث يملك الأمريكيون الوسائل التكنولوچية الكافية للأستيلاء على هذه الموجات، ذلك بالإضافة إلى إلقاء أجهزة «الترانزستور» على المدنيين داخل العراق للاستماع إلى «صوت أمريكا » (Voice of America) وإلى هيئة الإذاعة البريطانية

(B.B.C) ....، وشن حملات إعلامية مركزة قبل المعركة البرية عن طريق إلقاء منشورات باللغة العربية تطالب الجندى العراقى بالاستسلام «لعدم استطاعته مواجهة قوى التحالف» .

ودور شبكة «السى إن إن الدولية» (Cable News Network International) فى هذه الحرب عشناه جميعاً من خلال المعلومات التى كان يبعث بها مراسلو هذه الشبكة المتواجدون فى أرض المعركة، بل وفى بغداد نفسها، بوساطة هوائيات قصعية تقوم بدور محطة أرضية ينقل المراسل خلالها المعلومات المتوافرة لديه عبر الأقمار الصناعية إلى مركز الشبكة التى تتولى بدورها إعادة بثها فوراً، أو على الهواء مباشرة، إلى مشتركيها على مستوى العالم مستعينة فى هذه العملية بحوالى عشرين قمراً صناعياً، أى أن قوة هذه الشبكة كانت تكمن فى الوسائل التقنية المتوافرة لديها والإمكانيات البشرية التى تقوم بجمع المعلومات أ ولا بأول ونقلها باستخدام هذه التقنية المتطورة ..وهذا الأمر ينسحب بطبيعة الحال على الدول ويؤكد ماجاء ذكره من قبل، بأن السيطرة لمن يمتلك التكنولوجيا والمعلومات .

وشبكة السى إن إن تقدم الأخبار بأسلوب البث المباشر الذى يجمع بين« التكنولوجيا والمعلومات » ، قمة التكنولوجيا وأدق المعلومات ،ولكن الجديد فى هذه الشبكة والذى يتضح حتى فى اسمها هى انها صورة من صور التزاوج التكنولوچى بين تقنية حديثة هى الأقمار الصناعية وأخرى تقليدية وهى الكابلات (أو الكوابل) Cabese والمستخدمة منذسنوات طويلة فى مجال الإتصال الهاتفى .

فقد أصبح فى الإمكان أن تقوم الأقمار الصناعية بالبث المباشر لمحطات استقبال لهذا البث تتولى إعادة بث البرامج للمشتركين فى خدمتها عن طريق كابلات أو من خلال موجات الطيف الترددى فى شرائح الترددات العالية جداً (VHF) أو الاكثر علواً (UHF) .وقد تم تطبيق الأسلوب الثانى فى مصر بالنسبة لشبكة السى إن إن عندما كنا نستقبل -مجانا- أخبار هذه الشبكة على القناة ٢١ على أجهزة الاستقبال العادية وبالهوائيات العادية، وكان ذلك يتم عبر محطة استقبال خاصة فى مبنى ماسبيرو وعلى حيز الترددات (UHF) (مثل برامج القناتين الرابعة والخامسة) وذلك قبل قصر برامج هذه الشبكة على المشتركين فيها بتشفيرها . والمثال الآخر -وهو الاستعانة بالكابل-هو ما يحدث بالنسبة للمشتركين فى برامج القناة الفضائية المصرية فى بعض الدول .ففى لندن، يستقبل المشترك برامج هذه القناة عبر الكابل من الشبكة الكابلية «فيديو ثرون» التى تستقبلها من القمر الصناعى العربى -قبل خروجة من الخدمة لانحرافه -الذى يقوم بدور الوساطة فى نقلها من المحطة الباثة فى القاهرة إلى محطة استقبال تابعة لهذه الشبكة الكابلية فى لندن والتى تتولى توزيعها ويتميز هذا النظام بجودة عالية

للصورة دون تدخلات من قنوات التليفزيون العادية، ويقال إن دولة الامارات العربية المتحدة هى ودولة الكويت تخططان لتنفيذ هذا المشروع، كذلك قيل انه فى مصر قد تم اختيار حى مصر الجديدة فى القاهرة لتنفيذ شبكة كابلية خاصة بشبكة أخبار السى إن إن قبل أن يستقر ثم استقر الرأى فيما بعد على تشفيرها .

الشبكات الفضائية فى المنطقة العربية

وعن الشبكات الفضائية فى الوطن العربى، فإنه إلى جانب «القناة الفضائية المصرية»

(eitv) والتى تم افتتاحها فى أثناء أزمة الخليج لأسباب نعرفها جميعا (وتمر حاليا بأزمة تتعلق بالقمر الصناعى الوحيد الذى تستعين به علماً بأنه قد تمت الاستعانة بخمسة أقمار صناعية لبث الدورة الأفريقية)عام ١٩٩١ والشبكة المحلية فى المملكة العربية السعودية وأخرى ضهرت فى المغرب فى مارس ١٩٨٩ (M2) وتديرها شركة الدراسات والانجازات السمعية والبصرية وتتعاون مع قناة فرنسية، ظهرت قناة فضائية باسم «مركز تليفزيون الشرق الأوسط» (mbc) بتمويل خاص مستعينة بالقمر الأوربى «يوروسات» (eutelsatii-f1) ١٣أشرقاً وبالقناة غزيرة الاشعاع على «القمر العربى» (Arabsat-A2) ٢٦أشرقاً على حيز الترددات S وبدأت بثها التجريبى فى ١٨ سبتمبر ١٩٩١ من الساعة ١٨،٠٠ إلى الساعة ١٢،١٥ بعد منتصف الليل حسب توقيت لندن حيث يوجد مركز الشبكة الرئيسى (لهذا المركز مكتب بالقاهرة) جديدة وعلى مستوى المنطقة، بدأ البث المباشر عام ١٩٨٩م بالنسبة لدولة شقيقة هى تونس عبر القمر الفرنسى «تيليكوم» (Telecom) ويقال إن إسرائيل قد اشترت جميع محطات إرسال شبكة «الانتلسات» (Intelsat) التى توجه إرسالها للشرق الأوسط (ملحق رقم ٢) ووزعتها على قنوات التليفزيون الأولى والثانية والثالثة والمعروف أن برامج القناة الأولى والثانية للتليفزيون الإسرائيلى يمكن التقاطها بهوائى قطره يترواح ما بين مترين وثلاثة أمتار (حسب الجودة المطلوبة التى يرغبها المشاهد ومكان تواجده) وهى هوائيات أحادية الاتجاه وغير مكلفة نسبيا وتقلل من الشوشرة على البرامج والتى يمكن ان يتنفى مع تعميم التليفزيون عالى الدقة (High (HDTV) Definition television) والذى يعرفه آخرون باسم «عالى الجودة» و«عالى التحديد» وتسميات أخرى عديدة ..

ويقدر الخبراء عدد أجهزة الاستقبال من النوع عالى الدقة عام ٢٠١٠م بحوالى تسعمائة مليون جهاز، ويقال أن أوربا ستقوم بنقل مباريات الألعاب الأولمبية لهذا العام ١٩٩٢ فى كل من فرنسا وأسبانيا بالتليفزيون عالى الدقة، ويأمل الأوربيون الوصول إلى نظام محدد لهذا التليفزيون قبل عام ١٩٩٥. أما فى الولايات المتحدة، فإن الاختبارات والقياسات المعملية قد

بدأت بالنسبة لستة أنظمة تجرى المقارنة بينها ومتوقع الانتهاء منها قبل نهاية الشهر الحالى (ابريل ١٩٩٢) بحيث يتحدد فى يونيه ١٩٩٣ النظام والمواصفات القياسية للتليفزيون عالى الدقة التى سيتم العمل بها هناك، والمعروف أن التليفزيون عالى الدقة هو أحدث تطور تقنى فى مجال التليفزيون مع ظهور أقمار البث المباشر .

تكنولوچيا البث المباشر

يؤرخ لتكنولوچيا البث المباشر بإطلاق أول قمر صناعى فرنسى للبث التليفزيونى المباشر باسم «تى دى إف -أن» (TDF- I) فى ٢٨ اكتوبر ١٩٨٨ على متن الصاروخ الأوربى «أريان» (arian) من قاعدة «كورو» فى غويانا الفرنسية بشمال امريكا الجنوبية، وإن كان البث المباشر لبرامج التليفزيون قد حدث بالفعل قبل ذلك بحوالى عشر سنوات (فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٦٩) عندما قامت الهند بالإستعانة بالقمر الصناعى المتزامن «إيه تى إس -سيكس» (ATS-6) الذى وضعته «الناسا» (NASA) الامريكية تحت تصرفها لتقديم خدمة تليفزيونية مباشرة سميت بتجربة «السايت» (SITE) غطت ٢٣٣٠ قرية فى ست ولايات هندية، وإن كانت الصورة المستقبلة ضعيفة، وسمى عام ١٩٦٩ بعام السايت نسبة إلى هذه التجربة الفريدة .

ولكن الحديث عن تكنولوجيا البث المباشر يجعلنا نقصره بالفعل على بداية إطلاق أقمار خاصة للبث التليفزيونى دون غيره من مجالات الاتصال المختلفة والتى تقوم به فى العادة أقمار اتصال (الاتصال الهاتفى ، والفاكسميل، والبرق، والندوات عن بعد، والمزادات عن بعد، إلخ ...)، ولن ندخل فى التفاصيل الخاصة بأقمار البث المباشر، إلا للإشارة إلى خاصية تتميز بها بالنسبة لقدرتها الفائقة على إرسال إشارات إلى الارض يمكن التقاطها بواساطة هوائيات قصعية صغيرة الحجم قد لا يتجاوز قطرها نصف المتر فى بعض الأماكن - فى مركز المساحة التى يغطيها إشعاع هذا القمر (Foot Print) وإن تطلب التقا ط هذا البث هوائيات أكبر كلما ابتعدنا عن هذا المركز. ويرجع إستخدام هوائيات صغيرة الحجم ـنوعاً ـ بالنسبة لأقمار البث المباشر الى انها أقمار أحادية الإتجاه ، فهى بالتالى قوية الإشعاع ، او ما نطلق عليه مصطلح «غزيرة الإشعاع»، إلى جانب أن هذه الهوائيات لا تستخدم فى الارسال بل فى الاستقبال فقط «TVRO» (Television Reception Only) ، وقد بلغت هذه الهوائيات من الصغر ما جعل بعض أصحابها يلجأ إلى «تعليقها» على حائط الشرفة ، وإن كبرت عن ذلك فإنها توضع فوق الأسطح أو حتى فى الفناء الخلفى للمنزل ، بشرط توافر خط رؤية مستقيم ومباشر بين هذا الهوائى والقمر الصناعى الذى يستقبل الهوائى إشارات التليفزيون عن طريقه.

ونحن نتفق مع من يقول بأن طلقة البندقية يمكنها أن تقتل فرداً واحداً، وبأن إنفجار قنبلة يدوية- يقتل عشرات، بينما إنفجار قنبلة نووية يقتل الآلاف، إلا أن الكلمة الواحدة يمكنها أن تقتل الملايين، ووسائل الإعلام بدون منازع هى الوعاء الذى يمكن أن ينقل هذه الكلمة فى التو واللحظة على مستوى العالم كله، بدون رقيب ، من خلال هذه الأقمار الخاصة وهو ما أطلقنا عليه مصطلح «البث المباشر» (والذى يختلف فى التقنية عن البث العابر للحدود عبر موجات الطيف الترددى مثلما يحدث بين الدول المتاخمة بوصول برامج التليفزيون الإسرائيلى- مثلاً - إلى بعض مناطق فى مصر وفى لبنان والأردن وسوريا والسعودية ، واستقبال هذه البرامج على شاشات التليفزيون فى هذه الدول بوساطة الهوائيات العادية التى يستقبل بها البث القومى لهذه البلاد، وهذا نستبعده بطبيعة الحال عند الحديث عن تكنولوجيا البث المباشر).

وعندما نتذكر أن القمر الصناعى الواحد يمكنه تغطية ثلث مساحة الكرة الأرضية، وعندما نستوعب أن أية ثورة تسارع فور اندلاعها بفرض سيطرتها على وسائل الإعلام وبخاصة على الإذاعة ، فإن هذا يؤكد لنا تخوف كثيرين من البث المباشر، وذلك من منطلق أن الإعلام هو الذى يتولى مقاليد الأمور فى العالم، وأن «الذى يستطيع السيطرة على وسيلة إعلام مؤثرة فإنه يشارك عندئذ فى الحكم عالمياً ومحلياً على قدر تأثير وسيلته وقوة نفوذها».

وتعد منطقتنا من مناطق نشاط أقمار البث المباشر حيث يتجاوز عدد هذه الأقمار الخاصة بالبث التليفزيونى الرقم ثلاثين (هذا غير مايزيد عن ضعف هذا العدد لخدمات أخرى مثل الأقمار التى تستخدم فى معرفة أحوال الطقس والمناخ (ملحق رقم ٣) .. وأقمار البث المباشر الذى تعطى سماءنا ببرامجها تعمل فى إطار شبكات غربية وأهمها الشبكة الفرنسية (TDF) ، والألمانية (TV- SAT) والبريطانية (B S B) والسويدية (TELE- X) ..، ومن العجيب حقاً أن هناك من يتخوف من وصول بث دول شقيقة إلى بلاده، ويقول إن هذه القنوات التى يمكن التقاطها بالهوائيات العادية عبر موجات الطيف الترددى «لاتبعد كثيراً عن خطورة ما يتضمنه البث المباشر، بل وقد تكون أشد فى بعض الجوانب لكونها باللغة العربية»، ولا يتخوف من البث الإسرائيل الذى هو باللغة العربية أيضاً .

ولن نعلق على مايقولون، ولكن ننبه هنا فقط إلى أن تكنولوجيا البث المباشر سوف تمكن المتلقى من انتقاء اللغة - العربية - بالنسبة للبرامج الوافدة عبر الأقمار الصناعية، وأن الهوائيات الخاصة باستقبال هذه البرامج (الهوائيات القصعية «البارابولية»») قد بدأت تصنع محلياً إلى جانب المستورد منها ، ومطروحة بالأسواق بدون حظر بيعها أو حيازتها، وأن تكاليف هذه الأجهزة سوف تنخفض سريعاً بوجود المنافس، وسوف تكون فى القريب جزءاً من جهاز التليفزيون ذاته كما هو الحال الآن بالنسبة للقنوات التى تحتاج إلى جهاز فك الشفرة (قناة المعلومات مثلاً) الذى زودت أجهزة التليفزيون الحديثة به، وليس هذا مستبعداً بعد ظهور التليفزيون عالى الجودة.

الإعلام الإسلامى وتكنولوجيا البث المباشر :

من منطلق تحديدنا لمفهوم الإعلام الإسلامى ، ومعرفتنا لخصائص تكنولوجيا البث المباشر، ومادامت الدول تأخذ بأن سقوط الإذاعة يعنى سقوط الدولة، وتحقيقاً لمبدأ السيادة الإعلامية (حيث تحرص كثير من الدول على عدم السماح بوجود محطات خاصة فوق أراضيها)، ومن تخوف دول أكثر منا رسوخاً فى مجال الإذاعة (انجلترا وفرنسا على سبيل المثال) من ظهور برامج أجنبية على شاشات التليفزيون لديها، ومن تحذير خبراء الإعلام (فقد حذر خبير إعلامى ألمانى من البث المباشر وطالب بضرورة اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لحماية السيل المنهمر من البرامج الإذاعية والتليفزيونية الوافدة عبر الأقمار الصناعية)، ومع التسليم بصحة نتائج دراسات أجريت فى الخارج حول تأثير البرامج الوافدة (كوبا وكندا مثلاً) ، ومن متابعة ما يناقش فى مؤتمرات (أقل ما توصف به أنها مشبوهة)، ومما ينشر فى الصحف والمجلات عن بعض ما يبث عبر الأقمار الصناعية (ويتفق هنا مع ما قاله الدكتور ممدوح البلتاجى عن برنامج قدمته شبكة «السى إن إن الدولية» ونشرته الصحف تحت عنوان «برنامج مريب عن مصر» وهذا يتفق مع ماقالته الدكتورة لطيفة الزيات بأن مواد (CNN) وغيرها من شبكات عالمية هى مواد موجهة وترتبط بمصالح الجهة التى تمولها)، ومما سمعناه من الخبير الإعلامى عبدالله شقرون عن ملاحظاته لما يبث من برامج أجنبية (فى مؤتمر عقد بالقاهرة) ، ومن خلال قصاصات الصحف التى تصلنا من أصدقاء بالخارج، ومن ملاحظاتنا الشخصية لمضمون بعض مايبث من برامج أجنبية على شاشاتنا (مسلسل عائلة كولبى- على سبيل المثال - الذى كان محور عدة حلقات - وربما كل الحلقات - رأيت لقطات منها يدور حول سؤال هو: من أب الجنين الذى تحمله البطلة؟ وكارتون للأطفال تقول إحدى شخصياته لأخرى: «هاقد وصلنا إلى بلد اللصوص» الخلفية أهرامات الجيزة، وبرنامج أجنبى يستضيف أحد الممثلين الذى يعرض مشهداً من مسرحية لشخص محتال، ونقاش يدور بعد المشهد حول هذه الشخصية ليقول الممثل إنه «تركى» ، ويسخر منه بحركات بيديه تشير إلى أن هذا «المحتال» مسلم..) ، بناء على كل هذا، وغيره ، نستطيع أن نطرح التساؤل مرة أخرى: البث الوافد: هل هو شر لابد منه؟ (الحقيقة، ١٤ ابريل ١٩٩٠).

بداية نقول إنه قد «وقعت الواقعة»، ولكن هل لابد من رفع الراية البيضاء؟

دعونا أولاً نعرض التأصيل القانونى للبث المباشر، حقوقه وحدوده.

حق البث وحدوده :

بداية نقرر أن الشر لا ينتصر إلا إذا تقاعس الصالحون عن العمل.

والحق يقال إن إعلان المبادىء الخاص باستخدام الإذاعة عبر الأقمار الصناعية والذى قدمته

يونسكو واعتمد فى ١٩٧٢، وهو بذلك يعد من أول الوثائق الدولية للاتصالات ، قد أكد هذا الإعلان على مايلى «تخدم الإذاعة بوساطة الأقمار الصناعية سيادة جميع الدول وتساوى بينها .. وأن هدف الإذاعة هنا هو أن تكفل أوسع انتشار ممكن بين شعوب العالم لأنباء جميع الدول المتقدمة والنامية على السواء. ، وأنه ينبغى للبرامج الثقافية أن تسعى لرثراء جميع الثقافات، وأن تحترم الطابع المميز لكل ثقافة وقيمها وكرامتها، وحق جميع البلاد والشعوب فى المحافظة على ثقافاتها بوصفها جزءاً من تراث الإنسانية المشترك..» . كذلك تضمن هذا الإعلان أيضاً المبدأ الذى مفاده أنه ينبغى للدول أن تشجع عقد اتفاقيات بشأن الإذاعة المباشرة من الأقمار الصناعية إلى غير سكان الدولة التى تبث البرامج. وقد دعمت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٢ بأغلبية مائة صوت وصوتين مقابل صوت واحد- هو صوت الولايات المتحدة - ماجاء فى هذا الإعلان، والمناداة بمبدأ «التداول الحر والمتوازن للمعلومات»..

ولما كان حق البث يتعلق بدولتين ، إحداهما تقوم بالبث والأخرى تستقبله ،فإنه يجب النظر إليه فى نطاق القانون الدولى العام - على الأقل فيما يتعلق بمبادئه - حيث يقال إن الحالة الراهنة لهذا القانون فى هذه المادة لايقدم حلولاً واضحة بقدر ماهو دعوة إلى الخلاف أكثر مما هو تأكيدات واضحة فى اتجاه أو آخر.

ولا شك أن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (القرار ٩٢/٣٧ المعتمد فى ديسمبر ١٩٨٢) والذى يتضمن المبادىء التى يجب أن تحكم استخدام الدول لأقمار صناعية لأغراض التليفزيون الدولى المباشر يشكل أكثر النصوص نقصاً بشأن هذه المسألة. فقد نص فى هذا القرار أنه «على كل دولة تعتزم إنشاء خدمة تليفزيونية دولية مباشرة بالأقمار الصناعية أو التصريح بإنشائها أن تخطر فوراً الدولة أو الدول المستقبلة باعتزامها هذا والدخول سريعاً فى تشاور مع أى من تلك الدول التى تطلب ذلك» (مادة «ي» من القرار فقرة ١٣). ولإدراك المعنى العميق لهذه الفقرة يجب قراءة الفقرة التالية لها والتى جاء فيها «لاتنشأ خدمة تليفزيونية للبث المباشر عبر القمر الصناعى إلا بعد الوفاء بالشروط الواردة فى الفقرة ١٣ عاليه، وعلى أساس اتفاقات أو تسويات ، كما تطالب ذلك الوثائق ذات الصلة للاتحاد الدولى للاتصالات السلكية واللاسلكية ووفقاً لتلك المبادىء(فقرة١٤).

ويقول القانونيون إن مايحدث حقيقة غير ذلك لأن القيمة القانونية لهذا القرار موضوع نزاع باعتباره قراراً، وما أشبهه هنا بمجرد توصية مجردة من آثار ملزمة . وعند التصويت عليه حصل هذا القرار على مائة صوت وثمانية مؤيدة مقابل ثلاثة عشر صوتاً معارضاً . وامتناع ثلاثة عشر عن التصويت، علماً بأن من بين المعارضين والممتنعين يوجد بلدان لديها القدرات التكنولوجية والمادية التى تمكنهم من أن يكون لديهم خدمة للبث المباشر للتليفزيون.

خلاصة القول هنا، هى أن المواثيق الدولية المتعلقة بموضوع البث المباشر تنص على أنه بالنسبة للدولة التى تعتزم القيام ببث تليفزيونى دولى مباشر (عبر القمر الصناعى) عليها أن تخضع لالتزامين هما:

١- إخطار الدولة المستقبلة بما تعتزمه.

٢- الدخول فى تشاور مع هذه الدولة المستقبلة.

وهذا لايحدث . ومسلسل انتهاك المعاهدات الدولية الخاصة بتنظيم البث التليفزيونى الدولى مازال مستمراً.. عبر الأقمار الصناعية وكذلك بوساطة موجات الطيف الترددى، محطماً السدود السياسة والجغرافية.. ومنتهكاً بذلك السيادة الإعلامية للدول فوق أراضيها. بل إنه على مستوى الدول المستقبلة ذاتها يحدث إنتهاك للقوانين الخاصة بالإذاعة فيها وهو ماينطبق عليه قول أستاذنا بن نبى «القابلية للاستعمار» ، وهو هنا أقسى أنواع الاستعمار ، وهو الاستعمار الفكرى، والذى أشار إليه وزير خارجية كندا عندما صرح فى عام ١٩٧٦ بأن «برامج التليفزيون الأمريكى تدفع كندا نحو الكارثة بعد أن أثبتت الدراسات هناك بأن بعض الأطفال الكنديين لايعرفون أنهم كنديون ورد الباحثون ذلك إلى «تأثرهم بالبرامج الأمريكية التى تصلهم واضحة»..

وفى مصر ، على سبيل المثال ، ينص القانون رقم ١٣ على أن «اتحاد الإذاعة والتليفزيون يختص دون غيره بشئون الإذاعة المسموعة والمرئية وله وحده حق إنشاء وتملك محطات البث المسموع والمرئى بجمهورية مصر»، ومن ثم يحظر وجود محطات خاصة، بل ورفضت طلبات تقدم بها أصحابها لإنشاء قناة تليفزيونية خاصة. وبالرغم من ذلك نجد برامج الشبكة الفرنسية (CFI) والشبكة الأمريكية (CNN) على شاشات التليفزيون التابع للاتحاد، وتجرى الآن «الشركة المصرية للأخبار» المعروفة باسم (CNE) دراسة لاسقبال القناة الرياضية الأوربية المعروفة باسم «يوروسبور» (Eurosport) لضمها لبرنامجها الإخبارى المأخوذ من الشبكة الأمريكية (CNN) .

كذلك لم يسن أى قانون فى مصر يحظر حيازة الهوائيات الخاصة باستقبال البث المباشر سواء بالنسبة للأفراد أو الجماعات وإن كانت هناك ضوابط منها :

- حظر إعطاء تصريح حيازة أطباق استقبال (الهوائيات القصعية) والمسماة «ديش» (dish) باللغة الإنجليزية وبارابول Parabole باللغة الفرنسية (ملحق رقم ٤) للاستخدام المتعدد مثل التوزيع الداخلى فى الفنادق والعمارات السكنية والتجمعات السياحية.

- ألا يزيد قطر الهوائى بالنسبة للأفراد عن ٢٤٠سم.

- ألا يزيد قطر الهوائى بالنسبة للسفارات والقنصليات والهيئات السياسية والاقتصادية.. عن ثلاثة أمتار بشرط التقدم إلى لجنة الإشراف على استخدام الاتصالات اللاسلكية للحصول على الموافقة اللازمة واتخاذ إجراءات التصريح بذلك.

– بل وهناك تحذير موجه للأفراد الذين لديهم هوائيات استقبال الأقمار الصناعية من استقبال إرسال الشبكة الأمريكية (CNN) فى مصر دون الحصول على تصريح مسبق لأن (CNE) هى الجهة الوحيدة المرخص لها فى مصر باستقبال برامج الشبكة الأمريكية وإعادة تسويقها ، بمعنى أن من يخالف هذا التحذير يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

والسؤال المطروح هنا : هل يحدث ذلك؟ وفى حالة اتباع هذه الشروط والضوابط، ألا يمكن ترويج برامج هذه القنوات الأجنبية على شرائط فيديو؟، بل والسؤال أيضاً مطروح حول وصول بث هذه القنوات إلى شاشات التليفزيون لدى بعض الأفراد بدون حيازة لهذه الهوائيات القصعية والذى فسَّره بعض المتخصصين بوجود هوائيات قريبة، وهى هوائيات يمكنها استقبال بث اثنين وسبعين قناة من جميع أنحاء العالم كما جاء فى واحد من الإعلانات العديدة التى تنشر إعلانات عن هذه الهوائيات فى صحفنا اليومية .

التعرض لبرامج البث المباشر :

حاولنا من جانبنا التعرف على الدوافع وراء مشاهدة البث عبر الأقمار الصناعية ومدى تأثير ذلك، فوجدنا أن مشاهدة هذه البرامج قد أثرت بنسبة ٦٥٪ على مشاهدة برامج التليفزيون المصرى (على حد قول أحدهم وتمت مقابلته خلال شهر رمضان ببرامجه المميزة) ، ويقول أحدهم إنه يستطيع مشاهدة ٣٥ قناة. ومن البرامج التى يقبل أصحاب الهوائيات على مشاهدتها برامج التليفزيون الإسرائيلى ، وSIN , RTL, CF1, Super Channd, CNN الأسبانية (ولا يهم معرفة اللغة، على الأقل بالنسبة للأغانى..)، ومنهم من يسجل هذه البرامج التى تنال إعجابه، والبرامج العلمية (لأنها تفيده فى عمله) وبرامج تفيد الأسرة.. فهى برامج «ثقافية ممتازة ومشوقة وفيها تسلية وثقافة ومعرفة، والمسلسلات والأفلام تصور «نموذجاً اجتماعياً متطوراً» وCNN تجعل الفرد «مطلعاً على العالم الخارجى ومتابعاً للأخبار أولاً بأول..» ، أما بالنسبة للتليفزيون المصرى فإن نشرات الأخبار فيه « تطورت منذ أزمة الخليج ويرجع ذلك إلى منافسة CNN إلا أنها «مملة» كما أن «التمثيليات الدرامية للتليفزيون المصرى سخيفة جداً» باختصار «كل برامج التليفزيون المصرى تافهة وموضوعاتها هايفة ومملة ومعادة وليس لها هدف ولا معنى، حتى برامج الأطفال لاتكسب الطفل المعرفة الكافية .. بعكس البرامج الأجنبية للبث المباشر التى تتميز من ناحية الإخراج والمضمون وعرض الأخبار بالتنوع والجودة الفنية.. ولا يستطيع التليفزيون المصرى ملاحقة هذه القنوات.. وحدث سأم من البرامج المصرية والتى هى فى حاجة إلى تطوير عن طريق أفكار مفيدة وخبرات جيدة وإمكانيات عالية..

وهناك من يرى أن البرامج الأجنبية لاتفسد القيم الإسلامية – مادمت لا أقلدهم كما قال أحدهم – فنحن لدينا

أحدهم- فنحن لدينا مبادىء ونعرف الخطأ من الصواب ويجب أن نرى ونعرف وألا نكون جهلة ، والرؤية لاتستدعى التقليد ، والمطلوب من التليفزيون المصرى أن يكون مثل غيره من التليفزيونات الأجنبية فهو غير مفيد وغير متجدد ولا توجد الإمكانيات لملاحقة هذه التليفزيونات الأخرى».

ومن هذا الاستطلاع وجدنا أن هناك هوائيات فردية خاصة بأسرة واحدة وأخرى جماعية للسكان فى بناية واحدة (وتتوافر هذه الهوائيات أيضاً فى عدة فنادق على مستوى القاهرة)، وأن أصحاب الهوائيات يلجأون أحياناً إلى المنازل المجاورة لوضع هذه الهوائيات فوق السطح - لتفادى العوائق- ونرجو مراجعة ذلك مع ماسبق ذكره عند الحديث عن التأسيس القانونى للبث المباشر فى مصر، كذلك نعرف مدينة سياحية تابعة لإحدى الهيئات توفر لقاطنيها استقبال البث المباشر خلال الاستعانة بهوائى مركزى.

تأثير البث الوافد :

ما قلناه منذ سنوات وحذرنا منه قد بدت «بشائره» ، وبدأ البساط ينسحب من تحت أقدام التليفزيون المصرى..، فمن خلال هذا الاستطلاع الأولى نستطيع أن نترجم هذه الهوائيات المنتصبة فوق أسطح منازلنا مديرة ظهرها للمقطم بأنها رفض للتليفزيون المصرى بالدرجة الأولى وما يعنيه ذلك من دلالات، علما بأننا نستطيع تقدير عدد هذه الهوائيات - والتى تستخدم بشكل جماعى كما رأينا - بحوالى سبعمائة تقريباً وهى فى زيادة مطردة، ومتعهدو تركيباتها منتشرون وإعلاناتهم صريحة..

كذلك تخوفنا فيما مضى مما يمكن أن يجلبه هذا البث المباشر فى معيته من سلبيات أخرى على المستوى العقدى والأخلاقى والسياسى والثقافى والتى حاول الدكتور ناصر (١٩٩١) تحديدها، بما يحتم عدم الوقوف مكتوفى الأيدى وضرورة الكشف عنها بعد أن ظهرت قنوات تنصيرية إلى جانب القنوات التى تقدم برامج هاجمها نووها أنفسهم.

وقد ركز الدكتور ناصر على **الأثر العقدى** للبث المباشر وأشار إلى جملة جاءت عرضاً فى تقرير لجنة ماكبرايد بأن «إدخال وسائل إعلام جديدة وخاصة التليفزيون فى المجتمعات التقليدية قد أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين وممارسات حضارية كرسها الزمن»..

كذلك نوّه عن **الأثر الثقافى** والذى أشرنا إليه منذ سنوات باسم «انتاجية الفرد»- والذى هو طالب أو عامل- أمام شاشات التليفزيون عندما تعمل طوال أربع وعشرين ساعة متصلة وتطرح اختيارات عديدة ، وأشار إلى مواقف دول «متقدمة» أمام البرامج الوافدة وتخوفها من تأثير الثقافة الوافدة على ثقافتهم القومية والمعروف باسم «الغزو الفكرى» ، وإن كان هناك من يقلل من شأنه بالنسبة لمصر على الأقل مبررين ذلك بأن مصر قد استطاعت احتواء الثقافات الوافدة على مر السنين مع تحفظنا على وجهة النظر هذه.

ولم يغفل الدكتور ناصر **الآثار السياسية** للبث الوافد وما يمكن أن يسمى بالاستعمار الالكتروني، وبأن البث التليفزيوني سيساهم بأفلامه وبرامجه ومسلسلاته في تحقيق أهداف القوى الاستعمارية ، ويستشهد بذلك بما قاله الكاتب فهمي هويدي معلقاً على دخول البث المباشر لتونس «خرج الاستعمار الفرنسي من شوارع تونس عام ١٩٥٦م ولكنه رجع إليها عام١٩٨٩م، لم يرجع إلى الأسواق فقط، ولكنه رجع ليشاركنا السكن في بيوتنا والخلوة في غرفنا والمبيت في أسرة نومنا .. رجع ليقضي على الدين واللغة والأخلاق ، كان يقيم بيننا بالكره، ولكنه رجع لنستقبله بالحب والترحاب، كنا ننظر إليه فنمقته، أما الآن فنتلذذ بمشاهدته والجلوس معه إنه الاستعمار الجديد، لا كاستعمار الأرض، وإنما استعمار القلوب ..» ، كما يشير إلى رأى الدكتور على النجعي بأن أخطر ما يحمله هذا البث المباشر «تفتيت المجتمعات، والتقليل من أهمية وسائل الإعلام المحلية ودورها ..» وقد حدث.

ثم يتناول الدكتور ناصر **الأثر الأمني** الذى سبق أن أشرنا إليه لأن السيادة الإعلامية جزء لايتجزأ من سيادة الدولة فرق أراضيها ، ويشير إلى أن الأثر الأمني يتخذ عدة صور منها :

١- **الإرتباط بالمخابرات الأجنبية** ويقول إن أحد المسئولين الأمريكيين وكان يعمل في سفارة لبلاده في إحدى الدول العربية قد ذكر بأن «السفارة قد سيطرت على القناة التي تبث باللغة الإنجليزية » حتى قال «إن القناة تدار من السفارة بدلاً من إدارة التليفزيون في ذلك البلد».

٢- **الاضطرابات**، وقد أشرنا آنفاً إلى ماجاء في تقرير لجنة ماكرايد والتي جاء أيضاً فيها .. « .وغالباً مايصاحب فوائد الاتصالات الحديثة سلبية يمكن أن تشيع الاضطرابات بدرجة كبيرة في النظم القائمة» . وهو ماحظر منه «دانييل ليرنر» منذ فترة طويلة بأن وسائل الإعلام تؤدى إلى تطلعات لدى الأفراد يصعب على حكومات بعض الدول إشباعها مما يؤدى إلى ماأسماه ليرير «بثورة التطلعات» بسبب الإحباط الذى ينتاب الأفراد.

٣- **الجريمة** ، والتي عشناها جميعاً في حادث «فتاة العتبة» حيث ذكر المتهم الأول بأنه كان تحت تأثير فيلم فيديو شاهده قبل ارتكاب جريمته، وما أوضحته دراسات في فرنسا بأن أسباب سوء التكيف بين المنحرفين ترجع إلى مشاهدة «أفلام العنف». كذلك دلت الإحصاءات الأخيرة التي أجريت في أسبانيا أن ٣٩٪ من الأحداث المنحرفين قد اقتبسوا أفكار العنف من مشاهدة الأفلام والمسلسلات والبرامج العدوانية، وهذا يؤكد ماقاله أحد الأطباء النفسيين بجامعة كولومبيا «إذا كان السجن هو جامعة الجريمة فإن التليفزيون هو المدرسة الإعدادية للإنحراف».

ثم ينتقل الدكتور ناصر إلى **الأثر الأخلاقي** للبث المباشر بتفجير الغرائز والبحث عن سبل غير شرعية لتصريفها مما يؤدى إلى شيوع الرذيلة وسهولة ارتكابها، والدعاية إلى أمور محرمة مثل الخمر وما شابهها ..، وذلك بسبب عدم الاعتراف بالمصمتات (تابو) لدى بعض الشعوب، ثم يتحدث عن الآثار الاجتماعية، ويقول الدكتور إبراهيم إمام في ذلك « .. إن الخطر يكمن في

محاولات بث الاغتراب بين شبابنا وهى روح تنم عن اليأس ورفض الثقافة الإسلامية والشعور بفقدان الذات ومحو الهوية ويرتبط بذلك الشعور بالوحدة والخوف وعدم الإحساس بتكامل الشخصية وهذا يؤدى إلى عدم الالتزام والانحلال والتفكك والتسيب» ذلك إلى جانب آثار أخرى اقتصادية واجتماعية وصحية وارتكاب ماحرم الله والتى تنسحب على التليفزيون بصفة عامة، مع حالة الانبهار التى نعيشها أمام شاشته والتعرض عشوائياً لما تعرضه بدون انتقاء مسبق، وانتشار هذا الجهاز حتى وصلت نسبة مشاهدته إلى مائة فى المائة- بالنسبة لمصر على الأقل التى قمنا بإجراء عدة دراسات عليها فى هذا المجال» ويمثل إقبال المستمعين على ماتقدمه إذاعات غربية مدى الإقبال المتوقع لشاشات التليفزيون الأجنبية. وتأتى فى مقدمة هذه الإذاعات إذاعة لندن وصوت أمريكا ومونت كارلو (التى تستخدم ترددداتها بعد نهاية فقرات إرسالها إذاعة «حول العالم» التنصيرية، وذلك بعد أن فقدت وسائل الإعلام القومية مصداقيتها فى فترة من فترات تاريخنا المعاصر ولم تستطع استعادة هذه المصداقية، بل ظهر الاهتمام بهذه الإذاعات الأجنبية وظهور جمهور جديد لها فى الآونة الأخيرة ويسوق لنا الدكتور ناصر مثالاً لذلك مما ذكرته إحدى الصحف بأن رجلاً اشترى راديو من أحد المحلات بالرياض وطلب من البائع أن يحدد له موجات تلك الإذاعات ويثبته عليها، وأن رجلاً آخر اشترى عدة «راديوهات» وجعل كل راديو على موجة من هذه الموجات حتى لايفوته خبر منها، وبالتالى فإن المناخ مهيأ تماماً لتقبل البث المباشر وبخاصة بعد «النجاح» الذى حققته شبكة السى إن إن فى أثناء أزمة الخليج، واعتماد شاشاتنا القومية عليها وعلى أمثالها لملء وقت النشرات الإخبارية .

ومن العجيب، أيها السادة، أن تليفزيون جمهورية مصر العربية قد أصابته لوثة التبعية حتى أنه فى كارثة العبارة «سالم اكسبريس» قام بعرض خريطة للقطر المصرى - ونقول للقطر المصرى- وإشارة الكترونية مطبوعة فى ركن الصورة تشير إلى أنها فى القناة الفرنسية الأولى (TFI) والتى وصلته -ربما- عبر القناة الفرنسية الدولية (CFI) أو فى رسالة لشبكة تليفزيون أوربا (Eurovision) ، والذى يمكن تفسيره فى إطار «صرعة السى إن إن» ! فما الحل إذن ونحن نرى عدم رفض المسئولين لهذه القنوات الأجنبية؟

الحد من تأثير البث الوافد :

الحل سبق وطرحناه منذ سنوات فى عدة محاور لعل أهمها ما يلى :

١-تقوية البث القومى ببرامج يمكنها استقطاب المشاهدين واحتوائهم .

٢-العمل على تدعيم تبادل البرامج فيما بين الدول الاسلامية مع ضرورة تكامل الخبرات والإمكانيات .

٣-إنتقاء المناسب من هذه البرامج الوافدة وتقديمها على شاشاتنا القومية -ونقول إنتقاء-بحيث يمكن بث هذه البرامج فى القنوات الموجوده حاليا وهو المعمول به حاليا بالنسبة لبرامج القناة الفضائية الفرنسية (CFI) على سبيل المثال فى مصر وإن كان يفضل فصل هذه البرامج فى قناة مستقلة تماماً .

٤-ما سبق يقودنا إلى المطالبة بدراسة إمكانية فكرة التنازل عن احتكار الدولة للبث التليفزيونى، وإتاحة الفرصة لوجود قنوات خاصة ممولة من أبناء الدولة او حتى من دول شقيقة لهم ثقافتهم التى لا تختلف كثيراً فإن ذلك من شأنه تحقيق المنافسة بين القنوات القومية والوطنية وهذه القنوات الخاصة، ويتيح التعددية التى ينشدها المشاهد؛ فنحن نقف مع من يقول بأن إعادة بث قناة السى إن إن (CNN) تحت اسم القناة المصرية للأخبار (CNE) يجب ألا يدوم طويلا، إذ يفضل وجود قنوات أخرى اجنبية إلى جانبها تعبر عن أصوات أخرى . وقد نفذت الدفعة الأولى من جهاز فك الشفرة (decoder) الخاص بالسى إن إى وعددها كما قيل ٢٠٠٠ جهاز فى فترة وجيزة ، مما يشير إلى الاقبال على مشاهدتها (ومعظم المشتركين الأول فيها أساتذة جامعات وصحفيين ومكاتب استشارية)، والمعروف أن هذا الإشتراك سوف يمكن صاحبه من استقبال قناة المعلومات-التى بدأت البث التجريبى-واى قناة أخرى مشفرة فى المستقبل (أذاعت القناة المصرية للأخبار (CNE) على القناة ٢١ من الحيز UHF بتصريح من CNN بدون تشفير يوم ٢١ نوفمبر ١٩٩٠ بنظام بالـ (PAL) ولمدة ٢٤ ساعة واستمر ذلك لمدة ثلاثة أيام بمناسبة زيارة الرئيس الأمريكى «بوش» للقاهرة وكان لأى فرد لديه الجهاز المناسب مشاهدتها بدون حاجة لجهاز خاص، إلى جانب السماح للتليفزيون المصرى بإذاعة مقتطفات من هذه المحطة-لا تتعدى ساعة- مع ترجمة باللغة العربية لحقنها فى برامج قنواتة العاملة).

٥-والأهم مما سبق التحصين الذى يحقق مناعة ضد المرض .

والتحصين هنا يكون بتأصيل الإنتماء لهذا الدين وتكامل جوانب التربية فى البيت والمدرسة والمسجد والشارع والنادى وفى وسائل الإعلام ...، وإزالة عقدة تفوق الإنسان الغربى حتى لا نظل فى حالة إنبهار عاجزين عن تجاوز الفجوة- التى نخشى أن تتسع، فقد تجاوزنا أسطورة تفوق العدو عندما عبرنا خط بارليف، والتى تجاوزها اليابانى حتى أن الرئيس الفرنسى السابق «چيكار ديستان» تمنى يوما أن تصل فرنسا إلى ما وصلت إليه اليابان فى أقل من نصف قرن من خروجها مهزومة بل مدمرة، ولم تترك اليابان الساحة للعدو الذى هزمها عسكريا ولم تتحطم نفسيا

٦-التواجد على المستوى العالمى بالاستعانة بتكنولوچيا الأقمار الصناعية وبخاصة فى مجال البث المباشر، والحمد لله بدأت الإرهاصات، وإن كانت لا تنهض إلى مستوى ما يقوم به الآخر،

إذا تذكرنا أن شبكة CNN مثلا تستعين بحوالى عشرين قمراً بينما الشبكة الفضائية المصرية التى سبق ذكرها استعانت بالقمر الصناعى العربى بعد أن كان عمره الافتراضى قد شرف على الإنتهاء (تم توقيع العقد الإبتدائى بين اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصرى وبين المؤسسة العربية للإتصالات الفضائية يوم ١٢ يونيه ١٩٩٠ على أن يبدأ البث التليفزيونى فى أول نوفمبر ١٩٩٠ لمدة ثلاث سنوات ويقال أنه لتأمين استمرار بث هذه القناة إلى ما بعد عام ٢٠٠٠ حجز اتحاد الإذاعة والتليفزيون قناة جديدة من الجيل السابع لأقمار شبكة الأنتلسات والذى سيطلق فى نهاية عام ١٩٩٤ وعمره الإفتراضى ١٥ سنة ويغطى كافة الدول العربية وستكون القناة على التردد « سى» ؛ والمعروف أن أقمار الانتلسات لا تتعرض لكسوف القمر أو خسوف الشمس ويسهل استقبال التردد (C) على أجهزة التليفزيون العادية أما بالنسبة لوضع القناة بالنسبة للقمر الصناعى العربى، فمن المحتمل تخصيص قناتين على القمر عربسات لهذه القناة بدلا من قناة واحدة وتقدم القناة الفضائية المصرية برامجها طوال ١٨ ساعة يومياً وتستقبلها ١٢ دولة عربية و٢٠ دولة إفريقية. وقد بدأت بعض دول عربية (ليبيا والسودان والكويت واليمن) إنشاء محطات بث خاصة بالقناة الفضائية المصرية لاعادة بثها لأهل هذه البلاد عبر موجات الطيف الترددى. وتزمع القناة تقديم موجز باللغتين الانجليزية والفرنسية إلى جانب الموجز الذى يقدم باللغة العربية. وقد نشرت الصحف المصرية فى الأيام السابقة نقاشاً ساخناً حول ما قيل عن توقيع القناة لعقد مع شركة دعاية سعودية تعهدت بتقديم مواد إعلانية عربية ودولية للقناة المصرية .

أما الشبكة الأمريكية (CNN) فإن هناك قرابة مائة دولة مشتركة فى خدمتها، وقد تخطى عدد المشتركين بالولايات المتحدة فى هذه الشبكة الرقم ٥٥مليون منزل ويعمل فى شبكة السى إن إن أكثر من ١٨٠٠ فرد منتشرون فى تسع مكاتب داخل الولايات المتحدة، وحوالى عشرين مكتبا خارجها منها حوالى سبعة مكاتب على اتصال دائم بالمحطة الرئيسية الموجودة فى مدينة أطلنطا بولاية چورچيا الأمريكية، والتى تتبادل البرامج مع محطات أخرى كثيرة وللشبكة مذيعون ومندوبون فى ١٢٠ دولة على مستوى القارات كلها. وقد بدأت (CNN) عملها فى يونيه ١٩٨٠ وتبث برامجها طوال ٢٤ ساعة متصلة، كذلك الأمر بالنسبة لقناتها الثانية) (CNN2) والتى تقدم عناوين الأخبار على مدار ٢٤ ساعة والتى يطلق عليها اسم (Cable News Head Line2) .

وبالإضافة إلى القناة الفضائية المصرية ظهرت القناة « السعودية» التى تحمل اسم «مركز تليفزيون الشرق الأوسط » (MBC) ، كما طلبت الكويت وعمان من مؤسسة الأقمار الصناعية استئجار قناة فضائية من الجيل الثانى للقمر الصناعى العربى لبث برامجها الوطنية (المعروف أن الجيل ثلاثة أقمار وقد تم إطلاق القمر الثالث من الجيل الأول لعربسات فى ٢٧ فبراير

من قاعدة كورو فى غويانا الفرنسية شمال أمريكا الجنوبية). وقد قيل أيضاً إن رابطة العالم الإسلامى تفكر فى إنشاء قناة تليفزيونية عالمية (تصل تكلفتها إلى ألف مليون دولار) تتولى بث البرامج التليفزيونية فى مجالات الدعوة والثقافة الإسلامية (ويقول حمود البدر إن الفاتيكان يستعد لإنشاء محطة تليفزيون للبث فى كافة أنحاء العالم بواسطة ثلاثة أقمار صناعية تسمى بمشروع «نومين ٢٠٠٠».

تكنولوچيا الاتصال لخدمة الدعوة والثقافة الإسلامية.

الفرصة متاحة لنا بالفعل لكى تكون لنا أقمار للبث التليفزيونى ولدينا الامكانيات اللازمة – اللهم إلا التكنولوچيا نفسها سواء أقمار على المدار الاستوائى (وكانت المسافة بين كل قمر وآخر على هذا المدار فى السبعينيات خمس درجات إلا أنها تضاعلت إلى ثلاث درجات قد تصل إلى درجتين فى وقت قريب ولكن بمرور الوقت سوف تتضح مشكلة تشبع هذا المدار المتزامن الذى يتمركز على ارتفاع ٣٦٠٠٠ كيلو متر ، تخصص لمصر موقع مدارى للقمر الصناعى المصرى للبث المباشر عند سبع درجات غرباً ومخصص لها القنوات القمرية التليفزيونية ٤ و ٨ و ١٢ و ٢٠ . ويقال إن السودان مخصص لها موضع مدارى مماثل أى عند سبع درجات غرباً!!) وغنى عن القول هنا أن الولايات المتحدة – ولأنها تمتلك التكنولوجيا – قد سارعت إلى احتلال المواقع الرئيسية من المدار الثابت الحالى وتشعر دول العالم الثالث بالقلق بسبب هذا، وتكافح من أجل الاحتفاظ بمكان للأقمار من أجل نفسها حتى تكون لها القدرة على إطلاق أقمارها الخاصة. وترد الولايات المتحدة على هذا بأن ترك مواقع المسارات شاغرة دون استخدام سيترتب عليه تهدئة «النشاط التكنولوچى للأقمار من أجل الجميع» وأنه يجب شغل الأماكن على أساس «من يأتى أولاً تتم خدمته أولاً».

كذلك يمكن التفكير من الآن بأن تكون لنا أقمار على المدار الجديد (إذا نجحت الدراسات التى تجرى حالياً للحصول على مدار متزامن على بعد ١١٣٠٠ كيلو متر بالنسبة للأقمار الصناعية «الثابتة».

ولكن هناك من يشكك فى أن الأقمار الصناعية سوف يكون لها دور فى النقل ذى السعة الكبيرة عبر المسافات الطويلة عندما يبدأ استخدام الألياف البصرية (optical fibre) التى سوف تحل عندئذ محل الأقمار الصناعية فى النقل ذى السعة الكبيرة عبر المسافات الطويلة.

وقد بدأ استخدام الكابل البحرى (TAT 8) عبر المحيط الأطلنطى والكابل (TPC 3) والكابل (HAW) عبر المحيط الهادى تطبيقاً للتكنولوچيا المتقدمة للألياف البصرية، وسوف يتلو ذلك عدد آخر من الكابلات مما يشكل تهديداً مباشراً لاستخدامات الأقمار الصناعية لما توفره الكابلات

من جودة النقل العالية وطول عمرها بالمقارنة بالأقمار الصناعية وبخاصة بعد خفض القيمة الإيجارية للكابلات ، لاسيما وأن عملاء الخدمة التليفونية يشمئزون حالياً من التأخير فى الإشارة المنقولة بوساطة الأقمار الصناعية ويفضلون النقل عبر الكابلات. وبالرغم من ذلك فإننا نعتقد بأن الأقمار الصناعية سوف تظل متميزة عن الكابل بقدرتها على تحقيق وصلات «من نقطة إلى عدة نقاط متفرقة» والتى تستغل حالياً فى البث التليفزيونى ، وكذلك فى الاتصالات المتحركة ، وبالنسبة للمناطق النائية المتناثرة، وفوق أراضى الغير.

وما سبق يقودنا إلى الحديث عن التقنية الخاصة بالكابل والتى يمكن الاستعانة بها كما نعرف فى مجال البث التليفزيونى وعرفها المواطن العادى فى منطقتنا مع وصول بث الشبكة الأمريكية CNN على شاشات التليفزيون لدينا .

تكنولوچيا الكابل والبث التليفزيونى:

مع ماتوصل إليه «بورسول» (Bourseul) فى فرنسا سنة ١٨٥٤، وطوره «ريس» (Reis) الألمانى فى سنة ١٨٦١، وتم تحقيقه وتطبيقه بوساطة الأمريكى «بل» (Bell) بالولايات المتحدة فى سنة ١٨٧٦ كان يحمل فى طياته الرفاهية إلى جانب التقنية الجديدة. فمع ظهور التليفون، وبتكوين الرقم المطلوب، أصبح فى إمكان الفرد الحديث فوراً وتبادل الأفكار مع الشخص الذى يختاره. والاختراع، وإن كان مهماً، إلا أنه كان يتسم بالفردية وله خاصية الانتقاء مما لايشجع على الحوار العام فى الاتصال الاجتماعى.

ومع اكتشاف انتشار الصوت فى الهواء من خلال ظاهرة الموجات، فإن «هيرتز» (Hertz) الألمانى فى سنة ١٨٨٦، و«ادوارد برانلى» (Edouard Branly) فى سنة ١٨٩٠، و«پوپوف» (Popoff) الروسى (الذى يرجع إليه الفضل فى اختراع الهوائيات فى سنة ١٨٩٣) و«ماركونى» (Marconi) فى سنة ١٨٩٦.. كلهم قد ساهموا فى الاستغناء عن الكابل والاتجاه إلى اللاسلكى (TSF)، والبرق دون أسلاك، المعجزة الحقيقية فى مجال الاتصال، فلم تعد هناك حاجة لأدوات وسيطة لنقل الرسالة المسموعة، بل والمرئية أيضاً فى مرحلة لاحقة.

ولكن، كان لخصائص موجات الميكروويف بالنسبة للبث التليفزيونى فى ظروف ملائمة وعلى مساحة واسعة ،والمكلفة جداً، ماجعل هذا النوع حكراً على القوى الحكومية وحدها، والتى عليها عندئذ تغطية الأراضى بشبكة اتصالات هيرتزية تأخذ على عاتقها هذا العبء ،تساعدها فى ذلك الإمكانيات المالية أو القوى التجارية فى إطار قانون ينظم هذه العملية (مع عدم إغفال التمويل الذى يمكن أن تحققه الإعلانات).

وتطور التليفزيون عن طريق الموجات الهيرتزية من قناة واحدة إلى قناتين، فثلاث قنوات.. ثم كانت الألوان، ودخل التليفزيون حياة جميع الأفراد فى عديد من دول العالم. واليوم، ومع الاستعانة بالأقمار الصناعية أمكن للإنسانية متابعة الأحداث المصيرية على مستوى العالم، وصول الإنسان إلى سطح القمر (٢١ يوليو ١٩٦٩)، ومتابعة أزمة الخليج منذ اللحظات الأولى ومن قلب المعارك (١٩٩٠ - ١٩٩١)، والمشاركة فى مؤتمر للسلام (مدريد فى شهر نوفمبر ١٩٩١)..

ولما كانت موجات الميكروويف التى تستخدم فى البث التليفزيونى إلى جانب مداها المحدود (٥٠ك م) تتأثر بأى عوائق طبيعية مثل الجبال ،أو ظروف مناخية عنيفة، وببعض الموانع الصناعية مثل المنشآت العالية والتى هى سمة شائعة فى العمران وبخاصة فى المدن.. فإن البث التليفزيونى قد يصل إلى شاشات التليفزيون بصورة غير مرضية عند مرحلة الاستقبال.

كذلك يجب ألا ننسى أن حيز الترددات التى يمكن استخدامه فى البث التليفزيونى ليس بلا حدود، فإن الموجات تضطرب بسهولة ويصعب انتقالها بصورة مقبولة إلا على حيزات لترددات محدودة، وتجنب حدوث تداخل أمر يمكن التحكم فيه عندما لاتكون هناك سوى قنوات قليلة، ولكن فى حالة وجود عشرين قناة مختلفة، أو حتى خمسة عشرة أو عشر قنوات ، يصبح الأمر فى حاجة إلى إعادة نظر، وهو ما تحقق فيما بعد من خلال الكابل، والذى يحقق ما قاله توفلر «إنه لمن دواعى السخرية أن الناس سوف لاتعانى فى المستقبل من قلة الاختيار ولكن من الإفراط فيه إلى حد يسبب الشلل»، إذ يمكن للمشترك فى الخدمات الحديثة الحصول على أكثر من مائة قناة تبرز هذه المشكلة، وظهر التخصص فى شبكات الكابل بالولايات المتحدة، فمنها مايبث الأفلام ، وما يختص بتقديم الأغانى والموسيقى، وما يقدم الأخبار، وما يتوجه للأطفال ويعتمد على الرسوم المتحركة ، وأخرى للرياضة، وقد يهمنا هنا أن نعرف وجود شبكات دينية تستعين بالكابل ومنها CBN من فيرچينيا ، وكذلك TBN التى تقدم برامج تنصيرية أيضاً، إلى جانب الاستعانة بالكابل فى تقديم برامج للفئات أكثر من برامج الخدمات ومثال ذلك تليفزيون المتعة السوداء (BET) والذى يقدم برامج تعرض الفنون لدى الأقليات السوداء فى أمريكا .

نشأة التليفزيون الكابلى :

نشأ التليفزيون الكابلى مع ظهور التليفزيون تقريباً وإن كان هناك اختلاف لا يقدم أو يؤخر فى تحديد صاحب الفضل فى ذلك، وهل كان فى «أوريغون» أو فى بنسلفانيا بالولايات المتحدة، مادامت البداية فى الفترة ذاتها وللأسباب نفسها . ففى بنسلفانيا، فكر أحد الفنيين فى سنة ١٩٤٨ فى إمكانية تثبيت هوائى على قمة أحد الجبال القريبة لاستقبال البث التليفزيونى ، ومد كابل من هذا الهوائى إلى المنطقة السكنية حيث يمكن للمشتركين استقبال هذا البث بوساطة الكابل مادام البث عبر موجات الطيف الترددى لايصلهم لوجودهم فى «منطقة ضباب» (والتى تسمى بالجيوب الضعيفة) ، وكان ذلك بداية ما عرف باسم (CATV) (Community Antenna Teleuvsion) فى الولايات المتحدة، وما يعرف فى دول أخرى تحت مسميات متعددة منها: Callodiffusion Teledistribution Television par cable - Cablovision إلى العملية التى تتم عند الاستعانة بالكابل لتوزيع البث التليفزيونى عن بعد، وأخرى تحمل فى طياتها اسم تقنية الكابل المستخدم فى هذا التوزيع بالنسبة للتليفزيون.

نخلص من ذلك إلى أنه عندما يكون من الصعب تطبيق تقنية متطورة فى مجال ما ، فإنه لابد من الاستعانة بتقنية موجودة بالفعل، وأنه فى مجال التليفزيون كان من الصعب الاستعانة بالموجات الهيرتزية وحدها لتحقيق الهدف المنشود من البث التليفزيونى وتعميمه لذلك كانت هناك ضرورة للرجوع إلى النظام المستخدم فى مجال التليفون منذ سنوات، أى اللجوء إلى الكابل.

ولكن بداية تجدر الإشارة إلى أن الكابل المستخدم فى التليفزيون أقوى من ذلك المستخدم فى التليفون إذ يمكنه نقل إشارات ذات ترددات تتراوح مابين ٤٠ مليون و٣٠٠ مليون سيكل/ثانية وهذا يسمح عادة للكابل بأن يحمل ٤٠ قناة تليفزيونية . ولكن المسألة ليست بهذه البساطة فهناك مشكلة المضخمات التى يجب أن تعمل على طول الكابل لكى تصل الإشارة فى «حالة جيدة» إلى المستقبل مما جعل هذا الكابل العادى يستخدم فى نقل عشرين قناة فقط، بل وبدأ الأمر فى أمريكا الشمالية بعدد من القنوات لايزيد عن ١٢ قناة، وكذلك كان الوضع بالنسبة لفرنسا، حيث أشارت تجربة التليفزيون الكابلى فى «غرونبل» (genoble) إلى أن صناعة الكابل وما يتطلبه التليفزيون الكابلى من صناعات أخرى قد أضافت قناة واحدة «كابلية» إلى القنوات الثلاث التى كانت موجودة وقتئذ فى فرنسا.

والتليفزيون الكابلى قد يفسره بعض المتشددين بأنه ردّة فى مجال التليفزيون وينسون أنه يكمل التليفزيون الهيرتزى - الذى لاغنى عنه - وأن اللجوء إلى الكابل كان علاجاً عندما كان من الصعب استخدام تقنية واحدة، وإن كانت خصائص الكابل وما يوفره للتليفزيون - وبخاصة بعد ظهور التليفزيون الملون وانتشاره فى المدن الكبيرة - كانت سبباً وراء استخدام التليفزيون الكابلى الذى يبدو أنه بلا حدود.. خصوصاً وأن الإعلانات محدودة ومقننة على شاشته.

وكان لابد وأن يجذب هذا النظام اهتمام الدول ذات الطبيعة الجغرافية الخاصة، أو ذات التوزيع السكانى الخاص، وهكذا ظهر التليفزيون الكابلى فى كندا حيث تتشابه المشكلات ومثيلاتها فى الولايات المتحدة ، وفى اليابان (حيث يستعان بالكوابل البحرية) وفى انجلترا وهولندا وبلجيكا وسويسرا وفرنسا.. وبدأ ينتشر..

وأول انتصار لهذه التقنية يحسب لها هو بجاحه فى بث برامج محطات «أهلية» محلية فى شكل خدمات أو تحقيقات أو حوار.. مما جعل التليفزيون الكابلى متميزاً ، وبخاصة عندما تطورت العملية وتوصل الفنيون إلى إعطاء المشاهد حق المشاركة على الكابل - كما هو الحال بالنسبة للتليفون.

فاستخدام الكابل يمكن الفرد فى المنزل من الاشتراك بإبداء الرأى فى الحوار الدائر على الشاشة ، أو أن يطلب بعض المعلومات مكتوبة أو مرسومة على الشاشة (صفحات من كتاب أو برنامج المسرح..) وهو مايعرف باسم «الفيديوتكست» (Videotext) التى دخلت أول مادخلت فى إنجلترا وألمانيا الغربية، كما يستطيع الفرد عن طريق جهاز الكمبيوتر الخاص به الاتصال بالآخرين من أصحاب أجهزة الكمبيوتر الأخرى من خلال نظام الكابلات.

من الجدير بالذكر هنا أن «أمن المنزل» من المجالات التى دخلها الكابل، كذلك فقد سمح اتجاه ريقين (two ways) لأجهزة إطفاء الحريق وأجهزة العناية الطبية الخاصة بالطوارىء أن ل بنظام الكابل، فيقوم الكمبيوتر فى المحطة الرئيسية بإرسال إشارة لكل منزل مشترك لمدة ثوان للتأكد من أن كل شىء فى النظام على مايرام، وفى حالة وجود شىء غير عادى فى ب أو فى طفايات السجاير أو صنبور المياه أو ماسورة الغاز أو موقد الطهى الذى يعمل ز الطبيعى أو أية أجهزة ومعدات أخرى ، فإن الإشارة تعود إلى محطة الإرسال لشركة ابل منبهة لذلك فتقوم بإبلاغ الشرطة فى الحال، بمعنى أن التليفزيون الكابلى قد أصبح أحد افق العامة».

كذا يمكن أن نستخلص أن مشكلة التليفزيون الكابلى ليست على مستوى التكنولوجيا فى هاردوير» (Hard Ware) ولكنها فى «السوفت وير» (Soft ware) ، فى المضمون المحلى ، مون المتنوع، فى هذا التعدد فى المواد بصورة تحتم وجود أكثر من جهاز تليفزيون فى الواحد، قد يصل عددها إلى عدد المقيمين فيه.

ذلك لجأت بعض الدول إلى التليفزيون الكابلى للتخلى عن جزء من موجات الطيف الترددى تستخدم حالياً فى البث التليفزيونى لمحدوديتها وللحاجة إليها لأغراض أخرى عندما لايكون بديل، بالنسبة للمناطق النائية والأجهزة المتنقلة بالنسبة للتليفزيون ، وكذلك للأغراض كرية والاتصال بالسفن فى أعالى البحار وبالطائرات ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر..

التليفزيون الكابلى فى الولايات المتحدة كان يعتمد كما سبق القول على هوائى جماعى، وكان بهذه الخدمة – ربما بدون أى استثناء – مؤسسات صغيرة لها صفة المحلية تماماً، والتى ددها فى بداية الستينيات بحوالى ٦٤٠ محطة لم يكن لها أى أهمية إلا بالنسبة للمجتمع ، مع التأكيد مرة أخرى على عدم وجود أى تأثير لها على التليفزيون الهيرتزى.

كذا تخطى الإقبال على التليفزيون الكابلى كل ماكان متصوراً من قبل ، وانتقل التليفزيون لى إلى مرحلة ثانية.

ى مدينة «سان دييغو» (San Diego) بولاية كاليفونيا كانت هناك محطتان (VHF) فى سنة ١٩ إحداهما تابعة لشبكة NBC والأخرى تابعة لشبكة (CBS) يغطى إرسالهما المنطقة بالبث يرتزى ، وعلى بعد عدة أميال من هذه المدينة، وفى المكسيك، كانت هناك محطة ثالثة (VHF) ة لشبكة (ABC) الأمريكية ، وكانت المحطات الثلاث تشكل معاً ما يمكن تسميته «وجبة ة» لسكان هذه المنطقة.

ورغم وجود هذه المحطات الثلاث، اجتاح التليفزيون الكابلى «سان دييغو» فى سنة ١٩٦١ عندما قام أحد المتعهدين بتثبيت هوائى متطور يمكنه التقاط البرامج التى تبث من «لوس أنجليس» من على بعد ١٥٠ ميلاً وبذلك أصبح فى إمكان سكان «سان دييغو» مشاهدة المحطات الأربع المستقلة التى تغذى «لوس انجلس» بالمواد الرياضية والأفلام والمسرحيات القديمة وذلك مع الخدمات المحلية لمدينة « لوس انجلس» التى تقدمها القنوات الثلاث بالإضافة إلى الشبكات الثلاث الموجودة أصلاً فى «سان دييغو».

وفى نهاية الستينيات كانت شبكة التليفزيون الكابلى فى « سان دييغو» تخدم ٢٥٠٠٠ مشترك، وكل هذا فى مدينة تقدم- ربما- إمكانيات متعددة للترفيه ووسائل التسلية غير التليفزيون لاتوفرها لسكانها أية مدينة أخرى فى الولايات المتحدة تتشابه معها فى الأهمية وخصائص أخرى.

وظهر من تجربة «سان دييغو» أن ثلاث قنوات لاتكفى لإشباع حاجة المشاهدين من التليفزيون، وأن شريحة عريضة من هؤلاء على استعداد للإنفاق فى سبيل الاستفادة من برامج مختلفة عما يقدم من خلال القنوات الثلاث الموجودة فى « سان دييغو». وفى الوقت نفسه. ظهر فى أماكن أخرى - أقل حظاً بالنسبة للتليفزيون من « سان دييغو» - أن التليفزيون الكابلى لايقف بالضرورة فقط عند حد البرامج التى يمكن لهذا الهوائى «غالى الثمن» أن يتلقطها.

ففى أماكن متفرقة من المستحيل أن يصلها البث الذى يمكن أن يوفره هذا الهوائى الجماعى، قام بعض رجال الأعمال باستئجار محطة ترحيل (Relay) لموجات الميكروويف من هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية (ATT) لإطالة مدى انتشار هذه الموجات لكى يصل إلى أماكن إقامتهم من محطات على مسافة أطول مدى إنتشار موجات الميكروويف، ثم إعادة بث هذه البرامج إلى المشتركين لديهم فى الشبكة الكابلية. وهذا تمكن هؤلاء من إقامة محطة ذات إشراف مستقل للاستفادة منها عند عدم كفاية النظام الذى يعتمد على الاستعانة بوصلات ميكروويف يتم استئجارها خصيصاً لهذا الغرض، وهكذا قد يشير إلى أن التليفزيون الكابلي أمامه الضوء البرتقالى على الأقل، وربما الضوء الأخضر، بمعنى أنه حر، أو يمكنه أن يكون حراً فى أن يتطور وفق مقتضيات الظروف الخاصة به.

وشيئاً فشيئاً، لم يعد التليفزيون الكابلى يدار بوساطة مشروعات صغيرة بعد أن أصبح عملاً ضخماً له شركاته الكبرى، وأصبح هناك إقبال عليه بسب الملل الذى تسببه الإعلانات فى برامج التليفزيون العادية، وإن كان هذا لايعنى اختفاء الإعلانات من على الكابل كما ذكرنا آنفاً ، بل يقال إن الإعلانات الموجودة على الكابل هى نفسها التى تظهر فى البث الهيرتزى والتى قيل إنها بلا ذوق ولا شكل ولا اتساق.

وقد عانت خدمات كابلية من سرقة برامجها من قبل الأفراد الذين لايدفعون للشبكة ويحصلون على البرامج عن طريق وصلات من الجيران أو بشراء أجهزة فنية بديلة تمكن من وصول هذه الإشارات إلى منازلهم أو باستقبال هذه البرامج مباشرة من الأطباق. فعندما زاد عدد هذه الأطباق ووصل إلى المليون أصبحت خدمات الكابل فى موقف دفاعى لأن أصحاب هذه الأطباق يستقبلون برامج الكابل بالمجان ولا يدفعون شيئاً لشركات الكابل، ومن ثم ، تم وضع خطط للتشويش على الخدمات الكابلية بحيث لايستقبل أصحاب الأطباق البرامج الكابلية بصورة واضحة مالم يدفعوا رسماً لتغطية هذا التشويش.

التزاوج بين الكابل والتليفزيون :

يتزايد الحديث الآن عن التزاوج التكنولوجى بين الشبكات الفضائية وشبكات الكوابل الأرضية محورية (Coaxical) وألياف بصرية (Fibre optic) . فقد كانت الشبكة الفضائية لليوتلسات (EUTELSAT) من الجيل الأول مصممة للتوزيع التليفزيونى على محطات دول أوربا لإعادة بثها على محطات إرسال عبر موجات الطيف الترددى فى الحيز UHF و VHF ، إلا أن شركات الكوابل لم تقف متفرجة، بل سارعت باستقبال برامج (يوتلسات- وان) وتوزيعها على المنازل دون إعادة بثها من محطات لاسلكية. وهكذا كان لتطور تكنولوجيا الأقمار الصناعية تأثيره فى تطور تكنولوجيا الكابل وكفاءتها والتى كانت تخدم أغراضاً فردية بحيث تتخصص كل منها فى نشاط محدد. ومن الجدير بالذكر أنه مع التزاوج الذى تم بين الأقمار الصناعية والكوابل استمرت بعض خدمات الكابل لفترة طويلة وتطورت، إلا أن بعضها ظهر لفترة قصيرة ثم اختفى، كما لم يكتب النجاح لبعضها الآخر وانطفأ فور ظهوره، وقد يرجع ذلك إلى الخاصية التى تميزت بها هذه الخدمات التى اهتمت بملامح المجتمع المحلى الذى تعبر عنه وتنطق بخصائصه ، وظهرت كثافة هذه البرامج المحلية بكثرة فى أواخر السبعينيات. وهنا نفتح الأقواس للإشارة إلى مايقال بأن شركات الكابل تهتم فقط بالمناطق التى يسكنها الأغنياء القادرين على الدفع لها لأنها ترغب فى الحصول على الربح السريع.

وهناك من يؤرخ لاستخدام الأقمار الصناعية للخدمة الداخلية عبر الكوابل بإطلاق شركة (Western Union Company) للقمر «وستار وان» (Westar 1) وكان قد سبقه فى الاستخدام أقمار أخرى ولكن ليس للخدمة الداخلية ، وكان قطر الهوائيات الأولى المستقبلة من هذا القمر عشرة أمتار وتتكلف تقريباً ١٥٠٠٠٠ دولار ثم تطورت وتضاءل قطره إلى أربعة أمتار ونصف المتر بتكلفة أقل من ١٠٠٠٠ دولار..

وقد استطاع «تيم إنك» صاحب المحطة المسماة «مكتب صندوق المنزل» (Home Box Office) فى سنة ١٩٧٢ أن يقدم خدمة خاصة مدفوعة تتضمن الأفلام السينمائية وبعض الأحداث للمحطات المشتركة فى نشاطه والتى وصل عددها إلى أربعة عشر شركة كابل فى مقاطعتين . كذلك استطاع «تيد تيرنر» صاحب محطة (WTBS - TV) (والتى كانت تعمل على حيز الترددات UHF قبل الاستعانة بالكابل) استطاع أن يضع إشارات محطته على الأقمار الصناعية نفسها التى تستعين بها محطة HBO بحيث يستطيع من لديهم الكابل ولديهم الهوائى الخاص بالاستقبال من القمر الصناعى لمحطة (HBO) أن يستقبلوا محطته أيضاً التى هى من المحطات العملاقة «السوبر» (Super) التى استطاعت أن تستقطب كل أمريكا لمشاهدتها، وكانت نشأتها فى أطلانطا بولاية چورچيا، وبعدها بدأت المحطات الكابلية الأخرى تعرف طريقها للأقمار الصناعية.

وقد شهد منتصف الثمانينات إنكماشاً فى صناعة الكابلات حتى أن مجلة «التايم» (TIME) كتبت أن برامج التليفزيون الكابلى قد فشلت، فقد طويت تماماً خدمات كابلية عديدة.

ولكن ، شهد عام ١٩٨٩ إنطلاقة قنوات الكابل وتعددها فى الولايات المتحدة بظهور التخصص فى موضوعات محددة مثل الأخبار والشباب والصحة والسينما والرياضة والترفيه ، مع زيادة ملحوظة فى عدد المشتركين.

وعن الإشتراك فى شبكات الكابل، فإن البيانات الرسمية لسنة ١٩٨٨ بالولايات المتحدة لسنة ١٩٨٨ تذكر أن عدد المنازل التى وصلها الكابل قد بلغ ٤٥ مليون . وتقدر المصادر الخاصة بصناعة الكابل أن ٨٠٪ من المنازل قد وصلها الكابل بالفعل، وتؤكد أن التليفزيون قد انتشر فى الولايات المتحدة بنسبة تقارب ٩٨٪ من المساكن (٨٨.٦ مليون) ، ٥١٪ من هذه المساكن مشتركة فى الكابل الأساسى ، و٢٧٪ فى خدمات الكابل المدفوع ، و٥٣٪ لديهم قناة (VCR) (Video Cassette Record) واحدة على الأقل . أما عن عدد الهوائيات القصعية فقد زاد عددها عن المليونين ويتراوح قطرها مابين ١.٨٠ و٣.٦٠ متر. وبذلك أصبح الكابل نظاماً مركباً حيث يمكن التقاط حوالى ١٢ قناة عبر موجات الطيف الترددى، ومن ٢٤ إلى ٣٦ قناة عبر الأقمار الصناعية إلى جانب محطات أخرى عديدة محلية، ، ووصل عدد المحطات فى مجملها والتى يمكن التقاط البرامج منها إلى حوالى مائة قناة.

وتشير الأرقام المنشورة سنة ١٩٨٨ إلى أن هناك ٤٣ مليون مشترك فى (WTBS - TV) .

وأكثر من ٤٤ مليون مشترك فى (CNN) .

و٢.٤ مليون للقناة (Nostalgia Channel).

وأكثر من ٤٦ مليون للقناة (ESPN) .

وحوالى ٢٠ مليون لشبكة (Home Shopping Networks) .

و٣١ مليون للقناة (Weather Channel) .

وقرابة ١٦ مليون للقناة (HBO) .

و٥,٧ مليون للقناة (Show Time) .

وهناك مالا يقل عن ٥٠ برنامجاً فى الولايات المتحدة عليها شفرات إخفاء وهو الذى يمكن أن نطلق عليه اسم «التليفزيون المدفوع» . فإذا انتقلنا إلى قارة أوربا، فإن الأمثلة عديدة على إنتشار التليفزيون الكابلى فى دولها . ففى البيانات الخاصة بسنة ١٩٩٠، ظهر أن فرنسا – على سبيل المثال– تمتلك ٢١٧٤٠٣٦ نقطة للكوابل يتعامل معها ٢٨٧٦٣٧ مشترك ، وكانت نسبة إنتشار الكابل فى ألمانيا الغربية (١٩٨٨) تتراوح مابين ١٥٪ و١٨٪ من المنازل، بينما هى ١٤٪ فى انجلترا (حوالى نصفها من أكثر من ٤٤٠ شركة خاصة والباقى يتم تشغيله بوساطة السلطات المحلية واتحادات الملاك) ، ولن نتحدث بالتفصيل عن هذا ونكتفى بما جاء ذكره عن الولايات المتحدة الأمريكية وانتشار الكابل فيها لنخرج بالدرس المستفاد منها.

والدرس المستفاد من الكابل – بعد مراقبة تجربة الولايات المتحدة بوجه خاص – يقول بأن نُقدمولكن ببطء بالبدء فى التخطيط لإنشاء شبكات كوابل أرضية فى أهم المدن والمناطق التى تتميز بكثافة سكانية من مستوى معين، باستخدام كوابل الألياف الضوئية وتوصيلها إلى المنازل فهى تسمح بنقل أكثر من قناة عبر الأقمار الصناعية بحيث يتم التدقيق فى اختيارها لكى تبث على الشبكة على أن تكون هناك مرونة كافية لتغيير قنوات التليفزيون المستقبلة عند الضرورة (يقال إن هناك كابل ألياف ضوئية فى باطن الأرض بين مبنى التليفزيون ومركز الإرسال فى المقطم. والمعروف أن الألياف الضوئية تعطى جودة أكثر ولا تؤثر على تفاصيل الصورة).

وغنى عن القول هنا، بأنه يمكن تخصيص قنوات كابلية لأغراض مطلوبة إجتماعياً للتعليم أو برامج الأطفال أو المرأة أو للعمال أو للريف أو للأطباء من منطلق إسلامى، وإسناد هذه القنوات لشركات عامة أو خاصة تحت إطار ضوابط تحدد العمل فيها، كما هو الحال بالنسبة لأى قناة أو شبكة أخرى، القناة الإخبارية، أو قناة المعلومات الموجودتين حالياً على شاشة التليفزيون المصرى.

قناة المعلومات (أو نظام التليتكست Teletext) :

ذكرنا فيما سبق أننا نعيش فى عصر ثورة المعلومات والتى يستعان لها حالياً بالأقمار الصناعية والكوابل، حيث رأينا أن نجاح الدول يعتمد على دعامتين هما التكنولوچيا والمعلومات.

ونظام «التليتكست» ، الذى هو نتاج التزاوج بين الكمبيوتر والنظم الحديثة والتوافق والتكامل بينها، نظام يبرز المعلومات من بيانات وأرقام ورسوم الكترونياً على شاشة التليفزيون فى شكل ثابت (وهو بذلك يختلف عن نظام الفيديوتكست السابق الإشارة إليه عندما تحدثنا عن الخدمات الخاصة بالكابل) ، وكذلك إبرازها فى صورة صفحات الكترونية الواحدة تلو الأخرى فى شكل متسلسل، وبعد انتهاء الصفحة الأخيرة تعود الصفحة الأولى للظهور مرة أخرى وهكذا دواليك.

ويتم استدعاء هذه المعلومات على شاشة التليفزيون العادى وعلى القناة التليفزيونية العادية من خلال التحكم عن بعد بوساطة جهاز صغير يقوم باستقبال الشفرة الخاصة بهذه الخدمة (decoder) وفك هذه الشفرة (التى تحولت إلى إشارات) الكترونياً على الشاشة الصغيرة، وهناك أجهزة تليفزيونية حديثة يمكنها استقبال هذه الشفرة، وإظهارها على الشاشة بدون حاجة إلى جهاز ثانوى خاص بفك الشفرة، وكل ذلك يتم من خلال موجات الطيف الترددى وجهاز التحكم عن بعد، وبذلك يختلف نظام التليتكست عن نظام الفيديوتكست الذى يستعين بالكابل (مما يسمح للفرد باستقبال المعلومات والإرسال معاً بالإستعانة بجهاز تشفير المعلومات للقيام بدور المرسل فى هذه العملية).

ومع تعدد الخدمات التى يقدمها هذا النظام وتنوعها ، حيث أصبح يقدم الأخبار المتنوعة سواء الأحداث المهمة والأخبار الرياضية والفنية وأخبار البورصة وبرامج الإذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما ورحلات الطيران وغيرها، أصبح هذا النظام يتيح للمشترك انتقاء المادة التى يريدها (من خلال التحكم عن بعد) بانتقاء الصفحة التى فيها المادة المرغوبة (وذلك بعد معرفة «الكود» الخاص بها، أو بأسلوب آخر بعد تحديد رقم الصفحة الخاصة بهذه المادة والموجودة فى صفحة فهرس المحتويات).

والحاجة إلى المعلومات، وظهور هذا النظام، مكن من ظهور شبكات للمعلومات تتعاون فيما بينها عبر شبكات الاتصال العالمية (نؤجل الحديث عنها لموعد لاحق بإذن الله).

وهناك أربعة أنظمة تليتكست رئيسية فى العالم ظهرت فى السبعينيات هى :

١- النظام **الفرنسى** ويعرف باسم «أنتيوب» (Antiobe) .

٢- النظام **الكندى** ويعرف باسم «تيليدون» (Teledon) .

٣- النظام **الأمريكى** ويعرف باسم نظام «تليتكست» (Teletext) .

٤- النظام **الإنجليزى** ويحوى النظام الإنجليزى نظامين :

أ- «سى فاكس» (C EE FAX) .

ب- **«أوراكل»** (Oracle) وهو النظام الذى تبنته مصر بالنسبة لقناة المعلومات المرئية التى تطالعنا الآن على شاشة التليفزيون المصرى ببثها فى مرحلة تجريبية على عدة قنوات، فى الوقت

الذى لا يكون فيه إرسال تليفزيونى بالنسبة للقناة المعنية وذلك إلى أن يتم تشفير هذه القناة الخاصة بالمعلومات واستقلالها بذاتها، مع ملاحظة أن أجهزة فك الشفرة المستخدمة حالياً بالنسبة لقناة الأخبار «المصرية» سوف تمكن حائزيها من استقبال المواد التى تبثها قناة المعلومات المرئية (التفاصيل الخاصة بهذه القناة نفردها بالملحق رقم ١١).

صحافة مرئية؟ ربما . ولكننا نرى فى قناة المعلومات أكثر من ذلك رؤية ربما تترجمها الصورة التى شاهدناها على شاشة التليفزيون المصرى للرئيس التركى عندما استقبل الرئيس المصرى منذ أيام (ابريل ١٩٩٢) وأطلعه على جهاز الكمبيوتر الخاص به. نعم، هو كما تناقشنا فيه مع أستاذنا الدكتور زقزوق عند التقاء جمعنا الكريم فى شهر رمضان منذ أسابيع قليلة، وأكد كل منا على أننا فى حاجة إلى معلومات ، معلومات عن الأنا وعن الأخر، وكيف نرى هذا الآخر. وكيف يرانا، بل وكيف نرى بعضنا .. معلومات يمكن استرجاعها بسرعة عند الطلب، بمعنى، أننا نرى ضرورة أن تشمل قناة المعلومات لدينا مانتمناه، وأن تكون نواة لشبكة معلومات إسلامية لتطويع هذه التكنولوجيا المتطورة فى مجال الاتصال (أقمار صناعية وكابلات وكمبيوتر) لخدمة الدعوة إلى الله ، وما التوفيق إلا من عند الله الذى نستمد منه العون والمغفرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مراجـع ومصـادر

تعددت المراجع التى اعتمدنا عليها والمصادر التى لجأنا إليها فى مصر وفى !! وساهمت فى إعداد هذه الورقة التى ارتبطنا بها نفسياً لاهتمامنا بالموضوع المطروح بخصوص تكنولوجيا الاتصال والإعلام الإسلامى، وخصوصاً أنه كانت لنا وقفات مع الموضوع ظهرت فى بعض مانشرناه من كتب ومقالات وما نقوم بتدريسه للطلبة فى كلية الإ وللدارسين من الدول الإفريقية فى معهد الإذاعة والتليفزيون ومداخلاتنا فى الندوات والمؤتم المحلية والعالمية.

ومن كتاباتنا المتصلة بالموضوع المطروح هنا نذكر الكتب والمقالات والمداخلات التالية :

- دولنا النامية فى عصر الأقمار الصناعية.
- الأقمار الصناعية والتنمية.
- التليفزيون الكابلى.
- وسائل الإعلام الألكترونية فى دول الكتلة الشرقية.
- البث الوافد، هل هو شر لابد منه؟
- يوميات الغزو والحرب.
- التليفزيون المصرى والأقمار الصناعية.
- مصر فى عصر الأقمار الصناعية.
- الطفل المصرى وتكنولوجيا الأقمار الصناعية.
- قرصنة الفيديو: الفيديو سندر.
- الأقمار الصناعية والإعلام الدولى.
- الفيديو فى الهند وفى مصر.
- استراتيجية التكامل الإخبارى العربى من أجل نشرة أخبار عربية متميزة.
- تأثير المجتمع على الوسائل المطبوعة والالكترونية.
- نشرات أخبار التليفزيون المصرى.
- الطفل المصرى بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافى.
- الحرب الإذاعية (ترجمـة).

وقد رجعنا إلى عدد من الكتب والدوريات المتخصصة أيضاً والمنشورة باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية، وتابعنا مانشر فى الصحف والمجلات من أخبار تتعلق بالموضوع، وبعض الكتب التى تناولت الموضوع أو مسته من قريب أو من بعيد وأشرنا إلى أصحابها فى المتن عند الاقتباس عنهم.

وختـاماً نرجو أن نكون قد وفقنا فى عرض رؤيتنا ونرحب بفتح باب المناقشة التى من الأ أنها سوف تثرى الموضوع، وشكراً لحسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملحق رقم [١]

هوائيات قصعية فى القاهرة

صحيفة الأهرام، أول مارس ١٩٩١

ملحق رقم (٢)

القمر الإسرائيلى فى المنطقة العربية

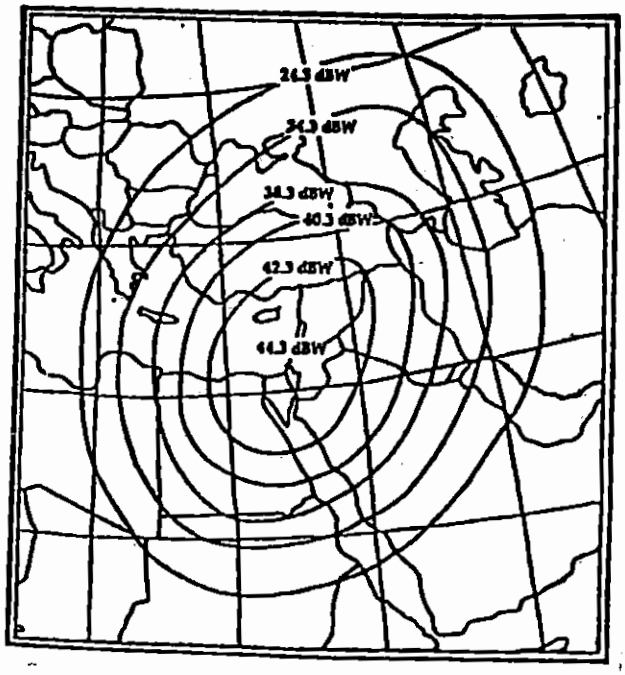

شكل (٧) : التغطية الأرضية للقمر الإسرائيلي على الترددات ٦/٤ جيجاهرتز في الموقع المداري ١٥° شرقاً

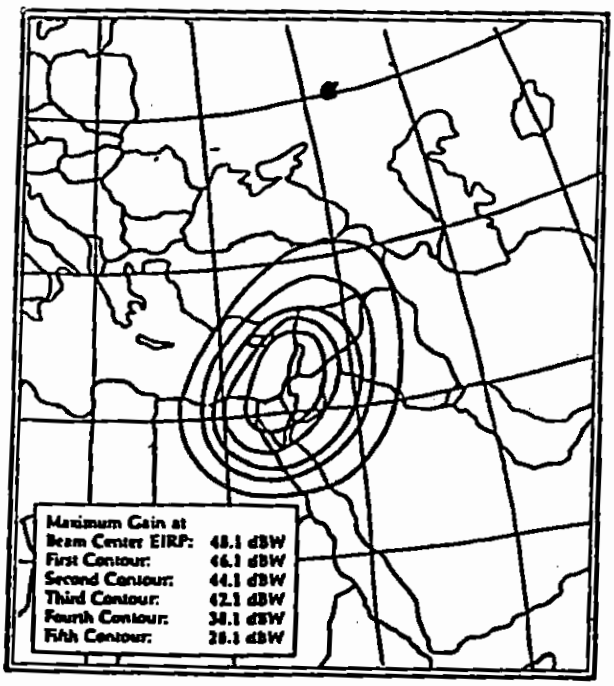

شكل (٨) : التغطية الأرضية للقمر الإسرائيلي على الترددات ١٤/١١ جيجاهيرز في الموقع المداري ١٥° شرقاً

ملحق رقم [٣]

اقمار الاتصال والطقس فى المدار الاستوائى لسنة ١٩٨٦

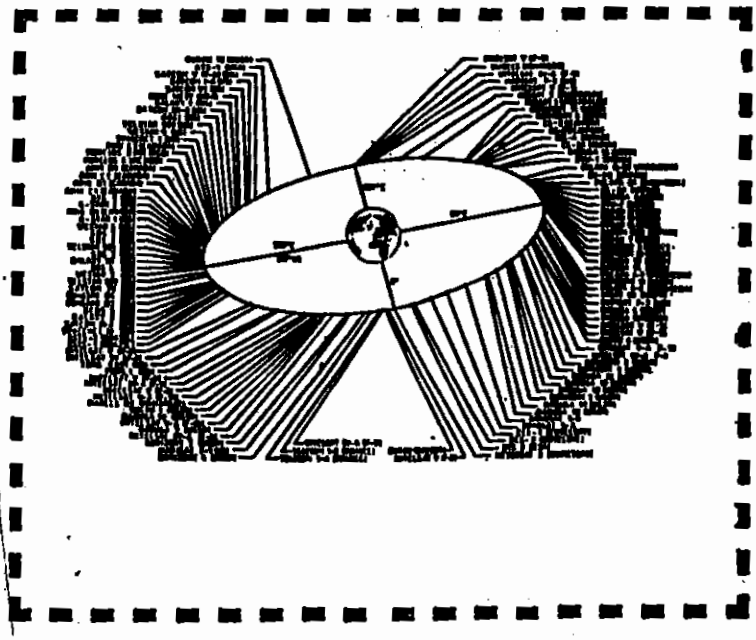

ملحق رقم [١١]

قناة المعلومات المرئية فى مصر

[اتحاد الإذاعة والتليفزيون]

مقـــدمة :

قناة المعلومات المرئية هى النتاج الطبيعى لعصر المعلومات الذى نعيشه اليوم. فقد بات تداول المعلومات وتدفقها بحرية وسرعة من السمات المميزة للمجتمعات الحديثة. وتتمثل الركيزة الأساسية لتحقيق ذلك فى أجهزة الكمبيوتر، التى تقوم بتخزين واستعادة كميات هائلة من المعلومات فى زمن قياسى، وفى أجهزة الاتصالات الحديثة التى حولت العالم بأسره إلى قرية كونية صغيرة.

ومع مسيرة الإعلام المصرى الناجحة ، التى حرصت فى السنوات الأخيرة على الأخذ بأحدث أساليب وتقنيات العصر لمواكبة التقدم البشرى فى كافة المجالات، يضيف الإعلام المصرى إلى رصيد انجازاته قناة المعلومات المرئية، نافذة جديدة تعين على معايشة العصر واستشراف المستقبل.

وقناة المعلومات هى الترجمة العملية لمفهوم الصحافة الالكترونية ، فهى تقوم باستغلال شاشة التليفزيون فى نقل النصوص المطبوعة أو المعلومات فى نفس الوقت الذى يجرى فيه عرض الصور التليفزيونية دون أن يحدث بينهما أى تداخل، فالموجات التى تحمل رموز وإشارات الصور المتحركة هى نفس الموجات التى تحمل رموز وإشارات المعلومات المرئية. وحتى يقوم المشاهد بقراءة صفحات المعلومات على شاشة التليفزيون يلزم أن يتوفر لديه جهاز لفك شفرة إشارات المعلومات المرئية وعرضها على الشاشة، فضلاً عن أداة تحكم من بعد «ريموت كونترول» يمكن عن طريقها تحديد أرقام الصفحات المطلوب قراءتها على شاشة التليفزيون.

وبذلك يمكن للمشاهد أن يحصل على مايريد من المعلومات فى عديد من المجالات بمجرد الضغط على الأزرار.

خدمـــة فورية :

تقوم نخبة من محررى قناة المعلومات بتزويد النظام بآخر المعلومات والأخبار التى تعرض على الشاشة، ويحتاج هذا الأمر إلى تغيير صفحات كاملة واستبدالها بآخر الأخبار الواردة عبر وكالات الأنباء ، أو مصادر قناة المعلومات، فيتابعها المشاهدون فى بيوتهم أو أماكن عملهم بعد ثوان من ورود الخبر. ويقوم الصحفى الذى يعمل بقناة المعلومات بصياغة وطباعة النصوص على شاشة الكمبيوتر ، كما يقوم أحياناً باستخدام الألوان ، أو إضافة الخرائط أو الخطوط العريضة وذلك بغرض التركيز على معلومات بعينها ثم يقوم فى الحال بإرسالها عبرموجات الطيف الترددى

ومن الملاحظ أنه لاتوجد وسيلة إعلامية أخرى تتيح مثل هذه الخدمة الفورية . فالبرامج الإخبارية أو الإذاعية لا يتم إرسالها عبر موجات الطيف الترددى إلا فى المواعيد المحددة لإذاعتها فى النشرات أو البرامج الاخبارية، بينما تنتظر الصحف حتى اليوم التالى لنشر مثل هذه الأخبار. أما مع «قناة المعلومات» فيمكن الحصول على أحدث المعلومات فوراً بمجرد الضغط على الأزرار لاختيار أرقام الصفحات المطلوب قراءتها.

العرض التليفزيونى التلقائى للنصوص (In Vision) :

ولكن هل تقتصر خدمة قناة المعلومات على من يملك جهاز فك الشفرة؟ فى البداية سيتمكن مشاهد التليفزيون من متابعة قناة المعلومات المرئية المصرية على الشاشة عبر أى جهاز تليفزيونى حتى لو لم يكن مزوداً بجهاز حل الشفرات التليفزيونية ، حيث ستقوم قناة المعلومات ببث عدد من الصفحات على شاشة التليفزيون ليتابعها الملايين فى ساعات معينة قبل وبعد الإرسال التليفزيونى المعتاد ، حيث يمكن للمشاهد قراءة الصفحات المعروضة بصفة متتالية، مع الاستماع إلى خلفية موسيقية منتقاة.

إضافة جديدة لقناة المعلومات المصرية :

تتميز قناة المعلومات المصرية بميزتين هامتين مقارنة بأنظمة المعلومات المشابهة فى العالم :

١- أنها سوف تعطى أولوية خاصة ومساحة كبيرة مناسبة للنواحى الثقافية والفكرية ومجالات التوعية والارشاد، تمشياً مع السياسة الإعلامية العامة وفى اطار أهدافها.

٢- أنها ستقدم خدمتين باللغتين العربية والانجليزية، وذلك بالنظر لموقع مصر الثقافى والسياحى وخدمة للمواطنين والزائرين على السواء.

الخدمات الخاصة :

يمكن لقناة المعلومات أن تقدم بعض الخدمات الخاصة المتميزة وتأتى فى مقدمتها خدمة السادة المشاهدين من ضعاف السمع حيث توفر لهم القناة نصوصاً مكتوبة لأهم الأخبار، وبعض الأعمال الدرامية والبرامج المتميزة التى يقدمها التليفزيون فى برنامجه المعتاد، حيث يمكنهم قراءتها على الشاشة أثناء تقديم البرامج المعتادة بالضغط على زر خاص فى أداة التحكم «الريموت كونترول».

وهناك خدمة خاصة أخرى تقدم لكل المشاهدين الحائزين على أجهزة فك الشفرة وتتمثل فى تقديم أحدث وأهم الأخبار على الجزء السفلى من شاشة التليفزيون أثناء متابعة البرنامج العادى للتليفزيون وبذا لن يفوت المشاهد لفيلم أو برنامج طويل معرفة ما يجرى حوله أو فى العالم أثناء المشاهدة.

المجالات المختلفة لقناة المعلومات :

يجرى تقسيم قناة المعلومات إلى عدد من المجلات :

أولاً: مجلة الأخبار :

تقدم قناة المعلومات مجلة إخبارية ذات آلاف الطبعات حيث تتجدد أخبارها باستمرار وبعد ثوان من ورود الأخبار من مصادرها حيث يمكن تغذيتها كل دقيقة بآخر الأخبار التى تهم الناس سواء فى مجالات السياسية والاقتصاد والمال وأسعار العملات والأخبار المحلية والعالمية وأخبار الرياضة ونتائج المباريات المحلية والدورات العالمية، هذا عدا أهم أخبار الفن والأدب والأخبار الطريفة.

ثانياً: مجلة الخدمات :

بإمكان المشاهد التعرف على عديد من الخدمات التى تأتى إليه وهو جالس بمنزله بمجرد الضغط على زر لمعرفة المعلومات المطلوبة بسهولة ويسر.

وتضم مجلة الخدمات، خدمات المطارات والموانى ومواعيد قيام ووصول الطائرات والسفن وكذلك خدمات النقل الداخلى ومواعيد القطارات وأوتوبيسات الأقاليم، بالإضافة إلى معرفة حالة الجو وخدمات الأرصاد كما ستعرض قناة المعلومات أسماء الصيدليات المناوبة للخدمة الليلية على مستوى الجمهورية وأهم أنشطة الوزارات المختلفة وغيرها من الأنشطة التى تهم القطاع الأكبر من المشاهدين.

ثالثاً : المجلة الثقافية :

سوف تغطى قناة المعلومات المصرية أنباء الحياة الثقافية والفنية بوجه عام، فتعرض أنشطة وبرامج المتاحف والمعارض المختلفة، والكتب والمؤلفات الجديدة وأخبار الندوات والمؤتمرات الثقافية والفنية ونشاط المرأة والطفل.

وسوف يصبح بإمكان المشاهد معرفة عناوين وأرقام تليفونات كل الهيئات والمؤسسات الثقافية والفنية، وكيفية الوصول إليها ، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على الأحداث والمناسبات التاريخية والشخصيات الوطنية والتاريخية والفكرية والعلمية ، سواء بعرض جوانب من هذه الشخصيات أو بإجراء مقابلات مع الشخصيات المعاصرة.

وإذا كان مجال قناة المعلومات لايحتمل عرض الدراسات المطولة أو الأبحاث العميقة إلا أنه يمكن من خلالها تقديم التحليل والمعلومات والحقائق من خلال التبسيط والاختصار وأحياناً من خلال الألغاز والطرائف.

ولما كان الغرض من إنشاء قناة المعلومات هو خدمة المواطن وتوفير المعلومات المهمة له فى كل الأوقات فإن هذه القناة ستعمل دائماً على وضع إمكاناتهم فى خدمة الجميع. وفى هذا السبيل فإنها ستظل دائماً متفتحة لآرائهم ومقترحاتهم حتى يمكن تحقيق أهدافها على النحو الأمثل.

رابعاً : مجلة الإذاعة والتليفزيون :

تحتوى هذه المجلة على مختارات منوعة من برامج الإذاعة والتليفزيون فضلاً عن البرنامج اليومى الكامل لقنوات التليفزيون مع إدخال التعديلات التى تطرأ عليه بصورة فورية حتى يتعرف المشاهد على البرامج الفعلية التى ستقدم ومواعيد تقديمها بكل دقة. كما تقدم المجلة باباً ثابتاً عن أخبار ماسبيرو يتم فيه استعراض كافة الأنشطة العديدة التى يحفل بها هذا الصرح الإعلامى.

الإعلام الإسلامى والتبشير

أ.د أحمد سعد الدين البساطى
عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط

الجذور الأولى للتبشير

إذا تتبعنا موضوع التبشير فى الديانة النصرانية، فنجد أنه واجب على كل نصرانى أن يقوم به، بل ويفرض عليهم تنصير المجتمعات والبلاد التى لم تكن تدين بالديانة النصرانية، وهنا لا فرق عند النصارى بين البلاد الإسلامية والبلاد الوثنية، فالكل عندهم سواء، ويجب تنصير أهل كل هذه البلاد .

يقول متّى فى آخر إنجيله : " وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا من الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع . ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا . فتقدم يسوع وكلمهم قائلا. دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " . " إنجيل متّى الإصحاح السابع والعشرون ".

ويقول مرقس فى آخر إنجيله : "أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام . وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها " . " إنجيل مرقس الإصحاح السادس عشر ".

وعلى هذا فإن التنصير واجب على كل نصرانى فى كل مكان فى العالم . لكن إذا نظرنا إلى تاريخ التنصير فى البلاد العربية والإسلامية، فنجد أن المفكرين والمؤرخين قد اختلفوا فى تحديد ذلك التاريخ، وقد حصرنا هذا الخلاف فى خمسة آراء نقولها مفصلة :

١ – الرأى الأول : يقول أصحاب هذا الرأى، إن فكرة تنصير المسلمين فى البلاد الإسلامية جاءت على لسان لويس التاسع بعد هزيمته والقبض عليه فى مدينة المنصورة، وسجنه فى أحد سجونها، عام ١٢٥٠ م .

وفى أثناء سجنه أخذ يفكر فى بديل عن الحرب التى تكلف الدول الأوربية الأموال الطائلة، والأرواح الكثيرة التى يخسرونها فى الحروب التى يشنونها على البلاد الإسلامية، دون أن يحصلوا على أدنى مكسب مادى أو معنوى وقد انتهى به التفكير إلى تحويل الحملات الصليبية العسكرية، إلى حملات صليبية سلمية، الغرض منها الآتى :

١ – تجنيد القساوسة الغربيين لمحاربة الإسلام وتعاليمه .

٢ – وقف انتشاره فى جميع العالم وعلى الخصوص فى كل من آسيا وأفريقيا .

٣ - العمل على القضاء عليه فى البلاد العربية والإسلامية .

٤ – اعتبار هؤلاء القساوسة الذين يذهبون إلى تلك البلاد لينصروا أهلها جنودا للغرب (١)

---

(١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية، مصطفى خالدى وعمر فروخ ط ٣، بيروت ١٩٨٦ ص١٢٧ ومراجع أخرى .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الجذور الأولى لتنصير المسلمين غرست فى البلاد العربية والإسلامية عقب عودة لويس التاسع إلى بلاده فى أوائل النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى .

الرأى الثانى :

يقول أصحاب هذا الرأى : إن التنصير بدأ فى البلاد العربية والإسلامية فى الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادى، وذلك بعد المؤتمر الكنسى الذى عقده القساوسة الأوربيون فى فينا عام ١٣١١/١٣١٢م حيث قرروا فى أثناء انعقاده، إرسال بعثات نصرانية إلى البلاد العربية والإسلامية، وذلك لتحويل المسلمين وغير المسلمين إلى نصارى .

الرأى الثالث :

يرى أصحاب هذا الرأى، أن مراكز التنصير بدأت عملها بجزيرة مالطه فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى، واعتبرت الجزيرة قاعدة هجوم على الشرق الإسلامى كله، ثم انتقلت إلى بلاد الشام فى الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادى .

الرأى الرابع :

يرى أصحاب هذا الرأى، أن التنصير بدأ فى البلاد العربية والإسلامية فى أثناء القرن السابع عشر الميلادى، وذلك لأن القس اليسوعى " ميليز " الفرنسى كتب كتابا عن الحروب الصليبية فى الشرق، وأخذ يذكر فيه سياسة فرنسا الدينية فى البلاد التى كانت ترسل الجيوش إليها يقول فيه : " إن الحرب الصليبية الهادئة التى بدأها مبشرونا – منصرونا – فى القرن السابع عشر، لا تزال مستمرة إلى أيامنا، إن الرهبان الفرنسيين والفرنسيات لا يزالون كثيرين فى الشرق ..... إن فرنسا تحتفظ دائما بالدور الذى يلعبه رهبانها وقد اعترفت لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى، ... وقد كان ممثلو فرنسا يساندون أعمال مبشرينا، وكثيرا ما كان لفرنسا فى أكثر الأحيان قساوسة فى أشخاص قناصلها، وقد كانت فرنسا تختار قناصلها وسفراءها من رجال الدين " (١) .

الرأى الخامس :

يرى أصحاب هذا الرأى، أن التنصير بدأ فى البلاد العربية والإسلامية منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادى، وذلك لأن قوى التنصير وجدت الطريق أمامها مفتوحا وميسرا مع العوامل التى أعدها لها النفوذ الاستعمارى وأهمها الآتى :

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ .

١ – الامتيازات الأجنبية .

٢ – نفوذ القناصل .

٣ – سيطرة الدول الأجنبية على كثير من الأمراء فى البلاد الإسلامية، وغيرهم ممن فتح لهم باب الاستدانة .

وقد استدل أصحاب هذا الرأى على رأيهم، بأن المجلس الأمريكى لمندوبى البعثات الأجنبية، أنشأ فى بوسطن مركزا لإرسال البعثات التنصرية عام ١٨١٠ م. وفى عام ١٩١٨م . أرسل هذا المركز أول إرسالية تنصيرية إلى الشرق الأدنى وهى تعتبر الإرسالية الأمريكية الأولى، وقد اتخذوا مالطة مركزا لهم، ثم أخذ المنصرون يتجولون فى البلاد المطلة على شواطىء البحر المتوسط، ثم إلى القدس وبيروت ثم انتقلت شيئا فشيئا إلى كل بلاد الشام (١) .

هذه هى الآراء التى قيلت عن تاريخ بدء التنصير فى البلاد العربية والإسلامية، لكن يوجد رأى آخر يرى أن الجذور الأولى للتنصير فى تلك البلاد، لم يكن بعد عودة لويس التاسع من سجنه ولكنه كان قبل ذلك وعلى وجه التحديد فى عام ١١٥٤ م .

حيث يقول : كان من نتائج الحروب الصليبية فكرة اجتذاب المسلمين إلى اعتناق المسيحية عن طريق الإقناع، بدلا من طريق القوة والإكراه ..... إن الخيبة التى منيت بها الحملات الصليبية فى الوصول إلى غايتها .. مهدت الطريق لفكرة جديدة هى استمالة المسلمين واجتذابهم بطرق سلمية ودية، وهذة الفكرة هى أساس التبشير المسيحى (التنصير) ففى عام ١١٥٤ أسس راهب صليبى فى الأرض المقدسة رهبنة عرفت فيما بعد بالرهبنة الكرملية .. ثم انتشروا فى سوريا ولبنان وقد أسسوا لهم مراكز فى طرابلس، ثم أسسوا رهبنتين جديدتين عند مستهل القرن الثالث عشر الميلادى، ثم أسست رهبنة فرنسية فى طرابلس، وكان ديرهم فى بيروت، وفى عام ١٢٣٠م وصلت إرسالية دومانيكية إلى دمشق، ثم انتشرت فى طرابلس وعكا وأماكن أخرى .

وفى عام ١٧٢٠م كتب أحد أساقفة الدومينيكان كتابا قال فيه : " نريد مرسلين لا جنوداً لاسترداد الأرض المقدسة "(٢) .

وعلى هذا فإن عمليات التنصير فى البلاد الإسلامية والعربية كانت قبل حملة لويس التاسع بحوالى قرن من الزمن، ولكن ذلك يعتبر نواة بسيطة للتنصير فى تلك البلاد، ثم أخذت هذة النواة تنمو وتترعرع بعد هذه الحملة حتى القرن التاسع عشر .

نظرة عامة على تاريخ التبشير :

يقول أحد رجال الكنيسة البروتستانتية (أدوين بالاس) فى كتابه الذى ألفه تحت عنوان

---

(١) مخططات التبشير ص ١٩ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة ... عبدالرحمن حبنكة دمشق ١٩٨٦ ص٢٩.

سحص تاريخ التبشير" " التنصير " إن أول من تولى التبشير بالنصرانية هو قسيس أسبانى يسمى " ديمون لول " وذلك بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها وقد تعلم هذا القس اللغة العربية، ثم جال فى البلاد الإسلامية وأخذ يناقش الكثير من علماء المسلمين فى تلك البلاد، ثم جاء من بعده منصر آخر يسمى " بتلر هيلنج " الذى ذهب إلى سواحل أفريقيا، وبذل جهدا كبيرا فى تحويل مسلمى تلك البلاد إلى نصارى، وقد عملت الدول الأوربية على إنشاء المدارس والكليات الدينية التى تعمل على تخريج المنصرين وإرسالهم إلى العالم الإسلامى وغير الإسلامى وكان ذلك فى سنة ١٦٦٤ م كذلك عملت تلك الدول على تأسيس جمعيات تنصيرية فى كل من أسكوتلاندا، وألمانيا والدانمرك وهولندا والسويد والنرويج وسويسرا بل وأمريكا وقد تفرعت عن هذه الجمعيات، جمعيات أخرى فى كثير من بلدان العالم وبخاصة فى البلاد العربية والإسلامية .

وقد نجحت هذه الجمعيات فى تنصير بعض المسلمين، وأيضا تأسست إرساليات تنصيرية طبية لتلحق بالبعثات التنصرية الأخرى، ولم تكتف تلك الجمعيات على إرسال الرجال فقط، بل كونت إرساليات من النساء النصارى، وفى عام ١٨٥٥ م تألفت جمعية أخرى من الشبان المتطوعين لتنصير المسلمين، وقد لعبت دورا كبيرا فى التبشير بالمسيحية، وحاولت محاولات عديدة فى تحويل المسلمين إلى النصرانية أو تشكيكهم فى عقيدتهم .

وفى عام ١٩٠٢ م تأسست جمعية تنصيرية، ومهمتها استمالة النساء والبنات والطلبة من غير النصارى وعلى الأخص من المسلمين، وذلك لاستماع صوت المنصرين ليتأثروا بهم .

وفى عام ١٩٠٧ تأسست جمعية أخرى لتحويل الكبار من الناس إلى النصرانية، وقد تأسست كل هذه الجمعيات فى البلاد الأوربية سالفة الذكر وأرسلت هذه الجمعيات بعض أفرادها إلى البلاد العربية والإسلامية، حيث أرسلت إلى المغرب بعثة تنصيرية خاصة بشمال أفريقيا، وكان أعضاؤها يعملون على تنصير المسلمين فى كل من المغرب وتونس والجزائر، وقد لحق بهذه البعثة بعثة طبية أخرى لمساعدة البعثة الأولى فى عملية التنصير .

وفى عام ١٨١٢م أخذت إرساليات التنصير تذهب إلى الأناضول وفلسطين، واتخذت لها مراكز فى أزمير والقسطنطينية وبيت القدس وفى عام ١٨٤٦ تأسست الكنسية البروتستانتية فى الأستانة وأصبحت مركزا آمنا لأعمال المنصرين (١) .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ١٦، ١٧ .

مراحل التبشير الظاهرة وعمل إرسالياته

إذا تتبعنا مراحل التبشير فى البلاد الإسلامية والعربية، فنجد أنها مرحلتان وكما اختلف المفكرون فى تحديد التاريخ الذى بدأ التنصير فيه، كذلك اختلفوا فى تحديد تاريخ كل مرحلة، ولكن التاريخ الذى ظهرت فيه حركات التنصير واضحة كان فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادى، وهو تاريخ المرحلة الأولى :

وكان عمل إرساليات التنصير فى هذه المرحلة ينحصر فى مجالين :

الأول : تكوين الجمعيات الدينية النصرانية .

الثانى : إنشاء المدارس والجامعات النصرانية .

أما من حيث تكوين الجمعيات الدينية النصرانية، فقد تكونت أول جمعية نصرانية بلبنان فى عام ١٨٤٧م وأطلقوا عليها " جمعية الفنون والعلوم " وكان لهذه الجمعية عملان، أحدهما فى الظاهر، وهو نشر العلوم بين الكبار والصغار، وثانيهما فى الباطن وهو محاولة تنصير المسلمين من الكبار والصغار لكن هذه الجمعية لم يكتب لها النجاح طويلا، ففشلت ثم اختفت .

وقد حاول بعض النصارى أن يقيم جمعية أخرى، فأقامها وأطلق عليها الجمعية الشرقية، ولكنها كانت كسابقتها ففشلت ثم اختفت .

وحيث إن القائمين على الإرساليات المسيحية فى لبنان مصممون على إنشاء الجمعيات الدينية المسيحية، فقد حاولوا كثيرا فى تكوين بعض الجمعيات الدينية النصرانية حيث كانوا يقيمونها بعض الوقت، إلا أن أكثر تلك الجمعيات لم يكتب لها النجاح، فتفشل ثم تختفى، وقد حاول هؤلاء المنصرون فى تكوين بعض الجمعيات السرية فى لبنان، وكانت تهاجم الإسلام وتنادى بفصل الدين عن الدولة وقد كان المنصرون يدعون المسلمين إلى التحدث والكتابة بالعامية وترك اللغة العربية الفصحى .

أما من حيث إنشاء المدارس والجامعات النصرانية، فقد قام مجمع الإرساليات الأمريكية النصرانية، بإرسال منصرين إلى كل من سوريا ولبنان، وأخذ هؤلاء المنصرون فى إنشاء المدارس والجامعات فى هذين البلدين، وعلى الأخص فى لبنان حيث كان المناخ هناك يساعد على إقامة مؤسسات دينية نصرانية .

وقد استطاع رئيس البعثة النصرانية، وكان يسمى " فانديك " الذى وصل إلى بيروت عام ١٨٤٠م أن يقيم مدرسة نصرانية بعد وصوله مباشرة، وكانت هذه المدرسة النواة الأولى لمدارس

التنصير فى لبنان، ثم أخذ المنصرون يقيمون المدارس النصرانية بلبنان فيما بعد، ولم يقتصر عملهم على إنشاء المدارس النصرانية فقط، بل أخذوا يقيمون الجامعات، ففى عام ١٨٦٦م أقاموا جامعة أمريكية ببيروت، وأطلقوا عليها فى أول الأمر المدرسة" السورية الأنجيلية " وجعلوا التدريس فيها باللغة العربية، وذلك للتودد إلى العرب والتقرب إليهم، لكن سرعان ما تحولت هذه المدرسة علانية وأصبحت تسمى باسم " الجامعة الأمريكية " كذلك تحولت اللغة العربية التى كانوا يدرسون بها إلى اللغة الإنجليزية، وقد عللوا ذلك التحويل، قائلين : إن اللغة العربية الفصحى قاصرة عن استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة .

ولم يقتصر إنشاء الجامعات على البعثات الأمريكية التنصيرية، بل قامت الإرساليات التنصيرية الفرنسية، بإقامة جامعة أخرى بلبنان وأطلقوا عليها اسم " جامعة القديس يوسف " وقد أصبحت هاتان الجامعتان مركزين كبيرين فى الشرق الأوسط كله، حيث كان يحضر اليهما الطلاب من العالم العربى، مثل الشام والعراق والسودان، كذلك كان لهاتين الجامعتين الكثير من الفروع فى بعض البلدان العربية والإسلامية، وقد انتشر خريجو هذه الفروع فى العالم العربى والإسلامى وعلى الأخص فى المغرب العربى، حيث كان تحت سيطرة الاستعمار الفرنسى وقتئذ .

المرحلة الثانية :

أما عن تاريخ المرحلة الثانية لإرسال البعثات التنصيرية إلى البلاد العربية والإسلامية فمن الصعب تحديد تاريخها، وذلك لأن المرحلتين متداخلتان فى بعضهما، لكن يوجد رأيان، ولكل واحد منهما ما يبرره .

أما عن الرأى الأول، فيرى أصحابه أن هذه المرحلة بدأت فى مطلع القرن العشرين وعلى وجه التحديد فى عام ١٩٠٧ / ١٩٠٨م وذلك لأن المنصرين اعتبروا هذه الفترة التاريخية من أخطر الفترات، حيث عقدوا عدة مؤتمرات تنصيرية كان أولها فى القاهرة عام ١٩٠٦م .

أما الرأى الثانى، فيرى أصحابه أن هذه المرحلة بدأت بعد الحرب العالمية الأولى التى انتهت عام ١٩١٨م وذلك لأن الانتدابات البريطانية والفرنسية قامت على معظم البلاد العربية والإسلامية وقتئذ، حيث كانت مصر والسودان تحت سيطرة الاستعمار البريطانى، وكانت سوريا ولبنان والجزائر وتونس والمغرب تحت سيطرة الاستعمار الفرنسى، وكانت فلسطين تحت الانتداب البريطانى، وعلى هذا فقد قامت حكومات البلاد الأوربية بمساعدة ومساندة الإرساليات

---

(١) مخططات التبشير والاستشراق، أنور الجندى ص ٢١ -٢٣، نقلا عن الآداب العربية فى القرن التاسع عشر لويس شيخو جـ ٤ صـ٦٤ .

التنصيرية فى البلاد العربية والإسلامية، وقد انتهز أعضاء هذه الإرساليات تلك الفرصة، فتوغلوا فى تلك البلاد وأخذوا ينشرون نصرانيتهم بحرية كاملة، وتتلخص مساندة الحكومات الأوربية لأعضاء تلك الإرساليات فى الآتى :

١ – السماح للمنصرين بإقامة بعض المؤسسات التنصيرية على قطعة أرض تُعْطَى لهم دون مقابل .

٢ – صرف عدة إعانات ومنح مالية لينفقوها على تلك المؤسسات .

٣ – الإعفاءات الجمركية لكل شيء يحملونه معهم ويأتون به من بلادهم .

٤ – منحهم سلطة الامتيازات الأجنبية، بحيث يكون لهم الحق دون قيد أو شرط بل ودون أدنى مسئولية أو محاكمة .

وفى هذه المرحلة لم يقتصرعمل المنصرين على إنشاء المدارس والجامعات التنصيرية بل تخطاه إلى إنشاء المستشفيات والمصحات والملاجىء والجمعيات التنصيرية .

وكان المنصرون يجندون أنفسهم للقيام بتنصير المسلمين فى هذه المؤسسات، ولم يكن هذا العمل قاصرا على الرجال فقط، بل كان للنساء المنصرات دور كبير فى تنصير المسلمين، وقد أخذن فى المجىء إلى البلاد الإسلامية والعربية بأعداد كبيرة ليعملن فى تلك المؤسسات .

وإن كان هؤلاء وهؤلاء من مختلف الجنسيات الأوربية، إلا أن هدفهم واحد وغايتهم واحدة، حيث كانوا يعملون دائما على تنصير المسلمين وإن لم يستطيعوا تنصيرهم فى الحال، فإنهم يشككونهم فى دينهم حتى يسهل تنصيرهم فيما بعد .

وقد استعمل المنصرون كثيرا من الأساليب فى تنصير المسلمين، سواء بالإغراء المادى، أم باستعمال اللين تارة، والقسوة والعنف تارة أخرى، حتى قيل إنهم كانوا يخطفون الأطفال المسلمين لينصروهم بالقوة والعنف ولم يقف عمل المنصرين إلى هذا الحد، بل زادوا على ذلك وتجرؤوا على المؤسسات الإسلامية التى كانت تقف ضدهم مثل الأزهر الشريف، لكن بعض الكتاب المسلمين قد أنبرى لهم وكتب ضدهم على صفحات الصحف اليومية والأسبوعية، مثال ذلك الدكتور محمد حسين هيكل الذى أخذ يكتب ضد هؤلاء المنصرين على صفحات جريدة السياسة وشكيب أرسلان، ومحب الدين الخطيب، ومحمد رشيد رضا ..... الخ .

هدف المنصرين فى هذه المرحلة :

إذا نظرنا إلى هدف المنصرين فى هذه المرحلة، فنجد أنه لا يختلف كثيرا فى حقيقته حيث إن هدفه واحد وغرضه واحد، لكن يختلف من حيث الظهور والخفاء والزيادة والنقص، والقوة والضعف، وذلك حسب الوقت الذى يعيش فيه المنصر، فمثلا لم تكن البلاد الإسلامية والعربية

تحت سيطرة الاستعمار الأوروبى فى المرحلة الأولى، فكان التنصير خفيفا، بل ويتصف بالخفاء أما فى المرحلة الثانية : فكانت تلك البلاد تحت سيطرة الاستعمار الأوربى، وعلى هذا كان المنصرون فى حماية ذلك الاستعمار، فأخذ صفة العلانية أكثر وأكثر من ذى قبل، حيث كان المنصرون يهاجمون الإسلام والمسلمين علانية، وكان هدفهم من ذلك توهين الروح المعنوية فى قلوب المسلمين، وإضعاف العقيدة الإسلامية فى قلوب المؤمنين بها، يقول الدكتور محمد حسين هيكل فى ذلك : إن هدف التبشير – التنصير – هو توهين الروح المعنوية فى قلوب المسلمين من جميع طبقاتهم، وأن إضعاف العقيدة فى نفوس المؤمنين بها، هى استمرار للنضال التاريخى القديم بين الشرق والغرب، والإسلام والنصرانية، حيث يتخذ اليوم أساليب الغزو الحديث بطريق الدعوة والوسائل الاقتصادية والاجتماعية ويعتقد خصوم الإسلام، أنهم قطعوا فى سبيل إضعاف العقيدة الإسلامية فى نفوس الشعوب المسلمة خطوات لا بأس بها .... إن هذه الغاية التى تعمل لها الأمم الأوربية وترصد لها الأموال الطائلة وتجند لها من الدعاة جيش ضخم فى صور المعلمين والمبشرين – المنصرين – والمبشرات – المنصرات – والأحبار .(١)

وكان أيضا من هدف المنصرين، اقتحام المؤسسات الحكومية وغير الحكومية ليستطيعوا تنصير عدد كبير من المسلمين .

وقد استطاعوا أن يقحموا أنفسهم فى الصحافة والتعليم والمستشفيات، وقد ساعدهم على ذلك وجود البلاد الإسلامية والعربية تحت سيطرة الاستعمار الأوربى .

وقد زاد عدد إرساليات التنصير زيادة كبيرة فى تلك المرحلة ولم تكن هذه الزيادة فى مصر وحدها بل كانت فى كثير من البلاد العربية والإسلامية .

وكانت مهمة تلك الإرساليات، هى إغراء الكثير من الشباب المسلم الفقير، والفتيات المسلمات الفقيرات، بالمال ليتركوا الإسلام وليعتنقوا النصرانية، وقد قيل إن عددا قليلا من هؤلاء وهؤلاء استطاع أن يتحول عن الإسلام فى أول الأمر، ولما اكتشفت حقيقة المنصرين، عادوا إلى الإسلام . وكان ذلك نتيجة لما قام به علماء الأزهر، وبعض الكتاب المسلمين من كشف حقيقة المنصرين، وتكوين جمعية دينية، تقف ضد هؤلاء المنصرين، وأطلقوا عليها " جمعية الدفاع عن الإسلام " وقد نجحت هذه الجمعية فى الحد من نشاط المبشرين فى تلك المرحلة .

وقد وصل عدد المنصرين فى هذه المرحلة (عام ١٩٣٢)إلى ٩٨٣٨٨ منصر ومنصرة وكانوا يسيطرون ويشرفون على ٨١ مؤسسة تعليمية، بالإضافة إلى ١١٣ مدرسة روضة أطفال و ٥٠٠ مستشفى، و١٠٢٤ صيدلية، وكان لكل إرسالية تنصيرية فى كل بلد من البلاد الإسلامية والعربية عدة فروع تعمل حسب خطة مدروسة ومحكمة . (٢)

---

(١) الإسلام فى وجه التغريب : أنور الجندى ، ص ٤١ – ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ .

دور الإعلام الإسلامى

إن أول من قام بمحاولة عظيمة لمواجهة التنصير فى السنوات الأولى من القرن العشرين، هو الأستاذ محب الدين الخطيب والأستاذ مساعد اليافى اللذان كانا يعملان فى تحرير جريدة المؤيد، وكان الأخير يجيد اللغة الفرنسية بطلاقة وقد وقع فى يده أحد أعداد " مجلة العالم الإسلامى " التى كانت تصدر شهريا فى باريس، باللغة الفرنسية، وكانت هذه المجلة تكتب عن أحوال العالم الإسلامى من حيث النواحى الأدبية والاجتماعية ولكنها خصصت عددا من أعدادها عن موضوع " التنصير فى العالم الإسلامى " وما يحدث من إرساليات التنصير البروتستانتية، وقد جعلت هذا الموضوع بعنوان " الغارة على العالم الإسلامى " وكان هدف هذه المجلة أن تقول للمنصرين الكاثوليك، اعملوا مثل هؤلاء البروتستانت، وقد فكر هذان الأستاذان " محب الدين الخطيب ومساعد اليافى " أن يترجما هذا الموضوع وأن ينشراه فى جريدة المؤيد حيث يعملان، وفعلا قاما بترجمته ونشره فى تلك الجريدة ليقف المسلمون على ما يفعله المنصرون فى العالم الإسلامى، وليعرفوا المكائد التى تدبر لهم ولهدم دينهم، وأول عمل قاما بترجمته ونشره هو مقدمة هذا الموضوع وكانت بقلم رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامى، ومما قاله فيها :

"ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق مبنيا قبل كل شئ على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته، ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التى يقوم بها الرهبان المبشرون – المنصرون – وغيرهم ..... إن الغرض الذى نتوخاه لا يمكن الوصول إليه إلا بالتعليم الذى يكون تحت سيطرة الجامعات الفرنسية، وأرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز الفعل ليبث فى الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسية، إن العمل الذى تقوم به إرساليات التبشير – التنصير – البروتستانتية فى العالم الإسلامى، أصبح يفوق بكثير على ما كان يتصوره الفرنسيون . إن الإرساليات الإنجليزية والألمانية اشتهرت بخطتها ووفرة الوسائل التى أعدتها وتوسلت بها لمقاومة الدين الإسلامى .

إن إرساليات التبشير – التنصير – الدينية التى لديها أموال كثيرة، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتى بالنفع الكثير فى البلاد الإسلامية من حيث إنها تبث الأفكار الأوروبية .

يقول رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامى الفرنسية، لقد أَرْسَلَ إلىَّ القسيس صموئيل زويمر منشىء مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية والذى كان رئيسا لإرساليات التنصير بالبحرين فى عام ١٩١١م، رسالة يقول فيها " إن لنتيجة إرساليات التنصير فى البلاد الإسلامية، ميزتين : ميزة تشييد وميزة هدم، الأمر الذى لا مرية فيه هو أن حظ المنصرين من التغيير الذى أخذ

يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه، ولا ينبغى لنا أن نعتمد على إحصاءات التعميد فى معرفة عدد الذين تنصروا رسميا من المسلمين لأننا هنا واقعون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزع الدين الإسلامى من قلوبهم واعتنقوا النصرانية فى طرف خفى.

يقول رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامى الفرنسية " إنه مما لا شك فيه، إن إرساليات التنصير البروتستانتية والكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك، إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية. فبنشر تلك اللغات يحتك الإسلام بصحف أوروبا، وتعمل إرساليات التنصير على هدم الفكرة الدينية الإسلامية وتقضى عليها .....

إنه مهما اختلفت الآراء فى نتائج أعمال المنصرين من حيث الشطر الثانى وهوالهدم، فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائما للجهودات التى تبذل فى التربية النصرانية " .

وقد قام الأستاذان محب الدين الخطيب ومساعد اليافى بنشر هذا الموضوع على صفحات جريدة المؤيد فى شكل مقالات مسلسلة، وقد انتشرت تلك المقالات فى مصر وفى كثير من بلدان العالم الإسلامى، وقد كان لها وقع عظيم فى نفوس كثير من المسلمين، وقد قامت بعض الصحف والمجلات المصرية بنشرها، والتعليق عليها كما حدث من الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار فى مصر، ومن صاحب جريدة الإخاء العثمانى فى بيروت، وقد وصل الأمر إلى فرنسا وعلم محرر جريدة العالم الإسلامى الفرنسية بتلك المقالات، التى وصلت إليه عن طريق الإعلام الإسلامى، فضاق صدرهم ومن كان يؤيدهم من المنصرين وأنصارهم، وكان نتيجة ذلك أن رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامى أخذ يرد على الإعلام الإسلامى على صفحات مجلته، ولكنه لم يستطع أن يواصل الكتابة حيث واجهه الكثير من كُتَّاب المسلمين فى كثير من البلاد الإسلامية وقد كان الأستاذ محب الدين الخطيب أقوى مَنْ رد عليه، واستمر فى رده ودفاعه عن الإسلام وكتابته ضد حملات التنصير، حتى أصبح مالكا لمجلة " الفتح الإسلامى " وبعد مضى عشرين عاما على ما حدث من تلك المجلة الفرنسية، أخذ الأستاذ محب الدين الخطيب يكتب سلسلة مقالات ضد إرساليات التنصير فى مصر وفى العالم الإسلامى، ولم يقتصر الأمر عليه وحده، بل شاركه كثير من كتاب ومفكرى المسلمين مثل شكيب أرسلان وأحمد لطفى السيد ومحمد رشيد رضا، وكتبوا مقالات كثيرة فى هذا الموضوع على صفحات كثير من المجلات العلمية والأدبية وعلى هذا كان للإعلام الإسلامى دور كبير فى مواجهة حملات التنصير .

مؤتمرات التبشير وأهمها

تحدثنا عن مراحل التنصير وقلنا إن عدد المنصرين قد زاد زيادة كبيرة وذلك لأن البلاد الإسلامية والعربية كانت تحت سيطرة الاستعمار الأوروبى، وقلنا أيضا إن نشاط إرساليات التنصير قد نما نموا كبيرا فى أواخر القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين، وأن مصر كانت مركزا كبيرا لهم، وفى تلك الفترة كانت توجد إرسالية تنصيرية فى البحرين، وكانت تحت رئاسة قسيس داهية، يسمى "زويمر " وكان دائم الحضور إلى مصر ليوجه زملاءه فى كيفية تنصير المسلمين، وقد اقترح على كبار المسئولين والمشرفين على إرساليات التنصير فى العالم أن يعقدوا مؤتمرا لهم فى بعض البلدان العربية والإسلامية على أن يكون عقده فى مصر، فوافقوا على ذلك ومنذ تلك اللحظة وأخذ " زويمر " فى تكوين لجنة من كبار المسئولين على إرساليات التنصير فى العالم العربى والإسلامى، لتضع برنامجا خاصا لهذا المؤتمر، وقد طلب "زويمر " أن يكون عقد هذا المؤتمر فى اليوم الرابع من شهر إبريل عام ١٩٠٦م وقد عقد المؤتمر فى التاريخ نفسه، وهذا يعتبر أول مؤتمر رسمى للتنصير فى البلاد العربية والإسلامية، وقد حضره الكثير من مندوبى إرساليات التنصير فى العالم .

وقد توالت مؤتمرات التنصير فى العالم العربى والإسلامى بعد ذلك حيث عقد فى مدينة القدس وحدها أربعة مؤتمرات فى مدة لا تزيد عن إحدى عشرة سنة، كان أولها عام ١٩٢٤ وآخرها عام ١٩٣٥ .

وأيضا عقد مؤتمران بلبنان فى عامى ١٩١١، ١٩٢٤ وآخر بالجزائر فى العام نفسه ١٩٢٤م وأيضا فى تونس عام ١٩٣١م وفى " جاكرتا بأندونيسيا عام ١٩٧٥م وبالإضافة إلى ذلك فقد عقدت عدة مؤتمرات فى كل من أمريكا وإنجلترا وفرنسا وهولندا وسويسرا والهند، وكان الغرض من كل هذه المؤتمرات :

أولا : تنصير المسلمين فى بلادهم، إن أمكن ذلك أو تشكيكهم فى عقيدتهم إن لم يمكن تنصيرهم فى الحال، وذلك لتنصيرهم فى وقت آخر .

ثانيا: الوقوف بقوة أمام المد الإسلامى فى كل من آسيا وأفريقيا، بل وتنصير المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام هناك، وأيضا تنصير كل أهل تلك البلاد الذين لا يدينون بديانة النصرانية .

ماذا يدور فى تلك المؤتمرات :

نريد أن نتحدث هنا بإيجاز شديد عما يدور فى تلك المؤتمرات، وهو ينحصر فى الآتى :

أولا : الطريقة التى يجب على المنصر أن يستعملها فى التنصير .

ثانيا : يجب فصل إرساليات تنصير المسلمين عن إرساليات تنصير الوثنيين، بحيث تكون إرسالية تنصير المسلمين تختلف عن إرسالية تنصير الوثنيين .

ثالثا : يجب على جميع إرساليات التنصير العمل على تنصير جميع المسلمين فى جميع البلاد الإسلامية، حتى يمكن السيطرة والاستيلاء على كل هذه البلاد .

رابعا : يجب الإكثار من استخدام المنصرات فى البلاد الإسلامية ليستطعن تنصير المسلمات بسهولة .

خامسا : يجب على المنصر فى البلاد الإسلامية، أن يستعمل أساليب مغرية فى تنصير المسلمين، وأن يتعلم لهجاتهم العامية، وأن يدرس اللغة العربية الفصحى، وأن يدرس القرآن وأن يحفظه بقدر ما يستطيع، فيخاطب العوام بلهجتهم ويخاطب المتعلمين بالفصحى، ويذكر بعض الآيات القرآنية ليستدل بها على حديثه معهم، كذلك يجب على المنصر أن يتظاهر بالود والمحبة للمسلمين، مع حسن اختيار الموضوعات التى يتحدث فيها معهم، بحيث أن تكون تلك الموضوعات متغيرة ومتجددة، حتى يصل المنصر إلى غايته .

سادسا : يجب على المنصر أن يستخدم النشرات المطبوعة التى تأتى إليه من مكاتبهم الموجودة فى العالم الأمريكى والأوربى كذلك يجب على المنصر تقديم بعض الكتيبات وبعض الكتب المترجمة باللغة العربية ترجمة سهلة للمسلمين الذين لا يعرفون اللغة الأجنبية .
وأيضا تقديم بعض المؤلفات النصرانية (التى عملت بأسلوب سهل) للمسلمين الذين تعلموا فى كل من أوروبا وأمريكا، على أن تكون كل هذه المؤلفات مجانا .

سابعا : يجب على المنصر أن يتعلم كثيرا من المهن، وبخاصة مهنة الطب وإذا لم يتحقق ذلك فى أعضاء إرسالية التنصير، فيجب أن يلحق بتلك الإرسالية طبيبا منصرا، ويجب على هذا الطبيب أن يجيد فن التنصير قبل فن الطب، لأن الغرض من انضمامه إلى تلك الإرسالية هو التنصير لا التطبيب أو التمريض وقد حدث ذلك فعلا، حيث تحدث أحد أعضاء بعثة التنصير فى مصر، وذكر أنه استطاع أن ينصر بعض المسلمين وكان السبب فى ذلك، هو طريقته فى علاجهم من المرض الذى كانوا يعانون منه، كذلك تحدثت بعض المنصرات وقالت إن التنصير فى مستشفى طنطا ناجح، وإن المنصرات ناجحات فى عملهن وبخاصة عندما يستعملن طريقة وأسلوب التكرار والإلحاح على المريضات المسلمات .

وأيضًا تحدثت منصرة ثالثة فى المؤتمر نفسه (١٩٠٦) وكانت تعمل مدرسة فى إحدى مدارس الخرطوم، وقالت إنها استطاعت أن تحول بنات كثيرات من الإسلام إلى النصرانية، وأثبتت أن للنساء المنصرات دوراً كبيراً فى تحويل المسلمات إلى نصرانيات .

ثامنا : ما يجب على المنصر أن يفعله مع المسلمين :

أ – يجب على المنصر أن لا يثير نزاعا مع مسلم .

ب – يجب على المنصر أن لا يُحَرِّضَ المسلم على الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية إلا عَرَضًا، وبعد أن يشعر المنصر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية النصرانية قد توافرت فى ذلك المسلم .

جـ – يجب على المنصر أن يتصف بالصفات الخلقية الممتازة، والاستقامة التامة، وأن يكون مقتنعا بصحة البراهين التى يحتج بها، وأن يكون مجاملا وأن يتذرع بالصبر والسكينة وأن يكون حاكما لعواطفه .

د – يجب على المنصر أن يضع الأمل بالفوز على خصمه نصب عينيه، وألا يخالج نفسه أقل ريب فى أنه هو الذى سيفوز، وفى النهاية يحاول حمل خصمه على الرضوخ[١]

تاسعا : العمل على إنشاء جامعة نصرانية فى مصر على غرار جامعة الأزهر الإسلامية على أن تقوم الكنيسة بجميع نفقاتها، وأن تكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى العالم، على اختلاف مذاهبها، لتتمكن تلك الجامعة من مزاحمة الأزهر بسهولة وبخاصة عندما تقوم بتدريس اللغة العربية الفصحى التى اشتهر الأزهر بالمحافظة عليها، وليتخرج فيها الأعداد الكبيرة من المنصرين الذين يعملون فى البلاد العربية والإسلامية وذلك لتنصير تلك البلاد، ومن جهة أخرى ليستطيع الشخص الذى تحول إلى النصرانية أن ينتسب إليها وليتعلم فيها .

أعمال لجان التنصير عقب المؤتمرات التنصيرية

تتلخص أعمال اللجان التنصيرية فى الآتى :

١ – النظر فى المؤلفات التى صنفت لتنصير المسلمين، وقد كتبت باللغات الثلاث : العربية والأردية والفارسية. وقد روعى عند تأليفها أن تكون بأسلوب مبسط وحديث لتكون سهلة الفهم، وسريعة التأثير لتأتى بنتيجة إيجابية فى نظرهم .

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ١٩ وما بعدها .

٢ – العمل على توزيع هذه المؤلفات فى البلاد الإسلامية والعربية وقد وزعت بالفعل فى كثير من تلك البلاد

٣ – محاولة تغيير هذه المؤلفات من وقت لآخر لتتناسب مع كل عصر من العصور، وأيضا العمل على طبع ونشر المناظرات الدينية التى تكون بين النصارى والمسلمين فى كل مكان .

٤ – النظر فى موضوع تقدم الإسلام الذى يهدد أفريقيا الوسطى(فى نظرهم) والعمل على وقف هذا التقدم بكل الأساليب التى يمكن اتخاذها .

٥ – إعادة النظر فى الأعمال التى يقوم بها المتنصرون، حيث إنها قد فشلت، وذلك لأنهم لم يكونوا على قدر من الكفاءة التى عليها أساتذتهم من المنصرين .

٦ – النظر فى علاقات الأنجيل بالإسلام، والعمل على أن تكون النصرانية متغلبة على الإسلام، وما هو الواجب على المنصر ليستطيع أن يظهر مزايا النصرانية على الإسلام (فى نظرهم) .

٧ – التأكيد على المنصرين بضرورة تعليم المنصرين لغة أهل البلاد التى يذهبون إليها، وعلى الأخص اللغة العربية، والديانة الإسلامية .

٨ – النظر فى علاقات المنصرين بحكومات البلاد التى يذهبون إليها للتنصير، كذلك بحث موضوع الذين تحولوا إلى نصارى وموقف حكوماتهم الإسلامية منهم .

٩ – النظر فى توحيد أعمال إرساليات التنصير التى تذهب إلى البلاد العربية والإسلامية، وبخاصة التى تذهب إلى أفريقيا، وذلك لأن أحد القساوسة قال صراحة:إن الإسلام هو الخطر الوحيد على النصرانية فى أفريقيا، حيث إنه توغل فيها ووصل إلى أعماقها، وفى ذلك خطر كبير على النصرانية .

١٠ – المطالبة بتكاتف وتعاضد جمعيات التنصير فى العالم، لكى تؤلف سلسلة قوية من إرساليات التنصير تطوف كل أفريقيا، كذلك المطالبة بتأسيس مراكز قوية للتنصيرفى البلاد التى يخشى عليها من الخطر الإسلامى . وأن تقوم هذه المراكز بتربية المنصرين والمنصرات تربية خاصه، وذلك بعد حسن اختيارهم .

دعوة مؤتمرات التنصير :

دعت مؤتمرات التنصير جمعياتها ومؤسساتها التنصيرية بالعمل على تفتيت وتفريق المسلمين حتى لا يصبحوا قوة عظيمة أمام الدعوة إلى التنصير، وذلك بإحياء الأمور الآتية :

١ – الفرعونية فى مصر .

٢ – البربرية فى المغرب العربى .

٣ – الفينيقية فى لبنان.

٤ – مساعدة وتنشيط الدعوة إلى القاديانية والبهائية والبابية.

٥ – الانتفاع بنشاط المحافل الماسونية .

٦ – الدعوة إلى العامية، ومحاربة اللغة العربية الفصحى فى البلاد العربية والإسلامية .

٧ – استعلاء النظرة الإقليمية على الإسلام .

٨ – العمل على عدم إيجاد وحدة بين المسلمين، والعمل على إيجاد تفرقتهم .

٩ – العمل على سيطرة العالم الأوروبى، على العالم الإسلامى .

١٠ – العمل على تأسيس مؤسسة دينية بمصر خاصة بتخريج المنصرين المصريين، بشرط أن يشرف عليها قساوسة من أوروبا وكندا وأمريكا .

١١ – العمل على إيجاد جيل من المسلمين، مصبوغاً بصبغة المنصرين، ليقف أمام الثقافة الإسلامية ويشكك فيها .

١٢ – العمل على عدم تدريس مادة الديانة الإسلامية فى المدارس الوطنية فى البلاد الإسلامية، وأن تدرس الديانة النصرانية فى مدارسهم، وعلى نطاق واسع . (١)

---

(١) مخططات التبشير ص ٦٦ – ٦٧ .

نشاط إرساليات التنصير فى مصر

بعد أن تحدثنا عن لجان التنصير، ودعوات مؤتمرات التنصير، نتحدث الآن عن نشاط إرساليات التنصير فى مصر، وذلك بإيجاز شديد وقبل أن نبدأ حديثنا عن إرساليات التنصير الأجنبية التى جاءت إلى مصر، يجدر بنا أن نذكر تاريخ تلك الإرساليات، وفى الحقيقة اختلف آراء المؤرخين والمفكرين فى تحديد تاريخ دخولها مصر وأمامنا الآن خمسة آراء :

الأول :

يرى أصحاب هذا الرأى أن بداية نشاط إرساليات التنصير فى مصر كان فى عام ١٧٥٢م وذلك عندما أرسلت الكنسية الألمانية القس " فريدريك وليم هوكر " إلى مصر فى ذلك العام، وإن كان قد جاء إلى مصر قس فى عام ١٦٣٣م، إلا أنه لم يستطع البقاء فى مصر، حيث إنه عاد إلى ألمانيا بعد إقامته بعام واحد، لكن " هوكر " استطاع أن يعيش فى القاهرة عدة سنوات وأول عمل قام به هو تعلم العربية الفصحى ومعها العامية، ليقرأ بالأولى وليتحدث بالثانية، وبعد أن تم له ذلك، أخذ يعرض بضاعته، وذلك عن طريق مسكنه الذى جعله مكانا لعلاج المرضى الفقراء من المسلمين مجانا، حيث إنه كان طبيبا وقد عرفه الكثير من هؤلاء الفقراء، وأخذوا يترددون عليه بكثرة، وفى كل مرة يحاول أن يعرض عليهم تعاليم الإنجيل، ويذكر لهم أخلاق المسيح ليستطيع تنصيرهم ولما تأكد للكنيسة الألمانية استقرار " هوكر " فى القاهرة، واستطاع أن يأتى بنتيجة إيجابية فى نظرها أرسلت إليه اثنين آخرين فى عام ١٧٥٧م وأخذ الثلاثة يقومون بتنصير بعض المسلمين من الفقراء الذين يعالجونهم مجانا، لكن أحد هؤلاء الثلاثة أراد أن تكون عملية التنصير على نطاق أوسع، فرحل إلى مدينة بنى سويف وأخذ مزاولة عمله هناك سرا، إلا أن المسلمين قد اكتشفوا أمره وصارحوه به، وطالبوه بعدم مزاولته، لكنه لم يرضخ لهم، فضايقوه مضايقة شديدة حتى وصل بهم الأمر إلى تهديده بأشياء كثيرة إنْ حاول تنصير بعض المسلمين، ولما لم يجد فائدة من وجوده قرر العودة إلى ألمانيا وكان ذلك فى عام ١٧٥٩م، ولما اكتشف المسلمون أمر هذين الآخرين فى القاهرة، لم يستطيعا البقاء فيها وعادا إلى ألمانيا فى عام ١٧٦١م ومن ذلك التاريخ حتى عام ١٧٦٧ لم ترسل الكنيسة الإلمانية أحد من قساوستها، ومن عام ١٧٦٨حتى عام ١٧٧٤م أرسلت تلك الكنيسة ثلاثة من القساوسة، ولكنهم لم يستطيعوا البقاء فى مصر فعادوا إلى ألمانيا بعد مدة قليلة، وعلى هذا فقد أصبحت مصر خالية من إرساليات التنصير منذ ذلك التاريخ .

الرأى الثانى :

يرى أصحاب هذا الرأى، أن التنصير بدأ فى مصر ابتداء من عام ١٨١٩م وذلك لأن الكنيسة

الإنجليزية أرسلت أحد قساوستها إلى مصر فى عام ١٨١٩م ، وأقام بها وأخذ يتعلم العربية الفصحى والعامية وبعد أن أجادهما بدأ يمارس نشاطه التنصيرى، فقام بتوزيع بعض المنشورات، يدعو فيها المسلمين إلى اعتناق النصرانية وترك الديانة الإسلامية، وقد استطاعت جمعية إرساليات الكنائس الإنجليزية أن ترسل بعض القساوسة، فكان بعضهم يستطيع البقاء فى القاهرة، والبعض الآخر لم يستطع، فيرحل إلى بلاده .

وفى عام ٣٩/١٨٤٠م استطاعت تلك الجمعية أن تقيم أربع مدارس فى القاهرة، وقد كانت هذه المدارس نواة للمدارس الأجنبية التى ساعدت على عملية التنصير فى مصر، وأيضا استطاعت تلك الجمعية أن تقيم فى مصر معهدا لاهوتيا لتعليم كهنة الأقباط المصريين وليكون بمثابة المركز العام لتخريج الكوادر التنصيرية فى مصر .

وفى عام ١٨٦٤ أصدر الخديوى إسماعيل أوامره إلى محافظ القاهرة بمنح الإرساليات التنصيرية الإنجليزية، قطعة أرض لإقامة كنيسة عليها ، وقد أقيمت الكنيسة وأصبحت مركزا قويا لنشر النصرانية .

وفى عام ١٨٤٧م قررت الكنيسة الإنجليزية إغلاق المعهد اللاهوتى وذلك لأن الكنيسة الفرنسية أخذت ترسل بعض إرساليات التنصير إلى مصر، فتراجع نشاط الكنيسة الإنجليزية، شيئا فشيئا وأخذ يتناقص حتى أوقفت تلك الكنيسة نشاطها، وقررت عودة أعضاء إرساليتها إلى إنجلترا .

وفى عام ١٨٨٢م قامت إنجلترا باحتلال مصر ، فعادت إرساليات التنصير الإنجليزية إلى مصر وتوغلت بحرية كاملة فى كثير من البلاد المصرية دون أن يمنعها مانع وذلك لأنها كانت تحت حماية الدولة المستعمرة وفى عام ١٨٩٨ وصل إلى مصر إرسالية تنصيرية إنجليزية مكونة من سبعة منصرين، وأقاموا فى حى الزيتون بالقاهرة، وبدءوا نشاطهم بالقاهرة، ثم انتقلوا إلى الإسكندرية ودمنهور والإسماعلية والسويس وأقاموا فى كل بلد من هذه البلاد مركزا تنصيريا، كذلك أقاموا مستشفى فى منطقة شبين القناطر، وكان الغرض من ذلك تنصير المسلمين بكل وسيلة من الوسائل ، وقد لعبت هذه المراكز وتلك المستشفى دورا خطيرا فى تحويل بعض الصبية من فقراء المسلمين إلى النصرانية . واستمر نشاط تلك الإرساليات حتى أول الخمسينات .

الرأى الثالث :

يرى أصحاب هذا الرأى : أن نشاط إرساليات التنصير بدأ فى مصر قبل حملة نابليون التى كانت عام (١٧٩٨م) وذلك لأن بابوات روما أرسلوا إلى مصر بعض الرهبان الكاثوليك الفرنسيين، وذهب هؤلاء إلى الوجه القبلى، وأخذوا ينصرون أبناء المسلمين هناك، وقد استطاعت

تلك الإرسالية إقامة المدارس الفرنسية فى كثير من البلاد المصرية وفى عام ١٨٤٥ سمح محمد على للإرسالية الفرنسية بإقامة بعض المدارس فى القاهرة، وبعض المراكز الطبية لعلاج المرضى، وقد أخذت هذه المراكز تتعاون مع تلك المدارس فى تنصير أبناء المسلمين فى كل من الوجهين القبلى والبحرى، إلا أنها لم تأت بالنتيجة التى كانوا يرغبونها .

وقد زاد عدد تلك المدارس فى أواخر عهد محمد على وأوائل عهد عباس الأول وبخاصة المدارس الكاثوليكية ووصل عددها فى الفترة ما بين عام ١٨٥٤م وعام ١٨٦٣م إلى خمس وثلاثين مدرسة (٣٥) وبناء على هذه الزيادة، فقد زاد نشاط الإرساليات التنصيرية الفرنسية، وذلك لأن محمد سعيد، منح تلك الإرساليات حرية فتح مراكز كثيرة فى كثير من بلاد الوجهين (القبلى والبحرى) وأغدق عليهم أموالا كثيرة لإقامة تلك المراكز، وقد وصل به الأمر إلى أنه تبرع بقطعة أرض لإقامة مركز تنصيرى للنساء الفرنسيات المنصرات وكان ذلك عام ١٨٥٩م، وأيضا سمح للإرسالية الفرنسية بإقامة عشر مدارس للفرنسيسكان فى كل من الوجهين، وزيادة على ذلك، كان يمنح الكنائس التابعة لإرساليات التنصير الكاثوليكية منحا مالية كبيرة . (١)

ولم يقف النشاط التنصيرى فى تلك الفترة على الإرساليات الفرنسية، بل قام اتحاد الإرساليات الأمريكية التنصيرية بإرسال بعض أعضائه إلى مصر فى شهر نوفمبر عام ١٨٥٤م وعلى الفور قام هؤلاء الأعضاء بتأسيس جمعية تنصيرية بالقاهرة، وأخذ أعضاؤها ينتشرون فى كل بلاد الوجهين ولم يقتصر نشاطهم التنصيرى على المدن فقط، بل ذهبوا إلى القرى، وبعد مضى خمس سنوات أخذوا فى نشر كتابهم المقدس باللغة العربية وتوزيعه مجانا فى كل الأماكن التى يذهبون إليها، ثم أقاموا كنيسة كبيرة وعمارة سكنية فى القاهرة، ولم يقتصر عملهم التنصيرى على ذلك، بل قاموا بعمل ندوات وطبع منشورات وتوزيعها على أبناء المسلمين ليحولوهم إلى النصرانية أو يشككونهم فى عقيدتهم، ولما استقر بهم الأمر فى مصر أخذوا فى بناء عدد كبير من الكنائس، وعملوا بها فصولا دراسية ثم أقاموا مدارس مستقلة عن تلك الكنائس، وكان ذلك فى كثير من بلاد الوجهين ثم أقامت تلك الإرسالية معهدا لاهوتيا بالقاهرة، وقد بدئ العمل فيه فى عام ١٨٨٥م كذلك أقامت جامعة أمريكية بدئ العمل بها عام ١٩٢٠م. وزيادة على ذلك فقد أقامت بعض المستشفيات ومدارس للتمريض وبعض الملاجىء للأيتام، كل ذلك ليستطيع أعضاء الإرسالية الدخول إلى قلوب وبيوت المسلمين بسهولة .

وكانت طريقة تلك الإرساليات فى تنصير المسلمين، هى حسن استقبال المرضى من المسلمين، ثم حسن معاملتهم، وفى الوقت نفسه يبدأ الطبيب المعالج فى عرض بضاعته فإذا شعر باستجابة من المريض، أخذ عنوان سكنه وذهب إليه ليسأل عنه، وفى الوقت نفسه يكرر عليه ما

---

(١) انظر الجذور التاريخية ص٤٤-٤٦ والمسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية، الوطنية ص٣٥ .

قاله له عندما كان فى المركز الطبى، ويأخذ فى الإلحاح عليه حتى يشككه فى العقيدة الإسلامية، ثم يخرجه من الإسلام إلى النصرانية .

وقد كانت الإرساليات التنصيرية الأمريكية والإنجليزية والألمانية تساهم فى نشر الكتب المليئة بالأخطاء والتى تهاجم الإسلام، حيث ساهمت فى توزيع كتاب أحد المنصرين الألمان فى مصر عام ١٨٩٣م وهو المنصر " يوحنا هورى " وقد صنف مؤلفه وجعله بعنوان " الإسلام وتأثيره على تابعيه " وهاجم فيه الإسلام هجوما عنيفا وقد كان لدور الإعلام الإسلامى أثر كبير فى الرد عليه، حيث قامت جريدة الأستاذ لصاحبها" عبدالله النديم " وردت عليه فى الحال ثم قام الشيخ محمد رشيد رضا فى مجلته " المنار " بالرد عليه ، ولم يكتف بذلك، بل أخذ يهاجم جميع الإرساليات التنصيرية، الموجودة فى مصر وفى خارج مصر، هجوما عنيفا، وواصل هجومه، حتى وأن اللورد كرومر أمر بإغلاق تلك المجلة، ولما لم يتوقف الشيخ محمد رشيد رضا عن هجومه طلب إليه المسئولون فى مصر أن يتوقف عن ذلك الهجوم، فأجاب قائلا : " إنى لن أدع الرد على المبشرين – المنصرين – ماداموا يطعنون فى الإسلام ويدعون المسلمين إلى دينهم، لأن الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية، حيث لا أرى فى البلاد مجلة ولا جريدة تقوم بها، فإن تركتها كنت آثماً .

وأيضا قام محب الدين الخطيب فى مجلته (الفتح) وأخذ يهاجم المنصرين وهجومهم على الإسلام ورسول الإسلام، وبل وعلماء الإسلام، واستطاع أن يرد عليهم فى كل ماكانوا يتحدثون به ضد الإسلام والمسلمين كذلك أخذ الدكتور محمد حسين هيكل ومساعده أحمد نجيب يرد على هؤلاء المنصرين، وكان ذلك على صفحات جريدة السياسة . وقد قامت الصحف الإسلامية بمحاربة الفتنة التى أحدثها أعضاء الإرساليات التنصيرية وهى : إحداث شقاق بين المسلمين والأقباط فى مصر، كذلك استطاعت تلك الصحف أن تحد من النشاط التنصيرى لتلك الإرساليات وأيضا استطاع علماء الأزهر أن يهاجموها وأن يردوا عليها، حيث قاموا بتكوين جمعية إسلامية، أطلقوا عليها اسم " جمعية الدفاع عن الإسلام " وكان يرأسها الشيخ مصطفى المراغى وقد نجحت هذه الجمعية فى الحد من نشاط تلك الإرساليات .

ولم يكن نشاط إرساليات التنصير فى مصر قاصرا على الإرساليات التى ذكرناها سابقا وهى الألمانية والأنجليزية والفرنسية والأمريكية، بل قامت هولندا وأرسلت إرسالية تنصيرية وصلت إلى مصروبدأت نشاطها عام ١٨٦١م واستقرت فى قليوب، وقامت بإنشاء مدرسة ابتدائية مشتركة للبنين والبنات فى القناطر الخيرية، ثم قامت بإنشاء عدة مدارس أخرى فى قليوب، كذلك أقامت ملجأين للأيتام من أبناء المسلمين والمسيحيين، وعيادة طبية، وكان لنشاط كل هذه

المؤسسات أثر كبير فى التنصير ولم تكتف تلك الإرسالية بكل ذلك، بل أقامت كنيسة فى قليوب عام ١٩٠٢م، وعملت على توزيع الأنجيل مجانا للمسلمين فى القرى المصرية وقد استمر النشاط التنصيرى لتلك الإرسالية دون انقطاع حتى عام ١٩٥٤م فأغلقت الحكومة المصرية مدارسها وعيادتها الطبية وسلمت ملاجئها إلى الإدارة المصرية، ثم رحل أعضاؤها إلى هولندا فى ذلك العام .

حقيقة العمل التنصيرى ونطاقه ووسيلته :

ذكرنا سابقا بعض الوسائل التى يستعملها المنصرون فى تنصيرهم للمسلمين، وهنا نذكر ما ذكره بعض القساوسة الذين اعتنقوا الإسلام عن عقيدة وهو " إبراهيم أحمد خليل " حيث يقول : ان العمل التبشيرى – التنصيرى – بين المسلمين يعتبر فنا من الفنون يحتاج إلى تدريب ودراية كاملين، يتوقف عليهما استعداد المرء الفطرى من الذكاء وسرعة البديهة، وقوة الجَلَدِ، والصبر على المكاره وتحمل المشاق دون تذمر أو تضجر كذلك يحتاج إلى رجحان الفكر ونضوج العقل وسعة الصدر، وقوة الإدراك، لينفذ المبشر – المنصر – إلى أعماق السائل أو الطالب، ويدرك ما يخطر على باله من أسئلة .

وينقسم العمل التنصيرى إلى ثلاثة أقسام :

الأول : التنصير بين الجماعات، وهذا يحدث فى المدارس والمستشفيات والندوات الدينية العامة

الثانى : التنصير مع الفرد الواحد، وهذا يحتاج إلى مثابرة وصبر واستعداد للترحاب بالضيف وإظهار كل إمكانات الود والصداقة حتى يأنس الفرد إلى المنصر ويثق به فيصبح آلة مسخرة يكيفها المنصر كما يشاء ويصل بها إلى النصرانية طواعية واختيارا .

الثالث : التنصير الصامت : ويكون ذلك بتوزيع الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل والنشرات الدينية وبعض الصور) .

وسائل التنصير :

تنحصر وسائل التنصير فى الآتى :

١ – التنصير بالفانوس السحرى .

٢ – التنصير بسرد قصص الأنبياء والتابعين لهم، تلك القصص المتواترة عند المسلمين.

٣ – التنصير بإلقاء المواعظ فى المناسبات كالأعياد والجنازات .

طريقة التنصير فى المستشفيات التنصيرية :

إن طريقة التنصير فى المستشفيات التنصيرية تختلف عن التنصير فى الأماكن الأخرى، وذلك لأن المريض مضطر لأن يحضر إلى المستشفى ويجلس فى مكان الانتظار، حتى يتجمع الكثير من المرضى، وفى هذه الحالة يقوم أحد موظفى المستشفى – وهو واعظ إنجيلى – بتحرير بطاقة لكل مريض، بها اسمه وعنوانه وحالته الصحية، وبعد أن ينتهى الموظف من ذلك، تقوم إحدى ممرضات المستشفى – وهى واعظة إنجيلية – بالجلوس مع كل مريض ومريضة، وتتحدث معه على انفراد، وذلك لمعرفة شخصية المرضى ودراسة أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، ثم تقوم بتدوينها فى بطاقة خاصة لكل مريض، وفى النهاية تقدمها إلى قسيس المستشفى لتبويبها وتصنيفها حسب رؤيته لحالة المريض .

بعد ذلك، يقوم أحد المنصرين بإلقاء درس دينى تنصيرى على جمهور المرضى الموجودين، ثم توزع على جميع المرضى بعض النشرات التنصيرية لقراءتها فى أثناء انتظارهم. ثم يعقب ذلك عمل ندوة تنصيرية خاصة فى مكتب القسيس للمرضى المسلمين الذين يمكن تنصيرهم فى نظره وفى هذه الحالة يقوم المنصر باحترام هؤلاء المرضى وتقديرهم، بل والإغداق عليهم من الهبات والعطايا المادية والعينية، ليتحول المريض إلى النصرانية بسهولة .

وإذا لم يستجب المريض للتنصير وذهب إلى بيته دون عودة إلى المستشفى، فإن المنصر يذهب إلى ذلك المريض، ويحمل معه الهدايا ليقدمها إليه، ويدعوه مرة ثانية وثالثة إلى اعتناق النصرانية ولكن هيهات هيهات أن يوافق المريض على اعتناق النصرانية .

ميادين أنشطة المنصرين

تنحصر أنشطة المنصرين فى الآتى :

١ – الهجوم السافر والمباشر على الإسلام وعلمائه .

٢ – الخدمات الصحية، وتظهر تلك الخدمات فى إقامة المستشفيات والمستوصفات والعيادات الطبية التنصيرية .

٣ – إنشاء الكنائس والأديرة فى كل بلد إسلامى .

٤ – إنشاء المدارس التنصيرية فى البلاد الإسلامية .

٥ – إنشاء مراكز للخدمات الاجتماعية المختلفة، مثل إنشاء دور للأيتام والعجزة والأرامل والمطلقات وكبار السن .

٦ – استغلال الأزمات والكوارث الفردية والجماعية، ويظهر ذلك فى البحث عن الأطفال من

أبناء المسلمين الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم فى الحروب والفتن والمجاعات ثم يقومون بتنصيرهم .

٧ – إنشاء الجمعيات والمنظمات والنوادى ذات النشاط الاجتماعى أو الأدبى أو الثقافى أو الفنى أو الرياضى، بشرط أن تكون مصبوغة بصبغة نصرانية بحتة .

٨ – العمل على نشر وتوزيع المطبوعات والمنشورات التى تدعو إلى النصرانية، بأساليب سهلة ومختلفة لتتناسب مع العقول المختلفة .

٩ – الاهتمام بالمجتمعات الإسلامية النائية والنامية والإنفاق عليها فى صورة منح وهدايا ليسهل تنصيرهم .

١٠ – العمل على تكوين منظمات سرية تعمل فى الخفاء ضد الإسلام .

١١ – استغلال الفنادق العالمية ونشر النصرانية لنازليها من المسلمين . (١)

أهداف التنصير

سبق أن تحدثنا عن بعض أهداف التنصير فى أثناء حديثنا وهنا نريد أن نوجزه فى الآتى :

١ – تشويه الإسلام، وزلزلة العقيدة وضعفها فى نفوس المسلمين.

٢ – إخضاع العالم الإسلامى، إلى العالم الغربى النصرانى وثقافته .

٣ – هدم الإسلام ونشر النصرانية لتحل محله .

٤ – إخضاع العالم كله لتسود النصرانية ويكون تحت قبضة رجالها .

٥ – تفتيت الشعوب الإسلامية والعربية فى علاقاتها وصلات بعضها ببعض

٦ – القضاء على اللغة العربية الفصحى، وإحلال العامية محلها، ليستطيع القضاء بسهولة على الإسلام .(٢)

الأمور التى يجب على المنصر أن يتبعها

تتلخص الأمور التى يجب على المنصر أن يتبعها فى الآتى :

١ – يجب على المنصر أن يكون على جانب كبير من الدهاء والنفاق ، حتى يشعر المتحدث إليه من المسلمين، أنه جاء إليه ليكون خادما له، وأنه قطعة منه، فيتظاهر بحبه والعطف عليه، حتى يتصادق معه، ثم يبدأ يشككه فى الإسلام، وإذا نجح فى ذلك يحاول تنصيره .

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٠٢ وما بعدها .

(٢) مخططات التبشير ص٧٢ – ٨٩، والفكر الإسلامى الحديث ص٥٢٥ –٥٢٧ والغارة على العالم الإسلامى ص ٥٠ .

٢ – يجب على المنصر أن يكون مالكا للغة العربية الفصحى، وكذا العامية. كما يجب عليه أن يكون دارسا للقرآن الكريم وأن يعرف ما يحتويه، وأن يكون دراسا للأحاديث النبوية وعلى الأخص الأحاديث الضعيفة والموضوعة ليعرف ما قاله نبى الإسلام وما نسب إليه من أحاديث، ليستعمل كل هذا ضد الإسلام ونبيه .

٣ – يجب على المنصر أن يكون دارسا للتاريخ الإسلامى وما فيه من أحداث وقعت بين المسلمين وبعضهم بعضا، كذلك يجب عليه أن يكون دارسا للفرق والمذاهب الإسلامية، وعلى الأخص الطرق الصوفية، حتى يستطيع أن يتحدث مع المسلمين وهو على علم كامل بكل ذلك .

٤ – يجب على المنصر أن يخاطب عوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم، وأن يتحدث معهم بصوت رخيم وأن يكون مؤثرا فيهم .

٥ – يجب على طبيب الإرسالية أن يكون منصرا، فيستغل فرص المرض، ويسيطر على المرضى، فيتحدث معهم فى موضوع الدين قبل أن يعالجهم، وإذا لم يكن المبشر طبيبا، فيجب عليه أن يكون ملما ببعض مبادئ التطبيب والتمريض والإسعافات العاجلة .

٦ – يجب على المنصر أن يتحدث فى الموضوعات الإسلامية الآتية :

المرأة المسلمة – تعدد الزوجات – ميراث المرأة نصف ميراث الرجل، شهادة المرأة، المهر،الحجاب والسفور، تحريم الربا، تحريم أكل الخنزير، إلى آخر ما هنالك من موضوعات يرى أنها تختلف عما يوجد فى النصرانية .

٧ – يجب على المنصر أن يكون على دراية بكيفية وطريقة الدعوة إلى النصرانية، وكيفية الهجوم على ديانة الشعب الذى يذهب إليه .

كما يجب عليه أن يستغل المؤسسات التى يعمل بها، فى عملية التنصير وذلك كالمستشفيات والمدارس والمعاهد والجامعات . (١)

---

(١) الإسلام فى وجه التغريب ص٩٣ – ٩٦ وانظر أيضا التبشير والاستعمار – مصطفى خالدى

الأمور التى تجب على الداعية المسلم نحو التنصير لمواجهته

إن الأمور التى تجب على الداعية المسلم أن يتبعها ليستطيع أن يواجه بها عملية التنصير، تتلخص فى الآتى :

١ – حفظ القرآن الكريم، بمعنى أنه يجب على الداعية المسلم أن يكون حافظا للقرآن الكريم، ليستطيع أن يرد به على خصوم الإسلام وأعدائه من جهة، وليقنع من تنصر أو تشكك فى عقيدته من جهة أخرى .

٢ – حفظ الكثير من الأحاديث النبوية الثابتة عن رسول الله ﷺ ، ليوضح بها كلامه، وليفسر بها ما جاء فى القرآن الكريم، وعليه أيضا أن يكون على دراية بالأحاديث الموضوعة ليوضح أنها موضوعة ومكذوبة .

٣ – يجب على الداعية المسلم أن يكون متمكنا من اللغة العربية الفصحى، وهى لغة القرآن الكريم، ليتحدث بها مع الذين لا يعرفون العامية، لكن لا مانع من معرفته للهجة البلد الذى يعيش فيه، ليتحدث بها إذا لزم الأمر، وبالإضافة إلى ذلك يجب عليه أن يكون ضالعا وعالما بكثير من العلوم الإسلامية .

٤ – يجب على الداعية المسلم أن يعرف طبيعة المنصرين، وأن يقف على كثير من أمورهم ليعرف كيف يواجه دعوتهم بما يهدمها، وذلك بالحجة الواضحة والبرهان الساطع .

٥ – يجب على الداعية المسلم أن يعرف جيدا البيئة الاجتماعية التى ينشر المنصر دعوته فيها سواء كانت بيئة عمالية أم مدرسية وجامعية وذلك ليتعامل مع أهلها بما يتناسب معهم .

٦ – يجب على الداعية المسلم أن لا ييأس من محاربة التنصير، والدعوات الأخرى التى تهدم الإسلام، حتى ولو لم يأت بنتيجة مباشرة وسريعة، وعليه بالتزام الصبر والتروى فى الأمور، حتى يصل إلى هدفه المنشود .

٧ – يجب على الداعية المسلم، أن يكون محبا ومخلصا لدعوته، ومقتنعا بالعمل الذى يقوم به، وأن يعرف جيدا أن هذا العمل يكون لله وحده، وأن الله تعالى هو الذى يستطيع أن يجزيه أعظم الجزاء، وأن المخلوق مهما منحه من منح فلن يستطيع أن يفيه جزاء هذا العمل.

٨ – يجب على الداعية المسلم أن يثق بنفسه، ولا يقول شيئا إلا إذا كان واثقا فيه

ليستطيع أن يواجه المنصر وتعاليمه، وحتى لا يتردد فى أحاديثه وردوده ومجادلته، وإذا كان الداعية المسلم على هذه الصفة، فالناس كذلك يثقون فيه وفى كل ما يقوله فيأتى بالنتيجة المرجوة.

٩ – يجب على الداعية المسلم، أن لا يستهين أو يحتقر المنصرين، بل يجب عليه أن يعرف أن هؤلاء الناس قد تربوا تربية خاصة وأنهم مختارون من دولهم وشعوبهم ليقوموا بمهمة خطيرة .

١٠ – يجب على الداعية المسلم أن يقتدى برسول الله ﷺ فى كل أموره وهى القدوة الحسنة، قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ كذلك عليه أن يقتدى بالسلف الصالح كالخلفاء الراشدين فى كل أعماله، وأن يضرب بهم المثل الصالح فى كل أحاديثه .

١١ – يجب على الداعية المسلم أن يكون حسن المظهر، نظيف الثياب، قادرا على مواجهة الحياة ومتطلباتها، حتى إذا وقف فى موقف ليواجه بعض المنصرين لم يكن أقل منه فى ذلك .

١٢ – يجب على الداعية المسلم أن يطابق قوله عمله فى كل الأمور التى يقوم بها فى حياته اليومية، حتى لا يؤخذ عنه أنه يقول مالا يفعل .

١٣ – يجب على الداعية المسلم أن يكون اجتماعيا، يحب الناس ويحبونه، وأن لا يتصف بصفة الكبر والاستعلاء، وعليه أن ينزل منازل الناس، فإذا مرض أحدهم، فليذهب إليه ليزوره، وإذا احتاج أحدهم شيئا فليقدمه له دون مقابل .

١٤ – يجب على الداعية المسلم الذى يواجه التنصير فى بلاد غير عربية أن يعرف لغة تلك البلاد، وبخاصة الإنجليزية أو الفرنسية، ليستطيع أن يتعامل بها مع أهل تلك البلاد، ولا بأس بمعرفة بعض اللهجات الأفريقية ليتحدث بها مع أهلها . (١)

---

(١) انظر هذا الموضوع فى الكتب الآتية، الدعوة الإسلامية : رؤوف شلبى، ثقافة الداعية :يوسف القرضاوى، الدعوة الإسلامية : أحمد غلوش .

الإعلام الإسلامى فى مواجهة الاستشراق

أ.د محمود حمدى زقزوق
عميد كلية أصول الدين بالقاهرة

تمهيد :

التحديات التى تواجه الإسلام والمسلمين فى العصر الحاضر كثيرة ومتعددة فقد جندت كل القوى فى العالم الغربى شتى وسائل الإعلام الغربية التى تصل إلى كل مكان فى الدنيا لتشويه صورة الإسلام والمسلمين فى العالم. وبعد أن انهار الاتحاد السوفيتى وهو العدو التقليدى القديم للعالم الغربى يصرح المسئولون فى الغرب بأن العدو البديل المحتمل هو العالم الإسلامى ويتحدثون عن القنبلة الذرية الإسلامية التى تمثل تهديدا للعالم الحر، ولا يتحدثون عن القنبلة اليهودية فى إسرائيل أو الهندوسية فى الهند أو المسيحية فى الغرب أو الشيوعية فى الصين . والإسلام فقط من بين كل الديانات هو الذى يهاجم والمسلمون من بين كل شعوب الأرض هم العدوانيون الأرهابيون. كل ذلك يحدث والعالم الإسلامى غائب عن الإسهام بفاعلية فى بناء ما يسمى بالنظام العالمى الجديد، وغائب عن رسم مستقبل هذا العالم، ويراد له أن يظل على هامش الأحداث .

فإلى متى يرضى العالم الإسلامى لنفسه أن يظل فى مقاعد المتفرجين ؟

وإلى متى يظل مسلوب الإرادة يراد له ولا يريد لنفسه ؟

إن هذا الوضع المهين لا يجوز له أن يستمر. ولكن التغيير لن يسقط علينا من السماء. إنه يخضع لقانون قرآنى ثابت يتمثل فى قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ وإذا تم التغيير الداخلى من جانب الإنسان المسلم فإن الله سيشد من أزر المسلمين ويمدهم بعونه ويرعاهم بعنايته ويحقق لهم وعده" وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا " .

وهذا التمكين فى الأرض والأمن والاستقرار الذى وعد به القرآن يقتضى جهادا نفسيا وعملا متواصلا على كافة الجبهات بوعى وفاعلية حتى تتبدل الأحوال. وقبل ذلك هناك خطوة هامة على الطريق تتمثل فى التعرف على مواطن الضعف فى الكيان الإسلامى وتشخيص علل المجتمع الإسلامى تشخيصا دقيقا وممارسة النقد الذاتى ثم اقتراح الحلول الناجعة التى تقضى على المرض قضاء مبرما .

والإعلام الإسلامى يتحمل مسئولية ضخمة فى هذا المجال فعليه أن يوقظ الهمم ويشحذ العزائم ولا يكتفى بالضرب على أوتار العواطف وإلهاب المشاعر، بل ينبغى أن يخاطب العقول والأفهام وأن يسهم بفاعلية فى مكافحة السلبيات والتركيز على الأولويات والإرتفاع بوعى شباب الأمة وعدم الدخول فى جدل عقيم حول الهامشيات .

وليس من غرضنا اليوم أن نتحدث عن كل التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية. ولكننا نختار تيارا واحدا فقط من بين التيارات العديدة التى تمثل تحديا للإسلام والأمة الإسلامية. وهو تيار الاستشراق وهذا التيار الفكرى يعد تيارا مؤثرا وفعالا ولا يجوز الاستهانة بأمره أو التقليل من شأنه . فالتخطيط الغربى يعتمد فى جانب كبير منه على الدراسات الاستشراقية. وسنحاول فى هذا البحث أن تلقى لمحة سريعة على قضية الاستشراق. وفى هذا الصدد سنقوم بإيجاز شديد بعرض المشكلة والاشارة إلى أبعادها المختلفة ونعرض أيضا الحلول المقترحة فى هذا المجال ومن نافلة القول أن نشير إلى أن دور الإعلام الإسلامى فى هذه القضية دور هام وحيوى. ويتمثل ذلك فى إلقاء الضوء على المشكلات والتحديات وتوعية الأذهان وتثقيف العقول وتحصين الشباب بالأفكار الأيجابية البناءة حتى لا يكون عرضة للوقوع فريسة للأفكار الهدامة وفيما يلى نعرض لقضية الاستشراق بايجابياتها وسلبياتها :

مدخـــــل :

ليس هناك شك فى أن الاستشراق له أثر كبير فى العالم الغربى وفى العالم الإسلامى على السواء، وإن اختلفت ردود الأفعال على كلا الجانبين . ففى العالم الغربى لم يعد فى وسع أحد يريد أن يكتب عن الشرق أو يفكر فيه أو يمارس فعلا مرتبطا به أن يتجاهل الثروة العلمية الهائلة التى أنتجها الأستشراق على مدى قرون عديدة .

وفى العالم العربى الإسلامى المعاصر لا يكاد المرء يجد مجلة أو صحيفة أو كتابا الا وفيها ذكر أو اشارة إلى شيىء عن الاستشراق أو يمت إليه بصلة قريبة أو بعيدة .

وهذا أمر ليس بمستغرب، ذلك أن الاستشراق كان ولا يزال له أكبر الأثر فى صياغة التصورات الغربية عن الأسلام وفى تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة .

والاستشراق قضية تتناقض حولها الآراء فى العالم العربى الإسلامى، فهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أبعد الحدود، وهناك من يرفضه جملة وتفصيلا .

وكمثال قريب لهذا الفريق الأخير أذكر أننى ألقيت محاضرة بعنوان (الإسلام والاستشراق) منذ بضعة أعوام فى احدى الدول العربية، وقد جاء فى حديثى ثناء على ما بذله المستشرقون من جهود لحفظ المخطوطات العربية التى جلبت إلى أوروبا، وتسهيل الاستفادة منها وفهرستها فهرسة دقيقة، وذكرت أن ذلك يعد من الجوانب الإيجابية التى تذكر للمستشرقين .

ولكن محاضرا آخر ألقى بعد ذلك ببضعة أشهر فى نفس المكان محاضرة عن التراث العربى الإسلامى، وفى حديثه عن المخطوطات العربية التى جلبت إلى أوروبا ذكر أنه كان يتمنى أن تحرق جميع هذه المخطوطات ولا تقع فى أيدى المستشرقين لأنهم قد استخدموها ضد العرب والمسلمين .

والواقع أن كلا من هذين الاتجاهين : المتحمس للأستشراق بلا حدود، والرافض له بلا حدود غير منصف فيما ذهب إليه . فكل منهما يمثل تيارا غير علمي وغير نقدي .

فالاستشراق من ناحية غير معصوم من الخطأ، كما أنه من ناحية أخرى ليس كله شرا بالنسبة للإسلام والمسلمين .

فالاتجاه الأول مبهور بالحضارة الغربية والتقدم العلمي والتكنولوجي في الغرب وبالتالي فإن كل ما يأتي من الغرب لابد أن يكون – من وجهة نظر هذا الاتجاه – سليما وعلميا وموضوعيا .

أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه رافض للحضارة الغربية وإن كان يأخذ بأسباب التقدم العلمي. ورفضه للاستشراق مبني على أسباب عديدة، من بينها الظروف التي أدت إلى نشأة الاستشراق وارتباط أهدافه في مراحل معينه بالتبشير، وموافقة العدائية ضد الإسلام منذ العصر الوسيط، وكذلك ظروف الصدامات العسكرية التي حدثت بين الغرب والشرق الإسلامي على مدى قرون عديدة، وأخيرا في العصر الحديث ما كان من ظروف الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية واذلاله لشعوبها وتحقيره لدينها وحضارتها، وما صحب ذلك من نظرة الاستعلاء الغربية في علاقة الغرب بتلك الشعوب المغلوبة على أمرها . وقد لعب بعض المستشرفين أدوارا هامة ساعدت الاستعمار الغربي، وساعدت على ترسيخ نظرة الاستعلاء الغربية إزاء الإسلام والمسلمين . وقد سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين . وهذا واقع مؤلم يعترف به المستشرفون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة .

وهكذا يستطيع المرء أن يفهم الأسباب التي أدت إلى وجود تيار قوي في العالم العربي الإسلامي يرفض الاستشراق رفضا تاما .

والواقع الذي لا يمكن انكاره هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث ايجابا أو سلبا أردنا أو لم نرد . ولهذا فأننا لا نستطيع أن نتجاهله أو نكتفي بمجرد رفضه وكأننا بذلك قد قمنا بحل المشكلة. إننا لوفعلنا ذلك لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال .

ولهذا فانه ليس هناك بديل عن مواجهة المشكلة وطرحها على بساط البحث ودراستها واستخلاص النتائج وطرح الحلول .

ومن هنا تأتي ضرورة المواجهة العلمية الجادة للاستشراق، تلك المواجهة التي لا تكتفي بنعم أو لا، بل تسلك سبيل الدراسة المتعمقة والبحث الدءوب في جذور الفكر الغربي لمعرفة الأسباب الحقيقية للمواقف الغربية من الإسلام. فالصورة السائدة عن الإسلام اليوم في الغرب

ليست مجرد صورة وقتية عارضة ولا هى بنت اليوم، وإنما هى صورة صاغتها قرون طويلة من الصراع الحضارى بين الإسلام والغرب .

واذا كنا لم نحاول أن ندرس التراث الغربى ونحلله وننقده كما فعل الغربيون بتراثنا فلا أقل من أن ندرس ما كتبوه عنا حتى نعرف الأسباب التى من أجلها كانت حملتهم الظالمة علينا وعلى ديننا ومقدساتنا .

ومن هنا تتضح حاجتنا الماسة إلى دراسة كل ما يكتب عنا وعن ديننا فى الغرب لأن هذه الكتابات تمس أقدس ما لدينا : تمسنا فى أخص خصائصنا وهو عقيدتنا التى نعتز بها وتمس شخص نبينا ﷺ وتمس القرآن الكريم والسنة النبوية. وبصفة عامة تمس تاريخنا كله .

وحيث أن كلا من الاتجاهين المشار اليهما وهما : الاتجاه المتحمس للاستشراق بلا حدود والاتجاه الرافض له على طول الخط، غير منصف فيما ذهب إليه، فانه كان لابد من ظهور تيار ثالث يحاول أن يكون لنفسه رؤية موضوعية عن الاستشراق وأهدافه وأعماله ومنشوراته العلمية ويحاول جاهدا أن ينقد ما يراه سلبيا من وجهة النظر الإسلامية، ولا ينسى فى الوقت نفسه أن يذكر الأيجابيات التى تذكر للاستشراق فى المجالات العلمية المتعلقة بالدراسات العربية والإسلامية .

وهذا الاتجاه الثالث هو فى حقيقة الأمر الأتجاه الذى يمكن أن نسميه اتجاها إسلاميا حقيقيا، لأنه هو الذى يتفق مع ما يطلبه الإسلام فى مثل هذه الأحوال انطلاقا من قول القرآن الكريم ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

وهذا الاتجاه وحده هو الذى يمكن أن يجبر المستشرفين على احترام وجهة النظر الإسلامية. وحتى اذا لم يستطع أن يغير من أفكار المستشرفين فى المستقبل القريب فعلى الأقل سيشعرهم بأن هناك اتجاها علميا حقيقيا على المستوى الإسلامى، وأن من الخطأ البالغ تجاهله أو المرور عليه مر الكرام – ومن ناحية أخرى سيتيح لنا هذا الاتجاه العلمى القويم أن نقتحم بفكرنا الأبواب المغلقة فى الفكر الغربى .

والمواقف الاستشرافية تشتمل من غير شك على بعض الجوانب الإيجابية التى يجب أن تذكر للمستشرفين، كما تتمثل فى المواقف الاستشرافية طائفة أخرى من الجوانب السلبية التى يجب أن تسجل عليهم. وحتى نكون موضوعيين فأنه لأبد لنا من الإشارة إلى مالهم من إيجابيات والتنبيه على ما لديهم من سلبيات حتى تتضح الأبعاد المختلفة للمشكلة. ولا ضير على المرء اذا اعترف بما لعدوه من مزايا، اذ أن ذلك ربما يكون حافزا لنا على النهوض والاستعداد من جديد، وقبول التحدى الذى تفرضه علينا – نحن المسلمين – ظروف العصر .

أما هذه الأيجابيات التى سنذكر طرفا منها هنا فأود أن أنبه إلى أن بعضها يعد أمورا تخص المستشرقين وتتصل بأسلوب عملهم ومدى ترابطهم، والقصد من ذكرها هو مجرد الاعتبار بها فقط، وبعضها الآخر أمور تتصل بانتاجهم العلمى الذى يعود بعضه بالفائدة على الدارسين العرب، وأن كان المستشرقون قد قصدوا به فى المقام الأول خدمة أنفسهم، ولكنهم مع ذلك لم يحجبوه عن غيرهم. وسنحاول فيما يلى أن نلقى أولا نظرة تاريخية على نشأة الاستشراق وتطوره ثم بعد ذلك نلقى نظرة على المواقف الاستشراقية بما لها وما عليها ثم نتحدث بعد ذلك عما يمكن للمسلمين أن يقوموا به من خطوات فى مواجهة الحركة الاستشراقية .

نشأة الاستشراق وتطوره :

البدايات الأولى :

الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى. وكلمة " مستشرق" بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله : أقصاه ووسطه وأدناه، فى لغاته وآدابه وحضارته وأديانه. ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، ولا يعنينا هنا أن نتعرض لبحثه، كما لا يعنينا أيضا أن نتعرض للتغيرات الجغرافية والحضارية التى طرأت على مفهوم الشرق فى مختلف العصور، وانما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذى يعنى الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى فى لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارتة بوجه عام . وهذا المعنى هو الذى ينصرف إليه الذهن فى عالمنا العربى الإسلامى عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق، وهو الشائع أيضا فى كتابات المستشرقين المعنيين . ومن الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصرانى يؤرخ لبدء وجود " الاستشراق الرسمى " بصدور قرار مجمع "فيينا " الكنسى عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوروبية. ولكن الإشارة هنا إلى "الاستشراق الرسمى " تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمى قبل هذا التاريخ، فضلا عن أن هناك باحثين أوربيين – كما سنذكر فيما يلى – لا يعتمدون التاريخ المشار إليه بداية للاستشراق . ولذلك تتجه المحاولات فى هذا الصدد لا إلى تحديد سنة معينة لبداية الاستشراق، وانما إلى تحديد فترة زمنية معينة على وجه التقريب يمكن أن تعد بداية للاستشراق.

وليس هناك شك فى أن الانتشار السريع للإسلام فى المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصرانى إلى هذا الدين. ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته. ومن بين العلماء النصارى الذين أظهروا فى وقت مبكر اهتماما بدراسة الإسلام – لا من أجل اعتناقه،

وانما من أجل حماية اخوانهم النصارى منه - كان العالم النصرانى يوحنا الدمشقى (٦٧٦ - ٧٤٩م). ومن بين مصنفاته فى هذا الصدد لاخوانه فى الدين كتاب (محاورة مع مسلم) وكتاب (ارشادات النصارى فى جدل المسلمين) .

ولكننا لا نستطيع أن نعد مثل هذه المحاولات بداية للاستشراق فيوحنا الدمشقى كان رجلا شرقيا عاش فى ظل الدولة الأموية وخدم فى القصر الأموى. ولهذا سنصرف النظر عن مثل هذه المحاولات من جانب النصارى الشرقيين، ونقصر حديثنا على العلماء الغربيين .

وهنا نجد أيضا أنه ليس هناك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق. فبعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى بينما يرى (رودى بارت Rudi Paret) أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية فى أوروبا تعود إلى القرن الثانى عشرالذى تمت فيه لأول مرة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، كما ظهر أيضا فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى عربى . وما ذهب إليه بارت فى هذا الصدد سبق أن عبر عنه كتاب المستشرق جوستاف دوجا (تاريخ المستشرقين فى أوروبا من القرن الثانى عشر حتى القرن التاسع عشر) الذى صدر فى باريس فى نهاية الستينات من القرن الماضى .

وهناك من الباحثين من يجعل بداية الاستشراق قبل ذلك بقرنين، أى فى القرن العاشر الميلادى. ولعل هذا هو السبب الذى أدى بنجيب العقيقى إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين - فى أجزائه الثلاثة - سجلا للاستشراق على مدى ألف عام، بدء من الراهب الفرنسى جربردى أورالياك (٩٣٨ -١٠٠٣) الذى قصد الأندلس، وتتلمذ على أساتذتها فى أشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره فى أوروبا ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ثم تقلد فيما بعد منصب البابوية فى روما باسم سلفستر الثانى (٩٩٩ - ١٠٠٣) .

وعلى أية حال فان الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل فى ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى والنصرانى فى الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوربيين بتعاليم الإسلام وعاداته. ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحله الأولى هو تاريخ للصراع بين العالم النصرانى فى القرون الوسطى والشرق الإسلامى على الصعيدين الدينى والأيديولوجى. فقد كان الإسلام كما يقول (ساذرن Southern) يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوروبا على المستويات كافة. فباعتباره مشكلة عملية استدعى الأمر اتخاذ اجراءات معينة كالصليبية والدعوة إلى

النصرانية والتبادل التجارى، وباعتباره مشكلة لا هوتية تطلب بالحاح العديد من الاجابات على العديد من الأسئلة فى هذا الصدد، وذلك يقتضى معرفة الحقائق التى لم يكن من السهل معرفتها. وهنا ظهرت مشكلة تاريخية صار من المتعذر حلها، كما ندر امكانية تناولها دون معرفة أدبية ولغوية يصعب اكتسابها، وصارت المشكلة أكثر تعقيدا بسبب السرية والتعصب والرغبة القوية فى عدم معرفتها خشية الدنس .

اتجاهان مختلفان :

وقد نشط اللاهوتيون النصارى فى ذلك الوقت المبكر ضد الإسلام وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه ﷺ ، وزعموا فيما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة وأن محمد ﷺ ليس إلا صنما أو اله قبيلة أو شيطانا . وغزت الأساطير الشعبية والخرافات خيال الكتاب اللاتينيين. ولم يكن الهدف بطبيعة الحال هو عرض صورة موضوعية عن الإسلام، فقد كان هذا أبعد ما يكون عن أذهان المؤلفين فى ذلك الزمان .

وهناك فى هذا الصدد حكايات فى وصف الإسلام مغرقة فى الخيال وفى الضلال اخترعها الكتاب فى ذلك العصر مثل أنشودة رولاند الشهيرة : The Song of Roland وغيرها من أثار أدبية تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام، أو أنهم يعبدون آلهة ثلاثة هى (تيرفاجان Tervagan)، و(محمد وأبو للو) . وقد اعترف أعلم المؤلفين المسؤولين عن هذا الأدب وهو(جيبير النوجنتى Guibert de Nogent ت ١٢٢٤م) بأنه لا يعتمد فى كتاباته عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة، وأشار فقط إلى آراء العامة، وأنه لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب، ثم قال مبررا كتاباته غير العلمية عن الإسلام ونبيه :

" لاجناح على المرء اذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء " وقد أطلق ساذرن على هذه الفترة فى كتابه (نظرة الغرب إلى الإسلام فى القرون الوسطى) عنوان "عصر الجهالة " . وهو عصر كان أبعد ما يكون عن روح العلم والموضوعية. وفى ذلك يقول ساذرن : " على أن الشىء الوحيد الذى يجب أن لا نتوقع وجوده فى تلك العصور هو الروح المتحررة الأكاديمية، أو البحث الانسانى الذى تميز به الكثير من البحوث التى تناولت الإسلام فى المائة سنة الأخيرة " ..

وفى مقابل تلك الصورة البعيضة للإسلام كانت هناك جهود أخرى للوصول إلى معرفة موضوعية فى مجال العلوم العربية مثل الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية .

وبدءا من عام ١١٣٠م كان العلماء النصارى فى أوروبا يعملون جاهدين على ترجمة الكتب العربية فى الفلسفة والعلوم. وكان لرئيس أساقفة طليطلة وغيره الفضل فى اخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العلمية العربية، بعد الاقتناع بأن العرب يملكون مفاتيح قدر عظيم من

تراث العالم الكلاسيكى. وهذه الحركة التى قامت فى أوروبا لترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية تشبه تلك الحركة التى قامت فى العالم الإسلامى فى عهد المأمون ومن سبقه لترجمة العلوم اليونانية وغيرها إلى العربية. وتخدم أيضا الأغراض نفسها التى قامت من أجلها حركة الترجمة فى العالم الإسلامى والتى تتمثل فى نشر العلم ورفع المستوى الثقافى من أجل خدمة الحياة الانسانية وبناء الحضارة. ولكن هذا الاتصال العلمى العميق بحضارة الإسلام لم يكن له تأثير فى تغيير النظره الغربية للصورة العقيدية أو الألهية أو التاريخية للإسلام .

وقد كانت هناك فى القرن الثانى عشر أيضا بعض المحاولات للتعرف على الإسلام بقدر من الموضوعية ولكن مع الهدف الواضح والمعلن وهو محاربة هذه التعاليم الإسلامية الالحادية. ومن أجل ذلك قام بطرس الموقر (ت ١١٥٦م) رئيس رهبانى كلونى بتشكيل جماعة من المترجمين فى أسبانيا يعملون كفريق واحد من أجل الحصول على معرفة علمية موضوعية عن الدين الإسلامى. وقد كان بطرس الموقر وراء ظهور أول ترجمة لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية فى عام ١١٤٣م، تلك الترجمة التى قام بها العالم الانجليزى (روبرت أوف Robert of Ketton ويمكن القول بصفة عامة بأنه قد كان هناك فى هذه الفترة المبكرة للاستشراق اتجاهان مختلفان فيما يتعلق بالأهداف والمواقف إزاء الإسلام . أما الاتجاه الأول فقد كان اتجاها لاهوتيا متطرفا فى جدله العقيم، ناظرا إلى الإسلام من خلال ضباب كثيف من الخرافات والأساطير الشعبية. أما الاتجاه الثانى فقد كان نسبيا بالمقارنة إلى الاتجاه الأول أقرب إلى الموضوعية والعلمية، ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية والطب والفلسفة، ولكن الاتجاه الخرافى ظل حيا حتى القرن السابع عشر وما بعده. ولا يزال هذا الاتجاه للأسف حيا فى العصر الحاضر فى كتابات بعض المستشرقين عن الإسلام ونبيه .

الثقافة العربية فى قصر الأمبراطور :

وبين حين وآخر كانت تظهر هناك بعض شخصيات أوربية مستنيرة لها وزنها تتخذ ازاء الإسلام بعض المواقف الايجابية، ومن بين هؤلاء القلائل الذين كانوا يتبنون ازاء الإسلام موقفا أقرب إلى الاعتدال نجد فريدريك الثانى حاكم صقلية الذى أصبح إمبرطورا لألمانيا عام ١٢١٥م. وقد كان فريدريك هذا يعرف العربية ويتشبه بالعرب فى لباسهم وعاداتهم ويتحمس للفلسفة والعلوم العربية. وقد كانت هذه العلوم تدرس بشغف فى قصره فى (بالرمو) وبذلك أصبحت فى متناول اللاتينيين. وقد أهدى هذا الإمبرطور وابنه (مانفرد) إلى جامعات بولونيا وباريس ترجمات لكتب فلسفية مترجمة عن العربية. وفى عام ١٢٢٤م أسس الإمبرطور جامعة نابولى وجعل منها أكاديمية لإدخال العلوم العربية إلى العالم الغربى .

وقد كان نصيب هذا الإمبراطور أن طرده البابا جريجورى التاسع Gregorgy من الكنيسة عام ١٢٣٩م. وقد كانت احدى التهم التى وجهت إليه هى ما يبديه من مظاهر الود تجاه. الإسلام .

الاستشراق والتنصير :

اذا كان الاستشراق لا يقوم إلا على أساس معرفة اللغات الشرقية التى هى الوسيلة للتعرف على عقائد وحضارات الشرق فإن التنصير يتفق مع الاستشراق فى هذا الصدد، ويحتم أيضا معرفة لغات من يراد تنصيرهم، وقد كان هناك اقتناع تام لدى دعاة التنصير فى القرن الثالث عشر بضرورة تعلم لغات المسلمين، اذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتى ثمارها بنجاح. وقد كان هذا الاقتناع – الذى ترجم فيما بعد إلى خطة عمل – عاملا هاما بالنسبة لتطور الاستشراق. ولم يكن من السهل فى ذلك الزمان فصل الاستشراق عن التنصير أو عن الدافع الدينى بصفة عامة. فالدافع الدينى كان هو السبب الأول فى نشأة الاستشراق .

وقد كان من بين الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات المسلمين لغرض التنصير (روجر بيكون) (١٢١٤م – ١٢٩٤ م) الذى كان يرى أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التى يمكن بها توسيع رقعة العالم المسيحى. ولبلوغ هذا الغرض لابد من توفر شروط ثلاثة هى :

١ – معرفة اللغات الضرورية .

٢ – دراسة أنواع الكفر وتمييز بعضها من بعضها الآخر .

٣ – دراسة الحجج المضادة حتى يمكن دحضها .

وقد شارك بيكون فى أفكاره (رايموندلول Raymond luli) (١٢٣٥ – ١٣١٦) الذى ولد فى جزيرة ميورقة الأسبانية وتعلم العربية على يد عبد عربى، وكانت له جهود كبيرة فى إنشاء كراسى لتدريس اللغة العربية فى أماكن مختلفة، وكان الهدف من كل هذه الجهود فى ذلك العصر وفى العصور التالية هو التنصير، وهو اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين النصرانى .

وقد صادق مجمع " فيينا " الكنسى فى عام ١٣١٢م على أفكار بيكون ولول بشأن تعلم اللغات الإسلامية، وتمت الموافقة على تعليم اللغة العربية فى خمس جامعات أوروبية هى جامعات باريس، وإكسفورد، وبولونيا، وسلمنكا، بالإضافة إلى جامعة المدينة البابوية (kurie) وقدر لرايموندلول أن يعيش حتى يشهد تحقيق حلم طالما نادى به، وكان يعتقد أن الوقت بذلك قد حان لاخضاع المسلمين عن طريق التنصير وبذلك تزول العقبة الكبيرة التى تقف فى سبيل تحويل الانسانية كلها إلى العقيدة الكاثوليكية .

وقد ساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية فى نهاية العصر الوسيط تلك الصلات السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التى اتسعت رقعتها حينذاك. وكان للروابط الاقتصادية لكل من أسبانيا وايطاليا مع كل من تركيا وسورية ومصر أثر كبير فى دفع حركة الدراسات الاستشراقية.

وفى القرن السادس عشر الميلادى وما بعده أدت النزعة الانسانية فى عصر النهضة الأوربية إلى دراسات أكثر موضوعية من ذى قبل، ومن ناحية أخرى شجعت البابوية الرومانية دراسات لغات الشرق من أجل مصلحة التنصير .

وفى القرن السابع عشر بدأ المستشرقون فى جمع المخطوطات الإسلامية، وأنشئت كراسى للغة العربية فى أماكن مختلفة. ومما هو جدير بالذكر أن قرار إنشاء كرسى اللغة العربية فى جامعة كمبردج عام ١٦٣٦م قد نص صراحة على خدمة هدفين أحدهما تجارى والآخر تنصيرى .

ومن هنا يتضح أنه قد كان هناك تجاوب متبادل بين الاستشراق والتنصير إن لم يكن هناك تماثل فى القصد بين المستشرق الأكاديمى والمبشر الإنجيلى. ويمكن القول بأن التحالف بين الجانبين لا يزال مستمرا بشكل من الأشكال حتى العصر الحاضر .

محاولات جادة نحو فهم الإسلام :

وعلى الرغم من هذه الأهداف التنصيرية الواضحة والمعادية فى طبيعتها للإسلام، فقد شهدت نهاية القرن السابع عشر من ناحية أخرى اتجاها آخر مختلفا استمر أيضا فى القرن الثامن عشر، وقد نظر هذا الاتجاه إلى الإسلام نظرة موضوعية محايدة فيها شىء من التعاطف مع الإسلام، وقد شجع على ذلك ظهور النزعة العقلية الجديدة التى بدأت تسود أوروبا حينذاك والتى كانت فى عمومها مخالفة للكنيسة .

وهكذا سنحت الفرصة أمام بعض العقلاء من الأوروبيين للوقوف فى وجه الظلم والاجحاف الذى لقيه الإسلام فى الغرب فى القرون الوسطى، وظهرت بعض المؤلفات العامة المعتدلة عن الإسلام والحضارة الإسلامية، وحل محل الآراء التى تبناها اللاهوتيون حتى ذلك الوقت والتى تمثلت فى وصف محمد ﷺ بأنه شيطان، وفى وصف القرآن الكريم بأنه مزيج من اللغو الباطل – حل محلها آراء أخرى أقل عنفا وأقرب إلى الاعتدال والانصاف للإسلام والمسلمين .

وأهم محاولة رائدة فى الاتجاه الجديد نحو الفهم الصحيح للإسلام كانت على يد (هادريان ريلاند Reland) (ت ١٧١٨م) أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة أوترشت بهولندا . فقد صدر كتابه باللغة اللاتينية عن الإسلام عام ١٧٠٥م بعنوان (الديانة المحمدية) فى جزأين :

عرض فى أولهما العقيدة الإسلامية معتمدا على مصادر بالعربية واللاتينية. وفى الجزء الثانى قام بتصحيح الآراء الغربية التى كانت سائدة حينذاك عن تعاليم الإسلام. وقد أثار الكتاب اهتماما عظيما لدرجة أدت إلى أثارة الشبهات حول المؤلف باتهامه بأنه يريد القيام بعمل دعائى للإسلام، فى حين أنه لم يكن يقصد إلا الوصول إلى فهم الدين الإسلامى فهما صحيحا ممهدا بذلك السبيل إلى محاربته من جانب النصرانية بطريقة أفضل من ذى قبل .

ولكن الكنيسة الكاثوليكية أدرجت الكتاب فى قائمة الكتب المحرم تداولها . وعلى الرغم من ذلك ترجم الكتاب إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والهولندية والأسبانية. ويشير ريلاند فى مقدمة الكتاب إلى ما تتعرض له كل الأديان باستمرار من جانب خصومها، أما بعدم فهمها أو برميها بكل سوء بطريقة تنبئ عن قصد خبيث. وقد تعرض الإسلام إلى مثل ذلك من جانب خصومه مثلما تعرضت الأديان الأخرى. ويقول ريلاند : (إن المرء يصح له أن يبحث عن الحقيقة حينما كانت) .. ولهذا يريد أن يعرض الإسلام لا كما يظهر من خلال ضباب الجهل وخبث الناس، وإنما كما يدرس حقيقة فى مساجد المسلمين ومدراسهم. فلم يحدث أن تعرض دين من الأديان فى هذا العالم فى أى عصر من العصور إلى مثل ما تعرض له الإسلام من جانب خصومه من الاحتقار والتشويه والوصف بكل أوصاف السوء. وقد وصل الأمر إلى حد أن من يريد أن يصف نظرية من النظريات بوصف مشين، يصفها بأنها نظرية محمدية .. كما لو كان الأمر أنه لا يوجد فى تعاليم محمد شىء صحيح، وأن كل ما فيها فاسد. وإذا أبدى أحد رغبة صادقة فى التعرف على الإسلام لا تقدم إليه إلا الكتب المضادة الخبيثة والمليئة بالضلالات .

ولكن محاولة ريلاند وغيرها من محاولات فى التعرف على الإسلام عن قرب وبلا أحكام سابقة لم تستطع أن ترسخ في الفكر الأوروبى تيارا عاما، ولم تستطع بالتالى أن تقضى تماما على الصورة المشوهة للإسلام فى أذهان الاوروبيين بصفة عامة، تلك الصورة التى رسختها القرون الوسطى فى الأذهان والتى لا تزال آثارها عالقة بالعقول حتى اليوم. فقد بقيت الصورة فى اطارها العام على مر العصور كما هى، وان حدث فيها بين الحين والحين – بفعل بعض الظروف بعض التعديل فى الظلال والألوان " والرتوش " الخفيفة. والدليل على ذلك هو أن صورة الإسلام فى أذهان الأوروبيين لا تزال حتى اليوم صورة مشوهة بعيدة عن الحقيقة .

ولسنا ننكر أن الاستشراق فى ذلك العصر بدأ يتخفف من أثقال اللاهوت وأن حدة الاتهامات ضد الإسلام قد خفت عن ذى قبل. كما أعيد النظر فى الاتهامات السابقة، ولكن هذا الانفتاح الفكرى كان فى محصلته النهائية محدود الأثر .

ويعد القرن التاسع عشر والقرن العشرون عصر الازدهار الحقيقى للحركة الاستشراقية .

وفى نهاية القرن التاسع عشر أصبحت الدراسات الإسلامية تخصصا قائما بذاته داخل الحركة الاستشراقية العامة. وكان كثير من علماء الإسلاميات والعربية فى ذلك الوقت – مثل : نولد كه وجولد تسيهر، وفلهاوزن – مشهورين فى الوقت نفسه بوصفهم علماء فى الساميات على وجه العموم أو متخصصين فى الدراسات العبرية أو فى دراسة الكتاب المقدس .

من مظاهر النشاط الاستشراقى :

بدأ المستشرقون فى النصف الأول من القرن التاسع عشر فى مختلف بلدان أوربا وأمريكا بانشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية فقد تأسست أولا الجمعية الآسيوية فى باريس عام ١٨٢٢م ثم الجمعية الملكية الآسيوية فى بريطانيا وايرلندا عام ١٨٢٣م، والجمعية الشرقية الأمريكية عام ١٨٤٢م والجمعية الشرقية الألمانية عام ١٨٤٥م.

وسرعان ما نشطت هذه الجمعيات فى اصدار المجلات والمطبوعات المختلفة. وقد كان (هامر برجشتال) أول من أصدار مجلة استشراقية متخصصة فى أوروبا وهى مجلة (ينابيع الشرق) التى صدرت فى فيينا من عام ١٨٠٩م إلى عام ١٨١٨م.

وفى عام ١٨٩٥م ظهرت فى باريس مجلة تهتم بصفة خاصة بالعالم الإسلامى وهى مجلة الإسلام، وقد خلفتها فى عام ١٩٠٦م مجلة العالم الإسلامى التى صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية فى المغرب، وقد تحولت بعد ذلك إلى مجلة الدراسات الإسلامية .

وفى عام ١٩١٠م ظهرت مجلة الإسلام الألمانية Der Islam، وفى بطرسبرج بـ "روسيا " ظهرت مجلة عالم الإسلام Mir Islama عام١٩١٢م ولكنها لم تعمر إلا وقتا قصيرا. وفى بريطانيا ظهرت مجلة العالم الإسلامى عام ١٩١١م على يد صمويل زويمر (ت ١٩٥٢) الذى كان رئيس المبشرين فى الشرق الأوسط .

وللمستشرفين اليوم من المجلات والدوريات عدد هائل يزيد على ثلاثمائة مجلة ودورية متنوعة بمختلف اللغات .

وقد شهد القرن التاسع عشر أيضا بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين. وقد اتاحت هذه المؤتمرات للمستشرقين فى كل مكان الفرصة لزيادة التنسيق وتوثيق أواصر التعاون، والتعرف بصورة مباشرة على أعمال بعضهم بعضا، وتجنب ازدواج العمل حرصا على تجميع الجهود وعدم تبديدها فى أعمال مكررة .

وقد تم عقد أول مؤتمر دولى للمستشرقين فى باريس فى عام ١٨٧٣م، وتعقد هذه المؤتمرات منذ ذلك الحين بصفة منتظمة. وقد بلغ عددها حتى الآن أكثر من ثلاثين مؤتمرا. وهذا عدا المؤتمرات والندوات واللقاءات الاقليمية التى يرجع بعضها إلى تاريخ أقدم من تاريخ

أول المؤتمرات الدولية. فقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين الألمان فى مدينة درسدن بألمانيا فى عام ١٨٤٩م. ولا تزال مثل هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى اليوم .

وتضم هذه المؤتمرات الدولية للمستشرقين مئات العلماء فمثلا مؤتمر اكسفورد كان يضم تسعمائة عالم من خمس وعشرين دولة، وخمس وثمانين جامعة، وتسع وستين جمعية علمية، ومجموعات العمل فى كل مؤتمر تبلغ أربع عشرة مجموعة تختص كل منها ببحث مجال معين من الدراسات الاستشراقية. وتنشر بحوث هذه المؤتمرات فى مجلدات " للاهتداء بها كنظم ومناهج ووسائل، ثم أصبحت – مع دراسات مؤتمراتهم الموضوعية والاقليمية – أصولا وأمهات وأسانيد للباحثين " .

الاستشراق ..... والاستعمار ....

لقد كان للمد الاستعمارى فى العالم الإسلامى دور كبير فى تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق وخصوصا بعد منتصف القرن التاسع عشر وقد أفاد الاستعمار من التراث الاستشراقى ومن ناحية أخرى كان للسيطرة الغربية على الشرق دورها فى تعزيز موقف الاستشراق، وتواكبت مرحلة التقدم الضخم فى مؤسسات الاستشراق وفى مضمونه مع مرحلة التوسع الأوروبى فى الشرق .

وقد شهد القرن التاسع عشر استيلاء المستعمرين الغربيين على مناطق شاسعة من العالم الإسلامى .

ففى عام ١٨٥٧م تم استيلاء الإنجليز سياسيا على الهند، وأصبحت الهند بذلك تابعة للتاج البريطانى رسميا، بعد أن كانت حتى ذلك الحين واقعة تحت نفوذ شركة الهند الشرقية منذ القرن السابع عشر. وفى عام ١٨٥٧ أيضا تم استيلاء فرنسا على الجزائر كلها بعد أن كان الفرنسيون قد بدؤوا غزوها عام ١٨٣٠م. كما احتلت هولندا قبل ذلك – فى بداية القرن السابع عشر – جزر الهند الشرقية (اندونسيا) عن طريق شركة الهند الهولندية،. وبعد عام١٨٨١م تم احتلال مصر وتونس. وظل الاستعمار يقوم بتقطيع أوصال البلاد الإسلامية شيئا فشيئاويضعها تحت سيادته حتى استطاع فى النهاية أن يطوق العالم الإسلامى من الشرق والغرب وبعد الحرب العالمية الأولى كان العالم الأسلامى كله تقريبا خاضعا لنفوذ الاستعمار الغربى .

وقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه فى بلاد المسلمين. وهكذا نشأت هناك رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار وانساق فى هذا التيار عدد من المستشرقين ارتضوا لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه – وهذا عمل يشعر ازاءه المستشرقون المتصفون

بالخجل والمرارة .

ولم تكن علاقة الاستشراق بالاستعمار – كما يظن – هى مجرد اضفاء طابع التبرير العقلى على المبدأ الاستعمارى، بل كان الأمر كما يقوله ادوارد سعيد أيضا – أبعد من ذلك وأعمق، فالتبرير الاستشراقى للسيادة الاستعمارية قد تم قبل حدوث السيطرة الاستعمارية على الشرق، وليس بعد حدوثها . فقد كان التراث الاستشراقى بمثابة دليل للاستعمار فى شعاب الشرق وأوديته من أجل فرض السيطرة على الشرق واخضاع شعوبه وإذلالها .

" فالمعرفة بالأجناس المحكومة أو الشرقيين هى التى تجعل حكمهم سهلا ومجديا . فالمعرفة تمنح القوة، ومزيد من القوة يتطلب مزيدا من المعرفة " فهناك باستمرار حركة جدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية.

وهكذا اتجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار – بعد الاستيلاء العسكرى والسياسى على بلاد المسلمين – إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية فى نفوس المسلمين وتشكيك المسلمين فى معتقداتهم وتراثهم، حتى يتم للاستعمار فى النهاية اخضاع المسلمين اخضاعا تاما للحضارة والثقافة الغربية .

اليهود .. والاستشراق ..

لقد اتضح لنا مما تقدم أنه قد كانت هناك أسباب معينة على مر العصور دفعت بالباحثين الغربيين النصارى إلى الاستشراق، وحملتهم على تحقيق أهداف علمية أو غير علمية. وهنا يمكن لسائل أن يسأل :

ماهى الأسباب التى دفعت اليهود إلى الاقبال على الاستشراق .. وما الدور الذى قاموا به فى إطار الحركة الاستشراقية ؟

والإجابة على هذا السؤال ليست سهلة، فمن الصعب الحصول على إجابة صريحة فى هذا الصدد، وذلك لأن المراجع التى تتحدث عن الاستشراق وتطوره قد أغفلت الحديث عن هذا الجانب. ونعتقد أن سبب اغفال الحديث عن هذا الموضوع يرجع إلى أن المستشرقين اليهود قداستطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصرا أساسيا فى اطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية. فقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوروبى لا بوصفهم اليهودى. وقد استطاع (جولد تسيهر) فى عصره – وهو يهودى مجرى – أن يصبح زعيم علماء الإسلاميات فى أوروبا بلا منازع، ولا تزال كتبه حتى اليوم تحظى بالتقدير العظيم والاحترام الفائق من كل فئات المستشرقين .

وهكذا لم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهودا حتى

لا يعزلوا أنفسهم وبالتالى يقل تأثيرهم . ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين، وبذلك كسبوا مرتين : كسبوا أولا فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها، وكسبوا ثانيا تحقيق أهدافهم فى النيل من الإسلام، وهى أهداف تلتقى مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى.

مستقبل الاستشراق :

وفى ختام هذا المدخل التاريخى تبرز أمامنا بعض الأسئلة الملحة حول مستقبل الاستشراق : هل لا يزال الاستشراق يعيش الآن عصر ازدهاره، أم أن نجمه بدأ يأفل وتأثيره بدأ يقل ونشاطه بدأ يتضاءل .. وخاصة بعد أن انحسر المد الاستعمارى عن العالم الإسلامى ؟

أين يقف الاستشراق الآن فى العصر الحاضر ؟

ما موقف الحكومات الأوروبية اليوم من دعم النشاط الاستشراقى ؟

إن طرح هذه الأسئلة له ما يبرره. فهناك بالفعل وجهات نظر تتحدث عن نهاية الاستشراق

لقد عاش الاستشراق عصرازدهاره فى النصف الثانى من القرن الماضى والنصف الأول من هذا القرن .. وشهدت تلك الفترة جيل العمالقة من المستشرقين. وقد ظهرت الآن أجيال جديدة تسير على الدرب نفسه وتترسم خطى السابقين.

وتهتم الحكومات الأوربية بدعم الحركة الاستشراقية فى أوروبا ، ولا تبخل عليها بالمال اللازم لاستمرار نشاطها .

فهناك إذن ارتباط وثيق بين مصالح الغرب واهتماماته ودعم الحركة الاستشراقية. وهذا أمر يجعل استمرار الاستشراق متوقفا على استمرار الدعم المالى الذى تقدمه الحكومات والهيئات المختلفة، واستمرار الدعم المالى يتوقف على مدى تشبث الغرب بمصالحه فى العالم العربى والإسلامى، والتشبث بهذه المصالح حقيقة واقعة تؤكدها جميع الشواهد. وليس هناك أى بارقة تلوح فى الأفق توحى بأن الغرب على استعداد للتخلى عن هذه المصالح. ومادام الأمر كذلك فان الحاجة إلى الاستشراق فى الغرب ستظل قائمة بل ستزداد إلحاحا.

الجوانب الإيجابية :

وتتمثل الجوانب الايجابية للمستشرقين فى الأمور التالية :

يخدم المستشرقون أهدافهم التى وضعوها لأنفسهم بإخلاص تام لهذه الأهداف وتفان إلى أقصى حد وبكل الوسائل. وعندما أراد المستشرق الهولندى سنوك هورجرونيه أن يكتب كتابا عن مكة لم يثنه عن عزمه لدراسة مكة على الطبيعة أنه مسيحى لا يجوز له أن يدخل مكة، فانتحل اسما إسلاميا هو عبد الغفار، وزار مكة عام ١٨٨٤ وأقام هناك مدة خمسة أشهر، وكان يجيد

العربية كأحد أبنائها. وبعد هذه الرحلة كتب عن مكة كتابين أولهما : الحج إلى مكة، وثانيهما : مكة وجغرافيتها فى القرن التاسع عشر – فى جزءين – وصف فيه مكه وصفا دقيقا شاملا مع خرائط عديدة. والمستشرقون بصفة عامة لديهم صبر عجيب ونادر فى البحث والدرس وإحاطة تامة بالعديد من اللغات القديمة والحديثة. وقد أشار الشيخ مصطفى عبد الرازق إلى "الأعجاب بصبرهم ونشاطهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم " .

وقال الشيخ أمين الخولى بعد حضوره مؤتمر المستشرقين الدولى الخامس والعشرين " لقد قدمت السيدة كراتشكوفسكى بحثا عن نوادر مخطوطات القرآن فى القرن السادس عشر الميلادى. وأنى أشك فى أن الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئا عن هذه المخطوطات . وأظن أن هذه مسألة لا يمكن التساهل فى تقديرها " .

(٢) : هناك ترابط تام بين جماعات المستشرقين فى مختلف البلدان الغربية وتنسيق مستمر وتعاون وتكامل فى مجالات الدراسات العربية والإسلامية. فقنوات الاتصال بينهم قائمة ومستمرة عن طريق المؤتمرات المنتظمة والدوريات والحوليات والمجلات والنشرات والمطبوعات المختلفة.

[٣) : التوفر على موضوع معين من الدراسات العربية والإسلامية وقضاء العمر كله فى البحث والاستقصاء لاستيفاء شتى جوانبه. ولهذا نجد أن لديهم معرفة جيدة بكل ما ينشر عن الدراسات الإسلامية والعربية فى بلادنا العربية. ومكتباتهم الخاصة والعامة عامرة بشتى المراجع العربية والإسلامية قديمها وحديثها . وهناك حقيقة يعرفها كل من خالط المستشرقين وهى أن المستشرق المتمكن لا تأخذه العزة بالأثم اذا ما نبهته إلى خطأ وقع فيه نتيجة لعدم فهمه لروح اللغة العربية .

(٤) : دائرة المعارف الإسلامية – على مالنا نحن المسلمين عليها من مأخذ – وتعد هذه الدائرة ثمرة من ثمار التعاون العلمى الدولى بين المستشرقين. وقد تم اصدراها فى طبعتها الأولى بالانجليزية والفرنسية والألمانية فى الفترة من عام ١٩١٣ إلى عام ١٩٣٨م وقد ترجمت إلى العربية حتى حرف العين. وقدر شرع المستشرقون فى إصدار طبعة جديدة أعيدت فيها كتابة المقالات بناء على ما صدر من بحوث حديثة وما نشر أو اكتشف من مخطوطات. وقد بدأ ظهور الطبعة الجديدة منذ عام ١٩٥٤ وقد صدر منها الآن خمسة مجلدات كبيرة ولا يزال العمل جاريا فى إعداد بقية المجلدات .

(٥) : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (ت١٩٥٦) وهو كتاب أساسى فى الدراسات العربية لايستغنى عنه باحث فى الدراسات العربية والإسلامية. وهذا الكتاب لا يقتصر على الأدب

العربى وفقه اللغة، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية. فهو سجل للمصنفات العربية المخطوط منها ، والمطبوع، ويكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين. وقد صدر أولا فى مجلدين عام ١٨٩٨ وعام ١٩٠٢ ثم أتبعه المؤلف بثلاث مجلدات تكميلية كبيرة فى الفترة من ١٩٣٧ إلى ١٩٤٢ ثم أعاد نشر المجلدين الأساسيين فى عام ١٩٤٣ وعام ١٩٤٩ فى طبعة أخرى معدلة ليتناسب تعديلهما مع المجلدات الثلاثة التكميلية. وقد وافق المؤلف على طلب الجامعة العربية على ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية. ولكن المشروع لازال للأسف يتعثر حتى الآن. ويقوم الباحث التركى المسلم فؤاد سيزكين، تلميذالمستشرق الألمانى هلموت ريتر – بعد اكتشاف آلاف المخطوطات – يقوم باكمال عمل بروكلمان وذلك فى كتابه (التراث العربى) بالألمانية الذى ترجم بعضه إلى العربية، ومنح عليه جائزة الملك فيصل منذ بضع سنوات.والحق يقال انه لولا كتاب بروكلمان لما كان كتاب فؤاد سيزكين.

(٦) : جمع المخطوطات العربية من كل مكان وبشتى السبل، والعمل على حفظها وصيانتها من التلف والعناية بها عناية فائقة، وفهرستها فهرسة نافعة تصف المخطوط وصفا دقيقا وبذلك وضعت تحت تصرف الباحثين الراغبين فى الاطلاع عليها فى مقر وجودها أو طلب تصويرها بلا روتين أو اجراءات معقدة. وقد قام مثلا ألوارد Ahlward بوضع فهرس للمخطوطات العربية فى مكتبة برلين فى عشرة مجلدات بلغ فيه الغاية فنا ودقة وشمولا، وصدر هذا الفهرس فى نهاية القرن الماضى واشتمل على فهرس لنحو عشرة آلاف مخطوط . وقد قام المستشرقون فى كافة الجامعات والمكتبات الأوروبية بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة. وتقدر المخطوطات العربية الإسلامية فى مكتبات أوروبا بعشرات الآلاف بل قد يصل عددها إلى مئات الآلاف .

وهنا أيضا كلمة حق يجب أن تقال وهى أن انتقال هذا العدد الهائل من المخطوطات إلى أوروبا بوسائل شرعية أو غير شرعية قد هيأ لها أحدث وسائل الحفظ والعناية الفائقة والفهرسة الدقيقة. وعندما أقول هذا أشعر بالأسى والحسرة لحال المخطوطات النادرة فى كثير من بلادنا العربية والإسلامية وما آل إليه حال الكثير منها من التلف والتآكل وصعوبة أو استحالة الاستفادة منها .

(٧) : للمستشرقين باع طويل فى مجال المعاجم. وأخص بالذكر هنا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف. الذى يشمل كتب الحديث الستة المشهورة بالاضافة إلى مسند الدارمى وموطأ مالك ومسند الأمام أحمد بن حنبل. وقد تم نشره فى سبعة مجلدات فى الفترة من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٦١م. وتفيد منه كافة المعاهد والجامعات الإسلامية فى العالم .

وقد تعاون على اخراجه عدد من المستشرقين المعروفين . ونشير أيضا إلى الجهد الذى بذله أوجست فيشر (ت١٩٤٩) فى معجم اللغة العربية القديمة مرتبا حسب المصادر. فقد قضى فيشر أربعين عاما فى جمعه وتنسيقه وتعاون معه عدد من المستشرقين.

(٨) : قام المستشرقون بنشر الكثير من أمهات كتب التراث، وقد عرفنا الكثير من هذا التراث محققا ومطبوعاعلى أيديهم. ولم يقتصر الأمر على نشر النصوص العربية بل قاموا أيضا بترجمة مئات الكتب العربية الإسلامية إلى كافة اللغات الأوروبية.

الجوانب السلبية :

وبعد هذه النظرة التى ألقيناها على ماللمستشرقين من ايجابيات يحق لنا الآن أن ننبه إلى الجوانب السلبية فى تفكيرهم ودراساتهم. وتنصب النواحى السلبية بصفة أساسية على دراساتهم عن الإسلام وما يتصل به . وفيما يلى نعرض نماذج من هذه السلبيات :

١ – يعد الاستشراق أسلوبا خاصا فى التفكير ينبنى على تفرقة أساسية بين الشرق والغرب.

فالشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) كما قال الشاعر الاستعمارى المشهور كبلنجKipling فالغربيون عقليون محبون للسلام متحررون منطقيون وقادرون على اكتساب قيم حقيقية، أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله شىء .

ولكن هناك حقيقة هامة يتجاهلها المستشرقون ببساطة، وهى أن الحضارة الغربية التى يصفونها باعتزاز بأنها حضارة مسيحية مبنية فى الأصل على تعاليم رجل شرقى وهو المسيح عليه السلام، وعلى ما نقلوه عن العرب من علوم عربية ومن تراث قديم تطور على أيدى العرب. وهذه الحقيقة تجعل هذه التفرقة المبدئية إلى شرق وغرب والتى يعتمد عليها الاستشراق أمرا مخالفا للمنطق. فالمسيحية دين شرقى. والزعم بأن الغرب متقدم لأنه يدين بالمسيحية والشرق متخلف لأنه يدين بالإسلام، زعم لا أساس له من العلم ولا من الواقع، فالتقدم الذى يشهده الغرب اليوم فى مجال العلم والتكنولوجيا لا علاقة له بالمسيحية كدين، والتخلف الذى يعانى منه الشرق لا يتحمل الإسلام وزره. فهذا التخلف يعد – كما يقول المرحوم مالك بن نبى – عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يزعم الزاعمون .

٢ – الاستشراق – من بين شتى العلوم الأخرى – لم يطور كثيرا فى أساليبه ومناهجه. وفى دراسته للإسلام لم يتخلص قط من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتى العقيم الذى انبثق منه الاستشراق أساسا. ولم يتغير شىء من هذا الوضع حتى اليوم باستثناء بعض الشواذ . وتخدم اليوم وسائل الإعلام المتعددة فى الغرب فى تأكيد وتقوية الوضع التقليدى الذى

لايزال ينظر إلى الإسلام إلى حد كبير بمنظار القرون الوسطى. ولعل هذا هو ما دعا السكرتير العام للمجلس الإسلامى الأوربى فى شهر يناير ١٩٧٩ إلى التنديد بوسائل الإعلام الغربية لموقفها من الإسلام، ووصفه لهذا الموقف بالأجحاف والافتراء على حقائق الدين وتشويهها. وهذا كله يحدث على الرغم من أن مجلس الفاتيكان قد أشاد فى اكتوبر ١٩٦٥ بالحقائق التى جاء بها الإسلام والتى تتعلق بالله وقدرته ويسوع ومريم والأنبياء والمرسلين، وعلى الرغم أيضا من قول المستشرق الألمانى المعاصر رودى بارت : أن الدراسات الاستشراقية منذ منتصف القرن التاسع عشر تنحو نحو البحث عن الحقيقة الخالصة ولا تسعى إلى نوايا جانبية غير صافية .

وللمستشرق الفرنسى المعاصر رودنسون وجهة نظر أخرى حيث يذهب إلى القول بأن هناك ثورة فى التفكير قد حدثت فى التصورات الاوروبية للإسلام، الأمر الذى جعل التقييم المسيحى لمحمد ﷺ مسألة حساسة. فلم يعد بإمكانهم الزعم الكاذب بأنه (محتال شيطانى) كما كان عليه الحال فى العصور الوسطى . وفى الوقت الذى نجد فيه بعض المفكرين المسيحيين الذين يهتمون بالمشكلة يعلقون الحكم بحذر، فأننا نجد بعض الكاثوليك المتخصصين فى الإسلام يعتبرون محمدا ﷺ (عبقريا دينيا)،. و يتساءل آخرون عما إذا كان فى الإمكان اعتباره بطريقة ما نبيا حقيقيا ما دام القديس توماس الأكوينى يقول بالنبوة التوجيهية التى لا تعنى بالضرورة العصمة والكمال. ومعنى هذا الكلام هو عدم الاعتراف بالنبوة الحقيقية للنبى ﷺ التى تعنى اصطفاء الهيا ووحيا سماويا وعصمة ربانية.

والواقع انه ليس بالأمر الغريب أن يختلف المستشرقون معنا – نحن المسلمين – فى الرأى حول الإسلام، وأنما الغريب أن يتفقوا معنا فى الرأى. وذلك لأن منطلق تفكيرهم بالنسبة للإسلام ونبيه يختلف عن المنطلق الذى يصدر عنه تفكير المسلمين ولهذا تختلف وجهات النظر بيننا وبينهم وستظل مختلفة فلا ننتظر منهم أن يتبنوا وجهة نظرنا التى تنظر إلى الإسلام على أنه دين سماوى ختم به الله الرسالات السماوية وأن محمدا خاتم النبيين، وأن القرآن وحى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنهم لو فعلوا ذلك لأصبحوا مسلمين . وهذا ما حدث فعلا بالنسبة للبعض منهم ممن تحول إلى الإسلام.

وهذا التحول إلى الإسلام يعنى فى الوقت نفسه التحول عن الخط الاستشراقى. ونحن لا نطلب من كل مستشرق أن يغير معتقده ويعتقد ما نعتقد عندما يكتب عن الإسلام. ولكن هناك أوليات بديهية يتطلبها المنهج العلمى السليم. فعندما أرفض وجهة نظر معينة لأبد أن أبين للقارىء أولا وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها، ثم لى بعد ذلك أن أخالفها. وعلى هذا

الأساس نقول : أن الكيان الإسلامى كله يقوم على أساس الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ الذى تلقى القرآن وحيا من عند الله. ويجب على العالم النزيه والمؤرخ المحايد أن يقول ذلك لقرائه عندما يتعرض للحديث عن الأسلام حتى يستطيع القارىء أن يفهم سر قوة هذا الأيمان فى تاريخ المسلمين، ثم له بعد ذلك أن يخالف المسلمين فى معتقدهم وتصوراتهم. أما أن يعرض المستشرق الإسلام بادىء ذى بدء من خلال تصورات سابقة مبنية على خيالات وأوهام فهذا مالا يقره علم ولا خلق. وهذا ما يجعلنا نقول – مع الدكتور حسين مؤنس – : أن محمدا الذى يصوره المستشرقون ليس هو محمد الذى نؤمن برسالته، وانما هو شخص آخر من صنع خيالهم، والإسلام الذى يعرضونه فى كتبهم ليس هو الإسلام الذى ندين به ، وانما هو إسلام من اختراعهم .

وهكذا يمكن القول بأن الاستشراق – فى دراسته للإسلام – ليس علما بأى مقياس علمى، وإنما هو عبارة عن أيدلوچية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام بصرف النظر عما اذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات. وهذا يذكرنا بما كان يفعله السوفسطائيون قديما فاذا وصفنا المستشرقين فى دراستهم للإسلام – الا بعض الشواذ منهم – اذا وصفناهم بأنهم السوفسطائيون الجدد فنحن بذلك لم نتجن عليهم على الاطلاق .

ولكن الانصاف يقتضينا أيضا أن نقول : أن الدراسات الاستشراقية كلما كانت بعيدة عن مجالات العقيدة الإسلامية كلما كانت أقرب إلى الموضوعية وأبعد عن التحامل .

٣ – يعمد المستشرقون إلى تطبيق المقاييس المسيحية على الدين الإسلامى وعلى نبيه فالمسيح – فى نظر المسيحيين – هو أساس العقيدة، ولهذا تنسب المسيحية إليه . وقد طبق المستشرقون ذلك على الإسلام واعتبروا أن محمدا يعنى بالنسبة للمسلمين مايعنيه المسيح بالنسبة للمسيحية، ولهذا أطلقوا على الإسلام – اسم المذهب المحمدى Mohammedanism ولكن هناك سببا آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم وهو إعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشرى من صنع محمد وليس من عند الله . أما نسبة المسيحية إلى المسيح فلا تعطى هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم بأن المسيح ابن الله . وتتم مقارنة أخرى بين محمد والمسيح يكون المسيح فيها هو المقياس : فمحمد مزواج وشهوانى فى مقابل المسيح العفيف الذى لم يتزوج، ومحمد محارب وسياسى أما يسوع فهو مسالم مغلوب على أمره ومعذب يدعو إلى محبة الأعداء .وهكذا .

٤ – الخلط بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة وبين الوضع المتردى للعالم الإسلامى فى عالم اليوم . فإسلام الكتاب والسنة يعد فى نظر مستشرق معاصر مثل كيسلنج اسلاما ميتا . أما الإسلام الحى الذى يجب الاهتمام به ودراسته فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش فى مختلف الأقطار الإسلامية، هو تلك الممارسات السائدة فى حياة المسامين اليوم بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها من الإسلام الأول.

٥ – التأكيد على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية والبهائية والقاديانية والبكداشية وغيرها من فرق قديمة وحديثة، وتعميق الخلاف بين السنة والشيعة .ودائما يعتبرون المنشقين أصحاب فكر ثورى تحررى عقلى، ودائما يهتمون بكل غريب وشاذ، ودائما يقيسون مايرونه فى العالم الإسلامى على مالديهم من قوالب مصبوبة جامدة . وقد أشار المستشرق رودنسون إلى ذلك حين قال : (ولم ير المستشرقون فى الشرق الا ماكانوا يريدون رؤيته، فاهتموا كثيرا بالأشياء الصغيرة والغريبة، ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التى بلغتها أوربا، ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه) .

٦ – يفتقد المرء الموضوعية فى كتابات معظم المستشرقين عن الدين الإسلامى فى حين أنهم عندما يكتبون عن ديانات وضعية مثل البوذية والهندوكية وغيرها يكونون موضوعيين فى عرضهم لها . فالإسلام فقط من بين كل الديانات التى ظهرت فى الشرق والغرب هو الذى يهاجم . والمسلمون فقط من بين الشرقيين جميعا هم الذين يوصفون بشتى الأوصاف الدنيئة . ويتساءل المرء : لماذا ؟

ولعل تفسير ذلك يعود إلى أن الإسلام كان يمثل بالنسبة لأوروبا صدمة مستمرة. فقد كان الخوف من الإسلام هو القاعدة. وحتى نهاية القرن السابع عشر كان " الخطر العثمانى "رابضاً عند حدود أوروبا ويمثل – فى اعتقادهم – تهديدا مستمرا بالنسبة للمدنية المسيحية كلها ولهذا يمكن القول – كما يقول ادوارد سعيد – بأن الاستشراق من الناحية النفسية يعد صورة من صور جنون الاضطهاد. فالإسلام إذن حتى فى عصر ضعف أتباعه لا يزال يمثل تحديا على كافة المستويات. فهل يعى المسلمون هذه الحقيقة ؟

ومن هنا يمكن فهم ما يقوله موير Muir : "إ ن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عنادا ضد الحضارة والحرية " الحقيقية "، وما يزعمه فون جرونيباوم من أن الإسلام ظاهرة فريدة لا مثيل لها فى أي دين آخر أو حضارة أخرى. فهو دين غير انسانى وغير قادر على التطور والمعرفة الموضوعية . و هو دين غير خلاق وغير علمى واستبدادى .

وهكذا يتضح الحقد الدفين على الإسلام باستمرار بمثل هذه الافتراءات التى ليس لها فى سوق العلم نصيب .

٧ - يعطى الاستشراق لنفسه فى دراسته للإسلام دور ممثل الاتهام والقاضى .فبينما نجد مثلا أن علم التاريخ يحاول أن يفهم فقط ولا يضع موضع الشك أسس المجتمع الذى يدرسه، نجد الاستشراق يعطى لنفسه حق الحكم بل وحق الاتهام والرفض للأسس الإسلامية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى، وذلك ناتج عن نوايا مسبقة لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون نوايا علمية صافية كما يدعى المستشرق رودى بارت .

٨ - تحالف فريق من المستشرقين مع الاستعمار الذى أذل العالم الإسلامى حقبة من الزمان فى العصر الحديث . ويقول المستشرق المعاصر اشتيفان فيلد بصدد الإشارة إلى تلك الفئة من المستشرقين : والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين، سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه فى سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين. وهذا واقع مؤلم لأبد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة " .

ومن بين الأمثلة العديدة فى هذا الصدد نذكر المستشرق كارل هيزيش بيكر (ت ١٩٣٣) مؤسس مجلة الإسلام الألمانية. فقد قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية فى أفريقيا . أما بارتولد Barthold (ت١٩٣٠) مؤسس مجلة Mir Islama الروسية فقد تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية فى آسيا الوسطى. أما عالم الإسلاميات الهولندى الشهير سنوك هورجرونيه (ت ١٩٣٦) فقد لعب دورا هاما فى تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية فى المناطق الهولندية فى الهند الشرقية، وشغل مناصب قيادية فى السلطة الاستعمارية الهولندية فى اندونيسيا، أما المستشرق الفرنسى المعروف ماسنيون فقد كان مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال افريقيا . وغير هؤلاء كثيرون وضعوا أنفسهم وعلمهم ودراساتهم فى خدمة الاستعمار ضد الإسلام والمسلمين .

٩ - الدعوة إلى إصلاح الإسلام : يزعم المستشرقون أن الإسلام دين جامد، وأنه لم يعد مسايرا لروح العصر، ولذلك فهو فى حاجة إلى إصلاح جذرى. وفى ذلك يقول أحد المستشرقين (إن على الإسلام إما أن يعتمد تغييرا جذريا فيه أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة). وهذه دعوة يوجهها إلى المسلمين غريب عنهم بشأن ما ينبغى عليهم أن يفعلوه فى دينهم. وهذا الأصلاح المزعوم يمثل محاولة من محاولات تغيير وجهة نظر المسلم عن الإسلام، وجعل الإسلام أقرب إلى المسيحية بقدر الإمكان .

ولعله من نافلة القول أن نشير هنا إلى أن الإسلام يشتمل على أصول لا يملك أحد أن يغير فيها شيئا وهى عقائد الإسلام الأساسية، ويشتمل على فروع وهى قابلة للتغيير حسب المصلحة الإسلامية، وأن الإصلاح الذى نفهمه نحن المسلمين هو اصلاح للفكر الإسلامى الذى هو فى حاجة إلى المراجعة المستمرة حتى يتلاءم مع متطلبات العصر وحاجات الأمة فى اطار من التعاليم الإسلامية .

ولكن الدعوة إلى اصلاح الإسلام أو تحديثه كما يقال أحيانا ليست بهذا المفهوم، وإنما هى عبارة عن تفريغ الإسلام من مضمونه وعزله كلية عن تنظيم أمور المجتمع، وجعله مجرد تعاليم خلقية شأنه فى ذلك شأن الديانة المسيحية .

ويتورط البعض من أبناء المسلمين فى حمل لواء الدعوة إلى اصلاح الإسلام، كما يفهمها المستشرقون. ومن أحدث الكتب فى هذا الشأن كتاب صدر فى ألمانيا العربية منذ أكثر من عشرة أعوام بعنوان أزمة الإسلام الحديث – لمؤلف عربى مسلم يعمل أستاذا فى جامعة فرانكفورت بألمانيا، يدعو فيه بحماس إلى الأخذ بالنموذج الغربى فى الاصلاح المتمثل فى جعل الدين مجرد تعاليم خلقية لا تكاليف الزامية. فذلك فى نظره هو الحل الوحيد لأزمة الإسلام. وبذلك يتم ابعاد الدين كلية عن التدخل فى شئون الحياة حسب النموذج العلمانى الغربى.

وهكذا نوفر نحن أبناء المسلمين على المستشرقين بذل الجهد فى هذا السبيل ونتولى نحن الدعوة إلى تحقيق الأهداف التى عاشوا قرونا طويلة يعملون من أجلها دون جدوى .

٤ – موقفنا من الاستشراق : –

والآن – وبعد أن اتضحت لنا بعض الشىء أبعاد المواقف الاستشراقية بخيرها وشرها – لابد لنا من الحديث عن موقفنا – نحن المسلمين – من الاستشراق – وهذا يستدعينا أن نتذكر ماكان يفعله أسلافنا فى مثل هذه المواقف .

لقد كانت التيارات الفكرية الأجنبية القديمة – التى كانت تمثل تحديا للإسلام والفكر الإسلامى الأصيل فى عصور الإسلام الزاهرة – كانت حافزا للمسلمين فى تلك الأيام الخوالى للوقوف أمامها بقوة وصلابة. وقد كانت المواجهة على مستوى التحدى بل تفوقه. فقد هضم الفكر الإسلامى تلك التيارات هضما دقيقا واستوعبها استيعابا تاما ثم كانت له معها وقفته الصلبة وبنفس الأسلحة الفكرية. فالمواجهة إذن كانت مواجهة فكرية. وكأن التاريخ الآن يعيد نفسه فالحرب الآن بين الإسلام والتيارات المناوئة له حرب أفكار، والمعركة معركة فكرية، ولهذه المعركة أدواتها التى يجب التسلح بها، فالخسران فى هذه المعركة أشد وطأة وأقوى تأثيرا وأعظم فتكا من خسارة أى معركة حربية أيا كان حجمها. لننظر مثلا نموذجا رائدا فى تاريخ الفكر الإسلامى

... إنه حجة الإسلام الغزالى الذى خاض غمار معارك فكرية عديدة وخرج منها جميعا منتصرا، فماذا كان يفعل . يقول الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال) : " إنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لايقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى أعلمهم من أهل ذلك العلم، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم .... وإذ ذلك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقا" .

وقياسا على ما يقوله الإمام الغزالى نجد أن استعاب الانتاج الاستشراقى حول الإسلام ودراسته دراسة عميقة هو الخطوة الأولى لنقده نقدا صحيحا وإثبات ما يتضمنه من تهافت أو زيف، الأمر الذى يجعل المستشرقين يفكرون ألف مرة قبل أن يكتبوا تحسبا لما قد يواجههم من نقد علمى يعريهم ويثبت زيف ادعاءاتهم. ويؤكد هذه الحقيقة المستشرق الفرنسى مكسيم رودنسون حين يشير إلى أن هناك طريقا واحدا فقط لنقد المستشرقين. وهذا الطريق يسير عبر دراسة تفصيلية لمؤلفاتهم، ويجب أن يرتبط نقدنا لإنتاج المستشرقين بنقد ذاتى حقيقى بصفة مستمرة، يجب أن نواجه أنفسنا مواجهة حقيقية بعيوبنا وقصورنا وتقصيرنا، وأن نكون على وعى حقيقى بالمشكلات التى تواجهنا فى هذا العالم المعاصر.

وقد يتمثل الجانب الإيجابى للاستشراق فى صورة الهجوم علينا وعلى أمجادنا وليس فى صورة المدح، وكلنا يعلم أن هناك عددا لا بأس به من المستشرقين قد مدحوا حضارتنا فى مؤلفاتهم وأثنوا على علمائنا ومجدوا تراثنا، وآخرهم المستشرقة الألمانيّة المعاصرة زيجريد هونكه فى كتابها (شمس الله تسطع على الغرب) وفى كتابها الأخير " الله مختلف تماما " عما يتصوره الغرب . ولكن جانب المدح والثناء قد يكون له تأثير تخديرى علينا، فيجعلنا نغمض عيوننا مستسلمين لتلك الأحلام السعيدة التى تذكرنا بالعز الذى كان ، ونركن إلى ذلك ونعيش على صيت آبائنا وأجدادنا، ونظن أننا عظماء لأن اجدادنا كانوا عظماء ورحم الله جمال الدين الأفغانى الذى كان يقول : –

" إن المسلمين أصبحوا كلما قال لهم الانسان : كونوا بنى آدم، أجابوه ان آباءنا كانوا كذا وكذا وعاشوا فى خيال ما فعل آباؤهم غير مفكرين بأن ما كان عليه آباؤهم من الرفعة لا ينفى ما هم عليه من الخمول والضعة. إن الشرقيين كلما أرادوا الاعتذار عما هم فيه من الخمول الحاضر قالوا : أفلا ترون كيف كان آباؤنا ؟ نعم قد كان آباؤكم رجالا. ولكنكم انتم أولاء كما كنتم، فلا يليق يليق بكم ان تتذكروا مفاخر آبائكم إلا أن تفعلوا فعلهم " .

ومن هنا نقول إن الجانب الهجومى التفنيدى الاستفزازى فى إنتاج المستشرقين قد يكون بالنسبة لنا خيرا من جانب المدح تأكيدا للمثل المعروف (رب ضارة نافعة)، فقد يكون هذا الاستفزاز حافزا لنا لنخرج من حالة الركود الفكرى التى وصلنا إليها لننطلق من جديد، فننهض

نبنى أفكارنا من جديد ونعيد ترتيب صرح ثقافتنا، وبذلك نقبل التحدى ونستجيب له فننهض من كبوتنا، ولعل هذا ينطبق على تفسير توينبى للحضارة بأنها استجابة للتحدى بمعنى أنها رد معين يواجه به شعب من الشعوب تحديا معينا.

وهذا الرد ليس مجرد استنفاذ الطاقات فى رد الهجوم وترقب الطعنات للرد عليها، وانما هو الرد الفعال الذى ينتقل إلى الموقف الأقوى. فلا يجوز أن نقف دائما موقف المعتدى عليه. فالمعتدى عليه، غالبا ما يكون ضعيفا، ولهذا لابد من أن نغير وضعنا، وذلك لن يكون إلا بتغيير أفكارنا، فنحن لسنا متخلفين لقلة أشيائنا، ولكن تخلفنا لقلة أفكارنا وتبدد جهودنا، ولن تتغير أحوالنا إلا بتغيير ما فى نفوسنا ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

ولابد لنا من أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا، ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامى عن معرفة ذاته. فالاستشراق فى حد ذاته كان دليل وصاية فكرية. ويوم أن يعى العالم الإسلامى ذاته وينهض من عجزه ويلقى من على كاهله أثقال التخلف الفكرى والحضارى – يومها سيجد الاستشراق نفسه فى أزمة، وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام، ويومها لن يجد الجمهور الذى يخاطبه لا فى أوروبا ولا فى العالم الإسلامى. ولكى نكون أكثر وضوحا وأكثر تحديدا فى تصوير ما ينبغى علينا أن نقوم به لمواجهة الاستشراق نذكر فيما يلى بعض النقاط التى نعتقد أنها أمور أساسية فى هذا المجال : –

١ – علينا أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية، ونأخذ فى حسابنا ان لها آثاراً عظيمة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامى وفى العالم الغربى على السواء. ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة. وليس يكفى أن نقول إن ما يكتبونه كلام فارغ. فهذا الكلام الفارغ مكتوب بشتى اللغات الحية ومنتشر انتشارا واسعا على مستوى عالمى. ومواجهته لابد أن تكون على نفس المستوى العالمى. وبالكلام المليان على حد تعبير الدكتور حسين مؤنس .

٢ – بدلا من أن نظل نقتات فكريا من دائرة المعارف الإسلامية التى قام باعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية والتى تجاوزوها وشرعوا منذ عام ١٩٥٤ فى إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة – علينا أن نقوم نحن المسلمين باصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأوروبية الرئيسية تقف على الأقل فى مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين تخطيطا وتنظيما وتتفوق عليها علميا، وتنقل وجهة النظر الإسلامية فى شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء .

فكل فراغ فكرى لدينا لا نشغله بأفكار من عندنا يكون عرضة للإستجابة لأفكار منافية وربما معادية لأفكارنا، فلا نلومن عندئذ إلا أنفسنا .

٣ – علينا أن نوحد جهودنا فى العالم الإسلامى لإقامة مؤسسة إسلامية علمية عالمية لاتنتمى بالولاء إلى بلد إسلامى معين ولا لمذهب سياسى أو فكرى أو دينى معين، بل يكون ولاؤها الأول والأخير لله وحده ولرسوله ﷺ وتستطيع استقطاب الكفاءات العلمية الإسلامية فى شتى أنحاء العالم، وتقف على قدم المساواة مع الحركة الاستشراقية ويكون لها دوريات ومجلات علمية ذات مستوى رفيع تنشر بحوثها بلغات مختلفة، وتعمل على استعادة أصالتنا الفكرية واستقلالنا فى ميدان الأفكار، فهذا هو الطريق الصحيح إلى الاستقلال الاقتصادى والسياسى، إذ أن المجتمع الذى لا يصنع أفكاره الرئيسية لايمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه .

والأمر الذى يؤسف له حقا هو أننا على امتداد العالم الإسلامى بسكانه الذين تجاوزوا الألف مليون وبكل مالنا من إمكانات هائلة لا نملك مؤسسة علمية دولية لها نفس الإمكانات العلمية والمادية التى تملكها المؤسسة الاستشراقية. أليس هذا من الأمور التى تدعو إلى الأسى والحسرة ؟

٤ – لابد أن تكون لنا مؤسسة تبشيرية عالمية، وأعنى بذلك جهازا للدعوة الإسلامية فى الخارج يدعو للإسلام من ناحية ويرعى المسلمين الجدد من ناحية ثانية ويحمى المسلمين بالوراثة من ناحية ثالثة. ولابد من إصدار كتب إسلامية باللغات العالمية الحية تصحح التصورات الخاطئة عن الإسلام فى الأذهان وتعرض الإسلام بأسلوب علمى يتناسب مع العقلية المعاصرة، وتقدم الحلول الإسلامية لمشكلات المسلمين العصرية .

٥ – لابد من إعداد ترجمة مقبولة لمعانى القرآن باللغات الحية نسد بها الطريق على عشرات الترجمات المنتشرة الآن بشتى اللغات والتى قام بإعدادها المستشرقون وصدروها فى غالب الأحيان بمقدمات مملوءة بالطعن على الإسلام . ولابد أيضا من اختيار مجموعة كافية ومناسبة من الأحاديث النبوية الصحيحة وترجمتها أيضا لتكون مع ترجمة معانى القرآن فى متناول المسلمين غير الناطقين بالعربية وفى متناول غير المسلمين الذين يريدون فهم الإسلام من منابعه الأصلية .

٦ – العمل على تنقية التراث الإسلامى حتى يكون غذاء فكريا صالحا للمسلم. فتراثنا فيه الغث وفيه السمين . ومع أن الإسلام لا يتحمل وزر الخرافات والأوهام والاسرائيليات التى تشتمل عليها بعض كتب التراث لدينا، فإن المستشرقين يستخدمون هذا التراث بكل مافيه. ويكفى أن نشير فى هذا الصدد إلى مثال واحد وهو قصة الغرانيق المذكورة فى كتبنا والتى ركز عليها المستشرقون، فإذا اتهمناهم بالتجنى حق لهم أن يردوا الاتهام ويقولوا : نحن لم نخترع شيئا من عندياتنا. أليست القصة واردة فى مصادركم المعتمدة ؟

٧ - محاولة اقتحام مجالات تدريس العلوم العربية والإسلامية فى الخارج عن طريق الاتفاقات الثقافية التى تعقد بين بلدان العالم الإسلامى ودول أوروبا وأمريكا، وذلك بإرسال أساتذة أكفاء من الأقطار الإسلامية إلى معاقل الاستشراق للتدريس فيها،. وبذلك يمكن بالتدريج تصحيح التصورات الأوروبية عن الإسلام بالعمل العلمى الدؤب وليس عن طريق الشعارات فقط.. وأعتقد أن هناك الآن جامعات فى أوروبا لديها الاستعداد للاستجابة لذلك .

خاتمـــــة :

وبعد هذا العرض الموجز لقضية الاستشراق وما ينبغى على المسلمين بصفة عامة أن يقوموا بها إزاء هذه المشكلة يبقى هناك سؤال حول الدور المحدد الذى يمكن أن يقوم به الإعلام الإسلامى فى هذا الصدد ؟

لقد سبق أن أشرنا فى بداية هذا البحث إلى أن الإعلام الإسلامى مطالب بإلقاء الضوء على المشكلات والتحديات التى تواجه الأمة الإسلامية بهدف توعية الأذهان وتثقيف العقول وتحصين الشباب بالأفكار الإيجابية البناءة حتى لا يكون عرضة للوقوع فريسة للأفكار الهدامة. وهذا الدور ينطبق بصفة عامة على كل المشكلات والقضايا التى تواجه الأمة الإسلامية. وأما ما يمكن أن يقوم به الإعلام الإسلامى بصفة خاصة فى موضوع الاستشراق فهذا أمر يتطلب معالجة خاصة. فكل مشكلة لها طبيعة خاصة ولها أبعاد تميزها عن غيرها من المشكلات الأخرى. والعلاج ينبغى أن يأخذ ذلك كله فى الاعتبار حتى يمكن أن يكون علاجا ناجعا. وفيما يلى بعض الملاحظات التى يمكن أن تكون مفيدة فى إلقاء الضوء على دور الإعلام الإسلامى فى قضية الاستشراق :

(١) لا جدال فى أن هناك فراغا فكريا لدى الشباب فى عالمنا الإسلامى. وهذا الفراغ فى حاجة إلى أفكار تملؤه - فإذا لم نسارع بملء هذا الفراغ بالافكار الإيجابية الإسلامية فإن الشباب سيكون عرضة لتقبل ما يرد إليه من أفكار مختلفة استشراقية وغير استشراقية يروجها فى الساحة الإسلامية بعض أبناء المسلمين المتحمسين للاستشراق وأمثالهم من دعاة العلمانية .

والإعلام الإسلامى مطالب - بالاشتراك مع الجهات العلمية الإسلامية المعنية - بوضع خطة مزدوجة للمواجهة الفكرية تسير فى اتجاهين متوازيين، أحدهما : توضيح المفاهيم الإسلامية والكشف عن الأخطاء الشائعة، وثانيهما : مناقشة الأفكار الاستشراقية وإبراز الرد العلمى عليها .

ولا يجوز هنا أن يقال إن هذه المهمة خارجة عن نطاق الإعلام الإسلامى أو تتجاوز دوره لأنها مهمة علمية بالدرجة الأولى تقوم بها الجامعات ومراكز البحث العلمى، وذلك لأن انتشار الأفكار الاستشراقية أصبح أمرا شائعا فى العالم الإسلامى بين المثقفين وأنصاف المثقفين .

والأمر يقتضى حملة إعلامية مخططة للكشف عن الحقائق وتعرية التزييف الذى تتعرض له الثقافة الإسلامية. وهنا ملاحظة جانبية نود أن نشير إليها فى هذا الصدد وهى أنه ينبغى على الإعلام الإسلامى أن يركز على الأولويات ويبتعد عن الأمور الهامشية التى تغرق الناس فى النزاعات والاختلافات حولها بلا طائل، كما ينبغى أن يبتعد أيضا عن أسلوب الإثارة الصحفية التى تضر ولا تنفع .

(٢) الإعلام الإسلامى مطالب بتعريف الشباب بالمفكرين المسلمين الأصلاء وبالمؤلفات الإسلامية الرصينة التى تحمل أفكارا مضيئة فالشباب فى أشد الحاجة إلى نماذج فكرية رائدة يقتدى بها ويستفيد مما خلفه هؤلاء المفكرون فى السابق واللاحق من آثار علمية مفيدة تغذى عقولهم وتثقف أذهانهم، وترتقى بمستواهم الفكرى . وبذلك يستعيد الشباب الثقة فى العقلية الإسلامية ويتغلب على عوامل اليأس والإحباط التى تحيط به من كل جانب فينطلق بكل قدراته وطاقاته لبناء أمته والأرتقاء بها بين الأمم .

(٣) قضية الاستشراق لها بعد آخر على مستوى الأقليات الإسلامية فى الغرب ، وعلى مستوى المثقفين وغير المثقفين من غير المسلمين فى الغرب أيضا، ولا يجوز أن يغفل الإعلام الإسلامى هذا البعد لما له من تأثيرات عميقة فى تفكير الناس فى الغرب وفى تفكير أبناء الأقليات الإسلامية هناك . فهذه الأجيال من أبناء المسلمين فى الغرب تكاد صلتها بلغاتها وثقافتها الإسلامية أن تكون قد تلاشت أو فى طريقها إلى التلاشى، وأصبحت تستقى فى الأعم الأغلب معلوماتها عن الإسلام من مؤلفات المستشرقين المتوفرة فى كل مكان فى الغرب .

ومن هنا فإن الإعلام الإسلامى لابد أن يكون له دور فى هذا الصدد يتمثل فى مخاطبة هذه الفئات بلغاتها الأصلية وبلغات الغرب أيضا وبشتى الأساليب الإعلامية لتوضيح الحقائق والرد

على الشبهات، ومواجهة ما يقوم به الإعلام الغربى الآن من حملات مكثفة لتشويه الإسلام مستندا فى ذلك على بعض ما أشاعه المستشرقون منذ القرون الوسطى من آراء ظالمة حول الإسلام والقضايا الإسلامية .

والله من وراء القصد وهو ولى التوفيق

نشر الدعوة الإسلامية
وتكنولوجيا الاتصال

المهندس / نبيل عباس صبحى
وكيل وزارة
رئيس الإدارة المركزية للتدريب الهندسى باتحاد الإذاعة والتليفزيون

المحتـــــويات

- **مقدمة**
- توزيع البرامج التليفزيونية على نطاق الدول الإسلامية
- تبادل برامج الدعوة الإسلامية
- الوسائل المستخدمة لنشر الدعوة الإسلامية
- الوسائل المتاحة فى الدول المختلفة
- إمكانيات قطاع الهندسة الإذاعية
□ بنك المعلومات
□ شبكات نقل برامج الإذاعة والتليفزيون
□ بيان بقدرات محطات الإرسال التليفزيونى
□ القناة غزيرة الإشعاع
- تكامل الإمكانيات بالدول المختلفة
□ الشبكات الفضائية المتاحة والمحطات الأرضية التى تتعامل معها
□ شبكة الاتصال الفضائية للقمر الصناعى العربى
□ موقع القمر
□ أنواع الأقمار :
أ - أقمار الاتصال
ب - أقمار البث المباشر
جـ - القمر الصناعى العربى
□ أهداف القمر الصناعى العربى
- نحو نظام لتبادل البرامج الدينية ونشر الدعوة الإسلامية عبر الأقمار الصناعية

مقـــــدمة

إن تكنولوچيا الاتصال وإمكانياتها ومنتجاتها أصبحت جزءا من الحياة الثقافية للدول وبوجه خاص ما يتصل منها بالتليفزيون، كما أن دراسات الاتصال تجمع بين تأثير استخدام الوسيلة فى حد ذاته وتأثير المحتوى الذى تحمله الوسيلة والعلاقة بين القاعدة التقنية لكل دولة وبين هياكلها الفكرية والعلاقة بين النظام الثقافى داخل المجتمع والطريقة التى ينتج بها المجتمع ثقافته الإسلامية ويوزعها بين أفراده .

ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن تكنولوچيات الاتصال أحدثت تغييرا كبيرا فى طبيعة شبكات الاتصال المحلية والإقليمية والدولية .

كما وأنه لابد من وضع سياسة برامجية جيدة تتناسب مع القيم الإسلامية وحتى يكون إنتاج البرامج الدينية فى التليفزيون إنتاجا تليفزيونيا متميزا لتتناسب مع مجتمعات لها هياكلها الإعلامية ونظمها الاجتماعية وقيمها الإسلامية وحتى لا يكون للتليفزيون الأجنبى الوافد عبر الأقمار الصناعية أية تأثيرات سلبية على قيمنا وثقافتنا .

وهذا يتطلب دعم جسور التعاون والمشاركة بين الهيئات التليفزيونية للدول الإسلامية، وأن يصل الإرسال التليفزيونى فى كل دولة إلى كل بقعة مهما كانت نائية ثم ربط كافة الدول الإسلامية مع بعضها باستخدام الشبكات الأرضية والفضائية .

توزيع البرامج التليفزيونية على نطاق الدول الإسلامية

هناك وسيلتان يمكن استعمالهما لنقل البرامج وتوزيعها، الأولى عن طريق الشبكات الأرضية والثانية عن طريق الأقمار الصناعية – إن اختيار هذه الوسيلة أو تلك يتوقف على العوامل الاقتصادية والتقنية والجغرافية خاصة منها مساحة البلاد وشكلها والتوزيع العمرانى بها وإمكانياتها المالية والوقت المطلوب لإنجاز المشروعات .

الشبكة الأرضية

يمكن أن يستخدم لإرسال وتوزيع البرامج الكابلات المحورية ووصلات الميكرويف عن طريق المحطات .

وفى بعض الدول الصغيرة مثل البحرين وجيبوتى وقطر تمكنت من تغطية كامل مناطقها باستخدام محطة إرسال تليفزيونى واحد أو عدد قليل من الأجهزة وهناك بلدان تستخدم محطات إرسال تليفزيونى وترتبط مع المدن الأخرى باستخدام شبكات الميكرويف ومحطات إعادة الإرسال .

الأقمار الصناعية

أما فى البلدان ذات المساحات الشاسعة مثل المملكة العربية السعودية – حيث ينتشر فيها السكان فى مناطق بعيدة عن بعضها فإن الشبكة الأرضية تتكلف أموالا طائلة ووقتاً طويلا، وأحسن الحلول السريعة هو استخدام القمر الصناعى وهذا يتطلب وجود محطة إرسال رئيسية ومجموعة من المحطات الصغيرة للالتقاط وتركب بالقرب من أجهزة يمكن إيصال البرامج إليها .

تبادل برامج الدعوة الإسلامية

إن التبادل بين الدول المتجاورة يمكن أن يكون ثنائيا أو جماعيا فإن كان التبادل ثنائيا يمكن تحقيقه باتفاق مباشر بين البلدين المعنيين، أما التبادل الجماعى فهو يتطلب تنسيقا مستمرا، وعادة تستخدم الشبكة الأرضية بين الدول المجاورة عندما تكون المسافات قصيرة وشبكة الأقمار الصناعية عندما تكون المسافات شاسعة .

ويمكن تصور التبادل بين دول المنطقة كالاتى :

أ) تبادل بين دول المجموعة الواحدة عن طريق الشبكة الأرضية (مثل المغرب العربى الكبير، وبلدان الخليج ....)

ب) تبادل بين المجموعات عن طريق الأقمار الصناعية .

ونظرا لارتفاع التكلفة الناتجة عن استعمال محطات أرضية متعددة فقد يكون من الأنجح استعمال محطة أرضية واحدة لالتقاط البرامج وتوزيعها عن طريق الشبكة الأرضية نحو الدول المجاورة .

ولصعوبة تحقيق تبادل جماعى للبرامج بين الدول الإسلامية والتجربة التى وقعت فى التليفزيون لبعض الجهات كأوروبا تبين لنا ضرورة إنشاء محطة تنسيق مركزية وأن مهمة مثل هذه المحطة تتمثل فى جمع البرامج الآتية من الدول الإسلامية بواسطة الشبكة الأرضية وشبكات الأقمار الصناعية وحجز الخطوط وتنسيق الطلبات والتعهد بالمصاريف ثم تقسيمها على الدول حسب الإمكانيات .

الوسائل المستخدمة لنشر الدعوة الإسلامية

تعتمد هذه الوسائل على حسب مساحة رقعة الأرض لكل دولة وطبيعتها ومدى الإمكانيات المتوفرة لديها من الشبكات الأرضية وهل تغطى كافة أرجائها من عدمه .

الوسائل المستخدمة

وتتلخص فى الآتى :-

أ) الشبكات الأرضية، وتشمل شبكات الميكرويف والكابلات المحورية ومحطات الإرسال التليفزيونية المرتبطة بها

ب) الشبكات الفضائية، وتشمل الأقمار الصناعية للاتصال والأقمار الصناعية للإذاعة المباشرة وماتحتاجه تلك الشبكة من المحطات الأرضية للإرسال والاستقبال معا أو لأحدهما .

جـ) محطات التحكم للشبكة الفضائية .

الوسائل المتاحة فى الدول المختلفة

هناك بعض الدول يتوفر لديها إمكانيات للشبكات الأرضية تكاد تربط معظم مساحاتها بمحطات الإرسال التليفزيونى الموجود بالمدن الكبرى وأقاليمها المنتشرة وبعض القرى وكذلك إمكانية التعامل والاستفادة من الإمكانيات المتاحة بالشبكات الفضائية سواء العربية أو الأجنبية ولديها المحطات الأرضية التى تتعامل مع تلك الأقمار الصناعية، وعلى سبيل المثال يمكن عرض للإمكانيات المتاحة لإحدى الدول كمصر .

وفى مصر فإن اتحاد الإذاعة والتليفزيون مسئول عن خدمات الإرسال الإذاعى والتليفزيونى، ويملك كافة شبكات الميكرويف التى تربط مراكز الإرسال بالاستديوهات هذا علاوة على شبكات الميكرويف والتى تملكها الهيئة القومية للاتصالات السلكية واللاسلكية .

أسلوب ربط الاستديوهات بمراكز الإرسال

الرسم يبين المخطط العام لهذه الشبكة وهى تتكون من عدد من محطات الإرسال التليفزيونى ومحطات الإذاعة المسموعة بمواقع مختلفة من المدن والأقاليم وأن شبكات الميكرويف تقوم بنقل البرامج من مبانى الاستديوهات وتوصيلها إلى محطات الإرسال المنتشرة بالجمهورية وكما هو واضح من الرسم هناك محطات ميكرويف طرفية حيث تتصل بمحطات الإرسال، وهناك محطات وسيطة تعمل على إعادة الإرسال .

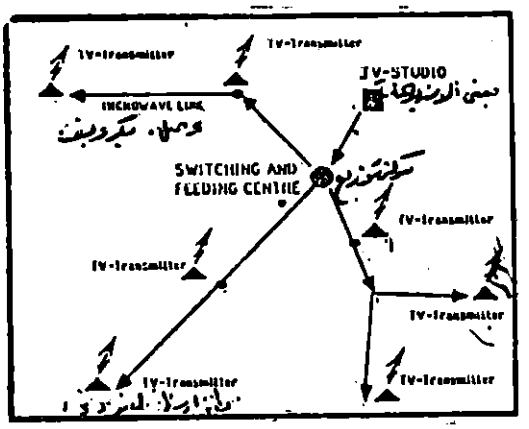

General Structure of the ERTU Broadcasting Network

ويعتمد طول المسافة لوصلة الميكرويف على عوامل عديدة مثل الترددات وارتفاع الهوائى والطبيعة الطبوغرافية، وبصفة تقديرية فإن مسافة وصلة الميكرويف حوالى ٥٠ كجم للترددات العالية حتى ١٠ جيجاهرتز ويتحدد نطاق الترددات لتلك الشبكات بقواعد دولية، والخرائط الآتية تبين الأعداد الكبيرة لمحطات التليفزيون والتى تخدم القنوات المختلفة بالجمهورية كذلك الأعداد الكبيرة لمحطات الإذاعة المسموعة والمحطات التى تحت الإنشاء .

إمكانيات قطاع الهندسة الإذاعية

بنك معلومات :

قطاع الهندسة الإذاعية هو الوسيط الفنى الذى يتم من خلاله بث البرامج الإذاعية المسموعة والمرئية فى كافة أنحاء مصر، ويمتد بذات الخدمة إلى أقطار العالم لمخاطبة شعوبها ويربط المصريين العاملين بالخارج بالوطن .

. محطات الإرسال الإذاعى المسموع والمرئى ٤٠٥ عام ٨٩ / ١٩٩٠

. محطات إرسال إذاعى مسموع ٢٢٧ محطة :

□الموجةالمتوسطة : ١٦٤ محطة منها :

.عاملة : ٧٤ محطة .

. احتياطى : ٦٧ محطة .

. خدمـــات :٢٣ محطة .

. قدرة محطات الموجة المتوسطة ٦١١٩ كيلو وات

□الموجة القصيرة : ٢٢ محطة .

قدرة محطات الموجة القصيرة : ٣٥٠ كيلو وات .

□التشكيل الترددى : ٤١ محطة .

قدرة محطات التشكيل الترددى : ١٣٤ كيلو وات .

إجمالى قدرات محطات الإرسال الإذاعى ٩٧٥٣ كيلو وات .

□محطات إرسال إذاعى مرئى : ١٧٨ محطة .

القناة الأولى : ٨١ محطة منها :

. عاملة : ٤٨ محطة .

. احتياطى ٣٣ محطة .

قدرة المحطات : ١٩٣٫٧٥ كيلو وات .

□ القناة الثانية : ٨٩ محطة منها

. عاملة : ٤٨ محطة

احتياطى : ٤١ محطة

قدرة المحطات : ٧٥ر١٩٣ كيلووات

□ القناة الثالثة : ٥ محطات عاملة

قدرة المحطات : ١٥ كيلووات

□ القناة الرابعة : ٣ محطات عاملة

قدرة المحطات : ١ر٢ كيلووات

إجمالى قدرات محطات الإرسال المرئى : ٦ر٤٠٤ كيلووات

. شبكات ميكرويف : ٥٢٦٠ كيلومتر

الأقمار الصناعية ومحطات الخدمات الأرضية :

. محطة بالمعادى ويتم من خلالها إرسال واستقبال الرسائل عبر القمر الأطلنطى والقمر الهندى .

محطة المقطم وتستقبل الرسائل عبر القمر الأوربى .

شبكات نقل البرامج الإذاعية والتليفزيونية

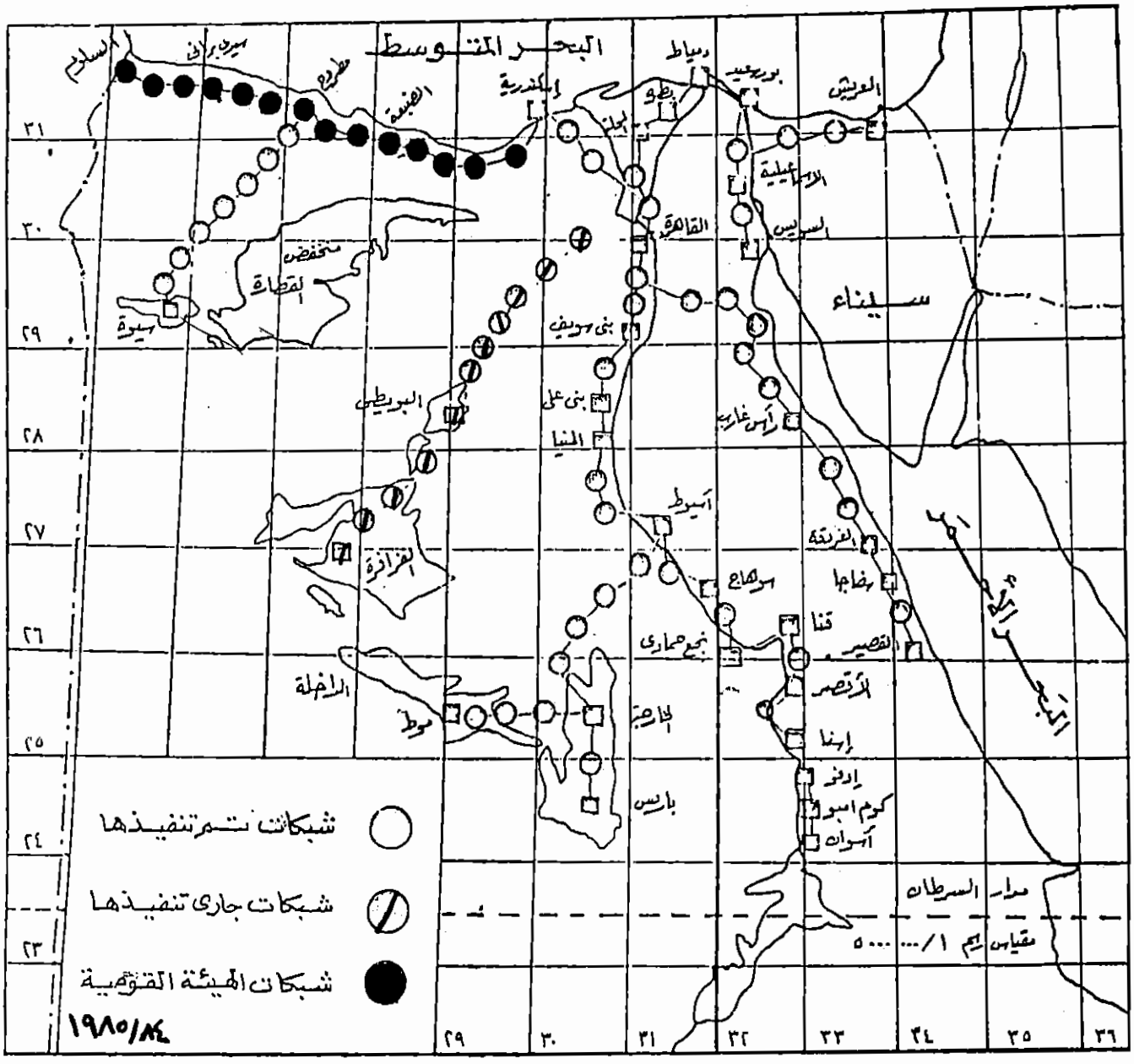

بيان بقدرات محطات الإرسال التليفزيونى

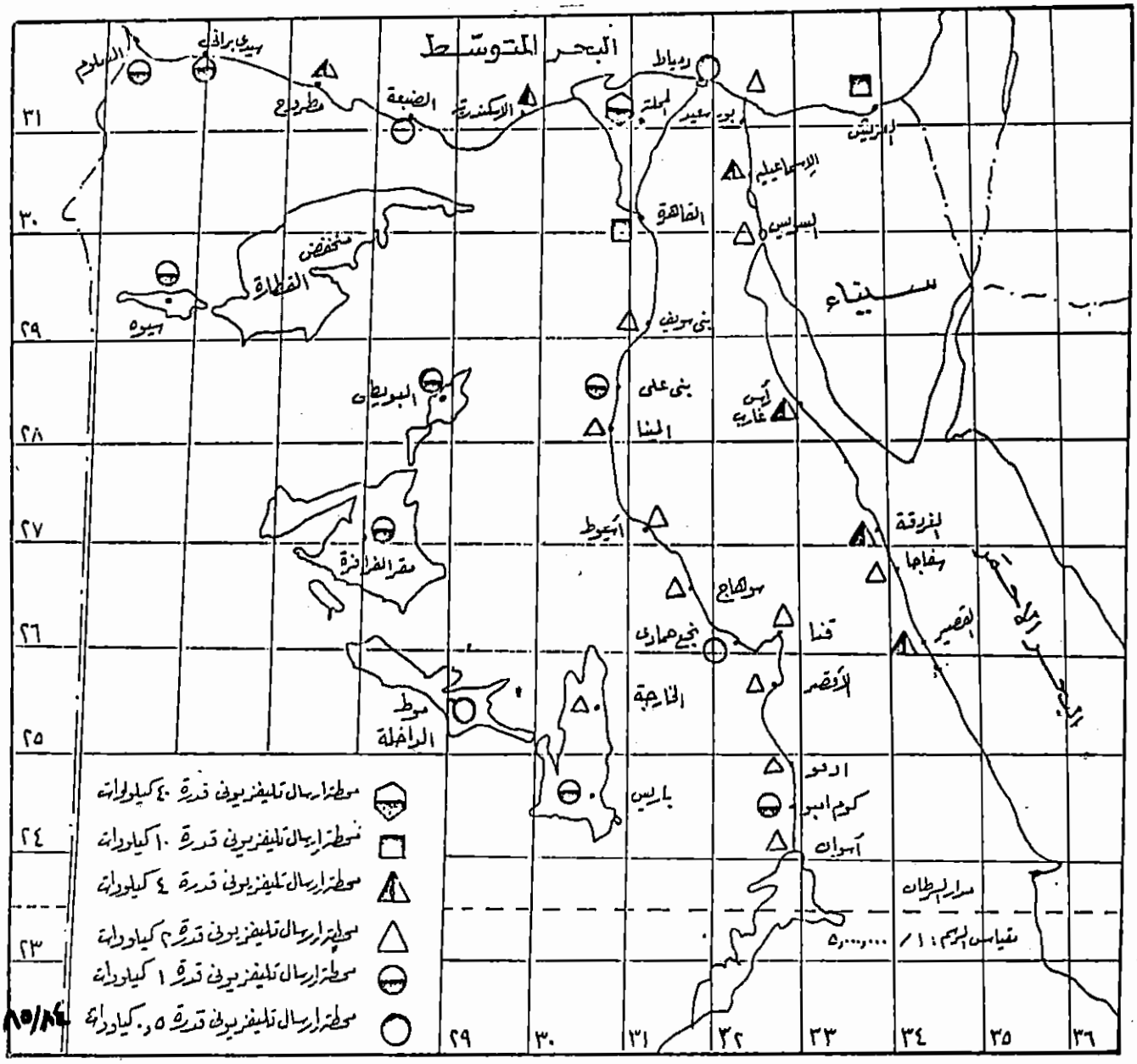

تميز نشاط الهندسة الإذاعية خلال عام ٨٩/ ١٩٩٠ بإدخال أساليب تكنولوجية جديدة تلاحق التطوير السريع فى مجالات الاتصالات الفضائية وفى مقدمتها :

القناة غزيرة الإشعاع

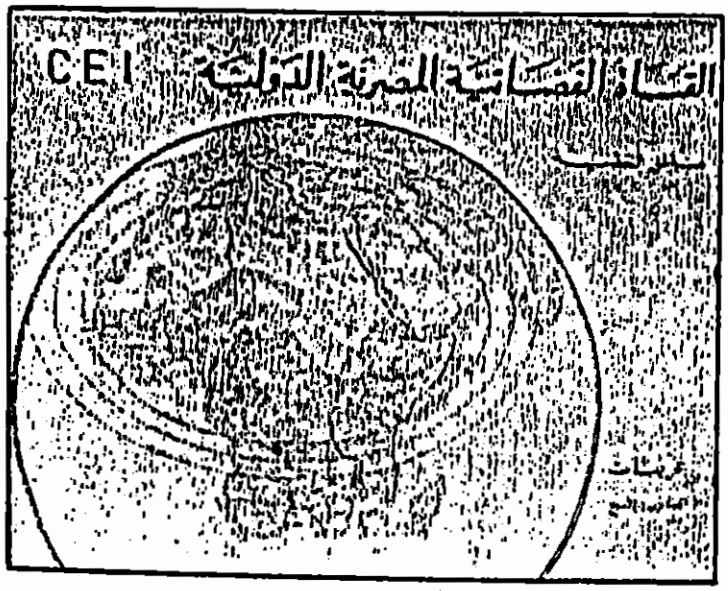

وهى إحدى قنوات القمر العربى (عربسات) للبث المباشر لبرامج التليفزيون والإذاعة لتحقق نظرية الأمن الإعلامى من جهة ومن جهة أخرى لتحقق الأهداف الإعلامية التالية :

مد الخدمات الإعلامية لمناطق مأهولة داخل مصر لم تصلها الشبكة الأرضية .

أداء خدمة تليفزيونية لقاطنى الجيوب الضعيفة داخل مناطق الخدمة التالية :

- خدمة التجمعات العمرانية الجديدة .
- خدمة التجمعات السياحية على سواحل البحرين الأبيض والأحمر .
- خدمة التجمعات السكانية المرتبطة بمجمعات عمل مثل القوات المسلحة وشركات البترول ومناطق التعدين والتجمعات الصناعية .

نقل الإذاعات التليفزيونية الخارجية .

التمهيد لمرحلة البث المباشر للأفراد .

مد الخدمة التليفزيونية للإعلام المصرى إلى السفارات والقنصليات المصرية فى الخارج .

استقبال برامج القناة الفرنسية C.F.I.

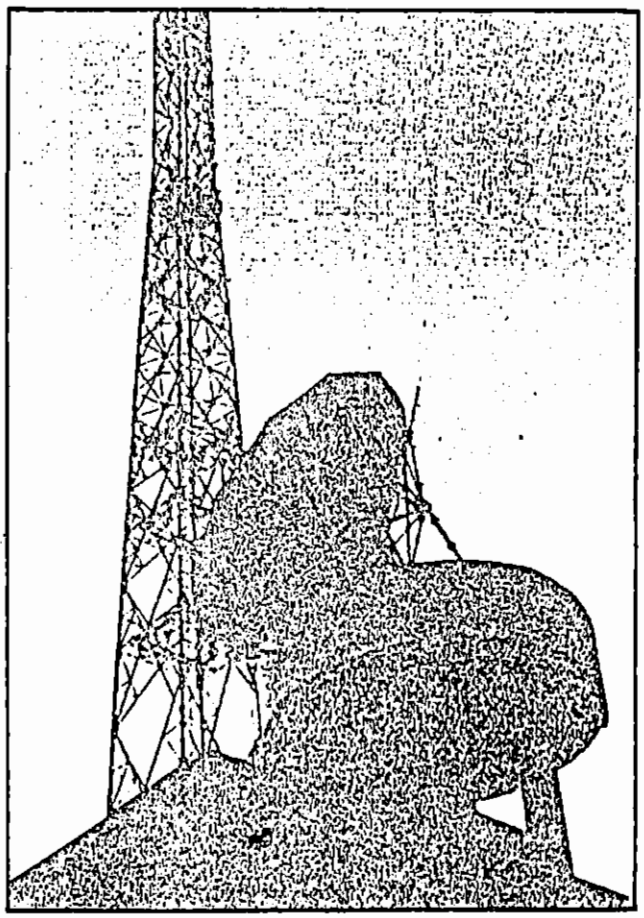

يتم استقبال إرسال القناة الفرنسية الدولية عبر القمر الصناعى الانتلسات باستخدام محطة أرضية EARTH STATION لمدة ست ساعات يوميا، ولإتمام استقبال إرسال هذه القناة قامت الهندسة الإذاعية بتركيب وتشغيل المعدات الخاصة لاستقبال البرامج من القمر الصناعى .

- محطة استقبال ١ + ٢ بغرفة المراقبة الرئيسية وتضم أجهزة المراقبة والرؤية والشكل الموجى وأجهزة التزامن والتوزيع للصوت والصورة وتحويل نظام الصورة من سيكام إلى بال .

- أجهزة التسجيل المباشر والتسجيل للمشاهدة والتسجيل للرقابة
- أجهزة الترجمة والإدخال وتعمل بالنظام الاتوماتيكى .
- وحدة المونتاج .

الشركة المصرية للأخبار C.N.E

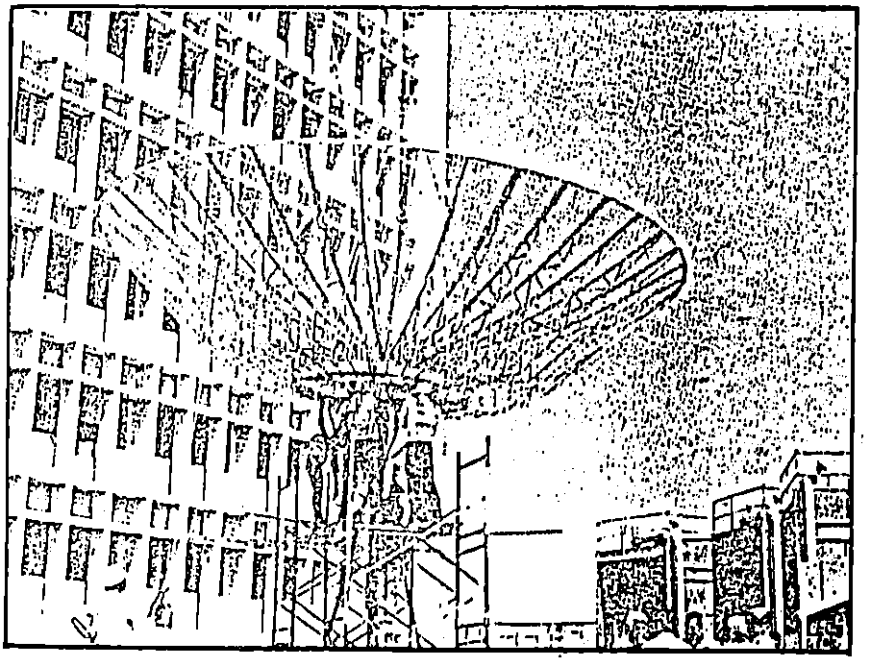

قناة إخبارية مصرية مستقلة تديرها الشركة المصرية للأخبار من خلال شبكة .C.N.N الأمريكية والتى تبث الأخبار لمدة ٢٤ ساعة يوميا عبر الأقمار الصناعية الجوريزون السوفيتى أو الانتلسات

ويتم استقباله بمصر عبر محطات استقبال أقمار صناعية بواسطة طبق هوائى يصل قطره ١٠م لإعادة بثه من خلال محطة إرسال عادية على نظام .U.H. F

ويمكن استقبال هذا البث من خلال جهاز التليفزيون العادى باستخدام ديكودر حيث يبث الإرسال من خلال شفرة يستقبلها الجهاز، وسيتم تسويق هذه الخدمة فى مصر للفنادق الكبرى والصحف والشركات والبنوك والسفارات والمنازل لرفع الوعى بالأحداث العالمية وذلك مقابل حصول الشركة على اشتراك سنوى .

الشبكات الفضائية المتاحة والمحطات الأرضية التى تتعامل معها :

المحطات الأرضية للأقمار الصناعية – والتابعة للهيئة القومية للاتصالات صممت لإمداد مصر بكل احتياجاتها فى الحاضر والمستقبل بشبكات الاتصال الدولى والتى تخدم الإذاعة والتليفزيون والتليفونات والتلكس ... الخ حيث تتصل بقمر الانتلسات عبر المحيط الأطلنطى والذى يتصل بالأجزاء الأخرى من العالم – ويبين الشكل الأول وصلات الاتصال المباشر للقمر الصناعى

والشكل الثانى يبين عملية ربط المحطات الأرضية بالمعادى بكل من مبنى استديوهات الإذاعة والتليفزيون ومبنى المركز الرئيسى للهيئة القومية للاتصالات من خلال شبكات الميكرويف والتى تمتد حوالى ١٠كم من المعادى .

وهذا بجانب بعض محطات الاستقبال الأرضية الأخرى التى يملكها اتحاد الإذاعة والتليفزيون .

□تكامل الإمكانيات بالدول المختلفة :

من الناحية الاقتصادية لابد أن يكون هناك تكامل لما هو متاح فى كل دولة سواء من الشبكات الأرضية أو من الشبكات الفضائية والممثلة بالقمر الصناعى العربى ومحطاته الأرضية المتاحة فى الدول المختلفة .

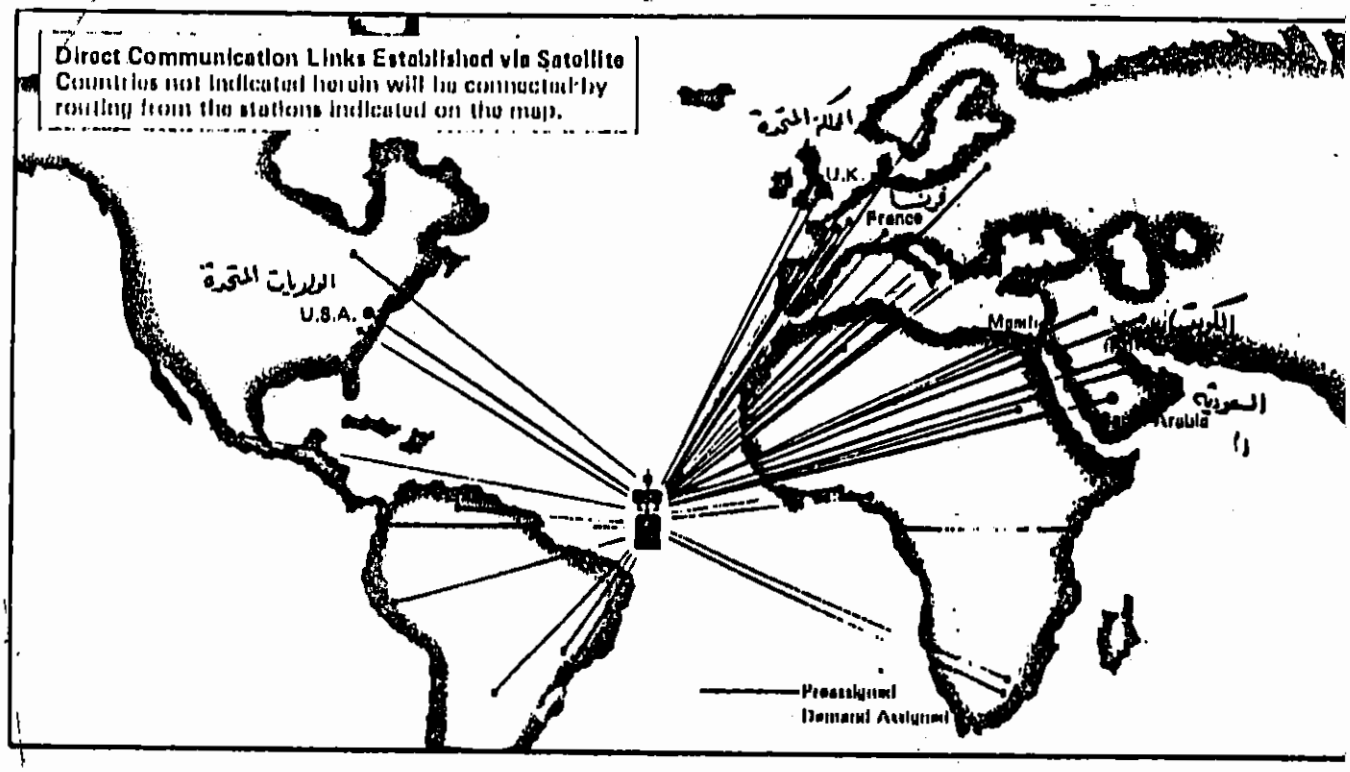

وصلات الاتصال المباشر

بالقمر الصناعى

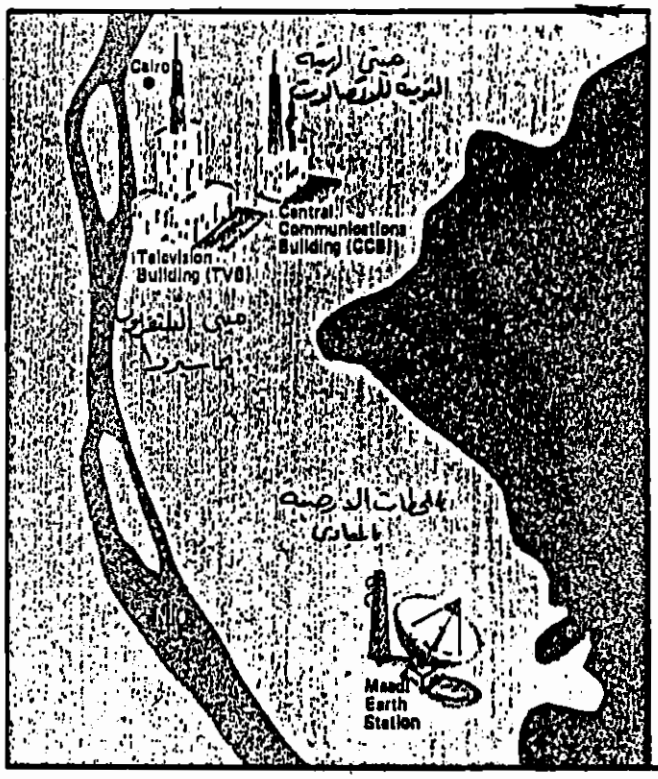

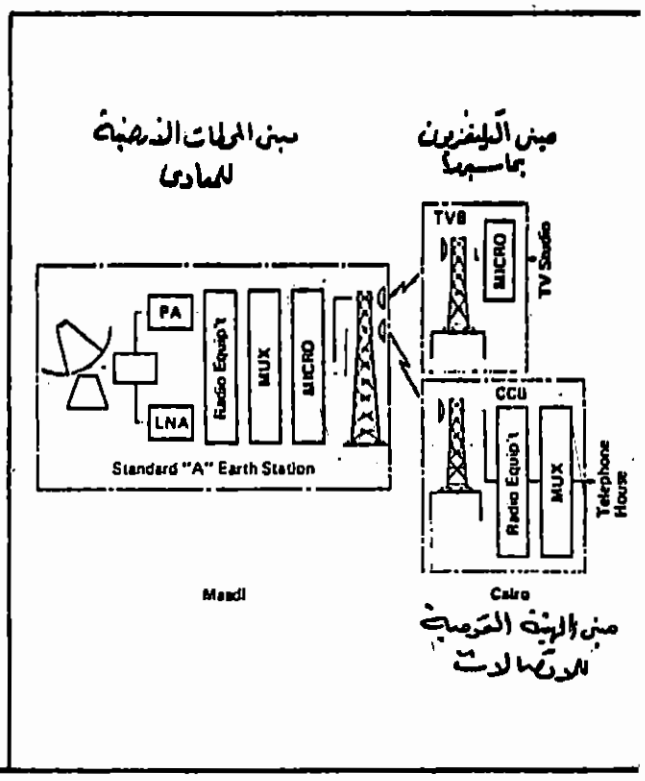

ربط المحطة الأرضية بالمعادى بكل من مبنى التليفزيون – ومبنى الهيئة القومية للاتصالات

شبكة الاتصال الفضائية للقمر الصناعى العربى :

بمناسبة الاحتفال بإطلاق القمر الصناعى العربى فإنه فى ٢٥ فبراير ١٩٩٢ انطلق القمر الصناعى العربى – وقد سبقه القمر واحد ألف والقمر واحد باء .. وجاء الدور فى فبراير الحالى على القمر واحد جيم الذى حمله إلى الفضاء الصاروخ الفرنسى اريان ٤ .

وبذلك تكون الأقمار الموجودة الآن فى السماء والتى أطلقت ابتداء من ١٩٨٥ – يحمل أولها وهو (واحد – ألف) القناة الفضائية المصرية حتى هذه اللحظة على قناته غزيرة الإشعاع – بينما استأجرت المملكة العربية السعودية القناة غزيرة الإشعاع مع القمر (واحد – باء) وهذا القمر مازال باقيا من عمره فى الفضاء ثلاث سنوات – أما القمر الثالث الذى أطلق فى ٢٥ فبراير فقدر له من العمر عشر سنوات فى الفضاء ويتم الاتفاق منذ الآن على مواصفات أقمار الجيل الثانى والمقرر أن يبدأ إطلاقه فى منتصف التسعينات على أن تتوافر له أكثر التقنيات الحديثة تقدما وتطورا .

ومن المعروف أن القمر الأول الذى يحمل القناة الفضائية المصرية على قناته غزيرة الإشعاع قد انتهى عمره الافتراضى لذلك استأجرت مصر منذ بدأت احتمالات نفاد الوقود – منذ شهر تقريبا قناة على الخدمة غزيرة الإشعاع على القمر الثالث من الجيل الأول الذى أطلق هذا الأسبوع واستأجرت أيضا قناة ثانية كخدمة احتياطية حتى لا يتعرض إرسال القناة المصرية لأى أعطال أو مفاجآت تقطع إرساله للحظة واحدة .. والجدير بالذكر أن كل هذه الاحتياطات لم تحدث أى ضرورة تدفع للجوء إليها .. فالقمر الأول ظل محتفظا بوقوده ولم يخرج عن مداره كما كان متوقعا وكأنه كان فى انتظار القمر الثالث الذى انطلق يوم ٢٥ فبراير ليتسلم مسئولية القناة الفضائية المصرية – وليوفر لها كل ضمانات القوة والقدرة فى المرحلة القادمة التى تصل فيها ثورة الاتصال إلى ذروة لم تصلها من قبل . والأقمار الصناعية بكل ماتمتلئ به من قنوات متعددة مستويات الإشعاع لاتستخدم فقط للبث التليفزيونى ولكن أيضا للاتصالات الأخرى كالخدمات التليفونية والتلكس والفاكس إلى جانب تطوير الخدمة الإذاعية والتليفزيونية.

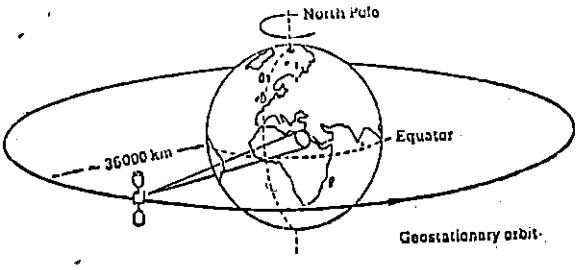

موقع القمر

يتزامن موقع القمر فى مداره مع دورات الأرض وعلى بعد ٣٦٠٠٠ كم، ويظهر حينئذ وكأنه عديم الحركة بالنسبة لأى نقطة على سطح الأرض يشكل الإشعاع الصادر من هوائى القمر حسب حدود الدولة المراد تغطيتها بالإرسال .

وكلما صغرت المساحة المراد خدمتها زادت قوة هذا الشعاع، وكلما كانت القدرة المشعة المؤثرة للقمر كبيرة فإن المحطة الأرضية المستقبلة التى تتعامل معه تكون قليلة التكاليف وهناك نوعان للأقمار وهى الأقمار الصناعية للاتصال والأقمار الصناعية للإذاعة المباشرة.

أنواع الأقمار

أ) الأقمار الصناعية للاتصال

تستخدم لأغراض كثيرة ومنها التليفونات والتلكس وخدمة الإذاعة والتليفزيون الخ .

وتعمل هذه الأقمار أساسا لخدمة التليفونات والتلكس وقواعد المعلومات وتشتمل على بعض قنوات لخدمة الإذاعة والتليفزيون ولابد أن يتوافر فى الدول التى تتعامل معها محطات أرضية للإرسال والاستقبال ذات هوائى كبير لأن قدرة هذه الأقمار عادة تكون محدودة حوالى ٢٠ وات بالمقارنة لأقمار البث المباشر والتى تكون قدرتها عالية أعلى منها بعشر مرات من ٢٠٠ إلى ٣٥٠وات.

وأيضا توافر شبكات أرضية لربط المحطة الأرضية بالمركز الرئيسى لاستديوهات الإذاعة والتليفزيون وأيضا بالمركز الرئيسى لهيئة الاتصالات السلكية واللاسلكية .

ب) الأقمار الصناعية للإذاعة المباشرة

وهذه تأخذ نظامين وهما الاستقبال الفردى والاستقبال الجماعى .

فإن كليهما يحتاج إلى هوائى استقبال ووحدات لتكبير الإشارة وتحويلها إلى التردد المناسب لاستخدامه مع أجهزة التليفزيون .

وأن الاستقبال الفردى يكون الهوائى محدود القطر (حوالى متر) أما الاستقبال الجماعى فيحتاج إلى هوائى أكبر من (مترين أو ثلاثة) وتستخدم لخدمة عمارة سكنية أو مصنع أو مستشفى أو الفنادق .

وتبين الأشكال الموضحة قمرين أحدهما قمر صناعى للاتصال والثانى قمر صناعى للإذاعة المباشرة .

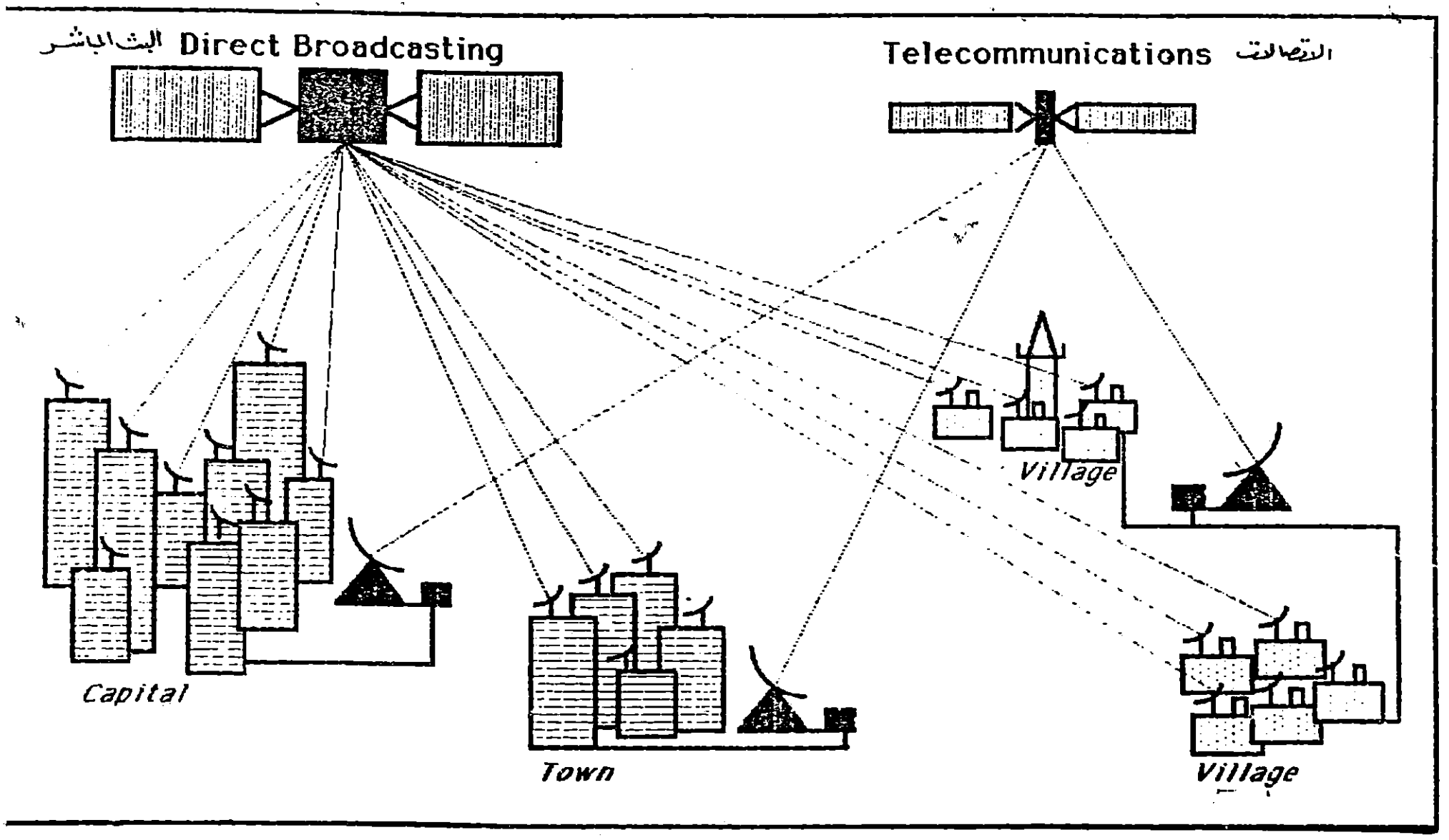

Direct Broadcasting and Telecommunications Satellites

أقمار البث المباشر والاتصالات

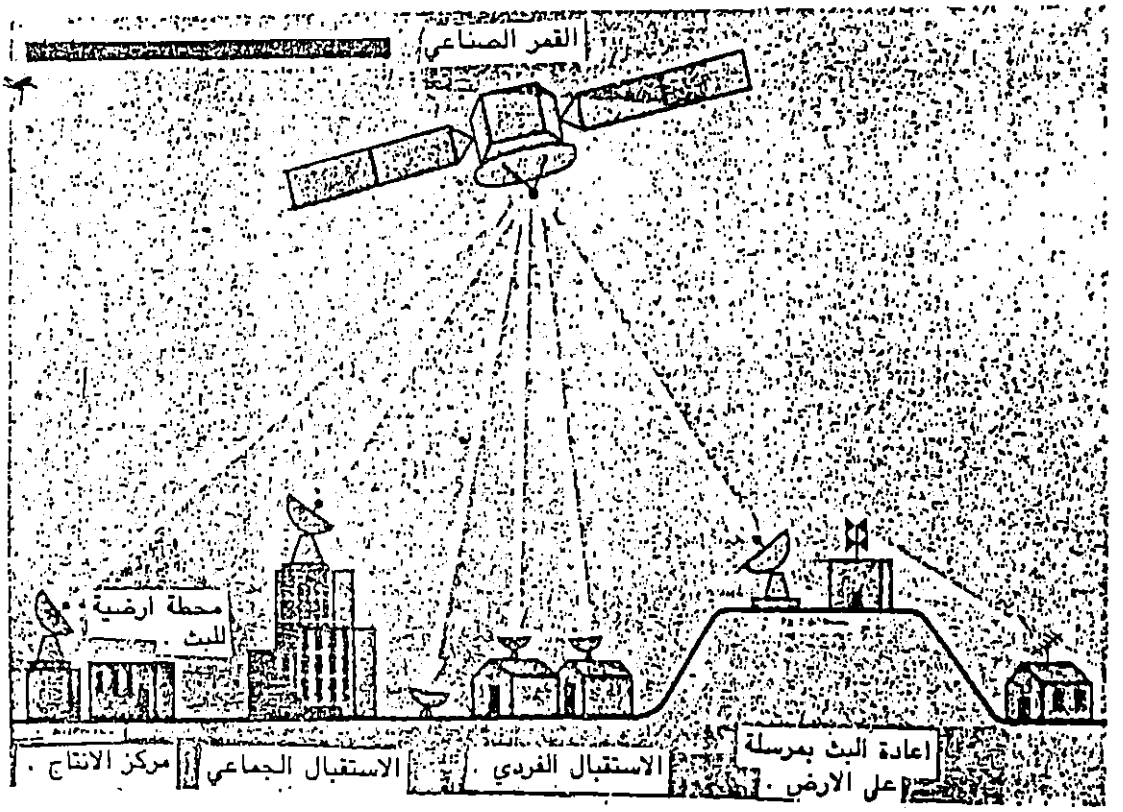

تصور للإستقبال المباشر عبر الإتصالات الفضائية على القمر الصناعى الفرنسى TDFI

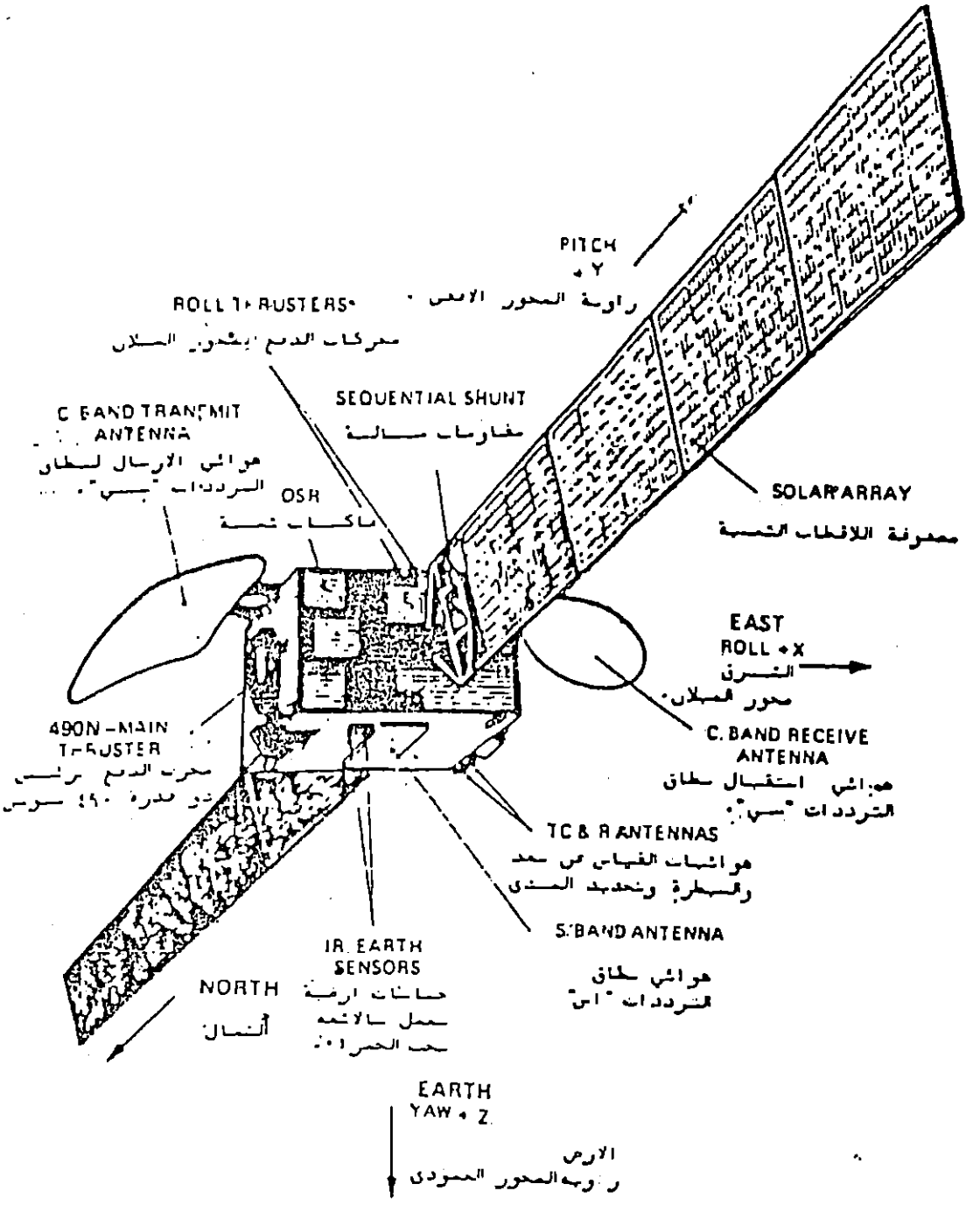

التكوين العام للقمر الصناعي

منطقة خدمة القمر الصناعى العربى

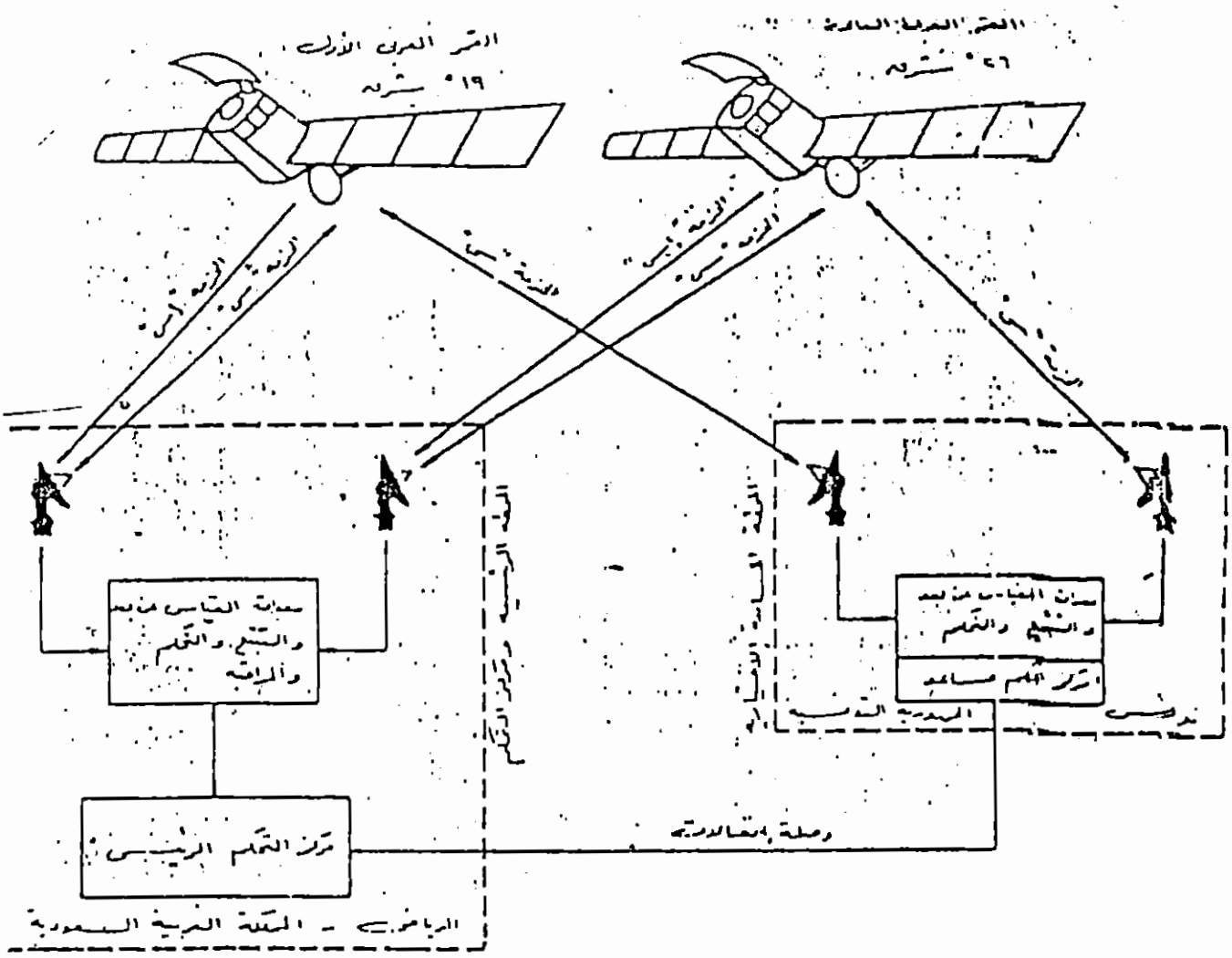

التكوين العام لشبكة التحكم فى الأقمار العربية

جـ) القمر الصناعى العربى

إن القمر العربى ذو حجم متوسطة ومتعدد المهام ويعتبر أول قمر صناعى فى مجموعة الجيل الجديد لأقمار الاتصالات، ويبين الرسم منطقة التغطية على الكرة الأرضية وتمتد خدمة القمر العربى لتغطى جميع أراضى الدول العربية الاثنين والعشرين والبالغة مساحتها التقريبية ١٣ مليون كيلو متر مربع وموقع الأقمار العربية بين خطوط الطول ١٥ . ٢٠ درجة شرقا وتعمل هذه الشبكة فى نطاق الترددات ٤ جيجا هرتز، ٦ جيجا هرتز (الخدمة"س") لجميع الخدمات ماعدا خدمات التليفزيون الجماعية التى تعمل على التردد ٦ جيجاهرتز فى الوصلة الصاعدة وعلى تردد ٥ر٢ جيجا هرتز (الخدمة "س") فى الوصلة النازلة .

أهداف القمر الصناعى العربى

إن الأهداف التى انبثقت من المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية ووافق مجلس الجامعة العربية عليها سنة ١٩٧٦ وتعرف باسم (عربسات) وبينها :

١ – توفير واستثمار قطاع فضائى عربى للخدمات العامة والمتخصصة فى مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية لجميع الدول الأعضاء فى جامعة الدول العربية ووفقا للمعايير الفنية والاقتصادية المعمول بها عربيا ودوليا .

٢ – القيام بمساعدة الدول العربية فنيا أو ماديا فى تصميم وتنفيذ المحطات الأرضية .

٣ – القيام بإجراء البحوث والدراسات الخاصة بعلوم وتكنولوچيا الفضاء .

٤ – التشجيع على إنشاء الصناعات اللازمة لتجهيزات القطاع الفضائى .

نحو نظام لتبادل البرامج الدينية ونشر الدعوة الإسلامية (المسموعة والمرئية) عبر الأقمار الصناعية :

اعتمادا على المساحات الشاسعة والوضع الجغرافى يمكن أن تقسم الدول إلى مجموعات على سبيل المثال وليس الحصر .

مجموعة ١	السعودية – الصومال – اليمن – چيبوتى
مجموعة ٢	سلطنة عمان – الإمارات العربية – الكويت – قطر – البحرين – العراق – السعودية .
مجموعة ٣	العراق – سوريا – مصر – الأردن – لبنان – تركيا – قبرص .
مجموعة ٤	مصر – السودان – السعودية – الأردن .
مجموعة ٥	لبنان – تركيا – قبرص – ليبيا – مالطة – يوغسلافيا – بلغاريا .

مجموعة ٦ تونس – الجزائر – المغرب – موريتانيا

مع الوضع فى الاعتبار أن البث الإذاعى يشمل كافة الدول أما البث التليفزيونى فهناك بعض الدول ذات المساحة الكبيرة قد لا يصل لها البث التليفزيونى فإنه باستخدام الشبكات الأرضية التى تتصل بمحطات الإرسال للإذاعات المسموعة والمرئية وكذلك المحطات الأرضية المتعاملة مع الأقمار الصناعية والمتاحة فى الكثير من الدول مع استكمال بعض التجهيزات الإضافية لدول أخرى فإنه يمكن أن يكون هناك تكامل فى وسائل الاتصال بين الدول المتجاورة باستخدام الشبكات الأرضية والدول المتباعدة بالاستعانة بإمكانيات الأقمار الصناعية، ونظرا لارتفاع تكلفة استخدام محطات أرضية متعددة فقد يكون المناسب استعمال محطة أرضية واحدة لالتقاط البرامج وتوزيعها عن طريق الشبكة الأرضية نحو الدول المجاورة .

وإن الصعوبات التى قد تظهر فى التبادل الجماعى للبرامج بين الدول المختلفة .

فإن الأمر يحتاج إلى إنشاء محطة تنسيق مركزية فى نطاق منظمة مثل اتحاد إذاعات الدول العربية حيث تقوم بتنسيق عمليات تبادل وتوفير جميع الوسائل التقنية الصالحة لالتقاط البرامج اليومية وتوزيعها على مختلف الجهات وتتمثل مهمة المحطة فى :

١ – جمع البرامج الآتية من البلدان بواسطة الشبكة الأرضية وشبكات الأقمار الصناعية .

٢ – حجز الخطوط التليفزيونية وتنسيق الطلبات .

٣ – توفير المصاريف والتى تقسم على البلدان حسب الاستعمال وحسب إمكانيات الدول المشاركة .

ولابد أن يتوفر لمركز التنسيق .

١ – تشغيل شبكة اتصالات بواسطة خطوط أرضية وفضائية تربط بين جميع الدول لنقل الصورة والصوت وللمراقبة التقنية .

٢ – مراقبة جودة الاتصالات حسب المواصفات والمقاييس الدولية .

٣ – استقبال كافة البرامج من مختلف الدول ومراقبتها وتوزيعها .

٤ – إعداد برامج للاستفادة المشتركة لكافة الدول .

ختـــــام

وفى نهاية هذا التقرير، فإنى أدعو الدول الإسلامية أن يكون هدفنا بجانب تطويع تكنولوجيا الاتصال فى خدمة نشر الدعوة الإسلامية، أن يتحقق التكامل بين الدول الإسلامية فى تنمية الكوادر البشرية الفنية القادرة على التعامل مع تلك الأجهزة بكفاءة عالية والقدرة على تفهم وفك الخدمة التكنولوجية .

ومن أجل إمكانية الاستمرارية والتوسع فى استخدام تلك الشبكات فقد أصبح من الضرورة الملحة الدخول فى تصنيع بعض مكونات الشبكات الأرضية محليا، ولو أن هذا يتعارض مع رغبة بعض الدول التى تحارب الإسلام وخاصة الدول الأجنبية المصنعة لتلك الأجهزة حيث أن الدول الإسلامية أصبحت سوقا رائجة لمنتجات تلك الدول الأجنبية .

وبهذه المناسبة أستطيع أن أؤكد بأننا قمنا بتصميم وتصنيع الكثير من المكونات التى تدخل فى صناعة الشبكات الأرضية وخاصة هوائياتها وقد تم استخدامها وأثبتت كفاءتها ومطابقتها للمواصفات الدولية " فى الستينات " .

وأنه بتعاون الدول الإسلامية بإمكانياتها وخبرائها فإنه يمكن تصنيع الكثير من مكونات الشبكات الأرضية محليا والتى تساهم بقدر كبير فى نشر الدعوة الإسلامية .

وفقنا الله لما فيه الخير لبلادنا الإسلامية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المهندس / نبيل عباس صبحى

وكيل وزارة- رئيس التدريب الهندسى

باتحاد الإذاعة والتليفزيون

نبـــــذة
عن مقـدم البحـــث

المهندس/ نبيل عباس صبحى

وكيل وزارة – رئيس الإدارة المركزية للتدريب الهندسى

باتحاد الإذاعة والتليفزيون

المؤهلات :

١) بكالوريوس كلية الهندسة . جامعة عين شمس .

٢) ماجستير جامعة القاهرة .

٣) بكالوريوس فى التكنولوچيا .

الخبرات :

– العمل بكافة أنشطة الإذاعة والتليفزيون من عام ١٩٥١ حتى الآن .

– العمل ببحوث الهندسة الإذاعية – تصميم وتصنيع أجهزة القياس الألكترونية ووصلات الميكرويف وبعض المكونات الأساسية التى تدخل فى صناعة الشبكات الأرضية ومنها الهوائيات .

– العمل كبير خبراء التدريب بالأمم المتحدة .

الاطار الشرعى للنشاط الإعلامى

للدكتور

جعفر عبد السلام

أستاذ ورئيس قسم القانون العام

كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر

مقـــدمة

تقوم الشريعة الإسلامية على قاعدة أصولية معروفة هى قاعدة أن لله سبحانه وتعالى حكماً فى كل فعل من أفعال العباد، لذا فإن الشريعة الإسلامية تحيط بكافة صور النشاط البشرى وتوضع له القواعد والضوابط التى تحكمه، بما فى ذلك النشاط الإعلامى.

وتهتم هذه الورقة بعرض الضوابط الرئيسية التى تحكم هذا النشاط فى الشريعة الإسلامية.

وقوام النشاط الإعلامى هو السماح للأشخاص بحرية الرأى وحرية التعبير عنه بمختلف الصور، بما فى ذلك الوسائل الحديثة التى تتمثل فى الصوت والصورة والتى تطورت إلى البث الإذاعى المباشر من خلال الأقمار الصناعية، ونجد فى أصول الشريعه مايجعل حرية الرأى والتعبير من القواعد الكلية التى تحرص الشريعة على كفالتها لكل المسلمين، بل ما يجعل المجتمع المسلم لايحقق أهدافه إلا بتحقيقها فى كل أعمال البشر، لذا حرصنا على عرض حرية الرأى والتعبير فى مبحث أول.

والحرية فى الشريعة حرية مسئولة ولها حدودها التى لا تؤثر على المبدأ، ولكنها تعنى بضبط إيقاع ممارسة الحرية حتى لا تؤثر على حريات الآخرين، ولا على مصالح أسمى للمجتمع المسلم وللدولة الإسلامية، وقد عرضنا هذه الحدود فى المبحث الثانى.

أما المبحث الثالث فقد خصصناه لدراسة النشر المجرم سواء فى القانون الجنائى أم فى الشريعةالإسلامية.

إننا فى ندوة سريعة عن الإعلام الإسلامى أردنا فقط أن نلم أطراف موضوع شائك ومتشابك نرجو أن نكون قد نجحنا فى إيضاح التصورات الرئيسية له.

والله ولي التوفيق.

المبحث الأول

حرية التعبير فى الشريعة الإسلامية

لا نبالغ إذا قلنا إن أهم المشكلات التى يثيرها النشاط الإعلامى هى تلك المشكلة الخاصة بحرية التعبير أو حق التعبير. وقد حرصت المواثيق الدولية كالإعلان العالمى لحقوق الإنسان والعهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية على النص عليه، وجعلته وسيلة أساسية لممارسة حرية الرأى، إذ لا قيمة بتقرير هذه الحرية دون أن تجد وسيلة للتعبير عنها، ومن المتفق عليه فى الفقه الدولى والداخلى أنه لا قيمة للإنسان دون أن يمتلك هذه الحرية، وإن الحكم على سلامة أى نظام سياسى أو قانونى، إنما يرتبط بمدى إطلاقه هذه الحريات فيه.

ولاشك أن الشريعة الإسلامية تأتى فى مقدمة الشرائع التى تعطى للمسلم هذا الحق على مايستفاد من المبادئ التى وردت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وما تواتر عليه عمل السلف الصالح، بل إنها قد تجاوزت المدى الذى تقرر فى كثير من التشريعات فى هذا الخصوص، ومنها التشريع المصرى.

وسنكتفى بذكر بعض آيات القرآن الكريم والسنة النبوية ثم نعرض بعد ذلك لهذه الحرية كما رآها السلف الصالح.

أولاً: القرآن الكريم :

يحتوى القرآن الكريم كما هو معلوم على القواعد الكلية التى تحكم سلوك الإنسان، لذا لا نجده يتناول التفصيلات وإنما يكتفى بالعموم. وسنتناول فيما يلى من الفقرات بعض هذه المبادئ العامة.

دعوة المسلمين إلى إبداء الرأى والتعبير عنه :

أمر الله رسوله ﷺ فى أول آيات نزلت من القرآن الكريم بالقراءة؛ وبالدعوة إلى الله، وبنشر الرسالة على كل الناس فيقول تعالى : ﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِكَ الَّذِى خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِن عَلَقٍ اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَم يَعلَم﴾(١).كما يأمر سبحانه وتعالى الرسول بأن يذيع مايوحى إليه فيقول تعالى : ﴿فَاصدَع بِمَا تُؤمَر، وَأَعرِض عَنِ المُشرِكِينَ﴾(٢) .كما يقول سبحانه وتعالى مخاطبا رسوله : ﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلهُم بِالَّتِى هِىَ أَحسَنُ﴾(٣).

---

(١) سورة العلق من الآية ١ إلى الآية ٥ .

(٢) سورة الحجر الآية رقم ٩٤ .

(٣) سورة النحل الآية رقم ١٢٥ .

كذلك ينعى القرآن الكريم على من يخفى آيات الله ورسالته فيقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَاأَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾(١).

كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَاأَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَايَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢) .

كما يوضح أهمية نشر الرسالات وهداية الناس بها منذ القدم فيقول تعالى : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً﴾(٣).

ويأمر الله – سبحانه وتعالى – رسوله بأن يشاور المسلمين فى مختلف الأمور فيقول : ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾(٤).

كما يصف جماعة المسلمين بأن أمرهم شورى بينهم ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾(٥).

ونستخلص من هذه الآيات المبادئ الآتية:

١ – أن الإسلام يقرر للإنسان حرية الرأى بما تعنيه من حقه فى اعتناق الآراء والعقائد التى تصلح حاله فى الدنيا والآخرة، ويقرر له أيضا حقه فى البحث عن المعلومات والأفكار من أى نوع واستلامها ونقلها بغض النظر عن الحدود.

٢ – أن الإنسان عليه واجب أن يوضح مايعرفه من علوم ومعارف وعقائد لغيره من بنى الإسلام أيا كان المكان الذى يوجدون فيه، وإلا لتحمل الإثم، ولاستحق العذاب فى الدنيا والآخرة.

٣ – أن سبل التعبير عن الرأى لا يجب أن تتوقف عن حد الإعلام والتبليغ، وإنما يجب أن تشمل سماع آراء الآخرين ومحاورتهم والتشاور معهم فى مختلف الأمور حتى لايكون الرأى وقفاً على شخص أو مجموعة.

٤ – أن الإعلان عن الرأى والدعوة إلى الحق يجب أن تتبع وسيلة سليمة وأن تتفنن فى اختيار أنسب الوسائل لعقول من يستمع إلى الرأى حتى يؤتى الرأى ثماره – الحكمة والموعظة الحسنة.

الأسلوب القرآنى فى التعبير :

نجد القرآن الكريم يتبع أسلوبا فى تبيان طريقة التعبير الواجب اتباعها – أى بالحكمة والموعظة الحسنة – كما نجده يرينا كيف نعبر حتى عندما نستخدم الأساليب والطرق الحديثة فى التعبير مثل القصص .

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٥٩.
(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٧٤.
(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٨٧.
(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٩.
(٥) سورة الشورى الآية رقم ٣٨.

ففى قصة يوسف عليه السلام نجد امرأة فى حالة من الضعف البشرى، وفى حمأة الشهوة الجنسية تفعل أفعالا تجعلها تتردى إلى أحط مكان، ومع ذلك نجد آيات القرآن الكريم تتحدث عنها - رغم تصويرها لهذا الواقع - إلا أنها تصوره بشكل لا يستفز المشاعر ولايثير الغرائز، ولا يوقعنا فى مستنقع الواقعية أو الطبيعة الذى جعل كثيراً من الكتاب ومخرجى السينما والمسرح يصور مثل هذه الأمور بشكل مقزز، يستنكف أى إنسان طبيعى وله قيمه وأخلاقه أن يراها.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب، وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾(١).

وبلاغة القرآن الكريم هنا تتجلى فى العديد من الأمور، فامرأة العزيز فى حكم الملكة أو الأميرة، ولكنها عند الجنس امرأة عادية فقد تخلت بإرادتها هى عن ملكها لذا عبر القرآن الكريم عنها بلفظ "التى" . وقد شرح القرآن الكريم قصة كاملة فى كلمة واحدة هى كلمة "راودته". والمراودة تعنى أن المرأة عرضت على يوسف ألوانا من أنوثتها لكى تغريه، إذ هى من رودان الإبل، ونعلم كيف تهتز الإبل وتتبختر فى سيرها، وكل هذا لم يفلح مع النبى يوسف، وهنا يصور القرآن الكريم مرحلة أخرى من انزلاق المرأة، فهى تتكلم طالبة الجنس من يوسف بعد أن فشلت المغريات الأخرى، وهو مالا تفعله المرأة عادة فى هذه المواقف، ثم يصور انزلاقا آخر إلى الحضيض عندما يأبى يوسف الاستجابة لها، فتهمُّ به بالقوة، وسيلة أخيرة فى لصق الطبيعة بالطبيعة ووضعه فى أمر واقع، ولكنه يهمُّ بها زجراً وهرباً حتى تمزق ملابسه، هذه هى الصورة التى عبرت عنها هذه الآيات فهل ياترى لو تناولها كاتب من كتابنا اليوم، ماذا كان فاعل بنا؟ وماذا لو تناولها فيلم من أفلامنا ؟ لاشك أنه كان سيعرض كل الأفعال بتفاصيل تثير الشهوات، وتلهب المشاعر، وتثير الغرائز، ولكنه أدب القرآن.

ونجد هذا الأسلوب القرآنى فى الدعوة المقترنة بالعمل فى حوار إبراهيم مع قومه قبل أن يكسر الأصنام لهم وبعدها، فهو يستخدم أسلوباً رائعاً فى التخاطب معهم والتهامهم الدين والرسالة، وسذاجة مايعبدون من أصنام. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن

---

(١) سورة يوسف الآية من رقم ٢٣ إلى رقم ٢٤.

أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾(١).

وقريب من ذلك حوار موسى مع فرعون والذى صُوِّرَ فى العديد من آيات القرآن الكريم . وهذا كله يرينا دروسا هامة فى أسلوب التعبير وطرقه نغفل عنها كثيراً.

ثانيا : السنة:

ترينا السنة القولية والسنة العملية كيف فهم الرسول ﷺ حرية الرأى والتعبير عنه. ونكتفى هنا بذكر بعض المواقع ودلالاتها فى هذا الشأن. فمعروف أن الرسول ﷺ قد غير المكان الذى اتخذه فى غزوة بدر عندما عرض عليه أصحابه أن هناك مكاناً أفضل، وعندما سأله الصحابى عما إذا كان المكان الأول هو مكان أمره الله بالنزول فيه أم هى الحرب والرأى والمشورة، وهذا أيضا أسلوب صحابى يدل على الأدب والقوة فى نفس الوقت. وحدث ذلك أيضا فى غزوة أحد، هل يمكث داخل المدينة يدافع عنها انصياعاً لرأى الأغلبية رغم عدم اطمئنانه إلى سلامة القرار أم لا؟ . هذا عن السنة الفعلية، أما السنة القولية، ففيها أيضا العديد من الأحكام التى تعبر عن ذلك: يقول الرسول ﷺ "من سنّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومن سنّ فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء". ويقول أيضا ﷺ : "الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". وقال: "والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم. أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض".

وفى سيرة السلف الصالح مايفيد أنهم كانوا يشجعون إبداء الرأى ولو خالف رأيهم. فلقد طالب أبوبكر الصديق المسلمين – عندما تولى عليهم – بأن يعينوه إذا أحسن، وأن يقوموه إذا أساء، وسعد عندما قام إليه من يقول :"والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا". كذلك عندما أوشك عمر بن الخطاب على تحديد المهور، عدل عن موقفه عندما بصرته امرأة بدلالة آية من القرآن الكريم على عدم جواز ذلك، وهى الآية التى يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبينا﴾(٢).

---

(١) سورة الأنبياء الآية من ٥١ – ٦٧.

(٢) سورة النساء الآية رقم ٢٠.

المبحث الثانى

الحدود الشرعية لحق التعبير

يقوم الإعلام بدور هام فى الدول الحديثة فهو الذى يكون الرأى العام وكذلك يسهم بشكل كبير فى تشكيل عقول وضمائر أفراد المجتمع . ويوضح تعريف مصطلح الإعلام هذه الحقيقة إذ يعرفه العلماء بأنه " التعبير الموضوعى عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها". فإذا كان العمل الإعلامى يفترض وجود مصدر، فإنه كذلك وبالضرورة يفترض وجود المستقبل وكذا الوسيلة أو الواسطة التى يبث بها الرسالة الإعلامية. ويعتبر المستقبل الركن الثانى الهام فى العمل الإعلامى، إذ إليه توجه الرسالة الإعلامية وهو هدفها، كما أنه ليس فقط أفراد شعب معين أو دولة محددة بالذات، بل صار قطاعات واسعة من المجتمع الدولى كله. لذا كان من الضرورى العناية بالمصدر والرسالة التى يوجهها للناس حتى تكون على المستوى الذى يتمشى مع دوره الكبير.

لذا يهتم المجتمع الدولى بالنشاط الإعلامى اهتماماً بالغا، وكذلك لا توجد دولة لا تعنى بما يثيره من مشاكل فى الداخل والخارج.

وينظر القانون – سواء أكان دوليا أم داخليا – إلى الرسالة الإعلامية من أحد منظورين :

المنظور الأول : منظور الحرية، فالإعلام على كل حال رأى وفكر وخبر، ولما كان من حقوق الإنسان التقليدية حرية الرأى والتعبير عنه، فيجب كفالة هذه الحرية بكافة الطرق.

والمنظور الثانى : يتصل بما يمكن أن يحمله الإعلام من خطورة على المجتمع. فالإعلام كثيراً ما استخدم كوسيلة للتأثير على النظام السياسى والدستورى فى دولة أو دول معينة ومن ثم دخل المصطلحات القانونية مصطلح العدوان الإذاعى Agression Radiofusstion ، كذلك يمكن أن يؤثر على قيم المجتمع وأخلاقياته بما قد يحمله من معانٍ تناهضها وصور خليعة تمس المشاعر، وتثير الاستياء، وتخالف الأديان. لذا فقد اشتد الصراع من جديد بين المنادين بالحرية والمنادين بالقيود على الإعلام. فريق يرى أن خير ماتفعله الدولة هو أن تترك الأفراد يفعلون مايشاءون، وأن بإمكانهم دائما التمييز بين الضار والنافع، والغَثِّ والسمين، ولا ينبغى فرض أى وصاية أو قيود على التعبير عن الرأى، وهناك من يرى أنه من الضرورى أن يحاط هذا الحق بالقيود التى تكفل الحفاظ على حريات وحقوق الآخرين على أقل تقدير، ومنهم من غالى فى ذلك إلى جواز إعطاء الحق للدولة فى تعبير حرية الرأى والتعبير بالشكل الذى تراه وكفيلاً بتحقيق الصالح العام كما يراه الحكام.

وقد رأينا أن الشريعة الإسلامية تعرف طريقها فيما يتعلق بتقرير حق تكوين الرأى والتعبير عنه وهى كذلك تعرف وضع الضوابط والأسس التى تكفل أن تتم ممارسة حرية التعبير فى الإطار الذى لا يضر بالحقوق والحريات العامة للآخرين، وسنجد أن الشريعة الإسلامية تختط طريقا وسطا فى الحدود التى تضعها على ما سوف نرى الآن.

المبادئ فى مصدر الشريعة الأول "القرآن الكريم" :

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾(١).

كما يقول جل من قائل فى ذم بنى إسرائيل :﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾(٢) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾(٣) ويقول تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾(٤) ويقول كذلك: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه﴾(٥) ويقول تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾(٦).

ويستفاد من هذه الآيات المبادئ الآتية:

١ – الأهمية العظمى للكلمة فهى التى تقود إلى الهداية، وتؤدى إلى الضلال، ومن ثم فلا يمكن أن تمس الحدود مبدأ الحق وضرورة القيام بالتعبير عن الرأى .

٢ – أن على المسلمين واجب الدعوة إلى العمل الصالح وتبيان الخير للناس لكى يتبعوه، والشر لكى يجتنبوه، وأن هذا الواجب من قبيل الفروض الكفائية بمعنى أن الجماعة مسئولة بكاملها عن تحقيقه، ولكن إذا قامت به فئة كافية من حيث الكم والكيف منها، فإن ذلك يحقق الغرض. فمضمون الرسائل الإعلامية يجب أن يكون دائما دعوة إلى الخير والمعروف.

٣ – أن الجماعة المؤمنة عليها أن تقاوم المنكر، وألا تترك من يخرج عن جادة الصواب على

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٤.
(٢) سورة المائدة الآية رقم ٧٩.
(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١١٠.
(٤) سورة العصر الآية من رقم ١ إلى رقم ٣.
(٥) سورة فاطر الآية رقم ١٠.
(٦) سورة إبراهيم الآية رقم ٢٤ – ٢٦ .

ماهو عليه، فقد استحقت اللعنة على بنى إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن الباطل والمنكر ويتركون كل فرد يفعل مايريد.

٤ – أن على المسلمين واجب أن يتواصوا بالحق وأن يتواصوا بالصبر وإلا لحل الخسران فى الدنيا والآخرة بالجميع.

٥ – أن المعروف والحق والكلمة الطيبة تتضمن – فضلاً عن المثل الإسلامية التى تضمنتها أحكام الشريعة – كل القيم الأخلاقية النبيلة التى تكونت فى ضمير الإنسانية على مدى تاريخها الطويل. كما أن الباطل والشر والرذيلة والكلمة الخبيثة هى كل مانهت الشريعة عن إتيانه من أمور فى إطار الحرمة والكراهة وسوء الأخلاق، فضلاً عما استقر فى ضمير الجماعة وقيمها من مفاهيم حول هذه المعانى.

٦ – أن الجزاء على الحكم الطيب والعمل الطيب، والكلم الخبيث والعمل الخبيث مزدوج، قدر منه يناله الإنسان فى الدنيا، والقدر الآخر يكون فى الآخرة.

ونستخلص من ذلك أن المصدر الأول للشريعة الإسلامية يجعل الأصل هو الحرية ويجعلها ضرورية لتبليغ الدعوة ولإحقاق الحق ولتنوير الناس وتعليمهم وإشاعة الثقافة والفكر السليم بينهم، ولكن هذه الحرية حرية مسئولة فيجب أن تتجنب كل مايسى إلى المجتمع وقيمه وأفراده وكل مايخالف الشريعة من ناحية سلبية. ومن الناحية الإيجابية يجب أن تتضمن الرسالة الإعلامية خير الناس وصلاحهم ومايتحقق به نفعهم وتعليمهم وتثقيفهم.

المبادئ التى وردت فى المصدر الثانى للشريعة:

وردت العديد من الأحاديث التى تفسر ماورد فى آيات الكتاب الكريم من أحكام، وتضيف إليها وتجلى معانيها ونجد العديد من الأحاديث الشريفة تطلب ممن يتكلم أن يوضح كلامه، وأن يكلم الناس بكلام مفهوم من ذلك ماروى عن أنس من أن النبى ﷺ :"كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه.." وعن عائشة أنها قالت "كان كلام رسول الله ﷺ كلاما مفصلاً أى بينا ظاهراً يفهمه كل من يسمعه".

ويدعو الرسول ﷺ إلى الكلام الطيب ويوضح كيف أنه منقذ من النار فيقول:"اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة" ويقول:"من دل على خير فله مثل أجر فاعله"، وقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شىء، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من أثامهم شىء"، ويقول لجعفر بن أبى طالب عندما أمره بالتوجه إلى رأس سرية لمحاربة الأعداء: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدى الله بك

رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" كذلك يقول الرسول ﷺ الدين النصيحة، قلنا : لمن يارسول الله؟قال: لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". وقال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" ويقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه". ويقول :"كلا والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم". ويقول ﷺ : لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون".

وكذلك ورد عن أنس – رضى الله عنه – قال رسول الله ﷺ ماكان الفحش فى شىء إلا شانه، وما كان الحياء فى شىء إلا زانه" وقال ﷺ : إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلىّ ، وأبعدكم منى يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون".

وقال رسول الله ﷺ :"إن أول مادخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: ياهذا اتق الله ودع ماتصنع، فإنه لايحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم على بعض"، ثم قال: ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل.. إلى فاسقون﴾ ثم قال: " والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم". وقال: "مامن رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيرّوا عليها ولا يغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا".

ويقول: "إذا عمت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها".

وقال: "إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر". وقال: "كيف بكم إذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم؟ قالوا: يارسول الله وإن ذلك لكائن ؟ قال: نعم وأشد، كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر ؟ قالوا: يارسول الله وإن ذلك لكائن، قال: نعم وأشد، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قالوا: يارسول الله وإن ذلك لكائن ؟ قال: نعم وأشد كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً، والمنكر معروفاً".

ومن هذه الأحاديث يتبين لنا أن الرسول ﷺ يؤكد قوام الرسالة الإعلامية فى المسائل الآتية:

- الدعوة إلى الخير والمعروف والإصلاح بين الناس.
- إظهار الحق والجهر به مهما كلف ذلك قائله من ثمن واعتبار ذلك من الجهاد.
- إن الأمة التى لا تنهى عن المنكر، ولا تأمر بالمعروف وتترك الظلم والباطل دون مقاومة مصيرها الهلاك فى الدنيا والعقاب فى الآخرة.
- ضرورة اتخاذ تدابير إيجابية ضد من يظلم الناس ومن يغدر بهم، تكفل منع الظلم والضرر واحقاق الحق ورده لأهله.
- كذلك يطلب الرسول من مصدر الرسالة الإعلامية أن يكون واضحا بسيطاً يستخدم أسلوبا قريباً من الناس دون تنطع أو استنكار.

وهناك قضية هامة تتصل بحق التعبير - فالقانون الجنائى فى مصر - يعاقب كل من ينسب إلى شخص آخر فعلاً إن صح فإنه يؤدى عقابه أو تحقيره عند قومه ولو كان ما أخبر به صحيحاً، والشريعة الإسلامية لا تقر هذا القيد والآيات والأحاديث فى منع الظلم والبغى واضحة، بل إن الفعل إن كان يكون جريمة "زنا" مثلاً أو حداً من الحدود، فإن العقاب عليه يجب أن يكون علانية حتى يتحققق به الردع وحتى لا تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وحتى يمتنع أى شخص عن الاقتراب من حدود الله، وهذا فارق واضح بين حق التعبير فى الشريعة وفى القوانين الوضعية.

المبحث الثالث

تجريم إنتهاك حرمة الحياة الخاصة

تحمى الشريعة الإسلامية اعتبار الأشخاص وكرامتهم بل تتقدم كثيراً فى حماية الحق فى الخصوصية والذى يحرم على أجهزة الإعلام أن تنشر أخباراً أو تعليقات تتعلق بالحق فى الحياة الخاصة التى يجب أن تكون فى منأى عن العلانية وبعيدة عن التشهير إذ أن لكل شخص حياته الخاصة ومايحرص على أن يكون سراً لايعرفه سواه. ويحرص القانون المصرى على تجريم نشر أى وقائع من شأنها الإساءة إلى كرامة أو اعتبار أحد الأشخاص ولو كانت صحيحة، إذ تنص المادة (٣٠٢) من قانون العقوبات على عقاب من يسند واقعة إلى شخص لو صحت لعدت جناية أو جنحة، أو لأدت إلى احتقار من تسند إليه كما أنه أيضا يجرم أى نشر يتضمن خدشاً للشرف أو الاعتبار دون تعيين واقعة محددة.

كما أن قانون العقوبات المصرى قد تعدل عام ١٩٦٥ لكى يعاقب على نشر أى أخبار أو صور أو تعليقات تتصل بأسرار الحياة الخاصة أو العائلية للأفراد ولو كانت صحيحة إذا كان من شأن نشرها الإساءة إلى من تناوله النشر.

ويحرص الإسلام على عدم الخوض فى حياة الناس الخاصة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعضَ الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إنَّ الله تواب رحيم﴾(١).

ويجمع المفسرون على أن المقصود بالتجسس هو تتبع شئون الناس الخاصة بهم مما قد يتضمن عورة من عوراتهم. أما الاغتياب فهو ذكر الفرد بشىء يكرهه ولو كان فيه. أما إذا قال ماليس فيه فذلك هو البهتان. وقد مثل للاغتياب بأبشع صورة وأشنعها ألا وهى صورة أكل الإنسان لحم أخيه ميتا.

من هنا نرى أن الإسلام يجرم الخوض فى الحياة الخاصة للناس، لكن ربما لم يساير التشريع الجنائى فى عقاب من يسند واقعة صحيحة تعد جريمة بالمدلول الشرعي، لأن الجرائم الدينية يجب الكشف عنها ومنعها والعقاب عليها، لأنها من قبيل المنكر ويجب دائماً النهى عنه ولا يتسنى ذلك فى العصر الحديث إلا بالنشر عنه وإظهاره للناس، هذا بالشروط الآتية:

١ - أن يكون الفعل المنسوب إلى الشخص يمثل مخالفة شرعية ظاهرة وواضحة ولا خلاف على إسناد هذا الوصف لها بين فقهاء الشريعة، مثل ارتكاب الحدود والمحرمات الشرعية.

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم ١٢.

٢ – أن يكون الفعل قد ارتكب حديثا، لأنه إذا مضت مدة معقولة على ارتكاب الفعل إلى الحد الذى جعل الناس ينسونه، فان النشر عنه غير جائز . وقد وردت العديد من الآثار والأحاديث التى يستخلص منها هذا الحكم.

٣ – أن يكون الفعل قد ارتكب علانية، لأن الجرائم التى ترتكب سراً يمتنع البوح بها والكشف عنها.

تجريم إشاعة الفحشاء فى المجتمع الإسلامى :

ومن ناحية أخرى فإن الشريعة الإسلامية لا تبيح النشر إذا كان من شأنه إشاعة الفاحشة أو الفضائح والقبائح على مايقول المفسرون فى المجتمع تحقيقا لقوله تعالى : ﴿لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾(١) فهذه الآية لا تعطى الحق فى النشر في هذه الحالة إلا فى حق من زاد ضرره وعظم خطره، حتى لو كانت هذه القبائح والفضائح حدثت فعلاً. ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾(٢).

والواقع أن الشريعة الإسلامية تحمى الأعراض بطريقة قوية ولا تبيح علي الإطلاق أى نوع من التعدى عليها رغم إقرارها لضرورة كشف الجرائم ويلقننا الله سبحانه وتعالى درسا واضحاً لعل أجهزة الإعلام لدينا من إذاعة وتليفزيون وصحافة يتذكرونه فى الوقت الحاضر، فى أجزاء كبيرة من سورة كاملة هى سورة النور.

وقد بدأها الله سبحانه وتعالى بذكر أنها ﴿سوره أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾(٣) ثم تلت ذلك مباشرة بإباحة حق نشر تنفيذ العقوبة – وليس الحديث عن الجريمة والنشر عنها– فقد أوجب عقاب الزانية والزانى بالجلد وأوجب أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، ثم تلا ذلك بتقرير عقوبة شديدة على الذين يرمون المحصنات، وهن العفيفات الحرائر، فجعلها ثمانون جلدة مع إسقاط اعتبارهم فلا تقبل شهادتهم والوصم بالفسق، والواقع أن مجرد القذف دون أن يكون بيد القاذف الدليل فى هذه الحالة يوجب العقاب، حتى لا يسهل القذف فى حق المؤمنات وحتى لا تشيع الفاحشة، ولكن الدليل هنا صعب، فهو أربعة شهداء، ولكن إذا قام، فلا معنى للسكوت عن جريمة، بل يجب فى هذه الحالة إقامة الحد، فالجماعة المسلمة لا تخسر بالسكوت عن تهمة غير محققة كما تخسر بشيوع الاتهام والترخص فيه وعدم التحرج من الإذاعة به، وتحريض الكثيرين من المتحرجين علي ارتكاب الفعلة التى كانوا يستصعبونها ويظنونها ممنوعة فى الجماعة أو نادرة، وذلك فوق الآلام الفظيعة التى تصيب المقذوفة وزوجها وعائلتها.

---

(١) سورة النساء الآية رقم ١٤٨.

(٢) سورة النور الآية رقم ١٩.

(٣) سورة النور الآية رقم ١.

وتورد السورة نبأ قذف عظيم وجه إلى بيت النبى ﷺ فى حق زوجته عائشة، وهو المعروف فى التاريخ الإسلامى بحديث الإفك، وقد تكفل الله سبحانه وتعالي بنفسه بتبرئة السيدة عائشة فى كتابه الكريم، وأعطي دروسا للمسلمين فى عدم تناول الأعراض بهذا الشكل الآثم، وأوجب عقوبة من يقذف الأعراض كما قررنا. وأعطت السورة بعد ذكر هذا الحادث دروساً عديدة فى التربية للمسلمين ووضعت سياجاً واضحاً لما يجوز وما لا يجوز أن يتم النشر عنه، لذا ينبه القرآن الكريم إلى أن الحادث ليس شراً محضاً، بل فيه فائدة للأمة المسلمة لأنه مناسبة لكى تعرف أسلوباً جديداً من أساليب الأعداء فى تفتيت عضد المجتمع المسلم وإشاعة الفاحشة فيه. لذا يصف القرآن الكريم من جاء بحديث الإفك بأنهم عصبة فهم جماعة عجزوا عن حرب الإسلام جهرة، فتواروا وراء ستاره ليكيدوا له خفية، ثم خدع فيها المسلمون فخاض منهم من خاض، وقد نعى القرآن الكريم على المسلمين هذا التساهل لقوله تعالى: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾(١)، كما نبههم إلى ما كان ينبغى يجب أن يقولوه بقوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾(٢)، ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾(٣).

فهذا هو أسلوب القرآن الكريم فى تعليمنا صيانة الأعراض من حق النشر، فإذا كان من وظيفة النشر إعلام الجماعة بما يحدث فيها لكى تتوقاه، وإشاعة بيان العقوبات التى توقع على المجرمين حتى يرتدع غيرهم من الإقتراب من المحرمات، إلا أن ذلك لا يمكن أن يسمح بتناول الأعراض بغير دليل والدليل فى الإسلام هو دليل إقامة الحدود أى أربعة شهود، فلا يجوز النشر إذن بناء، على تحريات ممن لا يذكر اسمه، أو بناء على كلمات لأحد ضباط المباحث يرغب فى أن يشتهر بقدراته الفذة أو حتى إذا وجد دليل ناقص، كشاهد واحد أو شاهدين مثلاً. أين من هذا الأسلوب مانقرأه يوميا فى صحفنا باستهانة دون تمحيص عن فتاة العتبة التى ساقها سوء حظها إلى أتوبيس من أتوبيسات القاهرة فى الزمان والمكان المعروفين حيث تقترف هذه الجرائم الخاصة بمكانة واعتبار المرأة والرجل أيضا فيها، ويتم النشر بشكل لا يراعى مايسببه لهذه الفتاة ولأسرتها، وإذا برأنا بعض الناشرين وافترضنا حسن نيتهم ممن يتربصون بالمجتمع الدوائر ليظهروا كيف أنه مستنقع وأن الأعراض مصابة كلها فيه. ولعلنا أيضا أن تتعظ فيما ننشره فى وسائل إعلامنا من تشويه لمجتمعنا وتزوير لأحداث غير حقيقية لا تقع فيه، ويعاقب الله

(١) سورة النور الآية رقم ١٥.
(٢) سورة النور الآية رقم ١٦.
(٣) سورة النور الآية رقم ١٧.

عليها فى الدنيا والآخرة.

جرائم الإفشاء والتضليل :

ويقودنا هذا إلى موقف الشريعة الإسلامية من طائفة أخرى من الجرائم هى مايطلق عليه جرائم الإفشاء والتضليل.

وتعنى جرائم الإفشاء، تلك الجرائم التي تتضمن إذاعة لأمر من الأمور التى يجب أن تبقى سراً، أما جرائم التضليل فهي التى تتضمن نشر أمر من الأمور على نحو يبعث على تضليل الرأى العام أو التأثير على حكمه على الأشياء وتوجيهه وجهة غير سليمة وتشمل جرائم الإفشاء إذاعة أسرار الدفاع عن البلاد، ونشر ما يجرى فى الجلسات السرية لمجلس الشعب، فقد اعتبر المشرع المصري إفشاء هذه الأسرار جنحة يعاقب عليها لمساسها بالنظام العام.

كما جرم القانون النشر لأخبار المحاكمات إذا أمرت المحاكم بجعلها سرية وإن كان الأصل هو جواز نشر أخبار المحاكمات الأخرى بشرط ألا يتم تحريف في النشر وإلا فإن التحريف يعتبر بدوره جريمة.

والأصل أن النشر غير جائز في مرحلة التحقيق إلا في حدود مايصل إلى الصحافة من أخبار عنها، ومع ذلك فيمنع النشر عن التحقيقات فى حالات ثلاث هى :

إذا كان التحقيق خاصاً بجريمة من الجرائم التى تمس بأمن الدولة من جهة الخارج.

إذا كان التحقيق خاصاً بدعوى من دعاوى الطلاق أو التفريق أو الزنا.

إذا كانت سلطة التحقيق قد قررت إجراء التحقيق فى غيبة الخصوم أو حظرت إذاعة شىء منه مراعاة للنظام العام أو للآداب أو لظهور الحقيقة.

والواقع أن هذه التنظيمات تصحّ فى إطار مصلحة الجماعة التي ترك الشارع الإسلامى لولى الأمر حق تقديرها إلا فى حظر النشر عن قضايا الزنا وما يمس الأسرة فقد رأينا حكم الشريعة فيه. ونفس الحكم يسرى على تجريم النشر المقصود فيه التأثير على المحكمة، أو النشر الكاذب عن وقائع مثيرة بقصد إحداث البلبلة فى الرأى العام.

الخاتمـــة

تعترف الشريعة الإسلامية بحرية الرأى وتعتبره أحد الحقوق الأساسية التى يجب أن تتوافر للمسلم لكي يسهم فى بناء وطنه وتقدم مجتمعه.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية دعوة لهداية البشر على الأرض وتمكينه من تحقيق ذاته، ووصله بخالقه، فقد كان من الطبيعى أن يكلف الله سبحانه وتعالى رسوله بتبليغ الدعوة إلى الناس كافة، وببذل الجهد واتخاذ كافة الوسائل الكفيلة بنشر الإسلام وتعميق مناهجه فى قلوب وعقول البشر، لذا فإن الإسلام من أوائل الشرائع التى تعطى للناس حق التعبير، ومسئولية الدعوة إلى الله.

وإذا كانت الشرائع الوضعية الحديثة تهتم بهذا الحق وتجيز فرض قيود عليه لصالح المجتمع وأمنه، وحماية لآراء وخصوصيات الآخرين، فإن الشريعة الإسلامية سبقت غيرها فى العناية بذلك، وتجاوزاته أيضا فى ضرورة أن تحمل "الرسالة الإعلامية" مضامين تتصل بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا يقف دورها عند حد الجانب السلبى المتمثل فى الكف عن إيذاء الآخرين والاعتداء على حقوقهم.

وقد رأينا أن الشريعة الإسلامية تشدد فى المؤاخذة على إنتهاك مصالح المجتمع وكل مايسئ إلى القيم فيه، وتحرص على المعاقبة الشديدة لكل من يرم بريئا وينسب إليه مالم يقترفه أو ماليس فيه.

مشكلات الصحافة الإسلامية

فهمى هويدى
الكاتب الإسلامى

عندما نجرى حوارا حول الصحافة الإسلامية، فينبغى ألا يغيب عن بالنا أن فنون الاتصال مع الجماهير حققت خلال السنوات الأخيرة قدرا هائلا من التقدم، هو بحق بمثابة ثورة، ربما كانت فى مقدمة الإنجازات المبهرة فى العالم المعاصر. الأمر الذى وفر للإعلام دورا بارزا ورئيسيا فى تشكيل الوعى العام، وصياغة الأحداث وربما صناعتها أيضا. حتى ليبدو فى أحيان كثيرة أن العبرة ليست بما إذا كنت على حق أو باطل فى أية قضية. ولكن العبرة بالصورة التى يرسمها الإعلام عنك لدى الرأى العام، ليس المحلى فقط وإنما العالمى أيضا .

لن نذهب فى التمثيل بعيدا. فنحن خارجون للتو من تجربة تعد نموذجا لهذا الذى نقوله .. فقضية جبهة الإنقاذ الإسلامية بالجزائر لعب الإعلام الدور الرئيسى فى حسمها لصالح القوى الرافضة للمشروع الإسلامى. إذ نجح الإعلام منذ وقت مبكر فى رسم صورة منفرة ومخيفة للجبهة وخطابها السياسى، الأمر الذى شكل وعيا رافضا لمشروعها كله لدى شرائح غير قليلة فى العالم العربى والإسلامى، وبطبيعة الحال فى العالم الخارجى. وكان ذلك الوعى هو القاعدة التى استند إليها الجيش فى الانقلاب الذى أحدثه وأوقف به المسيرة الديمقراطية فى الجزائر. أيضا فإنه كان بمثابة غطاء برر كل ما اتخذته السلطة الجديدة لقمع الحركة الإسلامية وملاحقة عناصرها. بدعوى أنها تشكل تهديدا للديمقراطية. بينما التهديد الحقيقى هو ما مارسته تلك السلطة بإلغائها نتائج الانتخابات التى ارتضتها الإرادة الشعبية، وبإعلانها حالة الطوارئ فى الجزائر .

ولئن مارس الإعلام العالمى ذلك الدور بحق الثورة الإسلامية فى إيران، إلا أنه انتبه إليه واستخدم سلاحه ذاك بعد نجاح الثورة، ولو أدركت أجهزته حقيقة تلك الثورة ومراميها لسعت إلى إجهاضها قبل وقوعها ، ولعملت على تأليب الرأى العام الإقليمى والعالمى ضدها، كما حدث مع الجزائر . حتى أننا نكاد نقول بأن ما مورس بحق الجبهة الإسلامية فى الجزائر لا يخلو من استفادة من تجربة الثورة الإسلامية فى إيران. أعنى أن القوى ذات المصالح وثيقة الصلة بالآلة الإعلامية الجبارة استوعبت درس إيران، وقررت فى الجزائر أن تتغدى بالإسلاميين قبل أن يتعشوا هم بها، كما يقول المثل المشرقى الشائع .

ولا نستطيع أن ننسى فى هذا الصدد مدى وحجم الدور الذى لعبته وسائل الإعلام فى تشويه مجمل الظاهرة الإسلامية، التى اعتبرتها امتنا" صحوة " مبشرة بخير كثير، ولكنها لم تعد تذكر فى وسائل الإعلام إلا باعتبارها " أصولية " باتت ترتبط فى الأذهان بالعنف والإرهاب وانتهاك حقوق الإنسان ومصادرة دور المرأة و قهر الأقليات .

ولا نريد أن نذهب بعيدا فندعى أن ذلك هو الدور الوحيد للإعلام العالمى، ونلقى تماما أى

دور إيجابى لذلك الإعلام. لأننا على قناعة بأن الإعلام وسيلة يمكن أن توظف للبناء أو للهدم، كما يمكن أن توظف لصالح ما هو خير أو ما هو شرير . ودورنا لا ينبغى أن يكون مقصورا على اتهام الإعلام أو توجيه السباب إليه ولكن إلى جانب الوعى بأهميته، فإننا مطالبون بأن ندرس ذلك الفن ونتمكن من علومه وتقنيته، حتى نوظفه لصالح الدفاع عما هو خير وبناء، وللذود عن حياض المستضعفين وحقهم فى الحياة، فى ظل الاستقلال والحرية والكرامة .

نعم ينبغى أن نعترف بأننا ارتكبنا أخطاء سياسية أو فكرية استخدمها الآخرون فى تهييج العالم وتقليب الرأى العام فى كل مكان ضدنا، حتى بين أهلينا وفى داخل أقطارنا، لكننا أيضا ينبغى أن نذكر أنهم مارسوا بحقنا قدرا لا يستهان به من الظلم والافتراء لتشويه حقيقة الظاهرة الإسلامية وتقديمها فى اتعس صورة ممكنة .

لقد اختلقوا الكثير ونسبوه إلينا، وبالغوا فى تقديم أخطائنا، بعد ما تصيدوها وتربصوا بنا، وسلطوا كل الأضواء على تلك الأخطاء، حتى لم يذكروا لنا حسنة أو فضيلة. وحين أخطأ غيرنا – مثلنا – فإن أخطاءنا وحدها التى أبرزت وروج لها فى أنحاء العالم، فى حين سكت عن غيرنا، وربما غفر لهم .

فى مواجهة ذلك كله، فلا مفر من الاعتراف بأن الإعلام المعبر عن الحالة الإسلامية كان، ولا يزال، دون مستوى تلك الحالة المتنامية تلك هى القاعدة، والاستثناء نادر ولا حكم له . وهى مفارقة جديرة بالدراسة والتحقيق، حيث لم تستطع تلك الحالة الإسلامية برغم كل ما أنجزته على صعيد الشارع الإسلامى أن تثبت أى حضور له قيمته فى الساحة الإعلامية. وفيما تمضى مؤشرات تلك الحالة باتجاه الصعود، فإن مؤشرات التعبير الإعلامى عنها تتذبذب بين الثبات والتقدم البطئ أو التراجع. حتى بدا الجسم الإسلامى كبيرا، بينما صورته مشوهة ولسانه متعثر أو عاجز .

وفى حين نجد تيارات أو جماعات سياسية أخرى، مثل الماركسيين، لا تتمتع بأى حضور فى الشارع، بينما صوتهما عال وحضورهم ملحوظ فى الساحة الإعلامية. وفى تجارب أخرى مثل – مصر – فإن أحزاب اليسار لا تكون جماعة سياسية لها اعتبار أو وزن ، ولكنها تنهض فقط على صحيفة جيدة التقديم والإخراج تنطق باسمهم .

من هنا تصبح أزمة الصحافة الإسلامية جديرة حقا بالدراسة. لكننا قبل أن نحاول استعراض جوانب تلك الأزمة، نلفت النظر إلى العناصر التالية :

إن الإعلام الإسلامى يظل جزءا من الواقع الإسلامى لا ينفصل عنه. ومن ثم فإن تقدم ذلك الواقع أو تخلفه ينعكس بصورة مباشرة على أدوات التعبير عنه، والإعلام فى المقدمة منها .

. إن تقييمنا لموقف الإعلام أو الصحافة الإسلامية قد يختلف من بلد إلى آخر . فما يسرى على الدول الملتزمة بالإسلام قد لا يسرى على غيرها، وما يصدر عن دول يمارس العمل الإسلامى دوره بصورة شرعية وعلنية، قد يختلف عن ذلك الذى يصدر فى دول أخرى يحارب فى ظلها العمل الإسلامى ويتحرك خارج الشرعية. وإذ نحاول هنا التركيز على ما هو مشترك فى المجتمعات الإسلامية، لكننا نرجو ألا تغيب تلك الملاحظة عن البال .

إن الحرية هى المناخ الوحيد الذى يزدهر الإعلام فى ظله . وإذا كانت فنون الإعلام تؤدى دورا ضخما فى التأثير وتشكيل الوعى، فإن الحرية هى التى تسمح لذلك الوعى بأن يتشكل على نحو صحيح، من حيث أننا فى هذه الحالة نتيح فرصة عرض مختلف الآراء على الناس، ونمكنهم بالتالى من الانحياز إلى ما يقتنعون به وليس إلى ما يفرض عليهم .

إن الإعلام فى تطوره المثير الراهن لم يعد يؤدى دوره فقط فى نطاق المعلومات والمعارف، ولكنه أصبح يمارس دورا مماثلا فى مجال التأثير على القيم والتقاليد وخلق العادات. وما إعلانات السلع التى تبثها قنوات التليفزيون إلا نموذجاً من نماذج ذلك النوع من التأثير ، الأمر الذى يعزز من خطورة – وفعالية – الآلة الإعلامية ويبين مدى الخسارة التى تلحق بالمسلمين من جراء تخلفهم فى ذلك الميدان أو غيابهم عنه .

إن اتساع نطاق البث المباشر، الذى صار يمكن محطات التليفزيون العالمية من تجاوز الحدود البعيدة واقتحام واقعنا الإسلامى يلفت أنظارنا إلى ضرورة المسارعة إلى تنمية قدراتنا التليفزيونية بوجه أخص، حتى تصبح قادرة على الصمود فى مواجهة ذلك الغزو الجديد، وإلا فإن الجماهير سوف تنصرف عنها، لتجد زادها ومتعتها فى ذلك البث المباشر .

ونحن نقيم موقفنا ونتحدث عن تطلعاتنا فى المجال الإعلامى، فإننا نفضل أن نركز على الشق المتعلق بمسئوليتنا ومشكلاتنا، وأن نمارس فى ذلك نوعا من النقد الذاتى، ونحن ندرك أن الآخرين – كما أسلفنا – لهم دور بصورة أو أخرى فى الوضع الذى انتهى إليه حالنا وفى الصورة السلبية المرسومة لنا فى العالم الخارجى . ولكنى أحسب أن ذلك هو موقفهم الطبيعى، باعتبار ما يحركهم من مصالح أو حسابات حضارية أو عقائدية. ثم أننا لسنا فى موقف يسمح لنا لا بحسابهم على مسلكهم ذاك، ولا بتصحيح ذلك المسلك .

والأمر كذلك، فمع إدراكنا لموقف الآخرين وفهمنا له، فإننا سنحاول التحقيق فى دورنا ومسئوليتنا عن الضعف أو العجز الذى تعانى منه الصحافة الإسلامية ... وانطلاقا من ذلك، فإننا نذهب إلى أن أهم مشكلات الصحافة الإسلامية تتمثل فيما يلى :

١ – هناك أزمة فى الوعى بمصطلح الصحافة الإسلامية ذاته، ناشئة بالدرجة الأولى عن قصور

الوعى بمفهوم العمل الإسلامى ذاته. فهناك من يتصور أن الشأن الإسلامى هو التعبدى، بالمعنى الشائع، أو الخيرى أو التراثى. ومن ثم فالإسلام فى هذه الزاوية هو الذى يدور فى فلك المسجد والفرائض أو يتعلق بالماضى، فى حين أن الذى نفهمه هو أن مساحة العمل الإسلامى تستوعب الحياة كلها، كما أن التعبد لله يمكن أن يتحقق بكل الأعمال، إذا خلصت فيه النية بطبيعة الحال.

من نتيجة ذلك أن ما هو إسلامى صار فى خطابنا الإعلامى العام هو صفحة " دينية " يوم الجمعة ، كما أنه صار برنامجا إذاعيا أو تليفزيونيا . فى حين أن التصور الآخر يرى أن كل جهد يلتزم بقيم الإسلام فى أى مجال آخر، سياسى أو علمى أو رياضى أو ثقافى، فإنه يدخل فى نطاق الصحافة الإسلامية .

سواء حدث ذلك نتيجة لقصور فى فهم العاملين بالساحة، أو نتيجة لضغوط تمارسها الأنظمة العلمانية لحصار الإسلام فى نطاق ضيق ومحدود، فالنتيجة واحدة، وهى أن المفهوم السائد عن الصحافة الإسلامية يضيق من دائرته إلى حد كبير، حتى ليحصره فى الشئون الأخروية ويكاد يقطع صلاته بما هو دنيوى .

٢ - أزمة الحرية فى العالم الإسلامى تمثل مشكلة أخرى، حيث تعانى الصحافة الإسلامية صنوفا متعددة من التسلط، الذى يتم باسم الأنظمة حينا، وباسم الحركة الإسلامية فى حين آخر. وفى الحالتين فإن الرأى الآخر عادة ما يغيب عن الصحافة الإسلامية. ومن ثم فإنها تصبح منبرا للتبشير وليس ساحة للحوار .

فهناك أنظمة تمنع الصحافة الإسلامية من الأساس. وأخرى تضيق عليها وتخضعها لرقابة مشددة حتى تحاصرها فى المجرى الضيق الذى أشرنا إليه توا، وإلا فالمصادرة مصيرها (تجربة صحيفة " الفجر " فى تونس نموذج لذلك) .. وفى كل الأحوال فموقف الأنظمة ليس مستغربا كثيرا . إنما المستغرب حقا هو ما تمارسه بعض الجماعات والحركات الإسلامية من تسلط قد لا يختلف كثيرا فى جوهره عن تسلط الحكومات، حيث يصادر الحوار فى الصحافة الإسلامية لصالح ما يسمى " بالخط " الفكرى أو السياسى للجماعة. الأمر الذى يعنى أن أزمة الحروب متجذرة فى الواقع ، وأن آثارها شاملة للجميع، سواء النخب القابضة على السلطة أو تلك المعارضة لها .

خطورة هذه الظاهرة فى الحالة الإسلامية أنها تعكس نموذجا للانفصال بين حقيقة الرسالة وبين واقع الذين يبشرون بها، الأمر الذى يشوه موقف الإسلام ويسىء إليه من ناحية. ثم إنه يشيع مناخا غير صحى بين المتلقين من ناحية ثانية. حيث يستقبل أولئك المتلقون

خطابا واحدا يتعاملون معه على قاعدة الامتثال وليس على قاعدة التفاعل والحوار .

٣ - نتيجة للإلتزام الرسالى المفترض فى الصحافة الإسلامية فإنها ما زالت تعنى بالرأى والمقال بأكثر من عنايتها بالخبر . وهى فى ذلك تعتمد الخطاب التبشيرى المباشر الذى لا يعترف بفنون التوصيل فى العمل الصحفى. وأكاد أقول إن لغة الصحافة الإسلامية لا تميز كثيرا بين الخطابة والكتابة. فأنت ترى أكثر ما ينشر فى تلك الصحف وكأنه نسخ فى الخطب والمواعظ التى تلقى فى المناسبات المختلفة . ولا بأس فى التبشير ولا غضاضة فى الإلتزام بطبيعة الحال، لكن المشكلة تنشأ فى كيفية التعبير عن هذا الموقف أو ذاك. وهل يكون ذلك من خلال الخطاب الدعائى المباشر، أم من خلال الأساليب والفنون المعتمدة فى العمل الصحفى . يستصحب ذلك خلل فى معايير التقييم، بمقتضاه تصير الأولوية فى عرض مواد الصحافة الإسلامية للقيادات الإسلامية دائما . فكلام المسئول فى الحركة الإسلامية مثلا هو أهم كلام فى المجلة أو الصحيفة بحكم الموقع التنظيمى، وهو الذى يتصدر خطاب الصحيفة فى كل الأحوال .

وفى أحيان أخرى كثيرة فإن الصحافة الإسلامية تنشر مواد وتبرزها لمجرد أنها صادرة عن رموز بارزة فى الحركة، حتى ولو كانت تلك الرموز لا علاقة لها بمهنة الصحافة أو الكتابة عموما، وحتى إذا كان ما يصدر عنها لا يهم القارئ المصرى فى شئ . وهو المستهلك الأساسى لتلك السلعة .

ومن الزاوية المهنية، فإن المرء يتساءل لماذا يكون مسئول الحركة أو الجماعة الإسلامية هو مسئول التحرير، ولماذا يكون الموجه فى الحركة هو الكاتب الأول فى صحيفتها .

ونحن نقبل أن يقع ذلك كله بطبيعة الحال، بشرط واحد هو أن يتم فى إطار نشرات الدعوة والتبشير التى لا علاقة لها بمهنة الصحافة. ولأن ذلك هو الطابع الغالب فإننا نكاد نقول بأن ما يسمى بالصحافة الإسلامية هو فى حقيقة الأمر نوع من النشرات الدعائية والتبشيرية التى يصعب انتسابها إلى الصحافة كمهنة لها قواعد وأصول، ولها أساليبها وفنونها المتعددة. من هذه الزاوية فإن التعريف المتداول للصحافة، باعتبارها أداة للأخبار والترويج والتثقيف، لا ينطبق على الصحافة الإسلامية التى تعنى بالتثقيف والدعوة فقط، وتتراجع عنايتها للأخبار أو الترويج .

٤ - ينبغى أن نعترف أيضا بأن الصحافة الإسلامية تواجه أزمة فى الكوادر. وأن أحد الأسباب التى أسهمت بشكل حاد فى خلق هذه الأزمة أن الإسلاميين لم يعنوا كثيرا فى الماضى بالتواصل مع الجماهير من خلال فنون الاتصال الحديثة من صحافة وإذاعة وتليفزيون

وسينما وما إلى ذلك، وإنما كانت عنايتهم منصبة بقدر أكبر على الأسلوب التقليدى فى الدعوة، وهو التبشير الفردى والخطابى .

يتصل بذلك أن التضييق على الإسلاميين الحاصل فى كثير من بلدان العالم الإسلامى أغلق فى وجوههم أبواب العمل فى مجالات الاتصال مع الجماهير، فى حين فتحت لغيرهم على مصارعها. وكان من نتيجة ذلك أن احتلت النخب المختلفة، الليبرالية والعلمانية والاشتراكية وغيرها مواقع التوجيه والتأثير فى الرأى العام، فى حين حرم الإسلاميون من ذلك. وتجلى ذلك على نحو أخص فى مرحلة المد القومى والاشتراكى بالعالم العربى ، التى سادت فيما بين الخمسينات والسبعينات، واستصحب إبعادا للإسلاميين عن مختلف ساحات الخطاب العام .

أيا كان السبب فالنتيجة أن المد الإسلامى صار يواجه الآن أزمة عميقة فى الكوادر الصحفية، بل فى الكوادر المدربة على مختلف فنون الاتصال مع الجماهير، الأمر الذى أدى إلى غيبة الطرف الإسلامى عن تلك المجالات، وهيمنة غيرهم عليها، ممن استخدموها كسلاح ضدهم فى أغلب الأحوال .

هنا تجدر الإشارة أيضا إلى أن النظرة السلبية فى الواقع الإسلامى تجاه الفنون كان لها تأثيرها على إحجام الإسلاميين عن الانتفاع بفنون الاتصال الأخرى مثل السينما والتليفزيون، ومن ثم أدى ذلك إلى غيابهم تماما عن هذين المجالين . وربما كانت لإيران تجربة مختلفة فى ذلك بعد الثورة الإسلامية، لكنها تظل استثناء على الحالة الإسلامية العامة .

٥ - تعانى الصحافة الإسلامية أيضا من مشكلة المعلومات، النابعة أساسا من هيمنة وكالات الأنباء العالمية على المعلومات التى تبث إلى مختلف أنحاء العالم، حتى أن الدراسات أشارت إلى أن ٩٠ ٪ من المعلومات والأخبار التى تنشرها صحف العالم الثالث مصدرها ومحورها هو تلك الوكالات الغربية .

على صعيد آخر فإن العالم الإسلامى يفتقد إلى وكالة أنباء أو أى شكل من أشكال شبكات الاتصال، التى تغطى أخباره. ولم ينجح حتى الآن مشروع وكالة الأنباء الإسلامية التى سعت منظمة المؤتمر الإسلامى إلى إنشائها .

كانت النتيجة أننا أصبحنا نتابع أخبار العالم الإسلامى فى الأغلب الأعم، إما من خلال القراءة الغربية لها، التى لابد أن تعنى بأمور وتتجاهل أمورا أخرى كثيرة، فضلا عن أنها قد تشوه الصور المنقولة عن الواقع الإسلامى كما كان يحدث مع إيران من قبل ومع الجزائر أخيرا .

و إما أن تتم تلك المتابعة بالصدفة البحتة. عبر الروايات الشفهية أو المشاهدات غير المرئية وفى ظل وضع كهذا فإن الصحافة الإسلامية تصبح فى حالة عجز عن تغطية أخبار العالم الإسلامى والقيام بأى دور فى التواصل بين الأمة الواحدة. ويقتضينا الإنصاف هنا أن نشير إلى دور تؤديه صحيفة " المسلمون " فى التغطية الإخبارية للعالم الإسلامى، يبدو مميزا فى الفراغ الراهن .

٦ – تعانى الصحافة الإسلامية فضلا عما سبق، من مشكلة الموارد المالية. فلأنها صناعة مكلفة للغاية ، فإن دخول سوقها يتطلب جهدا معتبرا من القدرة، أحسبه يتجاوز بكثير ما هو متوفر فى العادة للحركات الإسلامية. ومن ثم فإن تلك الصحافة ينبغى أن تعتمد على مصدر تمويلى، إن كان دولا فذلك يعنى فرض قيد على حرية وأداء المطبوعة الصحفية. وإن كان ممولين كبارا أشخاصا كانوا أو مؤسسات، فإن النتيجة لن تختلف كثيرا . وتزداد المشكلة تعقيدا إذا وضعنا فى الاعتبار شح الموارد الإعلانية التى هى عصب المشروعات الصحفية والممول الطبيعى لها، يستوى فى ذلك أن يكون الشح ناتجا عن إحجام المعلنين عن التعامل مع الصحافة الإسلامية، لسبب أو لآخر. أو أن يكون الإعراض عن الصحف الإسلامية ذاتها، التى لا تتحمس أحيانا لنشر إعلانات العطور وأدوات التجميل وشركات الدخان مثلا .

فى هذه الحالة، فالنتيجة أن المطبوعة الإسلامية تظل فى سمتها الغالب فقيرة الإمكانيات، الأمر الذى يؤثر على طباعتها ونوع الورق المستخدم فيها، فضلا عن أنه يؤثر أيضا على كفاءة الخدمة التى تؤديها ومحدودية الحركة التى تمارسها .

وبذلك يصبح " الفقر " هو الصفة الغالبة للصحف الإسلامية. الفقر فى الموارد، وفى المعلومات، وفى الكوادر، وفى عموم الوعى بالعمل الإسلامى ذاته .

٧ – التوزيع مشكلة أخرى تعانى منها الصحافة الإسلامية. وربما كان ذلك راجعا إلى محدودية قدرتها المالية بالدرجة الأولى . حيث صار شحن المطبوعات من بلد إلى بلد يمثل عبئا ماليا كبيرا لا تحتمله الحالة الإسلامية محدودة الموارد. وذلك يؤدى فى الأغلب إلى أن يصير خطاب الصحافة الإسلامية محدودة الأثر فى النطاق القطرى. ومن ثم فإن ذلك يؤثر على دائرة التلقى ويحدها فى ذلك النطاق .

يسهم فى محدودية التوزيع أيضا قيود الرقابة التى تفرضها أكثر الدول الإسلامية، خصوصا الدول المشتبكة مع الحالة الإسلامية، التى تمنع دخول كافة المطبوعات الإسلامية، كما هو الحال فى تونس مثلا .

وحتى لو ذللت كل تلك العقبات، حتى ما هو مالى منها، فثمة عقبة أخرى تبرز لتقيد من

نطاق توزيع الصحف الإسلامية، وهى عقبة اللغة. ذلك أن العالم الإسلامى تتعدد فيه اللغات بحيث صار متعذرا على أى مطبوعة إسلامية أن تحقق رواجا فى كافة أنحاء العالم الإسلامى .فالصحف العربية لايقرؤها من يتكلمون الفارسية أو الأردية، وهؤلاء وهؤلاء لا يستطيعون قراءة الصحف الصادرة باللغة الإنجليزية، المقروءة فى جنوب شرق آسيا والهند إضافة إلى الغرب .

ومن شأن ذلك كله أن تصبح الصحف الإسلامية محلية فى الأغلب، وغير قادرة على الوصول إلى قطاعات عريضة من المسلمين .

هذه بعض المشكلات التى أراها جديرة بالبحث، ولست أشك فى أن المناقشة يمكن أن تبرز أوجها أخرى لأزمة الصحافة الإسلامية. ويظل مهما فى نهاية المطاف أن ينتهى الحوار حول الموضوع إلى فهم عميق للمشكلة، وإلى بحث جاد فى محاولة حلها .

و على الله قصد السبيل

الصحافة الإسلامية
بين العمومية والتخصص

"تجارب من الواقع"

عبداللطيف فايد

رئيس القسم الدينى بجريدة الجمهورية

تقـــديم

يشرفنى أن أقدم هذا التصور المقرون بالتجربة من خلال اشتغالى بالإعلام الإسلامى إلى مؤسسة "اقرأ الخيرية" إدراكا منى لاهتمامها بكل ماهو إسلامى وبخاصة فى مجال الإعلام والنشر وخدمة الثقافة الإسلامية لدى المساحات العريضة من المسلمين فى دول كثيرة . راجيا من وراء ذلك أن يكون هذا التصور مصباحا فى طريقها يمكنها أن تمده بالطاقة لاستمرار الضوء وتيسير عمليات السير على الطريق .

والله ولى التوفيق.

عبداللطيف فايد

القاهرة فى رمضان ١٤١٢ هجرية

مارس ١٩٩٢ ميلادية

أولا - رؤية عامة :

على قدر النشاط الكبير للإعلام الإسلامى فى كافة الوسائل التى يفيد منها هذا الإعلام فإنه يعتبر فى محنة شديدة، وينبغى لكل مهتم بهذا النشاط أن يدرك تماما الأسلوب الصحيح لبلوغ هذا الإعلام أهدافه فى التربية والتقويم، وتوجيه النشاط فى كل الأجهزة والمؤسسات والنوادى والهيئات ومجتمعات المثقفين .

وقد يكون من توفيق الله سبحانه وتعالى أن نشاط الإعلام الإسلامى دخل فى كل الوسائل، ففى الصحف نرى صفحات دينية تصدر فى يوم الجمعة من كل أسبوع، وصفحات يومية تصدر فى شهر رمضان المبارك، وبعض الصحف تصدر ملاحق خاصة للثقافة الدينية، والتليفزيون له فى هذا مجال. والراديو كذلك، إلا أنه زاد على التليفزيون بأن خصصت الإذاعات بالراديو فى عدد من الدول محطات لإذاعة القرآن الكريم بدأت بها مصر فى الستينات، ثم تبعتها دول أخرى . وهذا إلى جانب صحف أسبوعية ومجلات شهرية تتخصص فى نشر الثقافة الإسلامية .

وإذا كان هذا يحدث فى الدول الإسلامية، فإن الجاليات الإسلامية فى الدول التى لايدين معظمها بالإسلام تعنى بإصدار صحف ومجلات ونشرات تعنى بالثقافة الدينية، بهدف ربط أعضائها بالمفاهيم الدينية الإسلامية فى مجتمعات يشيع فيها الانحلال، والحرية غير المسئولة، والثقافة المتنوعة التى تعتمد على حرية التفكير دون روابط وضوابط أخلاقية أو دينية .

الإعلام الإسلامى اتسع نشاطه كذلك ليدخل الجامعات . ونرى مثلا أن جامعة الأزهر وهى جامعة إسلامية قد أنشأت بها فى أواخر السبعينات قسما بكلية اللغة العربية للصحافة والإعلام، وكليات الإعلام فى الجامعات المدنية بمصر أدخلت فى مناهج الدراسة بها مادة الإعلام الإسلامى، وأصدر أساتذتها كتبا خاصة عن الإعلام الإسلامى ابتداء من جذوره التاريخية، وحتى رؤيته العامة لحركة المجتمع وجرت على هذا المنهج جامعات فى دول إسلامية كثيرة.

بل إن احتكاك الثقافات دعا عددا من الكتاب الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة ومتباينة أن يكتبوا فى الإعلام الإسلامى، وفى الإسلام ذاته آراء تنفى الرؤية الإسلامية للإعلام، وفتحوا بذلك مجالات للمناقشة فى التشريع، والإفتاء، ودروس التاريخ فى المسيرة الإسلامية .

وكان من المنطقى أن ينتج هذا أثره فى السلوك العام وفى تغيير مناهجه لدى المفكرين، لأن هذا النشاط الإعلامى الإسلامى لم يحدث بهذه الكثافة فى زمن من الأزمان، وربما كان لتطور وسائل الاتصال دخل فى هذه الكثافة، لكن الفضل الأول يعود إلى تمكن الروح الإسلامية من نفوس المسلمين، ودخول أعداد من الأشخاص ذوى الثقافة الإسلامية مهما يكن قدرها من العمق والإحاطة إلى العمل فى المجالات الإعلامية الإسلامية، فى الصحف والإذاعات المسموعة والمرئية.

هذا النشاط الواسع لو قارناه بنشاط ماقبل هذه الطفرة نرى أن أثر النشاط القليل قبل هذه الطفرة كان أكثر إيجابية مما نحن فيه الآن . حيث كانت الصحف حتى منتصف الستينات لاتخصص صفحات للثقافة الدينية يوم الجمعة من كل أسبوع، ولاتصدر ملاحق خاصة، وإنما كانت هذه الثقافة عبارة عن مقالات ينشرها فى الصحف والمجلات كبار المتخصصين فى المعرفة بالدين من علماء الأزهر وغيرهم، ومنهم من اشتغل بالأدب وأصدر المجلات الأدبية، لكن النبض الإسلامى فيها كان قويا وواضحا على الرغم من محدودية المنتفعين بها، ومنهم من اشتغل بالسياسة وأصدر مجلات سياسية لكن النبض الإسلامى كان قويا فيها، وبعيدا عن الإحصاء فإننا نذكر فى هذا المجال مجلات " العروة الوثقى، ومنبر الشرق، والرسالة " .

كان من الممكن أن تكون الطفرة الجديدة ذات أثر أقوى مما هو الآن لو كانت أجهزة الإعلام قد اتخذت الإسلام منطلقا لها فى كافة ألوان نشاطها، ولو أقبل المثقفون الإسلاميون الذين يتخرجون فى الجامعات على العمل فى كل مجالات الأنشطة الإعلامية، ولقد كان من الخطأ الكبير قصر العمل لهؤلاء على مايسمى بالأقسام الدينية فى أجهزة الإعلام، فهذا من شأنه إبعاد التأثير الإسلامى فى بقية الأنشطة مثل الرياضة، والفن، والاقتصاد، والسياسة، وغيرها . لأن مهمة الإعلامى الإسلامى أن يبث روحه فى هذه الأنشطة ليكون لها من الإسلام نصيب، فتؤدى بذلك أثرا إيجابيا إسلاميا فى حركة الحياة، حتى لاتكون الرياضة تهريجا، والفن إباحية، والاقتصاد نظريات باطلة، والسياسة مصانعة بعيدة عن الهدف المطلوب فى البناء الإنسانى الحضارى .

مثلا نحن نقرأ فى الصفحات الدينية وبخاصة فى شهر رمضان المبارك مواد كثيرة منها مايتعلق بالسياسة، ومنها مايتعلق بالاقتصاد، ومنها مايتعلق بالعلاقات الإسلامية، ومنها ما يتعلق بالأخلاق والاجتماع . وكل هذا حسن، ولكن الأحسن منه أن تكون هذه المواد منشورة فى الصفحات المعدة لهذه التخصصات، إذن لتحولت هذه الصفحات إلى إسلامية مع أنها صفحات فى الاقتصاد والسياسة وغيرها .

سبب آخر يعوق عملية التنمية الإسلامية العامة يتعلق بثقافة الإعلامى المشتغل بالعمل الإسلامى فى أجهزة الإعلام، فالذى يتابع نشاطهم يرى أن الثقافة الأصيلة غير واضحة فى إنتاجهم، لأنهم ينقلون عن الآخرين ولاينتجون من ذات عقولهم، والدليل على ذلك أننا نرى أحاديث صحفية يجرونها مع شخصيات مختلفة بعضها لايتفق مع الإسلام، وكذلك فتاوى تتعارض مع المنطق الإسلامى، لأن الاجتهاد فيها لاتتوفر أسبابه، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها ماهو خاص بالمعاملات المصرفية وتحديد أوائل الشهور القمرية، وبخاصة شهر رمضان، وشهر

شوال . والإعلامى الإسلامى يجب أن يكون رقيبا على ذلك كله ليقدم للناس المعلومات والأحكام الصحيحة، ويحجب ماعداها؛ لأن نشر المخالفات يؤدى بالناس إلى الفتنة فى الدين، وهذا يحدث بلبة شديدة لايعرف الناس معها الأحكام الصحيحة من غيرها . فلو كان الإعلامى الإسلامى عارفا بالقرآن والسنة والفقه والتاريخ الإسلامى وعقائد الدين لاستطاع أن يؤدى دورا مهما فى تنقية المواد الإسلامية التى يقدمها للناس أو يناقشها فى حينها من خلال حديثه الصحفى أو التحقيق الذى يقوم به أو تقديم الفتوى للناس فى أمر من أمور دينهم .

هذا الجانب الثقافى للإعلامى الإسلامى يجب أن ترعاه منظمات ذات علاقة بالإعلام مثل الاتحادات والنقابات واللجان داخل المؤسسات الإعلامية . وهنا يجب التنبيه إلى أهمية تكوين اتحاد للإعلاميين الإسلاميين لايقصر نشاطه على الحفاظ على حقوقهم المادية، وإنما يضيف إلى ذلك رعاية ثقافتهم، وتنميتها، وتوجيههم إلى خوض كل المجالات فى العمل الإعلامى؛ لتتحول هذه المجالات إلى دوائر للنشاط الإعلامى الإسلامى يكمل بعضها بعضا . كذلك لابد أن يكون للإعلامى الإسلامى حافز من داخله لتنمية ثقافته فى مجالات كثيرة يؤهله لاستمرار القراءة ومتابعة الأحداث ليكون إصداره عنهما إصدارا يتطور بالقدر الواجب الذى يؤدى إلى الإقناع، ولايكون مجرد ناقل عن الآخرين مكتفيا بعرض آرائهم، أو بالوقوف محايدا تجاه الآراء المختلفة. وهذا خطأ كبير فى نشر الثقافة الإسلامية عن طريق أجهزة الإعلام .

صحيح أن عددا كبيرا من المثقفين الإسلاميين شغلوا مناصب قيادية فى أجهزة الإعلام بالصحف والمجلات والإذاعتين المسموعة والمرئية تجاوزت الأقسام الصغيرة إلى المسئوليات العامة والكبرى ومنهم خريجو كليات جامعة الأزهر وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وغيرهم من الكليات الأخرى الذين بنوا بأنفسهم ثقافاتهم الإسلامية، لكن أثرهم كان محدودا فى عملية البعث الإسلامى فى التفكير العام عن طريق أجهزة الإعلام . ومن مظاهر هذه المحدودية أننا نعيش عصرا يسمى بعصر اليقظة الإسلامية سواء داخل كل دولة ترتدى الرداء الإسلامى أو عدة دول يزداد فيها نشاط الأحزاب والجماعات الإسلامية . وفى رأيى أن الإعلاميين الإسلاميين قد فاتهم أو فات الكثيرين أن يكون لهم نصيب ملحوظ فى الحكم على هذه اليقظة فى أماكنها أو فى تعاونها ورباطها العام . ومثل هذا النصيب يؤدى دورا فى توجيه الحركة الإسلامية العامة، وحمايتها من الانتكاسات، والعدوان عليها من القوى غير الإسلامية. والأمثلة فى ذلك كله كثيرة ومتعددة أتجاوز الآن عن ذكرها سواء فيمن يشغلون مناصب إعلامية مهمة فى المسئوليات الإعلامية، أو فى الدول التى حفلت باليقظة الإسلامية لأن فيها وضوحا على الرغم من اختلاف الآراء حولها، وذلك ابتداء من الثورة الإسلامية فى إيران، إلى الأمر الذى آلت إليه جبهة الإنقاذ الإسلامى فى الجزائر .

والإعلام يؤدى دورا كبيرا فى توجيه الأحداث وفى تمهيد الأرض لما يقبل منها، من ذلك مثلا ماقامت به الهند قبل حربها مع باكستان لصالح انفصال البنغال "بنجلاديش" عن الدولة الإسلامية الأم، وماقامت وتقوم به إسرائيل ضد المسلمين بعامة وضد العرب منهم بخاصة لتمهيد الرأى العالمى للوقوف معها فى العدوان عليهم . وإذا مضينا فى إحصاء الأمثلة فإننا نخوض بحرا تتلاطم أمواج النفعية فيه، أو نسير فى طريق ملئ بالأشواك؛ نظرا للفرقة التى تسيطر على حكومات الدول الإسلامية، ثم لأننا نتحدث حديثا عاما، ولسنا بصدد بحث علمى مجرد يحصى ويقارن ويصدر الأحكام. ولأننا بصدد توجيه إلى عمل إسلامى فى أجهزة الإعلام .

ثانيا - تجربتان وتوضيح :

فى ضوء هذه الرؤية العامة للنشاط الإعلامى الإسلامى فإن لكاتب هذه السطور تجربتين ينبغى له أن يعرض لهما بالتوضيح بعد هذه الرؤية . إحدى التجربتين فى " جريدة الجمهورية "، وهى جريدة قومية، بجمهورية مصرالعربية، والأخرى فى مجلة " منبر الإسلام " التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية . والتجربتان إذا كانتا تسيران معا فى وقت واحد لأكثر من ثلاث سنوات إلا أن لكل منهما مايميزها طبقا لاختلاف تقديم العمل الصحفى فى الصحيفة اليومية عنه فى المجلة الشهرية . وإذا كانت التجربتان تسيران فى خطين متوازيين إلا أن هدفهما مشترك ليس من ناحية أن الذى يتولى المسئولية الأولى فيهما شخص واحد، وإنما لأن أساس هذا الهدف والعمل للوصول إليه يعتمدان على اليقين الإسلامى الصحيح بعيدا عن المؤثرات السياسية والاجتماعية والانحرافات عن الطريق السليم . وبعيدا أيضا عن الخضوع لها إذا كانت لاترتدى الرداء الإسلامى الصحيح، وبعيدا أيضا عن الانبهار بما يشبه الإجماع الإعلامى نحو بعض الفتاوى التى تخرج على القواعد الإسلامية العامة بحجة التجديد ومواكبة التطور .لأن أى تجديد أو تطوير لابد أن يستند إلى القواعد العامة ويرتبط بها، فأى تجديد لابد أن يسير داخل الدائرة الإسلامية ولايخرج عليها . وأى جديد يظهر فى العلاقات والمعاملات وكان يتنافى مع القواعد الإسلامية فهو مردود على القائلين به . ولنضرب لذلك مثلا :

يقال فيما يقال من التجديد والتيسير على الناس أن الفوائد فى المعاملات المصرفية حلال وليست من الربا، ويستند أصحاب هذا الرأى إلى أنها جديد فى المعاملات ولم تكن موجودة يوم نزول التشريع بحرمة الربا، وأن مصالح تقتضى ذلك لأنها طريقة عامة فى التعامل مع المصارف المحلية والعالمية .

يقولون ذلك ولا يدعون إلى قيام هذه المصارف بتعديل طريقتها فى المعاملات مع الناس، بما يتفق مع القواعد الإسلامية، فاستثمار المال بين طرفين يعتمد فى الإسلام على " المضاربة "،

والمضاربة باب من أبواب المعاملات فى الفقه الإسلامى، وليس عسيرا على المصارف أن تأخذ بنظام المضاربة فى معاملاتها مع ذوى العلاقة بها وتضع شروطا لاقتسام الأرباح . وإذا كانت المضاربة تجعل من صاحب المال خاضعا للمكسب والخسارة فإنه قد يحصل من المكسب مايغطى أية خسارة، وبهذا يستوى أو يزيد العائد الذى يحصل عليه عن الفوائد الربوية المنسوبة إلى رأس المال، وليس إلى الربح كما هو فى المضاربة، وإذا كانوا يقولون بأن الفوائد المضمونة هى المنسوبة إلى رأس المال والتى يضمنها المصرف، فإنهم بذلك يعرضون المصارف وحدها لتحمل الخسارة إذا وجدت، ويبيحون لها أن تنفرد بتقدير نسبة صاحب المال فى فائدة المال الذى يستثمر سواء فى الأعمال التجارية والصناعية والإقراض نظير فائدة محظورة فى الإسلام . وإذا كانوا يرون أن هذا يشجع المدخرين على استثمار أموالهم لدى المصارف بهذه الطريقة فإن الهدف إذن هو سحب المدخرات من المدخرين لتحريكها بأى طريقة، وليس باستثمارها إسلاميا، مما يجعل صاحب المال واقعا بالنسبة لربح ماله فى دائرة محدودة لايتجاوزها بينما تظفر المصارف بأعلى قدر من الأرباح، وهى تغدق من هذه الأرباح على جهازها الوظيفى دون تحريك النسبة المخصصة لصاحب المال، مع أن جهازها الوظيفى أغلبه جهاز محاسبى وليس جهازا استثماريا .

ولست هنا بصدد مناقشة هذه القضية لأن جانب البطلان فيها واضح، ولكن لأقول : إن بعض الصفحات الدينية تحمست تحت إغراءات الانتشار لهذه القضية، وعرضتها على الناس داخل إطارات براقة، ولم تناقشها هذه الصفحات من داخلها، بل ضيقت على من أراد مناقشتها من العلماء العارفين بالإسلام واستثمار المال معا . والذى أريد أن أقوله إن الصفحة الدينية فى جريدة الجمهورية لم تشارك فى هذا المهرجان المفتعل، وإنما ابتعدت عنه، ولأن القضية الإعلامية فى هذا الشأن ليست قضيتها فإنها عمدت إلى بيان الحكم الإسلامى شارحة معنى المضاربة الإسلامية وأهدافها وأنها فى ظل الحسابات والتقديرات الدقيقة يمكنها أن تتجنب الخسارة المحتملة، وأن ترتفع أرباحها لتعود على الطرفين بمزيد من المال عن النسبة المحددة فى المعاملات المصرفية . كذلك كان هذا الموقف هو موقف مجلة " منبر الإسلام " التى دخلت المجال الصحفى بكل ألوانه الفنية مرتبطة بهدفها الإسلامى .

ثالثا - فى جريدة الجمهورية

والتجربة فى جريدة الجمهورية وهى تقترب فى عمرها من العشرين عاما قامت بعمليات كثيرة فى عالم التنوير الإسلامى ونشر الثقافة الإسلامية مع التمكين لها من عقول قرائها الذين اتسعت دائرتهم معها .

ومن أول مايجب الإشارة إليه فى هذا السبيل أنها استقطبت القارئ إليها عن طريق الوفاء باحتياجاته فى الثقافة الدينية، فاهتمت برسائل القراء اهتماما كبيرا، وهذه الرسائل تحمل أسئلة القراء فى الأمور الدينية التى تعرض لهم، فكانت الصفحة الدينية تحسن تلقى هذه الرسائل وتجيب عنها بواسطة المتخصصين الموثوق بعلمهم من أهل الفتوى. وفى مقدمة العلماء الذين أفادت بهم فى هذا السبيل أصحاب الفضيلة أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وقد كانت اللجنة تعقد اجتماعا أسبوعيا خاصا للإجابة عن أسئلة قراء جريدة الجمهورية، وإلى جانب ذلك كانت الصفحة الدينية تفيد من عدد غير قليل من العلماء الذين ترى فى علمهم تحقيقا ورؤية ذات جذور إسلامية ضاربة فى الأعماق مما يكسب الفتوى احتراما لدى القارئ .

وزيادة فى الاهتمام برسائل القراء فإن نشاط خدمتها دينيا امتد إلى العدد الأسبوعى من الجريدة، حيث خصصت له فى بادئ الأمر أربعة أعمدة كاملة تحت عنوان : " لجنة الفتوى تقول لك "، ثم تغير العنوان إلى : " الدين يقول لك " وإذا كانت مساحة هذا الباب قد أخذت فى التناقص إلى ربع هذه المساحة فإن القيادة الصحيفة فى العدد الأسبوعى عادت تدرك أهمية هذه الرسائل فخصصت لها منذ فترة صفحة شهرية كاملة إلى جانب المساحة المحدودة من كل أسبوع .

وإذا كان هذا هو مظهر اهتمام العدد الأسبوعى برسائل القراء فإن اهتمامات العدد اليومى فى صفحته المتخصصة يوم الجمعة جعل فى أول الأمر الإجابات عن رسائل القراء هى الموضوع الرئيسى فى الصفحة، بعد أن كشفت هذه الرسائل عن الاهتمامات الدينية لدى القراء فى قضايا اجتماعية كثيرة بجانب السؤال عن العبادات والمعاملات . ومن تتبع هذه الصفحة للدراسة يجد فى هذا الباب أشياء كثيرة ذات بال، مما جعل الصفحة تعتز بها اعتزازا كبيرا .

كذلك ألقت الصفحة أضواء كثيرة على قرى المشاهير من العلماء، وعلى أشخاصهم، ونشاطهم العلمى . وكانت هذه حيلة جيدة لنشر المعلومات الدينية وجعلها داخل اهتمامات القراء من خلال المؤثرات العلمية الدينية على بيئاتهم . وهذا الأسلوب تطور الآن وللعام الثالث على التوالى إلى طرح سيرة وإنجازات عدد من العلماء التاريخيين الإسلاميين فى العلوم التجريبية التى سبقوا بها علماء الحضارة المادية فى أوربا الصناعية، وكشفت كذلك عن إفادة علماء أوربا بإنجازات علماء المسلمين فى هذه المجالات التى زادوا فيها بأن كانوا علماء تجريبيين انطلاقا من علمهم بالإسلام عقيدة وشريعة، وأنه دين يدفع إلى العمل والإنتاج والابتكار مع الالتزام بقواعده فى أن يكون الإبداع العلمى فى خدمة الإنسان وليس للعدوان عليه .

نزلت الصفحة الدينية بجريدة الجمهورية إلى مجتمعات المثقفين فتابعت ندواتهم وعرضتها

وألقت الضوء عليها وبخاصة فى جوانبها الإسلامية، كذلك تابعت الصفحة النشاط الإسلامى فى الجامعات بعامة وفى جامعة الأزهر بخاصة من خلال رسائل الدراسات العليا، فعرضت أفكارها ومناقشاتها وماتوصلت إليه من جديد فى البحث العلمى . وأفادت فى ذلك بالصورة والإخراج الفنى المتطور مما تعتبر سابقة به وليست مسبوقة .

وإذا كنا نتحدث عن مجالات الثقافة الإسلامية التى ارتادتها صحيفة الجمهورية وسبقت بها فإنها اهتمت كذلك برعاية الجذور البشرية الإسلامية لها، وكذلك بالأغصان والأوراق سعيا إلى ثمار جيدة . فقد تعرض التعليم الأزهرى إلى محنة قاسية منذ صدور القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ والمسمى بقانون تطوير الأزهر، وظهرت هذه المحنة مع مرور السنوات، فما كاد يأتى عام ١٩٧٥ إلا وقد أوشك الأزهر أن يفرغ من مضامينه التى عاش عليها نحو ألف عام . تيقظت الصفحة الدينية لجريدة الجمهورية لمصير التعليم فى الأزهر الذى يغذى جميع أنحاء العالم الإسلامى بالعلماء فى التعليم والدعوة، ويستقدم أعدادا كبيرة من أبناء هذا العالم للتعلم فيه ليعودوا إلى أوطانهم الصغرى ينشرون الإسلام فيها . وانفردت الجمهورية بحملة توجيهية لنقد واقع التعليم بالأزهر وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وقد ساهم عدد من علماء الأزهر نفسه معنا فى هذه الحملة بعد أن عجزت جهودهم عن الإصلاح داخل جدران هذا المعهد العتيق . وصحيح أن الحملة طال زمنها لأنها استغرقت عدة سنوات، لكنها نجحت فى النهاية، وقد بدت ثمارها تظهر الآن حيث اقتصر التدرج فى سلم التعليم بالأزهر على من يلتحقون به من أول السلم، مع رعاية حفظ القرآن الكريم وإعطاء علومه الأهمية الدراسية الواجبة . ومن يرجع إلى أعمال الصفحة فى هذا المجال يجد أشياء جديرة بالدراسة، فقد كانت هذه الأعمال موضوعاً من موضوعات الاهتمام فى المحافل التعليمية، وتجاوزت حدود مصر إلى غيرها من دول الوطن الإسلامى .

فى مجال الثقافة الإسلامية لم تنس الصفحة الدينية فى جريدة الجمهورية الكتاب الإسلامى، فأنشأت بابا جديدا له يحمل اسم " قراءة فى كتاب " تعرض فيه للجديد والقديم فى حركة الفكر الإسلامى، وقد كان هذا الكتاب بعيدا عن حركةالنقد، حيث أن المفكرين من نقاد الكتاب بعيدون عن التعرض للكتاب الإسلامى، إما لقصور ثقافتهم الإسلامية عن الخوض فى هذا المجال، وإما لأن اتجاهاتهم الفكرية تنحو نحو مدارس الغرب العلمانية فى عزل الدين عن الحياة . وقد كان هذا الباب ضروريا فى المواد الصحفية الإسلامية، وبخاصة وأنه يواكب حركة النمو الإسلامى فى ميدان الثقافة التى يشهد لها الآن المتخصصون فى نشر الكتاب حيث دلت إحصاءاتهم على أن الكتاب الإسلامى هو أكثر نوعيات الكتب توزيعا . وهذا التعطش للكتاب الإسلامى ينبغى أن تصاحبه عمليات نقد بناءه تزيد عوده صلابة وأوراقه خضرة وأغصانه ثمارا .

وإذا كانت الصفحة الدينية هى السابقة إلى هذا فإنها لاتزال هى الوحيدة فى هذا الميدان تقريبا .

وإذا كانت القضايا التى عرضت لها الصفحة الدينية فى جريدة الجمهورية كثيرة وهى تقدم اجتهاداتها فى وضع لبنات ضرورية فى بناء الإعلام الإسلامى، وكثرة هذه القضايا لا يتسع هذا المجال لإحصائها؛ فإننا يجب ألا يغيب عنا ونحن نقدم هذه الأمثلة القليلة رعاية الصفحة لقضية تطبيق الشريعة . هذه القضية التى أصبحت الشغل الشاغل للمسلمين فى شتى أوطانهم وأقاليمهم، ويرتبط بها تقدمهم وازدهارهم؛ حيث ينطق التاريخ بذلك فى العصور الإسلامية المزدهرة .

هذه القضية ظهرت بعد أن حمل الاستعمار عصاه ورحل عن دول العالم الإسلامى، لكنه ترك أصابعه داخل هذه الدول تلعب لعبته فى توجيه التعليم والثقافة والاقتصاد والتنمية، وهى أهم عناصر الوجه الاجتماعى لأية دولة من الدول، وكان ذلك لإبعاد المسلمين عن شريعتهم حيث يعمل تطبيقها على التمكين للإنسان من حريته وتمتعه بكل حقوقه بعيدا عن مناطق النفوذ والتكتلات الاقتصادية والسياسية التى تهدف إلى حرب الإسلام بالذات؛ لأنه من حيث هو دين ينظم السلوك فى الحياة انطلاقا من عقيدته، ويقف فى وجه كل الأطماع غير المشروعة فردية كانت أو جماعية.

والشريعة الإسلامية تواجه الدعوة إلى تطبيقها جبهتان، إحداهما : هذه الجبهة الاستعمارية من غير المسلمين وجبهة أخرى من المسلمين أنفسهم الذين صنعهم الاستعمار على يديه فى مدارسه الفكرية والتعليمية، وبخاصة وأن المجتمع الإسلامى يعانى الآن من نقص فى المواد الغذائية نتيجة ماعوده عليه الاستعمار من الخوف والقصور عن ارتياد المجالات الرحبة فى الإنتاج الغذائى، وأصبحت الدول الاستعمارية هى المورد الذى يأخذ منه هذا العالم الإسلامى احتياجاته الغذائية سواء عن طريق الشراء أو المعونات، ولايخفى أن من شروط الاستعمار فى ذلك بُعْدَ الدول الإسلامية المحتاجة إلى غذائها من الدول الاستعمارية عن تطبيق الشريعة، والاكتفاء من الشخصية الإسلامية باللافتات فقط التى لا تلبث الأحبار التى كتبت بها شعاراتها أن تذهب ألوانها بالعوامل المختلفة، ومن هنا تضيع الشريعة ضياعا كاملا من أيدى أصحابها بعد ضياعها من قلوبهم وعقولهم .

خوف الجبهات الاستعمارية من الشريعة الإسلامية أنها نظام حياة كامل، لأنها باختصار شديد تصنع للإنسانية قواعد نشاطها انطلاقا من العبادات حيث تعتمد هذه العبادات على الصلة بالله والاتجاه إليه فى سائر ألوان النشاط الإنسانى، وهذا يعطى ألوان النشاط سمة البناء البعيد عن استغلال الإنسان للإنسان، ثم هى بعد ذلك تضع قواعد المعاملات الإسلامية والنشاط

الزراعى والصناعى والتجارى، حتى أننا نجد فيها قواعد لبيع الثمار وهى على أشجارها، وقواعد لرى الأراضى، وأولويات الناس فى التمتع بحقوقهم فى المياه الجارية . كذلك تضع قواعد العلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية ووسائل حل المنازعات بين الأفراد والدول، وتجعل للتحكيم الدور الأول عند اشتداد الخلاف بين أطراف النزاع، فإذا كان لابد من حمل السلاح والحرب فهى تفتح الطريق إلى السلام حتى مع صوت السلاح واشتعال النيران .

شريعة بهذا الشأن لابد أن يحاربها الاستعمار لأنها تقف فى وجه أطماعه، وهى تحتاج إلى عمل إعلامى كبير، لكن روافد هذا العمل الإعلامى الكبير ضرورية فى صياغة النشاط العام ولقد قامت الصفحة الدينية بجريدة الجمهورية بواجبها المتميز فى هذا السبيل، وأعانها على أدائه الفهم الواسع لأهداف الشريعة ومقاصدها، ولم يقتصر عملها فى هذا السبيل على مجرد الدعوة، وإنما استندت الدعوة إلى بيان مكونات هذه الشريعة ومقاصدها وأهدافها، وكان لها فى ذلك أعمال صحفية من التحقيق والحديث والمقال، ومتابعة الندوات والرسائل الجامعية، وعرض الجهود التاريخية، والمقارنات بين الحاضر والماضى، ثم استشراف المستقبل، كذلك تابعت عمليات تقنين الشريعة وكشفت مايراد بها من بعد عن الفقه الإسلامى هذا العملاق الأعظم فى بناء الحياة .

وهذا واجب إعلامى إسلامى يجب أن يكون محل عناية أفراده وجماعاته ووسائله.

رابعا - فى مجلة منبر الإسلام

وإذا كانت هذه بعض الخطوط العريضة لممارسة الإعلام الإسلامى من واقع مسئوليتنا فى جريدة الجمهورية، فإن حديثنا يجب أن يمتد إلى تجربتنا الثانية فى مجلة " منبر الإسلام " .

ينبغى لنا فى البداية أن نعلم أن واقع المجلات الإسلامية المتخصصة وميلها إلى الشكل القديم بقصرها على اتخاذ الأبحاث أساسا لها يجعلها معزولة عن الحركة الاجتماعية العامة للمسلمين، وهى فى هذه الحالة تكون أقرب إلى الحوليات ومجلات الجامعات والهيئات العلمية، وتكون مهمتها تزويد النخبة بدراسات وأبحاث أكاديمية، فى حين أن المجلات الإسلامية جزء من أجهزة الدعوة الإسلامية فى الدول المختلفة أو هكذا يجب أن تكون، ومن ثم فالواجب عليها أن تعمل لتقديم الإسلام إلى القارئ المتوسط والبسيط الذى يريد معرفة دينه من طريق قريب إلى عقله، وجعل تفكيره يدرك من خلال المادة التى تقدم إليه كيف أن الإسلام عقيدة وحركة اجتماعية معا . ومن هنا يجب أن تنزل إليه لترتفع به إلى تنمية ثقافته الإسلامية، وتجديد عقليته . وهذا يجعل المجلات الإسلامية أكثر انتشارا وحيوية وبعدا عن الشكل التقليدى الذى يجعلها كتابا متعدد المقالات . كذلك يجب أن تلبى احتياجات القارئ الثقافية فى الدين والأخلاق والعمل الاجتماعى .

ولقد كان هذا هو هدفنا منذ بداية تحملنا لمسئولية مجلة " منبر الإسلام " فانتقلت إلى الجديد فى الشكل وفى الموضوع، حتى أصبحت بعون الله جديرة بأن تكون نموذجا للمجلة الإسلامية مما جعل الصحف المحلية فى مصر والصحف خارجها تشيد بها، فتأخذ عنها، وتنقل عنها . بل إن هذا التطوير لفت أنظار بعض الهيئات العلمية فى الدول غير الإسلامية فأوردت تقييما لها فى دوائر المعارف التى تصدرها، وفى علمنا من ذلك حتى الآن دائرة المعارف التى تصدرها جامعة "فرجينيا" . وهذا يجعل المسئولية فى العمل الصحفى بمجلة "منبر الإسلام" أكثر أهمية، ويلقى على العمل بها أعباء جديدة حتى تظل على هذا المستوى الذى يتطور فى كل يوم . وهذا من غير شك نتاج تحميل المسئولية الأولى لصحفى متخصص له اتجاهه الإسلامى فى التفكير المعتمد على قاعدة ثقافية إسلامية تستطيع أن تؤدى واجبها فى هذا الميدان . وكلما كانت هذه القاعدة مرعية بها فى الزمان المستقبل فإن تطورها سيزداد حيوية وإشراقا . مع القدرة على إضافة الصحفيين المتخصصين إلى الجهاز التحريرى بها، وتوجيه الجهاز القديم إلى هذا الاتجاه، وكلما كان ممكنا له أن يتجاوب إلى القرب من العمل الصحفى فى مجالاته الإسلامية

وليس معنى ذلك أننا ضربنا صفحا عن الأبحاث العلمية وولينا ظهورنا لها، فقد واصلنا نشرها ولكن بأسلوب جديد يدركه القارئ المتوسط ومن هو دونه، ويشبع فى الوقت نفسه احتياجات القارئ المتخصص . ومما اتخذناه فى هذا السبيل تقديم تفسير القرآن الكريم طبقا للمنهج الموضوعى كالصدق فى القرآن، والأخلاق، والتنمية، والصبر، والعمل، والاستقامة، والتقوى، والتعاون، وغيرها، مما يجعل الناس من القراء قريبين من الهدف القرآنى فى تقديم حركة الحياة اعتقادا وسلوكا . وهذا يأتى من منطلق أن التفسير الموضوعى للقرآن الكريم هو المنهج السائد حديثا فى تقديم تفسير القرآن للناس، حتى أنه دخل إلى الدراسة فى الجامعات، وأن التفسير العام الذى يتناول القرآن من أوله إلى آخره يحتاج إلى النظرة والملكة التخصصية، ويعرض لقواعد اللغة وأساليبها، وقد يتضمن أشياء فى الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وغيرها، مما تبعد القارئ العادى عن الفهم المطلوب منه للقرآن، كذلك تعجزه عن المتابعة والربط بين ماسبق وماهو حالى واستشراف المستقبل .

كذلك جعلنا من أسلوبنا فى تقديم القرآن الكريم للقارئ العادى العناية بالتفسير التاريخى للقرآن الكريم، الذى يربط الآيات المتفرقة فى عدد من السور والتى تتحدث عن أمر واحد اتحدت شخصياته ومقاصده . ويكتبه متخصصون فى تاريخ الحضارة الإسلامية .

وفى تقديم السنة الشريفة إلى القراء كان من هدفنا أن تسير مع القرآن الكريم فى تقويم حركة المجتمع، فكان الاختيار للأحاديث التى تقدم شرحها للقراء تواكب هدفنا من تقديم القرآن

الكريم طبقا لمنهج التفسير الموضوعى، ومن يتابع هذين النشاطين فى مجلة منبر الإسلام يجد ماتَقَرُّ به عينه، ويملأ قلبه بالأمل .

وقد كان اهتمامنا واضحا بالقصة من خلال تقديم المفاهيم الإسلامية فى السلوك الاجتماعى، نعرض لها ونقيم حولها البناء الكبير اعتمادا على الشرح وبيان الأبعاد ودورها فى التربية الاجتماعية المعتمدة على الأسس الإسلامية من السيرة النبوية ومن تاريخ الصحابة والتابعين من الرجال والنساء .

والمجلة الإسلامية حين تصدر فى بلد من البلدان الإسلامية لايمكن لها أن تنفصل عن مجتمع هذا البلد وتعالج مشكلاته سواء كانت مقصورة عليه أو شائعة فى المجتمعات الإسلامية بمختلف البلدان . وفيما يختص بالمجتمع المصرى عالجت المجلة كثيرا من المشكلات الاجتماعية مثل الأخذ بالثأر الذى لاتزال له مظاهر فى صعيد مصر، والمخدرات وتهريبها إليه، وعلاقة العبادات وبخاصة عبادة الصوم فى الإقلال من الجرائم، والتسول، والتطرف، وعلاقتهما بالاستهلاك، والفتنة الطائفية، ومناقشة المفاهيم المغلوطة عن الدين والتدين فى أحاديث هذه الفتنة التى تؤكد المظاهر الاجتماعية أنها غير موجودة وإنما تحركها شخصيات لها أهداف غير مشروعة من إحداث القلق والقلاقل فى المجتمع المصرى، وغيرها وغيرها . وقد تناولنا ذلك من خلال التحقيق الصحفى .

وإذا كانت المشكلات المحلية هدفا فى العرض والعلاج فإن المشكلات العالمية ذات بال فى العمل الصحفى الإسلامى، ومن ذلك مثلا أخطار البث التليفزيونى المباشر، والقومية الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وقضايا الأقليات الإسلامية، والدور المأمول لمنظمة العواصم الإسلامية، ومنظمة المؤتمر الإسلامى، وقضية التربية الإسلامية، ومعالجة قضايا ومشكلات المجتمعات من خلال الأسلوب الإسلامى، والانتفاضة الفلسطينية فى الأرض المحتلة، ومحنة المسجد الأقصى من مؤامرات الصهيونية . وقضية قتل الصهيونى "كاهانا"، وقضية المسجد البابرى فى الهند والتآمر عليه لهدمه . وحركة الاضطهاد للمسلمين فى بلاد كثيرة مثل بلغاريا، واليونان، والفلبين . وغير ذلك كثير . وإذا كان ذلك يتم من خلال التحقيق والحديث والمتابعة الإخبارية فإننا استخدمنا الصورة فى هذا المجال، وجعلناها فى أحيان متعددة صورة الغلاف لجذب الأنظار إلى الحدث نفسه للإلمام به ليكون جزءا من الثقافة العامة للقارئ المسلم .

وبالمناسبة فإن صورة الغلاف عمل صحفى جديد فى مجلة منبر الإسلام، ونعنى بها الصورة المرتبطة بالحدث، قدمنا فى ذلك صور المؤتمرات الإسلامية العالمية من خلال متابعتنا لأعمالها، وصور مقاومة الاحتلال الصهيونى على أرض فلسطين، وصور اضطهاد المسلمين فى

بلغاريا واليونان، وصور النشاط الإسلامى فى اليونان، وصور الشخصيات الكبيرة التى تتحدث إلى قراء المجلة . ويسرنا أن نشير إلى أن أول صورة حركية تنشر على غلاف المجلة كانت صورة أسرة تتكون من الأب والأم وأربعة أبناء نصفهم من الذكور ونصفهم من الإناث يحفظون جميعا القرآن الكريم، ونالوا جوائز من الرئيس محمد حسنى مبارك فى احتفال مصر بليلة القدر عام ١٤٠٩هـ والصورة تزين غلاف عدد شهر شوال من العام نفسه .

وإذا كان القارئ هو هدفنا لفتح وجدانه على كنوز المعرفة الإسلامية وتنمية ثقافته فى حماية عقله من آثار التيارات المعاكسة للثقافة الإسلامية ومسيرة المجتمع الإسلامى، فإننا اهتممنا كثيرا برسائله من خلال بابين فى المجلة، أحدهما باب : "أنت تسأل والمفتى يجيب" والثانى باب "مع القراء" لأن رسائل القراء تعبر عن احتياجاتهم التى يجب الوفاء بها، ونستطيع أن نقول : إن باب "أنت تسأل والمفتى يجيب" استطاع أن يوفى كثيرا احتياجات القراء فى العبادات والمعاملات الإسلامية، وفى التفسير والحديث، حتى كشف فى النهاية عن رفاهية فى الأسئلة لدى كثير من القراء بعد أن وصلوا من إجابات المجلة فى المعرفة الإسلامية الضرورية إلى حالة التشبع . كذلك فإن باب "مع القراء" كشف عن مواهب كثيرة للقراء فى الكتابات الإسلامية، وهو يقدم لهم فى ذلك توجيهاته لتستقيم كتابتهم، وتنمو مواهبهم . وقد بلغ من اهتمامنا بهذين البابين أننا نخصص لهما مايزيد على خمسة وعشرين فى المائة من صفحات المجلة التى تبلغ "١٤٤ صفحة" فى أغلب أعدادها لتزيد فى أعداد قليلة لتلبية احتياجات فنية وعلمية وتاريخية فى العمل الإسلامى داخل المجلة .

ومن أجل تقديم خدمة متميزة للقراء فإننا انتقلنا فى الموضوعات التى ننشرها من مرحلة التلقى الكامل لمقالات وأبحاث الكتاب إلى مرحلة الاقتراح عليهم فى كتابة موضوعات معينة نرى ضرورة عرضها للقراء وملء الزوايا الفارغة فى حصيلتهم الثقافية الإسلامية .

وإذا كان تقديم الفهرس العام للمجلة الإسلامية فى نهاية كل سنة وفى عدد شهر ذى الحجة بالذات قد سبقتنا إليه مجلات أخرى، فإننا إذ نذكر لهم هذا السبق نذكر أيضا أننا أخذنا عنهم هذه الميزة، وأضفنا إلى فهرس الكتاب فيها فهرسا للقراء يذكر أسماءهم مع عناوين المادة التى نشرت خلال العام لكل منهم .

وكل هذا جعلنا نتجه فى تقديم المادة إلى الشكل المناسب، واستعنا فى ذلك بالإخراج الفنى المتخصص وقدمنا فيه جديدا فى الصحافة الإسلامية، واستخدمنا مع الصورة الرسم، والكاريكاتير، وتجديد شكل الغلاف مما جعل مجلة "منبر الإسلام" تحفة فنية من داخلها ومن خارجها .

ولست أدعى أن هذا جهد فرد واحد فيها، وإنما هو يعود إلى جهد واجتهاد مجموعة من المحررين والفنيين يتعاونون من أجل النهوض بها .

وليس معنى هذا أن مجلة "منبر الإسلام" قد بلغت حد الكمال الصحفى الإسلامى، أو أن العمل بها خال من المشكلات التى تعانى منها المجلات الإسلامية بوجه عام .

فالمجلات الإسلامية بصفة شاملة تصدرها حكومات أو هيئات إسلامية كجزء من نشاط الدعوة الإسلامية الذى تقوم به أجهزتها، فمثلا مجلة "منبر الإسلام" يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية . وحتى تؤدى رسالتها المنشودة لابد لها من دعم مالى يعينها حتى تكون بين يدى القارئ بسعر لايرهقه، وبالنسبة لمجلة "منبر الإسلام" فإن المجلس يدعم كل عدد فى مستوى التوزيع الحالى بستة أسباع تكاليفه ولايتحتمل القارئ إلا سُبْع التكاليف فقط . وهذا بالطبع ناتج عن عدم وجود الروافد المالية المتعددة التى تصب فى كل عمل صحفى مثل الإعلان، والمطبعة الخاصة، والتوزيع المتخصص، والأعمال التجارية الأخرى التى تلجأ إليها دور الصحف لتقدم إصداراتها إلى قرائها بسعر يناسب قدراتهم المالية ولايعجزهم عن المتابعة والإفادة .

كذلك فإن المجلات الإسلامية المتخصصة وهى تابعة لجهات حكومية تكون أجهزتها العاملة فيها من بين الموظفين الذين يتم اختيارهم من خريجى الجامعات الذين لم يمروا بالتدريب الصحفى فى المؤسسات الصحفية المتخصصة، وتحدث من وراء ذلك مشكلات بين هؤلاء عند الاستعانة بالمتخصصين من دور الصحف . وبينهم وبين الوافدين عليهم من هذه الدور . وإذا كانت هذه المشكلات وغيرها فى حاجة إلى دراسة وتشخيص فإن التصدى لها بالعلاج واجب وضرورة لاستقامة العمل الإسلامى وتطويره دون عوائق جانبية .

ذلك مع أن هذه العوائق لاتمنع مسيرة النجاح من مواصلة جهودها محققة مع الصبر والمثابرة غايات ملحوظة من النجاح .

والله من وراء القصد ، وهو المستعان .

المحور الثالث
الإعلام الإسلامى وطموحات المستقبل

١- الإعلام الإسلامى والنظام العالمى الجديد	أ/ يحيى أبو بكر- الخبير الإعلامى الدولى
٢- تأهيل الكوادر الإعلامية	أ.د/ فوزية فهيم- وكيل وزارة الإعلام- رئيس معهد الإذاعة والتليفزيون سابقاً
٣- الإعلام الإسلامى فى القرن الحادى والعشرين	أ. د/ على عجوة - الأستاذ بكلية الإعلام جامعة القاهرة
٤- الإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية وطموحات المستقبل	أ. عبدالمجيد شكرى - خبير إعلامى أستاذ محاضر فى علوم الاتصال الجماهيرى بجامعتى الزقازيق والأزهر
٥- الدراما .. رؤية إسلامية	د. محمود أحمد حماد المدرس بقسم الصحافة والإعلام - كلية اللغة العربية جامعة الأزهر
٦- التخطيط لإنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية	أ. عبدالمنعم ثابت - مدير عام إنجازات البرامج - اتحاد الإذاعة والتليفزيون
٧- الإعلام الإسلام وزرع القيم فى نفوس الأطفال	أ/ عبدالتواب يوسف
٨- دور الإعلام فى تنمية المجتمعات الإسلامية	أ/ أحمد عبد اللاه - صحفى بالمساء

الإعـــلام الإســـلامى
والنظام العالمى الجديد

يحيـى أبو بكـر

مقدمة

تتوالى على الساحة العالمية منذ نحو خمس سنوات أحداث ذات أثر بالغ فى تشكيل العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول الكبرى، وفى الاستراتيجيات البعيدة المدى والواسعة النطاق التى كانت مرسومة لمستقبل العالم فى ظل الصراع أو التنافس أو التعايش بين دولتين عظميين، تفككت إحداهما لتنفرد الدولة الأخرى بالزعامة الأحادية، ولتظهر فى الأفق تكتلات جديدة وإرهاصات بنظام عالمى ، لايزال فى شكله وموضوعه هلامياً غير مكتمل التكوين.

وكما تميزت السنوات العشرون الماضية بما كان اتجاها نحو نظام اقتصادى عالمى جديد ونظام إعلامى عالمى جديد، على أساس من العدل والتوازن وإزالة الظلم والاختلال اللذين سيطرا على العلاقات بين الشمال والجنوب، أو بين الدول الصناعية الغنية والدول الفقيرة النامية ظهر الآن اتجاه نحو نظام عالمى جديد، بعد أن انهارت النظم الشمولية فى الاتحاد السوفييتى ودول أوربا الشرقية، ومن سماته المترقبة تحول سريع أو تدريجى إلى «الديموقراطية » و«التعددية» و«اقتصاديات السوق »وعلى الرغم من وجود أصوات كثيرة ومؤثرة تنادى بمراعاة «البعد الاجتماعى » فى اقتصاديات السوق، واعتبار «الملائمة » فى قضية الديموقراطية، فإن النموذج المطروح، والذى تمثلة برامج الإصلاح الاقتصادى ومسيرة الديموقراطية، تمتد جذوره إلى الفكر والتطبيق السائدين فى كل من الولايات المتحدة، والجماعة الأوروبية، واليابان، وكان هذا النموذج هو الذى استهوى الزعيم الشيوعى السابق جورباتشوف إلى المناداة بالانفتاح والمكاشفة Glasnost وإعادة البناء perestroika فى الاتحاد السوفييتى على النحو الذى عجل بانهيار الشيوعية وتمزق الكتلة الشرقية ثم انتهاء الاتحاد السوفييتى، لكن يبقى فى مجال الهيمنة الشيوعية أكثر من ألف مليون من البشر فى دولة كبيرة واحدة هى الصين، وهناك أيضاً أكثر من ألف مليون من المسلمين تجمعهم عقيدة واحدة هى الإسلام، وإن كانت لدولهم فى مجال السياسة والاقتصاد نظم شتى ويتفاوت نصيبهم من الفقر والثراء والتقدم والتخلف، كما تسيطر على العلاقات فيما بين دولهم وعلى علاقات هذه الدول بالقوى والتجمعات الأخرى اعتبارات متعددة جعلت وضعهم فى أكثر من مناسبة شبيها بما يصف به القرآن الكريم قوما آخرين : ﴿ بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وفى الفكر السياسى السائد فى العالم اليوم اتجاه يقول بأن الغرب، وقد فقد الشيوعية عدوا له، سيتخذ من الإسلام عدواً ومن المسلمين مرجما توجه إليه الاتهمات واللعنات ورمزا للتخلف والإرهاب.

لكن الموارد المتاحة للمسلمين، وأعلى مراتبها هى العقيدة التى يؤمنون بها، ومن شأنها أن تجعل لهم وزناً مرموقا فى الموازنات والمعادلات التى تشغل واضعى الاستراتيجيات العالمية فى هذه المرحلة التاريخية، ومن شأنها أيضاً أن يتطلع الكثيرون إلى صداقتهم، وأن يوجد كذلك، كما أسفلنا، تيار فكرى ينادى بكسر شوكتهم قبل أن يستجمعوا أسباب القوة وتكتمل لديهم عناصر النفوذ على المستوى العالمى .

هؤلاء المسلمون هم الذين ينتسب إليهم «الإعلام الإسلامى » وهذا هو العالم الذى يعيشون فيه ولا يمكن أن يعتزلوه، بمشكلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبالقضايا العويصة المعلقة أو الساخنة مثل قضية فلسطين وقضية كشمير، وبأمراض الفقر والتخلف وتدهور البيئة والجريمة والعنف والانحلال الخلقى، وبتطلعاته إلى نظام عالمى «أفضل » وهناك من يريد أن يخلق هذا النظام على صورته، كما أن هناك من يحاولون بناءه على أسس من الديموقراطية وحقوق الإنسان وفقا لسلم قيمى نابع من الحاجات الأساسية للبشر جميعاً، ولا تحركه الأطماع والأهواء .

ما هو الإعلام الإسلامى ؟

من الضرورى قبل مناقشة دور «الإعلام الإسلامى » فى النظام العالمى الجديد، بالوضع الذى تندفع نحوه الأحداث أو بالوضع الذى يظن المتفائلون أن تعتدل فيه الموازين المختلة، أن يكون هناك تحديد واضح لهوية الإعلام الإسلامى. ويقتضى ذلك أن توجد إجابات صريحة على عدد من الأسئلة. ويمكن من خلال هذه الإجابات أن نتعرف إلى قنوات التعامل بينه وبين النظام الجديد وأسلوب هذا التعامل ومحتواه. والنظام الجديد ليس طرفاً آخر فى هذا التعامل ولكنه إطار نعيش فيه ونتحرك خلاله ونحن جزء منه رضينا أم أبينا . وهو من جهة أخرى زماننا ومكاننا .

هذه هى الأسئلة :

– هل «الإعلام الإسلامى» أسلوب وشكل ومحتوى فى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

- هل هو المحتوى الدينى لوسائل الاتصال الجماهيرية؟
- هل هو المحتوى الدينى للاتصال المباشر؟
- هل هو العمل الإعلامى الصادر عن هيئات دينية إسلامية، حكومية أو غير حكومية؟
- هل هو الجهد الإعلامى الموجه إلى الأقليات الإسلامية أو الصادر عنها أو المتداول بين أفرادها وتجمعاتها؟
- هل هو نشاط يعتمد على أساليب العلاقات العامة فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين فى أعين أنفسهم (أى أمام جمهور داخلى) ، وفى أعين غيرهم (أى أمام جمهور خارجى) ؟
- هل هو أسلوب وأدوات للدعوة إلى اعتناق الإسلام؟
- هل هو مجموع العمل الإعلامى الذى تقوم به وسائل الاتصال الجماهيرية، وكذلك الاتصال المباشر، فى الدول الإسلامية ، أى محصلة الجهود الإعلامية المنظمة، أو غير المنظمة، فى الدول الإسلامية؟

هل هو إعلام أم اتصال

إن الإعلام الإسلامى، كما أفهمه ، وكما تتحدث عنه هذه الورقة، هو كل ذلك.

وليس ممكنا ، مادمنا نتحدث عن دوره فى إطار نظام عالمى جديد، أن نستبعد أياً من هذه العناصر، ولا أن نغفل طبيعة هذا النظام الجديد وإمكانات التفاعل بينه وبين الإعلام الإسلامى.

مطالعة لكتابات سابقة

وفى محاولة استجلاء صورة «الإعلام الإسلامى» كما يراها عدد من المفكرين المسلمين، اخترت بعض الكتابات الحديثة فى هذا الموضوع باعتبارها نماذج للاجتهادات التى تناولته خلال الأعوام العشرين أو الثلاثين الماضية، أى منذ أطلق اسم «الإعلام» على هذا الجهد الاتصالى الذى كانت له من قبل أسماء أخرى فى مقدمتها «الدعوة الإسلامية». على أن كثيرين لايزالون يستخدمون عبارة "الدعوة الإسلامية " فى الحديث عن الإعلام الإسلامى ، بينما يفضل آخرون أن يستخدموا عبارة «الاتصال الإسلامى» ، ولم يعد هناك من يتحدث عن «الدعاية الإسلامية» وليس هنا مجال مناقشة المصطلح ، ولكنى أردت فقط أن أوضح أن الذى أتحدث عنه فى هذه الورقة هو نظام اتصالى له هويته وملامحه ومعالمه، كما أن له مدخلاته ومخرجاته وأساليبه وأدواته المتعددة فى المعالجة شأنه شأن أى نظام آخر من النظم التى تتحرك فى إطار نظام عالمى يوشك أن يتشكل وتتضح أبعاده والعوامل المؤثرة فيه.

ومن الواضح أن الموضوع لم يكن مجرد تغيير الاسم دون المسمى. والذين يتحدثون عن الدعوة كان منطلقهم الآية الكريمة ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾. (آل عمران ١٠٤) ثم ظهرت كلمتا الإعلام ثم الاتصال ترجمة لكلمتى information ثم Communication .

وأشير فى هذا الصدد أولاً إلى ماكتبه الدكتور منير حجاب فى أوائل الثمانينات عن نظريات الإعلام الإسلامى. وأذكر على الرغم من تقديرى لهذا العمل العلمى، أنى اعترضت على الحديث عن «نظريات» فى مجال الإعلام الإسلامى. نعم، هناك منهج إعلامى إسلامى، لكن ليست هناك نظرية بالمعنى المعروف (theory) ، لأن النظرية ليست إلا مجموعة من الفروض التى يثبتها البرهان، وتظل ثابتة إلى أن تنقضها نظرية أخرى ، وكثيراً ماحدث ذلك فى مختلف اجتهادات الفكر الإنسانى. ولا مجال فى الدعوة الإسلامية أو الإعلام الإسلامى أو الاتصال الإسلامى لنظريات تثبت ثم تبطل، بل هناك محتوى وأركان وقواعد، ومرجعنا فيها جميعاً هو الكتاب والسنة، وإن كانت لنا فرصة الاجتهاد فى التطبيق العملى أو فى اختيار الوسائل والأساليب والأدوات، ونستطيع أن نتخذ أنسبها وأكثرها ملائمة لكل موقف من المواقف الاتصالية التى نتعرض لها دون حاجة إلى استنباط نظرية تعتمد على الفرض والإثبات.

والقرآن الكريم لايقول استخدموا الصحافة أو الراديو أو التليفزيون أو الخطابة فى المساجد أو الدروس فى حلقات العلم أو المواعظ فى لقاءات تتم مع الناس، ولكنه يقول: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (النحل ١٢٥).

وهناك أمثلة أخرى ستشير إليها هذه الورقة عندما نتحدث عن استنباط المحتوى الاتصالى والأسلوب والتنظيم فى آيات محكمات لا يمكن أن ترقى أى نظرية إلى مستواها فى الصدق والإعجاز.

وأمامى بعد ذلك ما كتبته الدكتورة ماجى الحلوانى تحت عنوان «الإعلام الإسلامى – التحديات والمواجهة». وهى تتحدث عن جهود ومنجزات إعلامية فى مجال نشر الدعوة والثقافة الإسلامية، وتشير فى ذلك إلى قيام إذاعات إسلامية، وإلى التوسع فى نشر القرآن الكريم وترجمة معانيه، وتوزيع الكتب الإسلامية، وإصدار الدوريات والمطبوعات والتسجيلات المسموعة والمرئية.

ويدعو هذا الكتاب فى مواجهة متطلبات الإعلام الإسلامى إلى تصحيح الصورة الذهنية عن الإسلام والمسلمين فى نفوس الغربيين سواء فى أمريكا وأوروبا باستخدام مختلف قنوات الاتصال ومن بينها تكنولوچيا الفضاء . كما يدعو إلى مواجهة التعتيم الإعلامى بإظهار الحقائق، وإلى تعزيز أواصر التضامن الإسلامى ورعاية الأقليات المسلمة، والتصدى لمحاولات التنصير التى تستخدم وسائل الاتصال.

وهناك مقال للأستاذ محمد السماك ظهر في العدد الأخير (يناير – مارس ١٩٩٢) من مجلة الدراسات الإعلامية عن الإعلام الدينى فى الشرق الأوسط. ويناقش المقال الإعلام اليهودى والإعلام المسيحى والإعلام الإسلامى فى ضوء ستة اعتبارات هامة هى: وجود رسالة، ووجود مرسل، ووجود أداة إرسال ووجود نظام إرسال، ووجود مرسل إليه، ووجود هدف من الرسالة.

وهو يصف الإعلام الإسلامى بأنه إعلام دفاعى، ويتحدث بالتفصيل عن أدائه وأداء الإعلام العربى فى وجه مشكلات تتمثل فى تركيبة المجتمع، والتخلف، والأطماع الدولية ثم فى أنواع الصراعات التى تستقطب اهتمامه.

وأخيراً أضيف إلى هذه النماذج من الاجتهادات محاولة منى لتحديد المهام الاتصالية الإسلامية نشرتها الموسوعة الدولية للاتصال (صورة المقال مرفقة) وهى تركز على المحتوى والشكل والتنظيم واستخدام تكنولوجيا الاتصال. وتطرح فكرة «المسجد العالمى» مقابل «القرية العالمية» التى يتحدث عنها عالم الاتصال مارشال ماكلوهان.

ونخلص من هذه المطالعة السريعة لنماذج من الفكر الاتصالى الإسلامى المعاصر إلى أننا أمام قضية من القضايا الهامة التى تواجهها الأمة الإسلامية فى مرحلة من التغيرات العميقة الأثر والواسعة النطاق يجتازها العالم الآن، وإلى أن الاتصال أحد الأعمدة الهامة التى يستند إليها تشكيل النظام العالمى الجديد بأوضاعه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. وغنى عن البيان أن التكنولوجيا المتطورة تسابق، بل تسبق، الحاجات الاتصالية للدول المتقدمة بما تتيحه من شبكات ونظم للاتصال والمعلومات، بينما المسلمون، ومعظمهم من شعوب العالم الثالث أو البلاد النامية، يعانون وضعاً متناقضاً يجمع بين النقص والتضخم فى الوسائل والقنوات الاتصالية، وتزداد حدة التناقض فى اختلال التوازن الاتصالى داخلياً وخارجياً. كما أنهم، من الناحية الاتصالية، فى حاجة إلى مزيد من وضوح الرؤية إزاء المستجدات التى غيرت طبيعة العلاقات مع بقية العالم، وإلى تحديد واقعى للحاجات والأولويات ، يتبعه تحديد للأهداف واتفاق على الاختيارات والبدائل.

أوضـــاع الإعـــلام الإســـلامى

إذا كان هارولد لاسكى قد ربط فى النصف الأول من هذا القرن بين السلطة السياسية والقوة الاقتصادية فى ثنائية لا تنفصم، فإن تطورات النصف الثانى من القرن وخاصة السنوات العشر الأخيرة قد حولت هذه الثنائية إلى مثلث ضلعه الثالث هو «القدرة الاتصالية» . وإذا بالتكنولوجيا تساعد عالمية الاتصال ومحلية الاتصال معا وتجعلهما بمنتجاتها الوفيرة والمؤثرة فى متناول من يملك تكنولوجيات الاتصال الملائمة ويحسن استخدامها إلى جانب التنظيم المحكم وحسن استخدام الموارد البشرية.

لذلك ينبغى فى نظرتنا إلى الإعلام أن نلتمس الإجابة على مجموعة أخرى من الأسئلة :

- هل تفاصيل العمل الإعلامى الإسلامى وجزئياته يحيد بعضها بعضا، أو يدعم بعضها بعضا؟ أى هل هى عمل متكامل؟ أم تعتريه تناقضات؟ على مستوى دولة واحدة، أو على مستوى الدول الإسلامية جميعاً، أو على مستوى الأمة الإسلامية؟
- هل العمل الإعلامى الإسلامى منهج خاص فى العمل الإعلامى أو النشاط الاتصالى؟
- ماهى الخصائص التى يتميز بها عن غيره من الأنشطة الإعلامية؟ أى ما الذى يجعله إعلاماً إسلامياً ؟
- هل موضوعه هو «الإسلام» أم «المسلمون» والمسلمون عامة، أو مسلمو بلد معين؟
- ماهى أهدافه؟
- ماهى ركائزه؟
- ماهى مرتكزاته؟
- ماهى مدخلاته؟
- ماهى مخرجاته؟
- ماهى مصادره؟
- من هم جمهوره أو جماهيره؟
- ماهى مجالاته الجغرافية والديموجرافية؟
- من هم القائمون بالاتصال فى برامجه؟
- هل هو تخصص علمى قائم بذاته؟

- ماهى صلته بالتخصصات العلمية الأخرى ؟
- ماهى علاقته بالتعليم؟
- من أين ، وكيف يأتى تمويله ، وتنظيمه، والتكنولوچيا اللازمة له، والمهارات الاتصالية المتخصصة فيه.
- ماهى الجهة ، أو الجهات، التى تديره منفردة أو مجتمعة؟
- ماهى مواقفه من الأنشطة والنظم الإعلامية الأخرى على المستوى الوطنى والإقليمى والدولى.
- ماهى خطوط انسيابه؟ من أين وإلى أين؟ وما حجم هذا الإنسياب وما مدى قوته؟ واستمراره؟ وما هى العوامل التى تؤثر فيه ؟ وما هو تأثيره ؟
- ماعلاقته بحق الاتصال؟
- ماصلته أو مواقفه إزاء الأنشطة الإعلامية لاتباع الديانات الأخرى؟ وطنياً وإقليمياً وعالمياً؟
- هل هو عمل وقائى أو علاجى ؟
- هل هو نشاط بناء؟ أو نشاط هدام؟ ومن أى منظور؟
- ما علاقته بالأولويات الاقتصادية والاجتماعية؟
- هل يتغير موقعه بين أولويات الاتصال؟ تحت أى ظروف؟
- هل له صلة بالمواقف، والقضايا والمشكلات والاستراتيچيات العالمية؟

الهيمنة والتفتت

عندما أتحدث عن الهيمنة فى عالم الاتصال، أعنى بها ارتفاع صوت واحد تختفى معه جميع الأصوات، فلا تبقى فى الآذان إلا نغمة واحدة، بنبرة واحدة، ولا تبقى أمام الأعين إلا صورة واحدة، ومعنى هذا هو الشمولية التى تمحو تنوع الذاتيات فى جو من السيطرة التى يمكن أن نسميها القمع الإعلامى. وهذا الصوت الإعلامى المنفرد كفيل دائماً بتمهيد الطريق أمام الطغيان، وبفرض حجاب كثيف من التعتيم على عقول البشر فى إنكار لتنوع وجهات النظر وتعدد المداخل إلى الحقيقة. ويقابل الهيمنة الشمولية ذلك التفتت والتمزق الذى يعمق الخلافات والتناقضات ويفرض جواً من الفوضى تختفى فيه الضوابط والقيم ويسود الانحلال وتتداخل الأصوات والألوان فى ضوضاء مزعجة تصيب عقول البشر بالشلل والعجز عن التمييز بين الحق والباطل أو الخير والشر. وفيما بينهما طريق وسط يعتمد على الوحدة والتنوع معاً ويحقق الانسجام الطبيعى دون تنافر أو تشتيت.

وينبغى أن نؤكد هنا أننا لسنا بصدد توجيه اتهامات أو انتقادات من أى نوع إلى الإعلام الإسلامى بأوضاعه الراهنة ولا دفاع عن هذه الأوضاع وتبريرها. لكن النظرة الموضوعية تقتضينا أن نستوثق من أربعة أمور هى: وجود مفهوم متفق عليه للإعلام الإسلامى لدى جميع القائمين عليه، ثم وجود أهداف واضحة للجهود الاتصالية المبذولة، ومدى التجاوب مع الجماهير المستهدفة، وأخيراً مدى التناسب بين الكلفة والعائد، أى بين الموارد والإمكانات المستخدمة والنتائج المحققة، ومن شأن هذه النظرة أن تتيح لنا القدرة على اختيار مسار جديد أو مواصلة المنوال الحالى للإعلام الإسلامى فى مواجهة متطلبات النظام العالمى الجديد.

من علامات الصحة فى هذا المجال مايشبه الإجماع على استخدام التكنولوجيات العصرية فى توفير قاعدة للإعلام الإسلامى بالمفهوم الذى طرحنا فى البداية محاولة لرسم ملامحه. ومن ذلك وجود إذاعات مخصصة للقرآن الكريم ومراكز متعددة للمعلومات اللازمة للجهود الإعلامية، وكذلك وجود قواعد معلومات جيدة عن القرآن الكريم وصحيحى البخارى ومسلم والاتجاه إلى توفير المزيد.

لكن هذه الجهود فى ميدان المعلومات ينقصها التنسيق، وما يمكن أن يرقى إلى مستوى التفاهم والاتفاق على الحاجات والأولويات ، وكذلك أن تجمع مراكز البحث ومراكز المعلومات شبكة معلومات إسلامية عالمية تلتقى من خلالها الجهود بما يكفل توفر المعلومات وإتاحتها، وهما مطلبان أساسيان ضمن احتياجات الإعلام الإسلامى.

وإلى جانب افتقاد القدر الكافى من التنسيق، نجد تناقضات فى أسلوب الجهود الإعلامية المبذولة ومحتواها يؤدى فى كثير من الحالات إلى فقدان مصداقيتها وإضعاف أثرها. ونلمس ذلك فى تناقضات محتوى الإعلام الإسلامى على مستوى الدولة أو الدول الإسلامية مجتمعة، كما أنه يمتد إلى تجمعات الأقليات الإسلامية فى العالم كله. ومن الأمثلة المتكررة عاماً بعد عام قضية هلال رمضان وتحديد أوائل شهور السنة الهجرية، وبعض القضايا الفقهية المرتبطة باستثمار الأموال، وتوجهات السياسات الداخلية والخارجية ، وبعض السلوكيات والظواهر الاجتماعية وعلاقتها بالمظهر الثقافى أو بجوهر العقيدة، وكذلك الصلة بين العقيدة والممارسة أو بين العلم والعمل، والفجوة الواسعة أو الضيقة بين العمل الإعلامى الإسلامى وقضايا العالم المعاصر ،مشكلات المستقبل القريب أو البعيد.

ولا يتطلب تعديل هذا الوضع إلا قدراً من التنسيق ليس مستحيلاً، حتى فى ظل الأوضاع الراهنة، متى توفرت الإرادة السياسية ترجمة للنوايا الطيبة التى تعبر عنها دائماً قيادات العمل الإعلامى الإسلامى . وينبغى أن يتحقق هذا التنسيق على جميع المستويات بدءاً من الفكر والتخطيط وإعداد القائمين بالاتصال واقتناء الأجهزة والمعدات إلى صياغة الرسائل الاتصالية وتقديم المنتجات الإعلامية.

المنهج والمحتوى والهوية

على أن العمل الإعلامى ، مهما تكن دوافعه وأهدافه وأساليبه ووسائله وجمهوره والقائمون به، لايمكن أن يكون إعلاماً إسلامياً إلا إذا اتخذ منهجاً إسلامياً مستمداً فى مرتكزاته الأساسية من الكتاب والسنة، ومرتبطاً بحياة المسلمين ومجتمعاتهم قدر ارتباطه بالمحتوى الاتصالى الذى يحمله، فالمنهج والمجتمع والمحتوى كل لا يتجزأ.

وأهم خصائص المنهج الإعلامى الإسلامى بهذا المفهوم الذى لا يتغير مهما تباينت الأساليب والوسائل، وانتقل العمل الإعلامى فى استخدامها من القديم إلى الحديث أو تطلع إلى المستقبل القريب أو البعيد، هو الصدق المنبثق عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبعقيدة التوحيد فى جملتها وتفاصيلها وعن الإحسان كما صوره القرآن وسنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قولاً وعملاً. والمنهج والمحتوى الإسلامى للإعلام الناجح تضمهما الآية الكريمة: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾ (فصلت ٣٣).

ولسنا بحاجة لأن نذهب بعيداً لنلتمس الملامح لهوية الإعلام الإسلامى خاصة فى مواجهته لمستجدات النظام العالمى الجديد. فهو إعلام صادق مؤمن مقنع مصلح. كما أنه بليغ يعرف هدفه فيصل إليه، وهو أيضاً واقعى، فالبلاغة التى تصل بصاحبها إلى الهدف هى فى تعريفها العربى الأصيل مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفى الكتاب الكريم يأمر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً﴾ (النساء ٦٣) وهو إعلام مصلح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يبتغى الفساد فى الأرض. وهو إعلام قائد ورائد وليس تابعاً، ولا يسير فى ركاب أى مخلوق. وليس هذا غروراً فالإعلام الإسلامى غير مغرور ، ولا خادع ولا مخدوع. ولكنها عزة الإسلام،﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (المنافقون ٨) . وله دوره على الصعيد الكلى بأوسع درجات الشمول، وعلى الصعيد الجزئى بأخص درجات الخصوصية.

وأداته الرئيسية هى «الكلمة الطيبة» و«الحكمة» و«الموعظة الحسنة» فإذا جادل فـ ﴿ بالتى هى أحسن﴾ ومثله الأعلى هو الله سبحانه وتعالى وكتابه الكريم فى أرفع مقامات الاتصال ﴿ ولله المثل الأعلى﴾ (٦٠ النحل) ، كما أن أسوتهم فكراً وعلماً وعملاً واتصالاً بالناس على مختلف فئاتهم ومستوياتهم وألسنتهم وألوانهم ومعتقداتهم هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب ٢١) . وباب الاجتهاد والابتكار الإعلامى مفتوح إلى يوم القيامة.

وإذا كانت صحيفة «ليموند» الفرنسية فى الكتاب الذى أصدرته أخيراً بعنوان «وسائل الاتصال والأكاذيب والديموقراطية» ، وتحدثت فيه عن «مجتمعات مريضة بنظمها الإعلامية»، وقد أشارت إلى إحساس الكثيرين بأن وسائل الاتصال تضللهم، وتتحكم فيهم، وتخدعهم ، فليس ذلك كله من الإعلام الإسلامى فى شىء.

وليس من شأن الإعلام الإسلامى أيضاً أن يبيع السراب والأوهام، ولا أن ينقاد وراء الاتجاه التخديرى الذى لاحظه عالما الاتصال الأمريكيان لازرسفيلد وميرتون منذ نحو ٣٠ سنة عندما وجدا بين تأثيرات الوسائل الجماهيرية على مجتمعاتها تأثيراً تخديرياً يحس معه الجمهور بأن تعبير وسائل الإعلام عن المشاكل والقضايا الهامة وإبرازها وتسليط الأضواء عليها قد حل المشكلة ، فينتابه نتيجة لذلك رضا زائف، وكأنما ذلك هو غاية الأرب ونهاية المطاف، فتثبط الهمم ويحل التقاعس محل العمل الإيجابى الجاد.

كذلك لايعرض العمل الإعلامى الإسلامى نفسه فى سوق اللهو أو التلهية، وهو يعرف جيداً أن من الناس ﴿ من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ﴾ (لقمان ٦) ، فلا يقبل أن يضع نفسه فى خدمتهم أو يسمح لهم بتسخيره فى تحقيق أغراضهم.

هذه بعض السمات التى تتكون منها هوية الإعلام الإسلامى، ومنها يتشكل تحديده لمواقفه ولأسلوبه فى العمل، واجتماع هذه السمات ذاتها فى تكوينه وفى هياكله وفى أدائه هو الذى يميزه عن الإعلام غير الإسلامى أو الإعلام اللا إسلامى.

الإعـــلام والاتصـــال

إن الإعلام الإسلامى «بالمفهوم الذى تحدثنا عنه ليس مجرد إعلام دينى» على النحو الذى تذهب إليه بعض التصنيفات التى تعتمد على طبيعة المحتوى وحده، والتى تقوم على تحديد ضيق الأفق لمفهوم الدين، وهذه التصنيفات فى معظمها تقليد لتصنيف الدين وموقعه فى ثقافات غير إسلامية يرتبط فيها الدين مثلاً بيوم الأحد أو السبت، أو بالكنيسة أو المعبد، أو بطقوس ورموز منعزلة عن نهر الحياة اليومية للناس والقيم التى تحكم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والممارسات السياسية وما ترتبط به من أمور الحكم والقضاء، بل يذهب التشريع فى بعضها إلى الفصل بين الدين والتعليم أو إلى «تحريم» الدين واعتبار ممارسته العلنية وإقامة شعائره والدعوة إليه عملاً مخالفاً للقانون.

ويرجع هذا اللبس إلى خلافات عميقة الجذور بين الثقافات المتباينة. وللذين ينتمون إلى ثقافات غير إسلامية عذرهم أن تغيب عنهم أمور كثيرة من حقائق الثقافة الإسلامية، وفى أن يتصوروا موقع الدين فيها على نحو ما يتصورون موقعه فى ثقافاتهم ، لكن لا عذر للمفكرين المسلمين فى أن يقلدوا هذا التصور، بما فيه من أخطاء ، وينقلوه إلى الممارسات الإعلامية فى دول إسلامية.

ومن طبيعة العمل الإعلامى إذا انتسب إلى الإسلام أن يتسع للأمور العامة الكلية بقدر مايتسع لكل جزئية من جزئيات النشاط الإنسانى على وجه الأرض أو حتى فى الفضاء.

لكن دوره فى ذلك ليس مجرد «إعلام غايته التأثير» بالمفهوم الدعائى، ولكنه «اتصال» بكل ماتحمله الكلمة من معنى . وقد شغلت قضية «حق الاتصال» مساحة كبيرة من أدبيات الإعلام خلال الأعوام العشرين الماضية خاصة عندما تناوله الباحثون فى إطار جهود اليونسكو نحو نظام إعلامى عالمى جديد. وهناك الآن اعتراف عالمى بأن حق الاتصال يعنى «حقى فى أن أعرف وحقى فى أن يعرفنى الناس على حقيقتى » ، كما يعنى إزالة العقبات التى تحول دون ممارسته سواء كانت من صنع التحيز الجائر أو مجرد الجهل من ناحية، أو نقص الكفاءة أو الافتقار إلى الوسائل من ناحية أخرى. وكل ذلك يؤدى إلى خلل فى أداء المهام الاتصالية وفى المعايير القيمية وإلى أن تضيق القنوات الاتصالية المتاحة فلا يسمح ضيقها بمرور المعلومات التي ينبغى أن يتوفر لها الانسياب الحر بين طرفى الاتصال، بل بين جميع أطرافه.

وعندما يختل التوازن، أو تتسع قناة معينة مقابل ضيق فى قناة أو قنوات أخرى تكون النتيجة تدفقاً فى اتجاه واحد بدلاً من الانسياب المتوازن فى اتجاهين أو أكثر.

كثير جدا من الإعلام
وقليل جدا من الاتصال

ويؤدى هذا الاختلال إلى ظاهرة الإعلام العمودى أو الرأسى الآمر أو الإعلام فى اتجاه واحد، وإلى تضاؤل الإعلام الأفقى المتبادل.

ومنذ خمسين عاماً، على ما يروى خبير الاتصال الألمانى مانفريد أوبن، قال الكاتب برخت :« إن الإذاعة يجب أن تتغير من وسيلة « توزيع » إلى وسيلة «اتصال » . ومعنى ذلك أن تتلقى مثلما تبُث، وأن « يتكلم » مستمعها لا أن يكون دوره هو الإنصات فحسب، وأن تربطه الإذاعة بالآخرين بدلا من أن تعزله عنهم . ويبدو أن كثيرا من الأجهزة والتنظيمات التى يعتمد عليها الإعلام الإسلامى تفضل الإعلام على الاتصال وتركز على أداء دورها فى البث إلى الملايين فى تدفق واضح للمادة الإعلامية فى شتى الاتجاهات وبمختلف الوسائل. لكن لا يقابل ذلك ما يماثله من حركة ونشاط فى الاتجاه الآخر. وهنا لا ينبغى التعميم، فهناك نماذج من البرامج التى تحول المتلقين إلى مشاركين. على أن محصلة الجهود فى هذا المجال هى الوفرة والكثرة فى الإعلام، مع القلة، وربما الندرة، فى الاتصال.

وهذه حقيقة يجب أن ينتبه إليها الإعلام الإسلامى فى توجهه إلى تلبية متطلبات النظام العالمى الجديد. وفى التكنولوجيات الحديثة ما يجعل ذلك أمرا ميسورا .

ومما يساعد على ذلك أن يعنى الإعلام الإسلامى بدراسة جمهوره بأسلوب يعينه على التعرف إليه وإلى حاجته، كما يعطى الجمهور انطباعا بالاهتمام به وبأن له دورا رئيسيا فى العملية الاتصالية. ولا ينبغى أن نمل أو أن نتوقف عن المطالبة دائما بالمزيد من بحوث القراء والمستمعين والمشاهدين، وكذلك من الدراسات الخاصة بجمهور الاتصال المباشر بمختلف فئاتهم .

ومن المهم، إلى جانب دراسة الجمهور، أن يكون أول المواضيع الرئيسية التى تدرس بعناية فائقة وتعمق كبير هو « الإسلام » نفسه، وأحوال المسلمين عامة، بما فى ذلك تاريخهم وثقافتهم، ومسلمو كل منطقة إسلامية أو بلد إسلامى، مع الرجوع فى ذلك كله إلى المصادر الإسلامية الأصلية التى يعتبر الرجوع إليها فى حد ذاته إحياء لتراث إسلامى عريق، بالإضافة إلى أن فيه تأصيلا للمعلومات وتصحيحا للتشوهات التى ألصقت بالثقافة الإسلامية نتيجة لسوء فهم الغرباء عنها وسوء نقل من قلدوهم .

أيـــن الجمهـــور ؟

والجمهور الذى يجب أن يدرس بمنتهى العناية ليس قطيعا من الحيوانات، ولكنه مجتمع من الناس جدير بكل احترام وتقدير، وهو لا يتكون من المسلمين وحدهم حيثما كانوا، إذ أنه يضم فى الواقع الإنسانية كلها، وإن كانت هناك أولويات للتوجه الاتصالى هى فى الوقت نفسه أولويات الدراسة. ومادمنا قد بنينا منهجنا الاتصالى على تعاليم الإسلام، فهذا المنهج يملى علينا نوعين من الجمهور، أحدهما قريب له كل خصوصيات القرب، والآخر عام يتصف بكل معالم الشمول، ونأخذ من هذا المنهج طبيعة المجال الديموجرافى والجغرافى للإعلام الإسلامى. يقول اللّه تعالى موجها الخطاب إلى رسوله قائد الإعلام الإسلامى ورائده الأول : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (الشعراء ٢١٤). ويقول كذلك : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (سبأ ٢٨) . وعلى قدر عمومية الإسلام وخصوصية كل مجتمع إسلامى أو غير إسلامى نستطيع أن نحدد فى توجهنا وفى استخدامنا لأساليب الاتصال وتكنولوجياته، وخاصة الحديثة منها، وما سيأتى به الغد، مدى العالمية المحلية فى الإطار العام، وفى مسارات العمل وفى اختيار قالب الرسالة الاتصالية وصياغة محتواها .

وهنا نسأل لمجرد إثارة قضية من قضايا الإعلام المعاصر فى إطار النظام العالمى الجديد: «هل كان الإعلام الإسلامى غافلا أو عاجزا عن إقامة جسور وقنوات للاتصال بنحو ثمانين مليونا من المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز؟ وهل حان الوقت لتوجه اتصالى سريع ومركّز وإيجابى من منظور إسلامى إلى أهل هذه المنطقة وما حولها ليعرفهم بقية المسلمين وليروا هم صورة صادقة عن الإسلام الذى ينتمون إليه، مع دراسة عميقة للفراغ الروحى الذى أوجده قيام مذهبية لا دينية متسلطة تم انهيارها، وكذلك للفراغ الروحى الذى أحاط بعزوف مجتمعات كثيرة فى العالم كله عن الدين فى جملته وضيقها بالمنحرفين من أدعياء الدين، وما استتبعه هذا الفراغ الروحى من استغراق فى المادية أو انزلاق إلى الرذيلة بمختلف صورها، وما كان لوسائل الاتصال من دور فى ذلك كله ؟

القائمون بالاتصال

لا يمكن الحديث عن عمل اتصالى فى ضخامة الإعلام الإسلامى واتساع آفاقه دون التعرض للموارد البشرية التى تضطلع بمهامه، والتى ينبغى أن تتوفر لها، فى الظروف التى يمليها النظام العالمى الجديد، معرفة ومهارات من نوع خاص تجعل منه تخصصاً علمياً قائما بذاته وإن كان

من الضرورى أن يعتمد على مجموعة من التخصصات العلمية الأخرى . وإذا كانت تكنولوچيات الإعلام جانبا من هذه التخصصات، فإن فنون التعبير جانب آخر وكذلك اقتصاديات الاتصال والفروع التى تتكون منها فى المعاهد الإعلامية المتقدمة برامج « إدارة الاتصال ». وتأتى العلوم الدينية والثقافة الإسلامية والتراث الإسلامى على رأس قائمة المعارف المطلوبة للقائمين بالاتصال فى الإعلام الإسلامى. وإذا كان الجمهور المستهدف على النحو الذى فصلناه آنفا، فإن المعارف والمهارات المطلوبة يجب أن توفر القدرة على الاتصال الناجح بالمسلمين بلغاتهم وألسنتهم وثقافتهم المختلفة بالإضافة إلى اللسان العربى المبين وكذلك الاتصال بغير المسلمين بعد أن تهاوت الحواجز التى كانت قائمة لتحول دون ذلك. والحاجز الذى ينبغى التغلب عليه واجتيازه هو الحاجز المتمثل فى مدى قدرة الإعلام الإسلامى على الاتصال. والمدخل إلى ذلك هو إعداد خطة قابلة للتنفيذ العملى لتعبئة الموارد البشرية وتنميتها .

وإذا كنا نتحدث عن نظام عالمى جديد، فإننا فى الواقع نتحدث عن آفاق ما بعد نهاية القرن الميلادى الحالى مما يقتضى حسابا للمتطلبات وسبل توفيرها، وفى مقدمتها سياسة التعليم ومرافقه فى مختلف المجتمعات الإسلامية .

التعليم

وليس المقصود بالتعليم هنا هو مجرد تخريج الدعاة، بل هو فى الواقع سياسة تعليمية شاملة تحوى من البداية مضمونا إسلاميا يمكن البناء عليه مرحلة فى إثر مرحلة. ونجد أننا فى الحديث عن التعليم أمام نقطتين جوهريتين : الأولى تضامن التعليم والإعلام على تكوين أجيال مؤمنة صالحة تستطيع تحمل المسؤوليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يجب أن تضطلع بها الأمة الإسلامية فى إطار النظام العالمى الجديد. والثانية أن التعليم الأساسى وما يليه من مراحل يوفر المصادر التى يمكن للإعلام الإسلامى أن يعتمد عليها فى اختياره للعناصر الصالحة للمهام الاتصالية المتخصصة .

وعلى الرغم من أن الإسلام لا يسمح بقيام كهنوت يحتكر القيادة الدينية أو يضفى على الإعلام الإسلامى طابعا ثيوقراطيا، فإنه يدعو إلى التخصص القائم على المعرفة والتدريب فى كل فرع من فروع النشاط، وفى مقدمتها العمل الإعلامى والنشاط الاتصالى، ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ (التوبة -١٢٢). ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (آل عمران ١٠٤)،

فالتخصص هنا وارد ليتصدى لهذه المهمة من يتقنها ويحسنها .

على أن هناك تصورا خاطئا يرجع إلى الانفصام الذى أصاب المسلمين فى بعض مجتمعاتهم وهو تصور لا سبيل إلى تصحيحه إلا بالتعليم والإعلام معا . فبين ثنايا الغزو الثقافى الأوروبى للمجتمعات الإسلامية خلقت صورة جامدة لشخص القائم بالاتصال فى الإعلام الإسلامى سواء كان معلما للدين أو قارئا أو حافظا أو واعظا وإماما وخطيبا، فاختار أو اختير له زى خاص وأخذ المجتمع ينظر إلى التعليم فى المعاهد ذات الصبغة الإسلامية نظرة أدنى من نظرته إلى التعليم فى المعاهد المدنية، أى التعليم العام، حتى كلمة «فقيه» التى تعبر عن امتياز ثقافى مبنى على التفقة والدراسة المتعمقة، تحولت عند العامة إلى كلمة «فقى» وأضفى عليها طابع خاص ينأى بها عن الاحترام والتوقير الواجبين. وكم من الناس، حتى بين العاملين فى مجال الإعلام، لا يعرفون الفرق بين مهمة القارىء ومهمة المقرىء. وكلمة «سيدنا» التى كان معلم القرآن يوصف بها أصبحت تستخدم فى مجال السخرية، وتلاوة القرآن ذاتها ارتبطت بالمآتم وبالقبور. إن هذا الوضع يتغير تدريجيا آخذا طريقه إلى التصحيح ولكن فى بطء، ومع ملابسات أخرى تخلق صورا جامدة جديدة تبعث على النفور بلا من الإقبال والاحترام اللذين يجب أن يتوفرا للقائم بالاتصال فى مجال الإعلام الإسلامى أيا كانت القناة التى يستخدمها والرسالة التى يحملها . على أن الصورة تغيرت بشكل واضح فيما يتعلق بعدد من العلماء والقادة المسلمين نتيجة لحسن استخدامهم لوسائل الاتصال الجماهيرية ولسلوكهم فى مواقف الاتصال المباشر مما جعلهم موضع احترام، وأتاح لرسالتهم آذانا صاغية وقدرا كبيرا من الثقة والتجاوب .

وفى توجه الإعلام الإسلامى فى إطار نظام عالمى جديد، يجب أن يوضع شخص القائم بالاتصال موضع الاهتمام اختيارا وإعدادا، فشخصه من الركائز الأساسية للعملية الاتصالية ثقة ومصداقية واحتراما وقدرة على الأداء .

إن إعداد القائم بالاتصال بمفهومه القرآنى ولا تناقض إطلاقا بينه وبين المفهوم المعاصر، هو الخطوة الأولى فى الاستعداد لتحمل مسؤوليات الإعلام الإسلامى فى مواجهة النظام العالمى الجديد، بل إنه أهم من توفيرمنتجات تكنولوجيا الاتصال التى تشمل الوسائل الجماهيرية والوسائل الصغيرة والأدوات التى يستعين بها الاتصال المباشر.

خطوط الانسياب

من المشكلات التى تعترض نجاح الجهود الاتصالية فى البلاد النامية ما يمكن أن نسميه

« العشوائية» فى التوجه الإعلامى. ويضاعف الاستخدام الواسع النطاق للوسائل الجماهيرية تأثير العشوائية. فهناك إرسال ليس هناك من يستقبله، وإرسال لا يعرف مرسلوه شيئا عمن يستقبلونه، وتنساب المعلومات أو المؤثرات أو تتدفق فى كل اتجاه دون أن يعرف أحد حجمها أو مساراتها أو مدى تأثيرها .

ولا يتسنى ضبط الانسياب الإعلامى، وليس هذا دعوة إلى التحكم فيه أو وضع العقبات فى طريقه، إلا بالدراسة المنهجية التى ترسم لمساراته خريطة صادقة توضح لواضعى السياسة الاتصالية الإسلامية من أين يأتى هذا الانسياب أو التدفق وإلى أين يذهب، وما هى القنوات التى يستخدمها، والرسائل التى يحملها. وعندما تتوفر نتائج هذه الدراسة، التى ينبغى أن تكون عملا مستمرا موصولا، بين يدى القائمين على الإعلام الإسلامى، فمن شأنها أن تعينهم على وضوح الرؤية وتصحيح المسار. وقدأصبح لدراسات الانسياب الاتصالى منهج متطور يضع فى الاعتبار استخدام التكنولوجيات الحديثة جنبا إلى جنب مع الوسائل التقليدية، ولذلك فهو منهج ملائم لدراسة الانسياب الإعلامى فى المجال الإسلامى، ويصلح أداة لإعداد سيناريوهات لمستقبل هذا الانسياب فى ضوء المستجدات على الساحة العالمية .

الجدل بالتى هى أحسن

من المبادئ الثابتة التى أرساها القرآن الكريم لإدارة المواقف الاتصالية توجيهه المحكم للأسلوب الإسلامى فى المواقف الجدلية. ويأتى هذا التوجيه فى صورة أمر واضح مباشر للنبى صلى اللّه عليه وسلم كما ورد فى الآية الكريمة ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (النحل ١٢٥)، أو فى نماذج من المواقف الجدلية توضح أسلوب مقارعة الأكاذيب بالحقائق والحجج الدامغة. ولذلك أمثله عديدة من بينها الموقف الجدلى الذى تقدمه سورة غافر فى حوار بين فرعون ورجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه (غافر ٢٦ – ٤٤)، ومواقف كثيرة أخرى .

وقضية الجدل من القضايا الهامة التى تشغل بال المخططين للمواقف الاتصالية ذات الطابع المذهبى أو الاقتصادى أو الاجتماعى. وهناك مناهج ومدارس للجدل لا يرقى أى منها إلى مستوى الإعجاز القرآنى الذى ينبغى للإعلام الإسلامى أن يرتكز إليه فى محتواه وأسلوبه الجدلى.

وبين مرفقات هذه الورقة نص لمقال نشرته مجلة الاكونومست الانجليزية فى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٠ مع إرهاصات النظام العالمى الجديد ونذر ما تضمره بعض الدوائر من عداء للإسلام والمسلمين، ويتخذ المقال شكل حوار جدلى بين أسقف مسيحى وإمام مسلم يتبادلان فيه الآراء حول الماضى

والحاضر والمستقبل فيما يمكن أن يكون تلخيصا للقضايا السياسية والاقتصادية والدينية فى مجال التعايش أو المواجهة بين الإسلام والمسيحية، وهو أحد المجالات الهامة للإعلام المسيحى. ولم أر بعد صدى لهذا المقال فى وسائل الاتصال الإسلامية سواء فى صورة إقرار بكل أو بعض ما ورد فيه أو اعتراض عليه أو استنكار له أو تصحيح. فإن كان مثل ذلك قد صدر فإنى أرجو من يطلع عليه أن يدلنى على مصدره لأضمه إلى هذه الورقة استكمالا للصورة التى أحاول رسمها لجهود الإعلام الإسلامى.

على أنه من المعروف أن لدى المتحدثين باسم الإسلام فى مثل هذا الموقف الجدلى مجموعة من المبادئ تحدد مرتكزاتهم الأساسية. وليس هنا مجال سردها. ولكنها تستند إلى التوجيه القرآنى: ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ (العنكبوت ٤٦) .

اولويات الاتصال

لقد آن الأوان لأدراك أهمية الإعلام الإسلامى، ليس فقط باعتباره أقوى سلاح فى معركة المصير، ولكن لأنه قوة البناء الرئيسية لإنسان الغد إلى جانب التربية الإسلامية. وموقعه بين أولويات الاتصال يجب أن يصعد دائما فى اتجاه قمة سلم الأولويات. وأولويته تأتى من شموله لجميع مقومات الحياة الروحية والمادية.

ولا ينبغى أن يتقاعص الاتصال الإسلامى بمختلف وظائفه الإعلامية والتثقيفية – والترويحية أيضاً، فهى من وظائفه مالم تهبط إلى مهاوى الإفساد أو التلهية – عن اتخاذ موقف صريح قائم على مرتكزات إسلامية إزاء أى قضية من قضايا الساعة. إن الإعلام الإسلامى لا ينبغى أن يعتبر نفسه دخيلا على قضايا الحرب والسلام، إلى جانب اهتمامه الطبيعى بالمسجد الأقصى وقضية فلسطين وبقية مناطق الصراع التى يعتبر المسلمون بين أطراف النزاع فيها. وليس هناك موضوع يمكن أن يقال للمسلمين عنه: «كفوا أيديكم . إن هذا لا يعنيكم » فالعالم كله أرض الله وللمسلمين كلمة ورأى فى كل قضية، ودور الإعلام الإسلامى أن ينقل هذه الكلمة ويعبر عن هذا الرأى، لا مجرد الحضور وإثبات الوجود، ولكن لأن المسلمين أكثر من خمس سكان العالم ولأن العقيدة التى يؤمنون بها تنير الطريق أمام السلام والأمن والتقدم والرخاء. وإذا عرف المسلمون، وعرف غيرهم أيضاً، أن لديهم حلولا لمشكلة ما، وليس مجرد كلمات جوفاء، لأصغوا وتجاوبوا. وإذا كانت لدى المسلمين إجابات على الأسئلة التى يحار فيها العالم فليقدمها الإعلام الإسلامى دون تردد أو إحساس بالنقص .

ولابد أن للمسلمين آراء من منطلق إسلامى فى قضية الأسلحة والتجارب النووية، وأسلحة الدمار الشامل، ومشكلات العنف والجريمة والمخدرات، وحقوق الإنسان، والفواحش التى تصيب البشرية بالنكبات الجسام مثل مرض الإيدز والانحلال الخلقى والاجتماعى، واستخدام الفضاء فى الأغراض السلمية أو العسكرية، وقضايا التنمية والبيئة، وغير ذلك من قضايا العالم المعاصر، والمشكلات القابعة وراء الأفق فى انتظار أن تنقض على الجنس البشرى .

من غير تهور أو اندفاع أو عشوائية، بل بالحكمة والرؤية والعلم ونور البصر والبصيرة، والهدى الإلهى، يتحرك الإعلام الإسلامى فى إيجابية وثبات وثقة بالله ليقول كلمة الحق ويرفع لواء الفضيلة والحياة الكريمة والأمن والسلام .

ويحق الله الحق بكلماته .

والله ولى التوفيق.

مرفق

ISLAMIC WORLD, TWENTIETH CENTURY

Communication patterns in the Islamic world have undergone considerable change since the advent of twentieth-century life-styles and the introduction of new technologies. However, the mainstream concept of reaching out with the Word of Allah and keeping the Islamic *Umma* (Muslims of the entire world) well informed through all available channels has never changed. New trends and models emerged from increased contact with other cultures and their communication systems and from the far-reaching economic and social developments of the latter part of the twentieth century. World trends have included an increasing flow of information, new international communication systems, a focus on DEVELOPMENT COMMUNICATION, a growing role of RELIGION in the mass media, and—within Islam—an emphasis on communication from an Islamic outlook.

Modern Islam

Geographically and demographically, the core of the Islamic world extends along a broad band through the continents of Africa and Asia, but Islamic communities exist throughout the world. Muslims number roughly one billion worldwide. MARSHALL MCLUHAN's idea of a "global village" also applies to the Islamic world, where new communication technologies have created what may be called a "global mosque." Far from being isolated cultural pockets in alien environments, remote Islamic communities employ both traditional and modern channels of communication to maintain an active relationship with one another and with their cultural roots.

Conceptually the Islamic faith transcends national boundaries and ethnic differences as well as LANGUAGE barriers. It has a built-in function of both vertical and horizontal communication, for which twentieth-century communication technologies have offered channels with unlimited capacity. Traditional channels have sometimes had to be phased out or modified to cope with new needs and priorities, but in many cases they have been amply supported by the new technologies.

Along with breakthroughs in technologies, the impact of two world wars, countless regional and domestic conflicts, and new sources of material wealth in a few Islamic countries have affected the life and thought of the Islamic world. Some Islamic countries were more directly involved than others in regional conflicts, but such conflicts had far-reaching communication implications with respect to the use and abuse of communication capabilities, particularly in RADIO broadcasts and psychological warfare.

It is often argued that contact with the West throughout the twentieth century has only superficially westernized the lives of Muslims without reaching into their inner souls. Especially significant in this context is the spectrum of value systems applied in CENSORSHIP of film and other media in Islamic countries. The countries may be politically, socially, or economically worlds apart, but they share an Islamic background that dictates ideological and moral criteria for film censorship and the admissibility of certain topics or ATTITUDES for treatment by the print or electronic media. Atheism, paganism, adultery, usury, gambling, and drinking, for example, cannot be tolerated in domestic or imported productions. Faith in God, honesty, justice, equality, charity, the family, and the work ethic are, on the other hand, Islamic ideals that have to be upheld within a framework of AGENDA-SETTING that varies according to the degree of twentieth-century secularization permitted by the religious authority in a given state. All this is part of the deep-rooted Islamic identity that the modern media have challenged but have also, in many ways, reinforced.

Although the media are not directly run by religious institutions (except broadcasts and publications devoted entirely to religion or located in countries controlled by a religious hierarchy), complete secularization of the media has never been an objective of communication policy. Religious content may vary in volume and intensity but has always been a conspicuous element even in broadcasts beamed to the Islamic world from non-Islamic countries (e.g., BBC broadcasts). A measure of state control, however, is almost universal in Islamic countries as a safeguard.

Modern Islamic Media

The Pan-Islamic movement of the turn of the century and the Pan-Arab movement of the 1950s were supported by a powerful press, but the innovative revival of Pan-Islamism in the 1960s, 1970s, and 1980s used more diversified media. Communication technology enabled two daily newspapers in the Islamic world to publish simultaneous editions at different locations. Offset PRINTING processes became highly developed. Millions of copies of the Qur'an, the Islamic SCRIPTURE, were turned out by ultramodern printing

Figure 1. *(Islamic World, Twentieth Century)* Muslims being called to prayer. Mopti, Mali, 1967. United Nations photo 106,724.

equipment in several Islamic countries. Film production in the Islamic world, particularly in Egypt and elsewhere in North Africa, also made remarkable progress. Films that dealt with Islamic topics and Islamic history became very popular, and some won regional and international awards.

However, the electronic media can be singled out for achieving the most conspicuous progress. In the Arab countries of West Asia and North Africa, where Arabic, the sacred language of Islam, is the common language of the region, radio lent its overwhelming power to governments as well as to operators of pirate or dissident broadcasts (*see* RADIO, INTERNATIONAL). The religious content of most scheduled and unscheduled radio transmissions became more intensive when nationalistic or Pan-Arab grievances were more or less identical with Islamic issues.

Other languages spoken in the Islamic world include Persian, Pashto, Turkish, Urdu, Malay, Indonesian, Swahili, and several additional Turkic and

African languages, besides English, French, and Russian. Some languages use Arabic characters (e.g., Persian and Urdu), and others use Latin or other characters. New word-processing and photocomposing techniques have solved many of the problems related to this mosaic of symbols, but the basic communication problem is offset by the unifying factor of the Islamic faith and the Qur'an.

The Qur'an has always been the core of Islamic communication in countless formats. The first technological innovation after printing was the amplification of the human voice in Qur'an recitals by microphones and loudspeakers. Then came radio, which opened worldwide vistas for Qur'anic recitals. A significant development was the early 1960s launching in Egypt of a radio network completely dedicated to the Qur'an. This was followed by another originating from Saudi Arabia. An unfailing by-product was the introduction of complete sets of Qur'anic recitals on cassettes, which are often used in combination with printed editions of the Islamic scripture.

Television brought to the Islamic world a new dimension of communication plus all the problems associated with television in developing countries (*see* TELEVISION HISTORY). Among these was the precarious balance between domestic and imported productions. Some Islamic countries resented the image-assisted "cultural invasion" that introduced alien or un-Islamic concepts and values (*see* NEW INTERNATIONAL INFORMATION ORDER). However, television survived the unrest in those countries by maintaining a tradition of religious censorship and religious content.

There were also technical problems. When television appeared in the Islamic world during the late 1950s and early 1960s, each individual country had its own plans irrespective of future regional and international development. These differences were further accentuated when the time came for choosing PAL or SECAM as a system for color television. Divergent choices made it very difficult and expensive to exchange programs, even between neighboring countries, or to form a Pan-Islamic or Pan-Arab network. The problem was eventually solved by technological advances and multisystem equipment.

SATELLITE capabilities also caught up with the emerging needs of the global mosque. One striking example is the annual radio and television coverage of hajj, the once-in-a-lifetime pilgrimage to Mecca. Around three million Muslims from all over the world gather in Mecca for the most spectacular of all Islamic RITUAL events and the annual "convention" of the Islamic faith. Until the late 1940s any intrusion of the major media into events of the hajj was taboo, but one by one radio broadcasters, still photographers, and then motion picture and VIDEO photographers were permitted to cover the pilgrimage. By the 1980s the hajj had become, via satellite, an event shared by all Islamic countries simultaneously.

Another area of Islamic ritual enhanced by communication technology is the call to prayer. Aside from public-address systems that have functionally replaced the traditional minaret towering high above the structure of the mosque, the call to prayer is carried by radio and television five times a day in many Islamic countries.

One serious consequence of television has been its effect on the lives of working people in rural areas. The traditional working day used to start at dawn and conclude with the evening prayers about two hours after sunset. Usually people would retire at that time and get up early in the morning. With the attraction of prime-time television ENTERTAINMENT and home video, many people stay up late and consequently get up late. Apart from considerations related to program content, this situation has significantly changed social and work patterns and has interfered with agricultural productivity.

Economic developments during the 1960s and 1970s encouraged waves of temporary MIGRATION. Migrant workers flocked to oil-rich countries, where relatively lucrative job opportunities were abundant. It was observed that shortwave radio-cassette recorders and later videocassette recorders were among the migrants' first acquisitions. Radio-cassette recorders kept them abreast of news at home and provided other information and entertainment. The demand for such recorders created a sizable market in affluent Islamic countries, and the migrant workers remained devotees of this combined medium even after they returned to their old homes. The availability of the medium then created a demand for prerecorded cassettes. Some were domestically produced, but others could readily be transported—perhaps smuggled—across national borders, with far-reaching social and political implications. The role of cassettes in the REVOLUTION organized from exile by the Ayatollah Ruholla Khomeini, which in 1979 overthrew Mohammad Reza Shah Pahlavi and took control of Iran, is a telling example. Cassettes recorded in Paris were smuggled into Iran and duplicated for distribution to revolutionary units for indoctrination and coordination of action.

The satellite is a medium of somewhat similar implications. The geographic location of many countries in the Islamic world made them prime targets for satellite communication. Through a network of ground stations, INTELSAT is accessible almost everywhere in the Islamic world via Atlantic and Indian Ocean satellites. To serve the specific purposes of certain areas of the Islamic world, two major satellite systems were developed: PALAPA for the

Indonesian archipelago in Southeast Asia and ARABSAT for the Arab countries of West Asia and North Africa.

Education and research in the specialized field of Islamic communication as distinct from communication in general have been carried out by Al-Azhar University in Egypt, Omdurman Islamic University in Sudan, and Imam Muhamed Ibn Abdel Wahhab University in Saudi Arabia. There are also training facilities in Mecca, Medina, Islamabad, and Kuala Lumpur and courses offered by several other institutes in the Islamic world. Scholars in Egypt and Saudi Arabia have theorized about the relationship of traditional Islamic models to modern MODELS OF COMMUNICATION.

The need to coordinate within the framework of a worldwide Islamic community was behind the creation of the Organization of Broadcasting Services in Islamic Countries, with headquarters in Jedda, Saudi Arabia. Membership in the organization did not exclude membership in various preexisting organizations, such as regional organizations. The most active among these is Gulfvision, which serves Arab countries of the Persian Gulf area.

In spite of all the conflicts and contradictions that have beset the Islamic world during the twentieth century, the development of communication has been guided not only by national priorities but also by Islamic motives. Constructive plans developed by INTERNATIONAL ORGANIZATIONS have had Islamic support. Most Islamic countries participate in the International Program for the Development of Communication (IPDC), which started in 1982.

The twentieth-century upheavals in communications technology have had dual meanings for the Islamic world. Often posing threats to Islamic values and unity, they have at the same time provided means to deflect the threats and strengthen the unity. All new media have been enlisted in the service of the global mosque.

Bibliography. Yehia Aboubakr, Saad Labib, and Hamdy Kandil, *Development of Communication in the Arab States*, Paris, 1982; John Esposito, ed., *Voices of Resurgent Islam*, New York, 1983; Munir Hijab, *Nazariatul I'lam Al-Islami* (Theories of Islamic Communication), Cairo, 1981; Marjorie Kelly, ed., *Islam: The Religious and Political Life of a World Community*, New York, 1984; Bernard Lewis, ed., *Islam and the Arab World*, New York, 1979; Malise Ruthven, *Islam in the World*, New York, 1984; Edward W. Said, *Covering Islam*, New York, 1981; W. Montgomery Watt, *What Is Islam?* 2d ed., London, 1979.

YEHIA ABOUBAKR

ISLAM AND THE WEST

The bishop and the imam ask, Do we really have to fight?

Now that pluralism has beaten communism, they say, the next great battle is between Islam and Christendom: or rather between the two chunks of the world that have grown out of those two different ideas of God and man. We therefore organised a debate between an open-minded Christian cleric and an open-minded Muslim one. Call them Francis and Mahmoud. The reasonable Muslim begins

Mahmoud: It distresses me that so many people seem to think the next period of history will be a fight between your part of the world and mine. It is true that we live elbow to elbow with each other, all the way from the Caspian Sea to the western end of the Mediterranean. It is also true that our elbows have banged painfully together many times in the past. But almost 2,000 years after the birth of your Jesus, and more than 1,400 years after the birth of our Muhammed, let me start by asking whether it really has to happen all over again.

We are both, after all, "people of the Book". We both believe, along with the Jews, in the idea of a single God. We also share the idea of individual responsibility before God: in the words of my Koran, "Each soul draws the reward of its acts on none but itself."

These things may sound meaningless to the many people who these days do not believe in any God at all. But it is these primal ideas that shape whole cultures, meaning the way we live. There is a great gap between the way both you and I live, different though we are, and the tangled life of the multi-god Hindu culture, or the monochrome life of the almost godless Confucian culture. Let me remind you that when Muhammed went from Mecca on his visit to heaven in what you call AD621, he paused in Jerusalem to kneel in prayer alongside Abraham, Moses—and Jesus. That moves me.

Francis: It moves me too. But we have to face the facts of history. The facts are that we cousins of the Book have quarrelled frequently, and frightfully. There are no rows like family rows. Let me remind you, in turn, of the time when the sweaty young squires of a newly confident western Europe, those yuppies of the eleventh century, clumped their way to Jerusalem to start the sequence of slaughter and deception we call the Crusades; and of that later time in the nineteenth and twentieth centuries when a then all-powerful Europe swallowed up almost the entire Muslim world into its various empires.

Mahmoud: And let me recall for you, since each of us is remembering the times when his own side went too far, the Arab army that swept through North Africa into Spain and France, hot with a new religion, in your eighth century (and our first), until Charles Martel stopped it at Poitiers; the Golden Horde, which occupied most of what you now call European Russia until a Grand Duke of Moscow turned it around 610 years ago; and the Turkish thrust into eastern Europe that was reversed at the gates of Vienna, thanks to a King of Poland, only 307 years ago.

Francis: Yes, we both have our memories. Europe and Islam have not had a quiet time together. Their fights with each other are one of history's most familiar stories. Is there any reason to think the story is over?

Mahmoud: Well, there is one important difference between then and now.

In most of those earlier clashes, the side that went on to the offensive was full of self-confidence, for what we would now call both ideological and technological reasons; and the defending side was divided and weak. The splendidly efficient Arab army that carried the new-born Crescent as far as Poitiers was attacking a Europe still in its Dark Ages. The Crusaders whose heavy cavalry took the Cross back to Jerusalem 350 years later marched with a Pope's blessing against a temporarily disorganised Muslim world. The Turks who then pushed the counter-attack as far as Vienna had the best-organised empire of its time, and like your empire-builders of the 1900s combined religious zeal with practical efficiency; and they both faced a fragmented opposition.

It does not look like that now. I agree that at the moment my Islam has more religious enthusiasm than your Christendom, or ex-Christendom: most of us are still believers, most of you are not sure whether you believe or not. But the rest of the equation does not apply. You are still the side with the technological and economic superiority, from whose table we snatch the crumbs of modern life. Your Europe is pulling itself together into a new unity; the Muslims, and especially the Arabs, are still hopelessly divided.

Francis: I accept that difference, but I am less than wholly comforted by it, for two reasons. One is that the Arab world has in this century shown signs, for the first time in ages, of seriously trying to unite itself; and if Iraq's Mr Saddam Hussein wins the present confrontation in the Gulf he may indeed unite a large part of it under his leadership.

Mahmoud: Which I personally think would be a disaster. Saddam would unite it under the wrong kind of political system, an ungodly dictatorship, and for the wrong purposes, the propagation

"culture", to use that clumsy word.

I am going to press you hard. "Love thy neighbour as thyself", said the founder of Christianity, adding that next to loving God this was the most important rule of all. I cannot find any equivalent in Islam's basic book. The Koran says much about the love of God; that is excellent, but not sufficient. The New Testament is full of exhortations—the Sermon on the Mount is one example—to look at our fellow-men with respect, and without self-assertion. The index of my copy of the Koran has nothing under "compassion" or "mercy", and only one entry under "peace" except as a word you say when you meet somebody. There are some fine verses about patience in Sura 16, and about modesty in Sura 31, but that is not quite the same thing.

Without plunging into theology, I will briefly say what I think lies at the root of this. To somebody who lives in the Christian world, even if he is not himself a believer, it seems clear that the Christian view of how one man should think of another man is linked to the Christian idea of a threefold God, father, son and holy ghost. If you have been told that God detached the son-part of himself, as it were, to become a human being, and get crucified, you are liable to start feeling rather more respectful towards all human beings. Islam, denying the Trinity, denies itself that opportunity.

Mahmoud: If I do not take you up on the Trinity, you will understand it is solely in the interest of peace and out of compassion for our readers. That is not entirely a joke.

Look, let me repeat: you must give us time. The New Testament has its strong points, including what it says about loving your neighbour; so does the Koran, especially on the wonder of God. But 600 years ago, when Christianity was roughly as old as Islam is now, the politics of Christendom was no more admirable than you say the politics of Islam is now. In your year of grace 1390, Christian Europe was authoritarian, brutal, had a Pope and an Anti-Pope, and was wondering whether to have an Eleventh—or was it a Thirteenth?—Crusade. Europe's great change for the better was still around the corner.

You brought up economics earlier in the debate, to score a point against me. Let me deploy economics now. That great European change for the better, including the growth of democracy, came about partly because Europe grew richer. The spread of wealth, and leisure, and thoughtfulness, helped to liberate the forces of the spirit that brought about the Renaissance and the Reformation, which in turn led to the coming of democracy. Those forces of the spirit were there, waiting; economic growth was no more than one key, among others, unlocking the door for them; but it played its part. I am confident that, if the Arab world can get its economics straight, a similar door can be unlocked for us. And, if it is, our democracy may have one or two special advantages.

Francis: If you are right, we can breathe again: what might otherwise have been the chief danger to the peace of the twenty-first century will have eased. And I accept your point about the importance of economics. Indeed, I gratefully acknowledge that the flowering of Europe in the Renaissance and the Reformation was much helped, economically and otherwise, by what Europe imported from the Arabs 600 years and more ago. We re-learnt from you the natural sciences and the other things you had learnt from classical Greece, but we had forgotten during the Dark Ages. That was partly why Europe woke up again. Thank you.

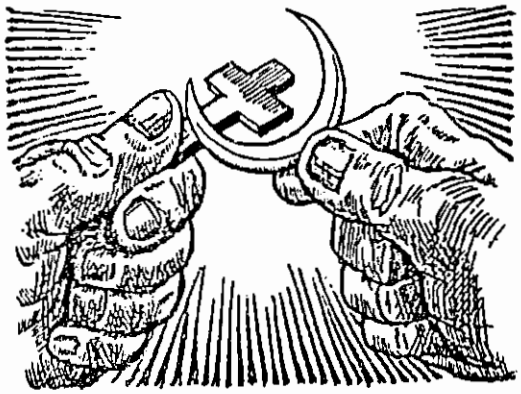

But what did you mean when you said that your version of democracy, if it comes, will be in some ways better than ours?

Mahmoud: You have set out what you think are the advantages of your religion as a foundation for democracy. I will now set out two advantages I think mine has.

One is that we Muslims are better on the race question: which will matter a lot in the coming century. The Koran is clear about it. In the beginning, it says, "mankind was but one nation"; and then "O mankind! We . . . made you into nations and tribes, that ye may know each other but not despise each other." And by and large, if you look around the world, we have carried the principle into practice fairly well.

Francis: You had in East Africa, not all that long ago, a slave trade as abominable as ours in West Africa.

Mahmoud: True: we both have to admit our failures. But on the whole the record of Islam in this matter is not bad. Muslims do not seem to have the race-consciousness that has marked so much of the history of Christianity since the Roman empire went Christian. One of Muhammed's last instructions to the Arabs was not to treat non-Arabs as inferior. This will be relevant, I think, in the coming century.

The other advantage may be harder for people in the modern West to understand, but is even more important in the long run. I think Islam can point to the danger that lies inside the triumph of the West, the weakness in its strength.

As you said, the birth of democracy and capitalism was made possible by removing one part of life from the realm of the absolute. In the operations of pluralism there is no permanent right and wrong, no unmistakable good and bad. Each man's judgment counts as much as the next man's. When a majority decides something should be done, it is done; if it changes its mind, it is undone. Whether a field is occupied by sheep or a computer factory depends on the intricate working out of millions of individual preferences between roast lamb and printouts. It is an admirably efficient system, and 1989 and 1990 suggest it is what the whole world wants; but it is not perfect.

The decisions of the majority sometimes produce results that many people see as not just temporarily inconvenient, but wrong. These may be put right later, if the majority changes; but there is no guarantee that they will be. Also, in any system based on the working out of individual choices, some individuals will finish up at the bottom of the pile, perhaps permanently. The system has no monitor, as it were, nobody watching it from outside. The more universal the system becomes, the more I worry about this lack of any guiding set of rules. If capitalist democracy is the worldwide system of the future, many people will begin to feel that they live inside a smoothly humming but, when you look at it, amoral machine.

Islam, which insists that daily life is part of a wider whole—that there are always objective truths to be honoured—is a reminder of these imperfections. I do not know exactly how the imperfections will be put right; but then neither did anybody know 600 years ago, back in AD1390, exactly how the Renaissance and the Reformation would come to the rescue. Nor am I asking you to become Muslims. I merely suggest that you address yourselves, in your own way, to the unfinished business of pluralism.

Francis: As a Christian I agree with you, of course; although many people in the western world will think we are talking nonsense just because it is Christmas. How marvellous if Islam, which helped to prod Christendom awake at the end of the Middle Ages, should after all help the modern West in the shaping of the next few centuries.

of his own crude ideas about Arab power in the modern world. But I have to tell you—and warn you—that many of my fellow-Muslims admire him very much.

Francis: Quite. And that leads to my second reason for not being reassured by your historical comparison: you have left out probably the most important thing of all.

Most of those earlier waves of expansion by Islam into Europe, and vice versa, were at least partly caused by economics. The Arabs who burst out of the Arabian desert in the century after Muhammed's death were moved by religious enthusiasm, but they were also moved by the fact that there were not enough oases in the desert to keep them alive. The Golden Horde and the Turks migrated out of central Asia for similar reasons. Much of the manpower of the Crusades consisted of the new European landed class's younger sons; as the rural economy of medieval Europe settled down into its new post-Dark-Ages order, these young people had nothing much to do, and wanted excitement. The nineteenth century's empire-builders were a bit like that too.

What worries me now is that the Muslim world to the south and east of Europe has too many young men and not enough to feed them on, or keep them busy with. Only four of the 19 countries with predominantly Muslim populations between Morocco and Iran—Morocco itself, Tunisia, Yemen and Turkey—have economies growing faster than the number of mouths they have to feed. In the other 15, people are getting steadily poorer. In four of those 15, more than half the population is under the age of 25, in nine more than 60%.

This is already producing a flood of economic refugees and, if economic misery leads to more political repression, will produce a flood of political refugees too, including a lot of angry revolutionaries. That will cause arguments between Europe, which will say it cannot take so many refugees, and the governments that want to get rid of them. These arguments could get mixed up with other things: freedom of movement between our two parts of the world, Europe's access to Arab oil, the ambitions of the next generation of Saddam Husseins. The wrong sort of new Arab leadership will create the wrong sort of new Arab self-confidence. And all this in a world of chemical weapons and nuclear missiles. I cannot claim to foresee the outcome, but there are the makings of trouble here.

Mahmoud: There are indeed. Let us both say, even if we differ over the details, that we are worried about how Islam and Europe will get through the next 50 years without a clash. What can men of good heart on both sides do to limit the danger?

Francis: I think that depends on whether we can agree about the basic nature of the world we shall be inhabiting in the twenty-first century. If we can, we should then be able to ask ourselves how our two different traditions, the Christian one and the Muslim one, can cope with that sort of world.

The past two years, 1989 and 1990, have brought a great clearing of minds about the way man organises his day-to-day life here on earth. After the rout of communism, it is really no longer possible to believe that politics and economics can be left under the control of a handful of people who claim to "know" how to run these things. We have

returned to individual responsibility, to the belief that each man carries the burden of his own life: an idea which, as you say, Muslims and Christians share. It seems clear to me that in future everybody in the world will want democracy for the political side of life, and the free choice of the marketplace as the basis of economic life.

Mahmoud: My picture of democracy may be a little different from yours, as I shall explain in a moment. But in general I agree. Indeed, if I may be tactless, I will point out that my Islam has been much better about communism over the past 70 years than your Christianity has. Most communist governments came to power in the Christian part of the world. None ever did in the Muslim part, unless imposed from outside. Some foolish Christians used to say that communism was "just another Christian heresy". Every Muslim saw it for what it was, an enemy to both of us. Let that pass, however. We agree that, in future, people everywhere will wish to have a much bigger say in how their earthly lives are organised.

Francis: Then let us go on from there. I claim that the ideas Christianity introduced into my part of the world are a better basis for the pursuit of democracy than the ideas produced by Islam. It is from Christianity, for instance, that we have learnt the essential idea of separation of church and state.

This is essential because, in matters that have to do with God, the absolute reigns; things are right or wrong, and no voting will make them otherwise. But in running our day-to-day life on earth, if we want to do it the democratic way, we must accept that the other man's opinion is as good as our own. This is the realm of relativity, of honest doubt. The two realms are separate. Christians have been told so from the start. "Render therefore unto Caesar the things which are Caesar's, and unto God the things that are God's." The Koran—forgive me—has nothing like that to say to Muslims. On the contrary, you are told that any such separation is sinfully wrong.

Mahmoud: It took Christians a very long time to put that principle properly into practice. Your Holy Roman Emperors and your Popes of the Middle Ages reached many convenient political arrangements with each other. In general, apart from an admirable early experiment by the Swiss, it took you 1,600 or 1,700 years—longer than Islam has yet been in existence—before you even started to develop the democracy for which you say the separation of church and state is a necessary condition.

You must give us time too. In fact, though we have no great phrase to point to like your quotation from Jesus in the Matthew gospel, most Muslim countries already practise a rough-and-ready separation between the business of God and the business of the state. We are terribly slow to do it in a democratic way; but so were you.

Francis: Yet it goes much deeper than the God-state separation. The practice of democracy requires a special attitude towards other people. It is necessary to accept, not just in the intellect but in the heart, that that other being out there is as important as you are. He may not be as good-looking, or as clever, or as well-read in Aristotle or Adam Smith, but he is as important. This is not something men feel naturally. It cannot be taught in sociology lessons in school. The only way of learning it, gradually, is out of the climate of ideas in which we grow up, the body of thought that shapes our lives: our

تأهيل الكوادر الإعلامية

د. فوزية فهيم
وكيل وزارة الإعلام
رئيس معهد الإذاعة والتليفزيون (سابقا)

مقـــدمة

لا شك أن أفضل استثمار فى الحياة هو استثمار الثروة البشرية عن طريق التأهيل والتدريب لتنمية قدراتها للاستفادة القصوى من كل فرد مؤهل ومدرب بعد وضعه فى المكان الذى يناسب قدراته . وإذا كان الإعلام هو عصب الحياة فى عصر " ثورة المعرفة والمعلومات " الذى نعيشه بفضل التقدم الهائل فى تكنولوچيا وسائل الاتصال فإن العنصر البشرى هو محور الارتكاز فى أجهزة الإعلام وهو الوسيلة والهدف لكل عمليات التنمية والإرتقاء خاصة إذا كنا نريد لهذه الأجهزة أن تلعب دورا فعالا فى سبيل تنمية المجتمعات التى تسعى لتحقيق التقدم واللحاق بركب الحضارة المذهل الذى يسود العالم فى جميع المجالات العلمية والفكرية غير غافلين للنواحى الوجدانية والروحية التى تميز مجتمعاتنا الإسلامية عن غيرها من المجتمعات .

لهذا فإن تأهيل الإعلاميين وتدريبهم يعد من الأهمية بمكان لفهم الدور الملقى على عاتقهم عند التوجه إلى الجماهير بالرسائل الإعلامية المختلفة لكى يكونوا على مستوى المسئولية التى يتصدون لها خاصة إذا كانت وسائل الإعلام تنطق بلسان الدولة وتمثل حكومتها . والخطر يكون جسيما إذا لم يكن رجال الإعلام على مستوى المسئولية التى يتصدون لها لأن أجهزة الإعلام تعد حلقة اتصال بين الحكومة والشعب وبين أفراد الشعب بعضهم ببعض فى الداخل . أما فى الخارج فإن أجهزة الإعلام تكون خير سفير لبلادها لدى البلاد الأخرى . وغنى عن القول أن كفاءة أى مؤسسة تتحدد إلى حد كبير بكفاءة من يتولون تشغيلها . ولا يمكن لوسائل الإعلام أن تحقق رسالتها السامية على أكمل وجه مالم تتوافر للإعلاميين على كافة مستوياتهم الخصائص المهنية والعلمية والأخلاقية الكافية التى تمكنهم من ممارسة مسئولياتهم بنجاح كبير .

العملية الإعلامية

العملية الإعلامية شأنها شأن أى عملية اتصالية تهدف إلى إحداث تأثير وتتكون فى أبسط صورها من عوامل خمسة :

- مرسل
- رسالة
- وسيلة اتصال
- مستقبل
- رد فعل

ويرى العلماء أن نجاح أى عملية إعلامية يتطلب العناية الفائقة بكل عامل من هذه العوامل لأن الإعلام تماما مثل جسد الإنسان إذا اشتكى أحد أعضائه تداعى له باقى أطرافه بالسهر والحمى . وتشير الدراسات الخاصة بأجهزة الإعلام فى الدول النامية إلى أن معظم هذه الدول تستورد الأجهزة والمعدات والإمكانات المادية الإعلامية الحديثة فى الوقت الذى تعانى فيه من نقص كبير فى الإعلاميين المدربين الذين يقع على عاتقهم مسئولية العمل على هذه الأجهزة حتى تتوافر القدرات الوطنية القادرة على إنتاج المواد الإعلامية الوطنية لتلافى الاعتماد على المصادرالخارجية غير المتكافئة طبقا لما أوصى به النظام الإعلامى العالمى الجديد الذى يرى ضرورة إيجاد مرافق التعليم والتدريب التى تكفل إعداد الإعلاميين اللازمين لوسائل الإعلام ومتطلبات الإنتاج الإعلامى .

والإعلام سواء كان مسموعا أو مرئيا أو مقروءا هو حامل العملية الاجتماعية بين الجماهير وهو المعبر الأمين عن عقلية هذه الجماهير واحتياجاتهم واتجاهاتهم . وهو بلا شك قوة حضارية هائلة تساعد فى بناء المجتمعات العصرية الجديدة عن طريق الشرح والتفسير وتبسيط المعلومات ونقل الثقافة والمعرفة بطريقة مفهومة وشيقة لمساعدة الناس على القيام بأدوارهم فى التنمية الشاملة المنشودة والتى تعنى دفع محركات النمو والنهوض داخل الفرد والجماعة لإيجاد المجتمع الإنتاجى الذى يعتمد على نفسه لا المجتمع الاستهلاكى الذى يعتمد على الغير ويستهلك نتاج حضارة الآخرين دونما عطاء مقابل . وهذه الإنتاجية لابد أن تنعكس على الإعلام السائد فى هذا المجتمع كما لابد أن يعمل الإعلام على إيجاد هذه الإنتاجية . ومثل هذا الإعلام يدعو إلى العمل والتنظيم والتخطيط والبعد عن الاستهلاك المبنى على التسلية والترفيه المتواصل . لأن الثقافة الإنتاجية تدعو الإنسان إلى التفكير وتفتح أمامه آفاق الإبداع والابتكار والاختراع على عكس

الثقافة الاستهلاكية التى تخدر بالكسل وتقتل فى الإنسان روح التفكير والعطاء . فمثلا عندما يقدم التليفزيون مسلسلا يناقش قضايا الحياة الجوهرية ويقترح الحلول فهو يقوم بدور إنتاجى يدفع إلى التفكير والتأمل . أما عندما يقدم فيلما محشوا بالمواقف الغرامية والإجرامية المفتعلة فهذا هو الاستهلاك القاتل للوقت وللجهد وللقيم .

ولا شك أن لوسائل الإعلام وخاصة الإذاعة والتليفزيون دورهما الخطير فى التنشئة الاجتماعية والتنمية الوطنية لو أحسن استغلالهما فإن لهما من السطوة والسلطان مايجعل جميع أفراد الأسرة على اختلاف ثقافاتهم وتباين أعمارهم يلتفون حول أجهزة الراديو والتليفزيون ساعات وساعات وكل واحد منهم ينظر لهما نظرة من لا يعلم إلى من يعلم . وهذه الظاهرة تتزايد كلما كانت البيئة قليلة الحظ من الثقافة والتعليم ولابد من النظر إلى وسائل الإعلام كمعلم ومربٍ .

والإعلام الناجح يعد شاهدا على العصر الذى ولد فيه وهو مرآة تعكس مايدور فى مجتمع من المجتمعات بما ينقله من رسائل واقعية وأخرى خيالية يجب أن تقدم للجماهير فلسفة حياة زاخرة بالقيم والمبادئ والمعايير والاتجاهات بما تنقله من سلوكيات ومهارات ومفاهيم إيجابية والابتعاد عن كل ماهو مبتذل وهدام لما توارث عليه المجتمع وخاصة مجتمعنا الإسلامى من قيم ومبادئ وأخلاق .

الإعلاميون قدوة

والإعلاميون قدوة . وهم ضيوف على كل فرد فى كل الأوقات . والقدوة الحسنة هى خير وسيلة لإشاعة السلوك الإيجابى فى الحياة للقضاء على السلبيات .

والقدوة الحسنة هنا تتمثل فى شقين :-

الشق الأول : وهو النماذج الإيجابية فى شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية والأدبية والتى يمكن للإعلاميين إلقاء الضوء عليها ليتعلم منها المواطنون وينهجوا نهجها . والابتعاد قدر الإمكان عن النماذج السيئة التى تجعل منها وسائل الإعلام نجوما يؤخذ رأيها فى كبائر الأمور . وعلى سبيل المثال كان يلجأ بعض الإذاعيين إلى الراقصات لأخذ رأيهن سياسيا فى حرب الخليج . ولا يخفى علينا ماتذخر به مسلسلات التليفزيون الأجنبية وأفلامه المستوردة وإعلاناته من حركات راقصة وإيحاءات غريزية رخيصة ومشاهد جنسية مبتذلة بالإضافة إلى مخارج الألفاظ ونطق الكلام مما يجعل من وسائل الإعلام وكأنها "كباريهات" انتقلت إلى المنازل دون مشقة ولا عناء . أضف إلى هذ مضمون الأغانى العاطفية والأغانى الشبابية كما يطلق عليها فى الإذاعة والتليفزيون وتزخر بها الأفلام

والمسلسلات وكلها تدور حول الحب بين الرجل والمرأة ولا تتضمن أى معنى إنسانى أو اجتماعى بل ينحصر معظمها فى الهجر والعذاب والذل والهوان والخضوع . أين هذا من القيم الأخلاقية والروحية التى تحض عليها الأديان السماوية ؟ .

أضف إلى هذا تزايد عرض العنف والقسوة والسلوك المنحرف والجرائم بدرجة خطيرة فى وسائل الإعلام المختلفة مما جعل علماء النفس يؤكدون وجود علاقة إرتباط بينها وبين إزدياد الجريمة فى واقع الحياة لأن عرض العنف والجريمة إعلاميا على الملأ تفتح أبواب الانحراف وارتكاب الجرائم أمام فئة من الناس لم تكن تعلم عنها شيئا من قبل وتضعها فى متناول يدها . ولن تساوى الموعظة المستفادة قدر الإنحراف الذى يعرض على الشباب والنشء فيهدم ما توارث عليه المجتمع من قيم ومبادىء وأخلاق .

ولا شك أن هذه القيم السلبية التى تتسرب إلى أجهزة الإعلام من خلال المواد الإعلامية المستوردة تعبر عن واقع غير واقعنا وعالم غير عالمنا وقيم وعادات غريبة لابد من اجتثاثها منعا لمزيد من التفشى . وهو ما يتنافى تماما مع ما ينادى به ميثاق الشرف الإعلامى(١) الذى وضعه اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصرى على سبيل المثال كدليل عمل وسلوك للإذاعيين فى كافة المجالات المسموعة والمرئية .

أما الشق الثانى : من القدوة، فهم رجال الإعلام أنفسهم . وقد أصبحوا قدوة يحتذى بها لدى الجماهير الذين يخاطبونهم خاصة كلما صغر السن وضعف المستوى الثقافى . وهناك كثير من المذيعين والمذيعات والصحفيين والصحفيات وغيرهم من رجال الإعلام ممن يحرصون على حسن المظهر والسلوك ويعكسون الثقافة الجادة والمفيدة ويضربون مثلا أعلى نفخر به ويحتذى به. غير أن هناك قلة مازالت تهتم بالشكل دون الجوهر وبالتسطيح دون التعمق وهؤلاء يكون ضررهم أكثر من نفعهم مهما كان مضمون الرسالة الإعلامية التى يقدمونها . ويحضرنى هنا ما كتبه الدكتور يوسف إدريس فى هذا الصدد :

"الآثار الثقافية والتربوية والسلوكية الخطيرة هى تلك التى تتسرب من الشاشة إلى الجمهور تسربا غير مباشر . خذ مثلا تسريحة شعر المذيعة أو طريقة ابتسامتها إنها أول ما تعلم : تعلم الأجيال الجديدة الكذب . الكذب على الجسم بابتكار شعر صناعى لا علاقة له بالجمال الطبيعى الصادق وتسريحة لا تليق بمذيعة تظهر فى جهاز إعلامى واسع الانتشار . فى حين أن المذيعة همها الأول هو الإتقان الكامل للموضوع الذى تقدمه أو تتحدث عنه وليس أن تربك المشاهد

(١) انظر الميثاق فى الملحق ص١٣

بالغريب من التسريحات والأزياء " .

ونحن فى حاجة إلى إعلاميين تتوافر لديهم القدرة على إقناع الجماهير والتأثير فيهم كما تتوافر لديهم القدرة على توصيل المعلومات وتفسير مدلولاتها وتوضيحها ومعرفة الآثار الناتجة عنها لدى الجماهير عن طريق تقديم الرسالة الإعلامية السوية لغويا ودينيا وسلوكيا واجتماعيا وصحيا ونفسيا . ولا شك أن تأهيل رجال الإعلام عن طريق التعليم والتدريب المستمر هو الطريق المفتوح لكل مانصبو إليه ونتمناه من وسائل الإعلام .

إعداد الإعلاميين

رجل الإعلام هو حارس البوابة الأمين على الرسالة الإعلامية . ولابد أن تتلقفه يد التأهيل والتدريب وهو طالب يدرس الإعلام فى كلياته المتخصصة وغير المتخصصة ومنذ اللحظة الأولى التى يضع فيها قدمه على عتبة العمل الإعلامى وطوال سنى حياته العملية لأن رجل الإعلام الواعى المدرب هو الذى يستطيع أن يعبر عن أهداف مؤسسته الإعلامية ويحقق أهداف الرسالة الإعلامية بكفاءة ويسر لتحقيق " الأثر المنشود " وهو غاية ماتنشده العملية الإعلامية المتكاملة: " من ؟ يقول ماذا ؟ بأى وسيلة ؟ لمن ؟ وبأى تأثير ؟ "

التعليم الإعلامى

الإعداد الأكاديمى العلمى المتخصص لابد منه لكل من يرغب فى العمل فى مجال الإعلام على أن يتم القبول فى الكليات الإعلامية والمؤسسات وفق اختبارات قبول يشارك فيها خبراء الإعلام مع الأساتذة الأكاديميين لاختيار العناصر المتميزة التى تتوافر لديها مقومات الإعلامى المبتدىء من نطق وأداء وصياغة ومعلومات عامة ومظهر لائق ويجب أن تلغى طريقة القبول فى المؤسسات التعليمية الإعلامية من خلال مكتب التنسيق على أساس التفوق العلمى دون اعتبار للموهبة الشخصية أو القدرات اللازمة للعمل الإعلامى بأعداد متزايدة دون النظر إلى احتياجات السوق من خريجى هذه الكليات والأقسام الإعلامية التى يتزايد عددها من عام لعام بشكل مخيف

ولابد أن تتميزمناهج الدراسة فى كل مؤسسة أكاديمية إعلامية عن الأخرى من واقع الهدف الذى أنشئت من أجله . فلابد أن تختلف الدراسة فى قسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر عن الدراسة فى كلية الإعلام على سبيل المثال بما يناسب تخريج الإعلامى المتخصص فى الإعلام الإسلامى . وكذلك الحال بالنسبة لأقسام الإعلام فى الجامعات الإقليمية من أجل تخريج الإعلامى المتخصص فى الإعلام المحلى وشئون البيئة واحتياجات المجتمع المحلى وتطوره.

أما أقسام الإعلام فى كليات التربية فلابد أن يتخصص خريجوها فى الإعلام التربوى وهكذا تتنوع المناهج الإعلامية وتختلف طبقا للتخصص منعا للازدواج ولابد من التعاون والتنسيق ومراجعة المناهج فى هذه المؤسسات الإعلامية على المستوى الوطنى والعربى .على أن تتضمن جميع المناهج المواد التى تكفل الإلمام العلمى الدقيق لفنون الإعلام بمحتواها وأجهزتها وكيفية التعامل معها وملاحقة التطورات الهائلة فى تكنولوجيا الاتصال وأشكاله . بالإضافة إلى بعض التدريبات والتطبيقات العملية اللازمة التى ستكفل للطالب مرونة فى التعامل مع المواد الإعلامية المختلفة عندما يبدأ العمل الفعلى فى أجهزة الإعلام .

بالإضافة إلى ما يمكن أن تتضمنه المناهج الدراسية الإعلامية من مواد فى العلوم السياسية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والإحصائية والقانونية والأدبية واللغوية مع إجادة لإحدى اللغات الأجنبية على الأقل مما سيكفل لرجل الإعلام فيما بعد مرونة فى التعامل مع المواد الإعلامية المتنوعة والتخصص فيها كما ستدعم لديه الحس الإعلامى السليم .

وكما هو معروف فإن العملية التعليمية مجالها متسع وهدفها بناء الإنسان . أما التدريب كما سيأتى ذكره فيستهدف أغراضا نفعية فورية محددة يحصل فيها الفرد على معلومات ومهارات معينة لهدف معين هو تحسين أداء العاملين ورفع كفاءتهم لكى يفوا بالتزاماتهم الوظيفية وتأدية أعمالهم على الوجه المطلوب .

التدريب الإعلامى

وإذا كان الإعداد الأكاديمى المتخصص ضرورى لرجل الإعلام فإن التدريب الإعلامى المستمر ملح، سواء للمتخرج حديثا من الكليات الإعلامية أو غيرها من الكليات، الذين يلتحقون بالمؤسسات الإعلامية أو لذوى الخبرات من العاملين بالفعل فى تلك المؤسسات مهما كانت مستوياتهم الوظيفية من أجل تطوير وتحديث وتنشيط خبراتهم ومهاراتهم المكتسبة لكى تواكب ما يستجد ويستحدث فى مجالات تخصصاتهم . كذلك فإن التدريب المستمر ضرورى لمن يتولون وظائف الإدارة العليا فى المؤسسات الإعلامية الذين يخططون ويرسمون السياسات ويشرفون على تنفيذها فى هذه المؤسسات الهامة والخطيرة مما يكفل ممارسة مسئولياتهم الإدارية والإشرافية بعقلية متطورة وبنجاح كبير .

ولتحقيق التدريب بالكفاءة المنشودة لابد من مساندة الإدارة للتدريب فى مراحله المختلفة سواء عند إنشاء مراكز التدريب أو وضع خطط التدريب أو أثناء التدريب أو بعد الانتهاء من التدريب والدخول فى مرحلة التطبيق . والمدير فى النهاية ما هو إلا معلم ومدرب وقدوة لمرؤسيه .

ولابد أن يتمتع بوعى تدريبى كبير حتى تصح العملية التدريبية على كافة المستويات .

وتحديد الاحتياجات التدريبية مقدما ضرورى لنجاح أى عمل إعلامى لأنه يوفر للإعلاميين فرصا حقيقية لتحسين **اتجاهاتهم ومهاراتهم ومعارفهم** ويمكنهم من أداء أعمالهم بأقصى مايستطيعون من قدرات :

الاتجاه : هو رد الفعل الذاتى الذى يمكن الإنسان من أن يفكر ويتصرف على نحو خاص. والاتجاه يكون إزاء الآخرين أو الأشياء أو الأعمال أو الأفكار ويتمثل فى الاحترام والطاعة وتفتح الذهن وتقبل التغيير والاحتمال وغير ذلك .

المعارف : – فتشمتل على المعرفة والحقائق والمعانى والفهم والابتكار ومن أمثلتها الاصطلاحات الفنية والقواعد والنظريات العلمية والرموز الهندسية والموسيقية ومفاهيم الإشراف والمسئولية ومعرفة خطوات العمل .

المهارة : – هى السلوك أو التصرف الذى يتطلب درجة من البراعة فى ممارسة العمل كالسرعة والدقة . وقد تكون المهارة ذهنية مثل الحديث والحوار وحل المشكلات أو حركية مثل تشغيل الأجهزة أو إصلاح المعدات أو الكتابة على الآلة الكاتبة وتشغيل الآلات الحاسبة وخلافه .

أهمية التدريب

والتدريب هام وضرورى لتنشيط العمل فى المؤسسات الإعلامية وهو يساهم مساهمة فعالة فى رفع قدرة وفعالية هذه المؤسسات كما سبق القول . وعن طريق التدريب يمكن تحقيق الآتى:–

١ – خفض الوقت المخصص لتعليم الإعلاميين الجدد فيما لو تدربوا من خلال ممارسة العمل بشرط الاستعانة بالمدربين المهرة ومنهج تدريبى متكامل لتحقيق المهارات المطلوبة وبالتالى مزيد من الإنتاجية فى العمل .

٢ – رفع كفاءة الإعلاميين القدامى وتحديث معارفهم وتنشيطهم وتحفيزهم على العمل .

٣ – تنمية روح الانتماء للمؤسسات الإعلامية عن طريق تبادل الآراء حول مشاكل العمل والمشاركة فى وضع الحلول لهذه المشاكل .

٤ – تبادل الآراء بين المتدربين والرؤساء فى قاعات التدريب يخلق جوا من التآلف بينهم ويوفر الروح الأسرية والاجتماعية .

٥ – تبادل الخبرات عن طريق تبادل الزيارات بين المؤسسات الإعلامية فى الداخل والخارج واكتساب الخبرات الجديدة عن طريق المنح الدراسية فى الخارج .

٦ – توفير تعلم اللغات الأجنبية وبرامج الكمبيوتر وخلافه .

٧ – اكتساب المهارات التى تؤهل لتولى المناصب الأعلى .

٨ – وأخيرا وليس آخرا فإن التدريب المستمر يوفر للإعلامى الثقة بالنفس والاطمئنان إلى مستوى أدائه .

تحديد الاحتياجات التدريبية

وتحديد الاحتياجات التدريبية لأى مؤسسة من المؤسسات الإعلامية يتطلب الآتى : –

١ – دراسة أهداف وسياسات المؤسسة قصيرة الأجل وطويلة الأجل ومواردها المتاحة والظروف المحيطة الداخلية والخارجية .

٢ – وضع بيان تفصيلى بالاجراءات اللازمة لتحقيق الأهداف من خلال الموارد البشرية والمادية المتاحة مع الأخذ فى الاعتبار الجهد الجسمانى والعبء النفسى للوظيفة والمناخ الاجتماعى المحيط .

٣ – تحديد الهيكل التنظيمى للمؤسسة الذى يميزها عن غيرها من المؤسسات ومدى وضوح خصائص هذا التنظيم لدى أفراد المؤسسة لأن المناخ السائد فى المؤسسة من الممكن أن يشكل أحد العوامل الأساسية التى تؤدى إلى نجاح أو فشل البرنامج التدريبى . وعادة يقاس هذا الوضوح عن طريق الاستقصاء والمقابلة الشخصية كما يمكن شرح الهيكل التنظيمى عن طريق الندوات والمؤتمرات .

٤ – تحليل الوظيفة بهدف تحديد مكونات البرنامج التدريبى وهذا يتطلب تجميع البيانات الخاصة بالوظيفة والمواصفات المطلوبة لشاغل الوظيفة والمهارات والمؤهلات التى يجب أن تتوافر لديه مع التركيز على معدلات الأداء المطلوبة والأعمال التى يجب أن يؤديها وطريقة الأداء .

٥ – تحليل القوى العاملة لتحديد الحالات التى هى فى حاجة إلى تدريب وأى نوع من التدريب هى فى حاجة إليه ولتحديد ما إذا كان العاملون ذوى الأداء المنخفض سوف يحققون أداء أفضل من خلال التدريب أو من الأفضل نقلهم إلى وظائف أخرى أكثر ملاءمة لهم بعد معرفة أسباب انخفاض الأداء ومدى إمكانية التغلب عليها عن طريق التدريب .

أنواع التدريب

١ – التدريب العملى أثناء الدراسة النظامية الأكاديمية فى المؤسسات الإعلامية لبعض الوقت وفق التخصص المطلوب .

٢ – التدريب التأهيلى للمبتدئين قبل تولى العمل لكى يتعرفوا على طبيعة العمل الذى سيلتحقون به.

٣ – التدريب التنشيطى ويستخدم لتحديث المعلومات لمواكبة كل ما هو مستحدث ومتطور فى مجال العمل .

٤ – التدريب التأهيلى للمناصب الأعلى قبل توليها .

٥ – التدريب التخصصى ويعنى تدريب مجموعة من العاملين على أداء عمل معين مرتبط بعملهم الأصلى بهدف إكسابهم مهارات فنية جديدة أو رفع مستوى أدائهم .

٦ – التدريب لتغيير التأهيل لبعض العاملين لتولى أعمال جديدة .

الأساليب التدريبية

ولابد من اختيار الأسلوب التدريبى المناسب لنوع التدريب المطلوب التركيز عليه . فمثلا إذا كان الهدف من التدريب هو إكساب الدارس مهارة يدوية فلا يمكن أن يتأتى ذلك بدون أن يحصل على تدريب عملى ميدانى تطبيقى يمارس فيه العمل تحت إشراف المدرب وبالتالى لن يكفى هنا أسلوب المحاضرة النظرية على سبيل المثال . وأساليب التدريب متنوعة وهى مفيدة فى جميع البرامج التدريبية وهى كالآتى : –

١ – المحاضرة النظرية

٢ – المحاضرة النقاشية .

٣ – المناقشة الجماعية .

٤ – شحذ الفكر أو ما يطلق عليه Brain Storming

٥ – الندوة .

٦ – تقمص الأدوار لحل المواقف .

٧ – الشرح العملى والتطبيقى .

٨ – الزيارات الميدانية للمواقع .

تحديد الأهداف التدريبية

ولابد من تحديدالأهداف التى يتوخاها البرنامج التدريبى قبل البدء فى تنفيذه ثم تحدد الإجراءات والمحتوى والطرق المناسبة للوصول إلى هذه الأهداف وفى النهاية يقاس الأداء وتقيم النتائج فى ضوء الأهداف التى حددت من قبل . والهدف هنا يعنى التغيير المنشود فى المتدرب أو السلوك الأدائى المستهدف من المتدرب بعد استكمال التدريب سواء كان هذا السلوك

مرئيا أو مدركا . كما أن النص على أهداف البرنامج التدريبى تعنى الإشارة إلى صفات يمكن قياسها وملاحظتها فى المتخرجين من هذا البرنامج حتى يمكن تحديد ما إذا كان البرنامج قد حدد أهدافه أم أخفق فى ذلك . وهذا يعنى أن فى غيبة الأهداف المحددة تحديدا واضحا يصعب تقييم المنهج أو البرنامج التدريبى كما لن تكون هناك أسس لاختيار المواد المناسبة والمحتوى وطرق التدريب وأدواته .

تقييم نتائج التدريب

لا شك أن الهدف النهائى لأى برنامج تدريبى هو تحسين الأداء عمليا بمعنى أن تطبق عند العودة إلى العمل المعارف والمهارات والاتجاهات التى اكتسبت أثناء التدريب بشرط أن يتوفر الجو الملائم لهذا التطبيق .

فقد تكون هناك عوامل تعوق دون تحويل التعليم المكتسب عن طريق التدريب إلى سلوك مثل الافتقار إلى القيادة الصالحة غير الواعية بأهمية التدريب . وقد يتمثل العائق فى عدم توفر الإمكانات المادية أو الأجهزة اللازمة التى يطبق بها المتدرب ما تعلمه . وقد يكون العائق أيضا فى بعد برامج التدريب عن واقع العمل الفعلى كالتركيز على المناهج النظرية وإغفال التطبيق أو عدم مراعاة التدرج المنطقى للمنهج . ومثل هذه المعوقات وغيرها قد تجعل عائد التدريب معدوما بالإضافة إلى الأثر النفسى السىء الناتج عن الشعور بالقدرة على إفادة العمل فى ظروف غير مشجعة أو غير مساعدة .

معوقات التدريب

ولكى يؤتى التدريب الإعلامى ثماره المرجوة فى تشكيل الرسالة الإعلامية وفى بناء وتأهيل رجل الإعلام الواعى المستنير لابد من تحديد الاحتياجات التدريبية على المدى الطويل لخطة إعلامية طويلة الأجل فغالبا ماتبنى سياسة التدريب على أساس مواجهة الاحتياجات العاجلة التى يتطلبها العمل الإعلامى . ولابد من النظر إلى التدريب على أنه نشاط من الدرجة الأولى مكمل لخطط وأهداف المؤسسة الإعلامية تعد له المراكز التدريبية وتجهز بالإمكانات والمعينات التدريبية اللازمة التى تجعل من العملية التدريبية واقعا ملموسا .

والتدريب لابد أن يكون شرطا أساسيا عند التعيين للإعلاميين الجدد ولا يسمح لأى منهم بممارسة العمل قبل اجتياز الدورات التدريبية التأهيلية اللازمة . كما يجب ربط الترقى فى العمل بالتدريب واجتياز الدورات التدريبية اللازمة لشغل الوظائف الأعلى . فعلى سبيل المثال هناك وظيفة "مساعد مخرج " فى كل من الإذاعة والتليفزيون . فلكى يرتقى إلى وظيفة " مخرج " لابد

أن يجتاز الدورة التدريبية الخاصة بالإخراج فى معهد الإذاعة والتليفزيون . علما بأنه لكى يعمل مخرجا مساعدا لابد أن يكون قد اجتاز الدورة التأهيلية للإذاعيين عند بدء التعيين ثم دورة مساعدى الإخراج قبل السماح له بممارسة العمل " كمساعد مخرج " وهكذا .

وأخيرا وليس آخرا بل لعله أهم ما نرمى إليه نوصى بمراجعة مناهج [1] التدريب الإعلامى على اختلاف أنواعها ومستوياتها والعمل على تطعيمها بالمواد التى تعنى بالنواحى الوجدانية والدينية والعادات والتقاليد السوية والمواد الوطنية والتى تكاد تخلو منها حتى يتطهر العمل الإعلامى من كل مالايتفق مع عاداتنا وتقاليدنا الشرقية السمحاء .

والله ولى التوفيق

(١) انظر نموذج لدورة تأهيل الإذاعيين الجدد فى الملحق ص ١٩

ملحـــــــق

- ص : ميثاق الشرف للعاملين باتحاد الإذاعة والتليفزيون .
- ص نموذج لبرنامج دورة تأهيل الإذاعيين الجدد .

ميثاق الشرف
للعاملين باتحاد الإذاعة والتليفزيون

نحن العاملين باتحاد الإذاعة والتليفزيون بجميع مجالاته وأجهزته : -

إيمانا منا بالله وبرسالاته السماوية ،

واعتزازا بوطننا المصرى ، وقوميتنا العربية ،

واستمساكا بالقيم الأخلاقية والاجتماعية الرفيعة ،

وعرفانا بسيادة الشعب وحق المجتمع ،

والتزاما بمبادئ الاشتراكية والديمقراطية السليمة ،

وثقة منا بالإمكانات الفعالة التى تتيحها أجهزتنا ، لاستنهاض الطاقات الروحية والقدرات العلمية، وإشاعة مبادئ الإخاء الإنسانى وتعميق روابط الوحدة بين شعوب الأمة العربية .

وتأكيدا منا لضرورة إيجاد مناخ الحرية الملائم لنمو الملكات المبدعة وإظهار المواهب الجديدة، وتشجيع التعبير الصادق الأمين .

نرتضى هذا الميثاق وما يلحق به من أخلاقيات العمل فى الاتحاد - عهدا نلتزم به ونسير على هديه ، مؤمنين بأن ما نقوم به ليس وظيفة بل رسالة وبأننا جنود الخط الأول فى الجبهة الفكرية والإعلامية ، وبأن التفانى فى العمل هو التعبير عن شعورنا بالمسئولية ، وبأن أجهزتنا وأدواتنا أمانة غالية فى أيدينا .

نحن العاملين فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون بجميع مجالاته نعلن عهدنا هذا :

أن نكون دائما على استعداد لحمل الرسالة ورعايتها ،

وأن ندافع عن شرف هذا الوطن ومصالحه بالحق - قولا وفعلا ،

وأن نقوم بمسئولياتنا فى كل زمان ومكان ،

وأن نبذل جهدنا فى تحسين أداء عملنا سواء الإعلامى أو الفكرى أو الفنى ،

وأن نطور كفاءتنا وأساليبنا الإدارية والمالية ،

وأن نحافظ على أجهزتنا وأدواتنا ،

وأن نصونها ونطور إمكاناتها بكل ما لدينا من علم وقدرة ،

وأن نداوم على الاتصال بمصادر المعرفة وتطورها

توسيعا وتعميقا لقدراتنا وكفاءتنا ،

وأن نترفع عن الهوى ، ونتجنب الدعاية لذواتنا ،

وأن نكون قدوة فى سلوكنا ، مراقبين الله فى كل أعمالنا ،

وأن نجعل خدمة الوطن هدفنا ملتزمين بأهداف النضال الوطنى ،

والله على ما نقول شهيد .

أخلاقيات العمل

فى

اتحاد الإذاعة والتليفزيون

يقوم العمل فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون بجميع مجالاته وأجهزته على أساس القواعد التالية وفى الحدود الآتى بيانها ، وذلك تأكيدا للقيم الدينية والوطنية والقومية والاجتماعية والأخلاقية والعلمية والفنية ..

الباب الأول

فى الواجبات

١ - يجب أن تؤكد البرامج القيم الدينية والأخلاقية التى يقوم عليها المجتمع المصرى ، كما تشجع التقاليد الصالحة التى ورثها الشعب على مدى تاريخه الطويل .

٢ - يجب أن تحرص البرامج على اعتبار مكارم الأخلاق والعمل المخلص والالتزام بمبادئ الدستور الأخلاقية والاجتماعية ، معيارا للتفاضل بين الناس .

٣ - يجب أن تكون البرامج معبرة بأمانة عن مبادئ السياسة العامة للدولة وأهدافها فى كافة مجالاتها .

٤ - يجب أن تبث البرامج الأمل والثقة فى المستقبل .

٥ - يجب أن تحرص البرامج على تقديم الفن الرفيع والفكر الجاد ، وعلى الترفيه البعيد عن الإسفاف والابتذال والسوقية .

٦ - يجب أن تؤكد البرامج قيمة الفرد وقيمة الشعب فى المجتمع باعتبارهما الركيزة الأساسية لصنع الحضارة .

٧ - يجب أن تؤكد البرامج حرية الفكر والكلمة والصورة والإبداع الفنى .

٨- يجب أن تبرز البرامج ما للمجتمع المصرى من دعائم العلم والإيمان والحرية والاشتراكية .

٩- يجب أن تعنى البرامج بالتراث القومى العلمى والثقافى فى عصوره المختلفة ، وخاصة دور الحضارة الإسلامية فى إثراء الإنسانية ، وإبراز قدرتها على تجديد العطاء فى المستقبل .

١٠- يجب أن تعمل البرامج على توسيع قاعدة الثقافة العامة تقريبا للفوارق بين الجماهير ، كما يجب أن يخصص جزء منها للثقافة الرفيعة استهدافا للارتفاع بالمستوى الثقافى العام .

١١- يجب أن تعمل البرامج على الارتفاع بالذوق الفنى، وتطوير التذوق الجمالى لدى الجماهير، وعلى تنمية الملكات والمواهب .

١٢- يجب أن تعنى برامج الأطفال بتأكيد احترام الآباء والعرف والأخلاق والسلوك الحميد ، مع عنايتها بتنمية متوازية لشخصية الطفل علميا وثقافيا وتربويا وأخلاقيا .

١٣- يجب أن تعنى البرامج بتنمية الشخصية لدى الشباب وبث شعور المسئولية فيهم وحل مشاكلهم وتأهيلهم لحمل الأمانة فى المستقبل .

١٤- يجب أن تؤكد البرامج الحرية للمواطنين وحرماتهم وحقهم فى الأمن على النفس .

الباب الثانى

فى المحظورات

١٥- لا يجوز إذاعة ما يتضمن المساس بالأديان والعقائد .

١٦- لا يجوز إذاعة مايثير الجدل بين الطوائف .

١٧- لا يجوز إذاعة ما يمس بالسياسة العليا للدولة أو بالأهداف التى تقوم عليها هذه السياسة.

١٨- لا يجوز إذاعة هجوم على الأنظمة العامة للدولة .

١٩- لا يجوز إذاعة ما يتضمن التحريض على انتهاك القوانين .

٢٠- لا يجوز إذاعة ما يمس صور البطولة القومية .

٢١- لا يجوزإذاعة ما يمس القومية العربية أو بقيمتها الكفاحية أو بتراثها القومى .

٢٢- لا يجوزإذاعة هجوم على القوميات الأخرى .

٢٣- لا يجوز إذاعة ما من شأنه المساس بهيئات القضاء . والدفاع والأمن ورجال الدين .

٢٤- لا يجوز إذاعة هجوم على رجال السلطة العامة بسبب أدائهم لوظائفهم .

٢٥- لا يجوز إذاعة ما من شأنه تحقير أى مهنة مشروعة .

٢٦- لا يجوز إذاعة ما من شأنه تهديد كيان الأسرة أو يقلل من قدسيتها أو يهز القيم التى يقوم عليها بناؤها .

٢٧- لا يجوز تحبيذ الطلاق كوسيلة لحل مشاكل الأسرة .

٢٨- لا يجوز إذاعة تعبيرات أو صور سوقية أو مبتذلة .

٢٩ -لا يجوز إذاعة ما من شأنه أن يمس الآداب العامة أو الوقار أو يخدش الحياء سواء بالقول أو الأداء أو الصور .

٣٠ -لا يجوز إذاعة ما يؤدى إلى تحبيذ الانحلال الخلقى سواء بالقول أو الأداء أو الصور .

٣١- لا يجوز إذاعة ما من شأنه إشاعة اليأس وروح الهزيمة فى الأفراد أو المجتمع .

٣٢ -لا يجوز المساس بالقيم النابعة من تقاليدنا الطيبة .

٣٣- لا يجوز إذاعة ما من شأنه إشاعة البلبلة الاجتماعية أو المبادئ المناهضة لأسس المجتمع العربى وتقاليده .

٣٤- لا يجوز إذاعة ما من شأنه تحبيذ التفرقة بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة أو الطبقة .

٣٥- لا يجوز إذاعة ما يؤدى إلى تحبيذ الجريمة أو عرض وسائلها الشاذة بطريقة يمكن أن تؤدى إلى التقليد .

٣٦- لا يجوز إذاعة ما يجيز تعاطى المخدرات أو الاتجار فيها، أو المحرمات الأخرى كالخمر والميسر .

٣٧- لا يجوز إذاعة ما من شأنه تحبيذ الأخذ بالثأر .

٣٨- لا يجوز إبراز صور القسوة على الإنسان أو الحيوان .

٣٩- لا يجوز إذاعة صور الرعب المفزعة .

٤٠- لا يجوز فيما يذاع إيذاء شعور ذوى العاهات البدنية أو العقلية .

٤١- لا يجوز إذاعة المعلومات الخاطئة .

٤٢- لا يجوز إذاعة آراء أو تعليقات أو توجيهات ذات صبغة علمية أو فنية أو مهنية أو دينية ما لم تكن من مختص أو بعد مراجعته .

٤٣- لا يجوز إبراز ما يخالف الحقائق العلمية من خرافات .

٤٤- لا يجوز للعامل فى الاتحاد أن يتخذ أجهزته أو يسمح باتخاذ هذه الأجهزة وسيلة للدعاية

للنفس كما لا يجوز له فى غير الإعلانات التجارية أن يذيع أو يسمح بإذاعة ما يتضمن دعاية لأفراد من الفنانين أو من الجمهور أو لشركات أو سلع بعينها مما يدخل فى باب هذه الإعلانات .

٤٥- لايجوز للعامل فى الاتحاد أن يذيع أو يسمح بإذاعة ما من شأنه الإساءة إلى برامج غيره .

٤٦- لا يجوز للعامل فى الاتحاد أن يذيع أو يسمح بإذاعة ما من شأنه إظهار رفع الكلفة بينه وبين المتحدثين أو الفنانين كما لا يجوز إضفاء ألقاب على المتحدثين أو الفنانين ليست لهم . تراعى هذه القواعد ويلتزم العاملون فى الاتحاد بالعمل بها .

الدورة الفنية العامة رقم ٤٧
من يناير إلى إبريل ١٩٨٤

الموضوع	عدد الساعات	الموضوع	عدد الساعات
ميثاق الشرف الإعلامى	٦	تشريعات ونظم إعلامية	١٠
الإذاعة وسيلة اتصال	٦	قواعد اللغة	١٦
المذيع – الإذاعات الخارجية ربط البرامج	١٦	أصوات اللغة	٨
اللغة والأدب (تذوق أدبى)	١٠	الكتابة للإذاعة	١٠
الأخبار (تحرير)	١٠	الأخبار (مصادر)	٨
الإذاعات الموجهة	٨	البرامج الخاصة	٦
البرامج الدينية	٦	برامج التنمية	٦
الأخطاء الشائعة	٦	الموسيقى العربية	٨
الأحاديث والمناقشات والندوات	١٢	الموسيقى الأجنبية	٨
نقد ومتابعة البرامج وتقيمها	١٠	التنسيق وخريطة البرامج	٦
البرامج الترفيهية والمنوعات	١٦	الهندسة الإذاعية	١٦
برامج المرأة	٤	برامج الشباب	٤
برامج الطفل	٦	البرامج الرياضية	٤
البرامج الريفية	٤	برامج العمال	٤
تمثيليات والإخراج	١٦	بحوث المستمعين	١٠
معمل برامج	١٢		
مجموع الساعات	٢٧٢		

الفترة الزمنية : ٣ أشهر

نظام الدراسة : بتفرغ كامل / ٤ ساعات يوميا خمسة أيام فى الأسبوع

الهدف : تأهيل الإذاعيين الجدد وتعريفهم بطبيعة العمل الإذاعى

الدارسين : الإذاعيين الجدد

الإعلام الإسلامى
فى القرن الحادى والعشرين

أ.د على عجوة
الأستاذ بكلية الإعلام - جامعة القاهرة

مقدمة

تطورت وسائل الإعلام خلال هذا القرن تطورا سريعا، انعكست آثاره على العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين دول العالم، وداخل كل دولة من الدول المتقدمة والنامية على السواء . وبعد أن كانت دورة التطور تحسب بالقرون، أصبحت تحسب بمرور جيل مدته خمس وعشرون سنة، ثم باتت تحسب بمرور عقد مدته عشرة سنوات . ولن يكون غريبا عما قريب أن تساير دورة التطور الإعلامى دورات التطور فى السيارات والأزياء . فكما يقال سيارة طراز عام ١٩٩٠ أو ١٩٩١ سيكون من الطبيعى مع إشراقة القرن الحادى والعشرين وربما قبل أن يودعنا القرن الحالى أن نقول : تكنولوجيا اتصالات عام ١٩٩٥ أو عام ١٩٩٦ .... وهكذا .

ومن الطبيعى فى ظل هذا التطور السريع أن تواكب الرسالة الإعلامية التغيرات التكنولوجية السريعة فى شتى وسائل الاتصال، وكذلك الطبيعة المتغيرة للجماهير، والأطر الثقافية التى توجه سلوكها .

وإذا كان هذا التحدى يواجه العمل الإعلامى فى شتى المجالات فإنه يمثل عبئا إضافيا للتحديات التى تواجه العمل فى مجال الإعلام الإسلامى، وكذلك الدعوة لدين الله الحنيف . وهذا يدفعنا إلى ضرورة الاستعداد لمواجهة هذه التحديات بأسلوب علمى يعتمد على دراسة الواقع، والتوغل فى جذوره لكى نعيد البناء على أسس أكثر صلابة .

لابد أن نتعرف على نقاط الضعف والقوة فى أوضاع الإعلام والدعوة الحالية، لكى ننطلق إلى عمل أكثر فاعلية، مستفيدين فى ذلك من التطورات التقنية الحديثة، فى التخطيط للرسالة الإعلامية التى تقدم الإسلام للعالم كله دون تحريف أو تشويه .

ولتحقيق هذا الهدف نتناول الأوضاع الإعلامية فى العالم خلال القرن العشرين فى المبحث الأول من هذه الدراسة . ونعرض فى المبحث الثانى التحديات التى واجهت الإعلام الإسلامى فى هذا القرن .

أما المبحث الثالث فيسعى إلى وضع استراتيجية مستقبلية للإعلام الإسلامى خلال القرن الحادى والعشرين فى ضوء التغيرات المتلاحقة، والتى تفرض على المخططين والمنفذين المواءمة المستمرة بين الخطط التفصيلية والتطورات السريعة فى الأوضاع الإعلامية فى عالم الغد .

المبحث الأول

الأوضاع الإعلامية فى العالم خلال القرن العشرين

الاتصال ضرورة حتمية لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات البشرية . ولو فقد الاتصال بين الناس لتعذر ظهور الحضارات الإنسانية، ولما تحققت السمات الثقافية المتميزة لأى مجتمع . لقد كان ظهور التجمعات البشرية نتيجة لبداية عملية التفاهم الإنسانى باستخدام الإشارات signals وتلى ذلك تطور على جانب كبير من الأهمية فى ارتقاء هذا التفاهم حينما بدأ استخدام اللغة. ثم كان التطور الأكثر أهمية متمثلا فى الكتابة كوسيلة لنقل الحقائق والأفكار إلى الغير .

وإذا كان اختراع الكتابة قد حفظ لنا تاريخ الإنسانية أو تراثها الثقافى، فإنه بلا شك لم يستطع أن يعمل على نشر الثقافة فى العصور الخالية على نطاق واسع . فالكتاب المخطوط كان شيئا نادرا باهظ التكاليف وبالتالى لا يمكن أن يقتنيه إلا صفوة الصفوة .

وكانت الثورة الأولى فى وسائل الاتصال متمثلة فى اختراع جوتنبرج للطباعة فى منتصف القرن الخامس عشر . ثم تطورت الطباعة تدريجيا حتى وصلت إلى شكلها الحالى الذى أثمر ظهور صحافة الملايين التى تطبع ملايين النسخ فى ساعات قليلة وتوزعها فى ساعات أقل .

وقد عرف العالم المذياع (الراديو) فى بداية العشرينيات من هذا القرن، وانتشرت هذه الوسيلة الإعلامية فى الثلاثينيات انتشارا كبيرا وظهرت الإذاعة المرئية (التليفزيون) قبل بداية الحرب العالمية الثانية وانتشرت على مستوى تجارى فى أعقاب الحرب، ثم بدأت انتشارها الواسع فى الخمسينيات والستينيات . وقد أصبح من الممكن أن تنتقل الأحداث بالصوت والصورة فى نفس لحظة وقوعها تقريبا عن طريق الأقمار الصناعية للاتصالات التى بدأت انتشارها فى أكتوبر عام ١٩٦٢ حينما تم إطلاق القمر تلستار Telestar. (١)

ولقد فتحت أقمار الاتصالات آفاقا واسعة أدت إلى تطوير أبنية الاتصال على المستويين الوطنى والدولى، كما أدت فى الوقت ذاته إلى سيطرة الدول الكبرى بإمكاناتها الهائلة فى صناعة

---

(١) على عجوة (دكتور) : الأسس العلمية للعلاقات العامة، الطبعة الثالثة، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٥ ص٥

الاتصال على الإعلام الدولى خاصة مع التفوق الكبير لوكالات الأنباء العالمية على الوكالات المحلية فى جمع ونشر الأخبار والمعلومات والأفكار .

وقد ساهم هذا التقدم الهائل فى وسائل الاتصال فى تقريب المسافات بين بقاع العالم المختلفة حتى أصبح العالم من الناحية الإعلامية أصغر مما هو فى الواقع نتيجة لسرعة تداول الأنباء وانتقال المعلومات والآراء . وعلى صعيد آخر فقد أدى تطور وسائل المواصلات وطرق النقل الحديثة وتقدم المواصلات السلكية واللاسلكية إلى تيسير الانتقال المادى بين سكان العالم . لقد أصبحت عملية الانتقال بين دول العالم فى هذا العصر أشبه بعملية الانتقال بين قريتين متجاورتين فى العصور السابقة .

لقد قيل إن العالم أصبح الآن أشبه بقرية إعلامية، مايحدث فى أى بيت من بيوتها يتردد صداه فى جميع بيوت القرية، بفضل التقدم الهائل فى وسائل الاتصال والمواصلات .

ولقد لعبت وسائل الاتصال الجماهيرية دورا كبيرا فى نقل الثقافات المختلفة بين مجتمعات العالم، وتقريب المسافات الفكرية، وتحطيم الحواجز المصطنعة . وقد ترتب على هذا كله تزايد معرفة المجتمعات بما يجرى فى بعضها البعض، مما أدى إلى تفهم الاختلافات فى بعض الأحيان، واتساعها أحيانا أخرى ، فحينما تستغل الأنظمة الحاكمة فى بعض المجتمعات مالديها من وسائل اتصال واسعة الانتشار فى تعبئة مشاعر الكراهية لغيرها من الأنظمة، وإثارة النزعات العدوانية ضدها، تتسع هوة الخلاف، وتحتدم الصراعات التى تؤدى إلى الصراع المسلح فى بعض الأحيان .

وتستطيع وسائل الاتصال الجماهيرية من خلال ماتقدمه من موضوعات تتصل بأنماط الحياة فى المجتمعات الأخرى، أن تنقل الأفراد من عالمهم المحدود إلى عالم أرحب وأوسع . ويؤدى هذا الانتقال إلى معرفة هؤلاء الأفراد بأساليب الحياة فى بعض المجتمعات المتقدمة، فينمو لديهم الاستعداد للأخذ عنها، كما تنمو عندهم القدرة على التقمص الوجدانى Empa-thy أى القدرة على تصور الفرد لنفسه فى ظروف الآخرين أو تصوره لدوره وأدوار الآخرين فى المجتمع. (١)

لقد ترتب على هذا التطور الكبير لوسائل الاتصال والمواصلات تزايد معرفتنا بأجزاء العالم المختلفة، لكن هذه المعرفة ليست عادلة فى معظم الحالات بالنسبة للمجتمعات المختلفة كانعكاس طبيعى لتأثير القوى الكبرى فى التدفق الإعلامى والتأثير الثقافى .

---

١ – على عجوة (دكتور) : العلاقات العامة والصورة الذهنية، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٣ ص٢٠، ص٢١ .

إننا نعلم الكثيرعن الولايات المتحدة الأمريكية، أو بريطانيا، أو فرنسا أو غيرها من الدول الأوربية الكبرى، ولكننا لانعلم إلا القليل عن بعض الدول الأفريقية المجاورة أو القريبة منا . بل إننا ربما لا نعلم القدر المعقول من المعرفة عن المجتمعين العربى والإسلامى اللذين ننتمى إليهما .

ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى التفوق فى استخدام وسائل الاتصال الجماهيرية من جانب الدول الكبرى، وهو مايجعل المسافة الإعلامية بينها وبين الدول الصغرى البعيدة أقصر بكثير من المسافة بين هذه الدول المتجاورة . وهو ماينعكس أيضا على اختلاف المسافة بين دولتين باختلاف اتجاه الاتصال بينهما . فالمسافة الإعلامية بين واشنطن والقاهرة مثلا أقصر بكثير من المسافة الإعلامية بين القاهرة وواشنطن رغم أنها مسافة واحدة من الناحية الجغرافية .

وهذه هى مشكلة الدول النامية – ومعظم الدول الإسلامية تندرج فى إطارها – إنها لا تستطيع أن تنقل صوتها إلى شعوب الدول المتقدمة بنفس القدرة التى تتمكن بها حكومات الدول المتقدمة من التأثير على شعوب الدول النامية(١) .

إن سيطرة الدول الكبرى على وسائل الاتصال المتطورة قد أثار بعض المفكرين فى نفس هذه الدول بالإضافة إلى مفكرى الدول النامية نفسها وجعلهم ينادون بالبحث عن وسيلة مناسبة لتحقيق التوازن فى تدفق الاتصال بين دول العالم المختلفة وتخفيف سيطرة القوى الكبرى على اتجاهات التدفق الإعلامى . وقد ازداد الموقف تعقيدا بعد خروج ماكان يسمى بالاتحاد السوفيتى من ساحة المنافسة فى السيطرة الإعلامية على العالم وعدم معرفة القوى الجديدة التى ستدخل المنافسة . هل سيكون من بينها الوريث الأقوى للاتحاد السوفيتى ؟ أم سيدخل فى المنافسة أعضاء جدد من أوروبا الغربية أو آسيا . وأياما كانت الاجابة فلا شك أننا فى جميع الأحوال نواجه إعلاما يملك إمكانات هائلة ودعاية تسعى لفرض سيطرتها وتفوقها على المستوى الدولى .

ولعل أسوأ مافى هذه الدعاية هى التحيز الواضح والصريح ضد المسلمين والأفارقة والعرب . فالمسلمون محكوم عليهم من كبريات الصحف الغربية بالبلاهة والتخلف الفكرى . والسود هم فى مرحلة بدائية وأقرب مايكونون إلى الحيوانات . أما العرب فهم أسوأ المخلوقات وأحقرها ولايمكن ترتيبهم من حيث العرق إلا فى أسفل الدرجات(٢) .

وبعد محاولات متعددة لفضح هذا الاختلال الإعلامى أقر المؤتمر العشرون لليونسكو عام ١٩٧٨ الإعلان الخاص بالمبادئ الأساسية المتعلقة " بمساهمة وسائل الإعلام فى دعم السلم

---

(١) المرجع السابق ص٢٢ .

(٢) مصطفى المصمودى (دكتور) : النظام الإعلامى الجديد . عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٥ ص١٩.

والتفاهم الدولى وصيانة حقوق الإنسان ومقاومة التمييز العنصرى والتحريض على الحرب "[1] .

وكان هذا الحدث بمثابة خطوة هامة نحو إرساء نظام عالمى جديد للإعلام والاتصال وأول وثيقة رسمية للأمم المتحدة تولى مطامع البلدان النامية اهتماما بشأن تغيير النظام الحالى فى ميدان الاتصال وتحديد أفضل لواجبات وحقوق وسائل الإعلام .

غير أن هذا الاهتمام لم يترجم إلى وثيقة رسمية ولم يتجاوز إرساء القواعد الأولى لمفهوم النظام العالمى الجديد للإعلام فى المؤتمر الحادى والعشرين من خلال لائحة تمت المصادقة عليها فى شبه إجماع .

وقد ورد فى هذه اللائحة الدعوة إلى :

١ – القضاء على اختلال التوازن وأوجه التفاوت التى يتسم بها الوضع الراهن .

٢ – إزالة الآثار السلبية لبعض الاحتكارات العامة أو الخاصة وأوضاع التركيز المفرط .

٣ – تذليل العقبات الداخلية والخارجية التى تحول دون التداول الحر والانتشار الأوسع نطاقا والأكثر توازنا للمعلومات والأفكار .

٤ – تعدد مصادر المعلومات وقنوات الإعلام .

٥ – حرية الصحافة والإعلام .

٦ – تمتع الصحفيين وجميع المهنيين العاملين فى وسائل الاتصال بحرية لا تنفصل عن المسئولية.

٧ – تدعيم قدرة البلدان النامية على التوصل إلى تحسين وضعها الخاص ولاسيما عن طريقة التزود بالمعدات وتدريب أطرها وتحسين بناها الأساسية، وجعل وسائل الإعلام والاتصال الخاصة بها قادرة على الوفاء باحتياجاتها وتطلعاتها .

٨ – الرغبة الصادقة من جانب البلاد المتقدمة فى مساعدتها على بلوغ هذه الأهداف .

٩ – احترام الذاتية الثقافية لكل أمة وحقها فى إعلام الرأى العام العالمى بمصالحها وأمانيها وقيمها الاجتماعية والثقافية .

١٠– احترام حق جميع الشعوب فى الاشتراك فى التبادل الدولى للمعلومات على أساس المساواة والعدالة والمصلحة المتبادلة .

١١– احترام حق الجمهور والفئات الاجتماعية والأفراد فى الانتفاع بمصادر المعلومات وفى المشاركة الفعالة فى عملية الاتصال .

---

(١) المرجع السابق ص٢٣ .

وقد حاولت الدول النامية عرض نص إضافي يطلب من المدير العام لليونسكو دراسة إمكانية إعداد إعلان يعرف بصورة أدق بالنظام العالمي الجديد للإعلام والاتصال ويعرض على الدورة الثانية والعشرين لمؤتمر اليونسكو عام ١٩٨٣، ولكن تهديدات الدول الغربية بالانسحاب من اليونسكو حالت دون خروج هذا النص إلى حيز التنفيذ .[١]

والخلاصة أن النوايا الطيبة والأحلام السعيدة للدول النامية لم تجد لها سندا يؤيدها في مجال التنفيذ الفعلي، وبالتالي لم تتحقق حتى الآن أية بوادر لتحقيق الديمقراطية الإعلامية وإقرار حق الاتصال، وضمان حرية تدفق الإعلام العلمي، وبصفة - عامة إيجاد توازن في التبادل الإعلامي بين الدول المتقدمة والنامية .

ولا يقتصر الاختلال الإعلامي على المستوى العالمي بين الدول المتقدمة والنامية فقط، وإنما تمتد آثاره إلى داخل الدول النامية نفسها . فالبناء الاتصالي في هذه الدول يتسم بالمركزية الشديدة حيث يوجه الاتصال من العاصمة إلى كافة مدن وقرى الدولة . وماينطبق على الدول النامية بصفة عامة ينطبق على الدول العربية باستثناء عدد قليل منها كالمغرب والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وجمهورية مصر العربية فإمكانات البث والنشر مركزة في العاصمة في أغلب الدول العربية والإسلامية .

كما يؤثر ضعف البرامج الاتصالية وضآلة الإنتاج العربي الإسلامي في المجال التليفزيوني على نوعية البرامج التي تعرضها قنوات التليفزيون في هذه الدول . فبعض هذه الدول يعتمد على استيراد البرامج التي قد لا تتفق القيم التي تحملها في أغلب الأحوال مع القيم الإسلامية والاهتمامات الوطنية لشعوب هذه الدول وهذا يتيح الفرصة مرة أخرى لسيادة الإنتاج الفني للدول المتقدمة على الدول النامية بإختيار القائمين على أمور الاتصال في هذه الدول .

يضاف إلى ذلك ماتنقله أقمار البث المباشر من برامج يتلقاها مواطنو الدول النامية بكل مايمكن أن تحمله هذه البرامج من قيم تتعارض في كثير من الحالات مع القيم الإسلامية والاهتمامات الوطنية . ولا شك أن ضعف البرامج الوطنية وتكرار الكثير منها في بعض الدول نتيجة ضآلة الإنتاج، إما بسبب نقص الإمكانات الفنية والبشرية، أو بسبب نقص الإمكانات المادية، يشجع مواطني هذه الدول على مشاهدة البرامج التي تبث من هذه الأقمار .

وفي ظل هذه السيطرة الإعلامية لوكالات أنباء الدول الكبرى، والأقمار الصناعية التي تبث

---

١ - المرجع السابق ص ١١١ - ١١٤ .

برامجها، والمضامين الاتصالية التى تنتجها وتشتريها الدول النامية، بالإضافة إلى الإذاعات العالمية الموجهة، والصحف الكبرى، والكتب التى تصدرها دور النشر العالمية، وكذلك جهود الإرساليات التبشيرية التى تعتمد على الاتصال المباشر، تحاول إذاعة القرآن الكريم فى مصر وإذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة وإذاعة القرآن الكريم من مكة والرياض تقديم تعاليم الدين الإسلامى وتوضيح صورة الإسلام والمسلمين ومقاومة دعاوى الإلحاد والقيم الهدامة . كما تقوم إذاعات الدول الإسلامية، وقنوات التليفزيون بها وكذلك الصحف والمجلات الإسلامية والعامة بجهود متفرقة، وإن كانت فى أغلب الأحوال ضعيفة، فى مجال التعريف بالإسلام والمسلمين وتوضيح تعاليم الدين الحنيف، ومواجهة التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية فى ظل ثورات الاتصال المتعاقبة .

المبحث الثانى

التحديات التى تواجه الإعلام الإسلامى فى القرن العشرين

يواجه الإعلام الإسلامى فى هذا القرن تحديات كبرى تحتاج إلى جهود كبيرة لمواجهتها وإضعاف آثارها مرحليا، تمهيدا للتغلب عليها وتحقيق التفوق لهذا الإعلام فى المستقبل القريب . ومن أهم هذه التحديات قوة الاتصال الغربى والسيطرة التى يتفوق من خلالها على العالم كله . وكذلك الدعاية الصهيونية التى تستفيد من سيطرة الاتصال الغربى وتتحكم فيه لتحقيق أهدافها الخاصة .

كما تساهم أوضاع العالم العربى والإسلامى من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى إضعاف الإعلام الإسلامى وإتاحة فرص التفوق للدعاية المضادة . وأخيرا تأتى الحملات الإرسالية التبشيرية بما يدعمها من قوى اقتصادية وسياسية لتشكل أحد التحديات الهامة التى تواجه الإعلام الإسلامى بأسلوب مكثف ومتطور .

ولا شك أن التناول التفصيلى لكل تحد من هذه التحديات يحتاج إلى عدد من المؤلفات العلمية . وقد تحقق هذا فعلا من خلال بعض الدراسات القيمة التى قدمها علماء مبرزون فى مجال هذه التحديات[1] . وسوف نتناول هذه التحديات بشكل مركز وصولا إلى صيغة فعالة للإعلام الإسلامى خلال القرن الحادى والعشرين .

أولا : قوة الاتصال الغربى :

تسيطر الدول الأوروبية الكبرى ومعها الولايات المتحدة الأمريكية على كبرى وكالات الأنباء فى العالم.

---

١ – محمد على العوينى (دكتور) : الإعلام الإسلامى الدولى بين النظرية والتطبيق – الطبعة الثانية، القاهرة، عالم الكتب١٩٨٧ .

٢ – حسن صعب (دكتور) : الإسلام وتحديات العصر، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة مارس ١٩٧٩ .

٣ – عبدالحليم محمود(دكتور) : أوروبا والإسلام، القاهرة ١٩٧٩.

٤ – عبدالحليم عويس (دكتور) : المسلمون فى معركة البقاء، القاهرة، دار الاعتصام ١٩٧٩.

٥ – محمد عبدالله السمان : محنة الأقليات المسلمة فى العالم، القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٨١ .

ولاتقتصر سيطرة هذه الوكالات على وسائل الاتصال فى معظم الدول ومن بينها العالمين العربى والإسلامى، وإنما تؤثر هذه الوكالات على عملية اتخاذ القرار السياسى الذى يستند بطبيعة الحال إلى الكم المتوافر من المعلومات وبصفة خاصة فى أوقات الأزمات . فالوكالات العالمية تسبق الجهات الرسمية فى كثير من الحالات، فى الحصول على المعلومات، وتضطر هذه الجهات إلى الاعتماد على الوكالات فى تحديد موقفها وسياستها .

كما تؤثر هذه الوكالات على الأوضاع الاقتصادية فى العالم . فيرى بعض الخبراء أن الخدمة الإخبارية الاقتصادية التى تقدمها وكالة رويترز البريطانية تعتبر سوقا مالية فى حد ذاتها، حيث تؤثر على حركة تداول الأسهم والسندات وأسعار العملات والمحاصيل فى بورصات العالم[1].

وفى نفس الوقت فإن سيطرة الغرب على الفضاء من خلال الكم الهائل من الأقمار الصناعية الأوربية والأمريكية بالإضافة إلى أقمار البث المباشر قد أضاف إلى الاتصال الغربى قوة لايستهان بها فى مجال التأثير بالصوت والصورة معا .

أما عن الإذاعات الموجهة إلى العالم كله من الدول الغربية بلغات عديدة فتضيف هى الأخرى قوة إضافية إلى الاتصال الغربى الفعال على المستوى الفكرى والسياسى فى المقام الأول، وعلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية نتيجة للتأثير الأول. ويضاف إلى الإذاعات العامة إذاعات دينية موجهة إلى مختلف مناطق العالم .

فهناك اتحادات إذاعية مسيحية دولية أهمها :

أ – الرابطة الدولية الكاثوليكية للراديو والتليفزيون .

ب – الرابطة العالمية للإذاعة المسيحية .

جـ – الرابطة الدولية للإذاعيين المسيحيين.

د – المنظمة الدولية للإعلام المسيحى .

وتضم هذه الاتحادات العديد من مؤسسات الإذاعة والتليفزيون فى مختلف مناطق العالم المسيحى. ويمكن القول بصفة عامة إن أهدافها الأساسية تتمثل فى[2] :

١ – تحقيق وتنشيط التعاون بين المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية المسيحية فى مختلف المجالات .

---

١ – على عجوة (دكتور) وآخرون : مقدمة فى وسائل الاتصال، جدة، مكتبة مصباح ١٩٨٩، الفصل الذى كتبه د. سعيد محمد السيد ص٢٧٢، ٢٧٣.

٢ – إبراهيم الداقوقى (دكتور) الأنظمة الإذاعية، بغداد، جامعة بغداد ١٩٨٥، ص ٧٣-٧٤

٢ – توفير وتبادل المعلومات بين المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية المسيحية .

٣ – زيادة فاعلية المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية فى سياق جهودها الهادفة إلى نشر الديانة المسيحية .

٤ – توسيع نطاق عمل المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية على المستوى الدولى وعلى أوسع نطاق ممكن.

٥ – تحقيق التعاون مع المؤسسات الأخرى بما يخدم هدف نشر الديانة المسيحية .

٦ – توفير المجال لمناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك سواء بين الأعضاء أو غيرهم من المؤسسات ذات الشأن .

٧ – القيام بالدراسات والأبحاث التى تساعد على فعالية الدعاية المسيحية .

٨ – التعريف بالمنظمات المسيحية فى المجالات المختلفة وإقامة شبكة من الاتصالات بينها .

وتوجه الجهود الإذاعية المسيحية إلى أفريقيا على سبيل المثال من خلال القنوات الثلاث التالية :(١)

أ – مراكز واستديوهات الإنتاج .

ب – الأقسام الدينية فى الإذاعات الحكومية .

جـ – الإذاعات الدولية المسيحية .

ومن أبرز مراكز واستديوهات الإنتاج مركز الإنتاج الموجود فى زامبيا ويقوم بإنتاج المواد الدينية اللازمة لجميع وسائل الاتصال وقد أنشأته الهيئة التبشيرية عام ١٩٧٠ ويعمل بالتنسيق مع حكومة زامبيا والهيئات الكنسية المحلية والدولية. وكذلك يقوم مركز"تلبستار" فى زائير بإنتاج برامج تنموية فى مجالات التعليم والصحة والزراعة من منظور مسيحى، ويضم قسمين أحدهما لإنتاج مواد الراديو والآخر لإنتاج مواد الفيديو.

أما بالنسبة لاستديوهات الإنتاج فهى عبارة عن استديوهات مجهزة تجهيزا كاملا وموجودة فى المناطق المستهدفة وتختص بإنتاج المواد الإذاعية وإرسالها إلى المحطات الإذاعية كى تذيع هذه المواد إلى تلك المناطق . ولعل من أشهر استديوهات الإنتاج تلك الاستديوهات التابعة لإذاعة " صوت الانجيل" Voice of Gospel التى تمتلك سبعة استديوهات إنتاج إقليمية فى أفريقيا منها خمسة تشرف عليها الطائفة اللوثرية فى تنزانيا ونيجيريا والملجاش وأديس أبابا . كما يوجد استديوهات فى الكاميرون يشرف عليها الاتحاد الدولى

---

١ – شاهيناز بسيونى (دكتورة) : الإذاعات الدينية والصراع الدعائى الدولى فى أفريقيا (مجلة بحوث الاتصال) كلية الإعلام جامعة القاهرة العدد الثالث ١٩٩٠ ص ١١٦، ١١٧.

للاتصالات المسيحية .

ويوجد قسم دينى فى معظم إذاعات الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء يعمل بالتنسيق مع المسئولين عن التبشير فى هذه البلاد . وينتقى القائمون بالاتصال فى هذه الأقسام من المبشرين أو من الأفارقة الذين تلقوا تعليما دينيا داخل أفريقيا أو خارجها [١].

ومن أشهر الإذاعات المسيحية الموجهة إلى أفريقيا إذاعة " بالحب الأبدى نكسب أفريقيا Eternal Love Winning Africa وكذلك إذاعة صوت الإنجيل Voice of Gospel وإذاعة كورداك . أما الإذاعات التى توجه إلى العالم كله فهى " إذاعة حول العالم " وراديو الفاتيكان[٢].

وإلى جانب الإذاعات الدينية تقوم الكنيسة فى الدول الأفريقية بجهود التبشير من خلال الخدمات الصحية والتعليمية، وتوزيع المنشورات والكتب والصحافة المسيحية .

ثانيا - الدعاية الصهيونية :

تمارس الدعاية الصهيونية تأثيرها من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام الغربية وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى ماتعده إسرائيل من تنظيمات تعتمد على الاتصال الشخصى فى تحقيق أهدافها .

التليفزيون الأمريكى لا يظهر العرب كفنانين أو شعراء أو دبلوماسيين أو رجال دولة أو فلاسفة أو حرفيين أو مزارعين أو عمال بناء أو رجال مصارف أو علماء أو رجال أعمال أو مدرسين أو أفراد عائلات، عاديون وإنما يصورهم كعصبة من الأشرار المتحكمين فى سوق النفط فى العالم . كما يصورهم على أنهم متوحشون وجبناء ومنحطون، عطاشاً للجنس وخادعين غادرين . والصورة السائدة لشيوخ العرب يملكون الجمال وسيارات " الكاديلاك" السوداء المترفة وبداخلها أشباح سوداء ترى من فى الخارج ولايراها أحد . كما يصورهم ساعين لاستغلال عذارى الأمريكيات ذوات الأربعة عشر ربيعا[٣]

وعلى الرغم من سيطرة الصهيونية على كبريات الصحف فى العالم الغربى وعلى محطات الإذاعة والتليفزيون وبعض دور النشر فإنها تؤمن بقوة الاتصال الشخصى والتأثير المباشر والإقناع . ولتحقيق ذلك تسعى لتحديد مراكز القوة فى كل مجتمع وتختار قادة الرأى وتنفذ إليها

---

١ - أحمد طاهر : الإعلام الدولى، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٣ ص١٧٦ . ١٧٧ .

٢ - لمزيد من التفاصيل ارجع إلى : شاهيناز بسيونى مرجع سابق ص ١١٨ - ١٢٦

٣ - ندوة الصحافة الدولية لعام ١٩٧٩ تحت عنوان الإعلام الغربى والعرب وزارة الإعلام والثقافة دولة الإمارات العربية المتحدة كلمة جاك شاهين ص٢٥ - ٣٦ .

من خلال[1] :

١ – الدعوات والزيارات : لاكتساب الأنصار والأصدقاء من الشخصيات القيادية المؤثرة .

٢ – المؤتمرات والندوات التى تعقد بصفة دورية لمناقشة المسائل العلمية والقضايا الإنسانية.

٣ – السياحة والرحلات والمعارض لتعريف الشباب الأجنبى واليهودى بصفة خاصة بعالم إسرائيل وكذلك تنظيم الترفيه بمختلف صوره للوفود الأجنبية .

٤ – تبادل الخبراء فى الزراعة والتنمية والتعاونيات والشئون العسكرية وبالأخص مع الأقطار النامية .

٥ – اختلاق الفضائح والابتزاز وذلك باستخدام سلاح التشهير ضد من تسول له نفسه مقاومة الصهيونية واتهامه بمعاداة السامية (مثلما حدث مع فورستال وتونيبى وديجول) .

كما تستفيد إسرائيل من الجاليات اليهودية المنتشرة فى جميع أنحاء العالم : خمسة ملايين فى أمريكا الشمالية، وثلاثة ملايين فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية، ومليونين فى أوروبا الغربية ونحو مليونين آخرين فى باقى القارات . وقد استغلت الدعاية الصهيونية هذا التوزيع باستثمار خصائص المجتمعات اليهودية من حيث التغلغل فى مراكز البحوث والسيطرة على مراكز الثقافة والإعلام، والسطوة فى مجال المال وقطاع المصارف والأعمال . وقد ساعدها على ذلك قوة الارتباط المعنوى الذى يربط اليهود بإسرائيل الأمر الذى ولد ظاهرة الولاء المزدوج لهؤلاء اليهود لأوطانهم ولإسرائيل فى نفس الوقت .

كما تستغل إسرائيل المنظمات غير الحكومية كالوكالة اليهودية التى تعرف بالمنظمة الصهيونية العالمية. والهستدروت (اتحاد عمال إسرائيل) الذى يشرف على المعهد الأفريقى الأسيوى ويصدر عشرات من الصحف والمطبوعات ويرسل ويستقبل عشرات النقابيين من القيادات العمالية، وهناك أيضا الأحزاب السياسية داخليا وخارجيا بواسطة منظماتها التابعة مثل اتحاد الكيبوتز واتحاد الموشاف والمنظمات الشبابية كالناحال والجدناع .

وقد نبه بعض الباحثين إلى نجاح الدعاية الصهيونية فى أن تنشئ علاقات مع بعض الأقليات غير المسلمة المؤيدة للصهيونية فى منظمة الشرق الأوسط مثل بعض الجماعات المارونية وكذلك بعض تجمعات شملت اليهود الأتراك وبعض أهالى أرمينيا وغيرهم، واستطاعت أن تنصهر فى حركة سرية واحدة من خلال النظام الماسونى[2].

---

١ – السيد عليوة (دكتور) : استراتيجية الإعلام العربى، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ص٢١٠.

٢ – المرجع السابق ص ٢١١، ٢١٢.

والخلاصة أن الدعاية الصهيونية تتبنى الأسلوب العلمى وتستفيد من التجارب الدعائية السابقة فى العصور المتعاقبة، وتلجأ إلى الإغراق الإعلامى والتنويع فى الرسالة الإعلامية لتحقيق أهدافها العليا فى صراعها مع الأمتين العربية والإسلامية .

ثالثا - الصراعات الداخلية بين الدول العربية وسوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية:

رغم كل عوامل التوحد والانسجام التى تظلل المنطقة العربية منذ ظهور الإسلام حتى الآن، إلا أن الخلافات بين التجمعات العربية فى العصور المختلفة كانت ومازالت هى السمة المميزة لهذه الأمة . فبمجرد أن يزول الإحساس بالخطر المباشر الذى يهدد هذه الأمة فى وقت من الأوقات تظهر بوادر الصراع بين بعضها البعض لأسباب واهية ترتبط فى أغلب الأحوال بصراع الزعامات على حكم هذه البلاد .

وفى بعض الحالات تكون المذاهب الدينية والاختلافات الفكرية النابعة من تفسير هذه المذاهب سببا فى احتدام الصراع بأساليب غير مشروعة لاتعترف بالحوار العقلى بقدر ماتلجأ إلى القتل والتدمير .

وقد استفاد أعداء الإسلام من هذه الخاصية المميزة للفكر العربى وللشخصية العربية فبدأوا منذ الحروب الصليبية فى تغذية أسباب الصراع وإثارة الفتن وتوجيه قوى الأمة العربية دائما لما فيه دمارها وتخلفها . ونستطيع أن نحدد عددا من الأمثلة التى تؤكد هذا الدور المخطط من أعداء الإسلام للسيطرة على الأمة العربية وإضعافها باعتبارها الحصن الأول للإسلام على النحو التالى:

١ - اختلاق الخلافات السياسية على الحدود أو الثروة الاقتصادية أو نظم الحكم . ولعل أبرز هذه الخلافات ماانتهى إلى غزو العراق للكويت، وماتبع ذلك من انقسام على مستوى الأمة العربية، وتبديد هائل غير مسبوق لطاقات هذه الأمة، ومواردها الاقتصادية، التى ظلت تبنيها خلال عشرات السنين وبالإضافة إلى الآثار المستمرة لهذا الخراب على مستقبل هذه الأمة، وماتركته من آثار متعددة على العلاقات العربية بين الأشقاء المسلمين، فقد عمقت حرب الخليج الوجود الصهيونى فى المنطقة العربية، وحطمت إلى فترة طويلة الآمال التى كانت معقودة على مواجهته والتصدى له من جانب بعض القوى العربية التى توافرت لها أسباب القوة للمواجهة والتحدى .

٢ - فى إطار المخطط المعادى للإسلام والمسلمين فإن جملة الإنفاق على المخدرات والخمور

فى العالم العربى حسب الإحصاءات الرسمية الدولية يصل إلى ٦٤ ألف مليون دولارسنويا. كما بلغ الإنفاق على المخدرات فى إحدى الدول العربية الفقيرة ثلاثمائة مليون دولار سنويا حسبما ورد فى نفس الاحصاءات[١].

٣ – السلوك العربى فى بعض الدول الأوروبية وفى الولايات المتحدة الأمريكية يدعم بعض الصور النمطية التى تركز عليها وسائل الإعلام الغربية، والتى تتناقض مع روح الإسلام مما يؤدى إلى تشويه صورة المسلمين. فالإنفاق ببذخ، والعلاقات النسائية، والتلويح بالثراء، هى بعض أنماط السلوك الصادرة عن بعض الأفراد العرب الذين لا يشعرون بمسئولية السلوك فى تكوين صورة بلادهم . ولاشك أن أعداء المسلمين يتصيدون مثل هذه الأخطاء ويضخمونها رغم صدور مايماثلها من فئات أخرى غير العرب تطبيقا للمثل القائل : عدوك يتمنى لك الغلط، وحبيبك يبلع لك الزلط .

٤ – سوء الأوضاع الاقتصادية لعدد كبير من الشعوب الإسلامية فى أفريقيا وآسيا (باستثناء الدول البترولية)، وحاجة كثير من أفراد هذه الشعوب إلى العون المادى باعتبارهم واقعين تحت خط الفقر. وللأسف فإن قيام الدول الإسلامية الغنية بدور فعال فى دعم الدول الفقيرة ليس فعالا إلى الحد الذى يحقق التضامن والتكافل الأمثل بين الشعوب الإسلامية . وهذا يؤدى إلى لجوء الدول الإسلامية الفقيرة إلى الدول غير الإسلامية بحثا عن المعونات التى غالبا ماتكون مشروطة بمالا يتفق مع مصالحها .

٥ – ارتفاع نسب الأمية وانتشار الأمراض دون ما مواجهة فعالة من جانب الحكومات للتصدى لهذه المشكلات . ومن المؤسف أن الحكومات الغربية هى التى تحاول باسم التحضر والإنسانية تبنى برامج تحسين الخدمات الصحية والعلاجية لتبدو أمام العالم فى وضع المنقذ للإنسانية المعذبة بتأثير الفقر والجهل والمرض .

٦ – غلبة الأنظمة السياسية المتسلطة التى تفتقر إلى احترام الحريات الفردية، والتى لاتعترف بنظم الشورى الإسلامية. كما أن سوء صورة بعض الزعامات والتى تتحدث عنها وسائل الإعلام المعادية تضفى على شعوب هؤلاء الزعماء والقادة خصالا تتنافى مع مبادئ الإسلام فى الحكم، والعدل، ورعاية المحكومين، والسهر على راحتهم، وتوفير الأمن لهم .

٧ – التخلف الإدارى الذى يلقى بظلاله على معظم المؤسسات القائمة فى العالمين العربى .

---

١ – محمد الحفناوى (دكتور) حديث إلى التليفزيون المصرى مساء الجمعة ١٩٩٢/٢/٢٨

والإسلامى وانتشار الرشوة والفساد والتواكل وعدم الرغبة فى العمل . كما يغلب على الأجهزة الإدارية تعقد الإجراءات وتناقضها مع أبسط مبادئ الإدارة الحديثة مما يؤدى إلى عرقلة العمل وصعوبة تحقيق التقدم واستثارة روح الابتكار والتصرف السليم بين الإداريين .

رابعا- الحملات الإرسالية التبشيرية :

دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقيا من القرن الخامس عشر أى فى أعقاب الكشوف الجغرافية البرتغالية، وتلى ذلك إرساليات التبشير البروتستانتية. وقد اهتمت جمعية الكنيسة البروتستانتية بالتبشير فى أفريقيا الغربية، وكان التركيز على الكونغو. وفى عام ١٨١٩ تم الاتفاق بين الأقباط وهذه الجمعية وتكونت إرسالية تعمل على نشر الإنجيل فى شرق أفريقيا.(١)

وفى غرب أفريقيا توجه المبشرون الإنجليز والسويديون والألمان وظهرت بعض المنازعات بين الكاثوليك والبروتستانت . ومنذ عام ١٨٧٨ اتجهت الإرساليات التبشيرية إلى أفريقيا الوسطى وتنوعت هذه الإرساليات مابين ألمانية واسكتلندية، وانجليزية، واتجهت نحو الخرطوم والحبشة. وانتشرت الإرساليات التبشيرية فى تونس والجزائر والمغرب ومعها البعثات الطبية، كما قام التبشير البروتستانتى بدور فى مدغشقر(٢).

وقام المبشر هنرى مارتن بتنظيم توجيه الإرساليات إلى غرب آسيا، إذ أقام فى الهند وفارس والبلاد العثمانية، ثم اتجهت الإرساليات إلى الأناضول وفلسطين وتأسست الكنيسة البروتستانتية فى الآستانة عام ١٨٤٦ . أما فى الهند فقد بدأت الإرساليات بالتركيز على الفقراء وإن كان التبشير قد ركز بعد ذلك على كل الفئات . ومنذ عام ١٨١٣ توجهت الإرساليات التبشيرية إلى الصين ومعها الأطباء والممرضون وهكذا يتبين لنا :

- التنوع الشديد فى الإرساليات التبشيرية .
- تعدد جنسيات هذه الإرساليات .
- تعدد مذاهبها .

وإذا حاولنا المقارنة بين الإرساليات التبشيرية فى القرون الماضية وإرساليات هذا القرن نقول إن الأولى استمدت قوتها من القوى الاستعمارية الغازية لبلاد العالم المختلفة، أما الآن فهى تقوم بتطوير نفسها لتتمشى مع الظروف المعاصرة . ولعل أبرز مظاهر هذا التطوير هو تقديم الخدمات الصحية والتعليمية بالإضافة إلى المعونات الغذائية والدعم الاقتصادى لبعض الجماعات والشعوب التى تحتاج إلى هذا الدعم لاستمالتها والتأثير عليها بشكل يحقق أهداف هذه الإرساليات.

(١، ٢) محمد على العوينى (دكتور) : مرجع سابق ص٤٧، ٤٨.

المبحث الثالث

استراتيجية الإعلام الإسلامى
فى القرن الحادى والعشرين

تؤكد التحديات التى يتعرض لها الإعلام الإسلامى فى هذا القرن على ضرورة اتباع أساليب للمواجهة على أسس علمية متطورة . فلم يعد من المقبول أن ينتظر الإعلام الإسلامى تلقى الضربات من أعداء الإسلام، ثم يقوم بالتصدى لها والرد عليها . لقد أصبح من الثابت علميا أن التحرك المواكب للأحداث وتحقيق السبق عليها كلما كان ذلك ممكنا، أفضل بكثير من متابعة الأحداث أو محاولة اللحاق بها .

كما أنه من الضرورى أن ينطلق الإعلام الإسلامى من واقع مشرف يتفق مع ماأراده الله لهذه الأمة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ صدق الله العظيم. وهذا يتطلب أن تتجمع هذه الأمة بعد طول تفرق، وأن تتوحد جهودها بعد طول تمزق، وأن تتقارب بعد طول تباعد، وأن تتكاتف بعد طول تناحر. لابد أن نتصدى أولا لإصلاح البيت من الداخل، وإعادة ترتيب أمورنا، والنهوض بأحوالنا المتردية، لكى تكون الصورة التى نسعى إلى تقديمها إلى العالم متفقة مع واقع ينتزع الاحترام والتقدير من العدو قبل الصديق.

لقد حان لنا أن نتفهم الاختلافات بين شعوبنا وأن لانحولها إلى خلافات . وأن ننظر إلى أنفسنا نظرة صفاء وتسامح، تحركها الكليات ولاتمزقها الجزئيات. ننحاز إلى الحق وإلى نصرة الإسلام، ولاننحرف إلى التعصب الأعمى أياكان نوعه، فى مذهب دينى أو مباراة للكرة . أليس من المؤسف ونحن نسعى إلى كسب احترام العالم أن يقتل بعضنا البعض بحجة أن هذا خارج عن الأصول، وهذا بعيد عن التراث، وأن ذاك مغتصب لزعامة، والآخر قد نال البطولة بغير أساس أو بركلة حظ. لابد أن ننشر الإسلام بين صفوفنا أولا وأن ندعو إلى التمسك بجميع مبادئه فى سلوكنا بالحكمة والموعظة الحسنة، لنقدم للعالم النموذج والقدوة التى نريده أن يقتدى بها وأن يهتدى بهديها . فالسلوك القويم هو خير تقديم للإسلام وأفضل تعريف بالمسلمين . وهذا هو المنطلق الأساسى للإعلام الإسلامى

أهداف الإعلام الإسلامى فى القرن الحادى والعشرين :

فى ضوء التحديات التى تواجه الإعلام الإسلامى على المستوى الداخلى والخارجى نستطيع أن نبلور مجموعة من الأهداف التى يجب أن يركز عليها هذا الإعلام على النحو التالى:

١ – التعريف الصحيح بالعقيدة الإسلامية كعبادة، ومنهاج حياة يحقق الخير للمؤمنين به، المتمسكين بمبادئه وتعاليمه.

٢ – توضيح القيم الايجابية البناءة التى يؤكد عليها الإسلام لإسعاد المجتمع والارتقاء بأفراده.

٣ – تأكيد المبادئ النبيلة التى يحث عليها الإسلام لتحقيق العدل والتضامن والتكافل بين جميع المسلمين فى مواجهة الشدائد فى أسمى صور الايثار وإنكار الذات .

٤ – التعريف بأحوال المسلمين وإذاعة أخبارهم فى مختلف بقاع العالم، وتذكير المسلمين بمشاكل إخوانهم والتحديات التى تواجههم واقتراح الوسائل المناسبة لمساعدتهم .

٥ – إبراز الجوانب الإيجابية والتأكيد على الإنجازات التى تتحقق فى الدول الإسلامية وعدم الخضوع لسيطرة الإعلام الغربى لتصحيح الاختلال الكمى والكيفى الذى يميز هذا الإعلام فى تقديمه للمجتمات الإسلامية .

٦ – التعريف بالشخصيات الإسلامية التى أسهمت فى صنع التقدم والتطور فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٧ – تفنيد الدعايات الكاذبة والافتراءات المغرضة التى يشنها أعداء الإسلام وخصومه مستعينين فى ذلك بوسائل الإعلام واسعة الانتشار، وكذلك من خلال الأعمال الأدبية والفنية التى تصور المسلمين بشكل لايتفق مع الواقع خدمة للمخططات الصهيونية والإلحادية .

٨ – تصحيح الصورة الذهنية التى تكونت عند بعض الشعوب والجماعات عن الإسلام والمسلمين، عن طريق تقديم الواقع الحقيقى للسلوك الإسلامى القويم، وشرح أبعاد الفكر الإسلامى من خلال قضايا المجتمع الحقيقية والمعاصرة .

٩ – توعية المسلمين فى بلاد العالم المختلفة بدورهم الحاسم فى تكوين صورة الإسلام عند غير المسلمين، والتصدى للدعايات المغرضة وتصحيح الصور الخاطئة والمفاهيم الباطلة التى يحاول أعداء الإسلام الترويج لها بين غير المسلمين .

١٠ – التأكيد على أهمية القيم الروحية فى استعادة التوازن المفقود لهذا العالم الذى طغت عليه المادة، ودور الأديان فى تعميق هذه القيم دون دخول فى تفاصيل الديانات الأخرى .

نحو إعلام إسلامى فعال
دعائم الإعلام الإسلامى الفعال

استنادا إلى الدراسات الإعلامية التى أجريت خلال هذا القرن، واسترشادا بتجارب الماضى، وعلى ضوء التطورات الأخيرة فى الأوضاع الإعلامية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة سنتناول المبادئ العامة التى ينبغى الحرص عليها لتوفير أقصى درجة من الفعالية والتأثير للإعلام الإسلامى .

أولا – المصداقية : Credibility

تتوقف درجة الثقة فى القائم بالاتصال أو مايعرف بمصداقية رجل الإعلام أو الداعية على مجموعة من العوامل التى تكون صورته فى أذهان الجماهير. ومن الطبيعى أن تختلف قوة هذه العوامل بالنسبة لجمهور المسلمين الذين يخاطبهم الداعية الإسلامى، فى مقابل جمهور آخر من غير المسلمين الذين لم تسبق لهم معرفة هذا الداعية أو حتى معرفة شئ عن الدعوة الإسلامية نفسها .

كما تختلف أهمية بعض عوامل المصداقية تبعا لوسيلة الاتصال المستخدمة، فالاتصال المواجهى المباشر يؤثر فيه الجانب المرئى من شخصية الداعية، إضافة إلى قوة الحجة، وعذوبة الحديث، ومكانة الداعية فى المجتمع فى حين أن الاتصال الإذاعى المسموع أو الاتصال الكتابى المطبوع لايرتكز على الجانب المرئى من شخصية الداعية بالنسبة لمن لايعرفه شخصيا بقدر مايرتكز على الجوانب الأخرى المتعلقة بقوة الحجة وعذوبة الحديث والمكانة الاجتماعية والدينية للداعية . وتنطبق بعض صفات المصداقية المرتبطة بالجانب المرئى من شخصية الداعية على الاتصال التليفزيونى، وإن كانت تحتاج إلى قدرات ومهارات وصفات شخصية أكثر جذبا للمشاهدين.

وبصفة عامة نستطيع القول إن الإعلامى أو الداعية الإسلامى لابد أن يكون ذا سمعة طيبة، مستقيما فى سلوكه، تتفق أقواله مع أفعاله، متحمسا لدعوته فالإيمان العميق بالدعوة ، والإخلاص والتفانى فى تقديمها دون تعصب تقرب الجمهور إلى الداعية وتجعله أكثر قبولا وتأثيرا . كماأن الاتزان واللباقة والحصافة والكياسة "المؤمن كيس فطن" من الصفات الهامة التى ينبغى أن تتوافر فى الداعية ورجل الإعلام الإسلامى .

ولا يمكن أن نغفل جانب المظهر الشخصى للداعية، فالإسلام يحث على النظافة والاهتمام بموقومات الشخصية الجسمية إلى جانب المقومات الروحية والعقلية ممايحقق للداعية مميزات الشخصية القوية الجذابة والمؤثرة على جمهوره . وتكتمل مقومات هذه الشخصية بمعرفة الجمهور وفهم خصائصه النفسية والاجتماعية، ودراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المحيطة لكى يتمكن الداعية من اختيار المداخل المناسبة للتأثير فى جماهيره .

ثانيا – الواقعية :

الإعلام هو مرآة المجتمع وهو التعبير الموضوعى لروح الجماهير وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت . ولذلك يكون من الضرورى أن يرتبط الإعلام الإسلامى بواقع المجتمع الذى يعيش فيه، وأن يلم بمشاكله واحتياجاته، وأن يعبر عن آماله وتطلعاته. وهذا يتطلب أن يكون الإعلام الإسلامى – فى ظل أوضاع التخلف السائدة فى بعض المجالات – قوة دافعة للتنمية والحث على التغيير إلى الأفضل .

كما ينبغى على الداعية الإسلامى فى الخارج أن يتعرف على واقع المجتمع الذى يتوجه إليه بالدعوة، وأن يفهم العوامل النفسية والأوضاع الاجتماعية والإعلامية المؤثرة لكى لاتصطدم دعوته بأوضاع معاكسة تؤدى إلى خدمة الدعايات المعادية للإسلام .

ثالثا – معلومات لها مغزى :

ينبغى أن يركز الإعلام الإسلامى على الأحداث الحقيقية ذات الأهمية بالنسبة للمجتمع الإسلامى. فالجمهور فى هذه الأيام يتعرض لسيل جارف من الرسائل والمضامين الاتصالية التى تحاول أن تشد انتباهه . ولذلك نمت عنده حاسة الانتقاء لما هو هادف ومحدد، وعدم الالتفات لما هو دون ذلك . ولكى يكون للإعلام مغزى فلابد[1] :

١ – أن يتضمن شيئا يفيد الجمهور ويمس مصلحته مسا مباشرا ومحددا .

٢ – أن يحوى الجديد المستساغ أو المميز عن غيره من المضامين التى يتعرض لها الجمهور بكثرة .

٣ – أن يتناول كل الحقائق التى تؤيد دعوته، فلم يعد من المقبول أن تقدم النتائج إلى الجمهور دون المقدمات التى أدت إليها .

رابعا – الوضوح :

يجب أن تصاغ الرسالة فى عبارات سهلة وأن تعنى للمستقبل نفس ماتعنيه للقائم

(١) على عجوة (دكتور) : الأسس العلمية للعلاقات العامة . مرجع سابق ص١٤٧ .

بالاتصال . كما أنه ينبغى تبسيط الموضوعات المعقدة وعرضها فى أسلوب جذاب . ومن الضرورى أن يكون للمتحدث إطارا فكريا واضحا يعبر من خلاله عن المضمون الذى يريد أن ينقله للجمهور . ومن الطبيعى أن يتكون الاتصال من مجموعة من الرسائل المنظمة تنظيما منطقيا، تقدم من خلاله المعلومات فى تتابع يهدف إلى تحقيق غرض محدد . فتقديم معلومات كثيرة بدون ترتيب أو تنظيم يؤدى غالبا إلى تقديم مواد مربكة - وغير ملائمة . أما إذا كان الهدف محددا تماما فى ذهن الداعية أو الإعلامى فإن الاتصال لن يتعرض لخطر الإرباك وعدم الوضوح .

ولكى يتحقق الوضوح الكامل للرسالة فلابد أن تتوافر فيها الصفات التالية :

١ - استخدام الكلمات ذات المعنى الواضح المحدد وإن كان هناك مجال لاختلاف المعنى فيجب توضيح مايقصده المتحدث أو الكاتب بهذه الكلمة أو تلك .

٢ - تأكيد المعنى بكلمات أخرى، فالتكرار هنا يساعد على الوضوح بالإضافة إلى التأكيد .

٣ - استخدام المقارنات التى تساعد على الوضوح فالأشياء تتميز بأضدادها .

٤ - تقديم الأمثلة التى توضح المعنى المقصود .

خامسا - الاستمرارية والاتساق :

الإعلام الإسلامى يتوجه إلى الأجيال المختلفة فى كل زمان ومكان. ومن هنا فإن الاستمرارية لهذا الإعلام تحقق التواصل المستمر بين مؤسسات الإعلام الإسلامى والجماهير . وهذا يضمن عدم فقدان الجمهور للقناة الاتصالية التى تخاطبهم وتزودهم بالمعلومات التى تتعلق بأوضاع المسلمين وبتعاليم الدعوة . وإذا كانت الدولة حريصة على دعم الإعلام الإسلامى من خلال الإذاعة والتليفزيون والصحافة فينبغى أ ن نشير هنا إلى أهمية تحقيق الانسجام والاتساق بين مايقدم فى هذه الوسائل المختلفة داخل الدولة الواحدة، وأيضا فى إطار جهود الدول الإسلامية الموجهة إلى غير المسلمين .

سادسا - إمكانات المستقبل :

ينبغى أن يضع القائم بالاتصال فى اعتباره قدرات الجمهور المستهدف على استيعاب الرسالة أو مايعرف بمهارات المستقبل فى إكمال العملية الاتصالية من حيث المعرفة، والقدرة على القراءة، وعادات الاتصال. فالمتلقى يبذل جهدا فى تفسير الرسالة لايقل فى بعض الأحوال عن الجهد الذى يبذله المتحدث أو الكاتب فى صياغة الرسالة . وكلما كانت الرسالة أقرب إلى الفهم وألصق باهتمامات المتلقى كلما كان الجهد المبذول أقل . وعلى العكس من ذلك إذا جاءت الرسالة

معقدة ولم تنجح فى إثارة اهتمام المستقبل بمضمونها أو لم تتوافق مع عاداته الاتصالية، ضاع الجهد المبذول من جانب المرسل، وضاعت معه الرسالة، وفى هذه الحالة لايتحقق الاتصال حتى ولو تعرض المستقبل للرسالة لأن المرسل فى هذه الحالة لم يخاطب الناس على قدر عقولهم ولم يتمكن من النفاذ إلى قلوبهم .

سابعا - اختيار الوسيلة المناسبة :

يتوجه الإعلام الإسلامى إلى الجمهور العام داخل الدولة وإلى جماهير أخرى على المستوى العالمى . وقد تعددت وسائل الإعلام فى العصر الحديث وتعاظم دورها وأصبحت تشكل الشئ ونقيضه فى نفس الوقت . فهى تنجح فى تقديم بعض الأبرياء كمجرمين خطرين، وعلى صعيد آخر تضفى هالات الإكبار والإجلال والتقوى على بعض الأفاقين ومحترفى النصب والإجرام . وهى تساهم فى تحقيق التقدم والرخاء ودعم القيم الفاضلة إذا أحسن استخدامها، وإذا أسيء هذا الاستخدام أصبحت معول هدم خطير لتدمير القيم والأخلاقيات .

ومن هنا جاءت المعادلة الصعبة لاستخدام هذه الوسائل بطريقة مفيدة تحقق مانسعى إليه من أهداف لخدمة الإسلام والمسلمين، وفى نفس الوقت نتجنب شرور هذه الوسائل وآثارها المدمرة على قيمنا وتراثنا الإسلامى .

وإذا كانت إحدى وسائل الاتصال الجماهيرية تمتاز عن غيرها بقدرتها على عرض فكرة معينة بشكل أكثر وضوحا، أو فى زمن أسرع، أو على نطاق أوسع، أو غير ذلك من عوامل التفضيل فى اختيار وسيلة معينة، فالذى لاشك فيه أن أيامن هذه الوسائل لاتستطيع أن تحقق كل ماهو مطلوب من انتشار وتأثير . وإذا كنا نستطيع القول إن جمهورا معينا يمكن أن يتعرض لأكثر من وسيلة فهناك جماهير أخرى لاتتعرض بحكم ظروفها الخاصة إلا لوسيلة واحدة. ومن هنا كانت أهمية تحقيق التكامل بين جميع وسائل الاتصال للاستفادة من المزايا الخاصة التى تنفرد بها كل وسيلة فى مواجهة جمهور معين .

لكن تبقى قضية هامة لاتتعلق بالوسائل التى تتعامل معها الجماهير مباشرة، وإنما تتصل بتلك الإمكانات الهائلة التى تغذى هذه الوسائل . فوكالات الأنباء تلعب دورا خطيرا كما سبق أن أوضحنا فى إمداد هذه الوسائل بالأخبار . وكما هو معروف فإن وكالات الأنباء العالمية تركز على أخبار العالم الغربى أكثر مما تركز على أخبار الدول النامية . كما أن تناول هذه الوكالات لأخبار بعينها تسيء إلى هذه الدول يثير مشكلة الاختلال الكيفى للأنباء إضافة إلى الاختلال الكمى وقد كان هذا سببا فى التفكير فى إنشاء وكالة الأنباء الإسلامية، تلك الوكالة التى لم يشعر العالم الإسلامى حتى الآن بوجودها لما تعانيه من ضعف فى التمويل وسوء فى الإدارة . وهذا يجعلنا

نطالب الدول الإسلامية بدعم هذه الوكالة ككيان إعلامي مستقل وتحقيق نوع من الارتباط بينها وبين الوكالات الوطنية في الدول الإسلامية لكي تكون نفقاتها أقل ولتوفير الكفاءات الفنية لها في الدول التي تمثلها دون أعباء كبيرة .

ثم يأتي دور الأقمار الصناعية باعتبارها قوة خطيرة لمضاعفة البث الإذاعي والتليفزيوني في العالم الإسلامي أولا، وكذلك للاتصال بالمسلمين وغير المسلمين في الدول غير الإسلامية . وفي مواجهة تحديات الإعلام الغربي والصهيوني يصبح القمر الصناعي الإسلامي مطلبا ملحا يستحق أن تتضافر من أجله جهود الدول الإسلامية(١).

ويمكن الاستفادة حاليا من القمر الصناعي العربي "عربسات" في توجيه برامج تخدم الإعلام الإسلامي . كما يمكن تأجير بعض القنوات في الأقمار الأجنبية إذا توافرت الإمكانات المالية لذلك، بالإضافة إلى البرامج الجيدة التي توضع في إطار خطة عامة مستمرة .

وسيظل الاتصال الشخصي المباشر من خلال الدعاة الرسميين والمتطوعين هو الوسيلة المثلى للتأثير مهما تقدمت الوسائل الجماهيرية، لما يتميز به من قدرة على تحقيق التفاعل والتجاوب والتكيف مع مقتضيات الموقف الاتصالي . كما أن الاحتكاك المباشر في الاتصال الشخصي يساعد على معرفة العوائق والمشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية، ومن ثم يكون التخطيط الواقعي للتغلب على هذه الصعوبات .

ونظرا لما يحققه الاتصال الجماهيري من سعة الانتشار، وإمكانية الاستفادة من أحاديث كبار رجال الدين على نطاق واسع، فقد كان من الضروري أن تعتمد الدعوة والإعلام الإسلامي على الاتصال الشخصي والجماهيري معا، وعلى نفس القدر من الإهتمام لما يحققه هذا التكامل من ذيوع أوسع وتأثير أعمق .

وإذا كان الاتصال الشخصي يتميز بسهولة معرفة رجع الصدى، ومعرفة ردود الأفعال، والآراء والاتجاهات، فإن الاتصال الجماهيري يفتقر إلى هذه الميزة الضرورية لمعرفة سعة الانتشار، ودرجة التأثير، والصعوبات التي تواجه كلا من الانتشار والتأثير . ومن هنا ظهرت أهمية إجراء بحوث دورية في المجتمعات المختلفة لقياس درجة الانتشار الجماهيري لكل وسيلة، وقوة التأثير الذي تحققه، واتجاهات التأييد والمعارضة لكي يكون التخطيط للإعلام الإسلامي على أسس علمية متكاملة .

---

(١) للمزيد من التفاصيل ارجع إلى : ماجي الحلواني (دكتورة) : القمر الصناعي الإسلامي، تحدي حضاري وضرورة عصرية، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٧.

الخاتمـــــة

أشارت هذه الدراسة إلى ضرورة تغيير الواقع العربى وتطويره كأساس ينطلق منه الإعلام الإسلامى إلى أرجاء المعمورة بقوة وفاعلية .لابد من نبذ عوامل الفرقة والتشتت بين الشعوب العربية والاستفادة من عوامل الوحدة والتآلف لتقديم صورة جيدة لواقع مشرق يسوده الوئام والحب والإخاء العربى الحقيقى الذى يعبر عنه بالفعل وليس بالقول الزائف . لابد من تخطيط إعلامى عربى إسلامى مشترك يستفيد من كافة الإمكانات المتاحة حاليا، والمحتملة مستقبلا لتوجيه إعلام إسلامى فعال إلى المسلمين فى بقاع العالم المختلفة والتصدى للدعايات المعادية وتحسين صورة المسلمين أمام غير المسلمين .

من الضرورى أن يستفيد هذا التخطيط من التقنيات الحديثة فى وسائل الاتصال، بالإضافة إلى كافة الوسائل المعروفة، على أن يدعم هذا بإعطاء دفعة قوية لوكالة الأنباء الإسلامية مع الاستفادة من القمر الصناعى العربى لخدمة الدعوة والإعلام الإسلامى . كما ينبغى أن يقوم التخطيط على دراسة الواقع فى البلاد التى توجه إليها الدعوة والإعلام حتى يمكن التغلب على الصعوبات والمعوقات، ومواجهة التحديات بأسلوب فعال .

لقد حان الوقت لصحوة عربية إسلامية تتصدى لمشكلات الأقليات، وحملات الظلم والاضطهاد التى يتعرض لها المسلمون فى بعض الدول الأسيوية والأوروبية . فلم يعد من المقبول فى عصر الحريات، والدفاع عن حقوق الإنسان، أن يعذب المسلمون أو يقتلون دون أن نتحرك لنجدتهم، أو نستنكر بشكل عملى سلوك المعتدين الآثمين . إننى أطالب الأمة العربية جمعاء أن تعبر عصور الخلافات والزعامات الزائفة، إلى عصر جديد يتسم بالتقارب بين الأشقاء، والتماسك فى مواجهة الأعداء ، والتخلص من الأحقاد، ونسيان الماضى البغيض بكل آلامه وأحزانه .

﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾

صدق الله العظيم

الإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية
وطموحات المستقبل

عبدالمجيد شكرى
خبير إعلامى
أستاذ محاضر فى علوم الاتصال الجماهيرى
بجامعتى الزقازيق والأزهر

الفصـــل الأول

الإذاعيون الإسلاميون أمام مسئولياتهم

ندوة جاءت فى موعدها :

يطيب لى أن أسجل منذ البداية، أن هذه الندوة – **ندوة الإعلام الإسلامى. تحديات الواقع وطموحات المستقبل** – قد جاءت فى موعدها الذى ماكان له أن يتأخر بعد أن بدأت دول العالم تستقر فى إطار نظام عالمى جديد، له مفاهيمه وله علاقاته، وله آلياته الجديدة، وقد فرض هذا النظام العالمى الجديد وجوده، كنتيجة مباشرة لمتغيرات دولية عديدة، متغيرات سياسية وأيدلوجية(*) وعكسرية واقتصادية وثقافية وإجتماعية، ذلك النظام الذى يبدو أنه سيستمر لعقود عديدة قادمة، وأن مدى عمق تأثيره وآلياته قد فرضت نفسها بالضرورة على حقيقة وجودنا، وإذا بنا فعلاً نقف وجهاً لوجه أمام ذلك النظام العالمى الجديد الذى يتمثل فى عدد من المتغيرات هى على درجة التحديد :

أولاً: هيمنة قطب واحد يعمل على إعادة ترتيب العالم وفقاً لمصالحه بعد أن كان هناك تعدد فى الأقطاب، وبعبارة أخرى ، تحول العالم إلى نظام القطب الواحد المسيطر وهو الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً: مولد عصر جديد هو عصر التكتلات الاقتصادية والسياسية والعسكرية الكبيرة فى محاولة الصمود أمام تداعيات النظام العالمى الجديدة.

ثالثاً: إنتهاء الحرب الباردة تماماً والتى ظلت مسيطرة على المناخ السياسى والعسكرى بين كل من الاتحاد السوفيتى السابق والدول الدائرة فى فلكه من جانب وبين الولايات المتحدة الأمريكية والدول الدائرة فى فلكها من جانب آخـر.

رابعاً: إنتهاء الحروب الساخنة أيضاً والتى كانت تتمثل فى الحروب المحلية والاقليمية التى يحارب فيها الآخرون بالانابة عن الدولتين أو القطبين الكبيرين ، الاتحاد السوفيتى السابق والولايات المتحدة الأمريكية وقيام الأخيرة بممارسة حروبها الإقليمية الخاصة بقواتها تحت مظلة دولية.

خامساً: إنتهاء دور دول عدم الانحياز ، وكاد يصبح الانحياز ذا مفهوم جديد هو الانحياز إلى جانب القطب الواحد المسيطر وهو الولايات المتحدة الأمريكية.

(*) أيدلوجياً : هى الأفكار التى تقوم عليها النظرية أو النسق السياسى [قاموس علم الاجتماع] د. عاطف غيث – الهيئة العامة للكتاب الطبعة الأولى – القاهرة : ١٩٧٩.

سادساً: تقلص فرص الاختبارات المطروحة أمام الدول الفقيرة والنامية بفقدانها حرية الاختيار وحرية اتخاذ القرار بعيداً عن وصاية القطب الواحد الذى يكاد ينفرد اليوم بالسيطرة على العالم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً.

سابعاً: تقلص دور هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولى بعد أن أصبحت أشبه بحكومة يرأسها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ولم تعد الولايات المتحدة بحاجة إلى استخدام حق النقض أو حق الإعتراض «الفيتو» فى أى من قرارات مجلس الأمن، ولم يكن من المستغرب فى ظل هذا النظام العالمى الجديد أن تقوم هيئة الأمم المتحدة ذاتها بالغاء القرار التاريخى الذى أصدرته فى العاشر من شهر نوفمبر عام ١٩٧٥ والذى اعتبر الصهيونية التى قامت على أساسها دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى والإسلامى شكلاً من أشكال العنصرية.

ثامناً: سقوط الأيدلوجية الشيوعية بل والاشتراكية، أتاح أمام القوى الجديدة التى تبحث عن عدو لكى تركز هجومها على القوى الإسلامية التى أصبحت فى نظر قوى الغرب والشرق معاً، ومثلما كانت دائماً ، التحدى الكبير الذى ينبغى دَحْرُه.

تاسعاً: النظام العالمى الجديد فى ظل السيطرة الأمريكية أصبح يعمل على تطويق الحركات الإسلامية وحركات التحرر فى دول العالم النامى، وتضييق الخناق عليها لما شكّلته هذه الحركات خلال العقود الماضية من تهديد حقيقى لمصالح الغرب فى العالم الإسلامى والعالم النامى وبما تتبناه هذه الحركات الإسلامية أو الصحوة الإسلامية كما يطلقون عليها، من مشروع يتناقض حضارياً والمشروع الغربى.. وإن ما يجرى فى العالم من تحولات وتبلور نظام عالمى جديد، يضاعف التحديات تجاه الإسلام والعالم الإسلامى ، وهو معرض لحظر أشد عما كان عليه سابقاً، وإنه بعد سقوط الشيوعية، سوف تتجه الحراب تجاه الإسلام باعتباره المشروع الحضارى الذى صمد أمام كل عمليات التحديث والتغريب خلال القرن الأخير[١].

عاشراً: التأكيد من خلال وثيقة أمريكية نشرت مؤخراً عن مفهوم الولايات المتحدة للنظام العالمى الجديد الذى تمثل فيه القطب الأوحد، على عدم السماح لأى قوة أوربية أو آسيوية، أو دول الاتحاد السوفيتى السابق أو أى دولة إسلامية بأن تصبح قوة عظمى تزاحم الولايات المتحدة فى زعامة العالم وأن يعلم هؤلاء جميعاً إنهم لن يجدوا أى فرصة لتحقيق ذلك وتحدى الإرادة الأمريكية[٢].

الإسلام كمشروع حضارى كبير :

إننا نخلص من كل ذلك إلى أن النظام العالمى ، وفى إطار البحث عن عدو بعد سقوط النظم الشيوعية، وتفتت الاتحاد السوفيتى السابق. وضمت معجزة كبرى لم تعد خافية على أحد، وهى

---

(١) النظام العالمى الجديد فى تصور الإسلاميين العرب – زكى أحمد– باحث عربى من المملكة العربية السعودية – مجلة المستقبل العربى – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – مارس ١٩٩٢.

(٢) Newyork Times/ ٣, ٩, ١٩٩٣

معجزة صمود الإسلام كمشروع حضارى كبير يشمل العقيدة والسياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة ، بالرغم من مرور سنوات طويلة من الاستغلال والقهر والاحتلال والتزييف والتجزئة والتشرذم وإشاعة الفساد والانحراف بل والإبادة الجماعية، إنه بالرغم من كل تلك الممارسات العدوانية التى استهدفت الإسلام، فقد بقى القرآن الكريم: **﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** سورة الحجر. وبقيت الأمة الإسلامية صامدة، وبقى الفكر الإسلامى حياً، متجدداً دائماً ، وبقى الإسلام يجمع المسلمين على خمسٍ تأسس عليها:

١- كلمة التوحيد بشهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

٢- وبقيت بيوت المسلمين عامرة بالمصلين.

٣- وبقى شهر رمضان المبارك، شهر الصوم وبقى الصائمون.

٤- وبقيت زكاة الفطر وزكاة المال يؤديها المسلمون عن رضى وسماحة.

٥- وبقيت مكة تستقبل الحجيج الذى يجمع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها .

ثم كانت الصحوة الإسلامية واسعة النطاق، التى تكاد تشمل العالم كله، والتى جاءت دليلاً آخر على صمود المشروع الإسلامى الحضارى، وهكذا تأكد للباحثين عن عدد، أن هذا العدد هو الإسلام والأمة الإسلامية والمشروع الإسلامى الحضارى، والذى قد لايمثل من وجهة نظرهم الخاصة اليوم تحدياً كبيراً مؤثراً، لكنه فى المستقبل المنظور، وطبقاً لمنطق الأشياء ، وحركة التاريخ، قد يمثل تحدياً حقيقياً يقلب موازين العالم الجديد، ويقلب كافة حسابات الباحثين عن عدو، فالأمة الإسلامية مؤهلة تماماً لكى تتبوأ مكانها كقوة عظمى ثانية، إذا لم يتعرض المشروع الإسلامى الحضارى للوأد والتحطيم، وتلك حقائق لايختلف عليها أحد من أعداء الأمة الإسلامية وصناع النظام العالمى الجديد.

وبدأت الهجمات الشرسة :

ولم يكن من المستغرب أن تبدأ فعلاً الهجمات الشرسة على الإسلام والمسلمين، ولننظر إلى خريطة العالم لنرى ونسمع ونتابع مايجرى على الساحة الآن فى كل من فلسطين والفيلبين وأفغانستان وأذربيجان وتتارستان وأزباكستان والبوسنة والهرسك والجبل الأسود فى يوغسلافيا وبلغاريا وألبانيا وجنوب السودان والصومال وأيتريا وقبرص، حيث تتم هذه الهجمات فى ظل تعتيم إعلامى بسبب سيطرة قوى الغرب المعادية على وسائل الاتصال(*) وهكذا لم يكن من المستغرب أيضاً فى ظل هذا المناخ السائد، أن يطبع كتاب «آيات شيطانية» الذى يتهجم فيه مؤلفه على الإسلام ورسوله فى جميع الدول الأوربية على نطاق واسع غير مسبوق إلا بالنسبة للكتاب المقدس، بل نحن نجد ثمان وعشرين داراً أسبانية للنشر تتحد معاً من أجل نشر هذا

(*) يصدر مايقارب ٨٠٪ من تدفق الأنباء العالمى عن الوكالات العالمية الكبرى غير أن هذه الوكالات لاتكرس لأنباء البلاد النامية إلا نسبة تتراوح بين ٢٠٪ و٣٠٪ من تغطيتها الإعلامية على الرغم من أن البلاد النامية تشكل مايقرب من ثلاثة أرباع البشرية وينجم عن هذا احتكار واقعى حقيقى من جانب البلدان المتقدمة - النظام الإعلامى الجديد - د. مصطفى المصمودلى- عالم المعرفة - الكويت اكتوبر سنة ١٩٨٥.

الكتاب بتأييد كامل من وزارة الثقافة الأسبانية يشمل الدعم المادى والمعنوى[1] بل ورأينا مؤخراً رحلات بابا الفاتيكان فى ظل النظام العالمى الجديد إلى عدد من الدول الإسلامية الإفريقية يمنح بركاته للمسلمين فى حملات تبشيرية واسعة النطاق تساندها حملات إعلامية مخططة[2].

إذاعات معادية فى كل مكان :

ويتم حالياً حصار العالم الإسلامى بمجموعة من الإذاعات المعادية، المسموعة والمرئية، والتى تلعب أدواراً مخططة للتبشير بين المسلمين، والتشكيك فى الدين الإسلامى ، والافتراء على الإسلام والواقع الإسلامى، والمشروع الإسلامى الحضارى ، كما تلعب دوراً مبدئياً فى دعم الصهيونية ودولة إسرائيل ومشروعاتها التوسعية على حساب العرب والمسلمين، كما تلعب تلك الإذاعات دوراً غير منظور يتعلق فى مجرد استهلاك الوقت واستدراج المسلمين بعيداً عن إعلامهم بما تقدمه تلك الإذاعات من برامج مشوقة وأسلوب متميز وتكنيك متقدم ممزوجاً باغراءات مادية عن طريق المسابقات والايحاءات الجنسية، وإعلانات تسعى إلى تغيير أنماط السلوك والعادات والأعراف والقيم والثقافة، بحيث يفقد الإنسان المسلم ثقافته وهويته، ويتم تفريغه من الداخل من جوهر الإسلام ، وإصابته باللامبالاة مع تحييده بالنسبة للقضايا المصيرية، السياسية، والقومية والدينية ويبدو هذا أوضح مايكون من خلال عدد من النماذج نسوقها على سبيل المثال، بينما الواقع يحمل ماهو أكبر من ذلك بكثير : -

أولاً: صوت إسرائيل :

وهى أولى الإذاعات المعادية والتى تؤكد بالحاح إعلامى يومى إنها صوت إسرائيل من أورشليم القدس تأكيداً للقدس كعاصمة لإسرائيل، «وصوت إسرائيل مؤسسة مستقلة مرتبطة مباشرة برئيس الوزراء وتذيع على ١٥ موجة من أربع محطات فى ١ لغة ولمدة ٢٦٧ ساعة فى الأسبوع بمعدل ٣٨ ساعة يومياً ، ويلاحظ أن من بين تلك اللغات التى تبث بها اللغة الإيرانية وهى موجهة للإيرانيين فى بلادهم وإلى طلبتهم فى الخارج، واللغة السواحلية التى تتكلمها قبائل كثيرة فى شرق أفريقيا ، وهى تذيع برامجها العربية لمدة سبع ساعات يومياً وتشتمل على ست نشرات إخبارية وشريط أنباء وبرامج ترفيهية وتعليقات سياسية»[3].

ثانياً: الإذاعات الأمريكية :

١- إن المؤسسات والهيئات والإذاعات التى يسيطر عليها اللوبى الإسرائيلى مسيطرة شبه عاملة تنتشر فى كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية التى يوجد فيها «٦٧٠٠ محطة إذاعة تجارية وما يزيد على ٧٠٠ محطة تليفزيونية و١٥٠٠ صحيفة يومية ومئات الدوريات»[4]. إلى جانب محطة حكومية واحدة هى صوت أمريكا Voice America وبالرغم من

---

(١) وكالات الأنباء.

(٢) وكالات الأنباء

(٣) أضواء على الإعلام الإسرائيلى - منذر عنتباوى - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الدراسات الفلسطينية ١٩٦٨.

(٤) المتلاعبون بالعقول . هريرت. أ - شيللر ترجمة د. عبد السلام رضوان - عالم المعرفة - الكويت اكتوبر ١٩٨٦.

ذلك فهى تخضع أيضاً بصورة أو بأخرى لتوجهات اللوبى الإسرائيلى وفى نفس الوقت هى «مخصصة للدعاية السياسية للنظام الأمريكى ولتحقيق خدمات خاصة فى مجال الحرب النفسية ضد الحركات التحررية فى العالم»[1].

٢- محطة C. B. N شبكة البث المسيحية

Christian Broadcasting Network

ومركز هذه الشبكة الولايات المتحدة الأمريكية ويملكها بات روبرتسون Bat Ropertson الذى يؤمن بأن إسرائيل هى أمة الله الفُضْلى God`s Favoured Nation، وهو يروج لهذه الفكرة إعلامياً من خلال البرنامج الذى يقدمه باسم نادى السبعمائة 70 club والذى يذاع عدة مرات يومياً ومدته ساعة ونصف من خلال ١٣٠ محطة تليفزيون عامة و٦٥٠٠ محطة تليفزيون سلكية[2].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الشبكة المنحازة تماماً لإسرائيل ، تمتلك محطة تليفزيون الشرق الأوسط Middle East Television فى جنوب لبنان وإذاعة صوت الأمل وتليفزيون نجمة الأمل فى الشريط الحدودى الى تحتله إسرائيل فى الجنوب اللبنانى[3] وتعمل هذه المحطات على تجميل وجه إسرائيل القبيح وتقديمها على أنها دولة مقدسة وأن الوقوف ضد إسرائيل هو بمثابة معارضة لله وأن الله يبارك من يبارك إسرائيل ويلعن من يلعنها .

ثالثاً: إذاعة مونت كارلو:

وهى إذاعة تبدو فى ظاهرها مجرد إذاعة تجارية لكنها فى حقيقتها إذاعة لها توجهاتها السياسية المعادية والتبشيرية الواضحة، فهى تبدأ بثها التبشيرى علانية بعد منتصف الليل وكأنها إذاعة سرية سوداء تتسلل إلى عقول المستمعين فى هذا الوقت المتأخر من الليل، بينما تجعل من بثها العادى أشبه بالمباريات الفنية الترفيهية بالغة ذروة الجذب الإذاعى بطابع يتميز بالسرعة والحيوية مع تفريغ المضمون الإعلامى لكل ما تقدمه من برامج من أية توجهات ذات مغزى إيجابى وتقتصر هذه البرامج على العمل على خلق مواطن فقد هويته وانتماءه إلى بيئته وأنحاز إلى جانب التفاهة واللامبالاة ، يرقص ويغنى الأغانى الأجنبية متخلياً عن تراثه وثقافته وإذا به وقد تحول إلى مسخ مشوه خاصة وأن تلك الإذاعة تقوم بتحويل المستمعين عن إذاعاتهم القومية والوطنية والتوجه إلى تلك الإذاعة التى تقدم له دعوة مفتوحة لاستهلاك الوقت بالإضافة

---

(١) نظرة فى إعلام العالم الثالث - د. إبراهيم الداقوى - مركز التوثيق الإعلامى لدول الخليج سلسلة الكتب الإعلامية - مطبعة اليقظة ١٩٨٢.

(٢) الإعلام الدينى فى الشرق الأوسط - مجلة الدراسات الإعلامية - القاهرة بقلم محمد السماك - صحفى لبنانى- العدد ٦٦ يناير - مارس ١٩٩٢.

(٣) المرجع السابق.

إلى الدعوة للإستهلاك الترفى والتفاخرى بل واستهلاك أشياء هو ليس بحاجة إليها، وتبلغ قوة هذه المحطة ١٤٠٠ كيلوات وتستخدم ٣٠ لغة على مدى ٢٤ ساعة لكنها تذيع ١٧ ساعة كاملة باللغة العربية بما يؤكد أن جمهورها المستهدف هو المنطقة العربية والمنطقة الإسلامية بصفة عامة ، ولهذه المحطة محطة ترحيل relay station فى الشرق الأوسط كان مقرها لبنان ثم انتقلت إلى قبرص عام ١٩٧٧ بسبب أحداث الحرب الأهلية اللبنانية التى نشبت عام ١٩٧٥ ، وهذه الإذاعة مملوكة للحكومة الفرنسية، وكانت البداية مجرد إذاعة اعلانات وموسيقى غربية أو شرقية وأغانى لكنها تذيع الأخبار والتحقيقات والتمثيليات والتعليقات السياسية وبرامج المنوعات.

رابعاً: راديو الفاتيكان :

وهو صوت دولة الفاتيكان الكاثوليكية الرسمى وبدأ إرساله عام ١٩٣١ ويذيع بثلاثين لغة من بينها اللغة العربية ويهتم بصفة خاصة بتوجيه إذاعته إلى الشرق الأوسط والشمال الإفريقى.

خامساً: إذاعة صوت الإنجيل :

وتبث هذه الإذاعة برامجها من أديس أبابا عاصمة أثيوبيا مع وجود استديوهات لها فى عدد من الدول الإفريقية ومن بينها دول إسلامية وهذه الدول هى نيجيريا وتنزانيا والكاميرون ومالاجامش وتذيع هذه الإذاعة ٢٠ ساعة يومياً باللغة العربية مما يوضح نوعية توجهاتها، حيث أن أهدافها تبشيرية موجهة إلى العالم الإسلامى عربياً وإفريقياً.

سادساً : إذاعة صوت طنجة :

وهذه الإذاعة من أوائل الإذاعات التى قامت بتوجيه برامج تبشيرية باللغة العربية إلى المنطقة العربية، وقد بدأت إذاعتها من مدينة طنجة بالمملكة المغربية عام ١٩٥٤ على يد أحد القساوسة الأمريكيين الذين عملوا بالتبشير فى الدول العربية واستخدمت جهاز إرسال قوته ١٠ كيلوات مستهدفة الوصول إلى افريقيا[١] وقد حل محلها اليوم راديو غير العالم Trans Wold Radio وتقوم بالبث من إذاعة ومونت كارلوا مما يؤكد التوجهات التبشيرية للإذاعة الأخيرة[٢].

سابعاً: راديو رالوا Elwa :

وقد أنشأت هذه المحطة بعثة التبشير الأمريكية عام ١٩٥٤ واتخذت من مونروفيا عاصمة ليبيريا مقراً لها وتذيع هذه المحطة بأكثر من خمسين لغة ويغلب على جميع برامجها الصفة الدينية المسيحية (التبشيرية) كما أقامت عام ١٩٦٨ محطتين جديدتين لتقوية إرسالها الموجه للمنطقة العربية والإسلامية[٣] كما تقوم هذه المحطة بإنتاج برامج لمحطة (تبشيرية) دينية هى إذاعة Wyer التى توجه هى الأخرى برامجها إلى المنطقة العربية[٤].

---

(١) الإعلام الدولى د. جيهان رشتى مذكرات غير منشورة - كلية الإعلام - جامعة القاهرة - ١٩٧٨.
- مدخل إلى الإذاعات الموجهة د. ماجى الحلوانى - دار الفكر العربى - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٨٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الإذاعات الموجهة - أحمد طاهر - مذكرات غير منشورة - كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٧٩.
- مدخل إلى الإذاعات الموجهة د. ماجى الحلوانى - مرجع سابق.
(٤) مدخل إلى الإذاعات الموجهة د. ماجى الحلوانى - مرجع سابق.

حصار شامل وبدايات قديمة وتكنولوجيا حديثة:

وهكذا يتضح أن العالم الإسلامى محاط من كل جانب بإذاعات دولية موجهة تستهدف الإنسان المسلم أساساً، ولهذه الإذاعات بدايات قديمة بدءاً من إذاعات الاتحاد السوفيتى السابق الذى بدأت برامجه الموجهة عام ١٩٣٠ بخمسين لغة ولهجة مختلفة ومنها اللغة العربية ومحطة بارى الإيطالية الموجهة إلى دول الشرق الأوسط وشمال افريقيا منذ عام ١٩٣٥.

ثم الإذاعة البريطانية B. B. C. عام ١٩٣٨ ، ولم يتوقف هذا الحصار يوماً، بل لقد دخلت الإذاعة المرئية الساحة بكل قوة باستخدام كل جديد فى عالم الاتصال وتكنولوجيا العصر ومنها:

١- الشبكة العالمية الأمريكية World Net .

٢- اتحاد الإذاعات الأوربية Urivision U.V .

٣- القناة الفرنسية C. F. I .

٤- شبكة الأخبار الأمريكية C. N. N .

٥- تليفزيون الإذاعة العالمية لهيئة الإذاعة البريطانية World Service Television W. S.T وهى من أحدث الشبكات التليفزيونية الموجهة وقد بدأ إرسالها فى اكتوبر عام ١٩٩٠ وهى شبكة إخبارية مثل شبكة C. N. N التى تشترط على الدول التى لها الحق فى نقل برامجها ألا تقوم بأى أعمال رقابية على هذه المواد وقد بدأ إرسال الشبكة الإنجليزية بإرسال مدته ساعتان أصبح ابتداء من ١٥ نوفمبر ١٩٩١ على مدى الأربع والعشرين ساعة مع بث إذاعى مسموع لمدة أربع وعشرين ساعة أيضاً مع إمكانيات البث الأرضى والكابل والأقمار الصناعية كبث مباشر مع الاستعداد من الآن لاستخدام اللغة العربية حيث أن فى مقدور المواطنين فى المنطقة العربية إلى مابعد منطقة الخليج استقبال بث هذه الشبكة بتسهيلات من بعض الجهات المعنية فى المنطقة.

الإذاعيون الإسلاميون وجهاً لوجه أمام مسئولياتهم :

ولعل من المهم أن يستمع الإذاعيون الإسلاميون إلى النداء الذى وجهته جمعية الإغاثة العالمية فى لندن والذى يناشد جميع المسلمين فى العالم أن يتعاونوا لإنقاذ افريقيا المسلمة من خطر التنصير ، ويذكر النداء أن نسبة المسلمين فى «مالاوى» قد انخفضت من ٧٠٪ إلى ٣٠٪ نتيجة الحملات التبشيرية (بالاتصال المباشر ووسائل الاتصال الجماهيرى) وأن مركز التبشير فى داكار عاصمة السنغال المسلمة يعمل به ٢٥,٠٠٠ ألف قسيس وراهب، وأن هناك ٦٥ مليون مسلم فى افريقيا معرضون للإرتداد عن الدين الإسلامى بسبب المجاعات والأمراض وغيبة الدعاة المسلمين وغيبة الإعلام الإسلامى[١].

---

(١) الإعلام الإسلامى وحظر التدفق الإعلامى الدولى - د. مرعى مدكور - دار الصحوة للنشر - القاهرة ١٩٨٨.

وإذا أضفنا إلى ذلك عمليات التعرض الاختيارى أو المفروض للرسائل الإعلامية التى تبثها أو تبعث بها الشبكات العالمية، ومن دول مفرقة فى عدائها للإسلام، والذى تسمح به السلطات والأجهزة الإعلامية فى الدول الإسلامية جهلاً أو عمداً، أو خضوعاً لضغوط دولية ، مما يساعد على طمس معالم الهوية الإسلامية فى مختلف الدول الإسلامية وتفريغ الإنسان المسلم من جوهر الإسلام، فإننا نكون بذلك قد قدمنا صورة أكثر وضوحاً كان من المهم أن نبرزها ونضعها أمام الإذاعيين الإسلاميين ونحن نتحدث عن الإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية وطموحات المستقبل لكى يتبينوا مدى بشاعة الخطر الذى تتعرض له أمتهم ويتعرض له دينهم، وبذلك نضع أيضاً هؤلاء الإذاعيين أمام مسئولياتهم التى تشمل بالضرورة الحاضر وطموحات المستقبل.

الفصـــل الثـــانى
مفهوم الإذاعة الإسلامية

مجموعة تساؤلات تبحث عن إجابات :

إننا حين نتحدث عن الإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية، فى محاولة لتحديد مفهومها، ودورها، تواجهنا بالضرورة مجموعة من التساؤلات تفرض نفسها بإلحاح وهى :

هل نصف الإذاعة بأنها إذاعة إسلامية لمجرد أنها تبث برامجها، وتبعث بإرسالها من داخل دولة إسلامية بغض النظر عن المضمون أو المحتوى الإعلامى اللاإسلامى الذى تبثه تلك الإذاعة؟

هل نصف الإذاعة بأنها إذاعة إسلامية إذا كانت بعض برامجها وتوجهاتها تتناول موضوعات إسلامية أو تتخذ شكلاً إسلامياً بأن تفتتح إرسالها وتختتمه بآيات من القرآن الكريم مع وجود برامج دينية متناثرة بينما سائر برامجها لا علاقة له بالفكر الإسلامى أو التوجهات الإسلامية وتأتى مناقضة له(*)؟.

هل الإذاعة الإسلامية هى تلك الإذاعة النوعية المتخصصة التى تتبنى جميع برامجها كل مايخدم الدعوة الإسلامية، وتكون جميع توجهاتها إسلامية، وتبث برامجها إلى جمهور مستهدف فى الدولة الأم، أو توجه برامجها إلى جمهور مستهدف خارج الحدود كإذاعة دولية موجهة لخدمة الإسلام ؟

إننا من أجل الوصول إلى إجابات واضحة لتلك التساؤلات ، ومن أجل الوصول إلى تحديد واضح لمفهوم الإذاعة الإسلامية، ينبغى أن نحدد أولاً أنواع الإذاعات التى يعرفها العالم اليوم، والتى نعرف بعض أشكالها فى عالمنا الإسلامى، وعلى ضوء ذلك يمكن تحديد موقع الإذاعة الإسلامية ووضعها فى مكانها الصحيح على الخريطة الإعلامية.

تعريفات أساسية :

- المؤسسة الإذاعية Broodccostnig Lnstituton :

وهى هيئة مخولة قانوناً لكى تقوم بخدمة إتصالية إذاعية.

٢- الخدمة الإذاعية Broodcasting Service :

وهى خدمة اتصالية عن طريق الراديو تبث من خلالها الرسائل الإعلامية لكى يستبقى الكافة وقد تشمل هذه الخدمة الراديو (الصوت) والتليفزيون (صوت وصورة).

(*) إذاعة لندن العربية وإذاعة إسرائيل تفعلان نفس الشىء.

٣-الإذاعة الوطنية Domestic Broadcasliny :

وهى خدمة إذاعية مخاطبة جماهير المستمعين والمشاهدين داخل حدود الوطن الذى تذاع منه .

٤- الإذاعة الخارج الحدود External Brosdcasting :

وهى خدمة إذاعية موجهة، يقصد بها مخاطبة جماهير المستمعين والمشاهدين خارج حدود الوطن الذى تذاع منه .

أنواع الإذاعات[1] :

أولاً : الإذاعة المركزية (القومية) National Radio :

الإذاعة المركزية هى الإذاعة القومية الرسمية الناطقة باسم الدولة، وتبث برامجها عادة من عاصمتها، ولها من قوة البث مايغطى الوطن كله بل ويَعْبُرُ صوتها حدود الدولة إلى العديد من دول العالم، وتخاطب هذه الإذاعة أبناء الوطن جميعاً ، فهى الوسيلة القومية المعترف بها للاتصال، وهى تقدم مايهم غالبية المواطنين، فهى تخدمهم جميعاً وتتوجه إليهم بصفة عامة، وتهتم برامجها بالكليات دون التفصيلات، حيث أنها تخاطب مستمعين تختلف اهتماماتهم ووظائفهم وفئاتهم وتقاليدهم وتوجهاتهم، وتدعوه فهى تجعل الاهتمامات المشتركة لكل هؤلاء هادياً لها فى كل ما تقدمه من برامج، وهى عندما تخاطب الطوائف ونوعيات محددة من المواطنين ، يكون ذلك عن طريق التعميم لا التخصيص ، ويضع الإذاعى الناجح فى اعتباره دائماً أن مستمعيه هم أبناء الطائفة أو النوعية التي يتوجه إليها ، وفى نفس الوقت يسمعه آلاف غيرهم يودون أن يجدوا فيما يسمعون ما يستأثر باهتمامهم فى البرامج، وينفرون مما لا يحظى باهتمامهم أو مما لا يفهمونه.

ثانياً الإذاعة الإقليمية Regional Radio :

الإذاعة الإقليمية تخاطب جماهير مجتمعات تعيش داخل إقليم محدد طبقاً للتقسيم الإدارى للدولة، فقد تقوم الدولة بعمل تقسيم إدارى لأراضيها يشمل أقاليم Regions أو ولايات States أو محافظات governerates طبقاً لبعض الحواجز Barriers فيفصل بين الإقليم والأقاليم الأخرى حاجز أو أكثر ، مثل حواجز اللغة أو الدين ، أو الجنس أو اللون كحواجز عرقية ، وكذلك الحواجز الجغرافية كأن تفصل بين الإقليم والآخر سلسلة من الجبال أو الأنهار أو البحيرات مما يجعل كل إقليم، إقليماً مستقلاً فى إطار الوحدة الوطنية للدولة أو فى إطار اتحاد فدرالى بين

---

(١) انظر كتاب فنون الراديو فى ضوء متغيرات العصر - عبد المجيد شكرى - الإعلاميون العرب - الطبعة الثانية القاهرة ١٩٩٢ وكتاب الإذاعات المحلية لغة العصر - عبد المجيد شكرى - دار الفكر العربى- القاهرة ١٩٨٦ .

الأقاليم أو الولايات، والإذاعة الاقليمية تبث برامجها عادة من عاصمة الإقليم، وتقدم برامج وخدمات تهم أبناء الإقليم وبلغة أو لهجة أبنائه، كما يغطى إرسالها الإقليم بأسره، مع أهمية أن يكون ذلك فى إطار وحدة تراب الوطن والروابط الأصيلة التى تجمع أبناء الإقليم وسائر الأقاليم كأبناء وطن واحد .

ثالثاً: الإذاعة المحلية Local Radio :

أما الإذاعة المحلية فتخدم مجتمعاً محلياً Local Society بمعنى أن الإذاعة المحلية تبث برامجها مخاطبة مجتمعاً خاصاً، محدود العدد يعيش فوق أرض محدودة المساحة، وتخاطب مجتمعاً متجانساً من الناحية الاقتصادية والناحية الثقافية والناحية الاجتماعية بحيث يشكل هذا المجتمع بيئة متجانسة بالرغم من وجود الفروق الفردية التى توجد بالضرورة بين أفراد المجتمع الذين يعملون فى مهنة واحدة سائدة إلى جانب بعض المهن أو الوظائف الأخرى اللازمة لاستمرار وجود المجتمع ، والإذاعة المحلية تتفاعل مع هذا المجتمع، تأخذ منه وتقدم له الخدمات الإعلامية والاتصالية المختلفة، فجميع أبناء المجتمع المحلى يجمعهم ما نطلق عليه المصالح الاستيطانية.. التى أصبحت مصالح شخصية لكل فرد من أفراد المجتمع المحلى وذلك فالجمهور المستهدف هنا هم أفراد هذا المجتمع المحلى.

رابعاً: إذاعة الجوار Neighbourhood Radio :

وهى صورة من صور الإذاعات المحلية، لكنها تخدم حياً صغيراً من أحياء مدينة كبيرة، أو شارع واحد من شوارعها يتفق سكانها فيما بينهم على إنشاء هذه الخدمة المحدودة، مثلما هو الحال مع الإذاعات التى تخدم مجتمعات سكنية كبيرة أو بناية ضخمة مما يطلق عليه اسم ناطحة السحاب Sky Scrapers .

خامساً: إذاعة المؤسسة Lnstitutional Radio :

وهى إذاعة تقدم خدمة إذاعية واحدة محددة ثلما هو الحال مع إذاعات الشرطة التى تقوم بتوجيه إرشادات مرورية خاصة بالطرق والحوادث عليها، وتنظيم السير فى ساعات الذروة وقد تكون لمجرد التخاطب فيما بين أفراد الشرطة لتوجيههم وإصدار التعليمات لهم، ومثلها أيضاً الإذاعات الخاصة بإرشاد السفن والصيادين فى الموانئ والمياه الإقليمية للدولة حيث تقدم تلك الإذاعات إرشادات عن أحوال الطقس والطرق الملاحية وحالة البحر. ومثلها الإذاعات الداخلية فى المستشفيات وغيرها .

سادساً: الإذاعة النوعية Specific Radio

وهى إذاعة متخصصة فى لون معين يغلب على كافة برامجها، إذاعة لها طابع وصوت غاية فى الخصوصية وتخدم جمهوراً معيناً تقدم له خدمة محددة ، ومن أشهر أنواع هذه الإذاعات،

الإذاعات الدينية، والأخبار والموسيقى والطوائف مثل الفلاحين، والعمال والجيش والشرطة والشباب والرياضة والأطفال والمرأة والإذاعات الحزبية والتعليمية، وهناك غير ذلك كثير والتى قد تصل إلى حد وجود إذاعات خاصة بالمرأة السوداء (فى الولايات المتحدة الأمريكية) ورجال الأعمال أو الفتيات المراهقات أو خاصة بالمسنين أو المحاربين القدماء وغيرهم .

سابعاً: الإذاعات التجارية : Commercial Radio

ويقصد بالإذاعات التجارية، الإذاعات غير الحكومية المملوكة ملكية خاصة، وكانت أولى تلك الإذاعات فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٠ مع بداية ظهور الراديو، وكانت أول إذاعة من هذا النوع محطة K. D. K. A. فى بتسبرجPitsburg ، بينما دخلت الإذاعات التجارية فى بريطانيا فى السبعينات وبلغت الآن أكثر من ستين محطة[١].

ويقصد أيضاً بالإذاعات التجارية، إذاعات الإعلانات، وهى محطات تقوم على أساس الربح وكمشروع تجارى واعتمادها الأول فى عمليات التمويل وتحقيق الربح على الإعلانات أما البرامج الأخرى فتعتبر وسائل جذب لجماهير المستمعين، لأنه كلما ازدادت شعبية الإذاعة وتحقق لها جمهور عريض، أقبل المعلنون عليها وحققت الربح.. وإذا انصرف عنها جمهور المستمعين ، انصرف عنها المعلنون. وقد تكون هذه المحطات مشروعات فردية خاصة يملكها أفراد أو شركاء وقد تكون إذاعا حكومية تسمح فيها الدولة بإذاعة الإعلانات من أجل الحصول على عائد مادى كبير وبصفة خاصة الإعلانات عن منتجات أجنبية تدفع قيمتها بالعملات الصعبة وتحوّل من الخارج.

ثامناً: الإذاعات الدولية (الموجهة) :

إن الإذاعة الدولية الموجهة، فى الإذاعة التى يتم عن طريقها تقديم شعب إلى شعب آخر، بلغة الشعب الأخير، فهى تبث برامجها من داخل الوطن إلى شعب آخر خارج الحدود ، وقد تكون الإذاعة موجهة إلى عدد من الشعوب التى تتكلم لغة واحدة، مثلما هو الحال مع الإذاعات الموجهة إلى دول أمريكا اللاتينية التى تتكلم اللغة الأسبانية أو تلك التى تتكلم اللغة البرتغالية، كما يمكن للإذاعة الموجهة أن تكون خارج الدولة التى توجه برامجها منها أو تستعين بمحطات نقل أو محطات ترحيل Relay Stations فى مناطق أخرى قريبة من البلاد التى توجه إليها برامج تلك الإذاعة.

والإذاعات الموجهة، توجه عادة، أو تخاطف الأشخاص الذين بلغوا درجة من الوعى تجعلهم

---

(١) مدخل إلى الإذاعات الموجهة – د. ماجى الحلوانى – مرجع سابق.

يريدون معرفة مايجرى خارج بلادهم والتعرف على الشعوب الأخرى ، فهى تخاطب عادة الطبقات المستنيرة أو الصوة ، ومع ذلك فإن الإذاعات الموجهة التى تُسْتَخْدَمُ من أجل نشر الأفكار أو تصوير الثورات، أو فى شكل حرب إذاعية فى حالة الحروب الساخنة أو الحروب الباردة أثناء السلم، فإن الإذاعات الموجهة فى هذه الحالة لا تتوجه إلى الصفوة فقط، بل إلى عامة الشعب فى الدولة أو الدول التى توجه إليها البرامج الدعائية أو العقائدية أو النزالية أو التبشيرية فى حالة الإذاعات الدينية الموجهة. وكما تكون الإذاعات الموجهة فى أثناء حرب الإذاعات موجهة لإرهاب الدول الأخرى أو تحريض شعوبها على الثورة أو دعوتهم للإستسلام، قد تكون مجرد إذاعات لإلهاء الشعوب الأخرى وشغل أوقات شبابهم وجذبهم إلى استهلاك الوقت عن طريق تقديم برامج المنوعات الخفيفة والأغانى والموسيقى المنتقاة بعناية، والأخبار المثيرة، والمثيرات الجنسية والمسابقات والإغراءات المادية. وكما تكون الإذاعة الدولية الموجهة إذاعةً حكومية رسمية ، تكون أيضاً إذاعةً تجارية فردية خاصة ، وقد تكون دولية دينية حكومية أو خاصة وقد تكون إذاعة «سوداء» مجهولة المصدر.

النظم الإذاعية السائدة :

وإذا انتقلنا إلى النظم الإذاعية السائدة وجدنا ثلاثة أنظمة هى :

أولاً: النظام الحكومى Government System

وفى ظل هذا النظام ، تمتلك الدولة المؤسسات الإذاعية ملكية كاملة فى شكل احتكار كامل، وهى التى تسيطر عليها ، وتقوم بتمويلها وإدارتها ، وتقسيم العمل والعاملين فيها، وتضع لها الأهداف والخطط التى تسير عليها، وتنطق تلك الإذاعات بلسان الدولة، وتعتبر أداة السلطة فى تشكيل الرأى العام المساند لها، ونظامها لا يخضع لأهداف الربح، وإن كان بوضعها يسمح بإذاعة الإعلانات ، والبعض الآخر يمنعها .

ثانياً: النظام القومى National System

وطبقاً لهذا النظام ، فإن المؤسسات الإذاعية هنا عبارة عن هيئات عامة مستقلة، لا تخضع للإشراف الحكومى وهى نوعان :

١- هيئة عامة تابعة للدولة مثل هيئة الإذاعة البريطانية إذ أنها تعمل كامتياز صدر بمرسوم ملكى لهيئة الإذاعة البريطانية الـ B. B. C. ولكنها لا تخضع لأى إشراف حكومى، لكن باعتبارها هيئة عامة فإن عليها التزامات معينة قبل الحكومة ، ويرأس الـ B. B. C. رسمياً مجلس أمناء تعينه الملكة عن طريق رئيس الوزراء ، وهى مسئولة فقط أمام البرلمان.

٢- مؤسسات مستقلة غير مملوكة للدولة ولا تخضع لأى إشراف منها ، مثلما هو الحال مع

المؤسسات الإذاعية فى ألمانيا الاتحادية، وهى هيئات شعبية منتخبة لكن مع وجود قواعد عامة، وأسس ثابتة، تسيطر على العمل كله، حيث يوجد مجلس إدارة لكل من تلك المؤسسات يتم اختياره طبقاً لاعتبارات عديدة أهيمتها ألا يسمح بأن تخضع وسائل الإتصال فى ألمانيا لسلطة فرد أو حزب يعود بألمانيا لأيام السيطرة النازية على تعددات الدولة.

ثالثاً: النظام التجارى Commereial System

والمؤسسات الإذاعية فى هذا النظام ملكية خاصة ، وأوضح مثال على ذلك نظام الإذاعة الأمريكية، وتقوم بتشغيل هذه الإذاعات مؤسسات تسعى إلى الحصول على أرباح من وراء ذلك، «ولكن هذه المؤسسات خاضعة لبعض التنظيمات الحكومية وخاصة عندما تحتاج أنشطتها إلى استخدام الملكية العامة أو تمس مسائل تتصل بالصالح العام»[1].

ويتم تمويل الإذاعات طبقاً لهذا النظام التجارى عن طريق الإعلانات، وبيع ساعات البث وإنتاج البرامج على نطاق تجارى والبرامج المعلنة Packagep التى تبيعها لإذاعات أخرى، ولا رقابة للدولة عليها من الناحية النظرية وإن كانت تخضع لسيطرة رأس المال وجماعات الضغط فى المؤسسات التجارية والصناعية التى تتحكم فى الإعلانات بصفة خاصة . «وامتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها، شأنه شأن أشكال الملكية الأخرى متاح لمن يملكون رأس المال، والنتيجة الحتمية لذلك هى أن تصبح محطات الإذاعة وشبكات التليفزيون والمجلات والصحف وصناعة السينما ودور النشر مملوكة جميعاً لمجموعة من المؤسسات المشتركة والتكتلات الإعلانية وهكذا يصبح الجهاز الإعلامى جاهزاً تماماً للإضطلاع بدور فعال وحاسم فى العملية التضليلية»[2].

تعريفات إذاعية لمنظمة اليونسكو[3] :

أما منظمة اليونسكو فقد أصدرت مجموعة قرارات وتوصيات هامة تتعلق بتحديد وتعريف النظم الإذاعية ، وأنواع الإذاعات ، بل وتحديد مفهوم البرنامج وأنواع البرامج والخدمات الإذاعية، مع التوصية باعتبار هذه التقسيمات والتعريفات مؤشرات هامة يجب استخدامها عند القيام بأية عملية إحصائية أو بحوث أو دراسات إذاعية فى أى مكان فى العالم ، وقد صدرت هذه القرارات والتوصيات فى المؤتمر العام التاسع عشر لهيئة اليونسكو الذى عقد فى نيروبى فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٧٦ وقد جاءت أهم هذه التعريفات كما يلى : -

---

(١) الخبر الإذاعى - إبراهيم وهبى - الطبعة الأولى دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٨٠.

(٢) المتلاعبون بالعقول - مرجع سابق.

(٣) لمزيد من المعلومات يرجى الرجوع إلى كتاب :

Latest Statistics on radio and telvision LroodCasting- Statistical reports and studies- Uhesso- Paris1987.

من ناحية الوضع القانونى : Government Broadcasting Institution

المؤسسة الإذاعية الحكومية :

وهى التى تديرها الحكومة من كافة النواحى، سواء كانت هذه الحكومة مركزية أو فيدرالية، حكومة ولاية أو إقليم أو محلية وما شابه ذلك، وتقوم بإدارتها بأسلوب مباشر أو عن طريق مؤسسة تنشئها الحكومة .

٢- مؤسسة الخدمة العامة الإذاعية Public Service Broadcasting Institvtion

وهى مؤسسة تنشأ أو تُمنَحْ ترخيص بواسطة مرسوم أو قرار تشريعى (مركزى - فدرالى- ولاية - إقليم - محلى) يعطيها وضعاً أو كياناً قانونياً مستقلاً، ويشمل هذا النوع حالات الملكية الخاصة التى لايكون الهدف منها الربح والتى لها صلاحية العمل كمؤسسة نفع عام .

ثالثاً: المؤسسة الإذاعية التجارية Commercial Broadcasting Institution

وهى مؤسسة إذاعية ملكية خاصة أو مشتركة وتعمل من أجل الربح.

ملاحظـــة :

هذا وتعترف اليونسكو بأن التقسيم السابق لا يذكر إلا القليل عن مدى الحرية الممنوحة لأى من تلك المؤسسات فى إذاعة البرامج عن طريق الراديو أو التليفزيون ، ومدى استقلالها عن الدولة، أو درجة التأثير الخارجى أو النواحى التجارية بعيداً عن تأثيرالحكومة حيث أنها- أى اليونسكو- قد اعتمدت فى هذا التقسيم على ما يصلها من حكومات الدول المعنية.

ثانياً: ناحية التغطية الجغرافية Geographical Coverage

١- الإذاعة القومية (الوطنية - المركزية) : (National)

وهى الإذاعة التى تقدم خدمة إذاعية تغطى الدولة الواحدة ككل.

٢- الإذاعة الإقليمية: (Regional)

وهى الإذاعة التى تقدم خدمة إذاعية لإقليم فى إطار الدولة.

٣- الإذاعة المحلية : (Local)

وهى الإذاعة التى تقدم خدمة إذاعية محلية.

ثالثاً: من ناحية التمويل أو الدخل Revenue

١- تمويل حكومى.

٢- رسوم إصدار الترخيص.

٣- منح خاصة.

٤- إعلانات .

٥- مصادر دخل أخرى [لم تحدد].

رابعاً: من ناحية اللغـــة :

١- إذاعات تبث باللغة أو اللغات الرسمية.

٢- إذاعات باللهجات المنبثقة عن اللغة أو اللغات الرسمية.

٣- إذاعات بلغات الأقليات الوثنية أو العرقية.

٤- بلغات أخرى غير المذكورة أعلاه.

خامساً: من ناحية أصل أو مصدر البرامج :

١- إنتاج وطنى: National Production

وهى البرامج التى يتم بثها أو تسجيلها وإنتاجها داخل الدولة.

٢- البرامج المستوردة Imported Programmes

وهى البرامج التى تنتج فى الخارج ويتم استيرادها

٣- إنتاج دولى مشترك : Internotianal Coproduction

وهو إنتاج مشترك بين المؤسسات الوطنية والمؤسسات فى الدول الأخرى.

سادساً: من ناحية أنواع البرامج والهدف منها :

١- البرامج الإخبارية Informatire Programmes

وهى البرامج التى يقصد بها بصفة أساسية الإعلام عن حقائق وأحداث وأفكار، وتوقعات أو تقدم معلومات كخلفية تفسيرية مثل :

١- نشرات الأخبار News Bulletins والتعليق على الأخبار (وتشمل أخبار الرياضة).

٢- برامج إخبارية أخرى مثل البرامج التى تتناول أحداثاً سياسية أو اقتصادية أو علمية أو ثقافية أو مسائل اجتماعية أو أحداث خاصة وغيرها.

٢- البرامج التعليمية والثقافية والدينية :

أ- البرامج التعليمية : Educational Programmes :

وهى البرامج التى تهدف أساساً إلى تقديم خدمة تعليمية to educate وفيها يكون العامل البيداجوجى التدريسى هو الأساس مثل البرامج التعليمية المتعلقة بمنهج دراسى محدد (مثل المدارس والجامعات.. الخ) فيما عدا البرامج التى تتناول أغراض التنمية الريفية.

ب- البرامج التعليمية الخاصة بالتنمية الريفية (الزراعية) .

جـ - برامج تعليمية أخرى .

٣- البرامج الثقافية Cultural Programmes :

ويقصد بهذه البرامج تلك التى تهدف أساساً إلى إشباع الرغبة فى المتعة الفنية والعقلية.

والبرامج التى تعتبر فى ذاتها أنشطة ثقافية والبرامج التى تثرى أساساً معلومات المستمع أو المشاهد بأسلوب غير تعليمى Nondiactic .

٤- البرامج الدينية Religious Programmes

وهى البرامج التى تقدم أشكالاً مختلفة من الخدمة الدينية وما يشبهها من البرامج الروحية الى تهدف إلى السمو بروح المستمع أو المشاهد .

٥- الإعلانات Advertisments

ويقصد بها الإعلانات التجارية أو غيرها المدفوعة الأجر.

٦- البرامج الترفيهية والبرامج غير المصنفة Entertainment Progammes and unclassified Programmes

أ- البرامج الترفيهية :

وهى البرامج التى تهدف أساساً إلى التسلية مثل الأفلام السينمائية والتمثيليات المكتملة أو المسلسلة والبرامج التى تكون المادة الأساسية فيها هى الموسيقى سواء أكانت حية أو مسجلة والبرامج الرياضية (فيما غدا الأخبار الرياضية) والبرامج الترفيهية الأخرى.

ب - البرامج غير المصنفة:

وهى البرامج التى لم تدخل فى أى من التصنيفات السابقة.

موقع الإذاعة الإسلامية من هذه الإذاعات:

إننا نأتى الآن إلى السؤال الذى يفرض نفسه بالحاح بعد أن قدمنا شرحاً وافياً لأنواع الإذاعات والنظم الإذاعية بل وأنواع البرامج وتصنيف منظمة اليونسكو بهذا الشأن ، نأتى إلى السؤال الذى يقول :

وماذا عن الإذاعة الإسلامية؟

وماذا عن ماهية الإذاعة الإسلامية؟

الحقيقة إننا لم نجد شيئاً فى تصنيف منظمة اليونسكو يساعدنا على وضع الإذاعة الإسلامية فى إطارها الصحيح بين غيرها من الإذاعات، كما أنها لم تذكر شيئاً عن الإذاعات التبشيرية والحروب التى تشنها على الإسلام والمسلمين ، ولم تذكر شيئاً عن الإذاعات المعادية الأخرى التى قد تنتشتر وراء الدين أو وحدة الأديان أو وراء غلالة شفافة من التوجهات الترفيهية أو الزعم بتقديم خدمة إخبارية صريحة لكنها فى النهاية تسعى لتحقيق نفس الأهداف العدائية والمستهدف فيها هو العالم الإسلامى. والأمر برأينا يحتاج إلى المصارحة الكاملة، فقبل تقديم تعريف شامل للإذاعة الإسلامية، الواقع والأهداف وطموحات المستقبل، ينبغى لنا أن نكون أكثر صراحة وواقعية ونحن نتناول أنواع الإذاعات والنظم الإذاعية السائدة فى العالم الإسلامى إننا نجد أنفسنا فى إطار ما تتطلبه هذه الدراسة من صراحة ومصارحة كاملة وواقعية واعية، إننا أمام تقسيم واضح يضع حدوداً فاصلة بين الإذاعة الإسلامية وبين غيرها من الإذاعات سواء

أكانت إذاعات حكومية مركزية أو إقليمية أو محلية أو هيئة عامة أو كمشروع خاص أو مشترك، وطبقاً للتقسيم الجديدة، فإننا نسقط من حسابنا التقسيم السائد الذى يمكن أن نصفه بأنه تقسيم مضلل، ذلك التقسيم الذي يعتبر إلى إذاعة تبث برامجها من فوق أرض إسلامية أو دولة إسلامية هى إذاعة إسلامية بينما الواقع والمصارحة التى يجب أن تكون رائدنا يستوجب أن نعطى صورة أكثر واقعية للإذاعات والنظم الإذاعية السائدة فى العالم الإسلامى وهى كأوضح ماتكون كما يلى:

أولاً: إذاعات علمانية[1] :

ونحن نقصد بالعلمانية هنا المعنى الحقيقى لهذه الكلمة التى تعنى اللادينى Secular فنحن بكل أسف وفى إطار المناخ التوفيقى الذى يسود عالمنا، لا نترجم المصطلح الترجمة الموحية بالمعنى الأصلى الذى يعنى (اللادينى) ، وهو ما يجب أن نضعه فى اعتبارنا ونحن نتحدث عن الإذاعات التى نصفها كإذاعات علمانية ، تلك الإذاعات التى نجدها هى السائدة ، والتى تخلو من التوجهات الدينية وتقوم على خدمة فكر اشتراكى أو رأسمالى أو عنصرى أو قبلى أو قومى، أو لتكريس حكم الفرد وتجميل صورة الحكم، لايخدعنا أن نتخذ مثل تلك الإذاعات وجهاً دينياً فى صورة إذاعات لقراءات من القرآن الكريم أو برامج دينية متفرقة.

ثانياً: إذاعات دينية (إسلامية) :

ونحن نقصد بالإذاعات الدينية هنا، وطبقاً لطبيعة هذه الدراسة ، الإذاعة الإسلامية التى يمكن أن نحددها من خلال التقسيم التالى:

أولاً: إذاعات ذات توجهات إسلامية:

ونحن هنا نخرج هذه الإذاعات من دائرة العلمانية ، بمعنى أننا لا نصفها بأنها علمانية أو لادينية، بل نعتبرها إذاعة إسلامية فى توجهاتها، لكن يغلب عليها الطابع اللاعقائدى وفى نفس الوقت نجدها ملتزمة بتجنب عدد من المحظورات Taboos ، فلا مساس بالدين ، ولا مخالفة لقواعده، وتحرص على تقديم عدد من البرامج الدينية، فهى إذاعات غير علمانية، ولا نعتبرها إذاعات إسلامية خالصة، فهى تتميز فقط بالتوجهات الإسلامية الواضحة.

ثانياً: إذاعات إسلامية شاملة:

وهى إذاعات تلتزم التزاماً كاملاً بالتوجهات الإسلامية، وفى نفس الوقت تقدم مختلف

---

(١) علمانى Secular : يشير المصطلح بمعناه العام فى العلوم الإجتماعية إلى كل ماهو واقعى ومدنى وغير دينى وذلك تمييزا له عن الأشياء الروحانية.

قاموس علم الإجتماع – د. عاطف غيث – مرجع سابق.

الأشكال البرامجية لكن فى إطار يرعى حدود الله، سواء أكانت تلك البرامج إخبارية أو ثقافية أو ترفيهية أو تعليمية أو أحاديث ودراما وموسيقى وغناء وبرامج حوارية.

ثالثاً: إذاعات إسلامية نوعية متخصصة:

وهى إذاعات تفريع على مدى ساعات إرسالها قراءا من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وشرحاً وتفسيراً لقواعد الدين الحنيف، وتقديم القيم الإسلامية والسلوكيات الإسلامية وتكون هذه الإذاعات على مستوى مركزى فى إطار الوطن الأم ، أو على مستوى دولى كإذاعة موجهة أو على مستوى إقليمى أو مستوى محلى.

الفصـــل الثـــالث

واقع الإذاعات الإسلامية المسموعة والمرئية

الدليل الإسلامى للعمل فى إتحاد الإذاعة والتليفزيون :

لعل من المهم، ونحن بصدد الحديث عن واقع الإذاعات الإسلامية المسموعة والمرئية، أن نستعرض معاً بعض القواعد الهامة التى تحكم إنتاج البرامج فى الإذاعات المصرية بصفة خاصة، لكى نحدد مدى إلتزام تلك الإذاعات بتلك القواعد، وعلى أساس ذلك يمكن تحديد واقع الإذاعات الإسلامية، ونواحى القصور التى قد نجدها، ونواحى الإيجابيات التى تبرز فى ذات الوقت، ولتكن بدايتنا الحديث عن ميثاق الشرف الإذاعى والإعلامى أو ما يعرف بأخلاقيات العمل فى إتحاد الإذاعة والتليفزيون، والذى ينص على أن يقوم العمل فى الاتحاد بجميع مجالاته وأجهزته على أساس هذا الميثاق، وفى الحدود التى أوردها، وذلك تأكيداً للقيم الدينية والوطنية والقومية والاجتماعية، والأخلاقية والعلمية والفنية، وقد اخترنا مما جاء فى بيان الواجبات فى ذلك الميثاق ما يلى[1] :

١- يجب أن تؤكد البرامج القيم الدينية والأخلاقية التى يقوم عليها المجتمع المصرى، كما تشجع التقاليد الصالحة التى ورثها الشعب على مدى تاريخه الطويل.

٢- يجب أن تحرص البرامج على اعتبار مكارم الأخلاق والعمل المخلص والالتزام بمبادىء الدستور الأخلاقية والاجتماعية معياراً للتفاصيل بين الناس.

٣- يجب أن تحرص البرامج على تقديم الفنى الرفيع والفكر الجاد وعلى الترفيه البعيد عن الإسفاف والابتذال والسوقية.

٤- يجب أن تعتى البرامج بالتراث القومى العلمى والثقافى فى عصوره المختلفة وخاصة دور الحضارة الإسلامية فى إثراء الإنسانية وإبراز قدرتها على تجديد العطاء فى المستقبل.

٥- يجب أن تعنى الأطفال بتأكيد إحترام الآباء والعرف والأخلاق والسلوك الحميد مع عنايتها بتنمية متوازنة لشخصية الطفل علمياً وثقافياً وتربوياً وأخلاقياً.

أما فى بيان المحظورات فقد اخترنا ما يلى :

١- لا يجوز إذاعة ما يتضمن المساس بالأديان والعقائد.

٢- لا يجوز إذاعة ما يثير الجدل الدينى بين الطوائف.

---

(١) الخطة الإعلامية العامة لعام ١٩٩٠- ١٩٩١ - اتحاد الإذاعة والتليفزيون - القاهرة ١٩٩٠.

٣- لا يجوز إذاعة مامن شأنه تهديد كيان الأسرة أو يقلل قدسيتها أو يهز القيم التى يقوم عليها بناؤها.

٤- لا يجوز إذاعة ألفاظ أو تعبيرات أو صور سوقية مبتذلة.

٥- لا يجوز إذاعة ما من شأنه أن يمس الآداب العامة أو الوقار أو يخدش الحياء سواء بالقول أو الأداء أو الصورة.

٦- لا يجوز إذاعة ما يؤدى إلى تحبيذ الانحلال الخلقى سواء بالقول أو الأداء أو الصورة.

٧- لا يجوز إذاعة ما من شأنه تحبيذ التفرقة بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو القصيدة أو الطبيعة.

٨- لا يجوز إذاعة ما يجيز تعاطى المخدرات أو الإتجار فيها أو المحرمات الأخرى كالخمر والميسر.

بين الفلسفة والسياسة الإعلامية والأهداف :

وإذا انتقلنا إلى الفلسفة الإعلامية التى تنبثق عنها كافة البرامج الإذاعية المسموعة والمرئية نجد مايلى[1] :

يؤكد مفهوم الفلسفة الإعلامية دور الإعلام الرائد ومسئوليته الكاملة فى مجالات تنمية الإنسان وبناء روح الأمة وترشيد الرأى العام والتعبير عن الأهداف القومية، ومن ثم تفرض الفلسفة الإعلامية أن يكون الإعلام الإذاعى المسموع والمرئى خلاّقاً يلتزم بإنتاج الجيد من الأعمال ليبرز فى غزارة على الساحة الإعلامية العربية والإسلامية والإفريقية والعالمية، وإسلامياً يعمل على نشر الدعوة الإسلامية وتوطيد تعاليم الدين ودفع المفتريات التى تتفترى على الدين الحنيف وتقريب وجهات نظر الشعوب الإسلامية.

أما عن السياسة الإعلامية ذاتها فقد تم تحديدها فى عدد من الركائز أهمها من ناحية الالتزام بالفكر الإسلامى والدعوة الإسلامية:

١- توظيف الإعلام المسموع والمرئى لخدمة أهداف المجتمع فى إطار من تقاليده وقيمه وأخلاقياته ، وفى مراعاته للمصلحة القومية العليا.

٢- نشر وتعميق المفاهيم والمبادىء والقيم الحضارية والإنسانية للدين الإسلامى وتقديم التلاوة القرآنية والأحاديث القدسية والنبوية الشريفة والتفاسير والفتاوى لمسلمى العالم.

٣- توثيق الروابط بين مصر ودول العالم وذلك بتبنى قضايا دول الأسرة العربية والقارة الإفريقية والعالم الإسلامى وبالتصدى للدعايات المغرضة بتقديم الحقائق المدعومة بالحجج والأسانيد المنطقية.

---

(١) الخطة الإعلامية العامة ١٩٩٠/ ١٩٩١ - المرجع السابق.

وإذا انتقلنا إلى الأهداف العامة التى حددتها الخطة الإعلامية لعام ١٩٩١/٩٠. وجدناها تتناول عدداً من صور التنمية مثل التنمية السياسية التى تؤكد الخطة فيها على إبراز انتماء مصر إلى العالم الإسلامى وأما عن التنمية الثقافية فنجد الخطة تنص على المحافظة على قيمنا الخالدة دون تفريط وعلى احتفاظ الإعلام المصرى بذاتيته وثقافته وعاداته وتقاليده وحضارته فى مواجهة الثقافات والبرامج التى سوف تفد إلينا من الفضاء.

وإذا تحدثنا عن الجانب الدينى فقط وجدنا الخطة نفسها تولى هذا الجانب إهتماماً كبيراً يؤكد التوجه الإسلامى الكامل إذ تقول[١] :

ومن منطلق الإيمان بقيمة التربية الدينية والروحية فى تكوين شخصية الإنسان ، وبأثرها العميق فى تحديد معايير قيمه واتجاهاته وسلوكياته، يأتى الاهتمام بتربية الإنسان وبخاصة الأطفال والشباب تربية دينية وروحية قوية حتى يتمسك بأهداف دينه، فينعكس ذلك على سلوكه وتصرفاته، ويزيد من ولائه وانتمائه إلى مجتمعه، وتبرز هنا أهمية تقديم جرعات إعلامية دينية تخاطب وجدان المواطن وتحميه من التأثر بالمفاهيم الخاطئة وتدفعه إلى إيجابية المشاركة والمساهمة فى مقومات التقدم لنفسه ولبلده كما تدفعه إلى السمو فى تصرفاته مع الآخرين.

كما تؤكد الخطة على العديد من الركائز الإسلامية الأساسية منها :

١- طرح القضايا الدينية طرحاً عصرياً متلائماً مع المفاهيم الحديثة لحركة الحياة مع الالتزام بالمفاهيم والقيم الدينية.

٢- تشجيع حفظ آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وتفسيرها بجانب الاهتمام بموضوعات السيرة النبوية والقصص القرآنى.

٣- إبراز دور الحضارة الإسلامية فى مختلف فروع العلم والمعرفة فى إثراء الحضارة الإنسانية.

٤- الرد على استفسارات المواطنين فى المسائل الدينية المختلفة وتوجيههم الوجهة الدينية الصحيحة.

٥- العناية بعرض كتب التراث الإسلامى.

٦- تعريف شعوب العالم بمبادىء الدين الإسلامى وقيمه وأحكامه من خلال الإذاعات الموجهة وبرامج التبادل.

وهكذا تمضى الخطة الإعلامية العامة لعام ١٩٩٠ - ١٩٩١ لتؤكد الانتماء الإسلامى وأهمية الالتزام بالخط الإسلامى فى كافة برامج الإذاعة المسموعة والمرئية، وهنا يبرز السؤال:

---

(١) المرجع السابق.

لماذا لا نجد التزاماً كاملاً من جانب الإذاعيين فى الراديو والتليفزيون بكل ماجاء فى هذه الخطة؟

لماذا نجد مخالفات صريحة للاستراتيچية والسياسية الإعلامية التى تؤكد فى أكثر من مجال على ضرورة الالتزام بالمفاهيم والقيم الدينية وتجنب ما يؤدى إلى تحبيذ الانحلال الخلقى بالقول أو الأداء أو الصورة؟

لماذا نجد ما يخالف ماتؤكده الخطة من ضرورة الحرص على تقديم الفن الرفيع والفكر الجاد وعلى الترفيه البعيد عن الاسفاف والابتذال والسوقية؟

إن توجهات الخطة الإعلامية واضحة أشد الوضوح.. والخروج عليها أيضاً على درجة كبيرة من الوضوح وبصفة خاصة فيما يتعلق بالإذاعة المرئية (التليفزيون)[1].

أيـن الخـلل إذن؟..

ولهذا نسأل :

أين الخلل إذن؟

- هل هو ناتج عن قصور فى فهم الإسلام فهماً صحيحاً؟
- هل هناك توجهات غير مكتوبة تقارير ماجاء فى الخطة الإعلامية؟
- هل هو ناتج عن توجهات خاطئة لدى الإذاعيين خاصة القيادات الإعلامية؟
- هل هو ناتج عن حذر وخوف من الوقوع فى المحظور وهو اتهام الإذاعيين بأن لديهم انتماءات متطرفة؟

إنى أعود إلى ذات التساؤل :

- أين الخلل إذن ؟

والجواب على ذلك التساؤل هو مسئولية الإذاعيين أنفسهم ، بينما تحاول هذه الدراسة وضعهم أمام مسئولياتهم ونحن نتحدث عن الإذاعة الإسلامية وطموحات المستقبل، إذ يكفى أن نقول إن من طموحات المستقبل الأساسية أن يتمسك الإذاعيون الإسلاميون بميثاق الشرف الإعلامى وأخلاقيات الإذاعة المسموعة والمرئية ، وبكل ماجاء فى الخطة الإعلامية التى تَنَاوَلْنَا الكثير من جوانبها بالتفصيل، وألا يكون كل ذلك مجرد حبر على ورق، بل توجهات مُلْزِمَة يجب تنفيذها، إن ميثاق الشرف الإعلامى وأخلاقيات الإذاعة المسموعة والمرئية والخطة الإعلامية ذاتها تمثل فى رأينا الدليل الإسلامى الواضح للعمل فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون، وبقى أن

---

(١) يرجى الرجوع أيضاً على قرارات وتوصيات مؤتمرات وزراء الإعلام العرب ومؤتمرات إذاعات الدول الإسلامية.

يلتزم الإذاعيون بهذا الدليل، لكننا فى ذات الوقت نقول إن مانراه ونسمعه من برامج فيها خروج على تلك القواعد، هى فى النظرية أشياء يمكن تداركها ويمكن تجنبها بتصفية وتنقية المحتوى الإعلامى والشكل الفنى البرامجى من الشوائب التى تتعارض مع التوجهات الإسلامية ، وإذا بنا نكون فعلاً على الطريق الصحيح.

الإذاعات العِلْمَانية مرة أخرى:

ومع العودة إلى الحديث عن الإذاعات العِلْمَانية نقول إن هذه الإذاعات بشكلها الحالى يجب أن تختفى من الساحة الإعلامية الإسلامية، لأنها تمثل تقاعساً كاملاً عن القيام بالمهام المطلوبة من الإعلاميين الإسلاميين ومن الإعلام الإسلامى فى ظل هذا الزحم غير المحدود من الإعلام المعادى، وتمثل إنسحاباً انهزامياً من الساحة الإعلامية وتركه مباحة لغيرها فى ظل الحاجة الماسة إلى إعلام إسلامى يقوم بواجبه كاملاً، لا فى الدفاع عن الإسلام فحسب، بل فى إعلام المسلمين بحقيقة دينهم وإيصال الحقائق والأخبار والآراء والأفكار والمعلومات الصحيحة لهم وتزويدهم بالثقافة اللازمة، والترفيه المتوازن فى إطار من الالتزام الكامل بقواعد الدين، أوامره، ونواهيه.

إن الإذاعات العلمانية فى البلاد الإسلامية تؤدى إلى تحقيق اللامبالاة والهامشية لدى جماهير المسلمين إزاء قضاياهم المصيرية وإزاء الأحداث المؤثرة فى حياتهم ، إن تؤدى بالإنسان المسلم إلى أن يعيش فى غيبوبة كاملة عن كل مايدبر ضده من أعداء الإسلام، ولا يحفل فى ظل هذه الغيبوبة بما يتعرض له الإسلام والمسلمون من هجمات شرسة وحملات متتالية، وهكذا تترك الإذاعات العلمانية المسلمين فريسة سهلة فى أيدى الإذاعات المعادية التى تسعى إلى التسلط على عقول ومشاعر المسلمين وتشكيل نظرتهم إلى الحياة وإلى مشاكلهم بل وتشكيل معتقداتهم وتوجيه تصرفاتهم وردود أفعالهم، والذى يعنى فى النظرية صياغة رأى عام مستسلم تماماً لما يخطط له الأعداء.

إذاعة إسلامية .. كيف ؟

ويتبقى أمامنا الإذاعات ذات التوجهات الإسلامية ، والإذاعات الإسلامية الشاملة، وهنا نؤكد على أن الإذاعة ذات التوجهات الإسلامية يمكنها أن تُصْلح مسارها إذا قامت بتنقية المحتوى الإعلامى لها مع الحرص على الوصول إلى الشكل الأمثل لكل ما يثور حوله من خلاف، أى فيما يمكن أن نسميه بالمسائل الاجتهادية بعيداً عن الثوابت العقائدية ، بحيث فصل فى النهاية إلى صيغة متطورة للائحة، خاصة فيما يتعلق بالفنون ، فلا يبدو ما يذاع عن طريق الراديو أو مايعرض على شاشة التليفزيون متعارضاً مع تعاليم الدين، أوامره ونواهيه ، وبحيث لانوقع

المستمع أو المشاهد المسلم فى لون خطير من ألوان الصراع الداخلى، حيث يعجب سراً بما يستمع إليه أو يشاهده، بينما هو ينتقد ذلك إذا اجتمع مع آخرين أو طلب منه أحد الرأى والمشورة علناً، وكأنه نوع من انفصام الشخصية المَرَضى، الذى تؤول إلى آثار بالغة الخطورة على شخصية الإنسان المسلم. بل نجد الشباب أنفسهم وقد أصابهم مايسمى بحالة الأنومى Anomy[1] «بمعنى افتقار مجتمعهم إلى القيم والمعايير الواضحة والضرورية لتحقيق درجة من التوافق المقنع مع هذا المجتمع، تجعلهم يسلكون السلوك الصحيح، أو انهم يعيشون فى مجتمع توجد فيه قيم ومعايير ، لكن هذه القيم والمعايير تتعارض مع بعضها البعض فيصعب عليهم الوصول إلى الحكم الصحيح. والتصرف السليم، ولا يشعرون بالانتماء إلى مجتمعهم ، بل ويشعرون بأنهم لايملكون القدرة على التغيير والتأثير، وتتسم تصرفاتهم باللامبالاة والسلبية وعدم المشاركة فى حل المشكلات فى مجتمعهم، بل وربما التعالى على هذا المجتمع ، والشعور بأن مجتمعهم عاجز عن تقديم خبرات ذات قيمة، ولا نجد للروابط الأسرية مكانتها القديمة، ولا نلمس الاحترام التقليدى لحقوق الجار، وتفقد المدرسة هيبتها، ويفقد رجل الشرطة هيبته، بل وتفقد الدولة ذاتها هيبتها، ويفقد رجل الدين مكانته، ويعيش الشباب مجموعة تناقضات ويتحدثون عن قيم ومعايير وسلوك نموذجى بينما التطبيق يكون متناقضاً مع ما يظنون أنهم يؤمنون به[2].

إن الإذاعات ذات التوجهات الإسلامية المحدودة والمضمون المتناقض المتنافر، تمثل برأينا وضعاً متردداً غير محسوم يجعلها أقرب ما يكون من الإذاعات العلمانية، حيث البرامج غير الملتزمة شكلاً ومضموناً وأداء مع الافتقار إلى تقديم النموذج القدوة Ego- Ideal الذى يدعو الآخرين إلى الاسترشاد بسلوكه وشخصيته، ولم يعد أحد يعرف ، هل النموذج القدوة فى مثل تلك الإذاعات المسموعة والمرئية هو تاجر المخدرات أم المرتشى أم المهرب أو المتهرب من الضرائب بعد أن كان النموذج القدوة متمثلاً فى صاحبه السلوك السوى، المؤمن المستقيم والذى يؤدى دوراً إيجابياً فى الحياة مثل الطبيب والمهندس والمعلم أو العامل الشريف والمزارع المجتهد.

أما الإذاعة الإسلامية الشاملة ، فتبقى هى الشكل الأمثل للإذاعة الإسلامية والتى تعتبر فعلاً من طموحات المستقبل العاجلة طبقاً لاستراتيجية إعلامية إسلامية ثابتة وخطط وسياسات إعلامية واضحة.

صور مشرقة لإذاعات إسلامية:

ونأتى الآن للحديث عن بعض الصور المشرقة للإذاعة الإسلامية المسموعة ونعنى بها الإذاعات النوعية المتخصصة فى كل من مصر والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص مع تواجد مثيل لها فى عدد آخر من الدول الإسلامية ، ففى مصر توجد إذاعة القرآن الكريم

(١) انظر Arony قاموس علم الاجتماع د. عاطف غيث – مرجع سابق.

(٢) الإذاعات المحلية لغة العصر – عبدالمجيد شكرى – دار الفكر العربى – طبعة ثانية القاهرة ١٩٨٧.

التى بدأ إرسالها فى شهر مارس عام ١٩٦٤ والتى تطورت تطوراً كبيراً منذ إنشائها إلى استطاعت خلال عام ١٩٨٩/٨٨ تقديم ٧١٩٩ ساعات إرسال بمتوسط يومى ٤٣ق ١٩ت والتى تبلغ فيها نسبة المادة القرآنية ٧٠٪ من ساعات إرسالها وتصل قوة إرسالها ٥٠٠ك. وتغطى الآن مناطق شاسعة من العالم الإسلامى[١].

وهناك أيضاً الإذاعات الدولية الموجهة من القاهرة ومن وظائفها اله٠٠٠امة التعريف بمبادىء الإسلام وتعاليم الدين الإسلامى مع التركيز على الجوانب الإنسانية والحضارية التى يدعو إليها الإسلام وإبراز دور الحضارة الإسلامية فى تطور فروع العلم والمعرفة، والرد على الافتراءات الموجهة إلى الإسلام فى الخارج، بالإضافة إلى برنامج «العربية بالراديو» الذى يهدف إلى تعليم اللغة العربية ونشر التحدث بها بين أبناء الشعوب الإسلامية وفى البلاد التى بها جاليات إسلامية وذلك لتمكينهم من قراءة كتاب الله عز وجل باللغة التى أنزل بها وأحاديث رسوله الكريم والتعرف على الثقافة العربية والتراث الحضارى الإسلامى الفريد من المصادرالعربية والاستماع إلى الإذاعات الموجهة باللغة العربية، وهناك[٢] اثنتان وأربعون خدمة إذاعية تستخدم اثنتين وثلاثين لغة جميعها إذاعات دولية موجهة.

وإذا انتقلنا إلى المملكة العربية السعودية ، وجدنا صورة مشرفة أخرى حيث إذاعة القرآن الكريم من مكة المكرمة والرياض وجدة وقد بدأت البث عام ١٩٤٩ وإذاعة نداء الإسلام والتى بدأت باسم «صوت الإسلام» وبنت برامجها من مكة المكرمة إلى جانب الإذاعات الدولية الموجهة مع وجود إذاعة البرنامج العام لكل من إذاعتى الرياض وجدة، وهى إذاعات إسلامية شاملة، ولجميع تلك الإذاعات قوة إرسال كافية من كل من جدة والرياض والدمام تسمح لها بأن تصل بصوتها إلى الجماهير المستهدفة فى أنحاء العالم.

وإذا كنا قد تحدثنا عن الإذاعة الإسلامية المسموعة ، فإننا نسجل هنا غياب الإذاعة الإسلامية المرئية من الساحة الإعلامية والتى نرجو لها أن تتواجد لكى تؤدى دورها جنباً إلى جنب مع الإذاعة الإسلامية المسموعة، ونسجل هذا الأمل، كأحد طموحات المستقبل.

---

(١) الكتاب السنوى لاتحاد الإذاعة والتليفزيون ١٩٨٩/٨٨.

(٢) المرجع السابق.

الفصـــل الرابـــع
بين طموحات المستقبل والتخطيط المستقبلى

ماذا نعنى بطموحات المستقبل؟

أن دائرة طموحات المستقبل ، تتسع أمامنا ، ويكاد ألا يكون هناك أية حدود لدائرة إتساعها، فالمستقبل يفرض نفسه دائماً على الحاضر، والمستقبل يعنى ماهو آت، أى التقدم، والتقدم يعنى الحركة الدائبة إلى الأمام، وعكسه التخلف الذى يعنى الجمود والثبات وإذا كنا نتحدث عن الإذاعة الإسلامية وطموحات المستقبل، فينبغى لنا أن نخرج من أذهاننا المعنى الظاهر لمفهوم الطموح الذى كثيراً مايعنى الأمل فى الحصول على أشياء عسيرة المنال أو غير القابلة للتحقيق، بينما الطموح الذى نعنيه، وطبقاً لطبيعة هذه الدراسة، هو التطلع إلى تحقيق خطة مستقبلية قابلة للتحقيق لا مجرد الأمل الذى نحلم بتحقيقه[1] وطموحات المستقبل برأينا، هى مجموعة الخطط الإعلامية المراد تطبيقها ، فقد آن للمسلمين أن يخرجوا عن دائرة الآمال والأحلام، إلى دائرة العمل المستقبلى المخطط الذى ينبغى أن يعملوا بكل قواهم من أجل تحقيقه، ونحن عندما نتحدث عن الإذاعة الإسلامية وطموحات المستقبل، لا نتحرك من فراغ، فلدينا القواعد المؤسساتية الحكومية والشعبية التى لها القدرة على الفعل، والعمل، ولدينا الخطط الطموحة التى يمكن أن أبعادها بمثابة الركيزة الفعالة لخطواتنا القادمة.

وطبقاً لطبيعة هذه الدراسة، فنحن لا نؤكد على نواحى القصور أو السلبيات، بقدر ما نسعى إلى الحديث عن المستقبل، وهذا بذاته يحتاج منا إلى تصور شامل لطموحاتنا، نضع من خلاله جميع الإذاعيين الإسلاميين أمام مسئولياتهم، ويحتاج ذلك بداية إلى تقديم تعريف شامل لمفهوم الإذاعة الإسلامية الذى يجيء كنتيجة طبيعية لما سبق عرضه بشأن الإذاعات الإسلامية، وواقع الإعلام الإسلامى، والذى أسمح لنفسى أن أمدته كاجتهاد شخصى من خلال الممارسة والدراسة والتطبيق، أضعه أمام المؤتمر قبل أن أقدم تصوراً كاملاً لطمحات المستقبل. وقد حرصت على أن يأتى هذا التعريف وقد قاربت هذه الدراسة على نهايتها بدلاً من أن أبدأ به الدراسة ، فقد جاء هذا التعريف كنتيجة طبيعية للمباحث التى وردت فى هذه الدراسة وبذلك، لم تفقد الدراسة تسلسلها المنطقى، فالتعريف دائماً خلاصة دراسة، ونتيجة لها وليس فرضا مطلوب إثباته.

---

(١) طَمَحَ إلى الأمر: تَطَلّع واستشرف .«المعجم الوجيز» مجمع اللغة العربية – الطبعة الأولى ١٩٨٠.

ما المقصود بالإذاعة الإسلامية؟

إنها كل إذاعة مسموعة أو مرئية ، تنطلق باسم الإسلام، عقيدة وفكراً، تأسيساً على ماجاء فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والتراث الإسلامى العريق، والقيم الإسلامية الرفيعة، وتقدم خدمة معلوماتية شاملة، وتلتزم فى كل ماتقدمه من مواد إعلامية مسموعة أو مرئية بما يخدم المسلمين فى دينهم ودنياهم، وبما يؤدى إلى نشر الدعوة الإسلامية، وبما يخدم الإسلام والمسلمين دينياً وإعلامياً وأخلاقياً وثقافياً وسياسياً وعلمياً واقتصادياً واجتماعياً وترفيهياً وتنموياً وت تصددى لأعداء الإسلام، وأعداء الأمة الإسلامية ، مستخدمة فى ذلك كل ماهو متاح من منجزات العصر الفنية والعلمية والتكنولوجية ، وبوسائل التعبير المختلفة، مع الالتزام فى كل ذلك بكل ماجاء به الإسلام من إباحة وتحريم.

مفهوم الإذاعة الإسلامية وطموحات المستقبل :

إن الإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية التى تقوم على أساس التعريف السابق تعتبر فى ذاتها من طموحات المستقبل والتى يحددها ذلك التعريف فيما يلى:

١- انها إذاعة مسموعة أو مرئية ، تنطق باسم الإسلام عقيدة وفكراً.

٢- انها تلتزم فيما تقدمه بما جاء فى القرآن الكريم وفى سنة النبى صلى الله عليه وسلم بعيداً عن الخلافات المذهبية.

٣- انها تلتزم بكل ماجاء فى التراث الإسلامى العريق، والقيم الإسلامية التى أبرزها الصحابة والتابعون وفقهاء وعلماء الدين المخلصين.

٤- انها تعمل على نشر الدعوة الإسلامية.

٥- انها إذاعة تخدم المسلمين فى دينهم وفى دنياهم ، فهى إذاعة غير منفصلة عن الحياة بكل متغيراتها.

٦- انها إذاعة تقدم كل ما يخدم الإسلام والمسلمين والإنسانية جميعاً، إعلامياً [خدمة معلوماتية] وأخلاقياً وثقافياً وسياسياً وعلمياً واقتصادياً واجتماعياً وترفيهياً وتنموياً.

٧- انها إذاعة تقدم كل ما من شأنه أن يصلح أحوال المسلمين فى الدنيا والآخرة.

٨- انها إذاعة تتصدى لأعداء الإسلام وأعداء الأمة الإسلامية ولحملاتهم الإعلامية المعادية.

٩- انها تلتزم فى كل ماتقدم من مواد إعلامية بقواعد الشرع الحنيف [إباحة وتحريم] أى تقدم ماتبيحه أوامر الدين والشريعة الإسلامية، وتمتنع عن تقديم ما يحرمه شرع الله.

١٠- انها إذاعات متطورة ، تستخدم منجزات العصر العلمية والتكنولوجية بما يؤدى إلى تحقيق الاستخدام الأمثل لوسائل الاتصال المختلفة.

التخطيط الإعلامى طبقاً لمتغيرات العصر

إن الإنطلاق من مجموعة الركائز التى يقدمها التعريف السابق لمفهوم الإذاعة الإسلامية إنما يعنى إننا نقدم نمطاً نموذجياً Ideal Type لشكل مستقبلى للإذاعة الإسلامية، والذى ينبغى أن نخطط علمياً من أجل تحقيقه فى الشكل الأمثل من خلال رؤية مستقبلية لكل خطوة نخطوها، وأن نحشد كافة الإمكانيات المتاحة من أجل تحقيق الأهداف المرجوة، وهذا بدوره يحتاج إلى فهم صحيح للواقع القائم، وللاحتياجات، والامكانيات المتاحة حاضراً ومستقبلاً، بشرياً ومادياً، فالتخطيط المستقبلى اتجاه جديد نابع من الإحساس المرهف بالمستقبل. إنه إنذار مبكر، واستعداد سبق يهيئ لتكييف أفضل وبهذا تتكون لدى الناس عادة التوقع وبذا يشترك أكبر عدد فى تخيل وتحليل وتقييم امكانيات المستقبل واحتمالاته[1].

والتخطيط الإعلامى الإسلامى السليم ينطلق دائماً من استراتيچية[2] ثابتة أساسها الثوابت العقائدية والأخلاقية والقيمية الإسلامية، ومن هذه الاستراتيچية تخرج دائماً السياسات العليا للمجتمع، فالسياسات جزء من استراتيچية عليا، فهناك السياسة الإعلامية، والسياسة التعليمية، والسياسة الزراعية، والسياسة المائية والسياسة السكانية وغيرها، وهى بذلك تعنى استخدام كل ذلك على المدى البعيد طبقاً لأهداف محددة، فالسياسة الإعلامية على سبيل المثال، تشمل أهدافاً دينية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية وإنسانية، كما تشمل أساليب مواجهة ما يعترضها من معوقات وتحريات، وهكذا تأتى الخطة بعد ذلك لكى تعبر عن الاستراتيجية الثابتة، وسياستها العليا، كما أنها تمثل برنامجاً أكثر احكاماً، ولفترات محددة للتنفيذ مع وجود أهداف معينة تدخل فى الأهداف العامة، وتعمل على تحقيقها جزئياً، لكن فى إطار الاستراتيجية، والسياسة الإعلامية الإسلامية الشاملة بعيداً عن أى تفكير تجزيئى، ويجعلنا نعالج الجزء بعيداً عن الكل، إذ يجب أن يكون تناولنا للجزء أو المرحلة فى إطار النظرة العامة التى تشمل هذا الكل، الذى يمثل المصلحة العليا للإسلام والمسلمين.

ثلاثة محاور أساسية للإذاعة الإسلامية:

إن طموحات المستقبل أو الخطط المستقبلية للإذاعة الإسلامية تفرض أن يكون تحركنا على ثلاثة محاور أساسية هى :

أولاً: وجود مشروع إسلامى حضارى:

إن وجود مشروع إسلامى حضارى واضح، أحد الأسس الضرورية لانطلاق أى عمل إعلامى إسلامى. إنه يعنى بالضرورة أن الإذاعيين الإسلاميين يعرفون الخطوات التى ينبغى

---

(١) مؤسسات التخطيط – د. السيد عليوة – الأهرام الاقتصادى عدد ١٣٧ مارس ١٩٩٢.

عليهم أن يخطوها ، ويعنى أيضاً أنهم لابد وأن ينطلقوا من خلال هوية إسلامية ذات خصوصية حضارية واضحة، فمن المهم بمكان أن يكون الإذاعيون الإسلاميون واضحى الهوية، يؤدون دوراً حضارياً ذا خصوصية متفردة، مثلما ينبغى أن تكون الإذاعة الإسلامية ذاتها واضحة الهوية، واضحة التوجه الإسلامى، وهذا بدوره يؤكد لنا أهمية ألا نضع مسئولية التخطيط بل ومسئولية التنفيذ أيضاً فى أيدى من هم محدودى الثقافة الإسلامية، محدود الإلمام بمتغيرات العصر، وبما يجرى على الساحة الدولية، فاقدى الهوية، منعدمى الرؤية المستقبلية، إن المشروع الحضارى الإسلامى فى ذاته أحد أهم طموحات المستقبل، ووضع هذا المشروع الإسلامى الحضارى ليس بالضرورة مسئولية الإذاعيين الإسلاميين، بل هو مسئولية القيادات الإسلامية واضعى استراتيچية التحرك الإسلامى ككل، والتى يوضع على أساسها ذلك المشروع الإسلامى الحضارى ، وهى أيضاً مسئولية التنظيمات الشعبية الإسلامية، وما على الإذاعيين الإسلاميين إلا العمل فى ضوء هذا المشروع الإسلامى الحضارى المنشود الذى ينبغى أن يتبناه الخطاب الإعلامى الإسلامى وهو يتوجه بالخطاب على مستوى محلى وقومى ودولى، إن وجود المشروع الإسلامى الحضارى إذن، أمر على درجة بالغة من الأهمية خاصة وانه يقف الآن وجهاً لوجه أمام مشروع حضارى أمريكى غربى يسعى للانفراد فى الساحة بعد سقوط الأنظمة الشيوعية والاشتراكية ، وهكذا يصبح الإذاعى المسلم فى عبارة قصيرة، إذاعى صاحب قضية، ولابد أن يجىء خطابه الإعلامى فى خدمة هذه القضية ، المتمثلة فى المشروع الإسلامى الحضارى الكبير الذى يقف فى مواجهة تحد حضارى آخر يوصف بالشراسة والعنف والعداء الشديد.

ثانياً: وجود منظومة معلوماتية إسلامية :

وإذا كنا ننادى بأن ينطلق الإذاعيون الإسلاميون من خلال مشروع إسلامى حضارى، فإننا نعنى بالضرورة أيضاً انطلاقهم من خلال منظومة معلوماتية واسعة تؤكد أننا قد لحقنا فعلاً بمتغيرات العصر الذى يوصف بأنه عصر تفجر المعلومات، أو عصر المعلوماتية الذى تخطى عصر الحاسب الآلى بكثير وإن كان يقوم على أساسه.

إن المنظومة المعلوماتية الإسلامية إنما تعنى توافر شبكة معلوماتية متطورة لخدمة الإسلام والمسلمين ، حيث أن الإذاعة الإسلامية فى عصر المعلوماتية لايمكن لها أن تؤدى دورها بنجاح، بل قد يكون أداؤها نغمة نشاز تضر أكثر مما تنفع ، إذا لم تعتمد فى تحركها على معطيات دقيقة صحيحة ، لايمكن لها أن تحصل عليها إلا من خلال شبكة معلومات صادقة أمينة يؤسسها وشرف عليها مُدخلات وتخرجات، إعلاميون إسلاميون موثوق بهم، إن المنظومة الإعلامية الإسلامية، وشبكة المعلومات الإسلامية لابد وأن تكون أحد أبرز طموحات المستقبل بالنسبة للإذاعة الإسلامية، يتوفر لديها كل شىء عن الإسلام، عقيدة وتشريعاً وفكراً وبشراً،

نظرية وتطبيقاً دنيا وآخرة، أصدقاء وأعداء، فما أسوأ أن يكون اعتماد الإذاعيين الإسلاميين على معلومات عن الإسلام المعارف البريطانية أو الأمريكية أو الفرنسية أو العبرية والتى نعلم مقدار مافيها من هجوم على الإسلام والمسلمين وما فيها من معلومات خاطئة عنهم، أو تأتينا المعلومات عن طريق وكالات الأنباء العالمية بكل ماتحمله من توجهات معادية، وهكذا تصبح هذه المنظومة المعلوماتية الإسلامية ضرورة، كما أن ربط الدول الإسلامية بعضها ببعض عن طريق شبكة المعلومات تلك تصبح أيضاً على ذات القدر من الأهمية.

ثالثاً: تكامل أجهزة الإعلام الإسلامى:

وفى إطار طموحات المستقبل، والتخطيط المستقبلى ، ينبغى أن يضع الإذاعيون الإسلاميون فى اعتبارهم دوما أهمية التكامل بين الإذاعات الإسلامية المسموعة والمرئية على مستوى العالم الإسلامى بأسره ، بحيث لا تكون هناك نغمة نشأته أبداً، حيث ينبغى وجود خط واضح يجمع بين كافة الأجهزة الإعلامية الإسلامية «فالتخطيط الإعلامى المتكامل والتخطيط الذى يضع فى اعتباره من البداية وحدة العمل الإعلامى بكافة صوره وأشكال واستغلال كافة القنوات الإعلامية وجعلها فى خدمة الخطط المنشودة»[1] كما أن النظرة نحو المستقبل تخلق العديد من العلاقات الارتباطية بين مختلف الأجهزة الإعلامية تعود إلى الحديث عن التكامل المطلوب بين الأجهزة الإعلامية داخل كل دولة إسلامية على حدة ، ثم التكامل المطلوب بين الأجهزة الإعلامية على مستوى العالم الإسلامى بأسره، إن التكامل الإعلامى هنا إنما يعنى الإنطلاق من استراتيجية إسلامية إعلامية واحدة، وأن يكون هناك تبادل برامجى ، وأن ينطلق الإعلاميون الإسلاميون والإذاعيون الإسلاميون بحرية كاملة فى بلاد الإسلام، يؤدون دورهم بحرية، يتبادلون الأخبار والمعلومات والأفكار والخبرات.

إن هذا التكامل الإعلامى بين أجهزة الإعلام الإسلامى على المستوى المحلى والعربى والإسلامى هو بالضرورى أيضاً أحد أهم طموحات المستقبل ويمثل المحور الثالث من محاور الإذاعة الإسلامية.

عناصر الإتصال الجماهيرى وطموحات المستقبل:

إن طموحات المستقبل بالنسبة للإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية ، وطبقاً لطبيعة التخطيط المستقبلى ، والنظرة المستقبلية التى أضحت سمة بلورة من سمات العصر. تفرض علينا تناول أسس الاتصال الجماهيرى ، الذى يعنى بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس ، يختلفون فيما بينهم من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية

---

(١) التخطيط الإعلامى رؤية موضوعية نحو المستقبل – عبد المجيد شبكرى – الإعلاميون العرب – القاهرة ١٩٨٨.

وينتشرون فى مناطق متفرقة[1] ونضيف إلى هذا التعريف بالنسبة للإعلام الإسلامى، أن يتبع تلك الرسائل من منظور إسلامى وتخضع جميعاً لمقاييس ومعايير الإسلامية بحيث تكون إسلامية الهوية وهكذا يكون تناولنا لعناصر الاتصال الجماهيرى مرتبطاً بالمفهوم الإسلامى ومرتبطاً فى ذات الوقت بطموحات المستقبل المحور الأساسى لهذه الدراسة.

أولاً: من ناحية القائم بالاتصال [المرسل] :

إن طموحات المستقبل بالنسبة للقائم بالإتصال الإسلامى الجماهيرى ، طموحات لا حدود لها، لأنها تستلزم وجود إذاعى إسلامى صاحب قضية ،يتسم بالصداقية التى تجعلة يحظى بصفة الجمهور المستهدف ،قادر على تحمل مسئولية الرسالة فعلاً، سلوكا ، وزيا ، وأداء، متمكن من كافة المهارات الاتصالية، ولديه القدرة على الحضور بما يتصف به من ألفه intimacy ، قادر على جعل كل ذلك فى خدمة الإسلام، ويكون على وعى كامل بالتحديات التى يواجهها وققادر على التصدى لها، قادر على استشراق المستقبل، محصن ضد مغازلة السلطة وإغراءات القوى المعادية والغزو الفكرى والثقافى، وقادر على تقديم المثال والقدوة، خُلقه القرآن، حاضر البديهة يتسم بالمرونة والقدرة على التصرف، وفى نفس الوقت مستعد للعمل الجماعى بعيداً عن الأنانية الفردية، وأن يمتد العمل الجماعى ليشمل الإذاعيين الإسلاميين إتحاد يجمعهم، فقد برزت مؤخراً دعوة لإنشاء اتحاد للصحفيين الإسلاميين، ولم نسمع عن دعوة لإنشاء إتحاد للإذاعيين الإسلاميين أو انضمام الإذاعيين الإسلاميين إلى اتحاد الصحفيين الإسلاميين مما يؤكد عمق الاتجاه نحو جعل الاذاعيين بعيداً عن أى تجمع نقابى وأن يظلوا موظفين حكوميين يخضعون للوائح الحكومية .

إن وجود القائم بالإتصال والإذاعى المسلم قيمة كبيرة ينبغى أن نحافظ عليه، وأن نسمح له بأن يؤدى دوره كاملاً، وإيجاد حوار بين الإذاعيين الإسلاميين، والاتفاق على إستراتيجية إعلامية إسلامية ينطلقون منها أمر يفرض نفسه على الساحة الإعلامية الإسلامية .

ثانياً :-من ناحية الرسالة

إن طموحات المستقبل ينبغى لها أن تشمل بصفة أساسية الرسالة الإعلامية أو الخطاب الاعلامى، وهى تعنى رسالة الإسلام ، عقيدة وشريعة ،فلسفة وفكراً نظرية وتطبيقاً، سلوكاً وعملاً، سياسة وحياة، دينا ودنيا والرسالة أو الخطاب الإعلامى، لابد وأن يكون كل شىء فيه إسلاميا ،بدءاً من أدب المرح والمزاح وحتى مواجهة الموت .

---

(1) Media for the million

وسائل واساليب الاتصال د. زيدان عبد الباقى / فى مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٧٩ .

والإعلام فى مثل هذه الحالة إسلامى فى صدق أخباره، وإسلامى فى الترويح والتسلية، وإسلامى فى إعلانته، إسلامى فى تعليمه، وإسلامى فى شرح الأخبار وتفسيرها وهكذا[1]

وينبغى أن تلتزم الرسالة بتقديم النموذج الإسلامى القدوة Islamic ego-ideal وأن يؤدى الخطاب الإعلامى الإسلامى دوراً تعليماً ارشادياً، ودوراً تربوياً، ودوراً تحفزياً تحريضياً ودوراً تثقيفاً ودوراً إعلامياً إخبارياً، ودوراً نضالياً ودوراً دفاعياً يتصدى للحملات المعادية ، ودوراً تبشيرياً . إن الرسالة هنا ينبغى أن تؤدى أيضاً دوراً فعالاً فى صياغة ضمير المجتمع على أساس إسلامى، وجمع كلمة المسلمين على ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وفى ترشيد الصحوة الإسلامية القائمة فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى لامحاربتها، أن مضمون الخطاب الإعلامى فى الاذاعة الاسلامية ينبغى ان يتصدى إلى روح السلبية الفردية والشعور بعدم الإنتماء والسعى وراء الخلاص التى تعنى إن كل إنسان يعمل على حل مشكلته بمعزل عن حل مشاكل الآخرين، إن مضمون الرسالة فى فى الإذاعة الاسلامية ينبغى أن يعمق وعيناً بالحياة ويساعد على تطوير حياتنا ودفعها إلى الأمام انطلاقاً من منظور اسلامى، إنها رسالة تحفيز للعقول على فهم الواقع، وتداعيات التاريخ ، وتحفيز العقول على التحليل، وتؤدى فى النهاية إلى إيجاد وجهه نظر يتبناه المتلقى، وفى نفس الوقت هى رسالة قادرة على تأكيد الاتصال الحضارى الذى يعنى عدم الانعزال عن العالم المحيط بنا فنعرف كل شىء عن الآخرين ونطلع على تجارب الدول وإنجازاتها، ولا ننفصل عن متغيرات العصر .

إنها رسالة تحقق السيادة الثقافية وعمادها اللغة العربية أساس شعورنا بالمواطنة والإنتماء للإسلام وهذا بذاته يدعونا إلى التصدى للغزو الثقافى المتمثل فى هذا السيل من البرامج الأجنبية التى يتعرض لها جماهير المسلمين ويؤدى إلى تلويث أفكارنا وقيمنا الإيجابية المتوارثة والثابتة فى وجودنا وذلك بعزلنا عن ثقافتنا بوسائل الاستمالة المختلفة لكى تفسح الأجهزة الإعلامية المعادية مكانا لثقافات وافدة بحيث تكون إمتداداً لحضارة مغايرة لحضارتنا وتحييد المسلمين بالنسبة لقضايهم، والحقيقة أن الإذاعيين الإسلاميين هم إيضاً مستهدفون حيث يعمل الغزو الثقافى على وجود إذاعيين مبهورين بحضارة الغرب، منحازين للثقافة الأجنبية، إذاعيين بلا هويه والا ما كنا لنرى ونسمع عن اسماء لبرامج تكتب بالحروف اللاتينية دون أى ضرورة فنية أو إعلامية ونجد أسماء برامج بلغة أجنبية مثل Businessmen clup, half time, Telecinema, Auto- stop وشركة تعرض برامجها على شاشة التليفزيون المصرى باسم Egyptian youth وتكتب هكذا على الشاشة ايجشان يوث.

إن تغيير الخطاب الاتصالى بالإذاعة الإسلامية أو الرسالة أو المضمون الذى ينبغى أن يكون إسلامياً هو من أهم طموحات المستقبل.

(١) المسئولية الإعلامية فى الإسلام. د. محمد سيد محمد – مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض– الطبعة الأولى ١٩٨٣.

ثالثاً: من ناحية الجمهور المستهدف:

إن من طموحات المستقبل بالنسبة للإذاعة الإسلامية أن يكون تحركنا الإعلامى تحركاً إيجابياً على عدة محاور هى:

١- وجود إذاعة إسلامية قومية موجهة إلى الداخل وتكون إذاعة مركزية أو إقليمية أو محلية شاملة، أو نوعية متخصصة.

٢- وجود إذاعات إسلامية دولية موجهة على النحو التالى:

(أ) إذاعات إسلامية ناطقة باللغة العربية موجهة إلى الدول الإسلامية الناطقة بالعربية.

(ب) إذاعات إسلامية ناطقة بلغات غير عربية مثل الفارسية والتركية والأفغانية والأردية.. الخ توجه إلى الدول الإسلامية الناطقة بتلك اللغات مثل إيران وتركيا وغيرها.

(جـ) إذاعات إسلامية موجهة إلى الأقليات الإسلامية فى دول غير إسلامية مثل بلغاريا ورومانيا والهندوغيرها.

(د) إذاعات إسلامية موجهة إلى الجاليات الإسلامية فى دول أجنبية مثل المسلمين فى فرنسا والمملكة المتحدة وألمانيا والولايات المتحدة وغيرها.

(هـ) إذاعات إسلامية موجهة إلى المسلمين الذين يعيشون فى دول إسلامية خاضعة لسيطرة دول أجنبية مثل كشمير وجامو وفلسطين المحتلة.

إن الإهتمام بالجمهور المستهدف فى مختلف الظروف التى يعيش فيها، وتوجيه الخطاب الإعلامى لكل منه حسب ظروفها أمر حيوى مع مراعاة مختلف حالات التعرض مثل:

١- التعرض الانتقالى الإختيارى الذى يمارسه المستقبل طبقاً لاختياره الحر.

٢- التعرض العشوائى حيث يجلس المستقبل للإستماع أو للمشاهدة دون قصد منه حين يتصادف وجوده زماناً ومكاناً أثناء بث الرسالة.

٣- التعرض الاستدراجى الذى يتم نتيجة لاستخدام الدعاية والدعوة الملحة للإستماع مثل النشر فى الصحف أو توزيع النشرات والإغراء بالمسابقات ذات الجوائز أو المشاركة فى البرامج.

٤- التعرض الإلزامى الذى يأتى نتيجة توجيه من إحدى الجهات المعنية مثل المدارس وثكنات الجيش والسجون والأندية الاستماع والمشاهدة وقد يكون التعرض الإلزامى أسرياً أو اجتماعياً أو سياسياً.

رابعاً: من ناحية الوسيلة أو القناة Channel:

إن طموحات المستقبل بالنسبة للوسيلة أو القناة التى تنقل من خلالها الرسالة من المصدر أو القائم بالاتصال إلى الجمهور المستهدف أو المستقبل، وطموحات واسعة إتساع متغيرات العصر، فإذا كنا - نطمح كما سبق أن ذكرنا - ونحن نتحدث عن الجمهور المستهدف إلى

وجود قنوات إذاعية إسلامية عديدة، بدءاً من الإذاعة الإسلامية الشاملة، والإذاعة الإسلامية النوعية المتخصصة على المستوى المركزى والاقليمى والمحلى والإذاعات الدولية الموجهة، فإن من طموحات المستقبل أن تكون الوسيلة، وسيلة عصرية تستخدم تكنولوجيا العصر، حيث تقتحم عصر الأقمار الصناعية والبث المباشر والقنوات عزيرة الاشعاع والألياف البصرية واسطوانات وطابعات الليزر والتليفون الكاتب (الفاكسيملى) وبنوك المعلومات «وتكنولوجيا الاتصالات التى تسمح ببث الاشارات من المنزل إلى المحطة وبالعكس، والتى جعلت من الممكن قيام التليفزيون المتفاعل[١] مع تحقيق الانتقال السريع للمعلومات ، فالخبر الآن يمكن أن يطوف جميع أنحاء الكرة الأرضية ويستقبله المستمعون والمشاهدون فى أى ركن من أركان الدنيا فى مدة لاتتجاوز ٩/١٠ من الثانية الواحدة[٢].

وإذا كنا قد سبق وأن تحدثنا عما نسميه أسلمت الرسالة كأحد أبرز طموحات المستقبل فإننا هنا نتحدث أيضاً بنفس القدر من الأهمية على أسلمت الوسيلة فمن غير المعقول أن تبقى تكنولوجيا الإتصالات حكراً على الدول الأجنبية بينما استطاعت دولاً عديدة خاصة مايعرف منها بالنمور الآسيوية بكسر احتكار الغرب واليابان لتلك التكنولوچيا المتقدمة فى ميدان الاتصالات.

خامساً: من ناحية الاستجابة Neaponee ورجع الصدى Feed back

إن تحديد طموحات المستقبل تعتمد إلى حد كبير على هذين العنصرين وهما مدى استجابة المتلقى للرسالة ورجع الصدى أو التغذية المرتدة، والتى تقوم بها الأبحاث الإذاعية ، وهى تهدف عموماً إلى تقييم فاعلية البرامج التى ترسلها الإذاعة وقياس آثارها على المستقبلين ومدها تحقيقها للهدف الذى أرسلت من أجله ، وذلك بقصد وضع خطوط رئيسية للإسترشاد بها[٣].

ويهمنا هنا بصفة أساسية رجع الصدى الذى يعنى رد المستقبل أو الجمهور المستهدف على الرسالة Nessage والذى قد يكون رجع صدى إيجابى Possitive Feedback وفيه يؤكد المستقبل أن الهدف من الرسالة التى وصلته قد تحقق ، وقد يكون رجع صدى سلبى Negative Feedbach وفيه يتأكد من أن الهدف من الرسالة التى وصلت إلى المتلقى لم يتحقق، والإذاعة الإسلامية فى مسيس الحاجة إلى مثل تلك الرسائل المرتدة من المستقبل، من أجل التحقق من فاعلية رسائلها، والقيام بتعديل الرسالة إذا كان ذلك ضرورياً، إن تحديد طموحات المستقبل بالنسبة للإذاعات الإسلامية والتى يمكن أن تقوم على أساس نتائج البحوث والدراسات ينبغى أن تخضع لمقياس

(١) قنوات السلطة. أويستن رانى ترجمة موسى جعفر- سلسلة المائة كتاب - دار الثقافة العامة - بغداد ١٩٨٦.
(2) Media Education Abrahan Moles and olhess. uneseo Paris1984.
(٣) مدخل فى علم الصحافة الجزء الثانى - الصحافة الإذاعية - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٣.

إسلامى ورؤية إسلامية أو بارومتر إسلامى نقيس به المضمون أو الرسالة ومدى استجابة المستمعين والمشاهدين لها، والوقوف على حجم الاستماع والمشاهدة وعادات وأنماط الاستقبال، ومعرفة آراء المستمعين والمشاهدين بشأن المضمون ومواعيد البث وأشكال البرامج.

طموحات المستقبل مرة أخرى:

إننا نعود لنؤكد مرة أخرى على عدد من الركائز الأساسية التى تعبر تماماً عن طموحات المستقبل بالنسبة للإذاعات الإسلامية ، فقد آن لنا أن نصل إلى نهاية رحلتنا التى تهدف إلى تقديم صورة شاملة لطموحات المستقبل بالنسبة للإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية، والتى يمكن أن نستخلصها من خلال المباحث السابقة، والتى تحدد الكثير منها فعلاً أثناء عرضها وهكذا نعود لنؤكد عدد من تلك الطموحات التى تمثل حاجة أساسية للإعلام الإسلامى بصفة عامة، وللإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية على وجه الخصوص والتى يمكن تركيزها فيما يلى:

١- أسلمة الإذاعات العلمانية فى ديار الإسلام.

٢- تنقية الإذاعات ذات التوجهات الإسلامية من كل مضمون إعلامى يتعارض مع تلك التوجهات.

٣- أسلمة الوسائل مع اللحاق بتكنولوجيا العصر بما يعنى أسلمة الوسيلة والأداة والرسالة.

٤- وضع مشروع حضارى إسلامى يقوم على خدمته الإذاعيون الإسلاميون.

٥- التخلص من هيمنة الدول التى تعمل على غزو العالم الإسلامى فكرياً وثقافياً ، فمن غير المقبول أن نسعى إلى أسلمة الوسيلة ولا نهتم بأسلمة المضمون ونتركه بأيدى غيرنا .

٦- التخلص من الغزو الثقافى من الداخل الذى يمارسه إذاعيون مسلمون بلا هوية منحازون لثقافات معادية جهلاً أو طمعاً .

٧- تكامل الأجهزة الإعلامية فى الدول الإسلامية الواحدة وفيما بين الدول الإسلامية بعضها البعض.

٨- الحفاظ على هوية الإذاعة الإسلامية وهوية الإذاعيين الإسلاميين وأن تكون هوية إسلامية واضحة.

٩- استغلال كل جديد فى عالم الاتصال ومواكبة عصر المعلومات الجديد ومن بين ذلك عقد الاجتماعات والندوات الإلكترونية التى يمكن بواسطتها جمع أبناء العالم الإسلامى ومفكريهم وتحقيق التفاعل فيما بينهم وعرض فكرهم ومناقشة قضاياهم.

١٠- التوسع فى إنشاء المحطات الإذاعية الإسلامية المسموعة والمرئية الشاملة والنوعية التخصصية على المستوى المركزى والاقليمى والمحلى والدولى.

١١- إطلاق أيدى المؤسسات الإسلامية الشعبية المخلصة فى إنشاء مثل تلك الإذاعات فى ديار الإسلام بدلاً من تواجد بعضها فى بلاد أجنبية.

١٢- التركيز على تواجد الإذاعة الإسلامية المرئية المختفية حالياً من الساحة.

١٣- الاعتماد على شبكة معلومات إسلامية وبنك معلومات إسلامى يربط كافة الإذاعات الإسلامية.

١٤- التخلص مما يمكن أن نسميه بإعلام الموافقة وإعلام التبعية وترشيد الصحوة الإسلامية ووضع حد للصراع القائم بين الحكومات الإسلامية ورعاياها من المسلمين تجنباً لما يمكن أن نسميه بالانتحار الجماعى الدورى[1].

﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة
أنا ومن إتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾
صدق الله العظيم [سورة يوسف]

(١) المسلمون والعصر - د. عبدالعزيز كامل وآخرون - كتاب العربى - الكويت يناير ١٩٨٧.

المراجـــع

أولا :- كتب منشورة باللغة العربية

١ - غيث (د.عاطف غيث) قاموس علم الاجتماع - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الأولى- القاهرة - ١٩٧٩.

٢ - المعمودى (د. مصطفى المصمودى) النظام الإعلامى الجديد - سلسلة دار المعرفة - الكويت أكتوبر ١٩٨٥.

٣ - عنتباوى (منذر عنتباوى) أضواء على الإعلام الإسرائيلى - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الدراسات الفلسطينية - ١٩٦٨.

٤ - الداقوقى (د. إبراهيم الداقوقى) نظرة فى إعلام العالم الثالث - مركز التوثيق الإعلامى لدول الخليج - سلسلة الكتب الإعلامية - مطبعة اليقظة ١٩٨٢.

٥ - الحلوانى (د. ماجى الحلوانى) مدخل إلى الإذاعات الموجهة - دار الفكر العربى - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٨٣.

٦ - مدكور (د. مرعى مدكور) الإعلام الإسلامى وخطر التدفق الإعلامى الدولى - دار الصحوة للنشر - القاهرة ١٩٨٨.

٧ - شكرى (عبدالمجيد شكرى) فنون الراديو فى ضوء متغيرات العصر - الإعلاميون العرب - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٩٢.

٨ - شكرى (عبدالمجيد شكرى) الإذاعات المحلية لغة العصر - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٨٧.

٩ - وهبى (إبراهيم وهبى) الخبر الإذاعى - دار الفكر العربى - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٨٠.

١٠ - المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - الطبعة الأولى ١٩٨٠.

١١ - شكرى (عبدالمجيد شكرى) التخطيط الإعلامى - رؤية موضوعية نحو المستقبل - الإعلاميون العرب - القاهرة ١٩٨٨.

١٢ - عبدالباقى (د. زيدان عبدالباقى) وسائل وأساليب الاتصال - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٧٩.

١٣ - محمد (د. محمد سيد محمد) المسئولية الإعلامية فى الإسلام - مكتبة الخانجى - القاهرة - دار الرفاعى - بالرياض - الطبعة الأولى ١٩٨٣.

١٤ - الغنام (د. عبدالعزيز الغنام) مدخل فى علم الصحافة - الجزء الثانى (الصحافة) - مكتبة

الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٨٣.

١٥ – كامل (د. عبدالعزيز كامل وآخرون) المسلمون والعصر – كتاب العربى – الكويت ١٩٨٧.

١٦ – عبدالحليم (د. محيى الدين عبدالحليم) الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية – مكتبة الخانجى – القاهرة ١٩٨٤.

١٧ – عمر (د. نوال عمر) دور الإعلام الدينى فى تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية – مكتبة نهضة الشرق – جامعة القاهرة ١٩٨٤.

١٨ – رشتى (د. جيهان رشتى) الأسس العلمية لنظريات الإعلام – دار الفكر العربى – القاهرة ١٩٧٨.

١٩ – الخطة الإعلامية لعام ١٩٩٠ – ١٩٩١ اتحاد الإذاعة والتليفزيون – القاهرة ١٩٩٠.

٢٠ – الكتاب السنوى لإتحاد الإذاعة والتليفزيون ٨٨ – ١٩٨٩.

ثانيا : كتب أجنبية مترجمة:

١ – شيللر – هربرت أ. شيللر – المتلاعبون بالعقول – ترجمة د. عبدالسلام رضوان سلسلة عالم المعرفة – الكويت – ١٩٨٦.

٢ – رانى – أوستن رانى – قنوات السلطة – ترجمة موسى جعفر – سلسلة المائة كتاب – دار الثقافة العامة – بغداد – ١٩٨٦.

ثالثا : كتب أجنبية :

1. Media Education:Abraham Moles others:
editon zaghloul Morsy:Unesso,1984.
and Media 2. Watson. James Watson and Anne Hill,A Dictionary of Communication Studies.Edward Atnold (Publishers) London,1984.
3. Latest Statistics on Radio and Television Broadcasting.
Statistical Reports and Studies Unlseo,Paris,1987.

رابعا : دوريات عربية :

١ – مجلة الدراسات الإعلامية – القاهرة – العدد ٦٦ – يناير – مارس ١٩٩٢. رد الإعلام الدينى فى الشرق الأوسط – بقلم محمد السماك – صحفى وباحث لبنانى.

٢ – الأهرام الاقتصادى – القاهرة – عدد ١٣٧ – مارس ١٩٩٢.مؤسسات التخطيط بقلم د.السيد عليوة.

خامسا: دوريات أجنبية:

Newyork Times-903-1992.

سادسا : مذكرات غير منشورة :

١ – رشتى (د. چيهان رشتى) الإعلام الدولى – كلية الإعلام – جامعة القاهرة ١٩٧٨.

٢ – طاهر (أحمد طاهر) الإذاعات الموجهة – كلية الإعلام – جامعة القاهرة ١٩٧٩.

سابعا : وكالات الأنباء

عدد وكالات الأنباء.

الدراما .. رؤية إسلامية

دكتور محمود أحمد حماد
المدرس بقسم الصحافة والإعلام
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

محتويات البحث

الموضوع

١ – مقدمة

٢ – أهمية الموضوع

٣ – لماذا رؤية إسلامية للدراما ؟

٤ – النماذج الدرامية والقيم الإسلامية

٥ – الدراما ومقومات البناء الاجتماعى

٦ – نتائج البحث

٧ – التوصيات

٨ – قائمة المراجع

مقـــدمة

أود بداية أن أوضح أن هذا البحث ليس بحثا شرعيا فى تحديد ما الحلال وما الحرام فى الفكر والأداء الدرامى لأن هذا يخرج عن إطار ما نسعى لمناقشته وما نحاول الوصول إلى قناعة به وفى ذات الوقت لانحاول وضع قيد على هذا النوع من الفكر أو العمل على عرقلة مسيرته . وحتى لا يتسرب إلى ذهن البعض أننا دعاة تعصب وانغلاق أو نحاول المصادرة على رافد ثقافى عد دائما معيارا لعمق ونضوج ثقافى لمختلف الحضارات وواكب تطورها وكان مرآة انعكست عليها تطلعات وآمال الأمم والشعوب ودوافعها النفسية . ومثل قدرة غير محدودة للإنسان على الالتقاء بالآخرين والتفاعل معهم وواكب التيارات الفكرية التى أخذت أشكالا مختلفة نتيجة تطور القيم الإنسانية والدينية والاجتماعية والأخلاقية .

وحقق انتشارا استلهمته مختلف الأمم والشعوب وتباينت أهدافه والغاية منه وفق التطور الفكرى والثقافى والاجتماعى والسياسى لهذه الأمم والشعوب .

وإنه لمن البديهيات أن نسلم أننا مازلنا نعمل متأثرين باستلهام هذا الفكر وما يتضمنه من استهواء ومخاطبة للغرائز والشهوات والتحلل من القيود الاجتماعيه والأخلاقية بنفس إعراضنا عن المضمون الذى يتضمن خطابا للعقل وتقنينا للاحتياجات والرغبات وتنظيما للسلوك والتزاما بالتقاليد والأعراف الاجتماعية والأخلاقية دون اعتبار لماهيتنا وذواتنا ومفردات ثقافتنا وهو واحد من أهم أسباب تراجعنا .

إذا فهناك ضوابط للأخذ والترك مرهونة بالتناسب مع واقع من القدرات والاستعدادات وإذا ما سلمنا أن واقعنا الثقافى ليس مريضا لهذه الدرجة حتى يعجز عن هضم أى رافد ثقافى وبعثه بشكل جديد فإن الأمر يقتضى أن نعمل فكرنا بعمق لنتصرف على محددات وخصوصية الحضارة والفكر الإسلامى رغم اختلافها وفقا للزمان والمكان بيد أن الثقافة الناتجة عنها كانت دائما رسالة دينية ونسق فى التفكير وحث على اللجوء إلى العقل والعلم والبحث والاجتهاد ومبدأ وطريقة لتنظيم المجتمع والدولة وبنية لعلاقات الدولة بالفرد وعلاقة الأفراد فيما بينهم وقانون للعلاقات والنشاطات الاقتصادية والمعاملات التجارية ومصدر للإلهام والمحرمات فى الفن وهى فى مختلف الحالات قانون ونظام يرعيان مختلف جوانب الحياة اليومية للفرد ويمليان عليه آداب السلوك فى مختلف نواحيها وإذا ما اتفقنا وارتضينا الفكر والأداء الإسلامى عقيدة ونظام حياة فإن الأمر يقتضى منا العمل على إحياء وتوضيح القيم والمعايير التى يقاس من خلالها ما نأخذ وما نترك وما نجدد ولا أظن أنها بدعة ثقافية وإنما هو معيار كل الأفكار والثقافات سواء كان ذلك فى حالة انفصامها عن عقيدتها أو كانت انعكاسا صادقا لقيمها ومعاييرها فالمهم دائما هو وضوح الرؤية لتحقيق الأهداف بفاعلية .

---

(١) تأليف لفيف من خبراء اليونسكو: التنمية الثقافية تجارب إقليمية، ترجمة سليم بكور المؤسسة المصرية للدراسات والنشر ط١ ١٩٨٣ ص ٢٦٩، ٢٧٢ .

أهمية الموضوع

عرفت الحضارات والمجتمعات القديمة الأشكال الدرامية الأولى التى راحت تتطور من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر ومن مكان لآخر وكان للدراما دورها الهام ووظائفها المتعددة والحيوية للفرد والمجتمع فى مختلف تلك العصور وما تزال تؤدى هذا الدور المتجدد من خلال وسائلها التقليدية كالمسرح الذى يقدم العشرات من المسرحيات بقطاعيه العام والخاص والسينما التى تعرض عشرات الأفلام فى طول البلاد وعرضها إضافة إلى الراديو الذى يقدم مواد درامية على إجمالى شبكاته بنسبة ١ر٢٣ ٪ بينما يبلغ الحد الأدنى على أى محطة ٦ر٢٥ ٪ فى حين تتراوح فى أقصى حالته على محطات أخرى بنسبة ٨ر٣٥ ٪ هذا بينما يقدم التليفزيون مواد درامية بنسبة ٤ر٢٥ على قنواته العاملة وتتفاوت هذه النسبة بالنسبة للقنوات فتقدم القناة الأولى: مواد درامية بنسبة ٥ر٢٢ ٪ أما القناة الثانية فتبلغ نسبة المواد الدارمية على خريطة برامجها حوالى ٣ر٢٩ ٪[١] أماعلى القنوات المحلية فتتراوح نسبة المواد الدراميه ٣٠ ٪ من نسبة البرامج[٢] وهو ما فتح الباب واسعا أمام انتشار النماذج الدرامية وتوسيع قاعدة متلقيها من مختلف فئات وطبقات المجتمع حيث تتراوح نسبة مشاهدة المواد الدرامية فى التليفزيون من ٣ر٨٥ ٪ إلى ٧٠ر٩١ ٪[٣] .

ولاشك أن اتساع قاعدة التلقى يعطى انطباعا مبدئيا بأن النماذج الدرامية بأشكالها المختلفة تحقق نوعا ودرجة من الإشباع والاستهواء يكاد يختلف باختلاف طبيعة الأشخاص ومستواهم الثقافى والاجتماعى كما يختلف باختلاف طبيعة ونوعية الفكر الدرامى المعروض وما يعكسه من معانى للمتلقى تدخل فى إطار خبراته المعرفية والحياتية . وهو ما يدل على أن الدراما بتواليها وموضوعاتها المختلفة تحوى التأثير الكائن والظاهر على سلوكيات وأفكار واتجاهات مختلف الفئات وبخاصة الأطفال والشباب حيث تبين من خلال دراسة أجريت على طلاب الجامعات المصرية أن ٩٢ر٧٤ ٪ من إجمالى عينة البحث البالغة ٦٠٠ مفردة قد أجمعوا على أن الدراما تدعو إلى الرذيلة والانحراف وتحطم المثل والقيم ولا تنسجم مع العادات والتقاليد [٤] وهو

---

(١) اتحاد الإذاعة والتليفزيون الكتاب السنوى ٩٠ / ٩١ ص ١١٣ المجالس القومية المتخصصة، مستقبل الدراما الإذاعية فى مصر تقرير ١٦٩ ر٧ /١٩٨٦ ص ٢٤٢ .

(٢) خريطة البرامج للقناة الرابعة والخامسة دورة يناير ١٩٩٢ .

(٣) الكتاب السنوى مرجع سابق ص ١٦٣ .

(٤) محيي الدين عبد الحليم الدراما التليفزيونية والشباب الجامعى. دار الفكر العربى القاهرة، ١٩٨٤ ص ٢٩٣ ، ٣١٧، ٣٣٩، ٣٦٣ .

ما يقتضى ضرورة الدعوة إلى إعادة النظر وبعمق فى النماذج الدرامية المعروضة سواء فى السينما أم المسرح أم الراديو والتليفزيون .

ولا أظن أن أحدا ما سوف يصاب بالتعجب والدهشة إذا قلنا إن سوق الإنتاج الدرامى فى مصر بات لا يخطط إلا لكيفية التسويق والانتشار والاستحواذ على عقول ومشاعر الجماهير فأصبح المنتجون والمنفذون فى السينما والمسرح والإذاعة والتليفزيون يسلكون سلوك هدفه السيطرة على المشاعر والعواطف والأحاسيس والوصول بالجماهير إلى حالة من اللاوعى (١)

هذا باستثناء ملح لبعض النماذج التى قد تخرج جزئيا عن هذه القاعدة إما لكونها خاضعة لجهات مسئولة وإما لمحاولة البعض التمويه والإيهام بالخروج من هذا المستنقع لخلق قناعة فى النهاية بأن هذه هى أذواق الجماهير وطابع العصر وحجم التأثير والتأثر الوافد الذى لابد من الاعتراف به .

وإذا كانت الثقافة هى كل ما يرقى بالحياة كما يرى (بير أما نويل) فإن انسيابها من خلال وسائل الاتصال الجماهيرى على شكل برامج وأفلام ومسلسلات وتمثيليات ومسرحيات يجب أن يحمل فى طياته أرفع القيم حفاظا على وجدان الجماهير وتشجيعا لها على الحرية والنشاط لا الكسل واللهو والمتعة الزائفة وتشتت الانتباه والذاكرة . (٢)

فالفن ليس له قيمة بذاته كما يرى "أفلاطون " ولكن قيمته تأتى بعد الوجود الحق وبعد صورته المحسوسة فى الطبيعة فالفن يحاكى الوجود الطبيعى وهذا الوجود يحاكى الكمال فالفن صورة الصورة . والفن الحقيقى كما يراه أفلاطون هو الذى لا يستطيب وصف العواطف أو يسعى إلى إهاجتها ولا يشل العقل والإرادة الواعية وهو الذى لا يحرض بانفعالات رديئة تضعف سيطرة الإنسان على شهواته وغرائزه وغاية الفن هو تنمية الإحساس بجمال الوجود وتنشئة مواطنين صالحين يقبلون على الفضائل ويحجمون عن الرذائل بشكل تلقائى عفوى إذ ليست الغاية توفير اللذه بل غاية الفن هى التطهير والتهذيب (٣)

ولا شك أن الوصول إلى تحقيق هذا الهدف وفى ظل تلك الظروف يحتاج إلى اتساع رؤيه وعمق نظر واستجماعا للقدرات لوضع العلاج الملائم وذلك بالعمل على خلق وتهية البيئة والجو

---

(١) لويس دوللو – الثقافة الفردية وثقافة الجمهور. ترجمة عادل العوا . منشورات عويدان بدون ط.ت ١٩٨٢ ص ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢١ .

(٣) عبد الحليم محمود . موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة . مطابع دار الشعب ١٩٧٩ ص ٣٨ .

المناسب لقبول عملية التغير انطلاقا من الإيمان بأن العقل الواعى المستنير هو مفتاح الرقى والتقدم وأن العمل على صياغة هذا العقل يجب أن يتم بشكل متوازن بعيدا عن التشتت والشوشره والضغوط النفسية والعصبية الناتجة عن المثيرات والمنبهات المختلفة التى يتعرض لها الإنسان وهذا ما تراه الصياغة الفكرية الإسلامية للإنسان ولطبيعة المجتمع من حوله عن طريق توازن الاهتمامات والاحتياجات والرغبات فى مختلف المجالات .

ومن هنا كان سعينا فى محاولة لإيجاد رؤية وصيغة إسلامية للفكر والأداء الدرامى .

لماذا رؤية إسلامية للدراما ؟

يقول الله تبارك وتعالى . ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (١) .

وانطلاقا من مفهومنا للرضاء الإلهى بإحاطته وشموليته ومن منطلق اختيارنا الواعى للإسلام عقيدة ومنهج حياة تسعى إلى استجلاء قدرة الفكر والثقافة الإسلامية على احتواء هذا النمط الفكرى والمعرفى والعمل على تعديل اتجاهاته شكلا ومضمونا وحركة تاريخ بهدف الرقى بالإنسان المسلم ووضعه فى المكانة اللائقة به حيث كرمه الله قائلا . ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ (٢) ولاأظن أن محاولة بعث التراث الثقافى الإسلامى ليقود مسيرة الفكر المعاصر بمسحيل حيث يرى (هـ . أ . ر. جيب) أن الحداثه نفسها ليست سوى حصيلة بعض التغيرات فى طبيعة الفكر الدينى وهى تعتمد حججا عدة لصالح الحداثة أو ضدها (٣) هذه هى المبادىء الأولى التى ترتكز عليها بنية الإيمان والتدين فى الإسلام . فصلة الدين بالثقافة ترجع إلى أصول الحضارة وهى صلة مازالت مستمرة وتأثيرها مازال يلعب دورا حاسما فى النهوض بالتربية التى ينكرها عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين والملحدين والمؤمنين (٤) .

وإذا وصفت الثقافة بأنها مفهوم يعنى حياة أفراد مجتمع ما من المجتمعات وسلوكهم المتعارف عليه فيما بينهم وهذا الأسلوب الحياتى والسلوكى يوجه من خلال نمط فكرى ترسخ فى العقول غير فترات زمنية وعلى قدر رسوخها يختلف الأفراد داخل كل بيئة من بيئات المجتمع ويتباينون فى إطار ما هو مقبول ومسموح به من درجات الاختلاف والتباين فى فترة زمنية معينة.

وفى إطار الخطوط العريضة لهذه الثقافة التى تميز مجتمعا ماعن غيره ويعنى هذا أن الثقافة قد تتفاوت من بيئة لأخرى وقد تتباين شدة التمسك بها من فرد إلى آخر . كما أنها قابلة للتغير والتعديل والتحوير بمرور الزمن ولكن كل ذلك داخل الخطوط العريضة التى تميزها (٥) .

وعليه فعملية الإعداد الثقافى للفرد تمثل عملية إقناع طويلة المدى تقوم بها وسائل اتصالية مختلفة بهدف تحقيق نوع من التوافر الفكرى يتوائم من خلاله الفرد مع نفسه وبيئته

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٣ .
(٢) سورة الإسراء آية رقم ٧٠ .
(٣) التنمية الثقافية تجارب إقليمية مرجع سابق ١٩٨٣ ص٢٦٩ .
(٤) لويس دللو . مرجع سابق ١٩٨٢ ص ٧٠ – ٧١ .
(٥) على عجوة واخرون مقدمة فى وسائل الاتصال جدة ١٩٨٨ ص ٩١

والعصر الذى يعيش فيه .

ولا شك أن هذا يختلف فى كثير من أسسه وأبعاده عن الواقع الذى نعيشه إذ أن كل معطيات الإعداد الثقافى تجنح بعيدا عن الثقافة الإسلامية وتوشك أن تخرج من إطار لغتها الأصليه اللغة العربية ناهيك عن المضمون الذى يختلف فى معظم مفاهيمه وتوجهاته عن واقع الفكر الإسلامى السائد بين جموع الجماهير المسلمة بل إنه يتخطى الحدود البيئية للفرد ويستفز بما هو وافد معيار المسموح وعدم المسموح به داخل هذه البيئة .

إضافة إلى التأكيد والتركيز على ضرورة نسق القواعد التى ترتكز عليها محددات الثقافة الإسلاميه وهى القيم .

حيث تمثل القيم موجهات السلوك وعلى ضوئها يتم الاختيار والتفضيل بين البدائل الوسيلية أو الغائية وذلك من واقع التعرف على أن السلوك المفضل لدى شخص ما إنما ينبع من المقارنة بين القيمة الكامنة وراء سلوك ما وبين قيمة أخرى ينطوى عليها نسق القيم لديه .

فالقيم هى التى تضع الأساس الذى ينهض عليه قبول أو رفض بعض المعايير والتى بدورها تحدد الالتزامات الاجتماعية وقواعد السلوك المرغوب . ومن هنا تعد القيم بمثابة الإطار أوالسياج الذى يفرز القوى المؤثرة فى المجتمع لأنها هى الدافع إلى اتخاذ موقف ما من مسألة ما وهى التى تدفع الإنسان إلى تبنى أيديولوجية معينة فى حين توجه المعايير الفرد إلى استحسان أو استهجان نمط سلوكى معين وهى التى توجهه إلى البحث عن المصدر الذى يستقى منه المعلومات التى يتطلبها الموقف المستشكل الذى يتعرض له والكيفية التى يفسر بها هذه المعلومات (١) وإذا كانت أى عملية إعلامية تنطوى على اختيار أو انتقاء لحوادث أو حقائق وانتقاء حقائق عن أحداث دون غيرها فلا عجب إذن أن تكون كل الموضوعات المطروقة للعرض الدرامى يتم انتقاءها والتركيز من خلالها على أحداث دون غيرها وليس التناسب مع طبيعة الوسيلة أو الجمهور هو الحافز الأول على هذا الانتقاء بل بات الهدف هو التأكيد والتركيز على أن القيم والمعايير وأنماط السلوك الإسلامية باتت تمثل حجر عثرة فى طريق انطلاقنا وتقدمنا مقولة تبناها الكثيرون دون وعى بحقيقة طواياها وروج لها من يدعون تملك ناصية الفكر والإبداع من خلال هيمنة أتيحت وفى ظل ظروف قصيرة النظر .

هذا فى حين أكد العديد من الباحثين أن ثقافتنا تتسم بالمرونة وأنها قادرة على التكيف مع الأطر الجديدة التى تتطلبها عمليات التحديث والتحضر بل أكدوا أن الكثير من سمات الثقافة

---

(١) محمود أحمد حماد . التغطية الاخبارية المحلية فى الراديو والتليفزيون. دكتوراه غيرمنشورة بكلية اللغة العربية قسم الصحافة والإعلام ١٩٨٩ ص ٦٢ .

الإسلامية قادر على الإسهام بفاعلية فى نزعة الحداثة [1] . إذا ما توافر على هذا التراث متخصصون قادرون على بعثه بحيث يكون أساسا ومصدراً متبادلا للإلهام والتكامل والمشاركة القائمة على قيم ثقافية إصيلة يتم اختيارها من بين تلك القيم التى لا تتعارض مع القيم الإسلامية أو مع احتياجات واهتمامات المواطنين .

إذا فتشجيع القيم الإسلامية الأصيلة هو الحل الأمثل ما دامت الأصالة تعنى القدرة على استيعاب التيارات الثقافية العالمية من خلال الآتى :

١ – استيعاب الفكر والمنهج العلمي .

٢ – تعلم الملاحظة والتفكير المنطقى .

٣ – الموضوعية والمرونة .

٤ – التحرر من خداع العلم والتكنولوجيا .

٥ – تعلم المشاهدة النقدية للحقائق الاجتماعية

٦ – القدرة على التعامل بفاعلية مع مشكلات البيئة .

٧ – الصلابة والقدرة على التدليل على صحة الموقف [2].

وعلى هذا فإن طرح الأفكار التى تشكل ركيزة النهوض لأى مجتمع يجب أن تنبع من معايير وقيم وطنية خالصة تلبى احتياجات الفرد والمجتمع وبالشكل الذى ينمى الثقافة الوطنية النابعة من القيم الروحية والأيدلوچية ومن هنا تكتسب العلوم والمعارف والفنون الهوية المحلية وفى نفس الوقت يجعلها ترقى لتحتل مكانتها فى سلم التطور الحضارى .

---

(١) محمود أحمد حماد : اتجاهات المسلسل فى التليفزيون المصرى، دراسة وصفية تحليلية ماجستير غير منشورة كلية اللغة العربية ، قسم الصحافة والإعلام ١٩٨٦ ص٥٤.

(٢) برناردروزبيه وأخرون مفاتيح استراتيچية جديدة للتنمية ترجمة محمد حسام محمود لطفى الهيئة القومية المصرية لليونسكو ، ١٩٨٨ ، ص ١١٤ .

النماذج الدرامية والقيم الإسلامية

أود أن أشير هنا ونحن بصدد مناقشة النماذج الدرامية سواء كانت أفلاما أو مسلسلات أو تمثيليات أو مسرحيات إلا أن الدراما تعد من أقدم الفنون الأدائية التى عرفها الإنسان ويجمع الكثير من العلماء على أن النشأه الأولى للدراما كانت دينية فى كل المجتمعات القديمة (١).

وعلى الرغم من أن الدراما بالمعنى الدقيق للكلمة ترتبط بالثقافة الغربية إلا أنه من الثابت أن كل مجتمع كانت له أعماله الدرامية بشكل أو بآخر بصرف النظر عن تقدم هذه المجتمعات أو تخلفها فى سلم التطور الحضارى (٢) .

ومن الطبيعى أن تكون البدايات الأولى للدراما تكشف عن قدر كبير من البساطة ولم يتضح المعنى الدقيق للدراما إلا حينما بدأت الكتابات الدرامية تمارس بعض السيطرة والتحكم مما أدى إلى تحديد معالمها (٣) .

وقد واكب تطور الفكر الدرامى التطور فى الثقافات المختلفة وتطور نظرة الإنسان للحياة وبالتيارات الفكرية التى أخذت أعمالا مختلفة كنتيجة لتطور المجتمع وتطور القيم الإنسانية والدينية والاجتماعيه والأخلاقية .

وقد عرف أرسطو الدراما بأنها عبارة عن محاكاة لحدث واحد كامل تترابط أجزاؤه بعضها مع بعض بحيث لو حذفت بعضها أو تغير مكانه تغير الحدث كله أو انعدم .

وهى أيضا اصطلاح يطلق على أى موقف ينطوى على صراع ويتضمن تحليلا لهذا الصراع (٤) .

وتوصف الدراما بأنها نشاط غير واقعى يمكن أن ينقل الجمهور إلى ماوراء الواقع المباشر وهذا يتوقف على توقعات الجمهور وعلى مدى التجانس بين العناصر التى تؤلف العمل الدرامى (٥) ومدى ملاءمتها لإمكان الوسيط الذى يعرض للجمهور .

---

(١) حسين رامز محمد رضا الدراما بين النظرية والتطبيق. المؤسسة المصرية للدراسات والنشر – بيروت ١٩٧٢ ص ٩ .
(٢) عاطف محمود عمرو : الدوافع النفسية لنشوء الفن دار القلم(القاهرة – بدون تاريخ) ص ٢٣، ٢٤ .
(٣) حسين رامز محمد رضا . مرجع سابق ص ٨٨ .
(٤) رشاد رشدى نظرية.الدراما مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٨١ ص ٢١ .
(٥) أحمد أبو زيد الشعر والدراما مجلة عالم الفكر مجلد ١٥ العدد الأول القاهرة ١٩٨٤ ص ٦ .

ولا شك أن نجاح أى شكل من الأشكال التى تقدم فيها القوالب الدرامية سواء كانت، مسلسلا – تمثيلية – فيلما – مسرحية فى قالب تراچيدى كوميدى – بيلودرامى يتوقف على مدى وضوح واتساق عناصره الكمية. فصلا أو عدة فصول فى المسرحية أو عدد المشاهد فى الفيلم أو عدد حلقات المسلسل فى الراديو والتليفزيون مع عناصره الكيفية المكونة للنص كالموضوع. القفل أو الحدث – الشخصيات – الفكرة، أو اللغة (الحوار) المناظر والديكورات – المؤثرات الدرامية الحبكة .

فاتساق هذه العناصر وتفاعلها مع عملية التمثيل والإخراج مع إحساس المشاهد هى التى تضع أسس النجاح لأى موضوع. ثقافى – اجتماعى – دينى تاريخى ... الخ .

كما يؤدى الصراع الدرامى خلال عملية المشاهدة دورا هاما فى توجيه السلوك الفردى والجماعى من خلال ما يبث من قيم اجتماعية وأخلاقية حيث لايدرك المشاهد حقيقة تأثره بتلك الأفكار والقيم التى يقدمها الصراع الدرامى بطريقة مباشرة بما يضاعف من قسوة التأثير إذ أن العلاقة بين المتلقى والموضوع ما هى إلا تلك الأحداث الدرامية الكائنة فى الموضوع وما يحدث من تأثير فى المتلقى لا يحدث فى نفس اللحظة لأنه لا يمكن أن يسبق الأثر مسببه وإنما يحدث التأثير فى المتلقى من خلال تبادل كلمات الحوار وما تحمل من معان تدخل فى إطار الخبرة المعرفية واللغوية المشتركة للطرفين تؤكد فيها على قيم وأخلاقيات ويمارس خلال تبادلها سلوكيات تدعمها الحركة والإيماءة والإشارة .

فالقيم الكائنة فى الموضوع تترجم من خلال عملية الأداء الدرامى " التمثيل " التناسب بشكل تلقائى إلى عقول ووجدان المتلقى إذ أن نماذج العلاقات الإنسانية الظاهرة أو الخفية هى التى تصيغ الروابط الانفعالية .

إذن فتجسيد القيم والسلوكيات من خلال فكر درامى توظف فيه عناصره بشكل جذاب نابع من نمو وتطور الشخصيات اجتماعيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا وبحيث يعبر الخط الدرامى العام عن هذا التباين بشكل منطقى وموضوعى مقنع يمكن أن تشكل معه الأفكار والمعلومات والسلوكيات والقيم التى يتضمنها الفكر والإعداد الدرامى النواة الأولى للتغير وتطوير محصلة الوعى لدى المتلقى فيسعى إلى تطوير قدراته الذاتية سواء فى تعامله مع بيئته وتطويعها لخدمته أو فى الرقى بمستواه الفكرى والأخلاقى والسلوكى إذ يضع أى شكل من أشكال الاتصال الثقافى وفى أى إطار كان نقطة الارتكاز الأساسية للتغير إذ ما توافق إلى حد ما مع الاحتياجات الأولية للإنسان وبقيام هذا النوع من التفاعل الداخلى تتولد آلية الدفع الذاتى والذى يكون أبعد أثرا من العوامل الخارجية .

ومن هنا فإن التغير فى أى مجتمع يعد استجابة للظروف القائمة وأن أسباب التغير كامنة فيه بذاته [١] إذن فالمشكلة تكمن فى كيفية تواجد نماذج درامية تدمج خلالها القيم والأخلاقيات والعادات والتقاليد والأنماط السلوكية الإسلامية الصحيحة فى الأحداث والممارسات اليومية لأفراد المجتمع أو البيئة الاجتماعية موضع التناول الدرامى حيث تؤكد التعاليم الإسلامية قرآن وسنة على أهمية وضرورة البناء النفسى والاجتماعى للفرد بالعمل على تنوير ذهنه وتربية ضميره وتهذيب طباعه وضبط غرائزه ومقاومته للشر فيطالعنا القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ [٢] .

ويقول أيضا ﴿إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ﴾ [٣]

ويقول أيضا ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ [٤]

ويقول فى حديث قدسى " إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم " [٥]

ولا شك ان تجسيد تلك التعاليم من خلال توظيف مختلف تكتيكات الإقناع التى لا تتعارض مع الأخلاقيات والممارسات الإسلامية هى الأسس التى يمكن أن تقوم عليها النماذج الدرامية الإسلامية وهى التى تصوغ محددات القياس لمدى نجاحها كرسالة اتصالية حيث إن توافر حد مقبول من الشكل والمضمون ومدى وضوح إيدلوجية المجتمع التى يتحدد على أثرها أهداف الفكر والثقافة وموقفها من قضايا ومشكلات المجتمع ومدى قدرة كل من شكل ومضمون الرسالة على تجسيد أحداث وقضايا المجتمع بطريقة يتوافر فيها مقومات التأثير والإقناع ومدى قدرة الجمهور المتلقى على إدراك هذا المضمون هى بقياس نجاح الرسالة .

فإن النظرة بعمق لتوضيح أن الوعاء الفكرى والثقافى الإسلامى وهما الأساس الذى يجب أن تصاغ منه الرسالة الاتصالية (الدراما) يحوى الكثير من الحلول لمختلف قضايانا ومشكلاتنا هذا بالأضافة إلى الارتكاز على قاعدة صلبة من القبول المبدئى لدى الجماهير للفكر والثقافة الإسلاميه .

---

(١) محمود أحمد حماد . اتجاهات المسلسل فى التليفزيون المصرى مرجع سابق ١٩٨٦ ص ٥٥ .
(٢) سورة البقرة: ١٥١ .
(٣) سورة طه آيه ٧٤ .
(٤) سورة الشمس آية ٧، ٨ .
(٥) محمد الغزالى، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٥ ص ١٨

وإذن فتمام العملية الاتصالية يتوقف على كيفية توصيل هذه الأفكار من خلال صياغة درامية مقبولة تتفاعل مع عقول ووجدان الجماهير ووسيلة توظيف إمكانياته وتكتيكاتها لإقناع تلك الجماهير ولا أظن أننا نفتقدهما إلى حد كبير فلدينا عقول ناجحة ناضجه فكريا لا ينقصها سوى استلهام الفكر الإسلامى وصياغته فى أسلوب يتلائم وطبيعة التليفزيون و نسينما والمسرح وبحيث يقوم عليه مخرجون وممثلون قادرون ليحولوه إلى سلوكيات وقيم إسلامية نابضة بالحياة تتفاعل بمنطق وسلوك إسلامى مع مشكلات وقضايا الأفراد والمجتمع ويجدون فى ظلها حلا للخروج من مآزقهم النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والدينية هذا بالإضافة إلى ضرورة تواجد سياسات إعلامية واعية تؤمن بانتهاج هذا الطريق ولا ترى فيه قيدا على حركتها . وبحيث يتم الإقلاع فى نفس الوقت عن أسلوب الإنتاج والعرض الدارمى بشكله الحالى هذا بالإضافة إلى التخلى عن المنظور القديم للدراما الدينية إذ أن الدراما من منظور الإسلام أعمق وأشمل من فيلم أو مسلسل أو تمثلية أو مسرحية تاريخية يظهر فيهم الممثلون بلباس لم يستدل على هويته ووجوه عابسة وسلوك خشن جاف يكشف عن مزاج حاد وميول عدوانية أو معنى لغوى يحول دون عذوبة العربية وبساطة أدائها [1] بل إن الدراما من منظور الإسلام هى الأطر الفكرية والاجتماعيه والإنسانية المنبثقة من روح الإسلام وتصوراته للكون والحياة وقيمه السامية فأى شكل درامى فى أى قالب كان يجب أن تسرى فيه روح الإعلام نصا وفعلا وحركة[2] .

وإذا كانت الدراما يتم التعرض لها بهدف الترفيه أو التسلية أو التعويض أو التنفيس أو تقمص الأدوار الاجتماعية فإن تلقى هذا النوع من الأداء والفكر الدرامى شكلا ومضمونا وبشكل مستمر يعد تعرضا غير واع يدفع الفرد إلى الانفصال عن واقعه بل يفقده السيطرة على هذا الواقع ويحد من فاعليته فى المجتمع كما يحطم إرادته الفردية وهو ما يزيد من الآثار السلبية .

ونلقى الضوء فيما يلى على مجموعة أفلام ومسرحيات ومسلسلات عرضت وما تزال تعرض على الجماهير، وتشارك إلى حد كبير فى الوصول إلى هذه الحالة :

---

(١) نخبة من المفكرين الإسلاميين، مقالات فى الدعوة والإعلام الإسلامى كتاب الأمة القاهرة فبراير ١٩٩١ ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ٣٧ .

أولاً افلام سينمائية

١ – المساطيل .
٢ – الراقصة والسياسى .
٣ –الراقصة والطبال .
٤ – الهلفوت .
٥ – حب المراهقات .
٦ – المتسول .
٧ –الشيطان يعظ..
٨ – اللعب مع الكبار .
٩ – شمس الزناتى .
١٠ – المجرم .
١١ – الإمبراطور .
١٢ – الجبلاوى .
١٣ – المتعة والعذاب .
١٤ – عصر القوة .
١٥ – شلة المشاغبين .
١٦ – ألو أنا القطة .
١٧ – ممنوع فى ليلة الدخلة .
١٨ – فندق السعادة .
١٩ – دعونا نحب .
٢٠ – مسجل خطر .
٢١ – أزواج طائشون .
٢٢ – الكيت كات .
٢٣ – قبضة الهلالى .
٢٤ – جريمة فى الأعماق .
٢٥ – الأفوكاتو .
٢٦ – جواز عرفى .
٢٧ – الفقراء لا يدخلون الجنة .
٢٨ – حب فى الزنزانة .

ثانيا مسرحيات معروفة على مسارح الدولة قطاع عام وخاص ومنقول بعضها بالتليفزيون : –

١ – ريا وسكينة .
٢ – سك على بناتك .
٣ – العالمة باشا .
٤ – المتشردة .
٥ – الصعايدة وصلوا .
٦ – تخاريف .
٧ – البعبع .
٨ – باحبك يا مجرم .
٩ – عبده يتحدى رامبو .
١٠ – سحلب .
١١ – الجوكر .
١٢ – الواد سيد الشغال .
١٣ – وجهة نظر .
١٤ – مدرسة المشاغبين .
١٥ – الهمجى

ثالثا مسلسلات تليفزيونية وأفلام تليفزيونية :

أفلام تليفزيونية

١ – الوزير جاى .

٢ – المشهد الأخير .

٣ – دخان بلا نار .

٤ – جواز فى السر .

٥ – الاتحاد النسائى .

٦ – ترويض الرجل .

٧ – لعبة الحب والزواج .

٨ – مدرسة الحب .

مسلسلات تليفزيونية

١ – ليالى الحلمية .

٢ –رأفت الهجان .

٣ –الصيد فى بر الأوهام .

٤ – الزوجة الثانية .

٥ – الطاحونة .

٦ – حارة الشرفا .

٧ – أحلام الحب والإعارة .

٨ – أنا وأنت وبابا فى المشمش .

٩ – أحلام الفتى الطائر .

هذه بعض من عشرات النماذج الدرامية التى تعرض على الجماهير من خلال – السينما المسرح – التليفزيون – الفيديو كاسيت ومن الجدير بالذكر أن اختيار مجموعة الأفلام السينمائيه إنما جاء من واقع ملاحظتى لكثرة عرض تلك الأفلام فى المقاهى وإفادة تجار الفيديو كاسيت أنها الأكثر طلبا للمشاهدة الشخصية. هذا فضلا عن عرضها فى السينما أما المسلسلات فالتليفزيون لايألوا جهدا فى تقديمها بشكل يومى على قنواته المختلفة بالإضافة إلى الأفلام القديمة والحديثة والمسرحيات المختلفة .

وإذا ما نظرنا إلى طبيعة تلك النماذج الدرامية من خلال مكوناتها كفكرة أو حوار أو

اتصال أو شخصيا ـ ـوثرات وحبكة فسوف نلاحظ مبدئيا مدى غرابة أسماء الأفلام والمسرحيات وارتباطها ـ ـ ما هو غير مألوف سعيا إلى استهواء الجماهير وحبها الغريزى لاستطلاع المجهول وإ ـ حاولنا تفحص الأفكار وطبيعة المشكلات والقضايا التى تعرضها فسنجد أن هناك قاسما ـ ـ مشتركا أعظم بين مختلف الأعمال الدرامية وهو تشابه الخط الدرامى العام بأتباعه وتكتيكاته نظر لأن العاملين فى الحقل الدرامى من كتاب ومخرجين وممثلين يكادون يكونون هم أنفسهم فى العدد من الأعمال مسرح – سينما – تليفزيون . ومن هنا فطبيعة ما يطرح من أفكار وما تتضمن من أحداث وطريقة التعبير عن هذه الأحداث من خلال الصراع الدرامى وأداء الممثلين وطريقة التنفيذ تكاد تتشابه إلى حد بعيد يعزز من هذا التشابه القبول الجماهيرى أحيانا لبعض الأفكار فيعمل الأخرون على تقليدها . أما الأفكار المعروضة فهى فى معظمها هامشية لا تركز على معالجة مشكلات أو قضايا تدخل فى نطاق الاهتمام المباشر للسواد الأعظم من أفراد المجتمع فمعظم هذه الأعمال الدرامية مرتبط بالإجرام لأن حياة المجرمين أكثر إثارة خاصة إذا ما أضفت عليها المعالجة البطولة والشجاعة والذكاء (فالمجرم) عنوان فيلم – الشيطان يعظ – جريمة فى الأعماق – قبضة الهلالى – ناهيك عن عالم المخدرات – الجبلاوى – عصر القوة – اللعب مع الكبار – الإمبراطور – المساطيل وهو عالم كله غموض ونفوذ وسطوه وجبروت وقوة وذكاء من وجهة نظر المعالجة الدرامية فلما لايستهوى الكثيرين هذا بالإضافة إلى عالم الجنس . الراقصة والطبال – والراقصة والسياسى – الهلفوت – حب المراهقات – فندق السعادة – جواز عرفى – ممنوع فى ليلة الزفاف – حب فى الزنزانة – المتعة والعذاب – دعونا نحب – ألو أنا القطة –الفقراء لا يدخلون الجنة – أما النصب والاحتيال المتسول – الأفاكاتو – مسجل خطر وهكذا ناهيك عن الأفلام القديمة وما تحمل من رقص وخلاعة وخمر وسكر وعلاقات محرمة ودروس فى فنون الحب والغزل والخروج على الأعراف والتقاليد وقواعد التربية .

أما المسرحيات فهى لا تكاد تختلف كثيرا إلا فى طريقة عرض هذه المفاهيم بالشكل الذى يناسب المسرح فالإسقاطات الجنسية عديدة تلميحا وتصريحا فى المسرحيات المنقولة بالتليفزيون ناهيك عن ما يحدث فى المسرح أمام المشاهد وبالنسبة للمسلسلات فهى مراقبة بعض الشئ إلا أن الإطار الفكرى والسلوكى والتنويه بالعلاقات غير المشروعة والخروج على القيم والأعراف تتقارب إلى حد كبير أما عن الأفعال والأحداث والحوار وطريقة المعالجة (الإخراج) فهم جميعا يؤكدون فى معظم الأحيان أن لا خروج للبطل أو البطلة من مشكلاتهم ومآزقهم النفسية إلا بالتحلل من كل القيود والأخلاقيات والأعراف الاجتماعية أما لغة الحوار فهى تكاد

تدخل فى إطار السوقية بل هى جارحة للحياء فى أحيان كثيرة فى المسرحيات والأفلام وعلى الرغم من ما يقال من وجود رقابة فتعالوا لنرى رأفت الهجان البطل القومى كما يقال رجل مسلم أين الإسلام فى سلوكه الجهاز الذى يعمل معه مسلمون أين هو الإسلام علاقات جنسية عديدة وقيم مهتزئة ومحاولة لإثبات الكفاءة والشطارة دون الارتباط بأى منهج عقائدى فأين هى القدوة .

ليالى الحلمية : يروى من خلالها تاريخ مصر الإسلامية وحاضرها فلا قيم ولا أخلاقيات إلا فى التمسك بالمكان دون الانتماء الحقيقى لأى شىء آخر ناهيك عن التحلل الأسرى والمجتمعى أيضا وتدهور فى كل شىء تقريبا سياسى اجتماعى اقتصادى الخ .

أما الأفلام والمسرحيات فهى ليست خروجا عن القيم والأخلاق فقط وإنما هى معول هدم لكل مقومات البناء الاجتماعى من تربية وقدوة ومثل أعلى وتنمية فى أى مجال فالحث على الخروج على كل ما هو مشروع صراحة فوجود الممارسات الجنسية غير المشروعة والقمار واللهو وحفلات الرقص والسكر وتبادل الأزواج والممارسات الجنسية باتت لا تمارس إلا فى حماية أقوى أجهزة الدول (أمن الدولة) فضلا عن أماكنها المعتادة فى فيلم اللعب مع الكبار { البطل يمارس الجنس مع البطلة فى مكتب أحد كبار الضباط الذى يجلس ليراقبه من غرفة أخرى هو ومعاونوه {البطلة تقول حتعمل ايه يا مجنون حد يشفنا البطل داه هنا أأمن مكان واحنا فى حراسة الكبار).

فما هى الانطباعات التى يمكن أن تصل المشاهد فى هذه الحالة هذا فضلا عن التلميح بل التصريح بتورط العديد من المسؤلين فى الدولة وفى مواقع حساسة إما بتلقى الرشاوى أو الاتجار فى المخدرات أو الغش والتزييف والتدليس ولا مانع أيضا من تورطهم فى علاقات جنسية غير مشروعة وما يلزمها من سكر ورقص لزوم الفرفشة والوجاهة الاجتماعية وفى نفس الوقت تيسر الحلول لعسير المشكلات فالربط بين الانغماس فى الملذات والشهوات والخروج على القيم والتقاليد والأعراف مرتبطا إلى حد كبير بالنجاح والقدرة على الإنجاز وبالتالى الوجاهة الاجتماعية وما يلزمها من نفوذ وسطوة فى مختلف الأفلام .

بينما المعرضون عن هذا الطريق ضعفاء الشخصيه بل جبناء أغبياء لا يحسنون تعرف أو سلوك قبحاء الهيئة قليلو الهيبة والمكانة.

كل هذا مبرر ومنطوق بحيث يضفى الجاذبية والاستهواء ويدخل فى إطار المشروعية نظرا لانتشار الفساد فى كل مكان فالسفينة الغارقة لن تجد فيها أحداً يحاول إنقاذ الآخر بل كل ما يسعى إليه النجاة بنفسه حتى ولو أدى بحياة الآخرين ومن هنا عم البلاء بل أصبحت الفنون الدرامية وباء يجب التصدى له بحزم وفاعلية حتى وإن كانت بعض الأعمال تقدم كوسيلة للنقد

ومن هنا فالحل بات كامنا فى استلهام الثقافة الإسلامية بقيمها وأخلاقياتها وتقاليدهاوأنماط سلوكها المستمدة من القدوة الحسنة الرسول الكريم ولا مجال للاحتيجاج بأن فرض اتجاه معين يعد نوعاً من الوصاية على الجماهير وإذا ما افترضنا جدلا أن لا وصاية فى أى مجال من قبل الجهات المسئولة على تحديد اختيارات الجماهير فإنه يمكن القول هنا أن مبررات فرض استلهام الثقافة الإسلاميه يتناسب وطبيعة الفطرة الإنسانية بما تحويه من قيم إيجابية وسلوكيات وتقاليد محمودة وهذا فى مجمله دعم للبناء الاجتماعى هذا بالإضافه إلى أن انتشار الأمية وانخفاض المستوى الثقافى مبررا آخر لدعم ضرورة التوجه إلى الثقافة الإسلامية ودعوى البث الثقافى الذاتى للأمة ليست بدعة بل إن مختلف دول العالم المتقدم الذى نلهث لتقليده فى كل ما هو فج وتافه وممقوت فقد يعمل على حماية ثقافته كفرنسا وإنجلترا وكندا يحرصون على حمايه ثقافتهم ووسائل إعلامهم من أى غزو ثقافى فكندا (١) مثلا تربط ربطا مبرمجاً ومنظما من سياستها الإعلامية وخططها الثقافية – سينما – مسرح – تليفزيون – فيديو كاسيت بحيث يراعى إنتاجها فى هذا المجال تختلف الأهداف القومية { اجتماعية – اقتصادية – ثقافية تربوية) .

الدراما ومقومات البناء الاجتماعى

يتوقف تحقيق التقدم والرقى لأى مجتمع من المجتمعات على طبيعة العلاقات التبادليه القائمة بين الفرد ومؤسسات ذلك المجتمع الذى يعيش فيه ومدى قدرة هذه المؤسسات على أن تعكس أساليب جديدة ومبتكرة تتلاءم وطموحات الإنسان وتجعله أكثر اكتمالا وخروجا من جزئياته.

ولا شك أن العلم يلعب دورا كبيرا فى مد قدرة الإنسان إلى أبعد مجرات السماء وأعمق أسرار الذرة كما أنه يستطيع أن يربط فى نفس الوقت عن طريق الفن هذه الأنا الضيقة للفرد بالكيان المشترك لكل أفراد مجتمعه وعالمه .

إذ أن الفن كان دائما انعكاسا لطبيعة المتغيرات التى يعيشها المجتمع فواقع الإنسان ورغباته واحتياجاته كانت دائما هى الباعث الأول لسلوكه ونشاطه القلق المتجه إلى غرض ما من الأغراض التى تعود عليه بالنفع والاستقرار والسعاده النفسية (٢)

---

(١) نسمة أحمد البطريق مرجع سابق ص ١٦١ .

(٢) محمود أحمد حماد . محاضرات فى المسرح غير منشورة . كلية التربية النوعية ميت غمر ١٩٩١ ص ٢ .

وباعتبار الدراما أحد أشكال الفن فإنه يتم السعى من خلالها إلى التعبير عن هذا الواقع بشكل يحاكى ما يجرى فى الحياة من تجارب وخبرات شخصية تساعد الفرد فى التعرف على نفسه وعلى البيئة المحيطة به من خلال إثارة العمليات الشعوريه واللاشعورية فى الإنسان مما يجعل الفرد المتلقى يسقط آماله وأحلامه ومخاوفه النفسية على ما يشاهد من مناظر وشخصيات، فالصراع الدرامى بجانب كونه وسيلة كتحليل السلوك الإنسانى يمكن عن طريقه تقديم معلومات وشرحها وتفسيرها سعيا إلى التأثير فى مفهوم المتلقى عن الوظائف والأعمال والأخلاق والقيم ووضع معايير للنجاح والفشل والطبقات الاجتماعية .

وعلى هذا فالدراما يمكن أن تمثل أحد الروافد الهامه المساعدة على تكوين الإطار الثقافى والمعرفى للفرد بشكل صحيح وسليم حيث تسهم فى عمليات التنشئة الاجتماعية وضبط السلوك الاجتماعى وتنمية الحس الخلقى والمهارات اللغوية (١) وتعلم الأساليب الصحيحة للممارسات الحياتيه بصفة عامة فمشاهدة أنماط معينة من السلوك قد تؤدى إلى تعلمها وتكوين عادات بشأنها، هذا بنفس قدرتها على خلق عالم من الوهم والاستهواء وتزييف الوعى الجماهيرى وهدم كل أسس ومقومات البناء التى تتطلع بها المؤسسات التربوية والدينية حيث أن تضييع البنية الثقافية التى تربط عناصر البناء الدرامى وتعكس ترابط عناصر الوجود بعضها ببعض وتشكل الوعى العام بما هو كائن وما هو حق تستمد فى معظمها من الأساطير حيث تتوافر مكونات التسلية والترفيه وحيث يروج البعض بأن التسلية والترفيه مستقلان عن القيم ولا ينطويان على وجهة نظر بل يوجدان خارج نطاق العملية الاجتماعية .

وإذا كان من الصعب التعرف بشكل قاطع على الكيفية التى يتم من خلالها تأثر المرء بما يقرأ ويسمع ويشاهد فإنه ليس من الصعب التدليل على أن التوجيهات الترفيهة – مضمونا وشكلا فضلا عن إفلاسهما القيمى يقصد بها تعزيز الوضع الراهن. ويقول " أريك يارنو " إن الترفيه الشعبي ما هو فى الأساس إلادعاية تروج للوضع الراهن (٢) وتعنى الافتقار الكامل للقدرة على معرفه الداء وانعدام أى مقدرة على اتخاذ خطوة لعلاقة والنتيجة هو استمرار الالتزام بالوضع القائم وتبرير وجوده بالاحتياجات الإنسانية (٣) وعلى الرغم من ذلك فإن النظام الاجتماعى

---

(١) عبد الرحمن العيسوى الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهره ١٩٧٩ ص ٤٥ .

(٢) هربرب أ سيلد " المتلاعبون بالعقول : عالم المعرفة القاهرة أكتوبر ١٩٨٦ ص ١٠٥

(٣) المرجع السابق ص ٢٢، ٢٣ .

يعمد إلى تعزيز موقفه على إبقاء العقل الشعبى والعقل المستنير بوجه خاص فى حالة من انعدام الثقة ويشك فيما يتعلق بإمكاناته (١) . واذا ما لمسنا بشكل أو بآخر أن كل البرامج والتمثيليات والمسلسلات والأفلام والمسرحيات التى تسعى للترفيه عن الناس خالية من أى قيمة نافعة للجماهير بل إنها تفتقد أى مقدرة على تشخيص الوضع القائم فضلا عن العجز الكامل عن مجرد تخيل حلولا ناجعة لأى مشكلة من مشكلات المجتمع .

فإن تبرير هذا الوضع بالاحتياجات الإنسانية وفى ظل هذا السيل المنهمر من الأعمال الدرامية المقدمة من الراديو والتليفزيون والسينما والمسرح إنما هو سعى لإكمال إحكام السيطرة على عقول الجماهير وتزييف وعيها بهذا الترفيه الممجوج الغث ابتغاء صرف أنظارها عن حجم ما يحيط بها من مشكلات وقضايا وما هو محدق بها من أخطار ولاشك أن هذا التوجه يشكل سلاحا خطيرا ذا حدين يمكن أن يلحق أضراراً بالغة للداعين إلى استخدامه والمروجين له ويقتضى فى نفس الوقت البحث عن أسلوب جديد للترفيه يسهم ويدعم عمليات البناء النفسى والاجتماعى للفرد ولن يكون هذا إلا بالعمل على دعم القيم السلوكية العقلانية القائمة على حرية الارادة والشعور بالمسئولية حيث يعكس تنمية هذه القيمة الرغبة فى الاستمرارية إلى آفاق تتعدى وعى الذات (٢) وهذا هو ما يقوم عليه الأساس الروحى للإسلام الذى يدعو الإنسان إلى حسن إدراك صلته بالوجود ومكانه منه قبل كل شىء فإذا بلغ هذا الإدراك حد الإيمان دعاه إيمانه إلى السعى الدائم إلى تهذيب نفسه وتطهير فؤاده وإلى تغذيه عقله وقلبه بالمبادىء السامية بل وحثه على العمل الدائب البناء والتقدم والإبداع فى شتى دروب الحياه (٣) .

فشعور الفرد بمسئوليتة يحفزه على العمل لخير نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته وشعور المجتمع بمسئوليتة يدفعه إلى الإصلاح والتجديد لا التدليس والتزييف ويقول الأستاذ العقاد إن البلاد الروحية فى البلاد الشرقية قد تأثرت من طريق ظواهر المعيشة ومن طريق المذاهب الفكرية فظواهر المعيشة التى حملها الأوربيون معهم إلى بلاد الشرق العربى قد نشرت معها جوا من الإباحية الفعلية والاستخفاف بالقيود الأخلاقية الموروثة فقل الحرج من سماع الآراء الطارئة وتوجيه النقد إلى الشعائر المرعية وكان أثر هذا كله فى الحياة الروحية أعمق جدا من كل أثر سرى إلى الضمائر من معارف العلم والصناعة (٤)

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢، ٢٣ .

(٢) فيصل قدرى. نظرة ديناميكية فى علم النفس والقيم دار الطباعة الحديثة القاهرة ١٩٨٨ ص ٥٥ .

(٣) محمد بهى الدين سالم، المسلمون فى موكب الإنسانية وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلاميه القاهرة ١٩٨٩ ص ٢٨

(٤) المرجع السابق ص ١٥٣ .

وإذا كان هذا الوباء من الإباحية والاستحقاف بالقيود الأخلاقيه قد وجد من تبناه وروج له بحيث أصبح يحتل مكان الصدارة فى أولويات القائمين على وسائل الإعلام بمختلف أنواعها واتجاهاتها فالممثلون والممثلات والراقصون والراقصات والمطربون والمطربات ونجوم كرة القدم والحواة وأبطال السيرك هم نجوم المجتمع والقدوة الحسنة سلوكا ومظهرا وقيما وأخلاقا وأصبحت المرأه الفاضلة الطاهرة النقية تدعو إلى الملل والرتابة يضيق بها المتطلعون إلى المجد والنجومية أما المرأة اللعوب ذات الماضى العريض فهى جذابة ساحرة قادرة على الاستحواذ على عقول و قلوب الرجال بل ويكمن فى خلاعتها الحلول لعسير المشكلات بل أصبح السكر والعربدة والتدخين والبهرجة والخلاعة والسوقية فضائل اجتماعية تكرسها السينما والمسرح والمسلسلات التليفزيونية وبات كشف الصدور والظهور والسيقان من مميزات الفتاة العصرية وأن الخيانة تكسر حدة الرتابة والملل فى الحياة الزوجية هذا فضلا عن الأيحاء الدائم بضرورة التحلل من قيد الزواج فالزواج قاتل الحب والرومانسية، بل باتت فنون الغزل والحب والإثارة الجنسية دروسا تلقى من خلال الأفلام والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات بشكل صريح أو ضمنى تلميحا أو إيماء أو إشارة .

ويرى "هاياكو " أن وظيفة التربية تقوم أساسا على شحن الذهن وترقية العقل ولكن ما يحدث من خلال الدراما عموما يجنح بالمتلقى إلى الانحراف الخلقى وهبوط الذوق والإسراف فى المظاهر الاستهلاكية على حساب الجوهر والقيم الخلقيه (١) .

وإذا كان الوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقى من التربية من وجهة نظر الإسلام فإن القدوة تلعب دورا كبيرا فى دعم هذا الغرض فيقول " ابن خلدون " إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء تارة محاكاة وتلقينا بالمباشره إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا (٢) . كما كتب الرشيد إلى معلم ولده يقول يا أحمد إن أمير المؤمنين قد دفع إليك بمهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يديك عليه مبسوطة وروه الأشعار وعلمه السنن ولا تنعم فى ساحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينه فإن أباهما فعليك بالشدة وكتب عمروبن عتبة إلى معلم ولده يقوا . ليكون أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك فإن عيوبهم معقوده بعينك فالحسن

---

(١) إبراهيم إمام الإعلام الإذاعى والتليفزيونى بمكتبة دار الفكر المصرى بالقاهرة ١٩٧٩ ص٢٣٩ .
(٢) محمد بهى الدين سالم مرجع سابق ١٥٣ .

عندهـم ما صنعت والقبح ما تركت (١) .

وبناء على ما سبق يتضح أن للقدوة دوراً هاماً فى التوجه التربوى والقيمى والسلوكى للأفراد وإذا كانت النماذج الدرامية بمختلف أشكالها وقوالبها ترسخ فى أذهان الجماهير نماذج للقدوة والمثل الأعلى متمثلة فى الممثلين والممثلات والمطربين والراقصات والخارجين على أعراف وتقاليد المجتمع بما تخلع عليهم من هيبة ومكانة وتجار المخدرات والمتسلقين والأفاقين بما تخلع عليهم من سطوة ونفوذ ومفاتيح سحرية لمختلف المشكلات .

فإن نموذج القدوة فى رأى الإسلام ليس مستمدا من الوهم والخيال والتطلعات بلا مجهود بل إن القدوة والمثل فى رأى الإسلام يجب أن تستمد من تاريخ الأبطال والمكافحين الشرفاء فى كل مكان ومجال ومن حياة الذين قادوا وسادوا وعمروا وأرسوا أسس الدولة الإسلامية ووضعوا الموازين بالقسط وأوصوا بالتراحم والتعاون والحب والمودة وكانوا أسوة حسنة لم يقدر على تشويها الحاقدون على مر التاريخ حيث استلهموا دائما روح الإسلام ونموذجه الأعظم كقدوة كما أمر القرآن الكريم ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ فرسالة الإسلام كانت دائما سعيا دائباً لتهذيب الإنسان والرقى به فكراً وعقيدة وسلوكا وإذا كانت قدرة أى رساله على إحداث تغير ما يجب أن يتوافر فيها الاعتبارات الأتية : -

١ - مدى قدرة الرسالة على تقديم تصور مثالى ومرغوب لأولئك الذين يتلقون هذه العمليات الاتصالية .

٢ - مدى جاذبية شكل الرسالة وما مدى ذوبان الشكل فى المضمون وما درجة تفاعله مع احتياجات ومتطلبات الجماهير .

٣ - مدى قدرة الرسالة على إحداث التوازن بين الاستمرار ومتطلبات التغير (٢) فلا شك أن الدراما حينما تستقى أفكارها وأحداثها وشخصياتها من الواقع الإسلامى أقدر على تقديم القدوة والمثل الأعلى والحلول الملائمة لمختلف مشكلات المتلقى وبحيث تصبح عمليات التقمص والتخيل والتعرض والتعرف (٣) هى الباعث والدافع لإيقاظ قدرة المتلقى على التحليل والنقد بالإضافة إلى التسلية المفيدة والاستمتاع فالرسالة الاتصالية الإسلامية

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٣ .

(٢) سمير محمد حسين.الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام. مطابع سجل العرب القاهرة ١٩٨٤ ص ١٥٥، ١٥٦ .

(٣) اريك بارتو الاتصال بالجماهير مكتبة الفنون الدرامية ترجمة صلاح عز الدين القاهره ١٩٨٠ ص ٩٦ .

يجب أن تكون خطابا للعقل والفطرة الإنسانية وفى نفس الوقت التأكيد على ما يحقق متع الحياة وسعتها التى لاحرج فيها بدون كبت أو مبالغة (١) .

ومن هنا فإن أى نص درامى لفيلم أو مسلسل أو تمثيلية أو مسرحية يستمد وقائعه وأحداثه من منظور الفكر والثقافة الإسلامية يجب أن يحرص على أن يتوافر فيه الآتى : –

أولا : مدى بروز ووضوح معالم الجانب الروحى والنفسى فى هذا الفكر من خلال الآتى : –

١ – العمل على ثبات العقيدة فى نفس الفرد المسلم .

٢ – العمل على شعور الفرد المسلم بالحرية والاستقلال .

٣ – العمل على أن نشعر الفرد المسلم بالأمن النفسى والاجتماعى .

٤ – العمل على عدم إشاعة اليأس فى نفس الإنسان المسلم .

٥ – الاتزان والاعتدال فى السلوكيات والمعاملات والمشاعر والانفعالات والعبارات وحب العمل والخير .

ثانيا : مدى بروز ووضوح معالم الجانب الخلقى (٢) وكيفية تأصيله فى نفوس وسلوكيات الفرد المسلم من خلال الأداء (التمثيل) وبحيث تأتى انعكاسا طبيعيا للأحداث والخط الدرامى العام وهى كالآتى أ – الصدق – التسامح – الأمانة الإخلاص – القوة – كيفية الإسهام فى إصلاح المجتمع .

– ضمان استمرارية الدعوة الإسلامية – التواضع .

– الإنتماء – التعاون – حسن الخلق – عفة الهدف .

– عفة اللسان – السلوك المهذب (آداب الزيارة) .

– آدب الطعام – أداب اللقاء والمجالسة .

– الفضيلة – الكرامة الإنسانية .

هذه بعض القيم والسلوكيات التى نرى ضرورة أن تتضمنها النصوص الدرامية فى أى شكل وأى موضوع اجتماعى سياسى دينى – تاريخى .. الخ .

إذ أن دور الدراما فى منظور الإسلام يصبح هاما وفعالا إذا ما ركز على إبراز الجانب التطبيقى فى الإسلام بوصفه الجانب الذى أرسى دعائم الجانب النظرى وحقق له القبول والانتشار فبعث الثقافة الإسلامية والعمل على سيادة أفكارها لتحتل مكانها اللائق بها وبنا كمسلمين فى العالم ليس بمستحيل . فلسنا أبعد عن الإسلام ومفاهيمه وأسسه الآن أكثر من

---

(١) محمد الغزالى خلق المسلم، دار الدعوة للطبع والنشر الأسكندرية ١٩٨٨ ص٣١ .

(٢) عبد الحليم حنفى. جوهر الإسلام . الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨ ص١٣٣ .

قريش حينما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام فيها داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا " إذ كانت توجد هوة عميقة بين ما جاء به الإسلام من تعاليم وما حاول أن يرسيه من مبادئ وقيم وأخلاقيات اختلفت جذريا شكلا ومضمونا عن ما كان سائدا بين قريش وأهل مكة والجزيرة العربية كلها لندرك أن الإقناع والاقتناع بالجديد وقبوله فكرا وسلوكا ينبع من الإخلاص والتفانى والقدوة والمثل الأعلى من كل من المرسل والمتلقى هذا بالإضافة إلى قدرة هذا الجديد من الفكر على تقديم ما يفيد الإنسان ويكرمه ويرقى به سلوكا وخلقا وعملا ويعلى من شأنه داخل مجتمعه

وإننا وإن أمتدت تطلعاتنا بعظيم الآمال أن نجد تلك الدعوة إلى استلهام الفكر والثقافة الإسلامية فى كل نواحى حياتنا صدى محمودا وتشجيعاً للكثيرين على خوض غمار هذا المعترك الذى لا أراه سهلا ولا ميسورا إذ أنه بقدر توافرنا على ثقافتنا ومحاولة إبراز أفكارها وقيمها وسلوكياتها وصلاحيتها للإستخدام المادى والمعنوى بقدر ما ترقى بها سترقى بنا لتمثل مكاننا اللائق فى عالم اليوم ورغم كل هذا فإن استقراء الواقع ينبئ أن معارضة هذا الاتجاه وعلى مستويات عدة واقعة لا محالة ولكننا فى مختلف الحالات قد ارتضينا الرسول قدوة ومثلا أعظم فلا أقل أن يكون الإصرار والمثابرة هما زاد الطريق فما لايدرك كله لا يترك كله .

والله المستعان

نتائج البحث

تمثل عملية استخلاص النتائج إحدى الخطوات الهامة التى تعكس مدى إحاطة المعالجة بطبيعة المشكلة البحثية التى تم التعرض لها وإن كان من الهام فى نفس الوقت أن تمكن طريقة عرض الأفكار – القارئ من الاتجاه مباشرة إلى الإحاطة بطبيعة الموضوع المطروح وهدفه مما يدفعه إلى الاستنتاج صراحة أو ضمنا .

وتعرض نتائج البحث فيما يلي :

أولا : إذا كانت قيمة الفن تكمن فى قدرته على مخاطبة العقل والوجدان والرقى بهما فيهذب المشاعر ويساعد على التنشئة السليمة للأجيال وينمى الإحساس بجمال الوجود فإن الفنون الدرامية فى شكلها ومضمونها الحالى تسعى إلى تجريد العقل من وعيه وتعمد إلى إثارة المشاعر والشهوات وتنمى الإحساس بالأنانية .

ثانيا : إذا ما سلمنا أن الفنون الدرامية فى الوقت الحالى تمثل أحد الروافد التى تزيد من معلومات وثقافة الفرد وتعلمه سلوكيات وقيم وأخلاقيات مما يشكل ما يسمى بالإعداد الثقافى فإن الفنون الدرامية التى تعرض الآن على الجماهير تشكل خطرا بالغا على تلك العملية .

ثالثا: إذا كانت الثقافة الإسلامية تمثل رافدا مرتبطا بالعقيدة ومنهجها وأسلوبها الحياتى للمجتمع فإن الفنون الدرامية تعمل على تثبيت ودعم الاتجاهات القائلة بعدم صلاحيتها زمانا ومكانا إضافة إلى الترويج إلى عدم قدرتها على استيعاب التحديث وتحقيق التقدم .

رابعا: إذا ما سلمنا بأن الفنون الدرامية يفرد لها مساحات زمنية عريضة فى وسائل الاتصال الجماهيرى (راديو – تليفزيون – سينما – مسرح) بهدف الترفيه والتسلية والرقى بمستوى الفكر والسلوك فإن طبيعة الأفكار المطروحة تعد فى مجملها أفكاراً غير واعية بطبيعة السلوك الاجتماعى وأهداف المجتمع فى التقدم والتنمية هذا بالإضافة إلى عجز هذه الأفكار عن تهيئة حركة الدفع الذاتية الملائمة للمواطنين على قبول الاندماج فى عمليات التنمية .

خامسا:إذا كانت الفنون الدرامية تستهدف كما يقال الترفيه الراقى عن أفراد المجتمع مما يدفعهم إلى العمل والإنتاج فإن الموضوعات والأفكار الدرامية المعروضة الآن تحد من فاعلية الفرد فى المجتمع وتحطم قدرته وإرادته الذاتية وتدفعه إلى السلبية .

سادسا : إذا كانت الفنون الدرامية تقدم أبطال أعمالها من الفنانين والفنانات كقدوة ونموذج من خلال عمليات التقمص والتوحد والتعرف والتخيل فإن ما يعرض من نماذج يمثل قدوة رديئة تتقوض معها كل مقومات العمليات التربوية (أسرة – مدرسة – جامعة مجتمع) .

سابعا : إذا كانت الفنون الدرامية الراقية تسعى إلى التوعية والتثقيف والتبشير بالتغير والتقدم فإن الفنون الدرامية فى شكلها ومضمونها الحالى تعمد إلى تزييف وعى الجماهير وتثبيت الوضع الراهن بالاستغراق فى الماضى تارة أو فيما هو فج وتافه دائما .

ثامنا : – إذا كانت الفنون الدرامية الراقية هى بشير التغير بقدرتها على تطوير أو تحوير أو تغيير قيم وسلوكيات وعادات وتقاليد لازمة لمواكبة حركة تغير المجتمع فإن الفنون الدرامية بما تعرض من موضوعات وما تتضمن من قيم وأخلاقيات وسلوكيات تشكل حجر عثرة فى سبيل تحقيق أى رقى أو تقدم فضلا عن أنه دليل عجز عن عرض أى تصور سليم لإحداث توازن بين طرفى المعادلة إنسان مسلم ومجتمع راقٍ.

التوصيات : –

إذا كانت التوصية هى حث على تنفيذ ما يدخل فى إطار الممكن إعمالا للمثل القائل إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

فإننا نتطلع إلى أبعد من ما هو مستطاع حتى لا نركن إلى تثبيت الوضع الراهن بما هو عليه من سوء وتقاعس .

ونعرض للتوصيات فيما يلى :

أولا : يجب على المفكرين والمثقفين الإسلاميين أن يتبنوا العمل على تثبيت ودعم فكرة استلهام الثقافة الإسلامية فى مختلف المجالات بإثبات قدرتها على استيعاب مختلف أشكال المعرفة والعلوم الحديثة وقدرتها على تحقيق تنمية وتقدم المجتمع والرقى بأفراده .

ثانيا: إذا كان إعداد الكوادر وتوافر الخبرات هو أحد الركائز الأساسية لتحقيق الإجادة فى أى مجال من المجالات فإنه يجب العمل على إعداد الكوادر اللازمة والبحث عنها حتى يمكن أن نجد النصوص الدرامية والقائمين على الإخراج والتنفيذ الذين يقبلون بشكل تلقائى على تقديم المنظور الإسلامى للمجتمع والحياة فى مختلف الفنون الدرامية .

ثالثا : يجب أن تكون الشخصيات الرئيسية والثانوية فى مختلف الفنون الدرامية شخصيات تمثل القدوة والنموذج الذى يطرحه الإسلام قولا وفعلا تصريحا وتلميحا .

رابعا : يجب أن تكون كل موضوعات الفنون الدرامية عميقة المغزى والدلالة بحيث تشكل إعداداً ثقافيا يمثل دعما وساعدا قويا للعمليات التربوية وتنشئة الأجيال وتقويم ما اعوج من سلوك وما تهاوى من قيم وأخلاقيات .

خامسا: يجب أن تسعى كل موضوعات الفنون الدرامية إلى الرقى بالمستوى المعرفى والفكر للفرد وتكون حافزا له على العمل الإيجابى وتنمى لديه أسلوب النقد والتحليل والاستدلال والاستنتاج المنطقى .

سادسا: يجب أن تسعى كل الفنون الدرامية إلى الربط بين التمسك بالإسلام واتخاذه كمنهج وأسلوب حياة والقدرة على النجاح والإنجاز وتحقيق التقدم والرقى وإعلاء شأن الإنسان .

سابعا : يجب أن تسعى مختلف الفنون الدرامية إلى تنمية الإحساس بالجمال وتربية الملكات الفنية الذواقة ونقد كل ما هو خاطىء والتصدى له .

ثامنا : يجب أن تعمل الجهات القائمة على الإنتاج الدرامى بمسرح سينما - تليفزيون راديو على استطلاع آراء الجماهير فيما لو استمدت الفنون الدرامية مختلف موضوعاتها وأفكارها وتمت معالجتها من منظور الفكر والثقافة الإسلامية. ولكن يجب الحذر فى نفس الوقت من تداخل معانى السؤال لدى المسئول عن الدراما الدينية والتاريخية نظرا لما هو عالق بذهنه عن هذا النوع من الدراما .

المراجع

١ – القرآن الكريم : سورة البقرة – المائدة – الإسراء – طه – الشمس .

٢ – ابراهيم إمام : الإعلام الإذاعى والتليفزيونى . دار الفكر العربى القاهرة ١٩٨٩ .

٣ – أحمد أبوزيد : الشعر والدراما مجلة عالم الفكر مجلد ١٥ العدد الأول القاهرة ١٩٨٤ .

٤ – أريك بارنو : الاتصال بالجماهير . مكتبة الفنون الدرامية . ترجمة صلاح عزالدين . القاهرة ١٩٨٠ .

٥ – برنارد روزيه : مفاتيح استراتيجية جديدة للتنمية. ترجمة محمد سالم لطفى الهيئة المصرية لليونسكو القاهرة ١٩٨٨ .

٦ – حسين رامز محمد رضا : الدراما بين النظرية والتطبيق. المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ١٩٧٢ .

٧ – رشاد رشدى : نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨١ .

٨ – سمير محمد حسين : الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام . مطابع سجل العرب .القاهرة ١٩٨٤ .

٩ – عبدالحليم حفنى : جوهر الإسلام . الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨ .

١٠– عبدالحليم محمود : موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة . مطابع دار الشعب القاهرة ١٩٧٩ .

١١– عبدالرحمن العيسوى : الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون . الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة . ١٩٧٩ .

١٢– عاطف محمود عمرو : الدوافع النفسية لنشوء الفن . دار القلم القاهرة بدون تاريخ .

١٣– على عجوة وآخرون : مقدمة فى وسائل الاتصال .

١٤– فيصل قدرى : نظرة ديناميكية فى علم النفس والقيم . دار الطباعة الحديثة . القاهرة ١٩٨٨ .

١٥- لويس دللون : الثقافة الفردية وثقافة الجمهور . ترجمة عادل العوا منشورات عويدان بيروت ١٩٨٢ .

١٦- محمد الغزالى : الدعوة الإسلامية تستقبل عامها الخامس عشر . مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٥ .

خلق المسلم . دار الدعوة للطبع والنشر الأسكندرية ١٩٨٨ .

١٧- محمد بهى الدين سالم : المسلمون فى موكب الإنسانية وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٨٦ .

١٨- محمود أحمد حماد : اتجاهات المسلسل فى التليفزيون المصرى . دراسة وصفية تحليلية . ماجيستير غير منشورة، كلية اللغة العربية قسم الصحافة والإعلام بالقاهرة ١٩٨٦ .

التغطية الإخبارية المحلية فى الراديو والتليفزيون . دراسة تحليلية مقارنة دكتوراه غير منشورة كلية اللغة العربية قسم الصحافة والإعلام ١٩٨٩ .

محاضرات فى المسرح غير منشورة كلية التربية التوعية بميت غمر ١٩٩١ .

١٩- محيى الدين عبدالحليم : الدراما التليفزيونية والشباب الجامعى . دار الفكر العربى القاهرة ١٩٨٤ .

٢٠- نسمة أحمد البطريق : نظرية الإعلام المسموع والمرئى . دراسة فى المدخل الاجتماعى . القاهرة ١٩٨٩ .

٢١- هربرت أ. تيللر : المتلاعبون بالعقول . عالم المعرفة القاهرة ١٩٨٦ .

٢٢- نخبة من المفكرين الإسلاميين : مقالات فى الدعوة والإعلام الإسلامى كتاب الأمة . القاهرة ١٩٩١ .

٢٣- لفيف من خبراء اليونسكو : التنمية الثقافية تجارب إقليمية . ترجمة سليم تلور. المؤسسة العربية للدراسات والنشر القاهرة ١٩٨٣ .

٢٤- تقارير المجالس القومية المتخصصة : مستقبل الدراما الإذاعية فى مصر تقرير ١٩٩ر٧ ١٩٨٦ .

٢٥- اتحاد الإذاعة والتليفزيون : الكتاب السنوى ١٩٩١/٩٠ .

التخطيط لإنتاج
برامج إذاعية وتليفزيونية
تخدم الدعوة الإسلامية

عبد المنعم ثابت
المدير العام لإنجازات التخطيط
اتحاد الإذاعة والتليفزيون

مقـــدمة

مع الاتساع الإعلامى الكبير الذى يشهده العالم حالياً، والأهمية المتزايدة للدور الذى يمكن أن يؤديه الإعلام مسموعاً ومرئياً ومقروءاً ، برزت أهمية التخطيط لهذا الدور لضمان فاعلية الإعلام وتوجيهه الوجهة الصحيحة التى تعود بالفائدة على الفرد والمجتمع، وتخدم فى النهاية أهداف التنمية الشاملة .

والإعلام الإذاعى الحديث - بالراديو والتليفزيون - يعتبر أهم وسائل الاتصال فى عالم اليوم، وذلك للأسباب التالية :

١ - طول الفترة التى يقضيها الجمهور مستمعاً أو مشاهداً للراديو والتليفزيون، وما يترتب على ذلك من إلحاح ومتابعة وملاحقة مستمرة لبرامج هاتين الوسيلتين لفكر ووجدان المتلقى .

٢ - كثرة وتنويع المواد الإعلامية التى يقدمها الراديو والتليفزيون وبالتالى قدرتها على مخاطبة قطاعات مختلفة وفئات متنوعة من الجماهير .

٣ - فاعلية الفنون التى تلجأ إليها الإذاعة والتليفزيون فى عرض الأفكار وبالتالى فاعلية تأثيرها على الجمهور .

٤ - مخاطبة الراديو والتليفزيون لعدد كبير جداً من الأفراد ، وبالتالى القدرة على التأثير فى أكبر عدد من الجمهور، فى وقت واحد، وبتكاليف زهيدة إذا ما قورنت بوسائل الاتصال الأخرى كالمحاضرات والندوات مثلا والتى تعقد لنفس العدد من الأفراد .

٥ - إمكانية إعادة عرض المادة الإعلامية أكثر من مرة، دون تكلف نفقات إضافية فى الإنتاج، بما يتيح تعميق الأثر، أو مخاطبة قطاعات أخرى من الجمهور لم تتح لها فرصة الاستماع أو مشاهدة العرض الأول .

٦ - القدرة على الحركة السريعة : فالإذاعة والتليفزيون تستطيعان تقديم أى مادة مطلوبة فى أى وقت مطلوب .

٧ - القدرة على تخطى حاجز الأمية : فعلى العكس من الصحافة والكتاب، فبرامج الإذاعة والتليفزيون تخاطب الأمى كما تخاطب المتعلم على حد سواء .

٨ - القدرة على استخدام المؤثرات الحسية والعقلية والنفسية بطريقة أكثر وأقوى فاعلية من أى وسيلة إعلامية أخرى، وبالتالى فإن برامج الإذاعة والتليفزيون تستطيع إحداث التأثير والاستجابة لدى المتلقى على نحو أسهل وأسرع من أى وسيلة إعلامية أخرى .

٩ - إمكانية الجمع بين الإعلام والتسلية فى وقت واحد، وبالتالى القدرة على جذب الانتباه وتقديم المضامين والأفكار المختلفة فى شكل شيق وممتع جذاب .

مبادئ ومحاذير

مع الأهمية المتزايدة للدور الذى تلعبه الإذاعة والتليفزيون من خلال البرامج المتنوعة التى تقدمهما فإن هناك محاذير هامة ومبادئ أساسية ينبغى أن تلتزما بهما فى أداء هذا الدور :

أولا :

ينبغى أن يتم استخدام هاتين الوسيلتين فى إطار من القيم الأخلاقية والتشريعات والقوانين والأعراف السائدة فى المجتمع .. فالإغراق فى التسلية بأسلوب مثير للغرائز أمر مرفوض فى مجتمع متمسك بدينه وتقاليده، وتمجيد الفردية على حساب مصالح المجتمع أمر لا يعود بالفائدة على مجتمع ينمو، وعرض نماذج الانحراف دون توضيح نتيجة ذلك على المنحرف ذاته، قد يشجع البعض على تقليد مثل هذه النماذج، وهذا بالطبع أمر مرفوض .

ثانيا :

إن استخدام الإذاعة والتليفزيون فى المجتمعات النامية ينبغى أن لا يكون ترفا أو مظهراً للتقدم ، دون أن تكون حقيقة المجتمع هى كذلك ... فالدول النامية فى حاجة إلى تضافر كافة الجهود لتحقيق تنمية سريعة لمواردها ولمجتمعاتها .. والإذاعة والتليفزيون تستطيعان أن تقدما الكثير فى مجال تنمية الفرد والمجتمع بالحفز على المساهمة فى جهود التنمية، وبالمشاركة فى برامج التعليم ومحو الأمية وتعليم الكبار، وبالعمل على تعديل السلم القيمى بحيث تصعد إلى قمته قيم كاحترام العمل والانتماء بما يساعد على عملية التنمية، وتحارب نماذج سلبية كالاستهتار والأنانية واللامبالاة .. على أن يكون ذلك أيضا فى إطار من الأخلاق والدين .

ثالثا :

إن الاستغلال الأمثل لإمكانيات الإذاعة والتليفزيون لا يمكن أن يتم إلا من خلال تخطيط علمى سليم، وفى إطار سياسة إعلامية عريضة، واستراتيجية طويلة المدى .

من خلال السياسة والاستراتيجية تكون الإمكانيات محددة والأولويات معروفة، وما علينا إلا أن نحدد الأطر الزمنية للخطط المرحلية التى يتم من خلالها استخدام تلك الإمكانيات لخدمة المجتمع، وأهدافه التنموية .

من خلال هذا المنظور فإن التخطيط لإنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية، هذا التخطيط يخضع لاعتبارات وأهداف عديدة نتناولها فى النقاط المحددة الآتية : –

أ - وضوح الرؤية

التخطيط لإنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية ينبغى أن يتم على أساس وضوح كامل للرؤية فإذا كانت هذه البرامج تهدف إلى خدمة الدعوة الإسلامية، فإن الصورة أمام المخطط تحتاج إلى مزيد من الإيضاح ..

فشباب اليوم كثير منهم يزداد اهتمامه بالدين، والبحث عن الطبيعة الجوهرية له، وذلك نتيجة لانتشار التعليم، والعلم كما نعلم يحث الإنسان على التفكير والبحث فى أسس وجذور ما يسود الحياة من عقائد ومذاهب ؛ ومن ثم يبرز الدور الهام لبرامج الإذاعة والتليفزيون فى مساعدة الشباب بتقديم الفهم الصحيح للدين بعيداً عن اتجاهات التطرف، أو تفسيرات معينة تثير خلافا فى وقت يحتاج المجتمع فيه إلى التآخى والاتفاق .

والدين الإسلامى دين يتناول حياة الإنسان وآخرته معاً، ويكفل للمسلم تنظيماً لحياته يضمن سعادته فى الدنيا، وينير له الطريق والهداية لينال رضا ربه ؛ وهو بذلك يقدم للإنسان نظما وعقائد أما العقائد فهى الأساس الإيمانى للإنسان، يصلح بها قلبه، ويستقيم تفكيره ... ثم ينظم الإسلام حياة المرء وسلوكياته بتشريعات وإرشادات تضع منهجا متكاملا لسلوكه .. ومن ثم يكون على برامج الإذاعة والتليفزيون أن تعمل على :

تقديم أقوى الأدلة العلمية على أن الديانة الإسلامية هى روح العمران وقوام سعادة الإنسان بطرق لا تجعل للشكوك مجالاً فى الأذهان بالإضافة إلى العمل على تثبيت العقيدة الإسلامية فى العقول كإثبات وجود الله سبحانه وتعالى، والإيمان بالمولى سبحانه وملائكته ورسله والثواب والعقاب، كل ذلك فى إطار متكامل مما يمكن أن نسميه " التربية الدينية المستمرة " .

وبناء على كل ما سبق يكون التخطيط لإنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية ينبغى أن يكون مستنداً إلى دعامتين أساسيتين .

أولا : وضوح الرؤية والدور الذى يمكن أن تؤديه هذه البرامج سواء فيما يتعلق بتعميق الإيمان بالمعتقدات الإسلامية لدى المتلقين، أو بنشر السلوكيات الإسلامية الصحيحة، أو بتقديم الفهم الصحيح للدين الإسلامى مع الابتعاد عن مواطن الخلاف التى تثير الجدل والشقاق بين أبناء الأمة .

ثانيا : التنسيق والتكامل مع البرامج الإذاعية والتليفزيونية الأخرى بحيث لا يحدث تعارض بينهما، بل تستفيد برامج الدعوة من برامج الإذاعة والتليفزيون الأخرى، فالبرامج التى تتحدث عن آخر منجزات العلم مثلاً، هى فى الوقت نفسه تقدم خدمة لبرامج الدعوة التى تهدف إلى توضيح أن الإسلام دين يدعو إلى حرية العقل والتفكر فى خلق الله سبحانه وتعالى، ولا يبقى أمام برامج الدعوة إلا تكوين الرابطة القوية التى تتيح الاستفادة من كافة البرامج ... وهكذا ...

ب - الشكل والمضمون

من خلال وضوح الرؤية، واستنادا إلى الدعامتين السابق الإشارة إليهما، يستطيع المخطط إنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية أن يحدد أهداف تلك البرامج .. تلك الأهداف وإن كانت تصورات ذهنية لما يمكن لهذه البرامج أن تحققه ومن خلال الرؤية الواضحة ، إلا أنها ينبغى أن تكون واقعية وشاملة ومرئية بما يتماشى مع تحقيق مبادئ الدعوة الإسلامية، كما ينبغى لأهداف البرامج أن تحقق الترجمة السليمة لتوظيف إمكانيات الإذاعة والتليفزيون لخدمة الدعوة .

إن إمكانيات الإذاعة والتليفزيون ليست مجرد ساعات إرسال وتوجيه رسائل إعلامية معينة للجماهير فقط، وإنما هى فوق ذلك إمكانيات توظيف فنون وأساليب لإنتاج رسائل إعلامية تحمل مضامين الدعوة إلى جماهير المتلقين . تلك المضامين - مضامين الدعوة - وإن كانت تجمعها وحدة واحدة، إلا أنها على أرض الواقع، وعند إنتاج رسائل إعلامية محددة يتم تجزئتها إلى مضامين وأفكار فرعية، تصب كلها فى بوتقة خدمة الدعوة الإسلامية .

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المضامين ومع اختلافها - ولو ظاهرياً - فإن ذلك يشير إلى ضرورة اختيار الشكل الملائم لكل مضمون :

أولا : فقد يتم عرض المضمون المحدد من خلال " الحديث المباشر " ، وهو يعتبر من الأشكال الأولى لبرامج الإذاعة والتليفزيون، وهو يعتمد أساساً إلى جانب شخصية المتحدث، على الكلمة المنطوقة، والحديث المباشر لا يخلو من الهدف التثقيفى والتوجيهى والتعليمى، بالإضافة إلى النقد الاجتماعى .. ويمكن لهذا الشكل الإذاعى والتليفزيونى أن يفيد كثيراً فى عرض الأفكار الصحيحة عن المعتقدات الدينية لا سيما إذا كان المتحدث عالماً كبيراً أو مفكراً له شأنه . وبوجه عام، فإن الحديث المباشر له شكل ينبغى أن يلتزم البرامجيون به، إذا أريد له النجاح فى تحقيق أهدافه :

١ - فمن الضرورى أن يكون مقدم الحديث بسيطا فى مظهره ، و هندامه، غير متعال على المستمعين أو المشاهدين، قريبا منهم، ودوداً فى حديثه وأسلوبه، بعيداً عن التصنع أو التعالى.

٢ - على المتحدث أن يهتم باستهلال حديثه استهلالاً ذكيا جذابا يشد إليه جمهور المستمعين والمشاهدين .

٣ - وعلى المتحدث أن يعمل على المحافظة على اهتمام المستمع أو المشاهد بحديثه طوال الوقت، وأن يبتعد عن الكلمات الصعبة والزخارف اللغوية، مع مراعاة استخدام الجمل القصيرة سهلة الفهم والتركيب .

٤ - أهمية تغيير أطوال الجمل للقضاء على الملل والرتابة، مع استخدام السرعة المناسبة للحديث

بحسب المضمون الذى يتناوله المتحدث .

٥ – ضرورة ترتيب أفكار الحديث ترتيباً منطقياً متسلسلاً، مع تلخيص ما يتم تقديمه باستمرار، ومع إنهاء الحديث بإيجاز سريع لأهم ما يريد المتحدث أن يعبر عنه من أفكار .

ثانيا : قد يتم تقديم البرامج التى تهدف إلى خدمة الدعوة الإسلامية فى صورة برامج حوارية .. والحوار شكل هام وكثير الاستخدام فى البرامج الإذاعية والتليفزيونية على حد سواء .. وسواء كان الحوار حوار رأى بهدف التعرف على آراء الجماهير والخبراء فى موضوع أو قضية معينة .. أو حوار معلومات بهدف تقديم معلومات حول موضوع معين يشغل بال الناس .. أو حوار شخصية بهدف تقديم شخصية معينة للجماهير وتوضيح معالمها ومميزاتها .. كل هذه الصور من الحوار ينبغى أن تلتزم بتقنية أو بأسلوب معين تحكمه اعتبارات أساسية :

١ – فينبغى أن تكون الأسئلة معدة بشكل جيد، وتكون مترابطة، مرتبة ترتيبا سلساً جذاباً .

٢ – على الإذاعى أن يبتعد عما قد تكون لازمة له فى حوار مثل : طبعاً .. طبعاً .. أو من المعروف.. من المعروف وهكذا .

٣ – على الإذاعى أن لا يتورط أبداً فى السخرية من محاوره مهما كان رأيه ساذجاً، بل عليه أن يناقشه فيه بموضوعية .

٤ – ليحذر الإذاعى من حجب رأى لمحاوره، مهما كان هذا الرأى معارضا لاتجاه البرنامج .. بل عليه أن يرد عليه مباشرة، أو من خلال رأى لضيوف آخرين .. الحجة تقرعها الحجة .. أما حجب الآراء فيعنى انتشارها بطريق آخر .

ثالثا : لعل برامج الندوات والمناقشات هى الأكثر استخداماً فى مجال كمجال الدعوة الإسلامية، فهى تصلح لمناقشة أمور الدين والدنيا منفصلين أو مجتمعين، وهى تتيح الفرصة لعرض كافة الآراء، والتوجيه صوب الفكر الصحيح، وتسمح للمتلقى بإعمال فكره، إعمالا جيداً هادفاً .

ونظراً لأهمية هذا الشكل البرامجى فى تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية فسوف نتناول التخطيط لتلك البرامج بشىء من التفصيل :

١ – اختيار الموضوع :

يشترط فى موضوع الندوة أن يكون مثاراً بشكل ما فى المجتمع أو فى وسائل الإعلام ويحظى باهتمام الناس .. كما ينبغى أن يكون الموضوع متسعاً يسمح بعرض وجهات نظر مختلفة، وزوايا عديدة للفكرة أو للأفكار التى تتعلق بالموضوع .

٢ - اختيار المشتركين فى البرنامج :

يجب أن يشترك فى موضوع الندوة اثنان على الأقل إلى جانب المذيع مدير الندوة، ويكون كل من الضيفين مدافعاً عن وجهة نظر معينة تتعلق بموضوع الندوة .. وقد يزيد عدد المشتركين فى الندوة عن اثنين إلى ثلاثة أو أربعة مثلاً. ولكن المهم أن يكون هؤلاء المشتركون من ذوى الشخصيات الجذابة ذات الثقل الاجتماعى والثقافى والعلمى أو الخبرة فى موضوع الندوة .

٣ - اختيار مدير الندوة :

من الأفضل أن يختار مدير الندوة من بين الإذاعيين ذوى الشخصيات القوية الجذابة المحايدة بالنسبة لموضوعات الندوة، ومن ذوى الثقافة المتسعة، والقدرة على الإلمام بكافة الآراء ، وتلخيصها وعرضها ، والانتقال بسلاسة من فكرة إلى فكرة .

٤ - إعداد البرنامج :

قبل تسجيل البرنامج وبعد الاتفاق مع الضيوف على موعد ومكان التسجيل من المهم أن تجرى مقابلة بين مدير الندوة والمشتركين فيها، إذ يتم عرض الموضوع والاتفاق على الجوانب التى تتم مناقشتها والنقاط الفرعية التى يتم استبعادها لعدم أهميتها للموضوع، مع الاتفاق على الإشارات التى سوف تستخدم أثناء الندوة لطلب الكلام، أو طلب الاختصار، وكيفية الاعتراض على رأى مثلاً، وما إلى ذلك .

٥ - تنفيذ البرنامج :

بعد التجمع فى مكان تسجيل الندوة قد يكون هو الاستوديو، أو يكون إحدى القاعات المجهزة مثلاً، بعد ذلك يأخذ كل من المشتركين مكانه بما يسمح بوضوح صوت وصورة كل ضيف بالإضافة إلى مدير الندوة، وبعد ترتيب مواقع الكاميرات والميكروفونات يبدأ تسجيل البرنامج أو إذاعته على الهواء فى حالة البث المباشر ... وبعد تقديم الضيوف يبدأ مدير الندوة فى عرض الموضوع، ثم يعرض كل ضيف رأيه، وعلى مدير الندوة أن يلخص الآراء باستمرار ، ويوضح ما قد يتم الاتفاق عليه من آراء، ثم ينقل الحديث إلى نقطة أخرى، وهكذا .. إلى أن تصل الندوة إلى نهايتها، فيلخصها فى كلمات واضحة .. كل ذلك يتم بتلقائية ومع السماح للاعتراضات من جانب بعض الضيوف، ولكن بحيث لا تتداخل أحاديثهم، أى مع المحافظة على نظام الندوة .

جـ - نقاط فوق الحروف

التخطيط لإنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية ينبغى أن يتم إذن من خلال الفهم الواعى لإمكانيات الإذاعة والتليفزيون، ومن خلال مبادئ أساسية لهذا التخطيط تنطلق من وضوح للرؤية، وتحديد دقيق لأهداف تلك البرامج، ومن توافق واضح بين أشكال تلك البرامج ومضامينها .. ومع ذلك تبقى عناصر أساسية لابد من مراعاتها ضماناً لنجاح تلك البرامج فى تحقيق التأثير

المطلوب منها :

١ -إن توقيت عرض هذه البرامج ينبغى أن يهتم بأن يحقق التوافق بين سمات وخصائص وظروف القطاعات والفئات المختلفة لجماهير المتلقين .. فلكل قطاع جماهيرى أو فئة داخل كل قطاع ظروفها، والأوقات المفضلة لديها للاستماع للراديو أو مشاهدة التليفزيون، وينبغى تقديم البرامج الموجهة لكل قطاع أو فئة فى المواعيد المناسبة لها .

٢ - على المخطط أن يهتم بآراء المستمعين ورغباتهم، سواء من خلال البريد أو من خلال البحوث التى تجرى لاستطلاع تلك الآراء والرغبات، وعلى المخطط أيضا أن يأخذ فى اعتباره رجع صدى ما تم بثه من برامج، وأن يعدل من خططه فى ضوء ذلك الصدى .

٣ - برامج الإذاعة والتليفزيون تخاطب رأيا عاماً، ومن ثم، فإن المهم أن تعمل هذه البرامج على تكوين اتجاهات عامة مؤيدة للأفكار التى تتبناها، وهنا نلاحظ أن وجود معارضة لبعض الأفكار التى تتناولها البرامج لا يعنى فشلها فى تحقيق أهدافها، بل هو يشكل ظاهرة صحية فى الأساس ، فالمطلوب هو تكوين رأى عام أو تدعيمه وليس خلق إجماع عام فى مجتمع تسوده حرية الرأى والفكر .

٤ - إن عملية إنتاج برامج إذاعية وتليفزنونية عملية معقدة وليست بالبسيطة وهناك عوامل أساسية وجوهرية يمكن بها الحكم على مدى نجاح البرنامج وهى فى نفس الوقت تشكل سلسلة منتظمة لما يمكن أن يكون مراحل تحكم هذا الإنتاج وهى على الشكل التالى :

- أسلوب عرض الأفكار من خلال المضمون بتحديد الأفكار الأساسية أولا التى تخدم الهدف والمضمون مع ضمان التسلسل المنطقى لهذا المضمون وأن يكون سلساً لا يعترضه نتوءات أو مفاجآت بوضع برنامج تفصيلى لتنفيذ البرنامج من خلال نص مكتوب .

د - استخدام إمكانات الوسيلة :

فى التليفزيون (الصورة - الصوت - الحركة) .

فى الإذاعة (الصوت البشرى بنوعياته المختلفه) (رجل - امرأة) بالإضافة إلى بعد هام وهو سرعة الصوت المستخدم وبعد آخر لا يقل أهمية وهو قوة الصوت ارتفاعاً وانخفاضا وبعد ثالث كثيراً مالا يلتفت إليه بعض العاملين وهو عنصر مدى تعبير الصوت فلكى يكون الصوت مؤثراً لابد أن يكون معبراً بنبرات صادقة مؤثرة وهذا الأمر لا يتحقق إلا بتمثيل الإذاعى للموقف الذى يتحدث عنه وتحدثه إلى مستمعيه كما لو كان يحادث كلا منهم بمفرده حديثا حميما من صديق لصديق وبذلك يكون الصوت والحديث والرسالة الإعلامية معبرة صادقة .

- استخدام الإقناع : {مخاطبة العقل والمنطق - الوجدان - العقل والوجدان معاً }

- توافق الشكل المستخدم مع المضمون .

- كفاءة استخدام الصورة بكافة أبعادها إلى جانب الحركة بأنواعها العديدة وبأبعادها أيضا كما أن هناك بعداً ثالثاً مفقوداً فى الصورة التليفزيونية : الصورة المألوفة فى التليفزيون لها بعدان فقط (طولا وعرضاً) ومن ثم فإن المتلقى يرى الصورة من خلال هذين البعدين فقط وذلك يختلف عن تلك الصورة التى يعايشها المتلقى فى حياته العادية من حيث الأبعاد فهناك بعد ثالث مفقود وهو عمق الصورة ذلك البعد له أهمية كبيرة فى عملية التركيز وبالتالى التأثير بالصورة المعروضة أمام المشاهد، إلا أن طبيعة الصورة التليفزيونية الحالية تجعل ذلك البعد غائباً وقد يكون غياب ذلك البعد هو المسئول عن تحجيم الرسائل التليفزيونية .

ويمكن معالجة ذلك من خلال ابتكار أساليب جديدة لحركة الكاميرا بشكل دائرى وبصورة فنية تسمح للمشاهد مشاهدة عناصر الصورة من كافة الزوايا ، كل ذلك انتظاراً لتطورات تكنولوجية قادمة تتمثل فيما نطلق عليه التليفزيون المجسم وسوف تحل هذه التطورات التكنولوجية مشكلة أخرى خاصة بعنصر الحركة فى الرسالة التليفزيونية فنصبح أمام رسائل متنوعة تستخدم صوراً مليئة بالحركة أفقية ورأسية - سريعة وبطيئة .

- **عناصر الكادرات** : فلكل كادر له عناصر، وبما يتمشى مع المضمون .

- **الديكور والإضاءة** : لابد وأن تكون مناسبة للمضمون .

- **الحوار المستخدم** : يجب أن يهيئ مقدم البرنامج نفسه خلال الحوار باسئلة إضافية تطرح نفسها بشكل تلقائى أثناء الحوار فهناك أسئلة فرعية تنبثق من الأسئلة الرئيسية وهنا يتبين مدى القدرة المهارية لمقدم البرنامج فى طرح الموضوع بأمانة دون تهويل أو تهوين مع الأخذ فى الاعتبار علاقة المواطن بالفكرة الدينية المراد التحدث فيها وأن تكون واضحة وعلاقتها بممارسات المتلقى فى حياته العملية .

ومما تقدم يتحقق التواصل الجيد مع المتلقى بكفاءة منذ أن ينطلق البرنامج حتى نهايته .

البرامج الدينية فى قالب
دراما يتمشى مع روح العصر

وتجدر الإشارة هنا إلى أن البرامج الدينية يمكن طرحها فى إطار جذاب وفق الأسس والقواعد السابقة وذلك بالارتقاء بمستواها إلى الشكل الفنى الذى يجذب حواس المتلقى ويضمن لها الحيوية بإدخال الحوارات وهى من عناصر الدراما بحيث يتم عرض كل موضوع أو فكرة فى صورة حوار متطور بين شخصيتين أو أكثر وهى تتيح المناقشة والاستيضاح وضرب الأمثلة مع

تضمين هذه الصورة بعض المواقف التمثيلية البسيطة والاستعانة بالعناصر الذين يعرفون دينهم معرفة عميقة للمشاركة فى تقديم هذه الحورات ويقوم الأبطال بأدوار دينية أخلاقية تتضمن مقولات ومناظر تفيد المتلقى فى حياته العملية .

وهذا الشكل الدرامى يجذب المتلقى ويضفى الحيوية والجاذبية سواء فى شكل قصة أو مسامع درامية وهى التى تقرب للمتلقى النصوص الدينية بما يتفق وروح العصر بدلاً من الاقتصار فقط على الأحاديث المباشرة فى عملية الإقناع ..

خلاصة القول : أنه ينبغى توظيف جميع أدوات التعبير والأشكال الفنية فى العمل البرامجى بما فيها الدراما للتعريف بأمور الدين . فلم تعد الموعظة أو الدرس أو النصيحة من خلال الحديث المباشر كاف بل يجب استخدام كل هذه الأدوات والأشكال لجذب المتلقى فى متابعة البرامج الدينية لأن الدعوة الإسلامية ليست مجرد كلام يقال ولكنها بهذه الوسائل والأدوات تحفز المسلم إلى العمل والإنتاج بضمير دينى خالص .

وماذا بعد :

السمة العامة للمرحلة القادمة فى العمل الإعلامى فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون هى التركيز على مضمون الرسالة الإعلامية بحيث يكون لكل برنامج إذاعى وتليفزيونى هدفه الواضح المحدد النابع من احتياجات الجمهور المستهدف فى إطار أهداف الاستراتيجية الإعلامية .

وبناء على ذلك تتحدد السياسة العامة للإعلام الإذاعى المسموع والمرئى فى المجال الدينى فى الركائز التالية :

١ – توظيف الإعلام المسموع والمرئى لخدمة أهداف المجتمع فى إطار من تقاليده وقيمه وأخلاقياته .

٢ – نشر وتعميق المفاهيم والمبادئ والقيم الحضارية والإنسانية للدين الإسلامى وتقديم التلاوة القرآنية والأحاديث القدسية والنبوية الشريفة والتفاسير والفتاوى لمسلمى العالم .

٣ – دعم حرية الإنسان المصرى وحقه فى التعبير عن ذاته وعن سائر حقوقه التى نصت عليها الأديان السماوية والمواثيق والاتفاقات الدولية والأعراف المصرية الحضارية .

٤ – الاهتمام بالثقافة الدينية وتقديم الإسلام كدين متكامل وكحضارة إنسانية رائدة .

٥ – التعرض لقضية التطرف الدينى وقاية لشباب مصر من الوقوع فى براثن التطرف ومواجهته مواجهة عقلانية تأخذ بأدب الحوار والتنويه والتبصير بمقاصد الشريعة السمحة .

ومن منطلق الإيمان بقيمة التربية الدينية والروحية فى تكوين شخصية الإنسان ومن منطلق الإيمان بأثرها العميق فى تحديد قيمته واتجاهاته وسلوكه تؤكد الخطة الإعلامية أهمية تكثيف الإعلام

الإذاعى لدوره المتميز والواضح الذى يستهدف الوصول بالمستمع والمشاهد إلى درجة الاقتناع الذى يدفع حركته فى الاتجاه الذى يريده الدين الإسلامى والذى هو بالضرورة فى صالح الفرد والمجتمع .

ومن هنا تؤكد الخطة على :

- تنمية الوجدان الإنسانى منذ الطفولة على أساس من النقاء والتدين السليم .
- إبراز قيمة الحقوق والواجبات الإنسانية فى ضوء الشرائع السماوية .
- تشجيع حفظ آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وتفسيرهما والاهتمام بموضوعات السيرة النبوية .
- الاهتمام بالقصص الدينى وإبراز النماذج الطيبة والقدوة الحسنة فى السلوك العام والخاص .
- الاهتمام بتوضيح مقاصد الإسلام من التكليف بفرائض الصلاة والزكاة والصوم والحج وعلاقة ذلك بالسلوك .
- الرد على استفسارات المواطنين فى المسائل الدينية وتوجيههم الوجهة الدينية الصحيحة .
- إبراز دور الحضارة الإسلامية فى مختلف فروع العلم والمعرفة فى إثراء الحضارة الإنسانية .

الأنشطة والبرامج المنفذة فى شبكة القرآن الكريم :

- جملة ساعات إرسال البرامج الدينية فى قطاع الإذاعة خلال عام ٩٠ - ٩١ { ١٩ ق ١٨٧٧٣س } .

جملة ساعات إرسال البرامج الدينية فى قطاع التليفزيون خلال عام ٩٠ - ٩١ {٥٦ - ١٣٠٦س}

تقدم إذاعة القرآن الكريم بالإضافة إلى الشبكات الإذاعية الأخرى برامج متنوعة .

ومن برامج الفقه والعقيدة ممثلة فى البرامج الآتية { ٩ برامج } .

الدين المعاملة - سلوكيات إسلامية - بريد الإسلام - أركان الإسلام - حديث الصباح - حديث السهرة - دعاء الصباح - قيمة إسلامية - أخلاقيات العمل فى الإسلام .

- **موضوعات السيرة النبوية** ممثلة فى البرامج الآتية { ١٦ برنامج } .

- صدق رسول الله - فى رياض القرآن الكريم - حديث فضيلة الشيخ الشعراوى - فى رحاب آية - قبس من نور النبوة - مع الأحاديث القدسية - علوم القرآن - فى رحاب السنة - الرحمن علم القرآن - المصحف المعلم - علوم السنة - لغة القرآن - القرآن والحياة - قال رسول الله - التفسير الموضوعى - الأمسيات الدينية .

هذا بجانب البرامج الثقافية التى تقوم بتقديم النماذج والقدوة الحسنة فى السلوك العام للفرد

وربط هذا السلوك بالواقع الحالى وكذلك إبراز دور الحضارة الإسلامية فى مختلف فروع العلم والمعرفة فى إثراء الحضارة الإسلامية وتحقق ذلك فى العديد من البرامج تمثل : {١٧ برنامج} .
كتاب للمناقشة – من المكتبة الإسلامية – من شرفات التاريخ – القاموس الإسلامى – الطب الوقائى فى الإسلام – الإسلام والعلم الحديث – رجال ونساء فى ظلال القرآن الكريم – مدينة إسلامية – كتابات حول الرسول – القرآن وقضايا العصر – مساجد لها تاريخ – أعلام الفكر الإسلامى – معالم الحضارة الإسلامية – حصاد الفكر – غذاء الروح – ثقافة إسلامية للجميع – الإسلام فى كل مكان .

هذا بجانب برامج المنوعات الدينية وهذه البرامج موزعة على مساحة كبيرة من خريطة البرامج لتغطية احتياجات فعلية لجمهور المستقبلين وهى على النحو التالى { ٩ برامج } .

سفراء الإسلام – رباعيات – كلمات ومواقف – يوميات مسلم – معالم إسلامية – شخصيات إسلامية – الإسلام وقضايا المجتمع – إذاعة القرآن فى خدمتك – مع المؤسسات الإسلامية .

– ساعات إرسال الشبكات الإذاعية السبع (٤٦ ٩٦٨٨٩) مقابل (٩٧٣٠٢) فى الفترة المناظرة من العام الماضى .
– المتوسط اليومى لساعات إرسال الشبكات السبع (٤٥ق ٢٦٦س)
– مدة الإرسال لشبكة القرآن الكريم (٣٠ق ٧٣٠٤س) مقابل (٧٣٨٣) فى الفترة المناظرة .
– المتوسط اليومى لساعات إرسالها (١ق ٢٠س) .
– النسبه الإجمالية للإرسال الإذاعى (٥٤ر٧ ٪) مقابل (٥٩ر٧ ٪)

البرامج الدينية :

– بلغت ساعات إرسال البرامج الدينية (١٩ق ١٨٧٧٣س) بزيادة قدرها (٥٥ق ١٠٠٢س) عن الفترة المناظرة من العام الماضى .
– بلغت نسبة جملة ساعات إرسال البرامج الدينية (٣٧ر١٩ ٪) من إجمالى ساعات إرسال الشبكات السبع فى حين كانت النسبة فى الفترة المناظرة من العام الماضى (٢٦ر١٨ ٪) .
– بلغ المتوسط اليومى لساعات إرسالها (٣٧ق ٥١س) .
– الشبكة الرئيسية : جملة ساعات إرسال البرامج الدينية (٤٥ق ١٧١٧س) بنسبة (٦١ر١٩ ٪)

الشباب والرياضة : (٣٧ق ٢٣٤س) بنسبة (٨٢ر٦ ٪) بمتوسط يومى (٣٩) .

القاهره الكبرى : (١١ق ٢٥٦س) بنسبة (٧٤ر٦ ٪) بمتوسط يومى (٤٢) .

الاسكندرية : (٢٠ق ٦٢١س) بنسبة (٤٤ر١١ ٪) بمتوسط يومى (٤١ ١) .

وسط الدلتا : (٥٠ق ٥٨٩س) بنسبة (٩٣ر١٧ ٪) بمتوسط يومى (٣٧ ١) .

شمال الصعيد : (٢٧ق ٤٢٨س) بنسبة (٣٨ر١٧ ٪) بمتوسط يومى (١٠ ١) .

شمال سيناء : (٦ق ٤٤٣س) بنسبة (٤٩ر١٥ ٪) بمتوسط يومى (١٢ق ١س) .

جنوب سيناء : (٣٢ ٥٥٣) بنسبة (٤٥ر١٩ ٪) بمتوسط يومى (٣١ ١) .

القناة: (٢٠ ٣٦٣) بنسبة (٩١ر٨ ٪) بمتوسط يومى (- ١) .

الوادى الجديد : (٤٧ ١٩٨) بنسبة (١٩ر١٤ ٪) بمتوسط يومى (٤٤ -) .

الإذاعة التعليمى: (٢ ١٤) بنسبة (٢٨ر١ ٪) بمتوسط يومى (٢ -) .

البرنامج الثانى : (٣٣ ٦٢) بنسية (٤٩ر٤ ٪) بمتوسط يومى (١٠ -) .

البرنامج الأول : (٣٥ ١٨) بنسبة (٣٣ر ٪) بمتوسط يومى (٣ -) .

القرآن الكريم : (٢٠ ٦٩٥٢) بنسبة (٢٨ر٩٥ ٪) بمتوسط يومى (٣ ١٩) .

الشرق الأوسط : (٣٤ ٣٦٥) بنسبة (٤٨ر٦ ٪) بمتوسط يومى (- ١) .

صوت العرب : (٣٤ ١٣٢٩) بنسبة (٥٠ر١٦ ٪) بمتوسط يومى (٣٨ ٣) .

وادى النيل : (١٣ ٢٨٨) بنسبة (٧٤ر١٩ ٪) بمتوسط يومى (٤٧ -) .

فلسطين : (١٥ ٤٠٥)ز بنسبة (٢١ر٢٢ ٪) بمتوسط يومى (٧ ١) .

حجم الإرسال للتليفزيونى فى مجال البرامج الدينيه خلال عام ٩٠ - ٩١ .

بلغ ساعات إرسال التليفزيون خلال عام ٩٠ - ١٩٩١ (٢٨ ١٥٤٩٧) مقابل (٥٦ق ١٤١١٢س) فى الفترة المناظرة من العام الماضى وبلغ المتوسط اليومى لساعات إرسال التليفزيون (٢٣ ٤٤) .

البرامج الدينية : جملة ساعات الإرسال (٥٦ ١٣٠٦) بزياده قدرها (٣٦ ١٥٦) عن الفتره المناظره من العام الماضى .

- بلغت نسبة ساعات إرسال البرامج الدينية (٤٣ر٨ ٪) من اجمالى ساعات إرسال برامج التليفزيون مقابل (١٥ر٨ ٪) وبلغ المتوسط اليومى لساعات الإرسال (٤٨ ٣) .

القناه الأولى : (٢٩ ٥٦٩) بنسبة (٧٣ر١٠ ٪) بمتوسط يومى (٣٤ ١) .

القناه الثانيه : (٢٣ ٣٢٦) بنسبة (١٣ر٦ ٪) بمتوسط يومى (٥٤ -) .

القناة الثالثة : (٤٠ ١٤٩) بنسبة (٢١ر٧٪) بمتوسط يومى (٢٥ -) .

القناة الرابعة : (٥٨ ١١٦) بنسبة (٦٨ر٨ ٪) بمتوسط يومى (٢٧ -) .

القناة الخامسة : (٢٦ ٩٤) بنسبة (٩٢ر١٠ ٪) بمتوسط يومى (٢٨ -) .

القناة الفضائية : (٤٢ ٣٤٠) بنسبة (٢٣ر١٢ ٪) (٤٢ ١) .

الإعلام الإسلامى
وزرع القيم فى نفوس الأطفال

أ. عبد التواب يوسف

أجهزة الإعلام اذا ما أحسن استخدامها ، أدت دورها فى تثقيف جماهير أمتنا، واستطاعت أن تغير من ظروفها، وأن تأخذ بيدها لما هو أفضل وأحسن .. هذا هو ما نستهدفه من هذه الدراسة ومثيلاتها، أى أن نصنع التقدم بواسطتها، ولابد من رسم استراتيجية لكل جهاز منها، ووضع الخطط والبرامج التى تجعل رسالة التنوير مهمتها .. ونحن هنا نحاول أن نلقى الضوء على ما هو كائن فى هذه الأجهزه، ونقترح أفضل السبل لكى نجعل من أجهزة الإعلام وسيلة لتحقيق وصناعة مستقبل أفضل ....

ولن يتأتى لها ذلك إلا إذا تبنت النهج الإسلامى، ومضت على طريقه، لبناء شخصية الأجيال الجديدة .

رباعيات أساسية ترتبط بالطفل وثقافته :

يرى بعض أساتذة التربية وعلم النفس أن الطفل فى احتياج شديد إلى رعاية خاصة لأمور أربعة، تبدأ كلها بحرف (H) .. مما جعلهم ينشئون أنديه خاصة تحمل اسم (4H) ويعنون بها :

. Health, Head, Heart, Hand

أى : الصحة، والعقل ، والقلب، واليد ...

وفى تقديرنا أن هذا المربع قد استطاع فعلا أن يستوعب كل ما يحتاجه الطفل فى عالمنا وفى عصرنا، وعلى المثقفين والمربين والإعلاميين الذين يعملون فى مجال الطفولة أن يولوا هذه الأمور كل عنايتهم ليشب الأبناء أسوياء من خلال الرعاية والثقافة الصحية، والاهتمام بالعقل، والفكر ، وإذكاء المشاعر والأحاسيس الطيبة فى قلوبهم، ثم تدريب أيديهم على أن تكون عاملة منتجة بناءة، وبذلك يصبحون مؤهلين لمواجهة الحياة وأزماتها ومشكلاتها ..

والذين يتحدثون عن ثقافة الطفل، يرونه محاطا بمربع أضلاعه : البيت والمجتمع، والمدرسة، وأجهزة الإعلام، وكلها تؤثر فى الطفل تأثير كبيرا بل تكاد تصنعه ..

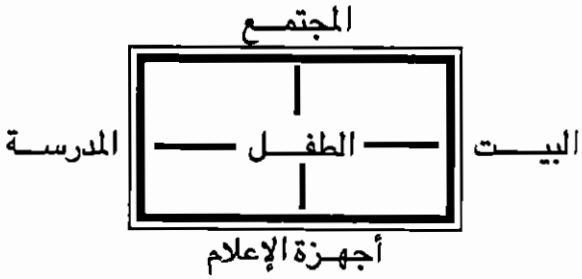

والطفل يحاول أن يحدث فجوات فى أضلاع هذا المربع، من أجل أن ينجو لكى يكون نفسه المتفردة، وذاته الحقيقية وشخصيته المستقلة .. وأجهزة الإعلام ذاتها – فى الواقع – مربع آخر..

أجهزة الإعلام المباشرة
(المجتمع والآباء والمعلمون)

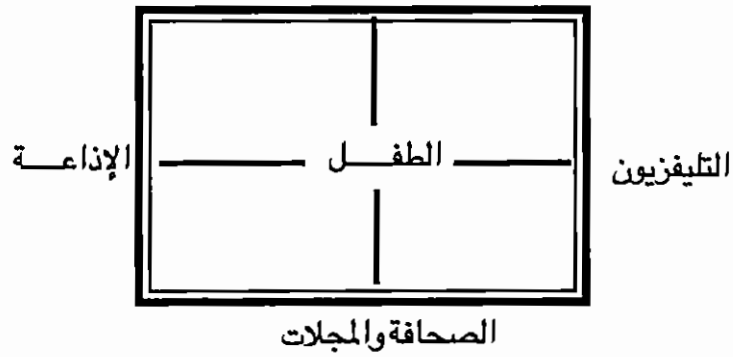

وهذا المربع يلقى بظلاله على الطفل المعاصر إيجابا وسلبا، ويصعب عليه أن يفلت من أسارها ، إذ هى تحيط به إحاطة السوار بالمعصم .

والحق أن الثقافة فى تقديرنا هى حصيلة للإعلام والتعليم، والتربية والتوجيه، وهى أيضا حصيلة للموروثات والخبرات، التجارب والممارسات، بل وهى حصيلة للتسلية والترويح، والترفيه والإمتاع .. وكل ذلك قادرة على أن تعطيه فى سخاء تلك الأجهزة التى نسميها أجهزة الإعلام، فهى تنمى العقول، وتثرى الوجدان، بل وفى استطاعتها من خلال البرامج أن تقى الجسم المرض، بل وأن تبنيه سليما وسويا ، خاصة وهى تصل إلى جماهير غفيرة .. وهى اذا عابتها السرعة، إلا أن هذه هى سمة عصر الصواريخ .. وإذا انحازت للخفة فتلك ضرورة تحتمها طبيعة الأجهزة ذاتها ومستقبليها، الذين ما أن يصيبهم الملل حتى ينصرفوا عما يقدم ... وليس أيسر من زر صغير يخلصهم مما يقدم وتعافه نفوسهم ..

أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة

والمقصود بأجهزة الإعلام هنا ما هو بعيد عن الاتصال المباشر، وهذه الأجهزة تضم الصحافة والمجلات، بما تحتويه من كلمات مطبوعة وصور ورسوم.. ثم هناك التليفزيون بالصورة، والصوت والحركة، واللون، والإذاعة بالكلمة والنغمة، وقد يضيف البعض وسائل ووسائط أخرى مثل

الفيلم، والفيلم التسجيلى بالذات، ثم الكتيبات والكتب، بل والمسرح أيضا يرى البعض من أساتذة الإعلام أن له دورا ..

وقد تركز الحديث فى السنوات الأخيرة على ذلك المارد العصرى " التليفزيون" إذ أنه تسلل إلى أغلب البيوت وربط المشاهدين إلى شاشته ، وأثر فيهم تأثيرا عميقا .

وبودنا هنا أن نشير إلى أهمية و صحافة الأطفال ومجلاتهم، وإلى ذلك الدور الكبير الذى تلعبه ويمكن أن تلعبه فى حياة أبنائنا فى الوطن العربى عامة، وفى منطقة الخليج خاصة . .

وقليلون هم الذين أولوا صحافة الطفل فى المنطقة اهتماما، ولم تحظ بدراسات وبحوث تكشف لنا عن دورها وتأثيرها، مع خطورتها، إذ لا نظن أن التليفزيون قد قضى عليها، كما أن العناية بوجودها متواضع، إذ ما أقلها فى بلادها، وما أضأل عدد النسخ المطبوعة منها، مع أنها الوسيلة الأولى للتدريب على الإفادة من الإعلام، وعلى متابعة الأحداث، بل هى مدخل الأطفال إلى القراءة بشكل عام، وإلى قراءة الكتب بوجه خاص .. إنها " مدرسة " لو أحسن استخدامها على نطاق واسع .

إن الكلمة لها سحرها، ومذاقها .. ويتضاعف السحر والمذاق مع الكلمة المطبوعة، وإذا ما رافقتها الصورة، والألوان، وحسن الإخراج كان للمجلة أثر بالغ فى تدريب عينى الطفل على المشاهدة والاطلاع، وتثقيف العينين – حاسة البصر – يتم برؤية الرسم الجميل والفن المعبر واللوحة الجذابة .. كما تتم بقراءة سطور الكلمات والعبارات لكى تستوعب وتصل إلى العقل .. ثم قراءة ما بين السطور، شحذا للفكر، وتنمية للذكاء .

وصحافة الأطفال – شكلا وموضوعا – مرآه لتقدم أصحابها، والاهتمام بها سمة حضارية، لذلك فإننا نتطلع إليها وإلى الأخذ بيدها لتكون وسيلة إعلام، وأسلوب ثقافة، ولتشارك فى تثقيفهم وتربيتهم وإعلامهم ..

والسؤال الذى تردد دائما :

– هل درسنا صحافة الأطفال ؟ ماذا تنشر ؟ كيف يستقبل الأطفال هذه المجلات ؟ ماذا يجدون فيها ؟ لماذا يقبلون عليها وينصرفون عنها ؟

مجلات الأطفال فى بلدان الوطن العربى :

هناك عدة مجلات تصدر فى المنطقة، توجه إلى أطفالها، وإلى الأطفال العرب فى كل مكان، نذكر من هذه المجلات : سمير (مصر)، "الفردوس"(ملحق مجلة منبر الإسلام سنه ١٩٦٨ إلى اليوم)، مجلة (الطفل المسلم) شهرية، بالإضافة إلى

– "ماجد" تصدر عن الإمارات العربية المتحدة، أسبوعيا ..

- "سعد " تصدر فى الكويت، أسبوعيا ..
- "العربى الصغير" كانت تصدر عن " العربى " فى الكويت شهريا (منذ فبراير ١٩٨٦).

- "مجلتى " و "المزمار" مجلتان أسبوعيتان كانتا تصدران عن العراق، أسبوعيا. وتوقفت الثانية، وبقيت الأولى ..

وهناك مجلات صغيرة تصدر كملاحق، وأركان للطفل متواضعة تنشر فى الصحف اليومية، وفى الكويت مثلا كانت مجلة " الوعى الإسلامى " تصدر ملحقا إسلاميا شهريا للأطفال ، كما كانت جريدة " الراية " فى قطر تصدر ملحقا أسبوعيا ضمن عددها الأسبوعى " الراية الصغيرة " وفى البحرين صدر كتاب فى صورة مجلة، لم يلبث أن توقف، وكان يحمل اسم " كتابى " .. وكانت دار عكاظ فى جدة بالسعودية تصدر مجلة " حسن " الأسبوعية التى أغلقت أبوابها منذ أعوام، بعد صدورها بنحو ثلاث سنوات .. وصدرت " باسم " بعدها بسنوات .

وما من سبيل لحصر كل الجهود الصحفية الموجهة للأطفال العرب والمسلمين، إذ أنها تظهر وتختفى .. وما منّ بلد عربى إلا ولديه مشروعات عدة لإصدار مجلات للأطفال، لكن ارتفاع التكلفة، وقلة العائد المادى يجعل أصحاب هذه المشروعات يتراجعون عنها، رغم عائدها الأدبى الكبير، ورغمإحساسهم بالمسئولية تجاه ضرورة مواكبة الأطفال لما يجرى فى عالمنا من خلال مجلتهم ، وضرورة تدريبهم على الإطلال على أحداث الدنيا من نافذة المجلات التى تتابع الأحداث الكبرى .. غير أن ندرة المحررين والكتاب، ومحدودية التوزيع ، وعدم وجود إعلانات بهذه المجلات يجعل الكثيرين يحجمون عن إصدار المجلات، أو إصدارها ثم بعد قليل لا تلبث أن تختفى .. وليس أدل على ذلك من مشروعات قطرية لمجلة أطفال (دار الراية، المجلس الأعلى للشباب ، دار العهد وأصدرت وزارة التربية عدة أعداد تجريبية من مجلة لها، كما أن دار العهد تصدر ملحقا شهريا لمجلتها الجوهرة منذ بعض الوقت، ولم تتمكن من تحقيق أملها فى إصدارها كمجلة منفصلة) .

وما من دراسة مفصلة حول هذه المجلات، إذ أن أمورها متحركة بشكل يجعل الباحث غير قادر على ملاحقتها، كما أننا لا نعرف أرقام توزيعها، فأصحابها يعتبرون ذلك " سرا " استراتيجيا ، وليس لنا إلا أن نعتمد على ما نسمعه من أصداء لدى قراء هذه المجلات، ولا نظن أن أحدا تصدى لتحليل مضمونها وأثره على أطفال المنطقة، إذ يعتقد كثيرون أن ذلك الأثر محدود جدا كنتيجة حتمية لمحدودية التوزيع .

وهناك سيل المجلات الأمريكيه المترجمة، من بينها " ميكى " من القاهرة، ثم عدد من

المجلات البيروتية (سوبرمان، الوطواط، بطبوط، قوس قزح، لولو، جرانديزر، الخ ...) إنها مجلات تصدر على مدى الأسبوع، حتى أن مجلة منها تصدر يوميا، بتكلفة رخيصة إذ المادة مترجمة، والرسوم منقولة حرفيا مما يهبط بسعر المجلة، ويجعل من الصعب على المجلات الوطنية والقومية منافستها، وهى فيما نرى ترسب فى نفوس قرائها قيما فردية ليست هى ما نرتضيه لأبنائنا، ولا قدرة لنا على منافستها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بفيض من مجلات مدعومة تصدر للصغار.. (لا ننس مجلة افتح يا سمسم التى كانت تصدر عن الكويت لسن ما قبل المدرسة مترجمة بالكامل مصاحبة للبرنامج التليفزيونى الذى يبث تحت هذا الاسم لسن ما قبل المدرسة) .

والمجلات العربية لأطفالنا محدودة العدد، ويكفى للتدليل على ذلك من عدد المجلات التى تصدر للأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية (٤٠٠ مجلة !) ، والتى تصدر للأطفال فى انجلترا(نحو مائه مجلة)، وفى ألمانيا تصدر دار فروزو وحدها ١٧ مجلة للأطفال لعدد من الأطفال هم (١٧). مليون، بينما هناك أكثر من ٤٠ مليون طفل عربى، مجلاتهم لا تزيد على العشر !

وأرقام المطبوع من المجلات العربية بالغة التواضع، فهى لا تتجاوز عشرات الآلاف من النسخ، بينما تبلغ هذه الأرقام عشرات الملايين من النسخ فى البلاد المتقدمة. ووعى الأطفال، وذويهم، فى أمريكا وأوروبايدفعهم إلى اقتناء هذه المجلات، ويدفع المكتبات المدرسية والمكتبات العامة إلى وضعها بين أيدى الأطفال، الأمر الذى يزيد من عدد قرائها، فالمجلة الواحدة فى المتوسط لها خمسة أو أربعة قراء، فى حين نحس أن المجلة العربية الإسلامية لا يتجاوز قراء النسخة منها طفلين أو ثلاثة على الأكثر .. ويزعم البعض أن المجلة أحيانا لا يقرأها الطفل، لعدم إيمان الآباء بأهميتها، وإذا ما اشتروها لأطفالهم فقلما تساعد الأمهات والآباء هؤلاء الأبناء على الاستفادة كاملا منها، لذلك يراها كثيرون ضئيلة الأثر لدرجة لا تكاد تذكر .

وكشفت الدراسات عن الأخطار التى يتعرض لها أطفالنا من خلال فيض المجلات الأجنبية المترجمة الصادرة عن الغرب، والتى تستهدف " تغريب " عقلية أبنائنا، وإبعادهم عن دينهم وتراثهم .. وليس لنا إلا أن نناشد المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، ومنظمة الثقافة العربية، ورابطة العالم الإسلامى بضرورة المساهمة فى توضيح جوانب هذه المشكلة بعقد حلقات دراسية وإجراء بحوث حول مجلات الطفل وأثرها عليه فى الوطن العربى وفى البلاد الإسلامية .

ويرتبط بهذا الموضوع تلك المطبوعات والنشرات والمجلات المدرسية التى تصدر للأطفال، وهى فيما نرى كثيرة ونشطة، ومؤسسات التعليم توليها اهتماما كبيرا، إذ هى وسيلة تربوية تعبيرية إعلامية، تتمكن فيها المدارس من الوصول إلى أعداد كبيرة من الطلاب، وهم يشاركون مشاركة

بناءة فى تحرير هذه المجلات، ومتابعة العمل فيها لكى تصدر (سكرتارية التحرير ، واختيار الموضوعات والصور، ثم أخراجها وطباعتها وتوزيعها ..) والأطفال يعتزون بصدور هذه المجلات عن مدارسهم، الأمر الذى يدفعنا إلى ضرورة تشجيعها، ومساندة القائمين عليها، ومساعدتهم بحلقات تدريبية على إصدار المجلات، وإصدار كتيبات تعينهم فى عملهم، وتجعل هذه المطبوعات المدرسية أقرب إلى المجلات منها إلى النشرات الدعائية، إذ أن اغراءات الإعلام عن المدرسة ومديرها ومعلميها وطلابها أقوى من أن تقاوم، وقلما تكون هذه المجلات (موضوعية) فى مادتها وصدورها، الأمر الذى ننادى به لتبقى المجلة لأبنائها ذكرى حميمة لأيام حلوة قضوها داخل جدران مدارسهم .. كما نود ألا يكون هناك إسراف فى نوع ورقها وطريقة طباعتها، مع ضرورة دراسة مدى تطورها عاما بعد عام من خلال أجهزة التربية ومؤسساتها .

زراعة القيم الإسلامية فى نفوس الأطفال :

" القيمة " هى كل صفة ذات أهمية، لاعتبارات نفسية، أو اجتماعية، أو أخلاقية أو جمالية، وتتسم بسمة الجماعية فى الاستخدام .. والقيم – عامة – هى موجهات السلوك أو العمل، ومعنى ذلك أن مجموعة القيم التى يعتنقها شخص من الأشخاص هى التى تحركه نحو العمل وتدفعه إلى السلوك بطريقة خاصة، ويتخذها مرجعه فى الحكم على سلوكه بأنه مرغوب فيه، أو مرغوب عنه، ولا شك أن أثر ذلك يعود على المجتمع خيرا أو شرا طبقا لنمط السلوك وكيفيته والمرجع القيمى له.. وكلما كان الإطار القيمى لمجتمع من المجتمعات يضم مجموعة من القيم الخلقية التى لها وزنها واعتبارها فإن مسار الحياة فى ذلك المجتمع يرقى وينهض.. وتنبع القيم من التفاعل الاجتماعى فى المجتمع ووفق تصرفات أفراده التى تحمل عناصر ثقافتهم الخاصة .. وهذا الذى يشيع بين الناس فى مجتمع من المجتمعات، ويحكم تصرفاتهم، ويعدونه مرجع الحكم عندهم هو بعينه الذى نسميه " قيمة " .. والقيم ذات ثبات واستمرار، غير أن ذلك نسبى وليس مطلقا، كما أنه قد يحدث انحراف عن مسار القيم السائدة بدرجات متفاوتة، إذ تعتبر القيم هدفا يسعى الأفراد إلى تحقيقه فى أنفسهم وفيمن حولهم.. وهى تنشأ وترتبط بالحاجات الأساسية للإنسان .. وقد يعبر عنها بشكل مباشر وقد تكون ضمنية تختفى فى طيات السلوك والتصرفات .. وهى تترتب وفق أفضليتها ومستوى أهميتها وتقديرها .. ولما كانت القيم السائدة فى مجتمع من المجتمعات هى معيار تحركه نحو أهدافه، وهى المقياس الذى يزن له بكل دقة أموره واتجاهاته فإن مجتمعنا محتاج إلى القيم العربية الإسلامية التى تأخذ بيده كى يرقى وينهض ويواكب الزمن الذى يعيش فيه ..

وقد صنعت أرضنا أولى حضارات الإنسان فى مصر وبابل وآشور وفينقيا واليمن السعيد والحضارة فى ذاتها قيمة عليا – كما أن أرضنا نبتت فيها الحضارة الوسيطة حين رفعت لواء الإسلام والعروبة من قلب الجزيره إلى العالم .. وإذا كنا قد تخلفنا عن الحضارة المعاصرة فإن ذلك يرجع أساسا إلى رفضنا لقيمها المادية غربا، والإلحادية شرقا .. وقد أصبح لزاما علينا نحن الذين بنينا الحضارة القديمة والوسيطة أن ننهض بعبء الحضارة القادمة، ونحن وحدنا المرشحون لها بإيماننا بالله ورسله وكتبه، والقيم التى جاءتنا من السماء .. والأجيال الجديدة هى صانعة هذه الحضارة الجديدة، وبالتالى فهم ليسوا أملنا وحدنا، بل أمل الإنسانية كلها، ورجاؤها فى انتشالها من هذه الهوة التى تردت فيها .. وصناعة هذه الأجيال هى مسئوليتنا، وإذا كان زمام أمورهم فى أيدينا الآن، فإن الغد سيجعل زمامنا فى أيديهم .. ومن هنا تأتى أهمية القيم التى يعتنقونها : القيم الدينية الإسلامية، والقيم القومية العربية، التى نستطيع أن نغرسها فى نفوسهم .. وهنا تبرز بعض الأسئلة :

– ما هى هذه القيم ؟ وكيف نستنبتها فى نفوس الأطفال ؟ ومن ينهض بهذا العبء ؟ !

القيم الدينية الإسلامية :

تستهدف القيم الدينية الإسلامية إقامة علاقة طيبة بين الإنسان وربه، بتأدية حق الله ، والالتزام بأوامره سبحانه وتعالى ونواهيه، وأداء العبادات المفروضة، كما تستهدف إقامة علاقات طيبة بين الإنسان والناس، فيلتزم بواجباته نحوهم، وحيال الحياة على هذه الأرض، وأن يعرف للآخرين حقوقهم فيؤديها على أكمل وجه، وأخيرا تستهدف إقامة علاقة طيبة بين الإنسان ونفسه، وينهض بما يمليه عليه ضميره، ويشعر بلون من الرضا عن ذاته، فى عصر التمزقات النفسية والتوترات والعقد، التى لا حل لها إلا بالإيمان والدين، وممارسة الشعائر، وبذلك يتحقق لهم الخير، فلا يقسو الواحد منهم على نفسه ويعذبها، ويتمادى فيدمرها ..

والقيم الدينية مسئولية مشتركة ما بين البيت والمدرسة والمجتمع، و أجهزة الإعلام والثقافة .. ونحن نتوقع الكثير من البيت، لكن الحال معروف، ونسبة الأمية مرتفعة، لذلك ندرك أننا لن نلقى من الأسرة معونة كبيرة، بل كل ما نوده ألا تعرقلنا عن أداء دورنا، إذ كثيرا ما تقدم قشور الدين، وأشياء بعيدة عنه .. أما المدرسة فهى بيئة العلم والمعرفة، وليتها تنهض بهذا العبء عن طريق المعلم القدوة، وبواسطة المناهج والمقررات التى تتناسب مع مراحل عمر الأطفال .. لكننا نلاحظ أن الكتب المدرسية تحتشد بما هو فوق مستوى إدراك الطفل، ونحن نريد للقيم الدينية قبولا يتفق مع أهميتها وجلالها، ونود أن نرسخ بها الإيمان فى قلوب الأطفال، غير أن الهدف يختلف عن الأسلوب والوسيلة ، والانفصام هنا خطير ، لأننا نريد أن يشيع جو من الإيمان

والتقوى لا تنفصل فيه مادة الدين عن الحياة، بل يمتزجان ليزيد الصغير رغبة فى معرفة ربه ودينه، وليتخذ منه دستورا لحياته ..

وتنشأ معرفة الدين، منذ فترة مبكرة فى حياة الطفل، بتساؤلات عدة، كما تنهال علينا استفسارات الأبناء حول " الله جل جلاله "و " الجنة والنار " و " الثواب والعقاب" و " الخير والشر" .. وما أكثر ما يصعب على الآباء تقديم إجابات كافية شافية، ترضى حب الاستطلاع فى نفوس الأبناء، وما أشد حاجتنا لأن تنهض أجهزة الإعلام – وبالذات الإذاعة المرئية والمسموعة – بدورها فى هذا المجال، مع الكتاب والمجلة .. ولسنا ننكر أن الإذاعة أصبحت تقدم كما كافيا من البرامج الدينية للكبار، لكنها ما زالت قاصرة، ومقصرة فى مجال برامج الأطفال، ونسبة المواد الدينية فى هذه البرامج تتوقف على شخصية المسئول عن البرنامج، وكثيرا ما تكون فى المناسبات فحسب ، وفى رمضان، والعيدين، وفى الهجرة ومولد الرسول، وربما فى ذكرى الإسراء والمعراج، وما من تخطيط وتنسيق لما يقدم بشكل عام، وبالتالى لا نتوقع فى مجال الطفل والدين خطة متكاملة لدى الإذاعة، لكى تحقق أهدافها الإعلامية التعليمية، والتوجيهية الثقافية، والترويحية التربوية خاصة فى فترة تموج بالتيارات والأفكار الدينية، وبعضها جامع جانح.. لذلك فإن مسئولية كبيرة تقع على أجهزة الإعلام، خاصة تلك الأجهزة الواسعة الانتشار فى الوديان والصحارى والريف، التى تستطيع عن طريق وسائلها المشوقة تقديم مادة دينية يقبل عليها الكبار والأطفال، مستخدمة فى ذلك الأداء التمثيلى، والمؤثرات الصوتية، والموسيقى التصويرية .. بجانب أحاديث كبار العلماء الذين يجتذبون إليهم الجماهير، ولا يفوتنا أن نشير إلى الدور الكبير الذى تؤديه تلاوة القرآن الكريم، ومن الإحصائيات ثبت أن الإقبال على الاستماع إلى كبار المقرئين يشكل نسبة مرتفعة من بين المواد التى تلقى الاهتمام ..

لكننا حتى الأن نبتكر وسيلة مثلى لتلاوة القرآن الكريم للأطفال من خلال الشاشة الصغيرة والميكروفون .. لقد تقدمنا كثيرا فى مجال التلاوة للكبار بالقراءات السبع، والمصحف المرتل وغير ذلك من أساليب التلاوة، واستطعنا من خلال نقل التلاوة من المساجد، لكبار المقرئين فى الفجر، وفى المناسبات الدينية، أن نشد إلينا الآذان والقلوب، ولكن واحداً من المقرئين، أو الإذاعيين لم يجد أو لم يعثر على طريقة نجتذب بها الأبناء لسماع التلاوة، خاصة فى أعمارهم الصغيرة .. ولعل هذه تكون دعوة للمقرئين والإذاعيين لكى يجدوا سبيلا لتقديم تلاوة القرآن الكريم للأطفال .. خاصة وهم يجرون مسابقات فى حفظ أى الذكر الحكيم بينهم، ولكم يهزنا – كبارا وصغارا – ذلك المنظر الرائع الذى نراه بين حين وآخر، عندما نستمع إلى أطفال فى سن الخامسة والسادسة يحفظون قصار السور، بل لقد عرفنا من هم فى سن التاسعة والعاشرة وقد حفظوا

كل آيات القرآن الكريم .. وهذا شئ رائع، ولكنه يحتاج منا إلى بعض التفاسير، تكمل هذا الجهد الذى يثاب عليه الابن وأهله .. ونشعر أن هناك قصورا فى تقديم تفسير للقرآن يتفق مع أعمار الأطفال، وهناك محاولة أصدرتها دار المعارف بمصر منذ سنوات، إلا أنها فى ثلاثين جزءا، وقد تصلح للشباب، ويقينا لا يمكن للأطفال قراءتها .. وما يقال عن القرآن الكريم، يمكن أن ينطبق على الأحاديث الشريفة، وهى لغويا أيسر، ومن الممكن تقديم قصص مستوحاة من الآيات والأحاديث يسهل فهمها، خاصة ولدينا الكثير من حكايات ترضى الأبناء من كل الأعمار وردت فى القرآن الكريم والحديث الشريف، ولقيت هذه القصص اهتماما بالغاً من جانب القراء الناشئين، وكما أعددنا بعضا منها فى صورة برامج تمثيلية قدمت من خلال الإذاعة.

وقد دأبت الإذاعة على أن تذكر الناس – كبارا وأطفالا – بمواقيت الصلاة، فتقدم الإذاعة من خلال الميكروفون، وأحيانا تقطع برامجها لتذيعه، وفى أحيان أخرى تكتفى بلفت النظر إلى أن موعدها قد حان.. كما أنها تنقل على الهواء مباشرة تلاوة القرآن والخطبة والصلاة فى أيام الجمع، وفى مناسبات دينية أخرى تقدم إذاعة خارجية لصلاة الفجر. ولا تفوتها بالطبع صلاة العيدين .. كما أنها – أى الإذاعة – تقدم أحاديث وبرامج عدة عن الصلاة، كقاعدة من القواعد الخمس للإسلام .. والمواد الدينية تزيد فى شهر رمضان .. وبعضها تتجه للصغار فيما يختص بالصوم .. لكن كثيرا ما يحفل الشهر الكريم بمواد لا تمت إليه بصلة، بدعوى أنها برامج للتسلية. كما أن هناك اهتماما بالزكاة قبيل آخر رمضان ..

لكن السؤال : ما نصيب الأطفال من كل هذا ؟

الواقع أنهم قد يحصلون على نصيب منه، وقد لا يصلهم شئ، إذ أن مواعيد برامجهم ثابتة، كما أن المادة التى تقدم قلما تكون مبسطة فى مستوى أعمار الأطفال ..

والآن .. ما هو أقوم وأفضل سبيل لزرع القيم فى نفوس الأبناء ؟

مما لاشك فيه أن " القدوة " هنا هى المدرسة الأولى .. القدوة فى البيت، ومعاهد التعليم، والمجتمع بشكل عام، وتستطيع الإذاعة – مسموعة ومرئية – أن تقدم نماذج رائعة، تصلح قدوة لأبنائنا فى كل مجال من مجالات الحياة .. وتأتى معرفة الإنسان للدين خطوة تالية على طريق التربية الإسلامية، وهذه المعرفة لا تكون فحسب عن طريق التلقين، والشرح، والإفاضة، والتكرار .. فقد ينصرف الصغار، والكبار عن هذا الأسلوب الذى درج البعض على أن يقدموه فى صورة تاريخية مع بعض آيات الذكر الحكيم والأحاديث، ثم جانب من العقائد والعبادات.. وكل ذلك مطلوب، لكن الوسيلة إليه يجب أن تكون حديثة عصرية، تواكب الحياة.. كما أننا لابد وألا نغرس فى نفوس الأبناء التواكل بدلا من الاتكال على الله، وألا ندفع بهم من خلال الحديث عن العقاب

والنار إلى الخوف والرعب بدلا من أن نشعرهم بالأمان والاطمئنان إلى رحمة الله بعباده .. وألا نزج بهم إلى " التعصب " بدلا من التسامح. كما أن البعض بما يقدمه يجعل الصغير متواكلا معتمدا كل الاعتماد على أن الله سيحقق له كل شئ، دون أن يبذل الصغير من جانبه أى جهد، كما أن سن الأبناء قد تدفعهم إلى فهم قشور الدين والتعصب للمظهر دون الجوهر .. ولا نرغب فى أن يسجن أبناءنا أنفسهم فى الماضى، ويعيشوا فى التاريخ فحسب، بل لابد أن الجميع يدركون أن الدين وراء الحضارة، فكلنا نؤمن بأنه دين للحياة الدنيا والآخرة، فلا تواكل ولا تعصب ولا رهبانية ولا غيبية ولا تخويف، بل نعيش ديننا ودنيانا، بمعنى أننا نستطيع أن ندرك عظمة الخالق من قراءة ودراسة موضوع فى العلوم، فالدين يجب ألا يقتصر على حصة فى المدرسة أو برنامج ما فى الإذاعة بل أننا ندرك أن قدرته سبحانه وتعالى فوق كل قدرة حين نتعرف إلى الخلية الحية، أو إلى الذرة، ولا نملك إلا أن نزداد إيمانا به حين نتطلع إلى الفضاء وإلى الكواكب والنجوم .. وفى قراءتنا ودراستنا وسماعنا للتاريخ يجب التركيز على الحضارة الإسلامية، وكيف كان الدين وراء الأزدهار العربى والتقدم العربى .. إن الدين يمكن أن يكون مدخلا رائعا لكثير من ألوان الثقافة والمعرفة، كما يمكن تضمينه خلال كثير من البرامج والمواد الإذاعية، وبودى أن نقرب لأبنائنا كتاب الله ، القرآن الكريم، لغة وفهما .. إن الله حين أراد أن يهدى البشر بعث إليهم بهذا " الكتاب " الذى يصلح من الألسنة المعوجة، بل والقلوب والنفوس المعوجة أيضا .. وقد درجنا على تحفيظ الأبناء بعض قصار السور وعلى اختيار بعض الآيات الكريمة لشرحها لهم ليتنا نختار لهم القصص التى يمتلىء بها الكتاب المبين .. ويجب أن نفتش عن أنسب سبيل لكى نفتح القلوب لقراءة القرآن كله، وللاستماع إليه خلال أجهزة الإذاعة والتليفزيون، مع مراعاة الثروة اللغوية لهم، وسنين العمر التى عاشوها .. كما أن الأحاديث الشريفة – إذا شرحت – سوف تلقى من الأبناء كل إقبال وحب ..

إن رحلتنا مع الإيمان منذ الطفولة تجعلنا ننادى بضرورة تقديم مفهوم الألوهية للأطفال على أنه حب، ورحمة .. يجب أن نبعد ما بين الأبناء وما بين الخوف والرهبة من الله .. إن كل كبير – كالأب والأم – يمثل بالنسبة لهم سلطة إرهاب ويتسبب فى إحباطات لا نهاية لها، ومن هنا فإن التناول لمفهوم الألوهية والحديث عنها يجب أن يكون بفهم وعمق وحب وود، والإجابات على الأسئلة تكون فى حدود ولا تفتح الأبواب لألف سؤال جديد .. ولعل حديثا واحدا يقربهم لمفاهيم الدين والإيمان ويفتح مغاليق القلوب أفيد بمراحل من دراسات معقدة، لا تترك فى ذهن متلقيها شيئا، ولا ترسخ فى نفسه ذرة من إيمان .. وفى شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة – مما يشد الصغار، وما يبهر الكبار، وليتنا نقدم لهم هذه الشخصيات الرائعة فى

ثوب يجعلهم يجرون وراء معرفتها معرفة حقيقية، وأيضا حياة الخلفاء والحروب الإسلامية والبطولات .. بشرط أن نربط كل ذلك بالواقع المعاصر فلا يبقى فى إطار التاريخ، وفى إطار (ليس فى الإمكان أبدع مما كان) .

إن جهودنا فى موضوع الدين كبيرة ولكنه أمر يتجاوز أهميته كل أمور الحياة وموضوع من أخطر موضوعات الدنيا، وأن ما نجنيه منه إذا نجحنا فيه فسوف يكون أروع ثمار التربية، فإنه أمر يصل بالقيم والسلوك ويتصل بالتطور والتغيير، ويتصل بالمجتمع والعدالة الاجتماعية، ويتصل أخيرا بصلة الإنسان بنفسه، وهى صلة لابد أن تعمر بالإيمان، بدلا من أن ينفصل وينفصم عنها وتصيبه أمراض العصر النفسية من " غربة " و " تمزق و " توحش " و " غضب " وغير ذلك من أوبئة وافدة، ناجمة عن بعد مجتمعاتهم عن الدين والإيمان .. إن أبناءنا بخير، ما داموا يعرفون ربهم، ويعيشون على صلة به سبحانه وتعالى " ماداموا يعرفون تعاليمه، وفروضه تجاه مجتمعهم، وما داموا يعرفون واجبهم نحوه جل وعلا إزاء عطائه الكبير .. ليتنا نعيد النظر فى كتبنا فى هذا المجال .. ليتنا كمجتمع نبذل جهدا أكبر لدعم القيم الدينية فى النفس، ليتنا كأسرة تغرس بذور الإيمان فى نفوس الأبناء بكل الأساليب والصور، ليتنا كأجهزة إعلام نعرف الطريق الصحيح إلى القلوب المؤمنة والعقول الواعية، نرسخ فيها قيمنا الدينية، لكى يعمر ما بين الإنسان وربه، والإنسان ومجتمعه، والإنسان ونفسه .

القيم العربية وتنشئة المواطن الصالح :

تستهدف القيم العربية خلق المواطن الصالح، الذى يحافظ على حقوق وطنه العربى فى مواجهة تحديات العصر، ومحاولات العدوان على أرضه وإنسانيته وثروته، والذى يتمسك بتراثه العريق ويحميه ويعايشه، والذى يناضل من أجل أن تعيش بلادنا مواكبة للحضارة، غير متخلفة عنها، والذى يؤدى واجباته حيال الوطن والمواطنين، ولا يغفل لحظة عن الأخذ بأسباب التقدم والرقى .. وهذه الأهداف تتفق مع مبادئ حقوق الإنسان العالمية، وميثاق الأمم المتحدة، وميثاق جامعة الدول العربية، وتتفق أيضا مع قرارات المؤتمر الثقافى العربى الرابع (الذى عقد فى دمشق عام ١٩٥٩) وتوصل إلى أن المواطن المستنير هو الذى يتصف بالتالى :

أولا : أن يعرف نفسه وقدراته ومكانه من أمته وواجبه لهذه الأمة وحقه عليها .

ثانيا : أن يدرك الوضع الاجتماعى الذى يعيش فيه من الأسرة إلى البيئة المحلية والوطن والعالم، متدرجا فى ذلك بتدرج مراحل نموه .

ثالثا : أن يفهم على مستوى ذلك التدرج المشكلات الاجتماعية ويكتسب القدرة على مواجهتها

والمشاركة الإيجابية فى حلها .

رابعا : أن يؤمن بواجب الخدمه العامة ويقبل عليه تلقائيا بإخلاص وبصيرة .

خامسا : أن يعرف مهام الحكومة وأنواع الخدمات والواجبات العامة التى يؤديها ووسائلها وكيفية حصوله على حقه منها وواجبه نحوها .

سادسا : أن يعرف مكان وطنه من العالم ومركزه من القيادات العالمية والتكتلات الدولية والسياسات المعاصرة .

سابعا : أن يؤمن بالله وبالقيم والمثل التى تربطه إلى أمته وتحدد أهدافه وسلوكه الاجتماعى والإنسانى .

ثامنا : أن يترجم هذا الإيمان وهذه المعرفة بسلوك اجتماعى وعمل إيجابى يحقق الأهداف القومية .

ولا أظن أن هناك خلافا حول هذه الصفات التى نتطلع إلى زرعها فى نفس الطفل العربى .. وعلى الرغم من أن حلقة الاهتمام بالثقافة القومية للطفل العربى لم تتعرض لموضوع التربية القومية بشكل مستقل إلا أننا نجد فى ثنايا توصياتها ما يفيدنا فى هذا الشأن فقد ركزت على ضرورة تعريف الطفل بوطنه وربطه بماضيه وحاضره ومستقبله، وتعريفه بأهداف أمته وأمانيها مع تنمية مشاعر إيمانه بعروبته وثقته فى مستقبل هذه الأمة، حتى يحس بمواطنته العربية التى تعلو على مواطنته القطرية، مع تحصينه ضد العصبيات والنعرات القبلية والطائفية والإقليمية وتأكيد قدرة الإنسان على صنع الواقع والتاريخ، وبالتالى خلق الثقة فى نفوس الأطفال بقدرتهم على تحقيق الأهداف التى يصبو إليها مجتمعهم .

ولا رغبة لنا فى أن تثير هذه الأهداف اتجاهات عنصريه، تصور الإنسان العربى متفوقا على الجميع، فإن قيمنا ترفض ذلك .. كما لا نود أن نتباكى على حالنا حتى لنكاد نيأس من قدرتنا على التقدم .. لا نريد غرورا، ، وصلفا بما لدينا، كما لا نريد الشعور بالدونية والضعف .

وقد نتفق على هذه الأهداف، لكننا نختلف فى السبل إليها .. البعض يريد أن يدع الأطفال يعيشون طفولتهم، ولا يرغب فى أن يثقل كاهلهم فى هذه السن الغضة بالمشكلات والأزمات، وفى يقين هذا الإتجاه أننا إذا وفرنا السعاده للطفل شب سليما وقادرا على تحمل أعباء المستقبل.. ويرى هؤلاء أن دفع الأطفال خارج نطاق طفولتهم يفسدهم ويفسد عليهم الحياة حاضرا ومستقبلا .. لكن هناك اتجاها آخر يرى أنه يجدر بنا ألا نصور الحياة على أنها وردية خالية من الأزمات، فالمشكلات تحيط بنا من كل جانب، والأطفال لا يعيشون

فى أبراج عالية، بل فى عالم ملئ بالصراعات والتناقضات التى لا يمكن الهروب منها، بل لابد من التصدى لها، بغرس الاهتمامات العامة فى نفس الطفل حتى لا يشب فى عالم وهمى لا وجود له، وحتى لا يكبر متراخيا، وتفاجئه المشكلات ويكتشف بعد فوات الأوان زيف ما قدمنا له .. إن التربية فى رأى هؤلاء إعداد للحياة، وهذا الإعداد يتطلب منا أن نجعل الطفل يعايش واقعه ويواجهه ويجابه ما يمكن أن ينتظره وراء منعطفات الطريق من أمور يجب أن يستعد لها ويجهز أسلحته ويشحذها .

والحق أن التربية العربية لا تجد مناصا من اتباع المدرسة الثانية، فالسعادة لا تعنى الغيبة عن الواقع والهروب من المشكلات، بل تعنى أن نكشف للأطفال ألوانا من السعادة يرتادونها .. فالانتصار على المشكلات سعادة كبيرة، وإعداد الطفل نفسيا وعقليا وفكريا لمواجهة الحياة أصبح ضرورة حتمية، وفكرة ترك العمل السياسى للسياسيين فكرة مرفوضة، إذ لابد أن يمارس أبناؤنا " الوطنية " و " القومية " بمعناها الحقيقى، كجزء من التربية، وليست كجزء من مناهج الدراسة ومقرراتها فحسب، والطريق طويل وشاق فى هذا المضمار، لكن الممارسة تضمن لنا تحقيق الأهداف .

ونحن فى مسيس الحاجة إلى إشباع الحاجات الأساسية للأطفال لكى يشبوا مواطنين صالحين.. لابد من إشباع الاحتياجات البدنية، فالعقل السليم فى الجسم السليم، كما لابد من اشباع الإحتياجات النفسية : كالشعور بالأمن والأمان والاطمئنان، ومثل إرضاء رغبة الطفل فى المعرفة وحبه للاستطلاع، وطموحه للاستقلالية، وألا نفرض عليه سلطتنا بشكل يقهره .. كما أن الطفل فى حاجة إلى أن نوفر له الاحتياجات الاجتماعية، كأن يكون محبوبا، وأن يحب الآخرين، وأن يكون بينه وبين الناس جسور اتصال ومودة، بجانب شعوره بتقدير الجميع له واحترامهم إياه .. فضلا عن حاجة الطفل إلى تحقيق الذات وإثبات الوجود .. وهذه الاحتياجات لا تقل أهمية عن حاجته للتعلم والسيطرة على منابع المعرفة، ومعرفه مواطنها .

ومن الضرورى أن نركز على أن التربية عامة، والتربية العربية خاصة ليست مجرد معارف ومعلومات، بل هى قدوة من الكبار للأطفال، وممارسة عملية يجب التدرب عليها، خاصة وليست لدينا تلك الهيئات والمؤسسات التى تنهض بهذه المسئوليات .. وأجهزة الإعلام والثقافة قد تشارك فى هذه المهمة ببعض برامجها، لكن ذلك لا يكفى، فلست أعرف إذاعة أو تليفزيون فى البلاد الإسلامية – غير مصر – يقدم نشرة أخبار مبسطة للأطفال ويشفعها بالشرح والتبسيط للقضايا الإسلامية و العربية والعالمية ، فى ظروف تشتد فيها حاجتنا إلى هذا اللون من المواكبة الدائمة لما يجرى على الساحات الثلاث، خاصة فى مجالات التقدم العلمى والتكنولوچى .. إذا اتسعت الهوة

بين عالم التقدم وعالم التخلف فى دنيانا، ولم يعد دخل الفرد، ولا استهلاكه هو القياس للرقى، بل إنها معدلات النمو فى شتى مجالات الحياة .. ولن يتأتى لنا رفع هذه المعدلات إلا بتربية الأبناء على الولاء للوطن والعمل للصالح العام، واعتبار هذه الأمة أسرة واحدة، إذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وأخذ البعض بيد الآخر إلى الأمام، مستمدين دستورنا من تراثنا العريق، على أن نتمشى مع روح العصر لنجد لنا مكانا على هذه الأرض.

إن الأهداف واضحة، والإمكانات والموارد المتاحة ليست بقليلة، ومن الميسور أن نرسم استراتيچية يقوم بتنفيذها كل من البيت والمدرسة والمجتمع وأجهزة الإعلام من أجل غرس القيم العربية الإسلامية فى نفوس الأطفال، ومنها نضع الخطط والبرامج التنفيذية التى تنهض بالطفولة.

ولعل أهم ما يحتاجه هذا هو أن نتعرف على مالدينا، وبالذات فى مجال الإعلام والثقافة، وإجراء مسح شامل لما هو قائم ، ليكون ذلك هو المنطلق إلى تربية الأبناء دينياً وقومياً، ومما لاشك فيه أن هناك تأثيراً كبيراً وقوياً وواضحاً لهذه القيم على برامج الأطفال الإعلامية والثقافية، لكن المشكلة التى تواجهنا بحق :

– هل نستطيع الوصول بهذه القيم والمثل إلى أعماق أطفالنا ؟

الجواب لدى أجهزة الإعلام الإسلامى والعربى.

وبعـــد ..

إن النظرة المستقبلية تحتاج منا إلى الكثير من المواد الخاصة ببرامج الأطفال الإسلامية، وهى تعوزنا إلى حد كبير، لذلك فإن الأفكار التى نطرحها لا نبدأ فيها إلا من منطلقات تصويرية وليس من أرض الواقع. لكنها فرصة لنا لكى نتخيل، ونتصور، ونحلم. وهى أمور نتطلع إلى غرسها لدى أطفالنا، فما من سبيل للابتكار والإبداع أفضل من هذا، ونحن بهذا نضع بذرة فى تربة طيبة، وكل أملنا أن تنمو، وتزدهر وتثمر، ولن يتأتى هذا إلا من خلال الحوار والمناقشة وأجدر بنا أن يلتقى التربويون مع الإعلاميين، ويشاركهم العاملون فى مجال ثقافة الأطفال ليجددوا الأهداف ، ويرسموا الاستراتيچية ، ويضعوا الخطط والبرامج التى تكفل لنا مواد تجذب أطفالنا من أجل تثقيفهم، وتربيتهم، وتجعل منهم صناعاً رائعين لمستقبل أفضل .. خاصة ونحن نفتقد بشدة الكاتب الإسلامى للأطفال، لأن علماء الدين ليس ميسوراً لهم النهوض بهذه المهمة، لأن خبراتهم فيها متواضعة، كما أن كتاب الأطفال ليسوا علماء دين، وإمكاناتهم فيه قليلة، وهؤلاء وأولئك قد لايجدون سبلاً ميسرة للإبداع فى هذا المجال الحيوى، خاصة وهناك من المغريات الأجنبية ما يجتذب الأطفال.

ومما يعيب أجهزة الإعلام عامة بالنسبة للأطفال هى أنها تحولهم إلى متلقين سلبيين.. وتثقيف الأطفال يرفض ذلك رفضاً باتاً، بمعنى أنه لابد وأن «يشارك» الأطفال بشكل أو آخر، وأن يكونوا إيجابيين، لهم دور ما فى هذه البرامج.

والسؤال : كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟

الإعلام المباشر من الآباء ، والمربيين، والمثقفين، وأمناء المكتبات لا يفتقد هذه الصلة الإنسانية، وهو باستمرار «أخذ وعطاء» ، وليس مجرد طريق فى اتجاه واحد: من «الجهاز» إلى «المتلقى»، بل هو فى اتجاهين، والمناقشات فيه يمكن أن تكون السبيل الحقيقى للثقافة، خاصة إذا كان «المُعْلِم»- اسم فاعل من الإعلام - معلماً ومربياً وقدوة..

أما أجهزة الإعلام - من صحافة وإذاعة وتليفزيون - فهى تواجه مشكلة الاتصال من جانب واحد، إيجابى ، مع طرف آخر يحتاج إلى الكثير ليتحول من سلبية التلقى إلى إيجابية المشاركة..

وقد سبق ونحن نناقش برامج الإذاعة أن وضعنا عدة مقترحات بشأن جعل المتلقى إيجابياً، كأن ننشىء نوادى للمشاهدة والاستماع، ونهتم بالاتصالات التليفونية من جانب المستقبل، وأن نولى البريد عناية كبيرة كأن يقام قسم خاص به يتولى الرد عليه، بحل المشكلات، أو تقديم المعلومات لمن يطلبها ويسأل عنها، بجانب تقديم المواد التى يرسلها الأطفال من خلال الجهاز الإعلامى، فتنشر فى المجلات، وتذاع من خلال الميكروفون، ونراها بشكل أو آخر على الشاشة الصغيرة.. هذا، بجانب المسابقات المستمرة والاستفتاءات والاستبانات التى يطلب من الأطفال الرد عليها ، ولابد من التفنن فى إبراز استجابة المتلقين لهذه البرامج ذات الطابع الإسلامى.

إن الإعلام - كما يقولون - مرسل، ومادة ، ومستقبل ، ورجع صدى ذلك الاستقبال .. وما من مادة أروع من الإسلام: القرآن والأحاديث الشريفة، العقيدة والعبادات، السيرة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين ، بجانب القيم الإسلامية الرفيعة.

أجهزة الإعلام قادرة بلا شك على أن تغير من ثقافة أطفالنا وتطورها .. قد تكون المهمة صعبة، إلا أنها جديرة بأن نتحملها، وننهض بها لأن تعنى الكثير، إذ أن مستقبل الأمة رهين بتضافر الأسرة والبيت، المدرسة والمجتمع مع أجهزة الإعلام ووسائل الثقافة من أجل ثقافة أصيلة ومعاصرة فى نفس الوقت تحمى أبناءنا من السلبيات ، وتحسن بناءهم وتثقيفهم ليكونوا جديرين بانتمائهم إلى هذا الوطن وإلى أمة المسلمين.

عبدالتواب يوسف

كاتب هذه الورقة هو: أمين عام اتحاد كتاب مصر، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية حاصل على جائزة الملك فيصل العالمية فى الآداب سنة ١٩٩٠، وجائزة الدولة التشجيعية فى أدب الأطفال سنة ٧٥ ، وجائزة الدولة فى ثقافة الأطفال سنة ٨١، وجائزة منظمة التنمية والثقافة والعلوم سنة ٩١ عن كتاب طفولة النبى ﷺ للأطفال ، بجانب وسام العلوم والفنون ووسام الجمهورية، وله أكثر من ١٢٠ كتاباً إسلامياً للأطفال، ومائة كتاب ثقافى لهم، بالاضافة إلى آلاف البرامج الإذاعية لهم.. ترجمت أعماله إلى الفارسية والأردية، والانجليزية ، والفرنسية، والصينية، وطبع من كتابه «حياة محمد فى قصص» خمسة ملايين نسخة، وعدة طبعات من فرسان الإسلام، المكتبة القرآنية للأطفال، أركان الإسلام.

دور الإعلام .. فى تنمية المجتمعات الإسلامية

أحمد عبد اللاه
صحفى بجريدة المساء

مقدمة

لا يختلف اثنان على أن الإعلام بوسائله المختلفة يعد من العناصر الأساسية فى تنمية المجتمعات .. والنهوض بها .. فالإعلام لا ينفصل بطبيعته عن قضايا المجتمع الذى يعيش فيه .. ومن ثم فالوظيفة الإعلامية وظيفة شاملة لحركة الحياة والمجتمع ولا تكف عن مواكبة كل حدث أو موقف .. ترصد وتبحث وتسجل وتعلق فى كل الأنشطة والمجالات سياسية كانت أم ثقافية أم إدارية أم اقتصادية .. الخ .. والإعلام فى كل ذلك هو الأداة التى تطرح على الناس القضايا المختلفة وتسعى إلى حلها والإجابة على أى تساؤلات، الأمر الذى دعا إلى عقد المؤتمرات الدولية وإجراء البحوث العلمية بشأن السياسات الإعلامية . .

والإعلام قديم .. قدم المجتمع البشرى .. وقد وجد الإعلام بشكله البسيط { نقل الأخبار والمعلومات بصورة موضوعية} بوجود الإنسان .. وكانت أولى عمليات الإعلام فى التاريخ تجرى بالملاحظات والإشارات، تلتها المحادثة (١) ..

وينظر الباحثون إلى وظائف وسائل الإعلام (٢) .. نظرات مختلفة .. فالبعض يرى أن الإقناع هو الهدف الأساسى لهذه الوسائل، بينما يؤكد البعض الآخر على وظيفة الأخبار وتوصيل المعلومات وهناك فريق ينظر لوسائل الإعلام بوصفها القوة الرئيسية للتغيير الاجتماعى، وفريق آخر يذهب إلى أن الإعلام يقوم بتثبيت وتقوية المعتقدات والاتجاهات السائدة التى تؤدى إلى الإجماع Consensus ومقاومة التغيير أو تقبل الأوضاع السائدة Status quo .

وتحاول هذه الورقة التعرض لدور الإعلام فى تنمية المجتمعات الإسلامية .. وقد أخذ الباحث فى الاعتبار أن وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى غير مدركة لدورها الهام فى تحقيق التنمية الشاملة .

وقبل الدخول فى التفاصيل .. فسوف يتجه البحث خلال الصفحات التالية إلى تعريف أربعة مفاهيم هى مفهوم الدور، ومفهوم الإعلام، ومفهوم التنمية وأخيراً مفهوم المجتمعات الإسلامية .. آخذاً فى الاعتبار حقيقة أنه من الصعوبة بمكان أن يتفق المحللون والباحثون على تعريف معين لمفهوم من المفاهيم وذلك لاختلاف الخبرات الاجتماعية والثقافات وفروع دراسات أولئك المحللين والباحثين .

---

(١) محمد عبد القادر أحمد ، دور الإعلام فى التنمية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٢ ص ١٩.

(٢) أحمد صابر عبد اللاه، الصحافة المصرية وحقوق الإنسان، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الإعلام جامعة القاهرة، ١٩٩١ المقدمة .

تحديد مفهوم الدور

ليس هناك تعريف واحد متفق عليه لمفهوم الدور .. وإنما هناك العديد من التعريفات :

١ – تعريف ليفى الذى يرى أن الدور هو بمثابة مركز متميز فى نطاق بنيان اجتماعى معين ..

٢ – تعريف بارسونز .. ويرى أن الدور هو ما يقوم بفعله الفاعل الاجتماعى فى علاقته مع الآخرين .

٣ – تعريف ميريل ويشير إلى أن الدور يعتبر نموذجاً من السلوك المتوقع والمرتبط بموقع معين فى مجتمع معين .

٤ – تعريف بيدل ويرى أن مفهوم الدور يمثل تلك الممارسات السلوكية المميزة لواحد أو اكثر من الأشخاص فى إطار معين . .

٥ – هناك تعريف خاص [١] يرى أن مفهوم الدور يمثل نوعاً من الممارسات السلوكية المتميزة التى ترتبط بموقع اجتماعى معين والتى تتسم نسبياً بالاستمرار والثبات ويمكن التنبؤ بها .

وعلى ذلك فإن التعريف يقوم على عناصر خمسة [٢] هى :

(أ) إن الأدوار هى سلوك .

(ب) إن سلوكيات الأدوار متمايزة .

(جـ) إن هذه السلوكيات ترتبط بموقع اجتماعى معين .

(د) إن هذه السلوكيات تتسم بالاستمرارية والثبات النسبى .

(هـ) إن هذه السلوكيات يمكن التنبؤ بها ..

مفهوم الإعلام : هناك تعريفات لا حصر لها لمفهوم الإعلام .. أهمها :

– الإعلام هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها، واتجاهاتها فى نفس الوقت[٣] .

– الإعلام .. نقل الرسالة من مرسل إلى مستقبل دون مبالغة وأنه يرتبط بنقل الحقيقة دون تضخيم أو تشويه، أى نقل الصورة الواقعية [٤] .

– الإعلام لغة هو إخبار أو اطلاع الآخرين، وتحوى معنى التعليم والمعنى الذى نقصده فى الإعلام والذى يطلق عليه أحياناً الاتصال الجماهيرى لا يختلف كثيراً عن معناه القديم سوى تفسيرات بسيطة أدخلت عليه ليجارى مختلف الأنظمة السياسية والفكرية والاقتصادية التى

---

(١) محمد أحمد إسماعيل، دور المثقفين فى التنمية السياسية، دراسة نظرية مع التطبيق على مصر، الجزء الأول، بدون ناشر ١٩٨٨،ص٥٤ ، ٥٥ .

(٢) محمد أحمد إسماعيل، مرجع سبق ذكره، ص ٥٦ .

(٣) د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام له تاريخه ومذاهبه ط أولى دار الفكر العربى ١٩٦٥، ص ٢٣ .

(٤) د. حامد ربيع، الحرب النفسية فى المنطقة العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤، ص ١٢٨ .

يعمل فى ظلها .. وكان الإعلام وما زال لهدف واحد هو نقل فكرة إلى آخر بقصد التأثير فيه سواء كان النقل موضوعياً أم مبالغاً وسواء كان النقل هادفاً أم لمجرد العلم [١] .

أما د. سمير حسين فيرى أن الإعلام هو كافة أوجه النشاط الاتصالية التى تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف بما يؤدى إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعى والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق والمعلومات الموضوعية الصحيحة عن القضايا والوضوعات بما يسهم فى تنوير الرأى العام وتكوين الرأى الصائب لدى الجمهور فى الوقائع والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة[٢].

ويمكن حصر وظائف الإعلام فى أربعة مجالات رئيسية هى السياسية والاقتصادية والترفيه والتوعيه[٣] :

١ – خدمة النظام السياسى : وتدخل فيها التوعية والتربية والمناقشات السياسية والرقابة على أجهزة الدولة وكمنبر يعكس وجهات النظر المختلفة .

٢ – خدمة النظام الاقتصادى : خدمة الصناعة والزراعة من حيث إيصال وتعليم مهارات وخبرات جديدة وكشف المعوقات التى تعترض طريق الإنتاج وتشجيع الادخار وتحسين العلاقات العامة.

٣ – خدمة النظام الاجتماعى : خدمة الأسرة، تعليمها، إمدادها بالتوعية الصحية والاجتماعية تقديم الترفيه .

٤ – خدمة النظام الدولى : تبادل المعلومات والمهارات بين الدول وتنمية روابط الصداقة بين الشعوب وعكس صورة صحيحة للشعوب المختلفة وخدمة قضايا السلم والتعاون بين الشعوب وإحداث التقارب بينها .

ولتوضيح ذلك نقول إن هذه الوظائف يمكن تفسيرها على النحو التالى :

١ – وظيفة الأخبار (News Function) التى تهدف إلى مراقبة البيئة المحيطة وتزويد النظام الاجتماعى بالمعلومات اللازمة له ..

٢ – الوظيفة التعليمية (Teaching Function) أى مساعدة النظام الاجتماعى على نقل ونشر القيم .

٣ – الوظيفة السياسية (Policy Function) أى المساعدة فى وضع السياسات وتوسيع قاعدة المشاركة الشعبية فى عمليات اتخاذ القرار .

---

(١) محمد عبد القادر أحمد دور الإعلام فى التنمية، مرجع سبق ذكره، ص ١٩ .

(٢) د. سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام، الطبعة الأولى عالم الكتاب ١٩٨٤ ص ٢٢ .

(٣) فرناندترو الإعلام، ترجمة حمد المندور، المنشورات العربية، بيروت ، ص ٥٤ .

٤ – وظيفة قياس رجع الصدى (Feed back Function) بمعنى إنشاء نظام لمعرفة رد الفعل داخل النظام الاجتماعى، وأيضا بين هذا النظام والبيئة المحيطة به .

٥ – وظيفة الترويد (Multiplier Function) بمعنى نشر المستحدثات الناجحة من أحد أجزاء النظام الاجتماعى إلى الأجزاء الأخرى أو من المصادر الخارجية إلى الجمهور المناسب.

٦ – وظيفة تحقيق المساواة (Egalitarian Function) لمساعدة أفراد الطبقة الاقتصادية الاجتماعية الدنيا على تضييق الفجوة بينهم وبين أفراد الطبقات الأخرى .

وتستهدف وسائل الإعلام أساساً الرأى العام وخلقه وتغييره بما ينسجم وهدف الخطة الإعلامية .. فخلق رأى عام ينسجم مع تصورات القيادة يسهل عملية الوصول إلى تلك الأهداف . كما أن خلق رأى عام فى اتجاه التنمية يعجل بلوغها (١) .

ويسير الإعلام وفق خطط محددة على النحو التالى :

أولا : خطط طويلة المدى .

ثانيا : خطط قصيرة المدى .

ثالثا : خطط وقتية ولحظية وحتى تنفذ هذه الخطط لابد من وجود جهاز إعلامى كفء قادر على التنفيذ فى كل لحظة (٢) .

وللإعلام خصائص كثيرة منها :

١ – الإعلام نشاط اتصالى تنسحب عليه كافة مقومات النشاط الاتصالى ومكوناته الأساسية وهى مصدر المعلومات والرسائل الإعلامية والوسائل الإعلامية وجمهور المتلقين والمستقبلين للمادة الإعلامية .

٢ – يتسم الإعلام بالصدق والصراحة وعرض الحقائق الثابتة والأخبار الصحيحة دون تحريف .

٣ – يتصف الإعلام بأنه التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير وروحها واتجاهاتها ..

٤ – يسعى الإعلام إلى محاربة التحيزات والخرافات والعمل على تنوير الأذهان وتثقيف العقول .

٥ – يستهدف الإعلام التبسيط والشرح والتوضيح للحقائق والوقائع .

٦ – يترتب على الجهود الإعلامية الموضوعية تأثير فعلى عى عقلية الجمهور ومستويات تفكيره وإدراكه، كما يؤدى ذلك إلى إحداث اليقظة والنمو والتكيف الحضارى فى المجتمع .

٧ – يتأثر الرأى العام تأثيراً إيجابياً بالجهود الإعلامية .. حيث تسعى هذه الجهود عن طريق مخاطبة العقول والعواطف إلى تنوير الرأى العام وتثقيفه وحشده والارتقاء به .

---

(١) فؤاد دياب، الرأى العام وطرق قياسه، من الشرق والغرب، القاهرة . د.ت ١٩٦٢ ص ٨ .

(٢) د. محمد عبد القادر حاتم، الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢ ،ص٣٦١ . ٣٦٣ .

٨ – وأخيرا تزداد أهمية الإعلام كلما ازداد المجتمع تعقيداً وتقدمت المدنية وارتفع المستوى العقلى والثقافى والفكرى لأفراد المجتمع (١) .

مفهوم التنمية

تمثل التنمية فى الوقت الراهن مطمح الحكومات والشعوب.. فقد اكتسبت التنمية دلالة الحل السحرى لقضايا المجتمعات الإنسانية ومشكلاتها، وبخاصة عندما وضعت أدبيات التنمية، ما يسمى بالبلدان " المتقدمة " مقابل البلدان " النامية " وأكدت أن الفرق بين المجموعتين هو نجاح التنمية فى الأولى وقصورها فى الثانية (٢) .

وأصبحت قضية التنمية هى الشغل الشاغل للدول المتخلفة منذ عدة سنوات، واعتبر موضوع التنمية وأهدافها وأبعادها والمعوقات التى تقف دون تحقيق هذه الأهداف من أكثر الموضوعات شيوعا فى الكتابات السوسيولوجية والاقتصادية المعاصرة. وبخاصة تلك الكتابات التى تهدف إلى وضع خطط محددة للارتقاء بالمجتمع الإنسانى فى عمومه أو فى المجتمعات المتخلفة .. وتزداد أهمية هذا الموضوع بالنسبة لمجتمعات العالم الثالث التى أصبحت تعتمد على التنمية كأساس لدفع مجتمعاتها نحو الأخذ بأساليب التقدم والتحديث(٣) وقد حدث تطور لدراسات التنمية فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من هذا القرن كنتيجة لحصول الكثير من المستعمرات على استقلالها السياسى، وبدأ اهتمام هذه المجتمعات بتحرير اقتصادها من قيود التبعية للدول الرأسمالية (٤) .

ولا يزال موضوع التنمية، حتى الآن، محل خلاف من حيث تعريف التنمية، وأنواع التنمية ووسائلها الممكنة المطلوبة، ويرجع الاختلاف فى ذلك لشدة تعقد عوامل التخلف وتباينها من دولة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر وأيضاً إلى اختلاف المدارس والمذاهب الفكرية التى يؤمن بها المفكرون والباحثون الذين يتناولون موضوع التنمية، بالإضافة إلى اختلاف تصورات حكام الدول النامية للتنمية وأهدافها ووسائلها ..

فعلى سبيل المثال، يتداخل مصطلح التنمية مع مصطلحات أخرى مثل : التغيير والتغير والتطور والتطوير والنمو والتقدم والتمدن .. الخ وإن كان مصطلح التنمية يمكن أن يحتويها ، باعتبار التنمية ما هى إلا تغير ثقافى حضارى إرادى ومقصود، للانتقال بالمجتمع من الحال الذى هو عليه فعلاً إلى الحال الذى ينبغى أن يكون عليه أملاً (٥) .

---

(١) د. سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام، مرجع سبق ذكره ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) عبد العزيز عبدالله الجلال، تربية اليسر وتخلف التنمية، سلسلة عالم المعرفة، وزارة الإعلام بالكويت العدد (٩١)، يوليو ١٩٨٥، ص ١١ – ١٢ .

(٣) السيد بخيت محمد، دور الصحافة المصرية فى التنمية الثقافية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٨٩، ص ٢٣ .

(٤) جمال مجدى حسنين، دراسات فى التنمية الاجتماعية، دار المعرفة الجديدة، الاسكندرية ، ١٩٨٥ . ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٥) السيد بخيت محمد، دور الصحافة المصرية فى التنمية الثقافية، مرجع سابق، ص ٢٥ .

وعلى هذا فقد تعددت تعريفات التنمية ، وتنوعت وذلك بحسب رؤية وتوجه كل باحث فهناك التنمية السياسية والتنمية الاقتصادية والتنمية الثقافية .. إلخ .

فالتنمية السياسية تعرف بأنها أحد جوانب، أو أنها ترتبط بشكل أساسى بتلك العمليات الأكثر اتساعاً، المتعلقة بالتحديث فى المجتمع ككل، فالتحديث يؤثر على كل قطاعات الإنتاج وتشكل جوانبه السياسية عملية التنمية السياسية .. ولما كانت التنمية السياسية ترتبط بعملية التحديث فإنها لابد وأن تكون عمليات شاملة ومعقدة ويشير هذا المفهوم إلى المشاركة وانخراط المواطن فى نشاطات الدولة وفى حسابات السلطة ونتائجها والتعبئة والمشاركة .

وعلى ذلك ترتبط التنمية السياسية بتهيئة الظروف السياسية اللازمة للتنمية من خلال الاستقرار السياسى .. وزيادة المشاركة الشعبية فى التنمية وتحقيق الانسجام والاقتناع المتبادل بين الحكام والمحكومين [1] .

أما التنمية الاقتصادية فترتبط بزيادة متوسط دخل الفرد وتحقيق تغييرات بنيانية فى الاقتصاد وعدم الاعتماد على محصول واحد أو مورد واحد فى الاقتصاد والاتجاه إلى تعدد المحاصيل والموارد التى يعتمد عليها، وتدعيم وضعية البنية الأساسية وتهيئة الظروف المناسبة للتنمية واتخاذ السياسات الاقتصادية والمالية والنقدية الكفيلة بتحقيق التقدم [2] .. وبذلك تتمثل التنمية فى قدرة الإنسان والدولة على استخدام الأساليب التكنولوجية للسيطرة على موارد الطبيعة بهدف رفع مستوى دخل الفرد .

وتعرف التنمية الثقافية بأنها القدرة على إحداث التغير فى البنية الثقافية وتعديل طرق التفكير ومواقف المجتمعات تجاه أوضاعها ومستقبلها .. فالتنمية تنطوى على بعد ثقافى أساسى ويبقى من اللازم معرفة نوعية الإنسان المطلوب تنميته وأهدافه واحتياجاته ومعرفة الإنسان ودوره مرهون إلى حد كبير بثقافته الخاصة .. وهكذا فإن التنمية والثقافة ، جانبان لعملة ديالكتيكية واحدة يتبادلان التأثير والتأثر المتبادل، حسب الظروف التاريخية المميزة والملموسة لكل مجتمع من المجتمعات .

وترتبط التنمية الاجتماعية بتطوير القيم والمعتقدات القائمة لتتمشى مع التنمية .. وتحقيق التغير الاجتماعى الكفيل بتدعيم دور الأفراد والجماعات فى التنمية ..

أما التنمية الإدارية .. فهى إيجاد جهاز إدارى يتمشى مع متطلبات المرحلة الجديدة ولا يعوقها .. واتخاذ النظم والقرارات الكفيلة بدفع التنمية وعدم وضع الصعوبات فى مواجهتها مع القدرة على الارتباط بأهداف التنمية والمساهمة فى تحقيقها .. وللإعلام دور يعتد به فى تحقيق التنمية الشاملة .. وهذا الدور المتمثل فى مدى قدرة وسائل الإعلام على الارتباط بالتنمية .

---

(١) د. محمد على العوينى، الإعلام الإسلامى بين النظرية والتطبيق، الطبعة الثانية ، عالم الكتاب ١٩٨٧،ص٣٦ .

(٢) د. محمد على العوينى ، مرجع سابق، ص ٣٧ .

وفى النهاية .. يمكن القول بأن التنمية هى تحسين حياة الفرد فى يومه .. وتأمين مستقبله .. وتختلف التنمية عن النمو .. فى أن التنمية عملية متواصلة مستمرة .. فى حين أن النمو يتوقف عند حد معين .. كنمو عنصر الطول فى الإنسان مثلا ..

وهناك من الكتاب من ينظر إلى التنمية على أنها واحدة عملية شاملة .. تتناول جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. الخ[1] ، وإلى أنها أساساً عملية تغيير ثقافى متصلة وواعية وموجهة تتم فى إطار اجتماعى معين وترتبط بازدياد أعداد المشاركين من أبناء الجماعة فى دفع هذا التغيير وتوجيهه، وكذلك الانتفاع بنتائجه .. فالتنمية لايجوز قصرها على النمو الاقتصادى وحده وإنما يجب أن تشتمل بشكل جوهرى على تغيير ثقافى عام وعلى تغيرات محددة فى البناء الاجتماعى القائم[2] ..

المجتمعات الإسلامية

يقع العالم الإسلامى فى نطاق المجتمعات التى تسمى بالمجتمعات النامية، وقد كانت تسمى بالدول المتخلفة أو المتأخرة لما تعانيه من فقر ومرض وجهل، ثم ابتكر اصطلاح الدول النامية أو الآخذة بأسباب النمو على سبيل المجاملة الدبلوماسية، وخاصة فى مجال المعاملات الدولية. ومؤشرات التخلف عند الباحثين المحدثين ترتبط عادة بانخفاض مستوى الدخل الفردى، والركود الاقتصادى، والافتقار إلى الخبرة العلمية والتقنية والتخطيطية اللازمة للتطور والنمو.

كما يرتبط التخلف أيضا بالأوضاع الاجتماعية والتعليمية والثقافية والإعلامية والصحية وعدم توافر المناخ المناسب لظهور الكفاءات العلمية والفنية، وحتى إذا ظهرت فإنها تهاجر إلى البلاد المتقدمة أو الصناعية، فيما يسمى بالاستنزاف العقلى أو هجرة العقول. وفى جميع الأحوال، ينظر إلى العالم الإسلامى على أنه يعانى من أمراض التخلف، وينبرى علماء الغرب والشرق لتقديم مايعتبرونه علاجا لهذا العالم المريض فى نظرهم.[3]

كثيراً ماينظر إلى العالم الإسلامى بشكل مفتت، فيدخل جزء منه فى إطار الشرق الأوسط، وجزء آخر فى إطار الشرق الأقصى، وجزء آخر فى إطار غرب آسيا .. واصطلاح العالم الإسلامى أو المجتمعات الإسلامية من المصطلحات المفترى عليها .. وقد ساعد المسلمون على ذلك بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، فالتفتت والتصارع والضعف والخضوع للاستعمار ساهم فى تشويه صورة العالم الإسلامى .. وإذا كنا قد نسينا الحروب الصليبية فإن الغرب لم ينسها .. ولن

---

(١) محمد عبدالقادر أحمد، دور الإعلام فى التنمية، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٢) د. سعيد محمد السيد، الإعلام الإنمائى، النظرية والتطبيق، محاضرة غير منشورة لطلبة كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٨٩، ص١.

(٣) د. إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامى، دار الفكر العربى، ١٩٨٥، ص٣٠٣ .

ينسها .. فعندما وصل الجنرال اللنبى إلى بلاد الشام قال .. لقد عدنا ياصلاح الدين، الآن انتهت الحروب الصليبية .. وصلاح الدين لم يكن عربياً ولكنه كان مسلماً وبالتالى فالإسلام هو الذى حطم الصليبية فى حطين[1] ..

ويعد الإسلام المكون الأساسى للأمة الإسلامية .. والدولة الإسلامية .. بدأت بقيام الدعوة الإسلامية وهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وقيام الدولة الإسلامية.

والمجتمعات الإسلامية تبدو مفككة مجزأة .. مما جعل دور المجتمعات الإسلامية فى النظام الدولى دوراً متواضعاً رغم أن المسلمين لديهم إمكانية تطوير هذا النظام.

وتعانى المجتمعات الإسلامية من عوامل مختلفة أدت إلى ضعف مساهمتها فى النظام الدولى .. ومن هذه العوامل.

العوامل الاقتصادية :

من المؤكد أن البنية الاقتصادية التى تميز البلدان الإسلامية بنية متخلفة فعلى الرغم من الموارد الاقتصادية الهائلة التى تمتلكها البلدان الإسلامية .. فلا يزال جزء كبير من تلك الموارد غير مستثمر .. ولا يزال الناتج القومى الإجمالى لها منخفضا[2] وتعتمد المجتمعات الإسلامية بشكل رئيسى على الزراعة البدائية والصناعات الصغيرة والخدمات المتخلفة .. والقطاع الحديث بتلك المجتمعات هزيلاً إلى حد كبير .. فمستوى الاستهلاك يعد مستوى مرتفعاً فى المجتمعات الإسلامية .. فقد بلغ إجمالى الاستهلاك فى القطاعين العام والخاص خلال الحقبة الأخيرة بين ٨٣ إلى ٩٠٪ من جملة الناتج القومى الإجمالى.

ومن أهم أسباب ضعف معدلات النمو الاقتصادى فى البلدان الإسلامية يتمثل فى نسبة السكان العاملين فى القطاع الاقتصادى حيث قدرت النسبة بحوالى ٣٠ بالمائة من مجموع السكان خلال السبعينات.

العوامل الاجتماعية :

(أ) البيئة الريفية .. بيئة متخلفة، غير منتجة، فى البلدان الإسلامية يسودها اقتصاد الكفاف وتسيطر عليها البطالة المقنعة وتحكمها الأفكار والتصورات الجماعية العتيقة ..

(ب) وجود أعداد كبيرة من البدو .. فعدد البدو فى بعض البلاد العربية مثلاً ثلث مجموع السكان رغم الجهود التى بذلت فى تعليمهم ورغم المحاولات التى تمت فى سبيل إيجاد أساليب تعليمية بحياتهم .. إلا أن نتاج ذلك كان بطيئاً.

(١) د. محمد على العوينى، الإعلام الإسلامى الدولى، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٢) د. نوال محمد عمر، الإعلام التربوى، دراسة نظرية وميدانية – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦، ص ١٦.

(جـ) يلعب الإرث الاجتماعى فى موقف الناس فى البلاد الإسلامية موقفاً غريباً من التعليم الفنى والمهنى مثلاً .. فهناك نظرة دنيا إلى التعليم الفنى والمهنى تنتشر بشكل واسع فى البلدان الإسلامية وكلنا يعلم تلك القيم الاجتماعية الموروثة التى تنظر إلى العمل اليدوى نظرة إزدراء .. فمنذ القديم احتقر العربى المهنة والصناعات .. وآثر البادية .. وفى كثير من البلدان العربية يأبى العربى المسلم أن يشتغل بالأعمال اليدوية ويوكل أمرها إلى غير العرب .. وفى بعضها يرفض حتى تربية الدواجن أو زراعة الخضروات والأشجار المثمرة .. كما فى جنوب العراق[1].

العوامل التربوية :

النظم التربوية فى البلاد العربية لاتزال إلى حد بعيد نظماً تقليدية لم تستطع أن تتجاوز كثيراً من آثار الإرث الثقافى والتربوى الموروث ولم تستطع أن تتحرر منه التحرر الكافى القادر على أن يجعلها أداة لتطوير المجتمع بدلاً من أن تظل صورة منعكسة له ..

العوامل السكانية :

(أ) من الملاحظ أن المعدل السنوى للنمو السكانى فى البلاد الإسلامية مرتفع جداً، دون أن تكون هناك زيادة مماثلة فى الإنتاج أو تطوير الخدمات فقد كان هذا المعدل ٥ر١٪ سنوياً فى الأربعينات ثم أصبح ٥ر٢٪ سنوياً فى الخمسينات ثم ارتفع إلى ٥ر٣٪ سنوياً فى السبعينات ..

(ب) ينتمى معظم سكان البلدان الإسلامية إلى الريف وقد قدرت نسبة الريفيين إلى مجموع السكان بـ ٦٧٪ عام ١٩٦٥، وبـ ٦٠٪ عام ١٩٧٠.

(جـ) بنية السكان فى البلاد العربية الإسلامية بنية فنية، يغلب فيها عدد الأطفال على عدد الراشدين، فالذين دون الخامسة عشر من العمر، يمثلون ٤٢٪ من مجموع السكان، بل ترتفع نسبتهم فى كثير منها إلى حوالى ٤٧٪ فى الجزائر والعراق والأردن وليبيا والمغرب والسودان .. والذين تقع أعمارهم بين (٥ – ١٤) يضافوا إلى الأعداد الضخمة العالية التى بلت ٣٣ – ٥٠٪ من السكان، أما المسنون الذين يبلغون ٦٥ سنة فأكثر .. فلا تتجاوز نسبتهم ٣٪ من مجموع السكان..

ويمكن بصورة إجمالية أن نشير إلى خصائص المجتمعات الإسلامية فيما يأتى :

١ – انخفاض الدخل.

٢ – ضعف القطاع الصناعى.

٣ – الطابع الزراعى للاقتصاد.

---

(١) د. نوال عمر، الإعلام التربوى، مرجع سابق، ص ١٨ – ٢٤.

٤ – الانفجار السكانى.

٥ – نقص الخدمات خاصة خدمات التعليم.

٦ – تخلف أجهزة الدولة.

٧ – ضعف الخدمات الصحية والسكانية .. الخ.

وإذا ماتعرضنا لأحوال المسلمين فى بقاع العالم. فسنجد فى آسيا أن هناك عدة دول إسلامية وهى تركيا وباكستان وإيران وأفغانستان، وبنجلاديش وأندونيسيا وماليزية .. كما توجد أقلية إسلامية يعتد بها فى الهند .. إذ تقدر بحوالى ٦٦ مليون نسمة .. وفى الصين بحوالى عشرة ملايين نسمة .. وفى الاتحاد السوفيتى بـ ٣٠ مليون نسمة[١].

ويقدر عدد المسلمين فى الفلبين بـ ٤ ملايين نسمة .. وفى تايلاند بأكثر من ٤ ملايين نسمة .. وفى بورما بـ ٤ر٣ مليون نسمة وتقدر بعض المنشورات الرسمية فى كوريا الجنوبية عدد المسلمين بثلاثة آلاف نسمة أما فى تايوان فعدد المسلمين حوالى ٢ر٤ مليون نسمة.

وفى أفريقيا تشكل الغالبية المسلمة فى جميع البلدان الأفريقية عدا بعض الدول ذات الأقلية المسلمة مثل : ليبيريا، غانا، الجابون، الكونغو برازفيل، أوغندا، غينيا، موزمبيق، مالاجاس.

أما فى أوربا .. فيقدر عدد المسلمين فى اليونان بـ مائتى ألف مسلم .. وفى بلغاريا بمليونى مسلم .. وفى رومانيا بـ ٥١ ألف مسلم، أما فى المجر فيبلغ عدد المسلمين خمسة آلاف نسمة .. وفى بولندا ٢٥ ألف مسلم وفى ألبانيا حوالى مليونى مسلم .. وفرنسا بمليونين ونصف المليون وفى العاصمة البريطانية لندن يقدر عدد المسلمين بخمسين ألف مسلم.

وفى الاتحاد السوفيتى السابق .. هناك ست جمهوريات إسلامية هى أذربيجان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمنستان وفازاخستان وقيرغيزيا ..

كما تبلغ نسبة المسلمين فى ولاية جامو وكشمير بـ ٧١٪ وفى جزر مالاديف ١٢٩ ألف نسمة .. وفقاً لإحصائيات ١٩٧٤ .. وفى سلطنة بروناى ١٢٠ ألف نسمة ويشكل المسلمون ٧٦٪ .. أما فى سريلانكا فعدد المسلمين يزيد على المليون أى بنسبة تزيد على ٨٪ كما يبلغ عدد المسلمين فى جزيرة قبرص ١ر١٩٪.

وسوف يصل عدد المسلمين عام ٢٠٠٠ إلى حوالى ١٤٠٠ مليون نسمة من مجموع العالم الذى سيصل إلى ٦ مليارات نسمة[٢].

---

(١) د. عبدالحليم عويس، المسلمون فى معركة البقاء، القاهرة دار الاعتصام، ١٩٧٩ ص ٣٦ – ٣٧.

(٢) تقرير لوكالة الأنباء الإسلامية، جدة، ١٩٩٢/٤/٦.

دور الإعلام فى تنمية المجتمعات الإسلامية

اتسعت وظيفة الإعلام.. وامتدت إلى مختلف مجالات الحياة.. مما زاد من أهمية وخطورة المسئولية الملقاة على عاتق هذه الأجهزة ، الأمر الذى دعا الأمم المتحدة إلى عقد المؤتمرات الدولية.. وأكدت توصيات المؤتمر العالمى الذى دعت إليه اليونسكو ١٩٨٢، حين جاء فى توصية رقم (١٠٣) مايلى «يسترعى المؤتمر الانتباه إلى الدور المتعاظم الذى تضطلع به وسائل الاتصال الجماهيرى فى تكوين الرأى العام ونشر الثقافة[١].

ويرتبط الإعلام بتقدم المجتمعات المتخلفة وذلك فى صورة تغير عقول المتخلفين ونفوسهم لتصبح راغبة فى التنمية. وفى صورة تنوير جوانب الحياة بالمعلومات الصحيحة والافكار النافعة ليلتقى التنوير الداخلى فى الناس بالتنوير الخارجى لقضايا الناس ..وهذا الارتباط بين الاعلام والتنمية لا يقف عند بداية التنمية وإنما يواكب مراحل التقدم المختلفة[٢].

وعلى ذلك فإن الإعلام عندما يعمل فى خدمة التنمية فإنه يجب أن يعمل وفق خطة مسبقة، يراعى عند إعدادها الهدف والجمهور المستقبل والطريقة التى توصل بها الرسالة ومن ثم إعداد الرسالة نفسها ..ويجب أن يراعى عند إعداد الخطة الإعلامية شروط الاتصال الناجح الذى يلقى استجابة لدى الجمهور، مستخدمين كل المهارات ومدركين للظروف المحيطة ..ومن ثم فإن الاستراتيجية التى يعتمدها الإعلام لإحداث التغير يجب أن تقوم على الإقناع .

يشير بعض الباحثين إلى أن دور الإعلام يتركز فى تنمية الموارد البشرية تضطلع بمهمة التنمية بتعليم مهارات حديثة والدعوة إلى الحفاظ على الآلة ومحاربة التبذير واحترام المرأة وتشجيع السياحة الداخلية والإنتاج الوطنى [٣] .

كما ينبغى على الإعلام قيادة حملات الإنتاج والقيام بالنقد البناء وتدعيم المناخ المناسب للاستثمار وترشيد الاستهلاك وتشجيع التصدير وإعادة بناء الريف ومحو الأمية وتطوير التعليم والدعوة إلى حماية البيئة .

وفى مجال بناء الإنسان ..فعلى الاعلام التعرض لقضية الإيمان وشرحها ..لتثبيت مفاهيم الدين بالاسلوب السليم وإعطاء أهمية خاصة لنشاطات الشباب واتجاهاتهم وأفكارهم

---

(١) السيد بخيت محمد ،دور الصحافة المصرية فى التنمية الثقافية ،مرجع سابق ص١٤٧

(٢) د.محمد سيد احمد ،الاعلام والتنمية ،القاهرة دار الفكر العربى ، ١٩٨٥، ص١٦

(٣) محمد عبد القادر أحمد ،دور الاعلام فى التنمية ،مرجع سابق ص ١١-١٢

والتركيز على أبواب تؤكد القيم الروحـية والأخلاقـية فى مواجهة موجـة الاستمتاع المادى..[1]

وينبغى أن نذكر هنا أن علاقة الإعلام بالتوعية لا تشتمل على التوعية وبث الحماس فقط ..فإنها يمكن أن تعلم وبكفاءة عالية الكثير من المهارات وتنقل الكثير من الخبرات عن طريق إجراء التجارب التوضيحية التليفزيونية والسينمائية.. وتعليم مهارة العمل على ماكينات جديدة مثلاً وصيانتها والتقليل من التلف وتعليمات السلامة المهنية وتزويد ذوى الإختصاص بما يستجد فى مجال تخصصاتهم.. كما أنه بإمكانها أن تقوى الوحدة الوطنية بالتقريب بين أبناء الوطن الواحد وأن تنبه إلى الدعايات المضادة والحروب النفسية للأعداء.. كما أن الإعلام يمكن القيادة من نشر خططها وبرامجها على الشعب[2].

ووسائل الإعلام فى العالم الإسلامى مطالبة بتحقيق ذلك.. بتوفير المناخ الملائم للتعبير عن قيم ومعتقدات متطورة تقدس العمل و الإنتاج وتكافؤ الفرص وتربط ذلك بالعقيدة الإسلامية.. كما أن وسائل الإعلام مطالبة بخلق أنماط جديدة للاستهلاك الرشيد ونبذ الاستهلاك الترفى وعدم تقليد كل ما هو غربى.. وأن تكون الأنماط البشرية المفضلة للجماهير هى العلماء بفئاتهم المختلفة ورجال العلم والإنتاج وليست الفئات الطفيلية.. وأصحاب الدخول المرتفعة الذين لا يرتبطون بالتنمية.. وأن تساعد فى ترشيد السلوك الشخصى للأفراد وبأن يكون سلوكاً حضارياً فى المقام الأول وأن تساعد فى بناء ثقافة عصرية تأخذ فى الاعتبار التراث الإسلامى والإنساني والعالمى وأن تكون الفرصة مهيأة لتعدد الآراء فى إطار المسؤلية الاجتماعية الإسلامية.. فلا يكون الإنسان فظاً غليظاً فى قوله وأن يجادل الآخرين بالتى هى أحسن.[3] فالإعلام أحد العوامل المهمة فى إيقاظ الشعوب ـ النامية ـ[4] التى تشكل غالبية المجتمعات الإسلامية.. فالمسجد كوسيلة إعلامية هامة ومؤثرة.. يمكن أن تكون وسيلة إعلامية تنموية..

---

(١) مجلة الطليعة ، عدد أغسطس ، ١٩٧٤ ، مقال تعليم ممدوح سالم.
(٢) محمد عبد القادر أحمد ، دور الإعلام فى التنمية ، مرجع سابق ص١٢ـ١٣.
(٣) د. محمد على العوينى ، الإعلام الإسلامى الدولى بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، ص٣٨ـ٣٩
(٤) د. مختار التهامى ، الصحافة والسلام العالمي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ص١١٢.

فالإسلام دين عمل ومن هنا يمكن للمسجد أن يكون أداة من أدوات الإنتاج من خلال تهيئة الظروف المناسبة للتنمية.. كما يمكن لبرامج الراديو والتليفزيون وصفحات الجرائد أن تكون حافزا للتنمية من خلال المساهمة فى دفع التغيير نحو تحقيق التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية المناسبة وأن يكون المعيار الأساسى للحكم على الأفراد هو كفاءتهم وعملهم وقدراتهم.. فالتراث الإسلامى الإعلامى لا يقل ثراء عما لبقية الشعوب الأخرى.

وقد تعددت اجتهادات العاملين فى حقل الإعلام والتنمية والعلوم الاجتماعية حول كيفية تطوير دور الإعلام فى التنمية وذلك على النحو التالى:

أولاً: بالنسبة للقائم بالاتصال :

يمكن للقائم أن يؤدى وظيفة حضارية مثل تأكيد الشعور بالانتماء إلى الأمة الإسلامية أو نقل الرسالة الحضارية للإسلام مع عدم تعارض ذلك مع القوميات والحدود اللغوية أو الحواجز الدولية .. وطبيعة القائم بالاتصال – الذى قد يكون داعيا دينيا أو منظمة دينية أو دولة أو حزباً أو منظمة دولية أو عاملاً فى أى حقل من حقوق الإعلام – تساهم فى تحديد الأهداف.. التى تختلف باختلاف الظروف..

ثانيا المضمون:

يتحدد مضمون الرسالة من تاريخ صياغها ويثير مضمون الرسالة مادة الرسالة المختارة، من خلال الكلمات والجمل والمعلومات المقدمة، والآراء والأحكام والاستنتاجات .. وهذا يثير بدوره صياغة الرسالة الإعلامية ويجب أن يأخذ القائم بالاتصال فى اعتباره نوعية المستقبل.

ثالثاً: وسائل الإعلام :

ينبغى تحديد الوسيلة الملائمة لبث برامج وخطط التنمية فلكل وسيلة جمهورها الخاص..

رابعاً: المستقبل :

يجب تحديد نوعية البرامج الموجهة للمستقبل بحيث تتلائم مع مستويات تفكيره وسنه وذوقه وغير ذلك من الأطر التى ينبغى وضعها فى الاعتبار.. وتعد معرفة المستقبل أو المتلقى أساساً للعملية الاتصالية .. وهناك عدة تقسيمات للمستقبل أو المتلقى حسب معيار التقسيم، فيمكن أن يكون هناك مستقبل خارجى ومستقبل داخلى ومستقبل عادى.. وغير عادى.. الخ..

ويمكن صياغة ماسبق فى النقاط التالية:

١- زيادة حصة البرامج التعليمية والإرشادية الفعلية فى وسائل الإعلام وتخصيص سنوات ضمن خطة التنمية لتكثيف البرامج الإعلامية فى اتجاه الهدف الأكثر إلحاحاً فى الخطة.

٢- ضرورة أن تغطى البرامج الإعلامية بقية القطاعات التى لاتحظى بالاهتمام فى الوقت الحاضر كالسياحة الداخلية وحماية البيئة..

٣- أن توسع وسائل الإعلام نشاطاتها فى خارج مراكز المدن وتفتح نوادى المشاهدة الريفية.

٤- أن يكون العاملون فى برامج الإرشاد الريفى - مثلاً - من ذوى الخبرة بطبيعة المنطقة التى يوجهون برامجهم إليها وملمين بثقافتها وعاداتها..

٥- إبعاد المنافسة عن البرامج التنموية فى وسائل الإعلام.

٦- تشجيع حركة الترجمة.. وإعداد كادر متخصص للترجمة بصورة مستمرة. وذلك لمواكبة أحدث الأساليب العلمية والثقافات العالمية..

٧- تنسيق جهود الوزارات المختلفة لدفع عجلة التنمية.

٨- ضرورة إجراء بحوث إعلامية عن المناطق المختلفة لقياس مدى فعالية وسائل الإعلام فى أداء رسالتها وتقييم هذا الأداء.

٩- الاستفادة من قيادة الرأى المحلية فى الريف لتشجيع نشر الأساليب الحديثة فى الزراعة.

١٠- تدريب العاملين فى مجال الإعلام التنموى لزيادة خبراتهم فى هذا المجال.

١١- إنشاء هيئة مشتركة تضم نخبة كبيرة من علماء العالم الإسلامى تكون مهمتها إعداد البحوث والدراسات العصرية للاستفادة من الأساليب الغربية وتطويرها فى المجتمعات الإسلامية.

١٢- ضرورة تضمين البرامج التنموية رموزاً إسلامية من أجل الحث على زيادة الإنتاج.

١٣- إرساء وتدعيم مجموعة من القيم التربوية الإسلامية فى نفوس كافة المواطنين.. بما يحقق برامج التنمية من حيث خلق الوعى لدى الجماهير وإشاعة روح التعبئة ضد التخلف وتكوين مشاركة واسعة للمواطنين.. وإعدادهم للعمل والإنتاج.

ولا يخفى على أحد أن هناك نشاطات مكثفة قد أجريت فى هذا المضمار غير أن ظروفاً كثيرة بعضها موضوعى وبعضها فنى، حالت دون قيام الإعلام بدفع عجلة التنمية بسرعة داخل المجتمعات الإسلامية.

وعلى الرغم من ذلك.. فإن هناك من يرى أنه لايزال دور وسائل الاتصال فى التنمية مثارا للخلاف بين الباحثين مع العلم بأنه قد ثبت إحصائياً وجود معامل ارتباط بين التعرض لوسائل الاتصال من ناحية والمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالتنمية من ناحية أخرى.. إلا أنه لم يثبت وجود علاقة سيئة بينهما وأن دور الإعلام يختلف باختلاف نماذج وأساليب التعبير الاجتماعى الذى تأخذ به كل دولة. فاستراتيجيات التنمية ليست قاصرة بالكامل على رجال

الاتصال. وكل استراتيجية للتنمية هى التى تحدد استراتيجية استخدام قنوات الاتصال ونوع الرسالة[1] .. وكل ذلك يرتكز على نموذجى "التنمية"[2]

وفى النهاية يمكن القول إلى أن نجاح الإعلام فى تنمية المجتمعات الإسلامية يمكن حصره فى نقطتين .. ضرورة تطوير وتحديث القائم بالاتصال ومضمون الرسالة الإعلامية.

يقول د. إبراهيم إمام[3] عن التنمية الإسلامية .. وكونها أفضل النماذج .. لتنمية المجتمعات..

أسمى نماذج التنمية :

ولعل أرقى وأسمى نموذج لتنمية المجتمع الإسلامى ذلك المجتمع المتكامل المتعاون المتآخى الذى أسسه الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة المنورة. فبعد أن كان المجتمع فى يثرب قبل الإسلام ممزقا بالعداوات المختلفة بين الأوس والخزرج وبينهم وبين اليهود، استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام أن يربط بين الجميع من أوس وخزرج وبنى هاشم وبنى عبد مناف فى أسرة إسلامية واحدة يسودها الأمن والسكينة والتعاون بين الجميع، وهكذا حققت روح الإسلام كل الخير للمجتمع.

وقد قام الإعلام الإسلامى بدور هام وخطير فى تهيئة المناخ العام للتواصل والترابط بين أجزاء المجتمع. فلم يكن المسجد مكان عبادة فحسب - فالدين الإسلامى يجعل الأرض كلها مسجداً للمسلمين - وإنما كان المسجد له مهمة اتصالية عميقة لتمتين أواصر المجتمع، فالمسجد لا يرتبط بقبيلة أو جماعة أو أسرة، بل هو بيت الله، وبيت جميع المسلمين.

وقد رأينا من قبل أن المسجد لا يؤمه المسلمون للعبادة فحسب، وإنما للمشاورة والقضاء والتجارة والسمر، يلتفون حول الرسول عليه الصلاة والسلام ليأخذوا عنه مبادئ دينهم ونظم مجتمعهم وآيات القرآن الكريم. إن المسجد قوة اتصالية كبرى، ومعهد تعليمى أصيل، كما أنه يفسح مكانا للنساء يجتمعن فيه للصلاة وتدارس شئونهن.

---

(1) Golden Peter, Media Role in National Development Critique of a Theoretical orthodoxy. Journal of Communication,1974, vol.24No3,PP.39-53.

(2) Lerner Daniel,The Passing of Traditional Society:Modernizing The Middle East, New york:Free Press,1958,.

Quoted in Schramm, wilbur and Lerner, Daniel, Communication and Change: The Last Ten years and The next, Honolulu, E,wcenter,1976,.

(٣) د. إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامى، مرجع سابق،ص٣٢٢.

والحقيقة أن الإسلام قد انتصر للمرأة وأعطى لها مكانتها اللائقة بها فى المجتمع، فبعد أن كانت متاعا يورث، وبعد أن كانت الطفلة تتعرض للقتل خوف العار أو الفقر، جاء الإسلام فحرم ذلك كله ورفع من شأنها، ودفع عنها ماأثقلتها به حياة الجاهلية من مظالم فقال تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾(١) كما قال تعالى أيضا : ﴿وإذا الموءودة سئلت، بأى ذنب قتلت﴾(٢)، وقال عز من قائل ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطئا كبيراً ﴾(٣) .

وكانت المؤاخاة بين عناصر المجتمع الإسلامى بين المهاجرين والأنصار والأوس والخزرج حركة اتصالية عظمى صهرت الجميع فى بوتقة الإسلام وذهبت عن المهاجرين وحشة الغربة ومفارقة الأهل والعشرة . قال تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ (٤) . لقد تكون تجمع إسلامى يربطه التوحيد وتجمع أواصره التقوى والمحبة والتعاطف والإيمان.

وتعتبر (الصحيفة) من أنفس المعاهدات الدولية التى كفلت الحرية للجميع، حتى أنها ضمنت لليهود الأمن على دينهم وأموالهم، فهى نموذج فذ للسلام العالمى فى كنف دين التوحيد والأمن والسلام.

مقومات النموذج الإسلامى للتنمية :

والنظام الإسلامى يوجد البيئة المثلى لعملية التنمية لأنه نظام ربانى من لدن عليم خبير، والنموذج الإسلامى للتنمية يقوم أساسا على الإمكانات الفطرية للإنسان الذى أودعه الله القدرة على الارتقاء فى المعرفة. لقد نفخ الله من روحه فى هذا الكائن البشرى. لأن إرادته اقتضت أن يكون خليفته فى الأرض وأن يتسلم مقاليد هذا الكوكب فى الحدود التى قدرها له : حدود العمارة ومقتضياتها من قوى وطاقات .

والإنسان المسلم يقوم بدوره فى استغلال الثروات التى استخلفه الله عليها فى ظل ضوابط تنبع من العقيدة الإسلامية، وتنعكس فى ممارسات الفرد وهو ينتج ويودع ويستهلك الثروة ويتبادلها مع بقية أفراد مجتمعه الإسلامى الذى تحكمه ضوابط اصلاحية وروحية تحث على الاعتدال وحب الطيبات وكراهية الخبائث، بالإضافة إلى التكافل والسعى فى الرزق لتوفير

---

(١) النساء : ١٩.
(٢) التكوير : ٨، ٩.
(٣) الإسراء : ٣١.
(٤) الأنفال : ٧٢.

البيئة المثلى لاستغلال الموارد البشرية والمادية لتحقيق الأهداف التنموية .

فقد وضع الإسلام القواعد الأساسية للاستهلاك والإنفاق والتمتع بالنعم إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾(١)، ويقول جل شأنه ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾(٢)، فالإسلام يحارب الإسراف والتبذير والسلوك الترفى والتفاخرى، ويكره التفاوت الشديد فى اللباس والمتاع لأن ذلك يخلق نوعاً من السخط أو الحسد، ولهذا حرم الإسلام على الرجال لبس الحرير والتزين بالذهب، كما حرم استعمال آنية الذهب والفضة، لأن الرجال أكثر اختلاطاً بالحياة العامة، فالترف معهم يؤذى الفقير ويؤلمه بخلاف المرأة لأن اختلاطها بالحياة العامة محدود بحكم الشريعة الإسلامية.

والنموذج الإسلامى للتنمية ينظر إلى الكون والحياة والإنسان نظرة مغايرة تماما للنظم الوضعية التى تعتبر الطبيعة عدوا شرسا للإنسان تريد سحقه وتدميره وتسيطر عليه وتقهره، فى حين أن النظرة الإسلامية لاتبعث على هذا التشاؤم، بل تبعث دائما على الأمل والسعى لاكتشاف السنن والقوانين التى تخضع لها حركة الكون الذى سخر الله تعالى مافيه للإنسان لكى يحقق الإصلاح والعمارة، لا الافساد والتخريب وتلويث البيئة بما فيها من ماء وهواء وتربة واستغلال بمعدلات عالية ومايؤدى إليه من اختلال إن الإسلام يحث على النظر إلى الكون والحياة نظرة ألفة يعيش فيها الإنسان فى انسجام وتوازن وتفاؤل.

والنموذج الإسلامى للتنمية ينطوى على التعاون والايثار والمحبة، ذلك أن الإسلام لا يحارب الغنى ولا ينتقص من ثروة الأغنياء مادام أنهم قد حصلوا على المال بطريق شريف، لقد جعل الإسلام حق المال هو الزكاة، ثم جعل للإمام الحق فى أن يأخذ بعد الزكاة مايمنع به الضرر ويرفع به الحرج، ويصون به المصلحة لجماعة المسلمين، وهو حق كحق الزكاة عند الحاجة إليه موكول إلى مصلحة الأمة وعدالة الإمام وقواعد النظام الإسلامى العام.

والزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة حافل بالتربية الروحية. ولقد طاف العالم برحلة طويلة منذ بدء البشرية حتى الآن، وشهد فى أثناء هذه الرحلة فيضا من الدماء وألوانا من الحروب التى تسببت عن المال، فالزكاة حق الجماعة فى عنق الفرد لتكفل لطوائف منهم كفايتهم أحيانا وشيئا من المتاع بعد الكفاف أحيانا، وبذلك يحقق الإسلام أحد مبادئه الأصيلة ﴿كى لا تكون دُولة بين الأغنياء منكم﴾(٣)، لأن الإسلام يكره الفقر والحاجة.

---

(١) الأعراف : ٣١.

(٢) الفرقان : ٦٧.

(٣) الحشر : ٧.

ويقرر الإسلام أن الكون كله ملك لله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان مستخلف فى الأرض، على ماحباه الله من نعم، إذ يقول تعالى : ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[1] بل إن الإسلام إذ يقرر أن العمران مراد لله سبحانه وتعالى، يجعل ذلك نوعا من العبادة، ويقرن بين الحافز العبادى والحافز الاقتصادى فى جميع المجالات الزراعية والصناعية والتجارية وغيرها، أداء لأمانة الاستخلاف على نعم الله فى الأرض.

الإسلام والتنمية الزراعية :

لقد حث الإسلام على التنمية الزراعية وضرورة استغلال الأرض واستثمارها والاستفادة من خيراتها، إذ جعل فيها خاصية الإنبات، وسخرها للإنسان من أجل إعمارها. يقول الله تعالى: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون﴾[2] وقال تعالى : ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[3].

وفى الحديث الشريف: (من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر)[4]، وروى أبويوسف فى كتاب الخراج أن رسول الله ﷺ قال : (من أحيا أرضا مواتا فهى له)، وروى البخارى فى صحيحه قول رسول الله ﷺ (من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه).

ويستخدم الإنتاج الزراعى سلاحا سياسيا واقتصاديا تستغله الدول العظمى للضغط على الدول النامية وخاصة دول العالم الإسلامى. ولازالت الزراعة متخلفة فى بلادنا الإسلامية لأنها لاتقوم على أسس علمية متقدمة، وحتى الإنتاج الحيوانى متخلف هو الآخر رغم وجود مساحات شاسعة من المراعى.

ولايرجع التخلف فى التنمية الزراعية فى العالم الإسلامى إلى قلة الأرض الزراعية ولاقلة الأمطار والمياه ولا عدم توفر رءوس الأموال اللازمة للتنمية، ولا قلة الأيدى العاملة فى الزراعة، وإنما يرجع إلى الضعف فى التخطيط وعدم استخدام التقنية المتطورة النابعة من ظروف البيئة.

وقد أدى الاندفاع نحو بناء الصناعة الثقيلة فى بعض دول العالم الإسلامى إلى إهمال الزراعة، ففشلت حركة التصنيع وتدهورت الزراعة، وترتب على ذلك استنزاف رءوس الأموال والمدخرات دون طائل، وفى نفس الوقت تحجم الدول الكبرى عن نقل تكنولوجيا الزراعة إلى الدول النامية لإبقاء تبعيتها لها مستمرة.

---

(١) هود : ٦١.
(٢) يس : ٣٣.
(٣) البقرة : ١٦٤.
(٤) رواه الطبرانىّ فى الأوسط.

ولا شك أن اعتماد الدول الإسلامية على الاستيراد الغذائى من الدول الكبرى له خطورة كبيرة على اقتصادها الزراعى. فيقول أحد الخبراء : (إن برامج المساعدات الخارجية للغذاء قد تؤدى إلى انتكاسات سلبية على الاستثمار الزراعى فى البلد النامى المستفيد من البرامج. فالمساعدة قد تساهم فى تخفيض أسعار الغذاء، وإلى تخفيض جهود الدولة فى تنمية الزراعة). وأشار إلى نفس المعنى خبير آخر بقوله : (ولكن شحن الأغذية لبلد نام على أساس هذه التسهيلات قد يثبط الحوافز على زيادة الإنتاجية الزراعية للبلد أو البلاد المقدمة إليها هذه المعونات).

وثمة تقرير أعدته إحدى لجان مجلس الشيوخ الأمريكى جاء فيه (نحن نوزع فائض الغذاء لا على أساس الحاجات الأكثر إلحاحا، وإنما على أساس الاعتبارات التى تمليها السياسة الخارجية)، فلابد من اعتماد الأمة الإسلامية على نفسها فى التنمية الزراعية، وتوظيف رصيدها من البواعث العقائدية والقيم الإيمانية من أجل إنجاح الإنتاج الزراعى وتنميته أفقياً ورأسياً، وهنا يلعب الإعلام دوراً رئيسياً فى توجيه المزارعين وحفزهم إلى العمل، وتقديم المعلومات التقنية لهم، كما ينبغى استخدام الوسائل الإعلامية المناسبة لكل بيئة لتحريك المشاعر الإسلامية لكى تنطلق الأمة نحو الهدف المنشود.

التنمية الصناعية فى المجتمعات الإسلامية :

والتنمية الصناعية من الواجبات الأساسية فى المجتمع الإسلامى وليست التنمية الصناعية مجرد استيراد للتكنولوچيا أو تقليد لها أو مجرد إنتاج للسلع الاستهلاكية المادية والترفيهية، أو تركيب القطع المصنعة فى الخارج، وإنما تكون التنمية الحقيقية ذاتية نابعة من البنية الاقتصادية الإسلامية، ومعتمدة على المؤسسات العلمية والتنمية الذاتية للمواهب والأفكار الابتكارية فالعلم والتكنولوچيا لا ينتقلان بانتقال الكتب والآلات والخبراء، مادام الجسم الاجتماعى للأمة غير مستعد لتقبلها، كما يرفض الجسم تقبل الدواء، أو كما يلفظ الغريب عليه من الأعضاء. إن القابلية للتنمية الصناعية تتشكل من خلال النشاط البشرى فى الأمة ككل، وإن مسئولية القيادات العاملة فى مجالات التخطيط والتكنولوچيا هى إعداد العلماء والإحصائيين القادرين على البحث واستنبات الصناعة من التربة المحلية الذاتية، كما فعلت اليابان فى نهضتها الصناعية الرائدة.

لقد طورت اليابان صناعتها فى القرن الماضى عبر ٢٢٥ باحثا فقط، فى حين أن جامعات العالم الإسلامى تخرج أضعاف هذا العدد سنويا دون جدوى، لأن التعليم فى بلادنا نظرى تقليدى لا يخرج فئات الباحثين القادرين على الابتكار والنهوض الذاتى.

والنموذج الإسلامى للتنمية الصناعية يختلف بالضرورة عن النموذج الغربى الذى ثبت ضرره الفادح بتلويث البيئة سواء فى الماء أو الهواء أو التربة. فقد تلوث الهواء بالغازات السامة

والدخان ونفايات المصانع ومنها مايستخدم الطاقة الذرية ونفاياتها قاتلة . ففى إحدى مدن فيلادلفيا الأمريكية حدث تسرب خطير فى أحد المفاعلات الذرية، وفى مدينة بوبال الهندية تسربت مواد سامة أدت إلى مقتل الآلاف وتشويههم فى ديسمبر ١٩٨٤ . وتتلوث مياه البحار والأنهار والبحيرات بمركبات المعادن الثقيلة والنفط والجراثيم والميكروبات . كما تتلوث التربة بزيادة ملوحتها لتراكم النفايات عليها .

والنموذج الشرقى الاشتراكى فى التنمية لايمكن قبوله إسلامياً لما يعانيه العمال من ضيق وعسف وظلم صارخ، وإن كانت تلك الدول تزعم بأنها حامية للعمال ومنتصرة لهم . وقد أخطأ هذا النموذج فى التنمية خطأ فادحاً بالتركيز على الصناعات الثقيلة وإهمال الزراعة، حتى أصبح الروس يستجدون الحبوب من أمريكا، وقد عرضوا فى مستهل سنة ١٩٨٥ ضمن ماعرضوه لاستمرار استيراد الحبوب من أمريكا السماح بهجرة اليهود من روسيا إلى إسرائيل.

ولا بأس من أن تبدأ الدول الإسلامية بالعناية بالتنمية الزراعية أولا ثم ربطها بالتنمية الصناعية، فهناك الصناعات الغذائية كالزيوت والسكر والأغذية المحفوظة والتمور لتحقيق الاكتفاء الذاتى والأمن الغذائى، كما يمكن أيضا الاهتمام بالصناعات النسيجية والملابس، وكذلك العناية بالصناعات المعدنية، وصناعة الآلات الزراعية، وبعدها يمكن البدء ببناء هيكل الصناعات الثقيلة.

ولما كان النفط من أهم السلع الحيوية التى ينتجها العالم الإسلامى، فقد أصبح لزاما علينا أن نعنى بعمليات التكرير والتصفية وتصنيع النفط وإنتاج الصناعات التحويلية كالأسمدة والإطارات والبطاريات والبلاستيك والألياف الصناعية والمبيدات وغيرها . ومن المؤسف أن معظم دول العالم الإسلامى تستورد هذه السلع من الخارج، بالرغم من توافر كافة الإمكانات لصناعتها محليا بما يتجاوز الاكتفاء الذاتى إلى التصدير.

وفى القرآن الكريم إشارات هامة إلى أهمية الصناعة ومنافعها ومجالات تطبيقها حثا للمؤمنين على ضرورة تنميتها . يقول الله تعالى : ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز﴾(١) ويقول عز من قائل : (يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات؛ اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور﴾(٢) ويقول الحق جل شأنه : ﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون : وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون﴾(٣).

---

(١) الحديد : ٢٥.
(٢) سبأ : ١٣.
(٣) النحل : ١٤.

وينظم الإسلام أصول الإنتاج واتقان العمل وصيانة حقوق العمال، فهو يجعل للعمل وللعاملين مكانة رفيعة . ففى الحديث الشريف : (إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده)[1] ويزكى القرآن الكريم أجر العامل فى قوله تعالى : (ونعم أجر العاملين) [2]، ويرتب الله سبحانه وتعالى الأكل من الرزق على المشى فى الأرض، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [3] .

دور الزكاة فى التنمية

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة تفرض على المال النامى والزائد عن الحاجات الضرورية للفرد متى بلغت النصاب. وهى تطهر النفس وتنمى الأموال وتزكيها لأنها فريضة تعبدية ومالية يؤديها المسلم امتثالا لأمر الله ورغبة فى ثوابه وخوفا من عقابه .

وفى الزكاة تنمية للنفس والمجتمع والإنتاج والمال. فهى تهذب غريزة التملك عند الإنسان وتمنعه من ظلم غيره وتدفعه إلى الاعتدال فى استخدام موارد المجتمع دون إسراف أو هدر أو تبذير، ولذلك فإنها تساهم فى تنمية المجتمع وتطوير موارده البشرية والمادية. وفى الوقت الذى تنقى فيه النفس من الشح والبخل والتعلق بماديات الأرض، نجد أن دورها كبير فى تحقيق التكافل الاجتماعى بين كافة فئات المجتمع الإسلامى .

ولأن الزكاة عبادة والتزام ذاتى وليست قهرا ولا إلزاما من خارج الذات عن طريق القانون أو السلطة التنفيذية – على نحو ما فى الدولة المعاصرة – لا تكون الضريبة بديلا عنها، لأن معنى العبادة والالتزام الحر ليس موجودا فى الضريبة، لذلك فإن الإنسان المسلم لا يحتاج إلى من يطالبه بالزكاة كما هو الحال فى الضرائب الوضعية التى تخلو من الأبعاد العقيدية والأخلاقية .

وللزكاة دور هام فى الناتج القومى وزيادة الاستثمارات المنتجة، وإذا اعتبرنا الدخل القومى مؤشرا للتنمية، فإن رفع مستويات المعيشة للأفراد يؤدى إلى زيادة الدخل القومى من خلال حصولهم على كمية أكبر من الخدمات والسلع الاستهلاكية الضرورية منها والكمالية وفقا للإمكانات المتوافرة .

ومن الواضح أن حصول فئات المجتمع على ما تستحقه من الزكاة ييسر الحصول على مايلزمها من سلع وخدمات ضرورية، ومعنى ذلك زيادة الإسهام فى الطلب وتنمية القوة الشرائية وهذا بدوره يدفع المستثمرين إلى تنمية استثماراتهم.

---

(١) رواه الإمام أحمد .
(٢) آل عمران : ١٣٦ .
(٣) سورة الملك : ١٥

ورفع إنتاجهم لتلبية هذه الزيادة فى الطلب وهكذا ترفع الزكاة من معدل النمو الاقتصادى، ويزداد الدخل القومى : ويرتفع المستوى المعيشى للمجتمع بأسره .

ومن ناحية أخرى تسهم الزكاة فى تنمية المشروعات الإنتاجية، نظرا لأن اكتناز المال دون تنميته يؤدى إلى استهلاكه عن طريق دفع الزكاة عنه سنويا فمن باب أولى يوظف هذا المال من أجل استثماره فى المشروعات الإنتاجية تلبية لزيادة الطلب على السلع والخدمات من قبل الفئات المستحقة للزكاة والتى أصبحت بفضله ذات قوة شرائية طيبة .

والنموذج الإسلامى للتنمية لا يقتصر على الجوانب المادية وإنما يهتم اهتماما كبيرا بالنواحى الإنسانية من خلال توفير الضروريات الحيوية للإنسان كالملبس والمسكن والنقل والتربية والصحة والزواج والتحرر من العبودية والدعوة إلى الله، و توفير أدوات الإنتاج، وبذلك تساهم فى حفظ كرامة الإنسان وترفع إنتاجيته، وتؤهله للعمل من أجل بناء المجتمع الإسلامى المستقر المزدهر .

وتعتبر الزكاة وسيلة لإعادة توزيع ثروة المجتمع من فئة الأغنياء إلى فئة الفقراء والمحتاجين. فالحق تبارك وتعالى يقول﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (١) وهى بذلك تقلل من تركيز الثروات فى أيدى قلة من المجتمع مصداقا لقوله تعالى ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ (٢) .

فالنموذج الإسلامى للتنمية يتميز بشموله وتعدد أبعاده المادية والروحية والأخلاقية، والإنسان يعتبر غاية التنمية ووسيلتها، وكل تنمية لاتحقق هذه التوازن بين الأبعاد الإنسانية لايقبلها النموذج الإسلامى لأنه يعتبرها مشوهة وناقصة ولا تحقق إنسانية الإنسان على نحو ما جاء فى القرآن الكريم ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(٣) .

فالزكاة تحقق التكافل الاجتماعى والإنسانى، فهى تزكى نفس المعطى وتطهر أمواله وتحرره من الشح والبخل وسيطرة المادة فتحل البركة فى أمواله ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ (٤) كما يشعر آخذ الزكاة بروح التضامن والتكافل التى يتميز بها المجتمع الإسلامى، وترفع روحه المعنوية. ويتعمق شعوره بالانتماء إلى مجتمعه الذى يخلو من تلك الصراعات الطبقية التى تنشأ فى المجتمعات الوضعية، ويسود الوئام والتضامن والعمل بروح الحديث النبوى الشريف : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ، كما قال عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ثم شبك بين أصابعه .

---

(١) التوبة : ٦٠
(٢) الحشر : ٧ .
(٣) طه : ١٣٤ .
(٤) التوبة : ١٠٣

المراجـــع

١ – د. إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامى، دار الفكر العربى، ١٩٨٥ .

٢ – السيد بخيت محمد ، دور الصحافة المصرية فى التنمية الثقافية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩ .

٣ – أحمد صابر عبداللاه، الصحافة المصرية وحقوق الإنسان، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ١٩٩١ .

٤ – جمال مجدى حسنين ، دراسات فى التنمية الاجتماعية، دار المعرفة الحديثة، الاسكندرية، ١٩٨٥.

٥ – د. سعيد محمد السيد، الإعلام الإنمائى ،النظرية والتطبيق، محاضرة غير منشورة، لطلبة كلية الإعلام . ١٩٨٩.

٦ – د. حامد ربيع، الحرب النفسية فى المنطقة العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٤ .

٧ – د، سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام، القاهرة، الطبعة الأولى. عالم الكتاب ، ١٩٨٤.

٨ – عبدالعزيز عبد الله الجلال، تربية اليسر وتخلف التنمية، سلسلة عالم المعرفة وزارة الإعلام، الكويت، العدد ٩١، يوليو ١٩٨٥ .

٩ – د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، القاهرة دار الفكر العربى ١٩٦٥ .

١٠ – د. عبد الحليم عويس، المسلمون فى معركة البقاء ، القاهرة، دار الاعتصام ١٩٧٩ .

١١ – محمد أحمد إسماعيل، دور المثقفين فى التنمية السياسية، دراسة نظرية مع التطبيق على مصر، جزء أول، د. ت، ١٩٨٨ .

١٢– محمد عبدالقادر أحمد ، دور الإعلام فى التنمية ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٢.

١٣– د. محمد عبدالقادر حاتم، الإعلام والدعاية ، نظريات وتجارب، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢.

١٤– د. محمد على العوينى ، الإعلام الإسلامى الدولى بين النظرية والتطبيق، الطبعة الثانية، القاهرة، عالم الكتاب ١٩٨٧ .

١٥– د. محمد سيد أحمد، الإعلام والتنمية ، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٨٥ .

١٦– مجلة الطليعة، أغسطس ، ١٩٧٤ .

١٧ – مختار التهامى، الصحافة والسلام العالمى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨.
١٨ – فؤاد دياب، الرأى العام وطرق قياسه، من الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٦٢.
١٩ – فرناندترو، الإعلام، ترجمة حمد المندور، المنشورات العربية– بيروت.
٢٠ – د. نوال محمد عمر، الإعلام التربوى، دراسة نظرية وميدانية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٦.

المراجع الأجنبية

21 - Golden peter,Media Role in The National development, Critique of a Theoreti cal or the doxy, journal of communication, 1974 vIO24.
22 - Lerner Daniel, The passing of traditional Society, Modernizing The Middle East, . New York, free press,1958

أوراق خلفية - ١

توصيات وقرارات

المؤتمر العالمى الأول للإعلام الإسلامى

أوراق خلفية - ١

قرارات وتوصيات

المؤتمر العالمى الأول للإعلام الإسلامى

كما تليت فى حفل الافتتاح رسائل خاصة وجهت إلى المؤتمر من أصحاب الجلالة والفخامة ملوك وزعماء الدول الآتية :

قبرص التركية الاتحادية، منظمة التحرير الفلسطنية، الجمهورية العراقية، المملكة المغربية، المملكة العربية السعودية، جمهورية الباكستان، الجمهورية التركية، المملكة الأردنية الهاشمية .

كما تحدث أيضا معالى وزير الشئون الدينية لجمهورية أندونيسيا ومعالى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى وألقيت كلمة عن معالى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى .

ثم تفضل فخامة الجنرال سوهارتو رئيس الجمهورية الأندونسية بافتتاح المؤتمر رسميا بكلمة ضافية عبر فيها فخامته عن ترحيب الشعب الأندونيسى نيسى بانعقاد المؤتمر، كما تحدث عن ملامح مواقف وسياسة أندونيسيا الداخلية والخارجية تجاه قضايا العالم الإسلامى .

وكانت جميع جلسات المؤتمر ولجانه تفتتح وتختتم بتلاوات كريمة من القرآن المجيد .

ثم باشر المؤتمر أعماله بانتخاب معالى الشيخ محمد على الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى رئيسا لهذا المؤتمر، كما انتخب الأخوة الخمسة التالية أسماؤهم نوابا لرئيس المؤتمر :

١ – سعادة الأستاذ روسهان أنور من أندونيسيا (عن آسيا).

٢ – معالى الأستاذ قاسم الزهيرى من المغرب (عن أفريقيا) .

٣ – سعادة الأستاذ محمد عبد المنعم من أمريكا (عن أمريكا) .

٤ – سعادة الأستاذ حاشر فاروقى من انجلترا (عن أوربا) .

٥ – سعادة الأستاذ م.س القادرى من كندا (عن كندا) .

كما انتخب المؤتمر الدكتور عبد الرحمن الشبيلى (المدير العام السابق للتليفزيون السعودى) وأستاذ الإعلام بجامعة الرياض مقررا للمؤتمر .

وقد ساد الحفل جو روحى أخوى رائع كما أجمع الخطباء على دعم قضية فلسطين واستنكار اغتصاب القدس وتأييد دعوة الجهاد المقدس وتأييد قضايا المسلمين فى مختلف أنحاء العالم .

وقد رأى المؤتمر فى بداية اجتماعاته توجيه برقية إلى فخامة الجنرال سوهارتو رئيس الجمهورية الأندونيسية للتعبير له عن شكر المؤتمر وتقديره لرعاية أندونيسيا له وتفضله شخصيا بافتتاح المؤتمر واختياره رئيسا فخريا على المؤتمر .

كما وجه المؤتمر برقيات شكر جوابية لأصحاب الجلالة والفخامة ملوك وزعماء الدول الذين وجهوا رسائل خاصة إلى المؤتمر .

وفى مستهل الاجتماعات أيد المؤتمر بالإجماع ورقة العمل العراقية التى تنص على ما يلى :

أ – تأييد البيان العراقى / السعودى حول المقاطعة السياسية والاقتصادية لكل دولة تفتح سفارتها فى القدس .

ب – فضح الكيان الصهيونى الذى تحدى مشاعر المسلمين بقرار جعل القدس عاصمة دائمة موحدة له .

جـ – مقاومة ورفض أي عمل فنى أو إعلامى يعادى الإسلام ويشوه مبادئه السمحة.

د – دعوة الدول الإسلامية إلى تعزيز التعاون فيما بينها للدفاع عن مبادئ الإسلام الحنيف وعدم السماح لأى جهة أن تتحدى مشاعر المسلمين .

هـ – دعوة الدول الإسلامية ومن خلال أجهزتها الإعلامية والثقافية إلى الوقوف بوجه الحملة الإعلامية ضد امتلاك الدول الإسلامية للتكنولوجيا النووية للأغراض السلمية.

وانبثقت عن المؤتمر أربع لجان فرعية لدراسة البحوث وأوراق العمل المقدمة للمؤتمر وذلك على النحو التالى :

أ – لجنة التحديات الفكرية والقضايا الإسلامية.

ب – لجنة إعداد الميثاق والبطاقة الصحفية الإسلامية .

جـ – لجنة مشروعات الإعلام الإسلامى .

د – لجنة تطوير وسائل الإعلام .

وبعد مناقشة وتدارس ما اتخذته مختلف اللجان من توصيات. توصل المجتمعون إلى المقررات التالية :

أولا : رأى المؤتمرون : إعادة إقرار وتأكيد أبرز التوصيات السابقة التى أقرها المؤتمر التحضيرى السابق قبرص (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) والمتعلقة بشئون الإعلام وهى:

أ – أن تعمل الجامعات الإسلامية على إنشاء أقسام للصحافة الإسلامية بها لتخريج الصحفيين المدربين والمؤهلين للقيام بجميع فروع العمل الإعلامى. إضافة إلى إنشاء معهد لتخريج الكوادر العليا .

ب – الاستعانة بالطاقات الإسلامية فى مختلف مجالات العمل الإعلامى .

جـ – أن تتبنى رابطة العالم الإسلامى إنشاء مركز للمعلومات لإمداد الحقل الإعلامى بالمعلومات الموثقة .

د – حث الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى على تنشيط دور وكالة الأنباء الإسلامية فى العالم الإسلامى بأسرع وقت مستطاع .

هـ – دعوة وكالات الأنباء فى العالم الإسلامى إلى إبراز أخبار العالم الإسلامى والعناية بها لكسر العزلة الذى تفرضه وسائل الإعلام المعادية للإسلام .

و – دراسة إمكانية إنشاء صحيفة يومية ومجلات أسبوعية وشهرية إسلامية بعدة لغات تصدر فى يوم واحد بالعواصم العالمية والإسلامية .

ز – دراسة إمكانية إنشاء شركة أو شركات إعلانات إسلامية حماية للصحف الإسلامية من الوقوع تحت ضغط شركات الإعلانات الأجنبية .

ح – يناشد المؤتمر البلدان والمنظمات الإسلامية منع دخول أو طبع الصحف والنشرات والكتب

التى تعادى الفكر الإسلامى أو تؤثر فى عقيدة الشباب المسلم وكذلك حجب الإعلانات التجارية عن وسائل الإعلام المعادية للإسلام .

ثانيا ميثاق چاكرتا للإعلام الإسلامى

إيمانا بالله ورسوله .

واستلهاما لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ .

وعملا بالإسلام وعطائه الموصول .

ووعيا بما يحدق بهذه الأمة من أخطار وبدور الإسلام فى حمايتها وانبعاثها .

وتقديرا لأهمية الدور الذى تقوم به وسائل الإعلام على اختلاف أصنافها .

وحفاظا على الواجب الإعلامى وسمو أهدافه وشرف المهنة وتقاليدها .

وانطلاقا من الأهداف التى تمثل آمال الأمة الإسلامية وطموحاتها .

يقر الإعلاميون المسلمون ميثاق الشرف الإعلامى الإسلامى الذى يلتزمون به ويجعلونه نبراس أعمالهم ومصدر التقنين لواجباتهم وحقوقهم .

المادة (١)

الالتزام :

أ - بترسيخ إيمانه بقيم الإسلام ومبادئه الخلقية .

ب - بالعمل على تكامل شخصيته الإسلامية .

ج - بتقديم الحقيقة له خالصة فى حدود الآداب الإسلامية .

د - بتبين واجباته له تجاه الآخرين وبحقوقه وحرياته الأساسية .

المادة (٢)

يعمل الإعلاميون على جمع كلمة المسلمين ويدعون إلى التحلى بالعقل والأخوة الإسلامية والتسامح فى حل مشكلاتهم ويلتزمون :

أ - بمجاهدة الاستعمار والإلحاد فى كل أشكاله والعدوان فى شتى صوره والحركات الفاشية والعنصرية .

ب - بمجاهدة الصهيونية واستعمارها الاستيطانى بأشكال القمع والقهر التى يمارسها العدو الصهيونى ضد الشعب الفلسطينى والشعوب العربية .

جـ - باليقظة الكاملة لمواجهة الأفكار والتيارات المعادية للإسلام .

المادة (٣)

يلتزمون :

أ – بالتدقيق فيما يذاع وينشر ويعرض حماية للأمة الإسلامية من التأثيرات الضارة بشخصيتها الإسلامية وبقيمها ومقدساتها ودرء الأخطار عنها .

ب – بأداء رسالتهم فى أسلوب عف كريم حرصا على شرف المهنة وعلى الآداب الإسلامية . فلا يستخدمون ألفاظا نابية ولا ينشرون صورا خليعة ولا يتعرضون بالسخرية والطعن الشخصى والقذف والسب والشتم وإثارة الفتن ونشر الشائعات وسائر المهاترات .

جـ – بالإمتناع عن إذاعة ونشر كل ما يمس الآداب العامة أو يوحى بالانحلال الخلقى أو يرغب فى الجريمة والعنف والانتحار أو يبعث الرعب أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشر أو غير مباشر

د – بالامتناع عن إذاعة ونشر الإعلان التجارى فى حالة تعارضه مع الأخلاق العامة والقيم الإسلامية .

المادة (٤)

يلتزمون بنشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالقضايا الإسلامية والدفاع عنها وتعريف الشعوب الإسلامية بعضها ببعض والاهتمام بالتراث الإسلامى والتاريخ والحضارة الإسلامية ومزيد العناية باللغة العربية والحرص على سلامتها ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية وبالخصوص بين الأقليات الإسلامية.

وبإحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية لاسترجاع السيادة التشريعية للقرآن والسنة. ويتعهدون بالمجاهدة من أجل تحرير فلسطين وفى مقدمتها القدس وكافة الأقطار الإسلامية المضطهدة. ويلتزمون بتثبيت فكرة الأمة الإسلامية المنزهة عن الإقليمية الضيقة والتعصب العنصرى والقبلى واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف فى جميع مظاهره وتحقيق التنمية الشاملة التى تضمن للأمة الازدهار والرقى والمناعة .

ثالثا :

أ – يقرر المؤتمر إنشاء (أمانة عامة دائمة) للإعلام الإسلامى مقرها مكة المكرمة تنظم وتنسق شئون الإعلام والإعلاميين المسلمين فى العالم من حيث عقد المؤتمرات واللقاءات التى تستهدف الارتقاء بالإعلام الإسلامى ككل وسيلة وغاية .

ب – يقرر المؤتمر تعيين معالى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى أمينا للأمانة الدائمة للإعلام

الإسلامى بحكم منصبه يساعده أمين عام مساعد تنفيذى ومكتب تنفيذى يضم خمسة أعضاء يمثلون قارات العالم ويتم اختيار هؤلاء جميعا من قبل الأمين العام.

جـ - يشغل الأمناء المساعدون مناصبهم لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

د - يفوض الأمين العام للأمانة الدائمة للإعلام الإسلامى بوضع اللائحة الداخلية للأمانة وتعتبر سارية المفعول بعد تصديق المكتب التنفيذى عليها بالإجماع .

هـ - تتولى الأمانة العامة للإعلام الإسلامى إعداد الدراسة التفصيلية لنظام هذا الجهاز وطريقة تمويله، وتمويل نفقات مشاريعه. تمهيدا لعرض ذلك على مؤتمر القمة الإسلامى ووزراء الخارجية للدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية الأخرى .

رابعا :

أ - يقرر المؤتمر إصدار بطاقة إعلامية يحملها كل منتسب من رجال الإعلام المسلمين للأمانة العامة للإعلام الإسلامى .

ب - يصدر الأمين العام للإعلام الإسلامى البطاقات الإعلامية لمستحقيها وفق سجل رجال الإعلام المسلمين الذى تحفظه الأمانة العامة لديها للمنتسبين لها منهم .

جـ - يفوض المؤتمر الأمانة العامة للإعلام الإسلامى باختيار الشكل والحجم واللون المناسبين للبطاقة الإعلامية كما يفوضها فى وضع شروط منحها والحقوق المترتبة على حملها وكذلك شروط سحبها من حاملها إذا اقتضى الأمر .

خامسا :

أ - إنشاء المجلس الأعلى العالمى للإعلام الإسلامى ويتكون هذا المجلس من أربعة وعشرين عضوا من رجال الفكر والاختصاص يمثلون مختلف مناطق العالم، وتكون مهمة هذا المجلس وضع السياسة العامة للإعلام الإسلامى فى العالم ويجتمع أعضاؤه ويديرون الأعمال وفقا لنظام معين يضعونه بعد أول اجتماع يعقدونه، وتكون مكة المكرمة مقرا دائما لاجتماعات هذا المجلس. وتتولى الأمانة العامة لمؤتمر الإعلام الإسلامى العالمى مهمة إدارة أعماله بشكل مؤقت لحين وضع النظام وذلك بإشراف رابطة العالم الإسلامى .

ب - ينبثق عن هذا المجلس جهازان، جهاز لتخطيط الإعلام على المستوى العالمى وجهاز لتنفيذ الخطة الموضوعية فى شتى الحقول والميادين الإعلامية .

جـ - ينشئ المجلس الأعلى العالمى للإعلام الإسلامى مراكز فرعية له يسمى كل منها بالمركز الإسلامى للإعلام وذلك فى كل من المدن ذات الفاعلية الإعلامية فى العالم .

د – دراسة إنشاء شركة مساهمة عالمية إسلامية مستقلة للتوزيع على أسس اقتصادية وفقا للأبحاث المقدمة للمؤتمر بهذا الشأن .

هـ – العمل على إنتاج ما يخدم الدين الإسلامى وقضاياه من الأفلام السينمائية التليفزيونية والأشرطة الإذاعية والنشرات وكتب الجيب بغرض شرح وجهة النظر الإسلامية عن كثير من الموضوعات والقضايا الهامة كتعليم أركان الإسلام ومبادئه بشتى اللغات .

و – يقرر المؤتمر التأكيد على أهمية الدور الملقى على عاتق كل من وكالة الأنباء الإسلامية واتحاد الإذاعات الإسلامية ويدعو لتطويرهما للقيام بمسئولياتها كاملة تجاه الأمة الإسلامية .

ز – دراسة إنشاء اتحاد للناشرين المسلمين فى العالم يوضع له نظام خاص ينظم أعمالهم ويرعى شئونهم .

حـ – إقامة معارض للكتاب الإسلامى فى مختلف اللغات يتنقل بين مختلف بلدان العالم الرئيسية.

ط – إقامة مسابقات للبرامج الدينية التليفزيونية وتخصيص جوائز للأفضل منها وإقامة سوق لبيع وتبادل البرامج الإسلامية .

ى – دراسة عقد الدورات التدريبية واللقاءات بين المختصين فى المجالات المتشابهة.

ك – ويرجو المؤتمر من حكومة المملكة العربية السعودية تقوية ودعم إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة فنيا وإداريا وبرامجيا بحيث تسمع صوت الإسلام إلى كافة أنحاء المعمورة .

ل – كما يرجو كافة الدول الإسلامية الأخرى دعم وتطوير الإذاعات الإسلامية فيها .

سادسا : تطوير الوسائل الإعلامية :

فى ظل النهضة الإسلامية الشاملة يقدم إضافات جديدة إلى فهمهم الإسلامى لعصرهم، إلا أن العالم الإسلامى لا يزال بعيدا عن تحقيق تقدم فعلى فى مجال العمل الإسلامى المنشود وخاصة فى مجال الإعلام .. ولذا فإن على الإعلام الإسلامى أن يواجه النمو الهائل الذى حققه العالم فى مجال وسائل الإعلام والاتصال .

إن تقدم وسائل الإعلام الإسلامى يحتاج إلى فلسفة ومنهاج متطور يواكب هموم الجماهير وقضاياه المعاصرة ويحقق التواجد والتوصيل الإعلامى الشامل واستخدام أرقى الوسائل الفنية المتاحة .

إن الإعلام الإسلامى يفتقر إلى ربط القول بالعمل وإلى مواكبة فهم العصر وإفهامه، كما يفتقر إلى التنسيق بين المؤسسات الإعلامية من أجل زيادة فاعليتها وتأثيرها .

ومن أجل المساعدة على تحقيق بعض هذه الأفكار فإن المؤتمر يأمل من الأمانة العامة للإعلام الإسلامى بعد قيامها العمل على :

أ – إنشاء مؤسسة إعلامية إسلامية غير حكومية تتعهد الدول والمنظمات الإسلامية باحترام

حريتها واستقلالها .

ب - إنشاء معهد للإعلام الإسلامى تكون مهمته التدريب السريع للإعلاميين الحاليين وتكوين كوادر بشرية إسلامية .

ويمكن اختيار بيروت مقرا لهذا المعهد نظرا لظروف العمل الإعلامية المتوفرة فيها .

جـ- إنشاء مؤسسة لإنتاج الوسائل والأدوات الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية .

د - التأثير فى وسائل الإعلام العالمية عن طريق مدها بالكفاءات أو دعمها بشتى الوسائل وصولا لموضوعيتها أو حيادها وتأييدها للقضايا الإسلامية .

هـ - لتزام كل إذاعة إسلامية بشراء وإذاعة المسلسلات الإسلامية التى تنتجها غيرها من الإذاعات.

و - التعاون مع وفيما بين وسائل الإعلام الإسلامية الموجودة فى أوربا وأمريكا لدفعها وتنشيطها فى الاتجاه الصحيح ولدعم استمرارها فى خدمة مسلمى هذه البلاد وتوضيح معانى الإسلام لغير المسلمين من سكانها .

ز - إنتاج رسالة إخبارية أسبوعية عن العالم الإسلامى يمكن توزيعها بواسطة الأقمار الصناعية لتتمكن المحطات الإسلامية وغيرها من استقبال أخبار إسلامية بشكل منتظم .

ح - العناية ببرامج وكتب ووسائل الإعلام للأطفال وتشجيع كل اهتمام وجهد إسلامى فى هذا المجال .

سابعا : التحديات الفكرية والقضايا الإسلامية :

أ - التحديات التى تواجه الإنسان .

تحاول التحديات الوافدة أن تواجه مفهوم الإنسان الذى كرمه الله تبارك وتعالى بأنْ جعله مُسْتَخْلَفاً فى الأرض فجعله خاضعا للمفهوم المادى ولا يقيم وزنا لا لحريته ولا لكرامته بأنْ تجعل القيمة للمجتمع وحده أو تجعله خاضعا للرغبات الجنسية وغريزة الطعام وتمزيق تكامل الروح والمادة فيه بأن تجعله ماديا خالصا .

ب - التحديات التى تواجه العقيدة .

تحاول التحديات الوافدة إنكار الديانات السماوية والادعاء بأنها أفيون الشعوب ولا نفع لها والحقيقة التى أقرها العلماء الطبيعيون المظنون بهم الإلحاد حتى اليوم هى أن العلم التجريبى يفتح الباب أمام فهم وجود الخالق تبارك وتعالى من أمثال هكسلى وغيره وكذلك الزعماء الذين كافحوا من أجل الحرية أمثال جورج واشنطون فى وصيته التى أكد فيها على أنه لا يمكن

المحافظة على الأخلاق من غير دين .

جـ - التحديات التى تواجه الإسلام .

١ - تواجه عقيدة التوحيد تحديات لا من المعتقدات الخارجة وحدها بل من بعض الفرق المنسوبة إلى الإسلام وهى تنكر جوهره القائم على الجمع بين الألوهية والربوبية وإنكار أية قوة أو صفة إلهية لأى مخلوق .

٢ - يواجه التشريع الإسلامى تحديات ادعاء بعض النقاد الغربيين من أنه لا يصلح للعصر الحديث وأنه يتعارض مع تطور المدنية. والحقيقة أن القوانين الوضعية المنقولة عن الغرب بعد مرور مائة سنة على تطبيقها فى بعض البلاد العربية والإسلامية قد ثبت فشلها فى تحقيق الأمن والسعادة فى المجتمعات الإسلامية كما أن علماء الغرب أكدوا عظمة التشريع الإسلامى وصلاحيته لكل زمان ومكان .

د - موقف الإسلام من الحضارة الغربية

للإسلام ذاتيته الخاصة وطابعه المميز وهو يفرق فى مجال الاقتباس من الحضارات بين أسلوب العيش والعلوم التجريبية فهو له أسلوبه الأخلاقى الخاص وفى نفس الوقت يتقبل كل منجزات العلوم العصرية والتكنولوجيا ويطبقها فى إطار مفهومه الإسلامى الأصيل .

كذلك فإن للإسلام موقفه الذى يفتح أبواب البحث العلمى وقد وضع المسلمون أصول المنهج التجريبى الذى قامت عليه الحضارة الحديثة وكانوا معلمى الغرب إلى عهد قريب .

والإسلام لا يعارض الفنون الجميلة ولكنه يضعها فى إطار مفهوم التوحيد .

هـ - تحديات الحياة الاجتماعية والمرأة .

تعرضت الحياة الاجتماعية والمرأة إلى تحديات الكفر الوافد الذى غذاه الانحلاليون فحاول انتقاص مفهوم الإسلام الاجتماعى الذى يقوم على الأخلاق والكرامة والرحمة والإطار الإنسانى فى بناء المجتمعات الكريمة والأسرة الفاضلة. كما أعطى الإسلام المرأة من الحقوق مالم تنله فى شريعة من الشرائع ولكنه أطلق حريتها فى العمل وحماها أخلاقيا وركز على دورها الحقيقى فى بناء الأسرة وإنشاء الأجيال الجديدة .

و - موقف الإسلام من الديانات الأخرى .

حاولت التحديات الوافدة أن تصف الإسلام بأنه صورة مكررة من الأديان الأخرى وهو ما قام عليه مفهوم بعض علماء الأديان المقارنة اليهود لإعلاء شأن ديانتهم ولذلك ينبغى لنا أن نضع مفهوما أصيلا لعلم مقارنة الأديان مستوحى من نبعه الصافى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى يؤكد أن الأديان السماوية مصدرها واحد وفى الوقت الذى أدخلت تفسيرات

على بعض الأديان غيرت مفهومها التوحيدى فإن الإسلام قد حفظ المفهوم التوحيدى نقيا خالصا .

ز - تحديات التبشير الغربى .

إن التبشير هو أخطر التحديات التى واجهت العالم الإسلامى فى العصر الحديث وكان مدخلا إلى النفوذ الاستعمارى والتضليل الفكرى والتحلل الخلقى والإلحاد الوثنى بما لهيئاته المختلفة من وسائل وموارد وطاقات وما يزال نفوذه فى كثير من مناطق العالم الإسلامى قائما وممتدا إلى اليوم بأساليب متطورة وماكرة وخفية وخاصة فى سيطرته فى الفترة الأخيرة على الثقافة والصحافة وعلى كثير من وسائل الإعلام (السينما والمسرح والتلفاز والراديو) ولذلك فإننا نوجه النظر إلى هذا الخطر والعمل على توجيه وسائل الإعلام الوجهة الصحيحة وعرض الإسلام فى صورة ميسرة مشرقة .

حـ - التحديات التى تواجه اللغة العربية .

تواجه اللغة الفصحى بوصفها لغة القرآن تحديات خطيرة تستهدف القضاء عليها وإعلاء شأن العاميات فى البلاد العربية وإحياء اللهجات واللغات القديمة باستعمالها فى وسائل الإعلام من طباعة وصحافة وإذاعة وتلفاز وذلك للحيولة دون فهم القرآن الكريم والحيلولة دون الاعتزاز بالتراث الإسلامى العربى ومن هذه التحديات محاولة إخضاعها لمناهج اللغات الذى وضع أساسا على مقايسة اللغات الأجنبية وكذلك محاولة تصويرها بأنها لغة قومية تخص العرب وحدهم ولهم حق تطويرها بينما هى لغة ألف مليون مسلم من بينهم العرب. ولذلك فنأمل العمل على حماية اللغة العربية من هذه الأخطار وذلك بنشر الوسائط التى تحقق تعليم الأجيال الجديدة الفصحى لغة القرآن وخاصة فى البلاد الإسلامية وتقديم الدعم المادى للمؤسسات التى تقوم بهذا الغرض واستعمال جميع الوسائل العصرية فى تقديمها إلى مختلف الأجيال والأوطان بطريقة مبسطة ومشوقة .

ثامنا :

يرغب المؤتمر أن تقوم الأمانة العامة المستخدمة للإعلام الإسلامى بدراسة فكرة إيجاد صندوق لدعم الإعلام الإسلامى يتلقى الهبات والتبرعات والمساعدات ويقوم بتقديم العون لكل ما من شأنه دعم الإعلام الإسلامى وخاصة فى البلدان غير الإسلامية .

هذا وبمزيد من الامتنان والتقدير يشكر المؤتمر شعب وحكومة أندونيسيا لرعايتها الكريمة لهذا المؤتمر وتقديم التسهيلات له ويسجل التقدير أيضا لرابطة العالم الإسلامى على تبنى فكرته والسعى إلى إقامته وتقديم الدعم من أجل تحقيقه .

والسعى إلى إقامته وتقديم الدعم من أجل تحقيقه .

هذا واستجابة للدعوة التى وجهها دولة رئيس الحكومة التركية بعقد الاجتماع القادم فى تركيا ، فإن المؤتمر يؤكد شكره وتقديره لهذه الدعوة ويرجو أن تقوم أمانة هذا المؤتمر بالتنسيق والتشاور مع الحكومة التركية بأمل عقد دورته القادمة إن شاء الله .

وفى الختام يتوجه الإعلاميون المسلمون الذين يعقدون أول اجتماع تاريخى لهم إلى الله العلى القدير أن يمدهم بالعون لقول الحق وإعلاء كلمته وأن يكشف الضر عن بلاد المسلمين فى جميع أرجاء الأرض وصدق الله العلى العظيم إذ قال ﴿ وَمَنْ أحْسَنُ قولاً مِمنْ دَعا إلى الله وعَمِلَ صَالِحا وقالَ إنَنى مِن المسلمين ﴾ .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أوراق خلفية - ٢

معمر وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (إينا)

١ - دستور وكالة الأنباء الإسلامية الدولية*

تمشيا مع قرار وزراء الخارجية الإسلامى الثانى بكراتشى تؤسس وكالة أنباء إسلامية دولية "إينا ". تتكون المرحلة الأولى من جمعية لوكالات الأنباء الوطنية أو منظمات مشابهة حسبما تعين من قبل الدول الأعضاء .

٢ - المركز الرئيسى

يكون المركز الرئيسى لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية فى جدة .

٣ - الأهداف

إن أهداف وكالة الأنباء الإسلامية الدولية فى جدة كما يلى : -

أ) تعزيز وحماية التراث الإسلامى الضخم .

ب) إنشاء علاقات أوثق بين الدول الأعضاء .

جـ) تعزيز الصلات المهنية والتعاون الفنى بين الوكالات الأعضاء .

د) العمل على توحيد أهداف العالم الإسلامى .

هـ) العمل على إيجاد تفهم أكبر بين الشعوب الإسلامية للمسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

و) العمل على إنشاء وكالة أنباء إسلامية دولية متكاملة يكون لها مراكز إقليمية خاصة بها .

٤ - الوظائف

وظائف وكالة الأنباء الإسلامية تكون كما يلى : -

أ) تسهيل تبادل الأنباء والمقالات والصور .

ب) تنسيق وتوزيع الأنباء التى تهم العالم الإسلامى .

جـ) تسهيل تبادل المراسلين الصحفيين .

٥ - هيئات وكالة الأنباء الإسلامية الدولية

يكون لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية الهيئات التالية :

أ) الجمعية العامة .

ب) المجلس التنفيذى .

---

* صدر فى كوالالمبور فى يومى ١٦، ١٧ أغسطس ١٩٧٢م.

٦ - الجمعية العامة

تؤلف الجمعية من ممثلى وكالات الأنباء الوطنية أو من منظمات مشابهه لها من قبل الدول الأعضاء .

٧ – تنعقد الجمعيةالعامة مرة كل سنتين .

٨ – يجب أن يتفق زمان ومكان مثل هذا الاجتماع مع إجتماع مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ويعقد اجتماع فوق العادة للجمعية العمومية عند استلام المجلس التنفيذى طلبات خطية لا يقل عن نصف أعضاء وكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

٩ - المجلس التنفيذى

يتألف المجلس التنفيذى من سبعة أعضاء ستة منهم ينتخبون من قبل الجمعية العامة الأمين العام للمؤتمر الإسلامى أو ممثله بحكم منصبه مقام عضو، وينتخب المجلس التنفيذى : –

١٠ – يخدم أعضاء المجلس التنفيذى المنتخبون لمدة سنتين ويعاد انتخاب الأعضاء لمدة سنتين أخريين .

١١ – تتخذ قرارات المجلس التنفيذى بأغلبية بسيطة .

١٢ – يفوض المجلس التنفيذى فى تعيين سكرتير للمساعدة فى أعماله .

١٣ – يحق للمجلس التنفيذى حينما تقتضى الضرورة، أن يستشيرأعضاء وكالة الأنباء الإسلامية الدولية . بمراسلة خطية ويعتبر الاقتراح المعمم على أعضاء وكالة الأنباء الإسلامية الدولية خطيا من قبل الأغلبية المطلوبة نافذ المفعول .

١٤ - المالية

تمول وكالة الأنباء الإسلامية الدولية من :

أ) رسوم العضوية وتحدد من قبل الجمعية العامة .

ب) الهبات والإعانات المقدمة من الدول الأعضاء على أن تحدد من قبل الجمعية العامة .

١٥ - اللغة

إن لغات وكالة الأنباء الإسلامية الدولية هى :

العربية، والإنجليزية، والفرنسية .

النظام الأساسى
لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية

أولا – التأسيس :

١ – تنشأ منظمة تدعى (منظمة إذاعات الدول الإسلامية) وتعتبر منظمة متخصصة متفرعة من المؤتمر الإسلامى .

٢ – تكون المنظمة ذات شخصية اعتبارية طبقا لمواد هذا النظام .

٣ – مدة المنظمة ليست محدودة بتاريخ أو وقت معين .

٤ – مقر المنظمة مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية .

ثانيا – أهداف منظمه إذاعات الدول الإسلامية :

١ – نشر الدعوة الإسلامية .

٢ – الاهتمام بالتراث الإسلامى .

٣ – التعريف بالقضايا الإسلامية والدفاع عنها .

٤ – تعريف الشعوب الإسلامية ببعضها وتعميق روح الإخاء الإسلامى فيما بينها .

٥ – دعم العلاقات بين أعضاء المنظمة لتوحيد جهودها فى خدمة أهدافها المشتركة .

٦ – التعريف بالأسس السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية التى ترتكز عليها دعوة التضامن الإسلامى .

٧ – تبادل البرامج الإذاعية والأخبار والمعلومات الفنية وكذلك تدريب الموظفين فى المجالات الإذاعية للمنظمة .

٨ – التنسيق فى مجال الإرسال الإذاعى وتخطيط البرامج فيما بين أعضاء المنظمة.

٩ – تنظيم التعاون مع المنظمات الدولية للإذاعات بحيث تضمن المنظمة دفاعا موحداً عن متطلباتها فى الجداول اللاسلكية للموجات وفى غيرها من المسائل التى تهمها .

١٠ – حل كافة المشاكل الإذاعية التى تحدث بين الأعضاء بروح الأخوة الإسلامية وضمن إطار المجلس التنفيذى أو الجمعيه العامة للمنظمة .

١١ – تنمية التعاون بين المؤسسات الفنية للدول الأعضاء وتطويرها وصولا بها إلى مستوى العلاقات الأخوية بين الأقطار الشقيقة .

ثالثا – الوسائل :

تحقيقا لأهداف منظمة إذاعات الدول الإسلامية تقوم المنظمة بوضع واتخاذ كافة الترتيبات اللازمة وعلى وجه الخصوص :

١ – إنشاء الأجهزة الدائمة للقيام بالأعمال الإدارية والفنية والمالية .

٢ – إنشاء اللجان الدائمة والمؤقتة ومجموعات العمل الدائمة والمؤقتة للبحث والدراسة والمتابعة لكل ما يجد من أعمال خاصة بالمنظمة .

٣ – إقتناء العقارات والأجهزة اللازمة مع احتمال إمكانية التوسع والتطور .

٤ – جمع الوثائق والبيانات والإحصاءات والمعلومات والبحوث والدراسات وإصدار النشرات والمطبوعات الدورية والمؤقتة التى تتعلق بنشاط المنظمة وباللغات الرسمية للمنظمة .

رابعا – العضوية :

ينقسم الأعضاء فى منظمة إذاعات الدول الإسلامية إلى :

١) أعضاء عاملين .

٢) أعضاء منتسبين .

(١) الأعضاء العاملون :

الأعضاء العاملون فى المنظمة هم إذاعات الدول الإسلامية التى تكون دولهم أعضاء عاملة فى المؤتمر الإسلامى .

إذا وجدت أكثر من هيئة إذاعية فى دولة إسلامية عضوا فى المؤتمر الإسلامى فإن الإذاعة التى تعتمدها حكومتها تعتبر عضوا عاملا فى المنظمة أما باقى الإذاعات فيمكن قبولها كأعضاء منتسبين .

(٢) الأعضاء المنتسبون :

الأعضاء المنتسبون هم :

أ – إذاعات الدول الإسلامية من غير أعضاء المؤتمر الإسلامى والتى توافق الجمعية العامة للمنظمة على طلب انتسابها بالأغلبية البسيطة .

ب – إذاعات الدول الإسلامية فى المؤتمر الإسلامى التى لم يتم اعتمادها من قبل حكوماتها عضوا عاملا إذا وافقت الجمعية العامة للمنظمة على طلب انتسابها بالأكثرية المطلقة للدول الأعضاء .

خامسا - هيئات المنظمة :

تتألف المنظمة من :

أ - الجمعية العامة .

ب- المجلس التنفيذى .

جـ- الأمانة العامة .

الجمعية العامة :

١ - تشكيلها واختصاصها :

١٠١ : تتألف الجمعية العامة من جميع الأعضاء العاملين المعتمدين من الدول الأعضاء فى المؤتمر الإسلامى .

١٠٢ : الجمعية العامة تعنى الهيئة العليا لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية ولها كل السلطات الكفيلة بتحقيق أهدافها ويحكمها النظام الأساسى لها واللوائح الصادرة عنها وما يتخذه مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية من قرارات بشأنها .

١٠٣ : تضع الجمعية العامة نظاما داخليا لها تسير بموجبه .

١٠٤ : يعتبر النظام المالى والإدارى للأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى أساسا لأى لوائح إدارية أو تنظيمية أو مالية لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية وتصدر هذه اللوائح عن الجمعية العامة للمنظمة بالأغلبية البسيطة .

٢ - رئيس الجمعية ونائبه :

٢٠١ : تختار الجمعية العامة للمنظمة فى كل دورة رئيسا لها ونائبين للرئيس .

٣ - اجتماعات الجمعية العامة :

٣٠١ : يتم إنعقاد دور عادى للجمعية العامة للمنظمة مرة واحدة فى كل سنة على أن يسبق موعد اجتماع مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى ومن الأفضل أن يكون الاجتماع قبل شهر واحد على الأقل .

٣٠٢ : تنعقد الجلسات العادية للجمعية العامة للمنظمة فى الدولة التى يتفق بالأكثرية البسيطة عليها إثر طلب الدولة الداعية .

٣٠٣ : يدعو رئيس المجلس التنفيذى الجمعية العامة للاجتماع فى الدور العادى وفقا لما يتقرر فى الدورة العادية السابقة وعليه أن يرسل جدول الأعمال إلى الأعضاء قبل موعد الإجتماع بشهرين على الأقل .

٣٠٤ : يقوم رئيس المجلس التنفيذى بالتعاون مع الأمين العام للمنظمة بإعداد جداول أعمال الدورة .

٣٠٥ : تدرج الاقتراحات المقدمة من أعضاء المنظمة قبل شهرين على الأقل فى جدول الأعمال، ويجوز إضافة أية اقتراحات جديدة إذا اتفق عليها بالأكثرية البسيطة فى الاجتماع الذى تعقده الجمعية العامة لإقرار جدول أعمالها .

٣٠٦ : يحق لرئيس المجلس التنفيذى للجمعية للمنظمة الدعوة إلى دورة استثنائية بناء على موافقة خطية من نصف الأعضاء العاملين ويتم إبلاغ الدعوة برقيا للأعضاء قبل ثلاثة أسابيع على الأقل من موعد الاجتماع مع بيان جدول الأعمال ومكان الاجتماع .

٣٠٧ : تعتبر اجتماعات الجمعية قانونية إذا حضرتها الأغلبية البسيطة .

٣٠٨ : تتخذ القرارات بالأغلبية البسيطة للحاضرين ما لم ينص فى هذا النظام على خلاف ذلك .

٣٠٩ : يقوم الرئيس بإدارة الجلسات ويحافظ على النظام أثناء المناقشات .

٣١٠ : تكون اجتماعات الجمعية العامة للمنظمة مغلقة مالم تتخذ الجمعية العامة بالأكثرية النسبية قرارا خلاف ذلك .

٣١١ : لكل عضو عامل فى الجمعية صوت واحد .

٣١٢ : يتم التصويت برفع الأيدى أو المناداة بالاسم أو الاقتراع السرى .

٤ - الأعمال التى تقوم بها الجمعية العامة فى انعقادها الدورى العادى :

تقوم الجمعية العامة للمنظمة خلال إنعقاد جلساتها فى الدورة العادية السنوية بالمهام التالية :

٤٠١ إقرار برنامج العمل للدورة الحالية .

٤٠٢ الموافقة على محاضر جلسات الدورة العادية السابقة للجمعية العامة أو أية دورة استثنائية عقدت بين الدورتين .

٤٠٣ : مناقشة تقرير المجلس التنفيذى عن نشاطات المنظمة فى الفترة ما بين الدورتين العاديتين وما تم تنفيذه من قرارات الدورة العادية السابقة أو الاستثنائية للجمعية العامة .

٤٠٤ : دراسة التقرير المالى للسنة الفائته والمصادقة على الحسابات الختامية .

٤٠٥ : دراسة إقرار ميزانية العام التالى .

٤٠٦ : تحديد الالتزامات المالية لكل عضو فى ميزانية العام التالى .

٤٠٧ : تعيين مراجع حسابات قانونى للسنة المالية بناء على ترشيح رئيس المجلس التنفيذى .

٤٠٨ : مناقشة المواضيع المدرجة فى جدول الأعمال .

٤٠٩ : تحديد تاريخ ومكان الانعقاد للدورة العادية التالية للجمعية العامة للمنظمة وكذلك الاتفاق

على مكان بديل تحسبا للطوارئ .

٥ - اللجان :

٥٠١ : تنبثق عن الجمعية العامة لجنتان دائمتان :

أ - لجنة البرامج الدائمة وتتكون من خبراء البرامج فى جميع الدول الأعضاء على ألا يقل مستوى الحضور عن مراقبى البرامج ويمكن لهذه اللجنة أن تستعين بمن تشاء من العلماء ورجال الفكر الإسلامى لتعينها فى مهمتها .

ب - اللجنة الهندسية الدائمة وتتكون من المهندسين الذين يمثلون جميع الدول الأعضاء .

على أن يكون اختيار رئيس لكل من اللجنتين من مسئولية الجمعية العامة. ومدة الرئاسة ثلاث سنوات (ولا يشترط النصاب لصحة انعقاد اللجنة) .

وتعمل هاتان اللجنتان على تحقيق أهداف المنظمة المشار إليها فى هذا النظام، كما تدرس المواضيع التى تقرر الجمعية العامة تكليفها بها كل فى مجال اختصاصه ومن خلال تحديد الجمعية العامة لهذا الاختصاص وتشمل البرامج فيما تشمل الأخبار والرياضة .

٥٠٢ : يحق للجمعية العامة أن تشكل لجانا أخرى حسب مقتضيات المصلحة كما يحق لكل اللجان أن تنشئ بصفة دائمة أو مؤقتة مجموعات عمل تابعة لها لدراسة جوانب محددة ترجع إلى اختصاصه .

٥٠٣ : ترفع اللجان اقتراحاتها ونتائج أبحاثها ودراستها مع توصياتها إلى الجمعية العامة خلال المدة المحدودة لها فى قرار التكليف .

ب - المجلس التنفيذى :

١) يتألف المجلس التنفيذى من تسعة أعضاء يختار ثمانية منهم من قبل الجمعية العامة ويعتبر الأمين العام للمؤتمر الإسلامى بحكم منصبه أو من يمثله عضوا دائما فى المجلس التنفيذى، ويكون أمين عام المنظمة سكرتيرا للمجلس .

٢) ينتخب المجلس التنفيذى رئيسا له من بين أعضائه بالأكثرية .

٣) يعمل أعضاء المجلس التنفيذى المختارون لمدة ثلاثة أعوام ويجوز للجمعية العامة إعادة اختيار أى عضو منهم لنفس المدة لمرة واحدة، أما الأعضاء الجدد فيتم اختيارهم حسب تسلسل الحروف الأبجدية للدول الأعضاء مع مراعاة التوزيع الجغرافى للدول الأعضاء .

٤) تتخذ قرارات المجلس التنفيذى بأغلبية بسيطة .

٥) يجتمع المجلس التنفيذى مرتين على الأقل فى السنة بدعوة من رئيسه .

٦) يتولى المجلس التنفيذى كافة الصلاحيات التى تخص الجمعية العامة فيما بين دورتى الاتعقاد العاديتين واتخاذ القرارات اللازمة عدا الأعمال والاختصاصات التى تحتفظ بها الجمعية العامة لنفسها ويتم عرض ما يتخذه المجلس التنفيذى من قرارات بموجب ذلك على الجمعية العامة فى أول دورة عادية .

٧) يحق للمجلس التنفيذى حينما تقتضى الضرورة استشارة أعضاء الجمعية العامة لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية فى أمور خارجة عن حياته، وعند ورود أجوبة الأعضاء الخطية وحصوله على موافقة الأغلبية البسيطة يقرر اللازم وفق رأى الأغلبية ويعتبر قراره نافذ المفعول .

٨) يقوم المجلس التنفيذى بمتابعة وتنفيذ قرارات الجمعية العامة للمنظمة وكذلك متابعة أعمال اللجان .

٩) يقدم رئيس المجلس التنفيذى تقريرا مفصلا للجمعية العامة أول كل دورة عادية عما تم إنجازه فى الفترة السابقة كما يقوم بإعداد تقرير ختامى لكل دورة ويرسله لجميع أعضاء المنظمة.

١٠) يقوم المجلس التنفيذى بإعداد برنامج لنشاط المنظمة ومشروع الميزانية للعام التالى ومراجعة الحسابات الختامية للعام الماضى .

١١) يقوم المجلس التنفيذى بدراسة تقارير اللجان المختصة فى المنظمة واتخاذ اللازم بشأنها .

١٢) يعرض المجلس التنفيذى على الجمعية العامة طلبات القبول الجديدة المقدمة من الإذاعات الإسلامية .

١٣) يقترح المجلس التنفيذى على الجمعية العامة تعيين أمين عام للمنظمة وكذلك إنهاء خدماته ويصدر القرار اللازم من الجمعية العامة بالأغلبية البسيطة .

١٤) يقرر المجلس التنفيذى بالأكثرية البسيطة تعيين مدير للشئون الهندسية ومدير للشئون المالية والإدارية ومدير للشئون البرامجية وتبادلها أو أى مدير آخر يراه المجلس التنفيذى ضروريا . ويضع المجلس التنفيذى اللوائح الداخلية المتعلقة باختصاصات الإدارات ومديريها .

١٥) يحق للمجلس التنفيذى تفويض الأمين العام للمنظمة فى متابعة مهام المجلس باعتباره متفرغا .

١٦) يتولى المجلس التنفيذى صلاحية تقرير مهمة الادعاء والمحاماة والمصالحة أمام المحاكم المختصة أو الجهات الإدارية المعنية وهو الذى يقرر أية التزامات أدبية أو مالية تتعلق بالمنظمة إذا كانت تزيد عن الصلاحيات الممنوحة للأمين العام وفى الحدود التى تقررها الجمعية العامة للمجلس التنفيذى وللأمين العام .

١٧) لا يتقاضى رئيس وأعضاء المجلس التنفيذى أى أجر لقاء عملهم .

ج - الأمانة العامة للمنظمة .

١) تشكل للمنظمة أمانة عامة وتتألف من الأجهزة التالية :

الشئون الهندسية - الشئون المالية والإدارية - الشئون البرامجية .

٢) يكون مقر الأمانة العامة هو مقر المنظمة .

٣) يرأس الأمانة العامة أمين عام يمارس الصلاحيات والاختصاصات التالية :

٣٠١ : تنفيذ كافة الأعمال المتعلقة بالأمانة العامة والجمعية العامة للمنظمة والمجلس التنفيذى وتقديم المساعدة اللازمة للجان .

٣٠٢ : تحضير مشروع الميزانية للعام التالى وتقديم الحسابات الختامية للسنة المالية السابقة .

٣٠٣ : تنفيذ قرارات الجمعية العامة والمجلس التنفيذى .

٣٠٤ : جمع المعلومات والبيانات المطلوبة وإصدار المطبوعات اللازمة .

٣٠٥ : إدارة ومراقبة أموال وممتلكات المنظمة وفق اللوائح التى تصدر بذلك .

٣٠٦ : تعيين وفصل موظفى الأمانة العامة للمنظمة وفق اللوائح الإدارية .

٣٠٧ : التنسيق بين الشئون الهندسية والشئون المالية والشئون الإدارية.

٣٠٨ : الإشراف على مجلس المنظمة .

سادسا - موارد المنظمة وميزانيتها :

١) تتألف موارد المنظمة وميزانيتها من :

٦٠١ : اشتراكات الأعضاء العاملين .

٦٠٢ : المساعدات والهبات .

٦٠٣ : مبلغ يرصد فى ميزانية الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى فى كل عام .

٦٠٤ : يدفع كل عضو فى المنظمة اشتراكا سنويا تحدده الجمعية العامة فى أول دورة انعقاد عادية .

٦٠٥ : توزيع الميزانية على جميع الدول الأعضاء بنسبة مساهمة كل عضو بميزانية الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى .

سابعا - مدة العضوية وإسقاطها :

١) العضوية من حيث المبدأ دائمة وتسقط إذا قرر المؤتمر الإسلامى إسقاطها .

٢) العضو المنسحب من المنظمة بموجب كتاب خطى يقدم إلى المجلس التنفيذى لا يعتبر إنسحابه نافذا مالم توافق الجمعية العامة للمنظمة عليه بالأغلبية البسيطة ومن ثم المؤتمر الإسلامى على

أن تبقى الالتزامات المالية عليه سارية المفعول إلى نهاية السنة المالية .

ثامنا – تعديل النظام الأساسى وحل المنظمة :

١) لا يتم تعديل النظام الأساسى للمنظمة إلا بطلب من المجلس التنفيذى أو أكثر من سبعة أعضاء وبموافقة ثلثى أعضاء الجمعية العامة .

٢) لا تحل هذه المنظمة بعد تأسيسها إلا بقرار من مؤتمر وزراء الخارجية للدولة الإسلامية وإثر ذلك تؤول كافة ممتلكاتها وصافى أموالها للأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى . فيما عدا ما هو تحت تصرفها وليس ملكا لها .

تاسعا – أحكام عامة :

١) يتمتع أعضاء المنظمة بكافة المزايا والحصانات التى يتمتع بها أعضاء الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى .

٢) اللغات الرسمية للمنظمة هى – العربية – الإنجليزية – الفرنسية .

٣) يعمل بهذه الاتفاقية فور مصادقة وزراء خارجية الدول الإسلامية عليها .

أوراق خلفية - ٣

البيان الختامى

للمؤتمر الإسلامى الثانى لوزراء الإعلام - القاهرة

البيان الختامى

للمؤتمر الإسلامى الثانى لوزراء الإعلام - القاهرة

جمهورية مصر العربية - ١١ - ١٢ رجب ١٤١٢هـ ١٥ - ١٦ يناير ١٩٩٢م

١ - عملاً بقرار المؤتمر الإسلامى الأول لوزراء الإعلام، الذى عقد بجدة فى يومي ١، ٢ ربيع الأول ١٤٠٩هـ (١١ - ١٢ أكتوبر ١٩٨٨) وبدعوة لوزراء الإعلام فى القاهرة، جمهورية مصر العربية، يومى ١١، ١٢ رجب ١٤١٢هـ (١٥، ١٦ يناير ١٩٩٢).

٢ - وقد شاركت فى المؤتمر الدول الأعضاء التالية :

١ - المملكة الأردنية الهاشمية.

٢ - جمهورية أذربيجان.

٣ - أفغانستان.

٤ - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٥ - جمهورية أندونيسيا.

٦ - جمهورية أوغندا.

٧ - الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٨ - جمهورية باكستان الإسلامية.

٩ - دولة البحرين.

١٠ - بروناى دار الإسلام.

١١ - بوركينا فاسو.

١٢ - جمهورية بنغلاديش الشعبية.

١٣ - جمهورية بنين.

١٤ - الجمهورية التركية.

١٥ - جمهورية تشاد.

١٦ - الجمهورية التونسية.

١٧ - جمهورية غامبيا.

١٨ - الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

١٩ - جمهورية القمر الإتحادية الإسلامية.

٢٠ - جمهورية چيبوتى.

٢١ - المملكة العربية السعودية.

٢٢ - جمهورية السنغال.

٢٣ - جمهورية السودان.

٢٤ - الجمهورية العربية السورية.

٢٥ - جمهورية سيراليون.

٢٦ - الجمهورية العراقية.

٢٧ - سلطنة عمان.

٢٨ - جمهورية غينيا.

٢٩ - جمهورية غينيا بيساو.

٣٠ - دولة فلسطين.

٣١ - دولة قطر.

٣٢ - جمهورية الكاميرون.

٣٣ - دولة الكويت.

٣٤ - الجمهورية اللبنانية.

٣٥ - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

٣٦ – جمهورية مالى.

٣٧ – ماليزيا.

٣٨ – جمهورية مصر العربية.

٣٩ – المملكة المغربية.

٤٠ – الجمهورية الإسلامية الموريتانية.

٤١ – جمهورية النيجر.

٤٢ – الجمهورية اليمنية.

٣ – وحضر المؤتمر بصفة مراقب كل من :

جمهورية ألبانيا وطائفة القبارصة المسلمين الأتراك وجبهة مورو للتحرير الوطنى.

٤ – كما شارك فى المؤتمر من الأجهزة الفرعية لمنظمة المؤتمر الإسلامى مركز الأبحاث للتاريخ والفن والثقافة الإسلامية باسطنبول.

٥ – واشتركت فى المؤتمر مؤسسات منظمة المؤتمر الإسلامى المتخصصة التالية:–

– وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (اينا).

– منظمة إذاعات الدول الإسلامية (اسبو).

– المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيكو).

٦ – وحضر المؤتمر المنظمات الدولية والإقليمية التالية بصفة مراقب ومدعو :

– منظمة الأمم المتحدة.

– منظمة الوحدة الأفريقية.

– جامعة الدول العربية.

٧ – استقبل فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك، رئيس جمهورية مصر العربية، أصحاب المعالى الوزراء ورؤساء الوفود.

٨ – افتتح المؤتمر معالى الأستاذ على بن حسن الشاعر، وزير الإعلام فى المملكة العربية السعودية، رئيس المؤتمر الإسلامى الأول لوزراء الإعلام، وألقى معاليه كلمة نقل فيها تحيات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، ملك المملكة العربية السعودية وتمنياته للمؤتمر بالنجاح والتوفيق، راجياً للقائمين علي العمل الإعلامى الإسلامى المضى قدماً فى خدمة قضايا الأمة الإسلامية بالكلمة الواعية والصادقة والواثقة عبر جميع وسائل الإعلام المختلفة.

ودعا معاليه فى كلمته إلى ممارسة المسئوليات الإعلامية بأمانة الكلمة فى القول والعمل لمواصلة الجهود في هذا الشأن وتكثيفها من أجل إبراز وتطبيق مقررات القمم الإسلامية فى المجال الإعلامى مسترشدين ببلاغ مكة المكرمة وإعلان داكار لتوحيد صفوف الأمة الإسلامية والدفاع عن كرامتها وحماية حقوقها تعزيزاً للعمل الإسلامى المشترك فى جميع المجالات والعمل على صيانة حقوق الأقليات المسلمة فى العالم وكذلك التصدى للحملات الإعلامية التى تمس الدين الإسلامي ومقدساته.

٩ – ألقى معالى الدكتور حامد الغابد، الأمين العام كلمة أعرب فيها عن وافر الشكر وخالص الامتنان لفخامة الرئيس محمد حسنى مبارك لرعايته للمؤتمر ولحكومة جمهورية مصر العربية على ماتم اتخاذه من ترتيبات ممتازة لكفالة النجاح له. وعبر عن ارتياحه لوضع مسودات مشروعات هامة تتعلق بالخطة الإعلامية وميثاق

الشرف التي خلصت إليها أعمال لجنة المتابعة الوزارية منذ تشكيلها في عام ١٩٨٨. ووجه التهنئة لمعالي الأستاذ علي بن حسن الشاعر وزير الإعلام في المملكة العربية السعودية ورئيس المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الإعلام، على هذه الإنجازات وأشار معاليه إلى الدور الهام الذي يمكن للإعلام الإسلامي أن ينهض به في ضوء قرارات وإعلام داكار القمة الإسلامية السادسة وتقرير فخامة الرئيس عبدو ضيوف رئيس جمهورية السنغال، ورئيس اللجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية ((كومياك).

١٠ - استمع المؤتمر إلى رسالة موجهة من فخامة الرئيس محمد حسني مبارك، رئيس جمهورية مصر العربية، ألقاها نيابة عنه معالي السيد محمد صفوت الشريف وزير الإعلام في جمهورية مصر العربية. وقد رحب فخامته في رسالته بالوفود المشاركة على أرض مصر الطاهرة التي بقيت دائما وأبداً تعتز بانتسابها للإسلام، انتماء وعطاء، وإثراء لحركة أمتها في كل الظروف، وعبر فخامته عن تقديره للجهود الدؤوبة التي يبذلها فخامة الرئيس عبدو ضيوف رئيس اللجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية على رأس هذه اللجنة الإسلامية الهامة.

وأكد فخامته على الأهمية الخاصة لهذا المؤتمر الذي يعقد بعد القمة الإسلامية السادسة في داكار وفي ظل ظروف تواجه فيها الأمة الإسلامية عدداً من القضايا والمشكلات في المجالات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية ويشهد العالم فيها تحولات جذرية ورئيسية. وفي إطار شرحه لأولويات الإعلام الإسلامي في هذه المرحلة، أكد فخامة الرئيس محمد حسني مبارك أن قضايا الدول الإسلامية تحتاج دائماً إلى التضامن الإسلامي وهو يحتاج بدوره إلى التضامن الإعلامي . كما أشار أنه يتعين على الدول الأعضاء أن لا تنعزل عن ملاحقة التطور التكنولوجي واستيعابه، ودعا المؤتمر إلى دراسة رؤية إعلامية مستنيرة تزود الشعوب الإسلامية بالإنتاج الإعلامي الرفيع. كما أشار فخامته إلى أن بعض الأخطاء التي وقعت من بعض المنتسبين للإسلام قد زودت خصومه بأسباب الطعن فيه ومحاولة ربطه بالتخلف والسلبية فضلاً عن محاولة إلصاق تهمة الإرهاب باتباعه.

كما أكد فخامته على أهمية أن يبذل الإعلام والاتصال أقصى درجات الاهتمام للمساهمة في بناء الإنسان المسلم المعاصر. واستعرض فخامة الرئيس في هذا السياق المبادئ السامية التي يدعو إليها الإسلام في مجال احترام حقوق الإنسان وحرياته والدفاع عنها مبيناً أن أمة هذه قيمها المستمدة من الإسلام الذي يبرؤ من كل صنوف الإرهاب والعدوان والتفرقة والتمييز والاضطهاد والقهر، جديرة أن تسهم بشكل مؤثر وفعال في قيادة حركة الحياة وسيرة الحضارة.

١١ - ألقى وزراء الإعلام في كل من جمهورية النيجر وجمهورية أندونيسيا ودولة البحرين كلمات نيابة عن الدول الأعضاء الأفريقية والأسيوية والعربية، أعربوا فيها عن تقديرهم البالغ

للرسالة المسلمة التى وجهها فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك، كما أعربوا عن امتنان الوفود المشاركة لما لقيته من حفاوة حارة وضيافة كريمة من جانب حكومة جمهورية مصر العربية وشعبها، وشكروا فخامة الرئيس على ماقدمه للمؤتمر من توجيهات قيمة أثناء لقائه بهم لتعزيز دور الإعلام الإسلامى لمواجهة التحديات والمتطلبات الناشئة عن التغيرات العالمية المتلاحقة.

١٢ - بناء على اقتراح من معالى الأستاذ على بن حسن الشاعر وزير الإعلام فى المملكة العربية السعودية ورئيس المؤتمر الإسلامى الأول لوزراء الإعلام، قرر المؤتمر اعتبار خطاب فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وثيقة رسمية من وثائقه.

١٣ - وبناء على اقتراح من معالى الأستاذ على بن حسن الشاعر وزير الإعلام بالمملكة العربية السعودية ورئيس المؤتمر الإسلامى الأول لوزراء الإعلام، انتخب المؤتمر بالإجماع معالي السيد محمد صفوت الشريف وزير الإعلام بجمهورية مصر العربية، رئيساً للمؤتمر الإسلامي الثانى لوزراء الإعلام.

١٤ - ألقي معالى السيد محمد صفوت الشريف، وزير الإعلام بجمهورية مصر العربية، ورئيس المؤتمر، كلمة رحب فيها بالوفود علي أرض مصر المباركة التى خصها الله سبحانه وتعالى بالذكر فى محكم كتابه الحكيم فكانت دوماً حصناً للإسلام وقلعة من قلاعه الصامدة .

أكد أهمية هذا المؤتمر الذى يعقد فى فترة من فترات التحول الكبرى فى العالم، مشيراً إلى أن عالم اليوم يشهد تحولات وتطورات سياسية كبيرة وسريعة ومفاجئة فى معظم الأحيان . وأضاف معالي السيد محمد صفوت الشريف أنه فى مواجهة المتغيرات التى طرأت على العالم فى مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال، يتعين على العالم الإسلامى أن يدرس أسلوب التعامل مع هذه المتغيرات وفق المتطلبات المتمثلة أساساً فى قيام كيان إعلام إسلامى موحد، وتدعيم البنية الأساسية للإعلام الإسلامى، والاهتمام بالإنتاج الإعلامى الإسلامى.

وأكد معالى السيد صفوت الشريف على ضرورة دعم وكالة الأنباء الإسلامية الدولية ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية، ثم أعلن أنه بناء على تكليف من الرئيس محمد حسنى مبارك، وبتعضيد كامل من حكومة جمهورية مصر العربية، يضع كل قدرات الإعلام المصرى وخبراته، وهى موضع اعتزاز كل مسلم، فى خدمة تلك الأهداف السامية، فى تعاون غير محدود.

١٥ - انتخب المؤتمر بقية أعضاء المكتب على النحو التالى:

- جمهورية بنغلاديش الشعبية.
- جمهورية مالى.
- دولة فلسطين نواباً للرئيس.
- جمهورية السنغال مقرراً.

١٦ - أقر المؤتمر جدول الأعمال الذى

اقترحه اجتماع كبار المسئولين.

١٧ - بحث المؤتمر تقرير كبار المسئولين ومشاريع القرارات والتوصيات الواردة فيه واعتمدها.

١٨ - شارك العديد من وزراء الإعلام ورؤساء وفود الدول الأعضاء فى المناقشة العامة. وأكدوا أهمية تعزيز دور الإعلام الإسلامى من أجل تنشيط العمل الإسلامى المشترك ودعمه، أكدوا على ضرورة الاستفادة من أحدث مظاهر التقدم التكنولوجى في ميدان الاتصال، بما فى ذلك تكنولوجيا الفضاء والأقمار الصناعية لتدعيم كفاءة الإعلام الإسلامى. وفى معرض الإشارة إلى التغيرات العميقة التى شهدتها العلاقات الدولية، أكدوا ضرورة أن يتجاوب الإعلام الإسلامى تجاوباً فعالاً مع المتطلبات الجديدة، كما أشاروا إلى عديد من القضايا السياسية الملحة التى يواجهها العالم الإسلامى والتي كانت موضع بحث مستفيض فى مؤتمر القمة الإسلامى السادس الذى حدد موافقة بشأنها فى قراراته وفى إعلان داكار.

١٩ - أكد المؤتمر أهمية الدور الذى يقوم به الإعلام الإسلامى فى إطار دعم جميع القضايا الإسلامية العادلة، وحث فى هذا الصدد، الأجهزة والمؤسسات الإعلامية فى الدول الأعضاء على اتخاذ التدابير الملائمة للدفاع عن هذه القضايا والبحث عن حلول لمختلف القضايا والمشكلات التى تعني الأمة الإسلامية، وذلك فى إطار المبادئ والتوجهات العامة التى تتجلى فى إعلان داكار والقرارات الصادرة عن مؤتمر القمة الإسلامي السادس.

٢٠ - صادق المؤتمر علي الخطة الإعلامية للبلدان الإسلامية، والتقييم المالى لها، وأوصى باعتمادها من قبل اللجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية، وحث الدول الأعضاء علي تقديم التبرعات الطوعية من أجل دعم تنفيذ البنود المختلفة لتلك الخطة، وقرر كذلك أن يتم تمويل الفيلم الذى تقوم منظمة الإذاعات الدول الإسلامية بإنتاجه عن القدس الشريف، فى إطار الخطة الإعلامية وأن تكون له الأولوية.

٢١ - صادق المؤتمر على مشروع ميثاق الشرف للإعلامى الإسلامى ليكون وثيقة يستهدى بها الإعلام الإسلامى فى مسيرته وأوصى بعرضه على الدورة القادمة للجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية لاعتماده وطلب إلى الأمين العام تعميم ميثاق الشرف على الدول الأعضاء وأجهزة الإعلام الإسلامى للاسترشاد به فى العمل الإعلامي الإسلامى.

٢٢ - صادق المؤتمر على مشروع النظام الأساسى للبرنامج الإسلامى لتنمية الإعلام والاتصال، وأوصى بعرضه على رئيس اللجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية لاعتماده. كما ناشد اليونسكو تقديم الدعم والمساعدة للبرنامج الإسلامى لتنمية الإعلام والاتصال.

٢٣ - صادق المؤتمر على تقرير وتوصيات فريق الخبراء المكلف بدراسة تعريفات الاتصال لوسائل الإعلام وطلب إلى الأمين العام اتخاذ التدابير الملائمة لتنفيذها.

٢٤ – صادق المؤتمر على تقرير وتوصيات لجنة الخبراء المكلفة بدراسة توزيع الترددات الكهرومغناطيسية، وطلب إلى الأمين العام اتخاذ التدابير الملائمة فيما يتعلق بالتوصيات الواردة في تقرير الخبراء.

٢٥ – درس المؤتمر قرارات وتوصيات الاجتماعيين اللذين عقدتهما لجنة المتابعة الوزارية المنبثقة عن المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الإعلام.

وطلب من الأمين العام في إطار المشاورات التي طلبت القمة الإسلامية السادسة إجراءها باعتبارها جزءاً من العمل لتنفيذ أحكام القرار ١٨/٦أ.ف، وأحكام القرارات الصادرة عن المؤتمرين الإسلاميين التاسع عشر والعشرين لوزراء الخارجية، أن يعيد طرح مسألة إمكانية الإبقاء على كل من وكالة الأنباء الإسلامية الدولية ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية كمؤسستين مستقلتين متخصصتين للإعلام الإسلامي، وذلك في تقرير الأمانة العامة الذي سيعرض على المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية وعلى أن تتقدم الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بنفس الطلب مجدداً إلى القمة الإسلامية المقبلة، لإبراز وجهة النظر الإعلامية الإسلامية.

٢٦ – أعرب المؤتمر عن ارتياحه للجهود التي بذلت خلال السنوات الثلاث الماضية لتحسين الوضع المالي والإداري والتقني لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية، وحث الدول الأعضاء على تسديد مساهماتها في ميزانية الوكالة، وأن تحدد مواعيد لسداد المبالغ المتأخرة كما حث المؤتمر وكالات الأنباء والأجهزة المختصة في البلدان الإسلامية على تزويد وكالة الأنباء الإسلامية بالأخبار والتقارير والمعلومات المتعلقة بالقضايا الإسلامية والمشاريع الإنمائية.

٢٧ – أعرب المؤتمر عن تقديره للجهود التي بذلتها منظمة إذاعات الدول الإسلامية، وخطة العمل التي وضعتها، وأنشطتها في إطار برنامجها لعام ١٩٩٢. وحث المؤتمر الدول الأعضاء على دعم المشاريع والبرامج المقترحة في إطار عمل تلك المنظمة، وأن تنظر في إمكانية المشاركة في تنفيذ بعضها، وطلب من منظمة إذاعات الدول الإسلامية أن توجه اهتماماً خاصاً لتحقيق وعي أفضل بأوضاع وشئون وشعوب الجمهوريات الإسلامية التي استقلت مؤخراً، وكذلك بشئون شعوبها.

٢٨ – أحاط المؤتمر علماً، مع الارتياح، بورقة العمل التي قدمها وفد جمهورية مصر العربية، بناء على تكليف من المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الإعلام وبالمقترح المقدم من وفد الجمهورية الإسلامية الإيرانية بشأن إنشاء اتحاد إسلامي للصحفيين، وأكد المؤتمر أهمية إنشاء هذا الاتحاد، وطلب من الأمين العام أن يعمم مشروع النظام الأساسي للاتحاد على الدول الأعضاء، ومن خلال حكوماتها، على اتحادات ونقابات الصحفيين في العالم الإسلامي، بغية إبداء الرأي فيه قبل تقديمه إلى لجنة الخبراء لبحثه وتقديم توصياتها بشأنه.

٢٩ – أكد المؤتمر ضرورة تعزيز التعاون فى ميدان الاتصالات الفضائية والأقمار الصناعية، واستخدام المرافق الإقليمية والدولية المتاحة فى خدمة الإعلام الإسلامى من أجل توثيق الروابط وتعميق التفاهم والتضامن فيما بين شعوب ودول العالم الإسلامى، وأعرب المؤتمر عن ارتياحه لما قدمته كل من ماليزيا ودولة الكويت، من اقتراحات مهمة من ورقتى العمل بشأن مشروعى "إسلامفيزيون" و"الأقمار الصناعية والإعلام الإسلامى" وطلب المؤتمر من الأمين العام عقد اجتماع للخبراء، لإجراء دراسة جدوى عن الجوانب الهندسية والبراميجية والمالية بمشاركة ممثلين لوزارات المواصلات السلكية واللاسلكية.

وتدعى إليه منظمة إذاعات الدول الإسلامية وعربسات واتحاد إذاعات الدول العربية والاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية.

٣٠ – كما قرر المؤتمر استمرار لجنة المتابعة الوزارية بنفس تشكيلها، وبرئاسة جمهورية مصر العربية، على النحو التالى :

– المملكة العربية السعودية.
– دولة الكويت .
– دولة فلسطين .
– ماليزيا.
– جمهورية السنغال.
– الجمهورية التونسية.
– الأمين العام.

وقرر المؤتمر بناء على دعوة كريمة من دولة الكويت عقد الاجتماع القادم للجنة المتابعة الوزارية فى الكويت.

٣١ – قرر المؤتمر بناء على دعوة كريمة من الجمهورية العربية السورية عقد المؤتمر الإسلامى الثالث لوزراء الإعلام فى سوريا فى أبريل عام ١٩٩٤.

٣٢ – وفى ختام أعمال المؤتمر، أعرب معالى السيد محمد صفوت الشريف، رئيس المؤتمر عن شكره للمشاركين فيه على إسهامهم البناء فى مداولاته، وأعرب عن تقديره لروح التفاهم والتعاون التى سادت المناقشات وأتاحت التوصل إلى قرارات بالغة الأهمية لتعزيز العمل الإسلامى المشترك فى مجال الإعلام.

٣٣ – وألقى عدد من رؤساء الوفود عن المجموعات الإقليمية الثلاث، كلمات أكدوا فيها امتنانهم لفخامة الرئيس محمد حسنى مبارك ولجمهورية مصر العربية حكومة وشعباً على ماأعدته من ترتيبات ممتازة للمؤتمر، كما أعربوا عن تقديرهم البالغ لمعالى السيد محمد صفوت الشريف لما أبداه من اقتدار فى إدارة مداولات المؤتمر وتوجيهه نحو النجاح.

٣٤ – وأعرب المؤتمر عن شكره وتقديره لمعالى الدكتور حامد الغابد، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى لما أسداه من خدمات جليلة دفاعاً عن القضايا الإسلامية كافة، ومايبذله من جهد طيب لتعزيز العمل الإسلامى المشترك، ولما قدمته الأمانة العامة من عون كبير خلال انعقاد المؤتمر.

أوراق خلفية ـ٤
وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (إينا)

مقـــــدمة

تلعب وكالات الأنباء باعتبارها أجهزة إعلامية تتولى مهمة جمع الأخبار والمعلومات وتوصيلها إلى الجهات المعنية بها دورا خطيرا فى حياة الأمم والشعوب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، إلى جانب إسهامها الكبير فى توجيه وتشكيل الرأى العام محليا وقوميا وعالميا .

ونتيجة لسيطرة وكالات الأنباء العالمية شبه الكاملة على حركة تداول الأنباء فى العالم وتعمد معظمها تلوين وتحريف الأخبار والمعلومات المتعلقة بالمسلمين وقضاياهم داخل العالم الإسلامى وخارجه .. ورغبة فى زيادة التعاون والتنسيق بين وكالات الأنباء الوطنية فى الأقطار الإسلامية نشأت فكرة إنشاء وكالة أنباء إسلامية دولية وذلك منذ أكثر من ثلاثين عاما، غير أنها لم تخرج إلى حيز التنفيذ إلا عندما طرحت على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد فى مدينة كراتشى بباكستان فى ديسمبر من ١٩٧٠م ، وبدأت الوكالة أعمالها فى مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٧٩ م .

.. وإذا كان الهدف من إنشاء وكالة الأنباء الإسلامية الدولية التى يشترك فى عضويتها أكثر من ٤٠ دولة إسلامية هو أن يكون للعالم الإسلامى وحداته الأخبارية الخاصة به والتى تحمل طابعه والتعاون والتنسيق بين المنظمات الإخبارية فى العالم الإسلامى عن طريق منظمة إعلامية إسلامية دولية .. فإن هذا الهدف لم يتحقق حيث ولدت وكالة الأنباء الإسلامية الدولية ميتة ولم تفعل شيئا يدعم استقلال المسلمين إعلاميا، ولم تقلل من سيطرة وكالات الأنباء العالمية على وسائل الإعلام داخل الأقطار الإسلامية، ولم تحقق هدفا من الأهداف التى حددتها لنفسها .

وهذه الدراسة تحتوى على مبحثين الأول يؤرخ لهذه الوكالة، ويوضح أهدافها، ودوافع إنشائها ووظائفها وسياستها العامة وواقعها ..

والمبحث الثانى، يوضح حاجة العالم الإسلامى إلى وكالة أنباء إسلامية دولية قوية تنقل للرأى العام العالمى حقائق الأحداث التى تجرى فى العالم الإسلامى فى إطار من التنظيم العلمى والعملى المواكب لتطلعات المسلمين وآمالهم وأمانيهم، ومواجهة وكالات الأنباء العالمية التى تعمد إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين ولا تهتم بأحداثهم وقضاياهم ونقل تصوراتهم الصحيحة فى مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وكالة الأنباء الإسلامية الدولية

المبحث الأول :

نشأة الوكالة :

طرحت فكرة إنشاء وكالة أنباء إسلامية دولية على المؤتمر الثانى لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد فى مدينة كراتشى بباكستان فى ديسمبر من عام ١٩٧٠ . وقد وافق المؤتمر مبدئيا على إنشاء الوكالة، وحث على ضرورة الإعداد الجيد لها لتؤدى دورا إعلاميا بارزا على الساحة الدولية .

من أجل ذلك قام عدد من الخبراء بعقد اجتماعات فى طهران فى أبريل من عام ١٩٧١ لوضع الخطوط الرئيسية للوكالة، وتحديد أهدافها ووظائفها ووضع دستورها، وقد تقرر خلال هذا الاجتماع أن تكون الوكالة فى مرحلتها الأولى عبارة عن اتحاد لوكالات الأنباء المحلية فى الدول الإسلامية، وأن يطلق عليها اسم وكالة الأنباء الإسلامية الدولية " إينا " ويكون مقرها طهران عاصمة إيران .

وقد وافق المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد فى مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية فى فبراير من عام ١٩٧٢ على دستور الوكالة وأهدافها، لكنه قرر أن تكون مدينة جدة مقرا لها .

وبمقتضى دستورها يوجد فوق تنظيم " إينا " جمعية عمومية تتكون من وكالات الأنباء الوطنية للدول الإسلامية، أو من هيئات مشابهة تعينها الدول الأعضاء، وتنتخب الجمعية العمومية مجلس الإدارة التنفيذى لمراقبة عمليات الوكالة بإضافة الأمين العام للمؤتمر الإسلامى بحكم منصبه عضوا دائما فيه، وتنتخب المملكة العربية السعودية رئيسا لمجلس الادارة، وينتخب المجلس التنفيذى المدير العام للوكالة.

وبعد إعداد استمر ثمانى سنوات، واستنادا على موافقة مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية التاسع بدأت الوكالة أعمالها رسميا فى يناير من عام ١٩٧٩م .

الموارد المالية للوكالة :

تتكون الموارد المالية لـ " إينا : من :

١ – اشتراكات عضوية محددة، تدفعها الدول الأعضاء، وقد حددت الجمعية العمومية – فى أول اجتماع عقد فى كوالالمبور بماليزيا فى أغسطس من عام ١٩٧٢ – رسم العضوية بثلاثة آلاف دولار أمريكى فى العام .. غير أن الجمعية العمومية فى اجتماع لها بجدة عام ١٩٧٢ قررت

رفع العضوية من ثلاثة الآف إلى خمسة آلاف دولار أمريكى .

٢ – الهبات والإعانات التى تدفعها الدول الأعضاء القادرة، والتى يعلن عنها خلال اجتماعات الجمعية العمومية .

أعضاء الوكالة :

يبلغ عدد أعضاء الجمعية العمومية لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية " إينا " – حاليا – أربعين عضوا يشمل :

أولا : وكالات الأنباء الوطنية فى الدول الإسلامية وهى (وكالة الأنباء الجزائرية – وكالة أنباء الخليج – وكالة أنباء بنجلادش – وكالة الأنباء التشادية – وكالة الأنباء الأندونيسية – وكالة الأنباء الفارسية (إيران) – وكالة الأنباء الكويتية – وكالة أنباء الجماهيرية (ليبيا) – وكالة الأنباء الماليزية – وكالة أنباء المغرب العربى (المغرب) – وكالة أنباء باكستان المتحدة – وكالة أنباء سبأ (الجمهورية العربية اليمنية) – وكالة أنباء عدن (جمهورية اليمن الديمقراطية) – وكالة أنباء قطر – وكالة الأنباء السعودية – وكالة الأنباء السنغالية – وكالة الأنباء السودانية – وكالة الأنباء السورية – وكالة الأنباء التونسية الأفريقية – وكالة أنباء الأناضول (تركيا) – وكالة أنباء الأمارات العربية المتحدة – وكالة الأنباء العراقية – وكالة الأنباء الوطنية (لبنان) – وكالة الأنباء الفلسطينية – وكالة الأنباء الموريتانية – وكالة أنباء الشرق الأوسط (مصر) . [١]

ثانيا : الأعضاء الأخرون للجمعية العمومية لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية هم : (الكاميرون – جمهورية الجابون – جمهورية جامبيا – جمهورية غينيا – غينيا بيساو – جمهورية مالى – جمهورية النيجر – سلطنة عمان – جمهورية سيراليون – جمهورية الصومال الديمقراطية – اوغندا – فولتا – جزر المالديف – جزر القمر) .

أهداف الوكالة :

جاء فى دستور وكالة الأنباء الإسلامية الدولية وفى نشرتها التعريفية أن أهدافها تتلخص فيما يلى :

١ – العمل على تفهم أعمق بين أفراد الشعب المسلم لقضاياهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٢ – تعزيز الروابط الوثيقة بين الدول الأعضاء .

---

(١) عادت عضويتها بعد عودة مصر إلى منظمة المؤتمر الإسلامى .. أما وكالة الأنباء الأفغانية فقد جمدت عضويتها بعد الغزو الروسى لأفغانستان .

٣ – توطيد العلاقات المهنية والتعاون الفنى بين وكالات أنباء الدول الأعضاء .

٤ – العمل فى سبيل توحيد أهداف العالم الإسلامى .

٥ – تقوية وحماية الميراث الثقافى النفيس للإسلام .

٦ – العمل على خلق وكالة أنباء عالمية كاملة النمو مع مراكزها الإقليمية .

وظائف الوكالة :

تتلخص وظائف " إينا " كما جاء فى وثائق إنشائها – فيما يلى : (١)

١ – إقامة التعاون بين المنظمات الإخبارية فى العالم الإسلامى وتوفير التسهيلات بينها لمبادلة المعلومات حول الأمور المهنية والفنية .

٢ – الحث على التعاون الاقتصادى والثقافى بين الأقطار الإسلامية .

٣ – إعداد وتحرير التقارير الإخبارية عن مجريات الأحداث فى الأقطار الإسلامية أو ما يدور حولها من وجهة نظر إسلامية، وتزويد وسائل الاتصال الجماعى فى العالم والأقطار الإسلامية على وجه خاص بها، لتتمكن الوكالة على هذا النحو من سد الفجوة القائمة فى الأخبار الشاملة والصحيحة فى خدمات الاتصالات الدولية .

٤ – توفير المواد الإخبارية والخبرات الفنية وتنمية تبادلها .

٥ – تسهيل أعمال تدريب الموظفين، وتبادل الخبرات الإعلامية بين الدول الإسلامية الأعضاء .

٦ – جمع وتوزيع المعلومات ذات الأهمية للعالم الإسلامى وخاصة أخبار الجاليات الإسلامية فى العالم .

سياسة الوكالة الإخبارية :

لقد حددت الوكالة سياستها الإخبارية على النحو التالى : (٢)

أ – كل المواد التى تبثها " إينا " سواء كانت أخباراً أم مقالات أم تحقيقات صحفية أم صورا يجب أن تعكس مستوى عاليا من الموضوعية والمهنة الصحفية .

ب – يجب أن تكون كتابات المحررين أو مساعديهم أو الكتاب خالية من أى تحيز أو دعاية مغرضة وهذا الأمر مبنى على المبدأ القائل بأن المشتركين والقراء أذكياء ولهم حرية إصدار أحكامهم فيما يقرءون أو يشاهدون .. وفيما يتعلق بأعمال الترجمة فإن المترجم يجب اختياره بدقة ودراسة أعماله بعناية فائقة .

---

(١) وردت وظائف ومهام الوكالة فى دستورها ووثائق إنشائها بأساليب مختلفة وهذه خلاصة ما جاء فى هذه الوثائق .

(٢) النص الحرفى كما جاء فى دستور الوكالة .

جـ – يتم اختيار المواد الإخبارية فى كل حالة حسب صلاحيتها للنشر .

د – تسترشد " إينا " فى كافة الأحوال بالمبادئ التى تتوخى الدقة فى الأخبار ولا ينبغى أن تحتوى المواد الإخبارية على تعليقات المراسلين .

هـ – من الواجب على " إينا " أن تهدف إلى كسب قراء البلدان غير المشتركة فى عضويتها بجدارة، وهذا يحتم عليها أن تؤدى أعمالها بشعور كبير بالمسئولية على أن لا يغرب عن بالها أنه بالرغم من أن أحد واجباتها يتلخص فى إبراز شخصية مجموعة " إينا " وخدمة مصالحها، فإن مصلحتها الحقيقية هى بالذات تكمن فى تكريس جهودها فى سبيل إبراز الحقائق .

و – لا يجوز لـ " إينا " أن تنشر مقالات افتتاحية تعبر عن رأى بأى شكل من الأشكال، غير أن ذلك لا يمنعها من نشر مقتبسات من مقالات افتتاحية فى الصحف إذا كانت تلك المقالات تتناول أحداثا عامة هامة .

.. أما عن محتويات الأخبار والموضوعات الصحفية التى توزعها " إينا " فقد ورد فى دستور الوكالة ما يلى :

– البحوث التاريخية، والبعثات، والبعثات الأثرية واكتشافات المصنوعات والمخطوطات التى لها صلة بالتاريخ الإسلامى أو الثقافة الإسلامية .

– المؤتمرات الإسلامية والحلقات الدراسية والنشاطات الأخرى المتصلة بالثقافة والفلسفة الإسلامية .

– استعراض ما ينشر من مؤلفات أو كتب حول الفلسفة والآداب والفنون الإسلامية .

– النواحى الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية فى الدول الأعضاء .

– أية مواد يحتمل أن تكون ذات أهمية بالنسبة للدول الأعضاء .

واقع الوكالة :

لقد كان ينتظر من وكالة الأنباء الإسلامية " إينا " – كما جاء فى بواعث إنشائها – أن تملأ الفراغ الموجود فى وسائل الإعلام الدولية عن الإسلام والمسلمين وقضاياهم .. إلا أنها – للأسف – لا تمتلك إمكانات الوكالات المحلية، وبالتالى ليس لها أى نشاط على الساحة الإعلامية الدولية وذلك رغم اشتراك أربعين دولة إسلامية فى عضويتها، ورغم الجهود الكبيرة التى بذلت فى سبيل تأسيسها .

فكيف تقوم الوكالة بواجباتها وتؤدى مهامها وعدد العاملين فيها لا يزيد عن عشرين عاملا مابين محرر وفنى وإدارى .

وكيف " تملأ الفراغ الإخبارى عن العالم الإسلامى " [1] وتعرض قضايا المسلمين على الرأى العام العالمى ولا يوجد بينها وبين الوسائل الإعلامية الأجنبية – من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية – أى اتصال مباشر أو غير مباشر .

وكيف تكون " منظمة فريدة من نوعها فى ميدان جمع ونشر الأخبار على مستوى عالمى [2] ولا يوجد لها مكاتب أو مراسلون فى أى بلد إسلامى أو غير إسلامى .

وكيف تكون " وسيلة إعلام فعالة ومنافسة من أجل خدمة العالم الإسلامى " [3] وهى تعتمد اعتمادا كليا على أخبار وتقارير وكالات الأنباء الوطنية فى بعض البلدان الإسلامية .

يقول سيد محمد ساداتى [4] فوظيفة الوكالة كما حددتها وثائقها لا تعدو دور الناقل الهزيل حيث أنها لا تمتلك الوسائل الذاتية فى استقاء الأنباء، وتنحصر مصادرها فى وكالات الأنباء الوطنية فى الدول الإسلامية الأعضاء وتوزيعها للأخبار سيكون متاخرا عن الوكالة الأصلية وقتا ليس قصيرا .. هذا فضلا عن أن هذه الأخبار متاحه لمعظم وسائل الإعلام التى يجب على وكالة الأنباء الإسلامية الدولية تقديم خدماتها لها، كما أن طريقة عرض هذه الأخبار لابد وأن يحتوى على وجهات نظر ويتفق مع سياسات الدولة الإسلامية التابعة لها الوكالة الوطنية، ويصعب تخليص أخبار هذه الوكالات من النزعات الوطنية القومية التى لا تنسجم مع حقيقة الإسلام .. وبذلك يكون عمل الوكالة لا قيمة له، فإعادة بث بعض الأخبار لا يعتبر هدفا كبيرا يستحق الاهتمام .

والخلاصة :

إن وكالة الأنباء الإسلامية الدولية " إينا " بوضعها الحالى لا تقوم بعمل يذكر ولا تتحقق هدفا يتطلع إليه جميع المسلمين وهو قيام وكالة أنباء إسلامية دولية ناجحة لحماية المجتمع الإسلامى من الغزو الإعلامى والثقافى الذى تمارسه الوكالات الأجنبية الكبرى والتى تسيطر على سوق الأخبار فى العالم .

---

(١) كما جاء فى النشرة التعريفية للوكالة .

(٢) كما جاء فى النشرة التعريفية للوكالة .

(٣) كما جاء فى النشرة التعريفية للوكالة .

(٤) وكالة الأنباء الإسلامية الدولية فى الميزان – رسالة ماجستير – إعداد سيد محمد ساداتى – جامعة الأمام محمد بن سعود بالرياض .

المبحث الثانى : حاجة العالم إلى وكالة أنباء إسلامية قوية

لقد تزايد أهمية الدور الإعلامى والثقافى الذى تقوم به وكالات الأنباء فى العالم الحديث بعد أن أصبحت المعبر الرئيسى الذى تمر منه شتى أنواع الأخبار والمعلومات السياسية والاقتصادية والإجتماعية والثقافية إلى وسائل الإعلام الأخرى، وذلك بفضل الانتشار الواسع لخدماتها وسرعة نقل المواد الإعلامية من وإلى أى مكان فى العالم مستخدمة فى ذلك أحدث وأفضل ما حققته البشرية فى مجال تكنولوجيا الاتصال .

ومع تزايد أهمية وكالات الأنباء وتأثيرها فى العلاقات الدولية فقد بادرت الدول الكبرى والتى تمتلك أقوى وأكبر وكالات الأنباء فى العالم إلى استخدام هذه الوكالات فى الترويج لمصالحها وبسط نفوذها والدعوة إلى قضاياها، وفى مجالات التوجيه السياسى والثقافى والاجتماعى والتنافس الاقتصادى .

فرغم الشعارات البراقة التى ترفعها هذه الوكالات فى تحريها الدقة والموضوعية فى جمع المواد الإعلامية، والأمانة فى نقل هذه المواد إلى وسائل الإعلام دون تحريف وتزييف .. رغم هذه الشعارات فإن هناك إجماعا من الساسة والإعلاميين وغيرهم فى شتى أنحاء العالم على أن الوكالات الكبرى – التى أثبتت الإحصائيات أنها تسيطر على ٧٥ ٪ من التغطية الإعلامية لدول أوربا الغربية و٤٠ ٪ من مساحة العالم كله – تعتبر أبواقا دعائية للدول التى تنتمى إليها .

لذلك فإن هذه الوكالات الدولية تؤكد فى المقام الأول على أخبار ومصالح بلادها وغالبا ما تتجاهل أحداثا هامة فى بلدان أخرى فى تشويه مقصود لكثير من الحقائق التى تتعارض ومصالح دولها وتلون الأخبار وتحرف المعلومات بالطريقة التى تخدم مصلحتها .. كما أنها تتعمد صياغة أساليب توافق مصالحها من جانب وتثبت قيما ومفاهيم تؤكد استمرار هذه المصالح من جانب آخر، كما أن خطورة هذه الوكالات تكمن فى اتساع نطاق نفوذها والمدى البعيد الذى يمتد إليه توزيعها للأنباء، والآثار العميقة التى تحدثها فى الرأى العام، حتى أصبحت هذه الوكالات سلاحا خطيرا تستخدمه الدول الكبرى لغزو بلاد المسلمين ثقافيا وإعلاميا، واحتكار تفكير الإنسان المسلم وتوجيهه وجهة غير إسلامية .

وقد أثارت هذه الحقيقة انتباه واهتمام الدول الإسلامية التى تعتمد وسائل إعلامها اعتمادا كبيرا على أخبار وتقارير هذه الوكالات، فبادرت إلى إنشاء وكالات أنباء وطنية تنمو وتتطور باستمرار وتقوم بدورها فى خدمة الرأى العام الإسلامى غير أن هذه الوكالات بحكم تواضع إمكاناتها ليس لها النفوذ المطلوب على الساحة الإعلامية الدولية كما هو الحال بالنسبة للوكالات العالمية الأمر الذى يجعل وجود وكالة أنباء إسلامية كبرى فى مستوى الوكالات العالمية الخمس

المعروفة أمر ضروريا لتصحيح الأفكار وتوضيح المواقف وتنقية المعلومات من الشوائب ومن التشويه المتعمد الذى تتعرض له قضايا أمتنا بفعل السياسات الإعلامية المعادية التى تنهجها الوكالات الكبرى .

فإذا كانت وكالة الأنباء الفرنسية تخدم فرنسا ومصالحها، وكذلك تفعل وكالة رويتر بالنسبة لبريطانيا، ووكالتا أنباء اسوشيتدبرس ويونيتدبرس بالنسبة لأمريكا، ووكالتا تاس ونوفستى بالنسبة للاتحاد السوفيتى، فإن وكالة الأنباء الإسلامية القوية التى ننادى بإنشائها تعتبر ضرورة ملحة للتعبير عن وجهة النظر الإسلامية، وعرض قضايا المسلمين فى كل مكان من العالم على الرأى العام العالمى بصورة صادقة وأمينة، وانصافا للمسلمين الذين يتعرضون لحملات شرسة من أجهزة الإعلام الغربية والشرقية، وأيضا للعمل على تفهم أعمق بين أفراد الشعب المسلم لقضاياهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن طريق الخبر الصادق والكلمة الهادفة والرأى البناء والتوجية السليم .

ولا شك أن العالم الإسلامى بيئة صالحة لإقامة وكالة أنباء دولية ناجحة فإمكاناته المادية كثيرة، وطاقاته البشرية وفيرة، ورقعته شاسعة، ووسائل إعلامه كثيرة ومتنوعة، وأحداثه جمة، وقضاياه متعددة، وأخباره كثيرة، والهجوم عليه متتابع ومتواصل، وحقائق دعوته ناصعة، وهى مبتغى البشرية الراشدة، وأملها فى الخلاص مما هى فيه من انحلال وقيود وعبودية وضلال .

وفرصة نجاح وكالة الأنباء الإسلامية المرجوة أكبر بكثير من فرص نجاح أية وكالة أخرى حيث أنها ستعمل بعيدا عن كل ضغط سياسى أو نفوذ حكومى، فهى تعمل فى حياد تام لتحقيق هدفين كبيرين :

هدف حضارى يبرز الوجه الحضارى للأمة المسلمة بتقديم صور من حياة المسلمين المشرقة وحضارتهم الإنسانية الهادفة .

وهدف إعلامى حيث تنقل الخبر الصادق، وترد النبأ الكاذب وتصحح المعلومة المشوهة، وتوجه عندما يكون التوجيه واجبا .

كما أنه من الطبيعى أن تكتسب الخدمات الإعلامية والثقافية التى تقدمها هذه الوكالة ثقة مختلف وسائل الإعلام الإسلامية وغير الإسلامية لما تتميز به من دقة وموضوعية وأمانة فى جمع ونقل الأخبار والمعلومات، ملتزمة فى ذلك بقول الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ (١)

وقوله سبحانه ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم (٦) .

(٢) سورة النحل، الآية رقم (١٠٥) .

وقوله سبحانه ﴿ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[1] .

وبعد : فالمسلمون يتطلعون إلى إنشاء وكالة أنباء قوية واسعة الانتشار وقادرة على تقديم خدمات إعلامية تتوفر لها كل عناصر الإقناع والقبول، ومن شأنها التعبير بصدق عن آمال العالم الإسلامى ومشكلاته وأمانيه وتطلعاته ومنجزاته ونواحى تقدمه ومكامن عزته .

وربما يكون من المناسب دعم وكالة الأنباء الإسلامية القائمة حاليا بكل وسائل الدعم المادى والتقنى والبشرى لتحقق الهدف الذى أنشئت من أجله .

---

(١) سورة الإسراء : الآية (٣٦).

مراجع الدراسة :

(١) وكالة الأنباء الإسلامية الدولية فى الميزان – رسالة ماجستير – سيد محمد ساداتى الشنقيطى . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ .

(٢) وكالة الأنباء الإسلامية الدولية " إينا " نشرة تعريفية صادرة عن الوكالة .

(٣) ماذا عن وكالة الأنباء الإسلامية الدولية " تحقيق صحفى " المجلة العربية – الرياض العدد رقم ٨٦ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ديسمبر ١٩٨٤م .

(٤) وكالة أنباء إسلامية دولية .. لماذا " مقال " مجلة منار الإسلام دولة الإمارات العربية المتحدة – العدد الرابع السنة العاشرة ربيع الآخرة ١٤٠٥ هـ يناير ١٩٨٥م.

(٥) أخبار ومعلومات متفرقة نشرت عن الوكالة فى عدد من المجلات والصحف العربية والإسلامية.

أوراق خلفية ـ ٥

المبادئ والقواعد العامة
التى تحكم انتاج البرامج والدراما
فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون
بجمهورية مصر العربية

المبادئ والقواعد العامة
التى تحكم إنتاج البرامج والدراما
فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون

قرار رئيس مجلس الأمناء
رقم [١١٢] لسنة ١٩٨٨

رئيس مجلس الأمناء

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٣ لسنة ١٩٧٩ فى شأن اتحاد الإذاعة والتليفزيون.

وعلى المذكرة المقدمة من رئيس مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون والمتضمنة المبادىء والقواعد التى يجب أن تستهدى بها البرامج والدراما فى الإذاعة والتليفزيون.

وعلى موافقة مجلس الأمناء بجلسته المنعقدة فى التاسع والعشرين من مارس ١٩٨٨.

قـــــرر

أولاً : تستهدى البرامج والدراما فى الإذاعة والتليفزيون بالمبادئ والقواعد العامة التالية :

١-إن مفهوم الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى لا يجب النظر إليه فقط من منظور فلسفى أو اعتقادى ولكن يتعين ترجمته إلى سلوك يشمل كل مجالات الحياة.

٢- إن الإيمان هو الإيمان بالله وكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ولهذا مقتضيات عديدة يجب أن تبرز فى سلوك الإنسان لأن الإيمان الحقيقى هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل.

(أ) فمن مقتضيات الإيمان النظر بالتقدير للكتب السماوية وتأكيد توقير القرآن الكريم والعناية به والالتزام بآداب لمسه وحمله وقراءته والاستماع إليه.

(ب) ومن مقتضياته الإيمان بالملائكة والرسل وبأنهم جند مجندون لأداء مايكلفهم به الخالق ويجب أن ننزلهم فى أحاديثنا المنزلة اللائقة بهم.

(جـ) ومن مقتضيات الإيمان التصديق باليوم الآخر وما فيه من نعيم لمن تغمدهم الله برحمته وفيه العذاب لمن عصى الله أو كفر به.

(د) ومن مقتضياته الإيمان بالقدر خيره وشره، ويجب أن نتحرز فى استخدام التعبيرات الدالة على رفض القدر أو السخرية منه.

٣- الإيمان أن يستشعر الإنسان رقابة الله وقدرته عليه.. وأن يدرك أنه مثاب على ما يفعله من خير معاقب على ما يرتكبه من شر، ومن ثم يتكون لديه الضمير كرقيب ذاتى على سلوكه

٤- إن المؤمنين إخوة ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى واعتبار ذلك مقياس صلاح الإنسان، ولذلك يجب البعد عن الإساءة لأية أقليات عرقية أو طائفية أو مذهبية أو لونية.

٥- إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان وفضله على سائر مخلوقاته وسخر له ما فى الكون ليقوم بعمارته، ولذلك ينبغى ألا يكون الإنسان محل هزء أو سخرية لعاهات أو عيوب خلقية لا حيلة له فيها.

٦- إن الأسرة هى نواة المجتمع وخليته الأولى وحجر الأساس ومحور الارتكاز فيه ولذلك ينبغى الحفاظ على الأسرة وعلى القيم التى تجعلها موحدة متماسكة.

٧- إن الله سبحانه وتعالى أوصى بالوالدين إحساناً وقرن ذلك بالإيمان به.

٨- إن الإسلام قد كرم المرأة، وينبغى أن تحظى بكل تقدير واحترام فى ضوء ما أعطاها الإسلام من حقوق وما فرض عليها من واجبات.

٩- أوصى الله سبحانه وتعالى بصلة الرحم واشتق لها اسماً من اسمه ولذلك ينبغى التأكيد على أهمية صلة الرحم والبر بالأهل والأقارب.

١٠- تأكيد على حقوق الجار وحسن معاملته.

١١- كرم الله العمل وأمر بتجويده، فلا ينبغى أن تحظى أعمال دون أخرى بالتشريف أو التكريم.

١٢- إن المال نعمة من نعم الله والأصل أن المال مال الله والإنسان مستخلف فيه، ومطالب باستثماره وإنفاقه فى الأوجه المشروعة، كما أنه مطالب بتطهيره بالزكاة والصدقة اللتين تحققان معنى التكافل الاجتماعى.

١٣- ليس هناك تعارض بين الدين والعلم ، فالإسلام دين العلم. وهو يخاطب عقل الإنسان ويدعوه إلى تدبر آيات الله فى الكون ويحثه على التعلم ويقرر القرآن الكريم أنه لايتساوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

١٤- توقير علماء الدين كمصدر إشعاع للفكر الدينى المستنير.

١٥- إن الوقت منحة من الله ونعمة، ويجب ألا يضيعه الإنسان فيما لايفيد، كما ينبغى ألا ينسيه حقه فى الترفيه عن نفسه واجباته الأساسية فى استثمار الوقت فى عمل يجلب له الرزق ويفيد أسرته ومجتمعه.

١٦- التصدى للشوائب والمعتقدات الخاطئة التى لحقت بالمفاهيم الدينية مثل أعمال الشعوذة والتوسل بالأولياء من دون الله.

١٧- الإسلام دين الاعتدال والتوسط وكذلك فإنه ينبذ التطرف بكل أشكاله وصوره.

١٨- الاهتمام بالتراث الإسلامى واستلهام مواقف القدوة الطيبة فيه كزاد للبرامج والأعمال الدرامية.

١٩- الاهتمام باللغة العربية الفصحى السلسة والمحافظة عليها وإشاعة تداولها وتذوقها، والحرص فى الأعمال الفنية التى تقدم بالعامية على عدم استخدام التراكيب والعبارات والألفاظ المغرقة فى المحلية التى لا تفهم خارج بيئاتها.

ثانياً : تركز البرامج الدرامية فى الإذاعة والتليفزيون على تأكيد الآداب العامة ومن أمثلتها :

* آداب الطريق.
* آداب الزيارة.
* آداب دخول البيوت.
* آداب الجلوس.
* آداب الحديث والحوار.
* آداب دخول المساجد والمكوث بها.
* آداب الصلاة.
* آداب الصوم.
* آداب الزكاة.
* آداب الصدقة.
* آداب الحج.
* آداب السفر.
* آداب معاملة المرأة.
* آداب الطعام.
* آداب التعليم.

* آداب قراءة القرآن والاستماع إليه.

* آداب العمل .

* آداب الزواج.

* آداب المظهر.

* آداب الدعاء.

* آداب السلام.

* آداب القسم (الحلـف).

* آداب عيادة المرضى.

* آداب العمل.

* آداب التربية.

* آداب الكبار مع الصغار.

* آداب الصغار مع الكبار.

ثالثاً: التأكيد فى مجال السلوكيات على القيم والممارسات الإيجابية وإدانة الممارسات السلبية.

(أ) القيم والممارسات الإيجابية ومن أمثلتها :

* الإيمان بالله.

* العلاقات الطيبة.

* الصدق.

* التفاؤل.

* الإخلاص.

* التعاون مع الآخرين.

* حب الناس.

* الكرم.

* الوفاء.

* الاعتزاز بالنفس والكرامة.

* الصـــبر.

* حـب الخـير.

* [illegible]

* الندم والتوبة.

* الرضا.

* الثقة فى الآخرين.

* التواضع.

* التفكر (حسن التدبير).

* الطاعة فى غير معصيه

* [illegible] الاسرى

* البطولة.

* المحافظة على العرض والشرف.

* احترام التقاليد.

* القناعة.

* التضحية من أجل الآخرين.

* العـــدل.

* تحقيق الذات.

* الحلم والأناة والرفق.

* شكر المعروف.

* الشجاعة فى الخير.

* الحنـــو.

* التواضع وخفض الجناح.

* الكفاح الشريف فى الوصول إلى الخير.

* توقير العلماء والكبار وأهل الفضل.

* الإيثار والمواساة.

* [illegible]

* النصيحة الصحيحة.

* الفروسية.

* قضاء الحوائج.

* كظم الغيظ.

* تحمل المسئولية.

* حفظ السر.

* القدوة الحسنة.

* أداء الأمانة.

* الغضب من أجل الحق والشجاعة فيه.

* إنجاز الوعد.

* الستر.

* الإيمان بأهمية العلم فى حل المشكلات.

* بر الوالدين.

* العطف على الفقراء.

* احترام الأديان.

* التوكل على الله وليس التواكل.

* المسارعة فى عمل الخير.

* مجاهدة النفس.

* الإصلاح بين الناس

* ملاطفة اليتيم.

* الإحسان إلى الجار.

* صلة الأرحام.

* مودة أهل الخير.

* الزهد فى الدنيا.

* العفـــاف .

* الإنفاق فى وجوه الخير.

* البكاء من خشية اللـه.

* الورع وترك الشبهات.

* العفو والإعراض عن الجاهلين.

* القرض الحسن.

* إطعام الطعام (للفقراء).

* صوم التطوع.

* صلاة التطوع.

* الجهـــاد.

* قراءة القرآن.

* غض البصـر.

* الحيـــاء.

* الوفاء بالعهد فى غير معصية.

* إتقان العمل المنتج.

* احترام العمل المنتج.

* الاهتمام بالوقت.

* تشجيع الصناعة الوطنية.

* تشجيع الزراعة.

* تشجيع زيادة الإنتاج.

* تشجيع النشاط الاقتصادى.

* الإدخـــار.

* احترام الملكية العامة والخاصة.

* الأمانة فى التجارة.

* الاستهلاك الرشيد.

* الالتزام بدفع الضرائب.

* المحافظة على المرافق العامة.

(ب) الممارسات السلبية، ومن أمثلتها :

* الحلف بغير الله.

* الظلـــــم.

* الكـــذب.

* الغيبة والنميمة.

* الخروج على تقاليد المجتمع.

* الإيـذاء.

* الطمـــع.

* القتـــل.

* سلبية الأصدقاء فى وقت الضيق.

* الأنانيـة.

* حب التباهى والتظاهر.

* الحقـد.

* الشـــــر.

* إخلاف الوعد.

* عدم الوفاء بالعهد.

* حب الانتقام.

* الوقوف إلى جانب الباطل.

* الفكر السيء (سوء التدبير).

* الأخذ بالثأر.

* الصراع على المرأة.

* التفكك الأسرى.

* الجُـبن .

* التفريط فى الكرامة والشرف.

* الكراهية.

* التشاؤم.

* البغض والحسد.

* نكران الجميل.

* ربط الزواج بأهداف مادية.

* عدم القدرة على تحمل المسئولية.

* الغرور والتعالى.

* التلصص.

* الهـــذر.

* الشح والبخل.

* الإسـراف.

* السـرقة.

* النصحية الخبيثة.

* إفشاء السر.

* التقليل من قيمة العمل اليدوى والحرفى.

* الاستسلام للفشل.

* السب واللعن.

* الاضطهاد.

* الخداع.

* الغش.

* التقاعس عن عمل الخير.

* سوء الظن .

* الشعوذة.

* الخيانـة.

* الكبر والغرور.

* عدم الاعتراف بالفضل لأصحابه.

* عدم تكريم أهل الفضل.

* الوقوع فى الخطيئة.

* الإساءة إلى الجار.

* النيل من حرمة الزوجية

* عدم احترام الأديان.

* الإيقاع بين الناس.

* عقوق الوالدين.

* التسـلق.

* شـهادة الـزور.

* التـزوير.

* انهيار المبادىء أمام الظروف.

* التستر وراء مظاهر التقوى.

* العنف بأنواعه.

* الخطف والاغتصاب.

* الابتزاز من أجل النفوذ.

* عدم التعاون.

* التهـريب.

* إشاعة الفاحشة.

* التهوين من شأن عقد الزواج.

* الانتحـار.

* الرشـوة.

* التقليل من أهمية العلم.

* تضييع الأمانة.

* قطيعة الأرحام.

* مقاطعة أهل الخير.

* المغالاة فى الإقبال على الدنيا.

* لغو الحديث.

* الإسراف فى الاستهلاك.

* الإهمال فى العمل.

*عدم إتقان العمل.

* تشجيع الصناعة الأجنبية.

*عدم تشجيع الصناعة الوطنية.

* عدم احترام الملكية العامة والخاصة.

* التهرب من الضرائب.

* الاستغلال فى التجارة.

* المغالاة فى رفع الأسعار.

* الاحتكـــار.

* عدم زيادة الإنتـــاج.

* تعطيل مصالح المواطنين.

* التدليس فى المعاملات والغش فى السلع أو الموازين والمكاييل.

* الاتجار فى السوق السوداء.

* تخزين السلع على حساب احتياجات الآخرين.

رابعاً: تتحاشـــى البرامج والدرامـــا فى الإذاعة والتليفزيون إبراز الصور السلبية التالية :

* الرقص المستهجن.

* المبالغة فى إبراز مفاتن المرأة.

* الخلوة غير الشرعية.

* تصوير الخطأ والجريمة بتفاصيلها الدقيقة.

* السخرية والاستهزاء.

* الابتذال فى المظهر أو الأداء أو الألفاظ أو السلوك.

* استخدام عبارات سوقية بهدف الإضحاك.

خامساً : على قطاعات الاتحاد وشركاته كل فيما يخصه تنفيذ هذا القرار

رئيس مجلس الأمناء

القاهرة فى ١٩٨٨/٣/٣١ **«حسين عنـــان»**

المذكـــرة التفســـيرية
بشـــأن دور الإذاعة والتليفزيون
فى مجال السلوكيات

لما كانت الإذاعة والتليفزيون من أكثر وسائل الاتصال انتشاراً وأسرعها فى توصيل الرسالة الإعلامية وأقواها تأثيراً وأقدرها على استقطاب الجماهير من خلال البرامج اليومية بنوعياتها المختلفة وأشكالها الفنية المشوقة ومنها الدراما بجاذبيتها الفائقة.

فإن أى رغبة فى تأصيل القيم والمثل العليا وترسيخ السلوكيات الإيجابية، ومواجهة السلوكيات السلبية وتعديلها إلى الوجهة الصحيحة يجب أن تترجم من خلال رؤية واضحة تتبناها البرامج الإذاعية والتليفزيونية والأعمال الدرامية فى كل منهما فى إطار من الالتزام بالمبادىء الدينية السامية والقيم والمثل والأخلاقيات والتقاليد الطيبة الأصيلة لمجتمعنا.

إن تحقيق هذا الهدف الأسمى يحتاج إلى مثابرة وخطط واعية طويلة المدى لأنه يتناول بالدرجة الأولى قضية بناء الإنسان روحياً وثقافياً وسلوكياً.

كذلك فإن تحقيقه يتطلب تضافر كافة الجهود والعناصر المختلفة التي تتصدى للعمل البرامجى أو الدرامى فى الإذاعة والتليفزيون من مؤلف ومعد ومقدم ومخرج وممثل إلى جانب العناصر الفنية الأخرى كالموسيقى والديكور والإضاءة والمكياج وغير ذلك.

كما أن الرقابة على هذه الأعمال الفنية هى المرشح الطبيعى الذى تمر من خلاله هذه الأعمال للتأكد من مراعاتها لتحقيق هذه الأهداف وفق المعايير الفكرية والفنية والأخلاقية والاجتماعية التى توضع لذلك.

ولتحقيق هذه الأهداف من خلال البرامج والأعمال الدرامية فى الإذاعة والتليفزيون.

فقد تم عرض الدراسة التى أعددناها فى شأن المبادىء والقواعد التى يتعين الاستهداء بها فى البرامج والدراما على مجلس الأمناء.

فوافق بجلسته فى ١٩٨٨/٣/٢٩ على هذه الدراسة وأوصى باستصدار القرار المنفذ لذلك.

رئيس مجلس الأمناء

١٩٨٨/٤/٢ **«حسين عنان»**

أوراق خلفية - ٦

النزعات القومية فى العالم العربى
ودور الإعلام الإسلامى فى مواجهتها

أ. د/ سعد الدين السيد صالح
عميد كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق
ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

المقـــدمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

فإن الإعلام الإسلامى عليه أن يتحمل اليوم مسئولية كبرى وتركة مثقلة خلفها له الإعلام العام الذى خضع فترة طويلة للإعلام الغربى الذى يحاول أن يطبع العالم الإسلامى بطابعه فى الفكر والثقافةوالسلوك.

ومن هنا تأتى مسئولية الإعلام الإسلامى فى مواجهة النظريات والأفكار المضادة للعقيدة الإسلامية ، هذا وإن من أخطر الأفكار التى تشيع فى العالم فكرة النزعات القومية والعرقية التى مزقت المسلمين وحولتهم إلى أعداء فى الوقت الذى يتوحد فيه العالم من حولهم سياسياواقتصاديا واجتماعيا، فقد توحدت أوروبا وتوحدت شعوب شرق آسيا، وظهر ما يسمى بالنظام العالمى الجديد فى هذا الوقت نجد من ينادى في العالم الإسلامى بالنزعات القومية والعرقية ظنا منه انهما تستطيع أن تجمع شتاته بينما تساعد على مزيد من الفرقة والتشتت لأن أى دعوة للوحدة لا تقوم على أساس الإسلام فلا فائدة منها مهما روج لها الإعلام العالمى الذى يحاول نشر هذه الأفكار حتى يستمر العالم الإسلامى فى ضعفه وتناحره .

وفى هذا البحث نركز على النقاط التالية .

١- كيف وحد الإسلام بين النفوس وألف بين القلوب

٢- لماذا فزع أعداء الإسلام من وحدة المسلمين

٣- أساليب أعداء الإسلام فى تمزيق وحدة المسلمين

٤- الإسلام والعروبة

٥- آثار ونتائج النزعات القومية

٦- موقف الإسلام من النزعات القومية

٧- دور الإعلام الإسلامى فى مواجهة هذه النزعات

ا.د./ سعد الدين السيد صالح

عميد/كلية أصول الدين بالزقازيق

النزعات القومية فى العالم العربى ودور الإعلام الإسلامى فى مـواجهتهـــــا

جاء الإسلام والعالم فى حالة تمزق لا تربطه إلا العصبيات القومية الذميمة أو النزعات العرقية والجنسية والقبلية الضيقة .

فقد كانت هناك القومية العربية، والقومية الفارسية، والقومية الطورانية، وغيرها من القوميات. بل أن كل قومية من هذه القوميات كانت تنقسم إلى نزعات عرقية وجنسية وقبلية، كالأوس والخزرج فى المدينة، وبنى عدنان وبنى قحطان فى الجزيرة العربية والآشوريين فى العراق والفينيقيين فى سوريا ولبنان والفرعونية فى مصر والبربرية فى المغرب العربى.

وما أن ظهر الإسلام حتى نادى فى الناس أن اتركوا كل هذه الروابط الجاهلية واتحدوا فى أمة واحدة شعارها لاإله إلا اللّه محمد رسول اللّه فخاطبهم بقوله : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ [1] ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون﴾ [2] .

وهكذا سما الإسلام بنفسه فوق الأجناس والألوان وخاطب جميع الشعوب ابتغاء توحيدها فى أمة متآخية لا تعرف لإنسان فضلاً يباهى به إلا بدرجة استمساكة بعروة الإيمان الوثقى [3] فلا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح وأخذ الرسول ﷺ الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الجامعة بين المسلمين حين آخى بين المسلمين فى المدينة [4] ووصلت المؤآخاه إلى حد أن الرسول ﷺ قد آخى بين أناس من أشرف القبائل العربية وبين الموالى من الفرس والروم، فقال: سلمان الفارسى منا نحن أهل البيت وصهيب الرومى منا نحن أهل البيت بل أن رسول اللّه ﷺ قد ولى (باذان بن ساسان) وابنه (شهر بن باذان) وكان نسبهما يتصل ببهرام جور ملك الفرس- ولى الرسول «باذان » على اليمين وابنه على صنعاء.

وكان عمر بن الخطاب يقول عن بلال الحبشى « بلال سيدنا ومولى سيدنا » وأمر عمر صهيبا الرومى بأن يؤم المسلمين فى الصلاة نيابة عنه. بل إن عمر عند وفاته يقول عن أحد الموالى وهو سالم مولى أبى حذيفة « لو كان سـالم حيا لوليته » ورسول اللّه ﷺ يضرب المثل الأعلى فى

---

(١) الأنبياء ٩٢ (٢) المؤمنون ٥٢

(٣) د. أحمد عوده- الإسلام فى مفترق الطرق ص ١٠٠ ترجمة د. عثمان أمين

(٤) قارن ص ١٥٥ من فقه السيرة د. محمد سعيد رمضان البوطى .

القضاء على العصبيات فيزوج زيد بن حارثة- أحد الموالى- ابنه عمته السيدة زينب بنت جحش، ثم يولى أسامة بن زيد أمر الجيش الذى اشترك فيه كبار الصحابة من أمثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح وغيرهم [1] وبذلك نسى كل واحد منهم عصبيته وقوميته وأصبحت العصبية والقومية لله ورسوله .

ذلك إن الإسلام رسالة عالمية فلا يمكن أن يفرق بين شعب وشعب ولا بين جنس وجنس ومن هنا صهر الأمم فى أمة واحدة ومعسكر واحد هو معسكر الإيمان بالله ورسوله فى مقابل معسكر الكفر والجاهلية، وقد استطاعت هذه الأجناس كلها أن تصنع حضارة عظيمة هى الحضارة الإسلامية التى لم تكن يوماً عربية ولا تركية ولا فارسية بل كانت دائما إسلامية عقدية وهذا ما لم يتحقق أبدا فى أى تجمع آخر على مدى التاريخ العام .

فلقد ظهرت تجمعات كثيرة على مدى التاريخ الإنسانى منها تجمع الإمبراطورية الرومانية قديماً. وتجمع الإمبراطورية البريطانية، وتجمع المجتمعات الشيوعية حديثاً، وكل هذه التجمعات جمعت أجناساً متعددة وألواناً متعددة وأمزجة متعددة ولكنها لم تقم على الأساس المتين الذى بنى عليه الإسلام تجمعه وهو وحده الإنسانية وتساوى بنى البشر أمام الله بل على العكس من ذلك قامت على أسس طبقية مقيته [2] .

فلقد قامت التجمعات الرومانية القديمة على أساس طبقة الأشراف وطبقة العبيد وسيادة الجنس الرومانى وعبودية سائر الأجناس الأخرى وكذلك قل عن التجمعات البريطانية حديثاً.

أما عن التجمعات الشيوعية التى حاولت أن تتخطى حواجز الجنس والقوم والأرض واللغة واللون مقلدة الإسلام- فإنها لم تقم تجمعها على أساس إنسانى وإنما أقامته على القاعدة الطبقية التى تعتبر طبقة (البرولتريا) الصعاليك والعمال هى أشرف الطبقات وعليها أن تمحق طبقة الأغنياء والمثقفين .

نعم لقد قامت هذه الأمبراطوريات ثم انهدمت وهى عاجزة عن أن تجعل من الأمم والشعوب أمة واحدة على الرغم من كل المحاولات التى بذلتها، ذلك أنها حاولت إخضاع الشعوب لنفسها ومن ثم شعرت هذه الشعوب بأنها مغلوبه على أمرها وأنها تفقد صبغتها الخاصة لحساب الدوله الأم أو الدولة المسيطرة على قطيع الشعوب .

---

(١) أبو الأعلى المودودى- الحكومة الإسلامية ص ٢٢٦ تعريب أحمد إدريس

(٢) معالم على الطريق ص٧٢ الشيخ سيد قطب وقارن ص ٢٥١ من الحكومة الإسلامية .

وما الطريق إلى ذلك فى نظر الماركسية ؟

الطريق هو أن نغرق الدنيا فى بحار من الدم والنار لأن الطريقة التى اختارتها لبلوغ هذه الغاية هى إثارة الصراع الطبقى العالمى، ثم استغلال هذا الصراع فى أعمال القتل والتخريب والنهب والسلب والاغتصاب وإحداث الثورات الدامية، وإقامة النظام الديكتاتورى باسم الطبقة الكادحة ثم إبادة ملاك الأراضى وأصحاب المصانع بعد تجريدهم من ممتلكاتهم، والقضاء عليهم، وبعد هذا كله سينال الإنسان « الجنة الأرضية » التى يقال عنها: ولم تكتمل هذه العملية حتى فى روسيا والصين [1] لم تكتمل لأنها مجرد أحلام معسولة يخدرون بها الناس من أجل سلب حاضرهم ومستقبلهم معاً حيث يعدون الناس ويمنونهم وما يعدونهم إلا غروراً

أما الإسلام فقد وحد حقيقة بين النفوس وألف بين القلوب وجعل المجتمع الإسلامى على قلب رجل واحد بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو اللغة، فقد اجتمعوا على كلمة "لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه" هى العصبية وهى القومية وهى الرابطة وهى العقيدة من أجلها يحبون ومن أجلها يبغضون ومن أجلها يحاربون ومن أجلها يسالمون بها يعيشون وعليها يموتون .

هكذا استطاع الإسلام أن يخلق أمة واحدة هذه الوحدة التى أذهلت رستم قائد الفرس حين تحدث إليه ربعى بن عامر وعرض عليه إما الإسلام وإما الجزية وإما الحرب وقال له وأنا كفيل بذلك عن أصحابى، فقال له رستم أسيدهم أنت، قال ربعى، إن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم، وحينما دخل المغيرة بن شعبة على رستم وجده جالساً على سريره فجلس معه ظناً منه أن الناس سواسية وإذا بحاشية رستم تجذب المغيرة من على سرير رستم فقال لهم المغيرة « قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم إنا معاشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً.. فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض »[2] وهكذا استطاع الإسلام أن يخلق وحدة مثالية وسط هذه التجمعات المهترئة من حوله .

ولكن ما الطريق إلى تمزيق وحده المسلمين ؟

فى هذه الأثناء كانت فكرة القوميات والعرقيات تشيع فى أوروبا [3] وتمزقها إربا بعد أن كانت الرابطة هناك تقوم على أساس الدين- إذ راحت كل دولة تبحث عن أصلها ولغتها وجنسها

---

(١) أبو الأعلى المودودى- طائفة من قضايا الأمة الإسلامية ص ٦٣

(٢) إتمام الوفاء ص ١٦

(٣) قارن ص١٨٦ من المجتمع العربى د. صوفى أبو طالب وآخرون .

وتحاول إحياء كل ذلك- على حساب الدين النصرانى كعامل ربط بينهم لفترة طويلة .

وقد ظهرت فكرة القومية فى أوروبا مع أفكار «مارتن لوثر كنج » «وكلفن » وغيرهم من الذين رفعوا لواء العصيان ضد طغيان الكنيسة الكاثوليكية وأعلنوا المذهب البروتستانتى وكانت وراء فكرة القومية (قوى يهودية) تهدف إلى تدمير النظام النصرانى الاجتماعى الذى كان يقوم فى أوروبا فى مواجهة « الجيتو » اليهودى والقوانين التى أصدرتها الكنيسة الكاثوليكية لعزل اليهود وتمييزهم ومنعهم من السيطرة على المراكز الأساسية الكبرى فى المجتمع الأوروبى، وهنا أظهر اليهود فكرة القومية التى ترمى إلى إعلاء شأن الوطن والقوم وأحلالها محل الرابطة الأساسية وهى (الدين) وذلك لإخفاء الفرق بين النصرانى واليهودى وهو ما سعت إليه اليهودية ومن ثم تداعت الرابطة النصرانية فى أوربا وعلت الصيغة القومية [1] .

وتحولت القوميات هناك إلى دين وعقيدة حتى أن الألمان حينما أحيوا الآريه وتعصبوا لها نظروا إلى الدين النصرانى وإلى المسيح كأنه أجنبى عنهم فهو من الجنس السامى- وعليهم أن يتخلصوا منه وهذا ما قاله أحد المعلمين فى ألمانيا وهو البروفسور آترنى: « لأى شىء يدرس أولادنا تاريخ أمة أجنبية ؟ ولماذا نقص عليهم قصص إبراهيم واسحق ؟ ينبغى أن يكون الهنا أيضاً ألمانيا » .

وهكذا يتبرأون حتى من المسيح لكونه ليس من جنسهم الآرى، بل ظهرت فى ألمانيا نزعة إحياء الآلهة القومية القديمة التى كان يعبدها الشعب الألمانى فى عهده القديم [2] .

وهنا فكر أعداء الأسلام فى نقل النزعات القومية والعرقية إلى العالم الإسلامى لعلها تكون سبباً فى إضعاف وحدة المسلمين وتمزيق شملهم. وراحوا ينادون بإحياء الحضارات الجاهلية القديمة التى أماتها الإسلام مثل : الحضارة الفرعونية فى مصر حاولوا إحياءها من خلال حجارة الأهرام وآثار الفراعنة القدماء [3] والنزعة الفينيقية من خرائب الساحل الممتد من يافا

---

(١) راجع ص ٤٩ من مؤلفات فى الميزان للأستاذ أنور الجندى

(٢) أبو الحسن الندوى- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٢١٥

(٣) للأسف الشديد أن صحفيين وكتابا كثيرين تبنوا فكرة إحياء الفرعونية فى مصر ومعظمهم من النصارى ومنهم، كمال الملاخ ولويس عوض ، وبطرس غالى ، وأنيس منصور ، بل إن توفيق الحكيم ظل طيلة عمره يدعو إلى إحياء المصرية المستمدة من الفرعونية والمعارضة للإسلام ومع أن مصر إذا عزلت عن العروبة والإسلام، فإنها لان تبقى شيئا سوى حضارة ماتت واندثرت منذ سبعة آلاف سنة، ولغة لا وجود لها، وتراث لا شىء منه بل لا تبقى شيئا سوى تماثيل وأهرامات وأحجار، وأين كل هذا من الحضارة الإسلامية والنهضة القرآنية التى بعثت روح الحضارة فى أوروبا، فهل الأولى أن نفخر بالإسلام أم نتمسح بالاحجار والاصنام ولا ندرى ما الهدف من احياء هذه العنصريات المقيتة التى أماتها الإسلام ووضع بيننا وبينها حجابا فاصلا حين تحدث عن طغيان الفراعنة وكفرهم بالله وإدعائهم الألوهية ولا شك أن هذه المحاولات التى تقوم بها الصحافة لإحياء الفرعونية إنما تصدر عن حقد دفين على الإسلام الذى قضى على هذه النزعة. راجع ص ١٥٤ ص ٢٣٨ من الصحافة والأقلام المسمومة للأستاذ -أنور الجندى .

إلى اللاذقية (فى لبنان وسوريا) [1] وفى العراق حاولو إحياء الأشورية [2] وبعثوا الدرزية والنصرية والعلوية فى الشام كما بعثوا القبلية العربية فى شبه الجزيرة [3] العربية وفى جنوب شرق آسيا دعا الاستعمار إلى إحياء القبليات القديمة ففى باكستان ظهرت الدعوة إلى البشتوية والبنغالية، والسندية والبلوشية وغيرها من العصبيات الجاهلية [4] وهكذا حاولوا إحياء الحضارات القديمة التى لا علاقة لها جميعاً بالحضارة الإسلامية [5] يقول جب فى كتابه « وجهة الإسلام » وقد كان من أهم مظاهر فرنجة العالم الإسلامى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى أزدهرت فى البلاد المختلفة التى يشغلها المسلمون الآن فمثل هذا الاهتمام موجود فى تركيا وفى مصر وفى إندونسيا وفى العراق وفى إيران »[6] إلا أن الوعى الإسلامى أمات هذه النعرات فى مهدها ولم تؤد المهمة التى أرادها أعداء الإسلام فى تمزيق وحدة العالم الإسلامى، وهنا يتحول أعداء الإسلام إلى أسلوب آخرهو: الدعوة إلى القوميات ورفع لوائها باعتبارها انسلاخاً عن الإسلام فدعوا مرة ثانية إلى إحياء الطورانية فى تركيا، والقومية الفارسية فى إيران، والقومية العربية فى العالم العربى والقومية البربرية في المغرب العربى. وجند لهذه الدعوات رجالا من بنى قومنا ولساننا وجلدتنا- ولكنهم رضعوا لبن الغرب النصرانى وتربوا على موائده وفكره [7] ففى تركيا ظهر داعية من دعاتهم هو « ضياء كوك الب » الذى حاول الدعوة إلى القومية التركية الطورانية كما دعا إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب « الإسلام » وتكوينها تكويناً قومياً خالصاً لا يكون الإسلام فيها عنصراً أساسيا فالدين عنده لا يشكل عنصراً من عناصر الحضارة [8] وظهر من بعده كمال أتاتورك (الماسونى الملحد الذى قام بالفعل بفصل تركيا عن العالم الإسلامى وقضى على كل مظاهر الحضارة الإسلامية من اللغة العربية، والمساجد والتراث الإسلامى، ودعا إلى إحياء جاهلية الترك وآدابهم القديمة وثقافتهم البائدة- ونظروا إلى الدين

---

(١) وممن ساهموا فى إحياء الفينيقية أدباء المهجر وعلى رأسهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه، وأمين الريحانى قارن ص٧٦ من مؤلفات فى الميزان - أنور الجندى .

(٢) عمر فروخ وخالدى ص ١٧٤ .

(٣) د. البهى - عقبات فى طريق الإسلام ص٤ .

(٤) أبو الأعلى المودودى- بين يدى الشباب ص ٢٦- الرياض ١٩٨٣

(٥) د. أحمد سمايلوفتش - فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى ص ١٢٢ .

(٦) أبو الحسن الندوى - الصراع بين الفكر الإسلامى ص ١٨٥ .

(٧) راجع كتاب « أبحاث مختاره فى القومية العربية » لساطع الحصرى وهذه قوميتنا لعبد الرحمن البراز رئيس وزارة العراق السابق وهما من الكتب الخطيرة التى نادت بفصل الإسلام عن القومية وكلها مغالطات على الإسلام والتاريخ .

(٨) الندوى ص ٤٢ .

الإسلامي وثقافته ولغته نظرة تشبه نظرة ألمانيا الجديدة إلى الأديان التى جاء بها الأنبياء الغرباء عن الجنس الأرى، فادعوا أن الإسلام دين طارئ وغريب لا يصلح للترك وأن الأولى بهم أن يعودوا إلى وثنيتهم الأولى قبل أن يعتنق أباؤهم الدين الإسلامى فكعبتهم هى طوران لا مكة [1] وقرآنهم هو قصائد ومدائح جينكيز خان. وأمجادهم هى فتوحات المغول أجدادهم- لا فتوحات صحابة رسول الله ﷺ .

وفى إيران ظهرت الدعوة إلى إحياء القومية الفارسية القديمة بما فيها من لغة وآداب [2] وأديان كالوثنية والزرادشتية والمانوية وقام ملك إيران السابق رضا شاه بهلوى بالمجهود الأكبر فى إحياء الحضارة الفارسية والانسلاخ عن الإسلام وتطبيق العلمانية النصرانية التى تحصر الدين فى زاوية ضيقة من زوايا الحياة وتعزله عن مجال التطبيق العملى [3] .

وفى العالم العربى بث أعداء الإسلام أخطر الدعوات الانفصالية عن الإسلام وهى الدعوة إلى القومية العربية أو فكرة العروبة « التى ألبسوها ثوباً جديداً » وأرادوا لها أن تكون رابطة قومية مناقضة للإسلام بحيث يكون العرب لا صلة لهم بالإسلام بل بالعروبة والمسلمون من غير العرب لاصلة لهم بالعروبة بل بقوميتهم الخاصة .

ويعجب المسلم أشد العجب حين يعلم أن هذه الدعوة قد ظهرت للمرة الأولى فى العالم العربى على يد الجمعية العلمية السورية عام ١٨٤٧ وهى جمعية أنشأت بتوجيه وحماية إرساليات التبشير الأمريكى وقد تبنت الجامعة الأمريكية بعد ذلك الدعوة لهذه الفكرة الخبيثة. كما يقول مايلزكوبلاند- مسئول المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط. « فى الجامعة المريكية فى بيروت ولدت فكرة القومية العربية وترعرع دعاتها حتى أن أكثر من تسعين فى المائة من الدعاة للقومية العربية كانوا من خريجى هذه الجامعة الأمريكية » [3] .

ومن هؤلاء الذين حملوا لواء الدعوة القومية : بطرس البستانى الذى أصدر عدداً من المنشورات، شعارها « حب الوطن من الإيمان » وأسس فى سنة ١٨٦٣ مدرسة خاصة على أساس وطنى تدرس فيها فكرة القوميات الغربية، وراح يشيد بالقومية العربية، وبذلك كان أول نصرانى يدعوا إلى العروبة. ويتكلم باعتزاز عن الدم العربى الذى يجرى فى عروقه [4] .

وكان الهدف من الدعوة لهذه الفكرة هى تمزيق الوحدة الإسلامية القائمة فى ظل الخلافة

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٢١٧

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ١٣٦، ١٣٧

(٣) عمر فروخ ص١٧٥

(٤) لعبة الأمم ص ٢١٩

(٥) د. محمد حسين - الإسلام والحضارة الغربية ص ٥٦

الإسلامية فقد أثاروا بهذه الدعوة- العداوة بين العرب والترك حتى ينفصل العرب المسلمون عن الترك المسلمين وبذلك تسقط الخلافة الإسلامية وتنتهى الوحدة الإسلامية [1]. وللأسف الشديد وجدت هذه الدعوة آذاناً صاغية عند بعض المسلمين الذين تناسوا نصوص دينهم التى تدعوا إلى الوحدة، وتحرم الفرقة والتنازع .

لقد ضحك أعداء الإسلام على المصريين حين بشروهم بنقل مركز الخلافة الإسلامية من الأستانة إلى القاهرة .

وضحكوا على عرب الجزيرة العربية حين بشروهم بنقل مركز الخلافة إلى مكة ونشبت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨ وراح الغرب النصرانى يشعل الحماس القومى ويثير العرب على الترك فثار الشريف حسين فى الحجاز وأهل الشام فى الشام وانضموا إلى راية الحلفاء النصارى ضد إخوانهم الأتراك المسلمين وبعد أن انتصر النصارى فى الحرب تناسوا كل عهودهم مع الشريف حسين بل أخذوا قطعة من العالم العربى وأعطوها لليهود وهى فلسطين .

ولم يتعظ العرب من هذه اللطمة وإنما صاروا وراء الدعوات العرقية التى أثارها أعداؤهم فراحوا ينادون بالقومية كأيديولوجية كاملة وديانة لها مفهومها العقدى- ومع هذه الفكرة بدأ الإلحاد ينتشر بسرعة فى العواصم العربية - بعد أن اهتبل الشيوعيون الفرصة. وما أصبح الدعاة لها ينظرون إلى الإسلام كمنقذ للعرب وإنما ذهبوا يستلهمون أمجادهم من ماضيهم الجاهلى السحيق من عاد وثمود.

لقد تبنى الدعوة للقومية العربية : حزب البعث الاشتراكى فى العراق وسوريا الذى أسسه نصرانى حاقد على الإسلام هو « ميشيل عفلق » الذى فصل فكرة القومية عن الدين، وفى سوريا قام حزب البعث العربى هناك على أساس من الإلحاد والمادية وإحلال الاشتراكية الشيوعية محل الدين[2] حتى كان المذيع من إذاعة دمشق يقول :

« آمنت بالله رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً ماله ثان » [3] .

أى أن العروبة حلت محل الإسلام وأصبحت هى دينهم الجديد فبدلا من أن يقول : « آمنت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمداً ﷺ نبياً ورسولاً » يضع العروبة مكان الإسلام وليذهب الإسلام إلى غير رجعة .

---

(١) أنور الجندى- الفكر الإسلامى ص ٢١١

(٢) راجع ص١٢١ من الصراع بين الفكرة الإسلامية .

(٣) د. على جريشة - دعاة لا بغاة ص ١٦

وفى مصر نادى جمال عبد الناصر بالقومية العربية كرابطة سياسية بين العرب، وفى ليبيا مازال معمر القذافى حتى الآن يدندن على فكرة القومية مع أنهم كانوا من المفروض أن يفيقوا إلى الآثار المدمرة التى خلفتها فكرة القومية العربية بعيدة عن الإسلام- فقد كانت سبباً من أسباب نكسة العرب وهزيمتهم على يد اليهود .

فقد ظل العرب ينفخون فى فكرة القومية حتى ظن الناس أنها شئ وإذا بها مجرد قربة منفوخة مستها أبرة فأفرغت ما فيها من الهواء [1].

لقد كانت الأبرة هى إسرائيل التى هزمت دعاة القومية العربية وعجزت القومية العربية والاشتراكية العلمية> والشيوعية الماركسية وكل الشعارات الجوفاء - عن أن تجمع تمزق العرب وتفككهم، كما عجزت عن أن تمد العرب بروح التضحية والإقدام لأنهم يوم أن دعوا للقومية فقدوا العنصر الأساسى وهو الإسلام، وعجز العرب عن مواجهة أجبن خلق الله وأضعفهم- لأن سلاحهم كان سراباً خادعاً يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا- لقد كان سلاح العرب هو القومية العربية والمجد العربى، ووالله الذى لا إله غيره لوكان سلاحهم القومية الإسلامية والعصبية لله ولرسوله لكان للعرب شأن آخر .

الإسلام والعروبة :

أيها العرب !! هل يستحق منكم الإسلام أن تهجروه وأن تصنعوا به ما صنعتم؟ تعالوا وأنظروا كيف كنتم، وكيف صنع الإسلام لكم مجداً خالداً لم تصلوا إليه فى كل تاريخكم القديم ولن تصلوا إليه فى تاريخكم الحديث ما دمتم بعيدين عن الإسلام .

لقد كان العرب ركاما لاقيمة لهم ولا يحسب لهم أى حساب فى ميزان السياسة الدولية وإذا بالإسلام يؤلف من هذا الركام كياناً جديداً له قيمته وله وزنه وله تأثيره فى السياسة الدولية وإذا بالقرآن يحيى أمة من العدم ويحفظ لها شرفها ومكانتها ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾[2] .

نعم فالقرآن هو الذى خلد ذكرهم وشرفهم [3] فى العالمين كما قال ابن عباس إن المراد بالذكر هنا « الشرف » أفلا تعقلون أى هذه النعمة وتتلقونها بالقبول كما قال الله تعالى ﴿وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ [4] أى شرف ورفعة لك ولهم وحقاً لقد خلد القرآن العرب ورفعهم إلى القمة

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية ص ٧
(٢) الأنبياء-١٠
(٣) التفسير الواضح للشيخ محمود حجازى- المجلد الثانى ص ٦
(٤) تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٧٤.

الشامخة، ولقد كان به ذكرهم ومجدهم حين حملوا رسالته فشرقوا بها وغربوا ولم يكن لهم قبله ذكر ولم يكن معهم ما يعطونه للبشرية فتعرفه لهم وتذكرهم به، فلما تقدموا للبشرية بكتابهم عرفتهم وذكرتهم ورفعتهم أما إذا تقدوا إليها عربا فحسب بدون كتابهم فذلك لا يساوى شيئا فى تاريخ البشرية ولا مدلول له فى معجم الحضارة لأن البشرية ما عرفت العرب ولا ذكرتهم إلا بهذا الكتاب الذى قادوا به البشرية فأسعدهم جميعاً حتى إذا تخلوا عنه تخلت عنهم البشرية وأنحط فيها ذكرهم وصاروا ذيلا للقافلة يتخطفهم الناس، وكانوا بكتابهم يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون[1] .

أين كانت الدول العربية قبل الإسلام ؟

كانت مصر وسوريا والشام مستعمرات رومانية تعانى الملكية والاستبداد والاستعباد والاضطهاد الدينى من الرومان، وكانت شبه الجزيرة العربية قبائل متفرقة متناحرة وما أن ظهر الإسلام حتى حرر كل بلاد العرب من الاستعمار الأجنبى وجعل للعرب قيمة بين جيرانهم ومن هنا كان على العرب أن يعلموا أن الإسلام هو « روحهم وقلبهم النابض » وبدونه سوف يكونون جسداً ميتاً لا قيمة له مهما تكن ثرواتهم و قوتهم المادية، فالإسلام هو قومية العالم العربى والإيمان برسول الله ﷺ هو قوة العالم العربى [2] وإذا كنا نرفض تجمع العرب على أساس العنصر وحده فإننا نرحب باتحادهم وتعاونهم الصادق على أسس الإسلام فالعرب هم مادة الإسلام بلسانهم نزل القرآن الكريم، ومنهم اصطفى الله خاتم الأنبياء والمرسلين، بل إنه من فضل الإسلام على العرب أن جعل حبهم من الإيمان وبغضهم من الكفر يقول رسول الله ﷺ : « حب أبى بكر وعمر من الإيمان وبغضهم من الكفر وحب العرب من الإيمان وبغضهم من الكفر » .

وكما جاء فى حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال « لسلمان الفارسى » « يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينا فقال سلمان يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله فقال ﷺ تبغض العرب فتبغضنى »[3] .

فهذا الفضل الذى جعله الرسول ﷺ للعرب يستلزم منهم أن يقدروا رسولهم حق قدره، وعليهم أن يعلموا أن عزة الإسلام عزة للعرب، وسيادته سيادة لهم وكيف يكون عربياً من تنكر لرسالة

---

(١) الشيخ سيد قطب – فى ظلال القرآن ٢٣٧/٤

(٢) ماذا خسر العالم ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٣) راجع ص ٨٠ من أساليب الغزو الفكرى.

النبى العربى الذى تشرفوا به ؟ وكيف يكون عربياً من يدعو إلى عروبة مجردة من الإسلام؟ اللهم إنا نشهدك أن هؤلاء الذين نادوا بالقومية العربية مجردة من الإسلام ليسوا بعرب ولا مسلمين وإنما هم أعداء للعروبة وللإسلام حتى ولو تحدثوا بلغتنا وتجنسوا بجنسيتنا وانتسبوا إلى ديننا.

آثار ونتائج النعرات القومية :

لقد كان للدعوات القومية أسوأ الآثار على العالم الإسلامى، ومنها :

١- تمزيق وحدة العالم الإسلامى :

فبعد أن كان العالم الإسلامى كله رجلاً واحداً وقومية واحدة أصبح قوميات ونزعات كثيرة متعارضة ، ولم يكتف أعداء الإسلام بذلك، بل إنهم بعد فترة من إحياء النزعات القومية قسموا أرض المسلمين على أساس منها ، إلى مجموعات مختلفة[١] وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية، قسموا العالم الإسلامى إلى دول ودويلات وإمارات وصلت إلى سبعين وطناً ووضعوا بين كل دولة حدوداً جغرافية وبذلك ضاعت هيبة العالم الإسلامى وأصبح أعداء الإسلام قادرين على ضرب كل دولة على حدة.

٢- الإجهاز على الخلافة الإسلامية :

فعلى الرغم من ضعف الخلافة بسبب مؤامرات اليهود والنصارى إلا أن السلطان عبدالحميد حاول أن يحافظ على ما بقى من الخلافة بإحياء فكرة الوحدة الإسلامية[٢].

وكان من الممكن أن يتوحد المسلمون مرة ثانية لو أنهم التفوا حول السلطان عبدالحميد ، إلا أنهم راحوا يدعون إلى القوميات التى وسعت الشقة بين العرب والأتراك وبين العرب والفرس وبذلك تمزق العالم الإسلامى وبالتالى ضاعت الخلافة الإسلامية.

يقول الأستاذ محمد حسين أستاذ الأدب العربى بجامعة الإسكندرية:

«كان للإنجليز هدف واحد هو إضعاف العصبية الدينية وتمزيق أوصال المسلمين فى مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحدا واحداً بالمصريون أحفاد الفراعنة واللبنانيون أحفاد الفينيقيين ، والعراقيون أحفاد الآشوريون، والحجازيون أحفاد العرب وأحق الناس بالقيام على خلافة الإسلام وذلك إغراء لهم بالانتفاض على الترك ومساعدة الإنجليز على إسقاط الدولة العثمانية وكانت الدولة العثمانية برغم ما بليت به من انحلال قوة روحية عظيمة وكانت قادرة على جمع كلمة الشعوب باسم الدين ضد بريطانيا وشقيقاتها من دول الاستعمار الأخرى»[٣] وهكذا أصبحت القوميات أداة بين أيدى أعداء الإسلام للسيطرة على البلاد الإسلامية وتأليبها بعضها على بعض بهدف إضعاف وحدتها الروحية[٤] وتمزيق الخلافة الإسلامية.

---

(١) د. محمد البهى – عقبات فى طريق الإسلام ص ٤.
(٢) باول شمتر – الإسلام قوة الغد ص ٩٨
(٣) راجع ص ١٢٦ من (ظلام من الغرب) للشيخ محمد الغزالى.
(٤) د. أحمد عودة – الإسلام فى مفترق الطرق ص ١٠٠

٣- إحلال القوميات محل الدين :

وهذا ماكان يحلم به (لورنس) منفذ سياسة بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى يقول: «وأخذت طول الطريق أفكر فى سوريا وفى الحج وأتساءل هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية، وهل يغلب الاعتقاد الوطنى الاعتقاد الدينى وبمعنى أصح هل تحل المثل العليا السياسية محل الوحى والإلهام»[١].

وهذا ما تحقق بالفعل، فبعد أن كان المسلمون يستمدون وجودهم وتشريعهم على أساس الإسلام حلت القوميات محل الدين ووضعت قوانين ودساتير على أساس من المصلحة القومية والسياسية دون ارتباط بشرع الله حتى أصبحت كلمة قومية تعنى اللادينية.

فوضع الترك لأنفسهم دستوراً يراعى القومية التركية ووضع العرب دساتير روعى فيها القومية العربية ومعنى ذلك أن التشريعات لم تعد مرتبطة بالإسلام وإنما أصبحت مرتبطة بالتجارب البشرية والمصالح الأنانية حتى ولو تعارضت مع مصلحة الإسلام العليا.

٤- جعلت المسلم يفكر فى وطنه قبل عقيدته وفى جنسه قبل دينه ويقدم الكافر إذا كان من عنصره أو وطنه على المسلم من عنصر آخر أو فى بلد آخر ، ويسمى المسلم أجنبياً ويتعامل معاملة الأجانب[٢].

وخذ على هذا بعض الأمثلة الواقعية :

لو أن حرباً قامت بين دولة عربية (العراق) ودولة أخرى غير عربية ولكنها مسلمة (إيران) فإن العربى بمقتضى دعاوى القومية العربية سوف ينصر الدولة العربية حتى لو كانت هى المعتدية والباغية مع أن ذلك مخالف لنص القرآن الكريم والحديث الشريف.

يقول الله تعالى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾[٣].

ويقول الرسول ﷺ «من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى ردى فهو ينزع بذنبه».

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية» وعن واثلة بن الأسقع قال: «قلت يارسول الله ماالعصبية؟ قال: «أن تعين قومك على الظلم»[٤].

---

(١) أساليب الغزو الفكرى ص ٧٨.

(٢) د. يوسف القرضاوى - الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ص ١٣.

(٣) الحجرات آية ٩.

(٤) راجع ص ٣٧ من كتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

أرأيت أيها المسلم كيف وصلت بنا النعرات القومية إلى الخروج عن نصوص كتابنا الكريم وسنتنا المطهرة.

موضوع القدس :

تعالجه الدول العربية على أنه مسألة قومية بحتة فهو جزء من العالم العربي وحسب ولم تضع الدول العربية الأبعاد الدينية من حيث أن القدس فيه المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومسرى الرسول ﷺ ومعراجه ، فالمسألة أساساً إسلامية[1] ومع ذلك حين عالجتها الدول العربية على أنها مسألة قومية بحتة وجدنا دولاً إسلامية تخالف موقف الدول العربية وتتعاون مع إسرائيل مثل إيران في عهد الشاه الهالك وتركيا.

لماذا يحدث هذا الشقاق بين أبناء الأمة المسلمة الواحدة؟ لأن تركيا صنعت لنفسها قومية، وإيران صنعت لنفسها قومية، والعرب صنعوا لأنفسهم قومية، وضاع الإسلام بين القوميات البغيضة.

وعلى أساس المصالح القومية البحتة وقفت بعض الدول العربية مع النصارى ضد إخوانهم المسلمين في الفلبين حيث أيدوا موقف ماركوس الصليبي الذي كان يذبح المسلمين في المساجد- وفي مشكلة كشمير وقفت بعض الدول العربية مع الهند الوثنية ضد باكستان الإسلامية بل وتنقل الأسلحة إلى الهند الوثنية أثناء غزوها لباكستان المسلمة عبر مصر بلد الأزهر الشريف وقلعة الإسلام.

وفي مشكلة أريتريا وقفوا مع أثيوبيا الصليبية ضد أريتريا المسلمة وفي مشكلة قبرص وقفوا مع القبارصة ضد الأتراك المسلمين.

أرأيت كيف فرقت القوميات بين المسلمين وجعلتهم يتقاتلون أحياناً ويتخاصمون أحياناً أخرى وهذا بسبب ضعف الشعور الإسلامي بين المسلمين.

يقول الدكتور عمر فروخ «ظهر بوضوح أن هذه الحركات القومية ترمي إلى إضعاف الشعور الإسلامي خاصة بين البلاد الإسلامية وإلى قصر الصلات بين بلادنا على العنصر القومي وحده فالصلة بين سوريا ولبنان ومصر الجزائر ومراكش تقوم في رأي الأحزاب القومية على العروبة أو

---

(١) د. محمد البهي : عقبات في طريق الإسلام ص ٧.

على اللغة العربية وعلى شيء من التاريخ العربى مجرداً من كل صلة بالإسلام، أما تركيا وإيران وباكستان وأندونيسيا فهى عندهم كالأرجنتين والمكسيك وفرنسا سواء بسواء وبعض الأحزاب القومية أو الوطنية كالحزب القومى السورى وحزب الكتائب اللبنانية تنظر إلى اليمن ومصر وتونس كما تنظر إلى فنلنده أما البرازيل والولايات المتحدة فهى أقرب إلى هذين الحزبين من اليمن وطرابلس الغرب[1].

موقف الإسلام من النزعات القومية :

ليس هناك ماهو أوضح من موقف الإسلام فى هذه القضية وموقف الداعين لها، فالإسلام يجعل وحدة الأمة الإسلامية «فريضة وضرورة» ويجب على المسلم أن يضحى بالغالى والنفيس فى سبيل الحفاظ عليها ومن هنا كانت توجيهات القرآن الكريم التى تأمر بالوحدة وتنهى عن التفرق والتنازع ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء﴾[2].

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾[3].

هكذا تنادى الآية الكريمة بتمسك المسلمين برباط واحد وهو القرآن الكريم فهو حبل الله المتين وهو القادر على توحيد المسلمين ، ولا يمكن أن يجتمعوا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة. (ولا تفرقوا) أى لاتصيروا فرقا وشيعاً كما كنتم فى جاهليتكم هذا أوسى ، وذاك خزرجى هذا عدنانى وذاك قحطانى وعليكم أن تتذكروا حالكم يوم أن كانت الرابطة بينكم هى رابطة القبلية العصبية كيف كان حالكم. وكيف أكل البغض قلوبكم حتى أكرمكم الله بهذا الدين الذى ألف بين قلوبكم ووحد مشاعركم وجمعكم على كلمة واحدة هى «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وقد نزلت هذه الآية فى شأن الأوس والخزرج وذلك أن رجلاً من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكر لهم

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١٧٦.

(٢) الأنعام (١٥٩).

(٣) آل عمران ١٠٣ - ١٠٥ .

ماكان من حروبهم يوم بعاث ففعل فحميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وكادت الحرب تقوم بينهم وعلم النبى بما حدث فأتاهم وراح يسكن ثورة غضبهم وينادى فيهم «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم دعوها فإنها منتنة، وتلا عليهم هذه الآية التى ذكرتهم بالرباط المتين الذى ينبغى أن تكون العصبية له وهو كتاب الله فإذا بهم يندمون على ما كان منهم ويلقون السلاح ويتعانقون ويعودون إلى وحدتهم الإسلامية»[1].

وإذا كانت آيات الكتاب الكريم قد أمرت بالوحدة ونهت عن التفرق فإن رسول الله ﷺ يخرج من نطاق الإسلام كل مفرق للجماعة، وكل داع إلى عصبية، أو قومية فيقول المصطفى ﷺ : فيما رواه الترمذى وأبو داود : لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخراء بأنفه ، إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء، وإنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب».

وعندما سمع رسول الله ﷺ أحد المسلمين الفرس يضرب رجلاً من المشركين فى معركة من المعارك ويقول له خذها منى وأنا الغلام الفارسى التفت إليه المصطفى ﷺ وقال له «هلا قلت خذها منى وأنا الغلام الأنصارى»[2] .

وهكذا يرفض رسول الله ﷺ أن يتفاخر أحد بجنسه أو بنسبه فالتفاخر لا يكون إلا بالانتساب إلى الإسلام.

بل إن الإسلام ليجعل وحدة الجماعة الإسلامية فرض عين على كل مسلم حتى ولو رأى المسلمون من خليفتهم بعض السلبيات التى لاتصل إلى حد الكفر، ومن فرق أمر المسلمين وخرج على خليفتهم فهو كافر حلال الدم، يقول الرسول ﷺ «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية».

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه»[3].

وقال ﷺ : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[4].

---

(١) راجع ص ٣٧٨ ج ١ من تفسير ابن كثير وص ٣٣٤ ج ١ من تفسير الظلام .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه أبو داود والطبرانى وأحمد والحاكم.
(٤) متفق عليه.

وعلى هذا فكل الذين دعوا إلى القوميات – من ضياء كوك الب – إلى معمر القذافى فارقوا الجماعة وبالتالى يموتون ميتة جاهلية، لأنه ليس من المعقول أن يضحى المسلمون بنظام شرعى يقيم حكم الله من أجل بعض الأمور التى كان يمكن تصحيحها بأى طريق آخر غير تقويض وحدة الأمة الإسلامية[1].

ومن هنا وجب على كل مسلم أن ينكر بقلبه ولسانه كل الدعوات القومية التى ظهرت فى العالم الإسلامى.

وأخيراً فإننا نذكر المخدوعين بهذه الشعارات القومية، والقومية العربية على الخصوص بأن الأساس الأول والشعار الأوحد الذى رفعه رسول الله ﷺ ليجتمع الناس حوله هو كلمة «لا إله الله محمد رسول الله» وكان من الممكن أن يبدأ بالدعوة إلى القومية العربية وبعد ذلك ينادى فيهم بالتوحيد، وكان سيجد آذانا صاغية لو نادى بالقومية العربية، فلقد بعث رسول الله ﷺ، ومعظم بلاد العرب فى يد الفرس والروم، ولو آثارها قومية عربية تستهدف جمع قبائل العرب وتوجهها وجهة قومية لاستخلاص أرضها المغتصبة لاستجاب له العرب قاطبة – ومع ذلك لم يبدأ رسول الله ﷺ دعوته إلا بكلمة (لا إله إلا الله) التى أغضبت العرب طوال هذه السنين التى عانى فيها رسول الله ما عانى.

لماذا؟ لأن الله يعلم أنه ليس هذا هو الطريق فليس الطريق أن تخلص الأرض من يد طاغوت رومانى أو فارسى إلى يد طاغوت عربى، فالطاغوت كله طاغوت.

إن الأرض لله ويجب أن تخلص لله، ولن تخلص إلا إذا ارتفعت فوقها كلمة «لاإله إلا الله»[2] التى تنفى الألوهية عن كل الطواغيت – التى دعيت من دون الله سواء كانت بشراً أو حجراً أو شعارات قومية – وترد الألوهية للإله الحق[3].

وذلك أن الجنسية التى يريدها الإسلام للناس هى جنسية العقيدة التى يتساوى فيها العربى والرومانى والفارسى والتركى والأرمنى والسلافى وسائر الأجناس تحت راية «لا إله إلا اله الله»[4] لافضل لواحد منهم على الآخر إلا بقدر قربه من الله سبحانه وتعالى وتقواه وعمله الصالح. هذا هو ميزان التفاضل الوحيد داخل الأمة الإسلامية، فليس الميزان هو الجنس أو العنصر أو الأرض أو المصلحة، وهذا ما ينبغى أن يعيه المسلمون حتى يفيقوا من حمى الشعارات القومية التى ضيعت الإسلام فى نفوس المسلمين، فتأخروا وتقدم غيرهم، وتفرقوا وتوحد غيرهم وهانوا على الله حتى أصبحوا أهون عليه من الجعل كما تنبأ بذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) د. على جريشة دعاة لا بغاة .

(٢) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ١٠٥.

٣ – دعاة لا بغاة ص ١٨ .

٤ – فى ظلال القرآن ج٢ ص ١٠١ .

دور الإعلام الإسلامى فى مواجهة النزعات القومية

إن الإعلام بصفة عامة يشكل أخطر المجالات فى حياة الأمم والشعوب، فبسببه قد ترتفع الأمم إلى القمة الشامخة، وبسببه أيضاً قد تنحدر إلى القيعان الهاوية، من الممكن أن يكون الإعلام وسيلة من وسائل التقدم والرقى ، ومن الممكن أن يكون وسيلة من وسائل التخلف والتأخر.

والذى يحدد ذلك هو نوعية الثقافة ومادة الفكر التى يروجها الإعلام فهو كالحامض الذى يذيب شخصية الكائن الحى ويشكها من جديد.

وقد أدرك أعداء الإسلام هذه الحقيقة فحاولوا السيطرة على وسائل الإعلام العالمية وهذا ماكشفت عنه بروتوكولات حكماء صهيون والتى تقول (إن الأدب والصحافة قوتان فى طليعة القوى التوجيهية الهامة وبذلك يجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف).

ومن هنا تأتى خطورة دور الإعلام الإسلامى وقدرته على مواجهة سائر الأفكار المدمرة بحيث يقف حجر عثرة دون اختراق العقل المسلم.

لذلك يجب على الإعلام الإسلامى أن يكشف للمسلمين عن خطورة النزعات القومية والعرقية فى العالم الإسلامى من خلال مختلف وسائله المسموعة والمرئية.

كما يجب عليه أن يتبنى الدعوة إلى الوحدة الإسلامية الشاملة التى تقوم على نفس الأساس الذى قام عليه رسول الله ﷺ وحدة الأمة وهى (عقيدة التوحيد) فهى جنسية المسلمين وقوميتهم.

فالوحدة الإسلامية اليوم فريضة ضرورية ولا مكان للمسلمين فى عالم اليوم إلا إذا توحدوا أمام هذه التكتلات العالمية.

وأنها لمسئولية خطيرة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق العاملين فى مجال الإعلام الإسلامى إلى القيام بها على خير وجه. إنه سميع قريب مجيب.

الفهـــرست

الموضوع	رقم الصفحة
برنامج الندوة	٥
كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر	١١
كلمة سعادة الشيخ صالح عبد الله كامل رئيس مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية	١٣
كلمة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ورئيس الندوة	١٩
كلمة معالى الدكتور محمد عبده يمانى – نائب مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية ورئيس شرف الندوة	٢٣
كلمة الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام مدير مركز صالح كامل للإقتصاد الإسلامى ومقرر الندوة	٢٧
كلمة الأستاذ السيد عبد الرءوف عضو مجلس إدارة مؤسسة اقرأ الخيرية ومقرر اللجنـة	٣١
البيان الختامى	٣٥
التوصيات	٤١
الأبحاث والأوراق الخلفية	٤٥
المحور الأول: الإعلام الإسلامى والدعوة	
* الإعلام الإسلامى [الأصول – القواعد – الأهداف]	٤٩
* ضوابط الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال فى حقل الإعلام الإسلامى	٧٩
* الرأى العام فى الإسلام	١٠٣
* الدعوة الإسلامية بين الوجوب والتطوع	١٣٥
* الرسول الداعية ورجل الإعلام الإسلامى	١٦٣
* فلسفة خطاب الإعلام العربى بين التبرير والتغيير	١٨٧
* البحث العلمى فى مجال الإعلام الإسلامى إشكالياته ودوره الوظيفى	١٩٩

الموضوع	رقم الصفحة

المحور الثانى : الإعلام الإسلامى وتحديات العصر

* الإعلام الإسلامى فى عصر الفضاء ٢٢٣
* الإعلام الإسلامى وتكنولوچيا الاتصال ٢٣٣
* الإعلام الإسلامى والتبشير ١٧١
* الإعلام الإسلامى فى مواجهة الاستشراق ٢٩٩
* نشر الدعوة الإسلامية وتكنولوچيا الاتصال ٣٣١
* الإطار الشرعى للنشاط الإعلامى ٣٥٧
* مشكلات الصحافة الإسلامية ٣٧٥
* الصحافة الإسلامية بين العمومية والتخصص ٣٨٥
«تجارب من الواقع»

المحور الثالث : الإعلام الإسلامى وطموحات المستقبل

* الإعلام الإسلامى والنظام العالمى الجديد ٤٠٣
* تأهيل الكوادر الإعلامية ٤٣١
* الإعلام الإسلامى فى القرن الحادى والعشرين ٤٥١
* الإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية وطموحات المستقبل ٤٧٧
* الدراما .. رؤيا إسلامية ٥١٩
* التخطيط لإنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية ٥٤٩
* الإعلام الإسلامى وزرع القيم فى نفوس الأطفال ٥٦٣
* دور الإعلام فى تنمية المجتمعات الإسلامية ٥٨١

أوراق خلفية :

أوراق خلفية ١ ..... ٦٠٧
أوراق خلفية ٢ ..... ٦٢١

الموضوع	رقم الصفحة
أوراق خلفية ٣	٦٣٣
أوراق خلفية ٤	٦٤٣
أوراق خلفية ٥	٦٥٥
أوراق خلفية ٦	٦٧١
الفهرست	٦٩٠

رقم الايداع ١٩٩٢/٥٣٣٥

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية